



١٠

تَأْثَرُ الْمَسِيحِيَّةِ بِالْأَدْيَانِ الْوَضْعِيَّةِ

د. محمد علي مجيب
أستاذة الفلسفة والفقه



■ هوسون العقيد والإدنا

14

تأثر المسيحية بالأديان الوضعية

د. احمد علي عجيبه
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشر - توزيع - طباعة
٥٥ - ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٣٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
E-mail : daralafk@yahoo.com

اسم الكتاب : تأثر الميَّحِيَّة بالأديان الوضعية
اسم المؤلف : > (محمد علي مجيب)

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٥٨٤٠
الترقيم الدولي : 3 - 125 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة للناسر





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد...

فإن المسيح عليه السلام لم ينشئ دينًا ولم يأت بدين جديد، فدين الله واحد وهو الإسلام وهو دين الأنبياء جميعًا ابتداء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،

يقول سبحانه : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران : ١٩.

ويقول سبحانه : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة : ١٣٦،

وقوله تعالى : ﴿* شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى ١٣.

وكانت مهمة المسيح عليه السلام كرسول تلخص فيما أوضحه القرآن الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِبْرٰهِيْمَ اِنِّى رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلٍ يَّاتِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَحْمَدُ﴾ الصف : ٦، أي أنه رسول إلى بني إسرائيل، يدعوهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، جاء مصداقًا لما بين يديه من التوراة الصحيحة حيث يوضح لهم المعاني الصحيحة لفهمها ويرشدهم إلى الفهم الصحيح لألفاظها بدون ليّ للسان، ولبس للحق بالباطل، ويردهم عن تحريفها.

هذا إلى جانب أنه جاء مبشراً بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

فالمسيح عليه السلام كانت رسالته - بجانب الدعوة إلى الله وحده لا شريك له - توضيحاً وتفسيراً وتصديقاً لما بين يديه من التوراة، وتبشيراً بالرسول صلى الله عليه وسلم..

وحين فكر بعض المنتسبين إلى المسيح عليه السلام أن يجعلوا رسالته ديانة مستقلة قائمة بنفسها أخرجوها عن جوهر الرسالة السماوية إلى ديانة جديدة اختلط فيها الحق بالباطل، وظهر واضحا انتكاستهم وتأثرهم بمن حولهم من الأديان الوضعية.

ولقد نص القرآن الكريم على أن المنتسبين إلى المسيح عليه السلام حرفوا كثيراً مما جاء به، فشووهوا مبادئ رسالته، وغيروا عقائدها وتعاليمها، وأدخلوا فيها ما ليس منها، وما لم يقله المسيح عليه السلام.

يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيٰ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيْ أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٣٠﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِيْ بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الْرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٣١﴾﴾ المائدة: ١١٦، ١١٧.

فهذا نص يفيد بصریحه أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد الخالص، وأن المنتسبين إليه هم الذين تقولوا عليه غير التوحيد.

"وهم بهذا الصنيع أوقعوا أنفسهم في خطيئة ذي شقين، يستحيل غفرانها:

الأول: الإشراك بالله تعالى.

الثاني: أنهم أوردوا عيسى بغلوهم فيه مورداً يعتذر عند الله منه يوم الحشر" (١).

ولقد بين القرآن الكريم أنهم بصنيعهم هذا يشابهون قول الكافرين قبلهم:

(١) أبو عبيدة الخزرجي: بين المسيحية والإسلام ص ١٥٦.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة : ٣٠ . فهذه الآية دالة على أن النصارى تأثروا بغيرهم.

هذا وقد تبين للباحث أثناء إعداده لرسالة الماجستير أن المسيحيين فعلاً استعاروا بعض الأفكار والعقائد من الأديان الوضعية ..

ومن هنا رأى الباحث أن يدرس هذه الفكرة في بحثه لرسالة الدكتوراة وذلك لكى يبين كيف تأثرت المسيحية بالأديان الوضعية؟ ونوع هذا التأثير، ومداه.

وبرغم أهمية الموضوع وإشارة القرآن الكريم إليه إلا أنه لم ينل في العصور الماضية حظاً وافراً من البحث والدراسة، ولم ينل أيضاً نصيباً كبيراً من اهتمام العلماء والباحثين إلا تنقاً يسيرة هنا وهناك.

فعلماء الإسلام الذين تصدوا للرد على المسيحية اهتموا اهتماماً كبيراً بالردود العقلية والمنطقية، فلقد عنوا بمناقشة المسيحيين مناقشة عقلية لبيان فساد عقائدهم وتعاليمهم ولم يهتموا كثيراً ببيان تأثير المسيحية بالأديان الأخرى، اللهم إلا القاضي عبد الجبار . شيخ المعتزلة . والحقيقة أنه في هذا المجال يعتبر من مفاخر العقلية الإسلامية، فلقد استطاع أن يلاحظ ويستنتج في كتابه: "ثبوت دلائل النبوة" بعض الأفكار التي يرددها علماء الغرب في بيان تأثير المسيحية بالأديان الوضعية، وبرغم هذا فإن عباراته كانت موجزة وقصيرة جداً، حيث إنه لم يفصل التفصيل الواضح للمسيحية وعقائدها، وبيان تأثيرها بالأديان الوضعية حيث كانت عباراته في هذا المجال عامة وموجزة بدون تحديد لعقائد معينة.

وفي العصر الحديث ظهرت بعض الأبحاث القليلة حول هذا الموضوع وأهمها على الإطلاق كتاب "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" للأستاذ/ محمد طاهر التير ... وبرغم أهمية الكتاب، إلا أنه لم يكن شاملاً لكل أطراف الموضوع، فلم يبين كيفية الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية، ولا كيفية التأثير، ولم يعن بذكر النتائج، فلقد اقتصر على تعداد العقائد المسيحية وما يشبهها في الأديان الوثنية فقط دون ذكر

الصلة بينها، ودون الاعتناء بذكر النتائج المترتبة على هذا التشابه، هذا إلى جانب أنه أهمل المقدمات.

ولذلك تأتي أهمية هذه الدراسة، حيث إنها حاولت أن تدرس الموضوع دراسة مستفيضة، وتحدد جذور التأثير، والعوامل التي أدت إليه، وكيفيته، ونوعه.

ولقد قسمت هذه الرسالة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة: فتذكر إلى جانب ما سبق خطة الرسالة ومنهج البحث والدراسة،

أما المدخل: فكان لبيان التصوير القرآني للمسيح عليه السلام ورسالته.

أما الباب الأول: فكان بعنوان: (العوامل التي أدت إلى تأثر المسيحية بغيرها)

وقد اشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: الاضطهاد.

الفصل الثاني: ضياع إنجيل المسيح وعدم قدسية الأنجيل الحالية.

الفصل الثالث: بولس ونشاطه في المسيحية.

الفصل الرابع: قسطنطين وأثره في المسيحية.

الفصل الخامس: المجامع المسيحية وأثرها في تقرير العقائد الكنسية،

أما الباب الثاني فكان بعنوان: (الأديان الوضعية المنتشرة وقت ظهور المسيحية)

وقد اشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأديان الشرقية.

الفصل الثاني: الديانة اليونانية والديانة الرومانية.

الفصل الثالث: منافذ الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية^(١).

أما الباب الثالث: فكان بعنوان: (مظاهر تأثر المسيحية بالأديان الوضعية)

وقد اشتمل هذا الباب على أربعة فصول:

الفصل الأول: التجسد

الفصل الثاني: التثليث.

(١) وقد رأينا حذف الباب الثاني - ما عدا الفصل الثالث منه - من هذه الطبعة وذلك نظرا لتضخم حجم الكتاب، ثم أضفنا الفصل الثالث وهو بعنوان (منافذ الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية) إلى الباب الأول ليصبح بذلك مكونا من ستة فصول.

الفصل الثالث : الصلب والفداء.

الفصل الرابع : الشعائر الدينية والأعياد المسيحية.

أما الخاتمة : فقد اشتملت على أهم نتائج الرسالة :
ومنهج الباحث في هذه الدراسة كما يلي :

أولاً : جعل القرآن الكريم هو الحكم ، وذلك انطلاقاً من هيمنته على الكتب السابقة ، فالقرآن الكريم هو المصدر الإلهي الموثوق به حيث توافر له كل دواعي الثقة والاطمئنان.

ثانياً : اعتمدت على المصادر الرئيسة في الموضوع ، فلقد اعتمدت على المراجع المسيحية في تصوير عقائدهم ، وعلى المراجع التاريخية في بيان المسائل التاريخية..

وعلى سبيل المثال : استخدمت في بيان الأحداث التاريخية المسيحية كتب التاريخ المسيحي ، والتي كتب بعضها في القرون المسيحية الأولى ، وذلك مثل كتابي :
يوسابيوس القيصري (تاريخ الكنيسة) و (حياة قسطنطين).

ويوسابيوس هذا أب التاريخ الكنسي ، وكتابه الأول يعتبر أقدم الكتب التاريخية عن المسيحية ، حيث كتب في أوائل القرن الرابع الميلادي ، وهو عند المؤرخين للعصور الميلادية الأولى من المصادر الرئيسة. وكتابه الثاني : (حياة قسطنطين) يعتبر من المصادر الرئيسة عن قسطنطين ، فلقد صرح في مقدمة هذا الكتاب أنه تشرف بمعرفة ومعايشة قسطنطين.

ولأن كتب التاريخ المسيحي لا تخلو أحياناً من الغلو المتزايد في كتابة التاريخ ، حرصت على استخدام كتب التاريخ الروماني - حيث ظهرت المسيحية أثناء الحكم الروماني - بجانب كتب التاريخ المسيحي.

هذا وقد أرودت النصوص من مصادرها الأصلية ، فلم أعتمد على أقوال الغير في بيان العقائد المسيحية ، ولم أتدخل في النصوص التي أوردتها بالحذف أو التغيير أو التبديل ، وإنما أوردتها كما كتبها أصحابها.

ثالثًا: عمدت في هذه الدراسة إلى تأكيد المعنى المسيحي بأكثر من نص حتى لا يقال إننا نتلصص على المسيحيين بكلمة من هنا أو من هناك، ولأن المعاني المسيحية غريبة على الأسماع والأفهام، ولذلك كان ذكر أكثر من نص في المعنى الواحد ربما يقربها إلى حد ما.

رابعًا: التعليق على ما أورده من نصوص بأسلوب الحوار الهادئ الذي لا يجنح إلى الانفعال وبروح المنهج العلمي الجاد، والمنطق العقلي السليم، بعيدين كل البعد عن الهوى والتعصب، لأنه لا غرض لنا إلا إحقاق الحق وإبطال الباطل.

خامسًا: حاولت في بعض الأحيان إرخاء العنان للخصم، أو التسليم ببعض الأفكار والاحتجاج بما هو مسلم به عندهم، حتى يكون ألزم في الحجة وأتم في الإقناع.

سادسًا: إن الأقوال التي نسبت إلى المسيح أو الحواريين في هذه الدراسة إنما هي على تقدير تسليم أنها أقوالهم، لأنه غير ثابت عندنا أنها أقوال المسيح والحواريين، وذلك لأجل فقدان إسناد الكتب المنسوبة إليهم، هذا فضلا عن أنه قد ثبت تناقضها واضطرابها مما لا يصح معه القول بنسبتها إلى المسيح عليه السلام،

وبعد:

فأرجو أن يكون هذا البحث قد جاء على الصورة اللائقة بالأبحاث العلمية وأرجو أن أكون قد وفقت في بيان كيفية تأثير المسيحية بالاديان الوضعية.

المدخل

التصوير القرآني
للمسيح عليه السلام
ورسالته

يتحدث القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام، حديث المنصف له ، من المتسبين إليه وما تقولوا عليه ، ومن أعدائه الذين اتهموه هو وأمه مريم عليها السلام.

فلقد انحرف هؤلاء المتسبون إليه عن تعاليمه وحرفوها تحريفاً بالغاً، وغالوا فيه غلوا شديداً حتى عدوه إلهاً. أما أعداؤه من اليهود وغيرهم فقد رموا أمه بالفاحشة واتهموه بسوء المنبت.

ويأتي القرآن الكريم بالقول الحق في عيسى عليه السلام وأمه، فيرفع عن مريم وابنها قالة السوء، ويبرز لنا شخصية المسيح الحقيقية، ويرد عنه كل افتراء.

وسوف نتناول في هذا المدخل الموجز الحقائق المهمة التي أبرزها القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام ورسائله.

ما قبل ولادة المسيح

إمرأة عمران:

يحدثنا القرآن الكريم عن "إمرأة عمران" - أم مريم - وهي تتوجه إلى الله بالدعاء بعد أن وهبت له ما في بطنها أن يتقبل نذرها ﴿إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٧﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِعْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٣٨﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٩﴾ آل عمران: ٣٧، ٣٨، ٣٩

يكشف لنا هذا النص القرآني عن قلب "إمرأة عمران"، وما يعمره من إيمان، ومن توجهه إلى ربها بأعز ما تملك، وهو الجنين الذي تحمله في بطنها، خالصا لربها، محررا من كل قيد، ومن كل شرك، ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه وتعالى^(١).

ثم بعد ذلك ترجو الله أن يتقبل نذرها قائلة: (فتقبل مني إنك أنت السميع) أي السميع لتضرعي، ودعائي وندائي، (العليم) بما في ضميري، وقلبي، ونيتي^(٢). فلما وضعت مولودها، وكان نذرها على فرض الذكورة، كما يبدو من إشارات النصوص القرآنية، ولأن النذر للمعابد لم يكن معروفا إلا للصبيان ليخدموا الهيكل وينقطعوا للعبادة والتبتل^(٣)، ولكن ها هي ذي تجدها أنثى فتجدد العزم على الوفاء بنذرها، ثم تتوجه إلى الله سبحانه وتعالى متضرعة، بأن يحفظها هي وذريتها من الشيطان الرجيم، وأن يجعلها من الصالحات القانتات، وكان جزاء هذا الإيمان الخالص لله وحده لا شريك له الذي يعمر قلب الأم، أن تقبل الله وليدتها بقبول حسن، وأنبتها نباتا حسنا فجعلها تعيش في حضانة الطهر والسمو، إذ قام على تنشئتها، وهدايتها، وتعليمها نبي من أنبياء الله، فكفلها زكريا، ووجهها إلى العبادة الصحيحة وتنزيه القلب من كل أدران الشر والإثم، فنشأت نشأة مباركة طيبة طاهرة، فكانت إحدى العابدات الناسكات، المشهورات بالعبادة العظيمة، والتبتل الدؤوب، وكانت في كفالة زكريا نبي بني إسرائيل إذ ذاك، وعظيمهم الذي يرجعون إليه^(٤).

"وكان الله سبحانه وتعالى يهيئ لها من رزقه فيضا من فيوضاته، فكان يفيض من حولها الخير، ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقا، حتى ليعجب كافلها - وهو نبي -

(١) راجع : سيد قطب : في ظلال القرآن [١/٣٩٢].

(٢) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب [٨/٢٨].

(٣) في ظلال القرآن [١/٣٩٢].

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم [٣/١١٤].

من فيض الرزق، فيسألها: كيف ومن أين هذا كله؟ فلا تزيد في أن تقول في خشوع المؤمن، وتواضعه واعترافه بنعمة الله وفضله، وتفويض الأمر إليه كله: (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)^(١).

وكانت هذه التشبهة الطيبة بمثابة التمهيد لأمر عظيم، وهو أنها كانت تعد لأن تستقبل نفخة الروح، وكلمة الله، وأن تلد عيسى عليه السلام على غير مثال من ولادة البشر، ولذلك كانت الملائكة تأتيها، فتخبرها باصطفاء الله لها، لهذا الأمر، دون نساء العالمين،

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ^(٢) وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ^(٣)﴾ يَمْرُؤُا أَقْبَىٰ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ^(٤)﴾ آل عمران: ٤٢ - ٤٣.

"هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله تعالى لها بذلك أن الله قد اصطفاهَا، أي اختارها، لكثرة عبادتها، وزهادتها، وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاهَا ثانيا مرة بعد مرة؛ لجلالتهَا على نساء العالمين"^(٥).

(١) في ظلال القرآن (١/ ٣٩٣).

(٢) والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى. وذلك لما لابس مولد عيسى عليه السلام من شبهات، لم يتورع اليهود أن يلبصقوها بترميم الطاهرة، معتمدين على أن هذا المولد لا مثال له في عالم الناس. فيترجمون أن وراءه سرا لا يشرف. فبحمهم الله، وهما تظهر عظمة هذا الدين، ويثبتن مصدره عن يقين. فها هو ذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الإسلام الذي يلقى من أهل الكتاب ومنهم النصارى ما يلقى من التكذيب والعت والجدل والشبهات، وها هو ذا يحدث عن ربه بحقيقة مريم العظيمة، ونفضلهَا على نساء العالمين بهذا الإطلاق الذي يرفعها إلى أعلى الآفاق، وهو في معرض مناظرة مع القوم الذين يعترفون بمریم وينخدون من تعظيمها مبررا لعدم إيمانهم بمحمد وبالدين الجديد، أي صدق؟ وأية عظمة؟ وأية دلالة على مصدر هذا الدين وصدق الأمين؟ إنه يلقى الحق من ربه عن مريم، وعن عيسى. فيعلن هذا الحق، في هذا المجال، ولو لم يكن رسولا من الله ما أظهر هذا القول في هذا المجال بحال.

في ظلال القرآن الكريم (١/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٢).

يقول الزمخشري - في معنى هذه الآية - : (إن الله اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك، وورباك، واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الأفعال، ومما قرفك به اليهود (واصطفاك) آخر (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء^(١).

تبشير مريم بعيسى عليه السلام

تأتي الملائكة إلى مريم - بعد أن تأهلت بالطهر والتنسك والعبادة لتلقى هذا الفضل، وبعد أن انتبذت من أهلها مكانا شرقيا - لتبشرها بعيسى عليه السلام. يقول تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۖ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۖ﴾ مريم ١٦ - ٢١،

ويقول سبحانه ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۖ﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ﴾ آل عمران :

٤٥ - ٤٨

وحين تبدى لها الملك في صورة بشر تام كامل وهي في مكان منفردة وبينها وبين قومها حجاب خافتها، وظنت أنه يريد لها على نفسها، وقالت له : "إني أعوذ بالرحمن منك" إن كنت تخاف الله تذكيرا له بالله، فقال لها الملك عجبا لها ومزيلا لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين، ولكنني رسول ربك بعثني الله إليك لأهب لك غلاما زكيا، تعجبت مريم وقالت كيف يكون لي غلام، أي على أي

صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج ، ولا يتصور مني البغي ، فقال لها الملك مجيباً إن الله قد قال سيوجد منك غلاماً وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة ، فإنه على ما يشاء قادر . ولهذا قال (ولنجعله آية للناس) أي دلالة وعلامة على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق آباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر . فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ، فلا إله غيره ولا رب سواه "ورحمة منا وكان أمراً مقضياً" أي مقدراً ومسطوراً في اللوح ، لا بد لك من جريه عليك ، أو كان أمراً حقيقياً بأن يكون ويقضي لكونه آية ورحمة^(١).

وحملت مريم بعيسى بإذن الله بعد أن نفخ في جيب درعها جبريل ، ثم بعد ذلك أخذت مكاناً قصياً ، ثم ولدته .

يقول ابن كثير: "والمشهور والظاهر والله على كل شئ قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن"^(٢) . فلو كانت عاداتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذکر"^(٣).

يقول الله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۚ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ۚ وَفَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۚ وَهَزَّتْ يَدَاكِ فَيَجْذَعُ النَّخْلَةُ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۚ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۚ فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۚ ﴾

سورة مريم : ٢٢ - ٢٦ .

"ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ومن لا يعرف ؛ لأنها فاجأتهم بأمر غريب وهي المعروفة بينهم

(١) الكشف (٢/ ١٥٠٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٦) .

(٣) مفاتيح الغيب (٣/ ١٢٠٣) .

بأنها عذراء ليس لها بعل، فكانت المفاجأة داعية الاتهام، لأنه عند المفاجأة تذهب الروية، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضي والحاضر وخصوصاً أن دليل الاتهام قائم وقربته أمر عادي لا مجال للريب فيه عادة، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة، فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام؛ لينقض الاتهام من أصله ويأتي على قواعده، ويفاجئهم بالبراءة، وبرهانها الذي لا يأتيه الريب، وليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه في نسكها وعبادتها، ولذلك نطق الغلام وهو قريب عهد بالولادة ليكون كلامه إعلاما صريحا ببراءة أمه^(١).

يقول تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِمِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَنْمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۝١٧ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوْكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ۝١٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ۝١٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٢٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٢١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٢٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٢٣﴾ سورة مريم: ٢٧ - ٣٣.

نبوة المسيح ورسالته

لقد حدد القرآن الكريم رتبة عيسى عليه السلام بأنه رسول أرسله الله إلى بني إسرائيل، لدعوتهم إلى توحيد الله عز وجل، ولتصحيح عقيدتهم التي انحرفوا بها عن رسالة موسى عليه السلام.

"ذلك أن بني إسرائيل قد طال عليهم الأمد، ففقت قلوبهم، وحرفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوي، وخرجوا إلى الإفراط والتفريط"^(٢)، ولذلك أرسل الله إليهم عيسى بن مريم ليدعوهم إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له. يقول

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ١٩ - ٢٠.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٣٩٢.

تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ النساء: ١٧١ .. أي أن القول في عيسى بن مريم أنه رسول الله.

يقول أبو السعود: "أي أنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها"^(١)

ثم بين القرآن الكريم أنه رسول من جنس رسل الله تعالى لا فرق بينه وبينهم في مهمة الرسالة .. يقول سبحانه: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ المائدة: ٧٥ .. "أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بمثلها"^(٢).

ثم يحدد القرآن الكريم القوم الذين أرسل إليهم فيقول: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ آل عمران: ٤٩.

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿الصف: ٦﴾

أول شيء في دعوة الرسل توحيد الله:

يبين القرآن الكريم أن الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادة الله وحده لا شريك له هي دين الأنبياء والرسل جميعا .. يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَدِيَّةَ أُمَّتِكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿الأنبياء: ٩٢﴾

يقول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير في تفسير هذه الآية: "إن دينكم دين واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له"^(٣).

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿الأنبياء: ٢٥﴾

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم [٦١٢/١].

(٢) مفاتيح الغيب [٦٥/١٢].

(٣) تفسير ابن كثير [١٩٤/٣].

ويقول : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ النحل : ٣٦ .

ويقول : ﴿ يُزِيلُ الْعِلَاقَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنِ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ النحل : ٢ .

ويقول : ﴿ وَسَأَلْنَا مَن أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف : ٤٥ .

فالسمة الأساسية للرسالات السماوية الدعوة إلى توحيد الله عز وجل ، فرسل الله جميعا دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي :

يقول سبحانه عن نوح : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف : ٥٩ .

وعن رسول الله هود : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف : ٦٥ ،

وعن رسول الله صالح : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف : ٧٣ .

وعن رسول الله شعيب : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف : ٨٥ .

ورسول الله موسى دعا بني إسرائيل إلى توحيد الله عز وجل ، يحكي القرآن الكريم قول موسى لقومه : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ طه : ٩٨ .

عيسى بن مريم ما دعا إلا إلى التوحيد :

ورسول الله عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى التوحيد الخالص والتنزيه الذي لا يشوبه شائبة ، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي :

(١) من ذلك قوله تعالى على لسان المسيح: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنْ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجَنِّتُكُمْ بَقَايَةَ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ نَفَىٰ وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝﴾ آل عمران : ٥٠ - ٥١.

ومقصوده من قوله: (إن الله ربي وربكم فاعبدوه) "إظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية، لكيلا يقولوا عليه الباطل، فيقولون إنه إله وابن إله، لأن إقراره لله بالعبودية يمنع ما تدعيه جهال النصارى عليه ... ثم قال: (فاعبدوه) والمعنى أنه تعالى لما كان رب الخلاق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه، ثم أكد ذلك بقوله: (هذا صراط مستقيم)"^(١).

(٢) من ذلك أيضا قول المسيح: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِمْرًا وَيَلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝﴾ المائدة : ٧٣.

يقول صاحب تفسير المنار في معنى هذه الآية: "والحال أن المسيح قال لهم ضد ما يقولون، أمرهم بعبادة الله وحده معترفا بأنه ربه وربهم، فاعترف بأنه عبد مربوب لله تعالى، ودعا بني إسرائيل الذين أرسل إليهم أن يعبدوا الله وحده الذي يعبدوه هو (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) أمرهم عليه السلام بالتوحيد الخالص، وقفى عليهم بالتحذير من الشرك، والوعيد عليه ببيان أن الحال والشأن عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئا ما، من ملك أو بشر أو كواكب أو غير ذلك، بأن يجعله ندا لله أو متحدا به، من يشرك بالله هذا الشرك ونحوه، فإن الله يحرم عليه الجنة في الآخرة، بل هو قد حرّمها عليه في سابقة علمه ويمقتضى دينه الذي أوحاه إلى جميع رسله، فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوى إليه إلا النار دار العذاب والهوان، وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بالشرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم"^(٢).

(١) مفاتيح الغيب ٨١/ ١٦٦.

(٢) تفسير المنار ٦١/ ٤٠٠.

(٣) من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝﴾ الزخرف: ٦٤: ٦٣

(٤) من ذلك أيضا ما ذكره القرآن الكريم عما سيكون يوم القيامة^(١). بين الله عز وجل وعيسى عليه السلام والذي يعترف فيه عيسى بأنه ما دعا قومه إلا إلى التوحيد الخالص.

يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَتُنْكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فَالْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾ المائدة: ١١٦-١١٧.

والاستفهام في قوله (أأنت قلت للناس..) لا يقصد به حقيقة لأن الله عليم بكل شيء وإنما يقصد به أمران:

أولهما: توبيخ النصارى الذين غيروا عقيدة المسيح الحق، وادعوا عليه ما لم يقله ؛ ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في تكذيبهم وأشد في توبيخهم وتقريرهم.

ثانيهما: تعريف عيسى عليه السلام أن قومه غيروا بعده وزاغوا عن مبادئه^(٢). ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝﴾ المائدة: ٧٧.

(١) يقول الفخر الرازي - عن هذا الحوار - : وهذا الكلام إنما يذكره الله لعيسى يوم القيامة. ومنهم من قال إنه تعالى قال هذا الكلام لعيسى حين رفعه إليه ، وتعلق بظاهر قوله (وإذ قال الله) وإذ تستعمل للماضي. والقول الأول أصح ؛ لأن الله تعالى عقب هذه القصة بقوله : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) والمراد به يوم القيامة . مفاتيح الغيب (١٢/١٤٢)، وأيضاً: لأن الله قدم لهذا الحوار بقوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم).

(٢) د/ إبراهيم سلامة : القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢١١ [رسالة دكتوراة].

ثم تذكر الآيات أن عيسى عليه السلام يبادر فيدفع عن نفسه ما نسب إليه (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)... ثم يصرح عيسى بأنه ما دعا إلا إلى توحيد الله فقال: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) أي بإبلاغه لهم، ثم فسره بقوله: (أن اعبدوا الله ربي وربكم) ثم يخبر عيسى بأنه ظل قائما بحراستهم ورقابتهم وتذكيرهم بكلمة التوحيد والبعد بهم عن كل مظاهر الشرك مدة وجوده بين أظهرهم (وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) أي الحفيظ لأعمالهم وأقوالهم وسائر ما يصدر منهم من توحيد أو شرك (وأنت على كل شيء شهيد)^(١).

هذه هي رسالة المسيح عليه السلام والتي تتلخص في دعوة بني إسرائيل إلى توحيد الله الخالص المنزه عن كل شرك وعن كل نقص بشري.

معجزات المسيح عليه السلام:

المعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة^(٢)، والمقصود بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول^(٣).

فالرسل وهم صفوة الخلق أيدهم الله تعالى بالمعجزات حيث أظهرها على أيديهم تصديقا لهم في دعوى النبوة والرسالة، وفيما بلغوه عن الله تعالى ؛ لأنها نازلة منزلة قوله "صدق عبدي فيما يبلغ عني" والرسل لا ينسبون فعل الخوارق إلى أنفسهم، بل إلى قدرة الله وتأيده^(٤).

ولقد أيد الله سبحانه وتعالى المسيح عليه السلام ببعض المعجزات التي ذكرها في القرآن الكريم، وهي تلخص في خمسة أمور، ذكر القرآن الكريم أربعة منها في سورة آل عمران:

(١) يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله، أي أن الله سبحانه وتعالى يخلق على يديه طيرا من الطين، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى

(١) المرجع السابق ص ٢١٢.

(٢) شرح البيهقوري على الجوهرة ص ١٥٤.

(٣) عضد الدين الإيجي : المواقف ص ٣٣٩.

(٤) شرح البيهقوري على الجوهرة ص ١٥٣.

، ولكن جرى الخلق على يد عيسى عليه السلام وبنفخ من روحه عليه السلام بإذن الله تعالى.

(٢) إحياءه عليه السلام الموتى بإذن الله، فالمحيي في الحقيقة هو الله العلي القدير، ولكن أجرى الإحياء على يد المسيح عليه السلام؛ ليكون برهان نبوته ودليل رسالته.

(٣) إبرأؤه عليه السلام الأكمة^(١) والأبرص، وهما مرضان تعذر على الطب العثور على دواء لهما والتمكن من أسباب الشفاء منهما، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما، فكان ذلك دليلاً قائماً على رسالته عليه السلام.

(٤) إخباره عن بعض المغيبات، فقد أخبرهم عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ولم يعاينها، فقد كان ينبي أصحابه وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم للدلالة على النبوة والرسالة^(٢).

يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١﴾﴾ سورة آل عمران: ٤٩.

وهنا نلاحظ أن المسيح عليه السلام - في هذه الآية - لم يقل في معجزتي الإبراء والإخبار بالغيب (بإذن الله)^(٣) وعلة ذلك: "لأنهما ليس فيهما كبير غرابة بالنسبة إلى الآخرين فتوهم الألوهية فيهما بعيد فلا يحتاج للتنبيه على نفيه خصوصاً وكان فيهما أطباء كثيرون"^(٤).

(١) الأكمة: هو الذي يولد أعمى. وقال ابن الأعرابي: الأكمة الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل. (راجع: لسان العرب ص ٣٩٣٣).

(٢) راجع: محاضرات في النصرانية ص ٢٣، ٢٤.

(٣) ولقد ذكرت آيات سورة المائدة التي تحدثت عن معجزات المسيح عند الحديث عن الأكمة والأبرص (بإذن الله) يقول الله ليسى وهو يذكره بنعمه عليه (.... وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني).

(٤) الشيخ سليمان بن عمر الشهير بالجمال: الفتوحات الإلهية (١/ ٢٧٤).

وعلى ذلك فيكون السر في ذكر (بإذن الله) في معجزتي خلق الطير من الطين وإحياء الموتى هو نفي توهم الألوهية في عيسى عليه السلام، لأن الأحياء ليس من جنس الأفعال البشرية بخلاف إبراء الأكهم والأبرص، وكذلك الأمر بالنسبة لخلق الطير من الطين^(١).

فالمسيح عليه السلام لم ينسب المعجزة إلى نفسه بل نسبها إلى الله عز وجل حين قال (بإذن الله).

"ومعنى قوله: (بإذن الله) أي بتكوين الله وتخليقه، وإنما ذكر عيسى هذا القيد إزالة للشبهة وتنبها على أنني أعمل هذا التصوير، فأما خلق الحياة فهو من عند الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل"^(٢).

والخامسة في سورة المائدة، وهي إنزال المائدة بعد أن طلبها الحواريون.

وعن هذه المعجزة يقول القرآن ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رُبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝١١٣ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١٤ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنْ الْعَالَمِينَ ۝١١٥﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٥،

وهنا نلاحظ أيضا أن عيسى عليه السلام نسب نزول المائدة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى فقال: (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) وناداه باسم الذات الجامع

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٠٩.

(٢) مفاتيح الغيب [٨/٦٣].

لمعنى الألوهية والقدرة والحكمة والرحمة فقال عيسى (اللهم) معناه يا الله ، ثم باسم الرب الدال على معنى الملك والتدبير والتربية والإحسان خاصة فقال (ربنا) أي يا ربنا ومالكنا ومتولي أمورنا ومربينا أنزل علينا مائدة من السماء^(١).

الإنجيل كما يصوره القرآن:

يحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أنزل على عيسى كتابا هو الإنجيل. ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران : ٣ .

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٢) آل عمران : ٤٨ .

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ الحديد : ٢٧ .

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ المائدة : ٤٦ .

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام الإنجيل ، ويشتمل هذا الإنجيل - كما يوضح القرآن الكريم - على الهدى والنور والموعظة..

يقول تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) المائدة : ٤٦ .

(١) تفسير المنار (٧/٢١١).

(٢) يقول الفخر الرازي : والأقرب عندي أن يقال : إن المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة ، ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق ؛ لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، ومجموعها هو المسمى بالحكمة ، ثم بعد أن صار عالما بالخط والكتابة ومحيطا بالعلوم العقلية والشرعية يعملها التوراة ، وإنما أخرج تعليم التوراة عن تعليم الخط والكتابة ، لأن التوراة كتاب إلهي وفيه أسرار عظيمة ، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية ، ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل ، وإنما أخرج ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة ؛ لأن من تعلم الخط ، ثم تعلم علوم الحق ، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم ، فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتابا آخر وأوقفه على أسرارِهِ فذلك هو الغاية القصوى ، والمرتبة العليا في العلم ، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية والإطلاع على الحكم العلوية والسفلية ، فهذا ما عندي في ترتيب هذه الألفاظ الأربعة (مقاييس الغيب ٥٩/٨)

إنه تعالى وصف الإنجيل في هذه الآية بأوصاف خمسة: "إن الإنجيل هدى بمعنى أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، وأما كونه نوراً: فالمراد به كونه بياناً للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكليف، وأما كونه مصدقاً لما بين يديه: فيمكن حمله على كونه مبشراً بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبمقدمه، وأما كونه هدى مرة أخرى فلأن اشتماله على البشارة بمجيئ محمد صلى الله عليه وسلم سبب لاهتداء الناس إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى في ذلك لا جرم أعاده الله تعالى مرة أخرى؛ تنبيهاً على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان هدى في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجاً إلى البيان والتقرير، وأما كونه موعظة: فلاشتمال الإنجيل على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة المتأكدة، وإنما خصصها بالمتقين؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها كما في قوله: (هدى للمتقين)"^(١).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝﴾ الصف: ٦

فالإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام كتاب هداية ونور؛ لما فيه من دعوة الناس إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، وهو مصدق للتوراة ومحيي لشريعتها ومؤيد للصحيح من أحكامها، ويشتمل على الهدى والنور والموعظة للمتقين؛ لأنهم هم الذين يهتدون بهدايته، هذا إلى جانب أنه يشتمل على البشارة برسول يأتي من بعده اسمه أحمد،

هذه هي مواصفات الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، والموحى به إلى المسيح عليه السلام، ولكن أين هذا الإنجيل؟

إن الأنجيل الموجودة حاليا ليست هي الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام؛ لذلك فهي منسوبة إلى أصحابها (متى - مرقس - لوقا - يوحنا) لا إلى عيسى وكذلك أيضا التعاليم والعقائد التي توجد فيها ليست هي تعاليم الإنجيل الموحى به إلى المسيح عليه السلام، ولذلك نجد القرآن الكريم يصرح في مواضع عديدة بأن أهل الكتاب قد حرفوا كتبهم وكتموا الحق وأخفوه.

وقد وبخ الله سبحانه اليهود والنصارى وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والإخفاء فقال تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَمْ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَاتَّبَعْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿آل عمران: ٧١﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَزْلَقَهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَلِلْعَنُونَ﴾ ﴿البقرة: ١٥٩﴾ وقوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿المائدة: ١٥﴾.

أما التحريف فقد أخبر سبحانه عنه في مواضع متعددة، وكذلك ليّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه، فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل وهو خلطه به حيث لا يتميز الحق من الباطل.
الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمان.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه وهو نوعان: تحريف لفظه - وتحريف معناه.

الخامس: ليّ اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.
وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلى ذلك^(١).

والقرآن الكريم أخبر أيضا أن أهل الكتاب قد أوتوا نصيبا من الكتاب ففسدوا حظا مما ذكروا به وحرفوا جزءا آخر.

(١) ابن القيم: هداية الخيارى ص ١٠٥.

وفي ذلك يقول القرآن في حق اليهود: ﴿فِيمَا بَقِضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ المائدة : ١٣.

وفي حق النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ المائدة : ١٤.

ويقول سبحانه مخاطبا الفريقين: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المائدة : ١٥.

يقول د/ إبراهيم سلامة: "وهنا نحب أن ننبه إلى حقيقة هامة هي أن الآيات التي تحدثت عن تحريف أهل الكتاب لما أوتوا من كتب الله كلها واردة في حق اليهود خاصة، ولم يرد في حق النصارى إلا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فلم يصفهم القرآن الكريم صراحة بالتحريف كما وصف أسلافهم من اليهود في كثير من آياته فهل معنى هذا أن النصارى لم يحرفوا الإنجيل كما حرفت اليهود التوراة؟

الجواب عن ذلك: أنهم حرفوه أكبر تحريف وأفحشه، حيث أزالوه من الوجود رأساً، وأضاعوه كله، واستعاضوا عنه بما كتبوا لأنفسهم من الأناجيل ورسائل الرسل. وإذا كان حذف كلمة واحدة من كتاب سماوي يعتبر تحريفاً للكتاب السماوي فما بالنا بحذفه كله وإضاعة أصله من الوجود" (١).

ثم يقول: "وإنما لم يصف القرآن النصارى بالتحريف صراحة لأنهم لا ينسبون أناجيلهم هذه إلى الله ورسوله وإنما إلى من ألفها، وأما اليهود فإنهم ينسبون كتبهم إلى الله ورسله ويدعون أنها منزلة من السماء، ومن هنا عنى القرآن الكريم بإثبات تحريفهم لهذه الكتب، وتبديلهم لها، وبيان أنهم كتبوها بأنفسهم ونسبوها إليه زورا وبهتانا" (٢).

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٥١.

(٢) يقول الله تعالى: "قَوْلَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِآيَاتِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيُغْتَرَوْا بِهِ ثُمَّ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِتَابَتُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْغُورِ" البقرة : ٧٩

فعدم وصف النصارى بالتحريف الصريح ليس راجعا لسلامة الإنجيل منه، بل لأنهم أضاعوه رأسا ووضعوا لأنفسهم غيره ونسبوه إلى من ألفه. فبعدت صلة هذه الأناجيل بالوحي السماوي؛ لاعترافهم بأنها من وضعهم، بخلاف اليهود الذين يزعمون أن ما بأيديهم منزل من عند الله^(١).

ولذلك يقول ابن حزم: "لسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام التي عند اليهود، لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بأيديهم منزلة من عند الله عز وجل على موسى فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم في ذلك، وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤنة كلها؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم وآخرهم لا يختلفون من أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة"^(٢).

معنى المسيح كلمة الله:

لقد وصف القرآن الكريم المسيح عليه السلام بأنه (كلمة الله) يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ آلَ عَمْرَانَ: ٤٥﴾

ويقول: ﴿يَا هَٰؤُلَاءِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ۖ سُوْرَةُ النِّسَاء: ١٧١﴾

ومعنى وصف المسيح بالكلمة أنه المكون بالكلمة وأنه أوجد بالكلمة^(٣).

يقول الزمخشري: "قيل لعيسى كلمة الله، وكلمة منه؛ لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير، من غير واسطة أب ولا نطفة"^(٤).

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل [١٩/٢].

(٣) راجع: الفرطبي: الجامع لأحكام القرآن [٢٢٢/٦].

(٤) الكشف [٥٨٤/١].

"وهذا المعنى هو الذي يدل عليه الآيات، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ سورة يس: ٨٢.

وقوله: ﴿ إِنِّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩. فخلق عيسى وآدم بكن^(١).

يقول الإمام أحمد بن حنبل: "فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: (كن) فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقاً"^(٢).

ويقول: "كذبت النصارى على الله في أمر عيسى حيث قالوا: إن عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله كما يقال إن هذه الخرقه من هذا الثوب. وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة"^(٣).

معنى وروح منه:

هذا وقد وصف القرآن الكريم أيضا عيسى بأنه (روح منه) ..

يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَيْنَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ النساء: ١٧١ ... أي من أمره سبحانه كان الروح فيه^(٤).

فالروح عبارة عن نفخة جبريل، (ومنه) يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه، وهذا المعنى هو الذي تدل عليه الآيات.

يقول سبحانه: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ التحريم: ١٢.

وقوله: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ الأنبياء: ٩١.

(١) الإمام البخاري: كتاب خلق الأفعال (ضمن مجموعة عقائد السلف) ص ١٣٦.

(٢) أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة واجهمية (ضمن مجموعة عقائد السلف) ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ٨٧.

(٤) المرجع السابق ص ٨٣.

ويدل عليه أيضا أن القرآن الكريم بين أن آية الله في خلق عيسى كآية خلقه لآدم إذ خلق كل منهما بكلمة (كن)، ولما كان معنى المسيح (كلمة الله) أي خلق بكلمة (كن)، مثله في ذلك كمثّل آدم، فإن معنى (وروح منه) أي بنفخ من روح الله أيضا، كما كان آدم أيضا بنفخ من روح الله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿الحجر : ٢٩.

وعلى ذلك فإن معنى (من) في قوله تعالى: (وروح منه) لا ابتداء الغاية مجازاً، وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة الروح أي كائنة من جهته تعالى جعلت منه، وإن كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره سبحانه^(١).

وقد زعم بعض النصارى أن (من) للتبويض، بمعنى أن المسيح جزء من الله، أي أنه ابنه وهو قول باطل، وفي الرد على هذا نورد ما حكاه المفسرون من أن طيباً نصرانياً للرشد ناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، مشيراً إلى قوله تعالى: (وروح منه) فقرأ له الواقدي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ الجاثية: ١٣، وقال: يلزم إذا أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى، فانقطع النصراني، وأسلم، ففرح الرشيد، ووصل الواقدي بصلة فاخرة^(٢).

الحواريون أنصار الله:

يبين القرآن الكريم أن الحواريين هم الذين آمنوا بعيسى، واستجابوا لدعوته، وقد قص القرآن شأن الحواريين في سور آل عمران، والمائدة، والصف

يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿آل عمران: ٥٢. ٥٣. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿المائدة: ١١١.

(١) إرشاد العقل السليم (١/٦١٢).

(٢) راجع المرجع السابق نفس الصفحة.

"والخواريون فئة من بني إسرائيل، آمنوا بعمى، وتعلمذوا له، وتعلموا منه، وأعلنوها - وهم القلة - عالية مدوية نحن أنصار الله آمنّا بالله واشهد يا عيسى بأننا مسلمون، ثم كان دعاؤهم ربنا آمنّا بما أنزلت من حق ومن رسول ومن كتاب... شهدنا بوجودك ووحدانيتك، وضميرنا وأمرنا لك دون سواك: فاكبتنا يوم القيامة مع الشاهدين"^(١).

هذا وقد أثنى القرآن الكريم عليهم لنصرتهم الله وإيمانهم برسالة عيسى عليه السلام فقال سبحانه ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَنَامَتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: ١٤) ...

هذه هي صفات الخواريين الذين آمنوا بعيسى واستجابوا لدعوته.

وعلى ذلك يمكن القول إن ادعاء المسيحيين بنسبة الأناجيل الحالية لبعض حوارى المسيح وتابعهم مع اشتغالها على تقرير عقيدة ألوهية المسيح وغيرها نسبة غير صحيحة^(٢). فإما أن يكون الأشخاص الذين نسب إليهم هذه الأناجيل هم غير الحواريين والأنصار الذين يحدثن عنهم القرآن، وإما أن يكونوا هم الذين يحدثن عنهم القرآن الكريم ويذكر أنهم أنصار الله، والدعاة إلى توحيده، وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين، ونسبت إليهم بهتاناً وزوراً^(٣).

نهاية المسيح:

لقد تأمر اليهود على قتل المسيح عليه السلام وصلبه، ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم فلم يقتل ولم يصلب.

هذا وقد نفى القرآن الكريم دعوى قتل المسيح وصلبه في موضعين:

(١) راجع د/ محمود بن الشريف: الدعاء في القرآن ص ٧٧-٧٨، الأديان في القرآن ص ١٧٠.

(٢) راجع الفصل الثاني من الباب الأول.

(٣) د/ على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة ص ٩١.

الموضع الأول: في سورة آل عمران :

قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ ءَامِنًا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَكْرُؤًا لِمَكَرِ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٧﴾ ۝ آل عمران : ٥٢ - ٥٥. والآيات تفيد أن اليهود الذين أحس عيسى منه الكفر دبوا المؤامرات لقتله، واتخذوا كل الوسائل لتنفيذ هذا المأرب الذميم { وَمَكْرُؤًا لِمَكَرِ اللَّهِ }^(١).

أي مكر أولئك الذين أحس عيسى منهم الكفر به فحاولوا قتله، وأبطل الله مكرهم فلم ينجحوا فيه، وعبر عن ذلك بالمكر على طريق المشاكلة، كذا قال الجمهور وأقرهم الأستاذ الأمام^(٢). (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ) أي أحكمهم تدبيراً، وأنفذهم كيداً، وأقدرهم على عقاب الأتئين من حيث لا يشعرون، وإنجاء الشرفاء والمصلحين، بله الأنبياء والمرسلين من أيدي الطغاة المفسدين والعابثين^(٣).

الموضع الثاني في سورة النساء: يقول سبحانه عن اليهود: ﴿ فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ وَكَفَرُوا بِنَائِي اللَّهِ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ

(١) يقول الفخر الرازي: أصل المكر في اللغة: السعي بالفساد في خفية ومداجاة. قال الزجاج يقال: مكر الليل وأمكر إذا أظلم، وقال الله تعالى: (وإذ يكر بك الذين كفروا) وقال: (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)، وقيل: أصله من اجتماع الأمر وإحكامه ومنه امرأة مكرورة أي مجتمعة الخلق وإحكام الرأي، ويقال له الإجماع والجمع، قال الله تعالى: (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) فلما كان المكر رأياً محكماً قوياً مصوناً عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرًا "مفاتيح الغيب ١٧٢/١".

ثم يقول: "والمكر عبارة عن الاحتيال في إيصال الشر والاحتيال على الله محال، فصار لفظ المكر في حقه من التشابهات وذكروا في تأويله وجوهاً:

الأول: أنه تعالى سمي جزء المكر بالمكر كقوله: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى جزءا المخادعة بالمخادعة وجزءا الاستهزاء بالاستهزاء،

الثاني: أن معاملة الله معهم كانت شبيهة بالمكر فسمي بذلك.

الثالث: أن هذا اللفظ ليس من التشابهات؛ لأنه عبارة عن التدبير المحكم الكامل، ثم اختص في العرف العام بالتدبير في إيصال الشر إلى الغير، وذلك في حق الله غير ممتنع. والله تعالى أعلم. المرجع السابق ١٧٣/١.

(٢) تفسير المنار ٢٥٩/٣.

(٣) د/ هاشم جودة: العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ٢٧٦.

اللَّهُ عَلَيْهَا بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٨﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٩﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٦٠﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦١﴾ سورة النساء: ١٥٥ - ١٥٨.

والآيات السابقة تنفي القول بقتل المسيح وصلبه عامة، سواء كان هذا القول من اليهود أو من النصارى، فالمسيح لم يقتل ولم يصلب، ولكن شبه لهم.

وقد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: (ولكن شبه لهم) فقيل: المعنى ولكن شبه لليهود الذين صلبوه، بأن ألقى الله شبهه على غيره فصلبوا الشبه.

وقيل: المعنى ولكن شبه للنصارى. أي حصلت لهم الشبهة في أمره، وليس لهم علم بأنه ما قتل وصلب ولكن لما قال أعداؤه اليهود أنهم قتلوه وصلبوه. صدقهم النصارى في صلبه^(١).

والقول الأول هو قول الجمهور^(٢) وهو الذي تدل عليه الآيات؛ حيث إنها موجهة أولاً وفي المقام الأول إلى اليهود القائلين (إننا قتلنا المسيح).

ومعنى قول الله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٦٠﴾ أي وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب في شك من حقيقة أمره أي في حيرة وتردد ما لهم به من علم ثابت قطعي، لكنهم يتبعون الظن^(٣). (وما قتلوه يقيناً) أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين^(٤).

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "وما قتلوا عيسى بن مريم قتلاً يقيناً أو متيقنين أنه هو بعينه، لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة، وهذه الأناجيل المعتمدة عند

(١) هداية الحيارى ص ٣١٤.

(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح (١/ ٣١٣).

(٣) تفسير المنار (٦/ ١٦٦).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٤).

المسيحيين تصرح بأن الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا السخريوطي، وأنه جعل لهم علامة أن من قبله هو يسوع المسيح فلما قبله قبضوا عليه^(١)... فالجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية.

وقيل: إن الضمير في قوله تعالى: (وما قتلوه يقيناً) للعلم الذي نفاه عنهم، والمعنى ما لهم به من علم، لكن يتبعون الظن، وما قتلوا العلم يقيناً وتشيناً، بل رضوا بتلك الظنون التي يتخبطون فيها. يقال: قتل الشيء علماً وخبراً إذا أحطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا ارتياب.

وروي عن ابن عباس أنه راجع إلى الظن الذي يتبعوه قال: "لم يقتلوا ظنهم يقيناً. رواه ابن جرير أي أنهم يتبعون ظناً غير محص، ولا موفى أسباب الترجيح والحكم التي توصل إلى الحكم"^(٢).

فالمسيح نجاه الله تعالى من أيدي الأعداء، فلم يقتل ولم يصلب ولكن (رفعه الله إليه) وقد اختلف العلماء في معنى الرفع:

فالجهور: أن الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه إليه، وأخذوا بظاهر قوله تعالى في مقابل القتل (بل رفعه الله إليه)، وبعض الأحاديث التي وردت في ذلك.

وفريق آخر قالوا: إنه عاش حتى توفاه الله تعالى كما يتوفى الأنبياء، ورفع روحه إليه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء، وأخذوا في ذلك بظاهر قوله تعالى: {إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة}.

وبظاهر قوله: {فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم} ولكل منهما وجهة هو مولها^(٣).

(١) راجع: متى ٢٦: ٤٨، ٢٦: ٤٩.

(٢) تفسير النار ١١٧/٦١.

(٣) راجع محاضرات في النصرانية ص ٢٦، القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٨٤،

ولا نحب أن ندخل هنا في تفصيل أدلة كل فريق وترجيح أحدهما على الآخر، لأن الشئ الذي يهمنا هنا هو أن الله سبحانه وتعالى نجى المسيح من أيدي الأعداء ورفعوه إليه. ولكن هل الرفع بالجسد والروح معاً؟ أو بالروح فقط؟ فهذا قد اختلف فيه، ولترجيح رأي أحد الفريقين موضع ليس هذا مقامه.

هذا هو المسيح عليه السلام ورسالته كما صورها القرآن الكريم.

إبطال القرآن الكريم للعقائد المسيحية:

وبعد أن بين القرآن الكريم الرسالة الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام، وأنه ما دعا إلا إلى توحيد الله وتنزيهه، رد على المسيحيين الذين يدعون الانتساب إلى المسيح وبين لهم بطلان أقوالهم وعقائدهم ..

فلقد رد على قولهم إن المسيح هو الله ...

يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ المائدة : ١٧.

فهل يستطيع المسيح أن يدفع عن نفسه الهلاك، إن أراد الله أن يهلكه وأمه ومن في الأرض؟ وإذا كان لا يستطيع أن يدفع هذا الهلاك فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شئ؟

يقول الزمخشري: "(فمن يملك من الله شيئاً) فمن يمنع من قدرته ومشيته شيئاً (إن أراد أن يهلك) من دعوه إلهاً من المسيح وأمه؛ دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد، وأراد بعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية (يخلق ما يشاء) أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى، ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم، ويخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له، وكإحياء الموتى.

وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك، فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر^(١).

ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنبَنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ المائدة : ٧٢.

هذا وقد بين القرآن الكريم أيضاً بطلان قولهم بأن المسيح ابن الله.

يقول سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنعام : ١٠١.

"وفي هذه الآية إبطال الولد من ثلاثة وجوه:

أحدها: أنه مبدع السموات والأرض، وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة، لأن الولادة من صفات الأجسام، ومخترع الأجسام لا يكون جسماً حتى يكون والدًا.

الثاني: إن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد، وهو متعال عن مجانس، فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة،

الثالث: أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنياً عن كل شيء، والولد إنما يطلبه المحتاج^(٢).

ويقول سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَنِينٌ ۖ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ البقرة : ١١٦ ، ١١٧.

(١) الكشف ١/ ٦٠١ - ٦٠٢.

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤١).

ويقول: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ ﴿١﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٢﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٣﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٤﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٥﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٦﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٧﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ مريم : ٨٨ - ٩٥

هذا وقد رد القرآن الكريم أيضاً على اعتقاد المسيحيين بالتثليث وبين بطلان هذه العقيدة. يقول سبحانه: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(١). وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَنَاهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَفَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَتَرَ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢﴾ النساء : ١٧١.

ويقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾

المائدة : ٧٣ - ٧٤.

وقد ورد القرآن الكريم أيضاً على المسيحيين في اعتقادهم بأن بني البشر ورثوا خطيئة آدم، وأن المسيح ابن الله - في نظرهم - تجسد وصلب ليفدي البشرية ويخلصها .. فلقد بين القرآن الكريم أن آدم تاب من ذنبه والله تاب عليه

﴿ فَتَقَلَّبَ أَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١﴾

البقرة : ٣٧.

(١) يقول الزمخشري: غلبت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولوداً لغير رشده (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) وغلبت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلته إلهاً. راجع : المرجع السابق (١) /

﴿ثُمَّ أَجْتَبْنَاهُ رَبُّهُ فَقَاتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه : ١٢٢.

ويقول سبحانه مقررًا أن الوزر لا يتحمل إثمه إلا من اقترفه وقام به : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام : ١٦٤.

بمعنى أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى،^(١).

ويقول سبحانه : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جُنْهَىٰهَا لِأَن تَحْمِلَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ فاطر : ١٨.

ويقول : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِنْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّىٰ ۖ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ وَأَن سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾ النجم : ٣٦-٤٢.

"والقرآن الكريم يصور لنا أخذ البرئ بالمذنب لا على أنه مضاد للشرعية فحسب، بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

يحكي القرآن الكريم قول يوسف لأخوته : ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾ يوسف : ٧٩^(٢).

"إن القرآن الكريم يقرر ويؤكد بكل أساليب التقرير وبجميع أنواع التوكيد أن كل إنسان يحمل مسئولية نفسه قاعدة كلية ومبدأ عامًا يناط به كل تكليف من تكاليف الإسلام، وكل فرع من فروع مسئولياته التي حملنا الله تعالى إياها"^(٣).

هذا فضلاً عن أن القرآن الكريم يبين أن المسيح لم يصلب ولم يقتل - كما بينا سابقاً - ولكن الله نجاه ورفع له إليه.

(١) تفسير ابن كثير [٢/١٩٩].

(٢) د/ محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ص ١٥١.

(٣) د/ محمد إبراهيم الشافعي : المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ص ٩٤.

وبعد هذا كله يبين القرآن الكريم أن المسيحيين أخذوا عقائدهم هذه من الوثنيين فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة : ٣٠.

والمضاهاة: المشابهة. قال الفراء: ضاهيته ضهيًا ومضاهاة، وهذا قول أكثر أهل اللغة^(١) في المضاهاة. وقال شمر: المضاهاة: المتابعة يقال فلان يضاهي فلانًا أي يتابعه^(٢).. أي أن المسيحيين يشبهون أو يتابعون المشركين والكافرين في عقائدهم وأقوالهم.

(١) يقول ابن منظور : والمضاهاة : المشاكلة وضاهأت الرجل وضاهيته أي شابهته. لسان العرب ص ٢٦١٥ ، وراجع أيضًا : المعجم الوسيط (١/ ٥٤٥).

(٢) مفاتيح الغيب (١٦/ ٣٧).

الباب الأول

العوامل التي أدت
إلى تأثير المسيحية بالأديان الوضعية

تمهيد:

إن الدارس لتاريخ الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام يجد أنها مرت بمراحل متعددة، في خلال هذه المراحل تجمعت عليها عوامل أفسدتها وخرجت بها من دائرة الديانة السماوية.

"فقد كانت الظروف التي مرت بالنصارى أسوأ ظروف مرت بأمة، اجتمعت عليهم عوامل أفست عليهم دينهم وبدلته من دين سماوي يعتمد في أصوله وأحكامه على الله إلى دين وضعي أرضي نبت وغذي من أفكار بشرية وثنية .. أي أنه بدل أن يرتفع بالبشر يأخذ بيدهم إلى السماء، نزل هو إلى البشر يأخذ منهم، وبعد أن كان البشر وثنيين باسم الوثنية أصبحوا وثنيين باسم المسيحية"^(١).

وهذه العوامل اختلفت باختلاف المرحلة التي مرت بها الديانة، ويمكن القول إن العوامل التي ساعدت على تأثر ديانة المسيح بغيرها يمكن تقسيمها إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: وفيها عوامل عملت وساعدت على دخول الأفكار الوثنية إلى ديانة المسيح عليه السلام، وهذه العوامل هي:

العامل الأول: الاضطهاد.

العامل الثاني: ضياع إنجيل سيدنا عيسى عليه السلام.

العامل الثالث: بولس ونشاطه في المسيحية.

وكان يمكن للأفكار والعقائد الوثنية التي دخلت في ديانة المسيح في المرحلة الأولى أن تدحض لولا العوامل الأخرى في المرحلة الثانية.

(١) د/ بركات دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٠.

المرحلة الثانية : وفيها يظهر عوامل عملت على تقرير هذه العقائد الجديدة وجعلها هي العقائد الأساسية في المسيحية ، وما عداها يعد هرطقة ، أو خروجاً عن الديانة المسيحية في نظرهم ، وهذه العوامل هي :

العامل الأول : الإمبراطور قسطنطين وأثره في المسيحية.

العامل الثاني : المجامع وأثرها في تقرير العقائد المسيحية.

وسوف نقوم في هذا الباب بشرح هذه العوامل بالتفصيل.

الفصل الأول

الاضطهاد

معنى الاضطهاد:

الاضطهاد في اللغة مأخوذ من ضهد، يقال: ضهده، يضهده ضهدا بمعنى ظلمه وقهره، وأضهد به: جاز عليه، ورجل مضطهد ومضطهد بمعنى مقهور ذليل مضطر^(١).

واضطهده - والطاء بدل من تاء الافتعال^(٢) - بمعنى بالغ في ضهده - أي في قهره وظلمه^(٣). فلفظة الاضطهاد في معاجم اللغة تعني المبالغة في القهر والظلم والذل.

الاضطهاد المبكر:

لقد بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وتنزيهه والبعد عن زخارف الدنيا وشهواتها. ولكن دعوته لم ترق في عيونهم - إلا القليل منهم - وذلك "لأنه دعاهم إلى إصلاح القلب بدلا من الأخذ بالمظاهر والأشكال وهم لا يقبلون ذلك؛ لأن منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون إلى الأشكال والمظاهر منها دون الاتجاه إلى لبها وغايتها"^(٤) حتى لقد كان منهم من يحجم عن عمل الخير في يوم السبت^(٥) زاعما أنه داخل في عموم النهي^(٦).

ولأن دعوته لم تحقق لهم ما كانوا يحلمون به من ملك مادي واستعباد للشعوب الأخرى. وكذلك "لأنه كان يدعوهم إلى الزهادة في الدنيا"^(٧). والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة"^(٨).

(١) ابن منظور: لسان العرب ص ٢٦١٦ ط دار المعارف. راجع أيضا: القاموس المحيط (١/ ٣٢١).

(٢) لسان العرب ص ٢٦١٦.

(٣) المعجم الوسيط (١/ ١٥٤٥).

(٤) راجع: لوقا ١١: ٣٧ - ٤١.

(٥) راجع مرقس ٢: ٢٣ - ٢٨. متى ١٢: ٨. لوقا ٦: ٥١.

(٦) الشيخ أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٢٦.

(٧) راجع لوقا ١٦: ١٣.

(٨) محاضرات في النصرانية ص ١٥.

فلقد تعارضت الدعوة الجديدة مع آمالهم وأحلامهم ولم ترق في أعينهم، ولذلك ناصبوه العدا ووقفوا في وجه دعوته،

يقول "رولاند بيتون" أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة "بيل" الأمريكية: "فقد أبغضه رجال الدين لأنه هزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة"^(١)، أما عامة الشعب فقد تركوه لأنه لم يستخدم قوته المعجزية ليطرد جنود الرومان الذين استعمروا فلسطين سيما وأن اليهود كانوا يؤمنون أن الله سيرسل لهم "المسيا" أي المسيح ليخلصهم، أما الأغنياء فقد خافوه لأسباب تختلف عن هذه ... فلم يهمهم أمر السبت ولم يريدوا حرباً ضد الاستعمار الروماني ولكنهم غضبوا منه لأجل ما عمله في الهيكل عندما طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارف وطرد الأبقار والأغنام التي أحضرها الكهنة والأغنياء للتجارة فيها"^(٢) إذ كانوا يبيعون الذبائح للقادمين من بلاد بعيدة بأسعار خيالية، وقد غضب الأغنياء حين حرّمهم من المكاسب الكثيرة التي كانوا يحصلون عليها مستغلين الشعب الذي جاء للعبادة"^(٣).

ثم يقول: "وهكذا اتفق عدد كبير في كراهية المسيح وانتظروا الفرصة المناسبة لإلقاء القبض عليه وإصدار حكم الموت عليه"^(٤).

فلقد ناصبوه العدا ووقفوا في وجه دعوته، وامتد الأمر أن تقولوا عليه الأقاويل وألبوا عليه السلطات الرومانية" وابتدأوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطي جزية لقيصر قائلاً: إنه هو مسيح ملك"^(٥). وكانوا يشددون قائلين: إنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهود مبتدئاً من الجليل إلى هنا"^(٦).

ونتيجة لهذه الأقاويل أصدر الحاكم الروماني قراراً بالقبض على المسيح عليه السلام.

(١) راجع لوقا: ١١ : ٣٧.

(٢) راجع مرقس ١١ : ١٥ - ١٨، متى ٢١ : ١٢، ١٧، لوقا ١٩ : ٤٥، ٤٨، يوحنا ٢ : ١٣، ٢٢.

(٣) رولاند بيتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٧.

(٤) المرجع السابق ص ٩.

(٥) لوقا ٢٣ : ٢.

(٦) لوقا ٢٣ : ٥.

يقول الشيخ أبو زهرة : "تقدم اليهود لناواة المسيح ، وقليل منهم من اعتنق دينه وأمن به وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته فلما أعتبهم الحيلة ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه ويلتفون حوله مقتنعين بقوله أخذوا يكيدون له ويوسوسون للحكام بشأنه ويحرضون الرومان عليه ، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية والخلافات المذهبية بين اليهود ، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوونها فيما بينهم ، واليهود يريدون أن يغفروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن فبثوا حوله العيون يرصدونه ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلونها للحاكم الروماني فلم يجدوا ، لأن المسيح ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسي والخلقي ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد ، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلباً^(١) .

ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم فلم يقتل ولم يصلب وإنما قتل وصلب غيره.

والأناجيل المعتبرة عند المسيحيين مليئة بالمعاكسات والمشاغبات والإيذاءات التي كان يفعلها اليهود مع المسيح عليه السلام^(٢) وإن نهاية المسيح بمحاولة صلبه - لولا أن نجاه الله - لتدل دلالة قاطعة على الجو العدائى الذي كان يعيش فيه ومقدار المؤامرات التي كانت تحاك ضده^(٣) .

ونظرا لأن هذه الإيذاءات المبكرة لم يكن لها أثر على تأثير دين المسيح نفسه في حياته على الأرض . وذلك لأن الأنبياء والرسل معصومون من التردى والوقوع في الخطأ والزلل والأخذ من الوثنية . بل هم يحاربونها ويقضون عليها فإننا لا نفصل القول فيها ويكفيها الإشارة.

(١) محاضرات في النصرانية ص ٢٨ .

(٢) الحركة الفكرية ضد الإسلام .

اضطهاد أتباع المسيح:

استمرت عملية الاضطهاد بعد المسيح عليه السلام "ولم تهدأ، بل زادت بحيث يمكن القول بأن أشنع أنواع التعذيب والوحشية قد جرت فيهم"^(١). فلقد لاقى الأتباع الأوائل كثيرا من الأذى والاضطهاد "فكانوا يجلدون أو يرحمون أو تمزق أجسادهم أو تشوى أو تحرق حتى الموت"^(٢).

والمصادر المسيحية وغير المسيحية مليئة بأخبار هذه الاضطهادات، وإن كانت المصادر المسيحية قد غالت في وصفها.

يقول الشيخ أبو زهرة: "اتفقت المصادر شرقية وغربية، دينية وغير دينية على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلالاً وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم ويفرون بها أحيانا ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى، وهم في كلتا الحالتين لا شوكة لهم ولا قوة تحميهم وتحمي ديانتهم وكتبهم"^(٣).

ولقد مر بهؤلاء الأتباع عصران من عصور الاضطهاد:

العصر الأول: الاضطهاد من اليهود.

العصر الثاني: الاضطهاد من الرومان.

وكل عصر منهما له خصائصه وأسبابه لذلك سندرس كل واحد منهما على حدة.

العصر الأول: الاضطهاد من اليهود.

واضح من سفر أعمال الرسل أن الاضطهاد الأول الذي وقع على أتباع المسيح كان من اليهود، فلقد ذاق هؤلاء ألوانا من الاضطهاد والتعذيب على أيدي اليهود الذين حاولوا منعهم من نشر الدعوة الجديدة، وهذه حقيقة أولية سجلتها المراجع المسيحية والتاريخية.

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) هليلر: مجمل تاريخ العالم ص ٢٢٠.

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٣٤.

يقول : يوسابيوس القيصري ^(١) - " أقدم مؤرخي الكنيسة - "إن اليهود بعد صعود مخلصنا لم يكتفوا بجرمتهم ضده، بل دبروا الكثير من المؤامرات ضد رسله على قدر استطاعتهم" ^(٢).

وكذلك أيضاً نجد سفر الأعمال الذي يحكي النشاط التبشيري لتلاميذ المسيح ومن دخل في زمرتهم خلال الثلاثين عاماً التي أعقبت رحيل صاحب الدعوة ^(٣). يحكي قصصاً وروايات عن هذا الاضطهاد اليهودي.

وكان الاضطهاد في أول الأمر محدوداً، وذلك لأن الأتباع كانوا محدودين، ويدل على ذلك ما جاء في سفر الأعمال عن بطرس ويوحنا وما حدث لهما "بينما كانا يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد لأنه كان قد صار المساء" ^(٤) "وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم" ^(٥). لينظروا ماذا يفعلون مع هذين الرجلين، "وتأمروا فيما بينهم قائلين ماذا نفعل بهذين الرجلين لأنه ظاهر لجميع سكان أورشليم أن آية معلومة قد جرت بأيديهما ولا نقدر أن ننكر، ولكن لئلا تشيع أكثر في الشعب لنهددهما تهديداً أن لا يكلما أحداً من الناس فيما بعد بهذا الاسم فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا بالبتة ولا يعلما باسم المسيح" ^(٦). فلقد ألقى القبض عليهما ووضعوا في الحبس ثم أطلقا سراحهما بعد توصيتهما ألا ينطقا ولا يشرأ باسم المسيح.

(١) عاش ما بين عامي (٢٦٠ - ٣٤٠م) تقريباً، أول مؤرخ للكنيسة المسيحية وصديق الإمبراطور قسطنطين ومحل ثقته، ولد بفلسطين وانتقل به الأحوال حتى صار أسقفاً لمدينة قيسارية سنة ٣١٤ م، وله عدة مؤلفات في التاريخ واللاهوت والعقيدة أهمها كتاب (تاريخ الكنيسة) وكتاب (حياة قسطنطين) الذي كتبه ليمتدح به الإمبراطور قسطنطين بعد موته سنة ٣٣٧ م. (راجع : د/بيريل سماري: المؤرخون في العصور الوسطى ص ٤٤) وقد اعتمدنا على هذين الكتابين باعتبارهما مصدرين أساسيين.

(٢) يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة ص ١١٨.

(٣) أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٨٦.

(٤) أعمال ٤ : ١.

(٥) أعمال ٤ : ٥.

(٦) أعمال ٤ : ١٦ - ١٨.

وكما عانى بطرس ويوحنا، كذلك أيضاً عانى بقية التلاميذ من ذلك الاضطهاد اليهودي^(١).. فقد "جرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب"^(٢)، ... فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين وامتلاؤا غيرة فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة^(٣)... وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم^(٤)... ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم^(٥).

استفانوس^(٦):

ولا شك أن هذا الاضطهاد كما يتضح من الأمثلة السابقة كان إلى حد ما محدوداً وأخف بكثير مما حدث بعد ذلك، فلقد اقتصر في المثال الأول على التحذير والتخويف والتهديد ولم يتعد إلى الضرب والجلد والقتل، أما في المثال الثاني فقد زادت حدة الاضطهاد بعض الشيء وظهر من خلاله أنهم جلدوا التلاميذ.

وهنا تنتقل إلى مرحلة أخرى جديدة من مراحل الاضطهاد اليهودي وهي مرحلة الاضطهاد العلني القاسي والذي كان قتل "استفانوس" بالنسبة لها الشرارة الكبرى، ولذلك نال شهرة كبيرة بين النصارى وهو - في نظرهم - أول الشهداء.

ولقد ظهر "استفانوس" هذا على مسرح الأحداث حينما اشتكى بعض اليهود اليونانيين^(٧) - الذين دخلوا المسيحية - من أن اليهود الأصليين يحتقرونهم لأنهم أجنيبون، وقد ظهر هذا التحيز عند توزيع الصدقات اليومية، فشكت زوجات

(١) راجع : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٤٩.

(٢) أعمال ٥ : ١٢.

(٣) أعمال ٥ : ١٧.

(٤) أعمال ٥ : ٣٣.

(٥) أعمال ٥ : ٤٠.

(٦) استفانوس : اسم يوناني معناه "ناج" أو "كليل من الزهور" وهو اسم أول شهداء المسيحية في نظرهم. قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢.

(٧) هم هؤلاء اليهود الذين عاشوا خارج فلسطين أجيالاً طويلة فنسوا لغتهم العبرية وتكلموا اليونانية .

اليهود اللاتيني كن يتكلمن اليونانية لإهمالهن عند التوزيع ولذلك انتخبوا سبعة للاهتمام بهذا الأمر^(١). وكان من أبرز المنتخبين لهذا "استفانوس".

يقول سفر الأعمال - عن هذه الواقعة : "وفي تلك الأيام إذ تكاثرت التلاميذ حدث تضرر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كن يغفل عنهم في الخدمة اليومية ، فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يُرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد ، فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم مشهود لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فقيمهم على هذه الحاجة وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة فحسب هذا القول أمام كل الجمهور فاختاروا استفانوس..."^(٢).

ولقد وصفت رسالة أعمال الرسل "استفانوس" هذا بأنه رجل ممتلئ من الإيمان^(٣) وأنه كان يصنع قوات وعجائب^(٤) ، وكان ينادي بالرسالة بحكمة ولم يقدر هؤلاء الذين خالفوه أن يقاوموا الحكمة والروح التي كان يتكلم بها^(٥).

ولما لم يتمكن بعض من هؤلاء اليهود اليونانيين أن يحاربوا "استفانوس" أو يقاوموا^(٦) القوة التي كان يتكلم بها ، اخترعوا ضده شكايات زور فلدسوا رجالاً مأجورين يقولون إننا سمعنا يحدف على الله وعلى موسى وأنه تكلم ضد الشريعة وضد الهيكل ، وقدمت هذه الشكاوى إلى مجمع السندريم^(٧) الذي بدأ في محاكمته

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ٨٦

(٢) أعمال ٦ : ١ - ٥.

(٣) أعمال ٦ : ٥.

(٤) أعمال ٦ : ٨.

(٥) أعمال ٦ : ١٠.

(٦) وكان في اورشليم في تلك الأيام مجامع كثيرة لليهود تختلف بحسب اختلاف أجناسهم . إلا أن الذين قاوموا "استفانوس" كانوا من مجمع الميريتيين والقيروانيين والإسكندرانيين ومن الذين من كيليكية وآسيا.

راجع : أندرو ملر : مختصر تاريخ الكنيسة (١/٤٢).

(٧) السندريم : هو المجلس الأعلى أو الهيئة الحاكمة لشعب اليهود وكان له سلطان كامل لا في الشؤون الدينية فقط ، بل في المسائل المدنية . ولم يتعرض الرومان لهذا الاختصاص ، وإن كانوا حرموا السندريم سلطة الحكم بعقوبة الموت . وكان هذا المجلس مؤلفاً من اثنين وسبعين عضواً أكثرهم من الكهنة والشيوخ وله ضباطه وجنوده الذين منحوا سلطة إلقاء القبض على المتهمين وكان رئيس المجمع هو عادة رئيس الكهنة الذي جمع في شخص واحد السلطتين الدينية والمدنية .
(راجع : جيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس).

وأخذ "استفانوس" يلقي على مسامع أعضائه دفاعه، ولقد سجل سفر الأعمال ملخصاً لهذا الدفاع^(١) الذي ذكر فيه "النقط الشهيرة في تاريخ شعب إسرائيل مجملة بصورة صريحة، فقد أشار إلى تاريخ يوسف وموسى، وذكر عن الأول أنهم باعوه حسداً إلى الأمم^(٢)، وعن الثاني أنهم أنكروا رسالته وأبوا عليه أن يكون رئيساً وقاضياً^(٣)، ثم أفصح لهم القول أخيراً بآثامهم إياهم بأنهم في كل حين يقاومون الأنبياء غير حافظين الناموس"^(٤)

ثم يبين سفر الأعمال بعد ذلك أنه في النهاية صب عليهم أعنف اللوم وأشده لأنهم رفضوا المسيح وقتلوه^(٥) - وذلك على حسب اعتقاد المسيحيين - وعندما وصل إلى هذه النقطة قاطعوه في الكلام ولم يمهلوه حتى يكمل خطابه^(٦)

يقول سفر الأعمال: "فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم عليه ... وصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة وأخرجوه خارج المدينة ورجموه"^(٧) حتى الموت.

وعلى أثر موت "استفانوس" حدث اضطهاد عظيم لكل الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام^(٨)، وكان من أبرز قادة الاضطهاد "شاوّل الطرسوسي" (بولس) قبل دخوله المسيحية، فقد نشر الاضطهاد في أروشليم والبلاد التي حولها ووصل إلى دمشق^(٩)، وكان يدخل البيوت ويخطف الرجال والنساء ويلقي بهم في السجون.

يقول سفر الأعمال: "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أروشليم، وأما "شاوّل" فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن"^(١٠)

(١) أعمال ٧ : ١ - ٥٣.

(٢) أعمال ٧ : ٩.

(٣) أعمال ٧ : ٣٩ - ٤٢.

(٤) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٤٢).

(٥) أعمال ٧ : ٥٣.

(٦) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٤٣).

(٧) أعمال ٧ : ٥٤ - ٥٨.

(٨) زكي شنودة: تاريخ الأقباط (١ / ١٧٤).

(٩) د/ فهم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ٩٢.

(١٠) أعمال ٨ : ١ - ٣.

وهكذا نرى أن الاضطهاد اليهودي للنصارى وصل إلى الذروة وهو الهجوم على بيوتهم والسطو عليهم وتسليمهم إلى السجون، ثم قتل بعضهم كما حدث "لاستفانوس"، ومن ذلك الوقت وجدت السلطات اليهودية الشجاعة الكافية لاضطهاد المسيحيين علنا وكان الشخص الذي تزعم هذه الحملة المروعة هو شاول الطرسوس^(١).

ولقد كان لهذا الاضطهاد المبكر أثره على أتباع المسيح عليه السلام، فلم يستطيعوا في وسط هذا الجو الإرهابي المليئ بالغيوم والسحب والترصد من كل جانب أن يعلموا الناس ديانة المسيح الصحيحة، وبدأت العقائد الوثنية تدخل في النصرانية مع الداخلين فيها دون أن يجدوا من يصحح لهم العقيدة. ويوضح لهم الفهم الصحيح لها، كذلك أيضا لم يستطيعوا أن يورثوهم الإنجيل الصحيح الذي بدأ في الاختفاء باختفاء التلاميذ الأصليين بسبب هذا الاضطهاد. وسوف نتناول هذا بالتفصيل في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [١/٥٥].

العصر الثاني عصر الاضطهاد الروماني

روح التسامح الروماني تجاه الديانات عدا النصرانية:

لقد أجمع المؤرخون على أن السلطات الرومانية كانت متساهلة مع رعاياها الذين يختلفون معها في الجنس واللغة والثقافة والدين ، طالما أنهم لا يخلون بنظام الأمن العام ويدفعون الضرائب المقررة عليهم.

"فمن السمات المميزة للإمبراطورية الرومانية اختلافها عن أية إمبراطورية أخرى شاهدها العالم القديم ، فمنذ أن اتسعت دائرة نفوذ الرومان دخلت في حوزتهم شعوب وأجناس متباينة مارست أنظمتها الاجتماعية ومعتقداتها الدينية ولغاتها وتقاليدها وقوانينها دون تدخل من قبل الحكومة الرومانية طالما أن تلك المعتقدات والنظم لا تتعارض مع سلامة الإمبراطورية وأمنها من ناحية ومادام السكان يدفعون الضرائب المقدرة عليهم من ناحية أخرى"^(١).

فلقد أظهر الرومان تسامحاً عظيماً تجاه الاختلاف اللغوي والثقافي ، ونظام الحكومات داخل الإمبراطورية ، ففي غالب الأوقات كانوا يتركون للشعوب الحرية في أن ينظموا شئونهم بأنفسهم^(٢) ، وأباحوا تمثيل المسرحيات ليس باللغات اللاتينية واليونانية فحسب بل باللغات العبرية والفينيقية والآرامية^(٣).

وكذلك كان الأمر بالنسبة للمعتقدات والعبادات الدينية ، فقد ترك الحكام الناس يعبدون آلهة غير رومانية الأصل ، ويقومون بطقوس محلية دون التدخل من جانبهم ؛ وذلك لأن الرومان أنفسهم كانوا يعبدون آلهة متعددة^(٤) ، ولم يقتصر الأمر عند حد التسامح لعبادة آلهة غير رومانية ، بل ذهبوا إلى إضافة بعض آلهة الشعوب الأخرى

(١) د/ محمود الخويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ١١.

(٢) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ١٤ / ١.

(٣) فيليب حتى : تاريخ سورية ١٤ / ١٣٦٦.

(٤) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ١٤ / ١١٤.

إلى مجموع آلهتهم، وسمحوا حتى في عاصمة إمبراطوريتهم بالعبادة المصرية وغيرها، وكانت سياستهم في شئون الدين "عش ودع الآخرين يعيشون"^(١).

وكما تساحت السلطات الرومانية مع معتنقي الديانات الأخرى فإنهم أيضاً تسامحوا مع اليهود، وآلت الحكومة الرومانية على نفسها حماية ديانتهم وأعطتهم ضمانات - ترجع إلى أيام يوليوس قيصر^(٢) - بموجبها زاولوا شعائرتهم الدينية في حرية وأمن، كما أعطتهم الحق في اتباع تقاليدهم الدينية، إذ أن المعروف أن اليهودي لا يعمل يوم السبت من كل أسبوع حيث يتخذ يوم عبادة وراحة، كما لا يمكن مقاضاته في ذلك اليوم أيضاً، وجرى إعفاؤه من الخدمة العسكرية، وسمح لليهود بإصدار عملة نقدية خاصة بهم دون أن يطبع عليها صورة الإمبراطورية^(٣)، وكل ما طلبته روما هو أن يدفع اليهود الجزية ويعيشوا بسلام مع جيرانهم ومع الغرباء الموجودين في بلادهم^(٤).

وكان الاتجاه العام للسياسة الرومانية ينجح إلى التسامح مع الأديان والمعتقدات في جميع الإمبراطورية، ولكن موقف السلطات الرومانية اختلف إزاء الديانة النصرانية، فقد خرجت عن هذه الروح المرنة المتسامحة وبدأت تسيئ إلى أتباع النصرانية بالاضطهاد والإيذاء والتعذيب.

أسباب اضطهاد الرومان للنصارى

أولاً : تشتت النصارى وانفصالهم عن اليهود وانتشارهم في أرجاء الإمبراطورية:

ظلت السلطات الرومانية فترة من الزمن تنظر إلى النصرانية على أنها طائفة يهودية فتسري عليها ما يسرى على اليهود من تسامح إزاء معتقداتها وعباداتها ، ، ، فالرومان لم يفرقوا بين النصرانية واليهودية ، ويذكر سفر الأعمال في هذا الصدد عن

(١) تاريخ سورية ١/ ١٣٦٦.

(٢) سياسي وقائد عسكري روماني عاش ما بين عامي ١٠٢ ق.م - ٤٤ ق.م (عن هذا القائد. راجع : د/ سيد أحمد الناصري : تاريخ وحضارة الرومان ص ٣٢٥).

(٣) رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٥١ ، ٥٢.

(٤) بارو : الرومان ص ١٨٣.

غاليلىو والى أخائية أنه رفض التدخل ليحكم بين اليهود والنصارى لأن الأمر عنده لم يكن يتعدى "كلمة وأسماء وناموسكم"^(١).

ولكن ما الذي حدث وجعل الرومان يتغيرون إزاء التعامل مع النصارى؟

الذي حدث أن النصارى بدأوا يخرجون من بلاد أورشليم ويشرون بديانتهم بين اليهود الذين عاشوا في بلاد اليونان ويستقلون بأنفسهم، بدأ ذلك إثر موت "استفانوس" ثم دخول "بولس" بعد ذلك في النصرانية.

لقد تشتت النصارى خارج أورشليم وبدأوا التبشير في أمكنة أخرى^(٢) وكانوا نشطين متحمسين في بحثهم عن أتباع جدد لديانتهم^(٣)، وبسبب هذا النشاط انتشرت النصرانية وأصبحت تسمى بالمسيحية وأطلق على أتباعها اسم المسيحيين^(٤).

انتشرت بين اليهود اليونانيين وبين الوثنيين في بلاد سوريا وآسيا الصغرى وأحدثت بمذن تقع في قلب بلاد اليونان حتى بلغت الدعوة للدين المسيحي قصبة الإمبراطورية نفسها على يد "بولس"^(٥). وظهر واضحاً للناس أن هذه الدعوة إنما هي لديانة جديدة تختلف عن اليهودية وخاصة بعد أن أدخل فيها "بولس" تعديلاته وبصماته، وأحس الرومان بذلك فبدأت المخاوف والشكوك تدخل في نفوسهم إزاء هذه الدعوة الجديدة،

"فالدين اليهودي كان محتملاً في نطاق الإمبراطورية طالما كان محصوراً في اليهود الأصليين، أما وقد بدا في الأفق أن ذلك الدين سيتكاثر ويتناسل "في صورة المسيحية" فكان ذلك مشكلة تستحق الاعتبار"^(٦).

(١) "ولكن إذا كان مسألة عن كلمة وأسماء وناموسكم فتبصرون أنتم لأنى لست أشاء أن أكون فاضيا لهذه الأمور" أعمال ١٨ : ١٥. راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ١ / ١٥٤.

(٢) أعمال ٨ / ٤.

(٣) تاريخ سورية ١ / ٣٦٦،

(٤) أعمال ١١ : ٢٦.

(٥) تشارلز وورث: الإمبراطورية الرومانية ص ١٧٦.

(٦) بيوري: حرية الفكر ص ٢٩.

لقد كانت روح التسامح الروماني سارية على النصارى باعتبارهم فئة يهودية ولكن حين أحس الرومان بأن ديانتهم ستبدو في ثوب جديد ودعوة جديدة تجذب إليها كثيراً من الأنصار الجدد أخذوا في مقاومة تعاليمها واضطهاد أتباعها،

السبب الثاني: سبب سياسي خاص بنظرة النصارى إلى الدنيا:

أحست الدولة الرومانية بالانزعاج عندما اكتشفت أن أتباع الديانة الجديدة اعتبروا أن الدنيا زائلة وشيكة الفناء على خلاف الوثنيين الذين كانوا يقدرّون دنياهم وحضارتهم.

"فكان النصارى يبدون أمام الرومان في ذلك الزمان وكأنهم ييغضون الجنس البشري إذ كانوا يتطلعون إلى عودة المسيح من فورهم؛ ليقضى على الناس جميعاً حرقاً باعتبارهم من الأشرار مع استثنائهم هم^(١)" ولذلك اعتبرت السلطات الرومانية النصارى مواطنين يملؤهم الشر وعنصرًا خطراً في المجتمع لا بد من خضوعه للدولة^(٢).

"إن المسيحيين الأول آمنوا بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع، وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة، فقل اهتمامهم تجاد واجبات الحياة الدنيوية، وبالطبع تطلعوا في عشق عامر إلى مملكة القدس السماوية. فأثر ذلك في مصالح الحياة السياسية في نظر الدولة^(٣)".

أما لماذا أثرت هذه النظرة على الحياة السياسية في الدولة الرومانية؟

[١] فذلك لأنهم ماداموا يتطلعون إلى مملكة السماء فمعنى ذلك زوال المملكة الرومانية، وهذا ما حدث فلقد تنبأ النصارى^(٤) بسقوط الإمبراطورية الرومانية، لذلك اعتبرهم الرومان غير مخلصين للوطن ولا بد من تأديبهم.

(١) بارو : الرومان ص ١٨٦.

(٢) رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٢٥.

(٣) د/ رؤوف شلبي : المسيحية الرابعة ص ١٠١. راجع شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦٦.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٧١).

يقول برستيد: "وكانوا يتنبأون وينادون جهاراً بسقوط الدولة الرومانية"^(١)، ووصل بهم الأمر إلى التباهي بهذه النكبة التي تصيب "روما الخالدة" وتصيب آمال الجنس البشري، فجر عليهم ذلك وبالأخص اضطهادات شديدة"^(٢).

[٢] امتنع النصارى عن أداء الخدمة العسكرية وعن شغل الوظائف، واعتبرت السلطات الرومانية هذا بأنه هروب من الواجبات المدنية، وضعف للروح القومي والإرادة القومية"^(٣)، وفسرته بأنه تمرد مدني كأنهم خططوا ضد نظام الدولة"^(٤).

[٣] رفض النصارى الإسهام في كل مظاهر التأييد التي كانت تطلبها الحكومة الرومانية، فقد رفضوا المشاركة في الاجتماعات وتقديم الهبات وحضور الحفلات والأعياد العامة للدولة، وأثار عدم اشتراكهم في المناسبات الوطنية الريبة في النفوس"^(٥). وتم ملاحظة ذلك عن طريق الكاهن الأكبر لمعبد المدينة، فمن نظم الدولة "أن الكاهن الأكبر لمعبد المدينة كان عضواً بمجلسها البلدي وكان له بهذه الصفة أن يراقب من يبدي بعض الفتور في التردد على المعابد وتقديم النذور، وقد رأى الكاهن أن هذه الجماعة الجديدة قد أضربت عن دخول المعابد الحكومية وتقديم النذور، بل عزفوا عن الاشتراك في الاحتفالات، فكان أن اشتكاهم إلى حكومة روما وجعلها تنظر إليهم نظرتها إلى المشاغبين والمتأمرين"^(٦) وأوقعت عليهم ألوان الاضطهاد والتعذيب.

[٤] كانت الدولة الرومانية تتوجس خيفة من الجماعات السرية.

لقد اتجه النصارى إلى الاجتماعات السرية وتأدية الطقوس سرّاً"^(٧) وذلك خوفاً من الاضطهاد اليهودي، "وقد أثارت هذه الاجتماعات السرية مخاوف السلطات

(١) برستيد: العصور القديمة ص ١٨٦.

(٢) بارو: الرومان ص ١٨٦.

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ / ج ٣ ص ٣٧٢).

(٤) المسيحية الرابعة ص ١٠٠.

(٥) راجع: د/ زاهر رياض: كنيسة الإسكندرية في إفريقيا ص ٥٠.

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٧) جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية (١/ ٤١٦).

الرومانية وعمقت شعور الرية في قلوبهم ضد هذه الطائفة، وجعلتها تمنع في مطاردة أتباع هذه الديانة ليس من أجل مناهضة معتقداتهم الدينية ولكن باعتبارهم عناصر خارجة عن المجتمع ونظمه^(١).

"وكان شعور الرومانيين إزاء الاجتماعات السرية بصفة عامة هو أنها دون أدنى شك اجتماعات ثورية إن لم تكن منافية للآداب"^(٢)، لذلك اتهم النصارى بارتكاب أمور مفزعة من فسق وطقوس بشعة^(٣)، وأكل للحوم البشر وقتل الأطفال وشرب للدم^(٤)، واتهموا أيضاً بأنهم كانوا يأتون المنكرات^(٥)، كل هذا جعل الحكومة الرومانية تعتبر هذه الجماعة من الجماعات الخطيرة التي تهدد الأمن العام والسلام الروماني للمواطنين وتعمل على تقويض المجتمع^(٦).

السبب الثالث: سبب اجتماعي:

لقد كان الرومان مع تسامحهم لكل الأديان يضطهدون النصارى وذلك لشعورهم بأن الدين الجديد ينقض الأسس التي قام عليها المجتمع الروماني.

فقد دعت النصرانية إلى المساواة بين البشر والتسامح بين الناس، أما الطبقات الرومانية الحاكمة فكانت قائمة على تمييز الناس بعضهم عن بعض، وتعد السعي إلى القوة والجاه والثروة أمراً مشروعاً^(٧).

هذا إلى جانب أن من كان يعتقد النصرانية لم يكن يشترك في عبادة الأسرة أو في بعض ألوان الحياة العائلية كضروب التسلية^(٨)، لذلك رأت الحكومة الرومانية في

(١) كتيبة الإسكندرية في أفريقيا ص ٥١. راجع أيضاً: د/ إبراهيم العدوي: المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ص ٤٠.

(٢) الإمبراطورية الرومانية ص ١٧٤.

(٣) إدريس بل: الهيلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ١١٧.

(٤) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ١٩٠).

(٥) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية (١ / ١٤١٧).

(٦) د/ السيد الباز العربي: مصر البيزنطية ص ١٢.

(٧) إدخار، محمد شفيق غربال: التاريخ القديم ص ١٥٨.

(٨) بارو: الرومان ص ١٨٦.

النصرانية ضرراً إذ تعمل على تقويض أركان المجتمع ونظمه وتقاليده، لذلك أوجست خيفة منها وحداها ذلك إلى اضطهاد أتباع هذا الدين واعتبارهم فئة خارجة على الجماعة^(١).

ولا نستطيع أن نجزم بأن هذه الأسباب اجتمعت كلها مرة واحدة في نظر الرومان مما جعلهم يضطهدون النصرانية، ولكن يبدو أن هذه الأسباب اجتمعت على مدى فترات الاضطهاد الروماني.

حقائق عن الاضطهاد الروماني:

قبل أن نفصل القول في بيان الاضطهادات الرومانية يجدر بنا أن نذكر بعض الحقائق العامة عن هذه الاضطهادات:

أولاً: أن المؤرخين يشيرون عادة إلى عشرة اضطهادات بين سنة ٦٤ م وسنة ٣١٣ م وهي السنة التي يسميها المسيحيون سنة البراءة^(٢) وفيها صدر مرسوم بكفالة الحرية المطلقة للعبادة لجميع المواطنين^(٣)، وهو الاتفاق الذي شاع عند المؤرخين باسم "مرسوم ميلانو"^(٤)، وكان ذلك معناه وقف اضطهاد المسيحيين .. وهذا يعني أن الاضطهاد الروماني للمسيحيين امتد حوالي مائتين وخمسين سنة من الزمان تعاقب فيها على عرش روما كثير من الأباطرة الذين ولعوا بالاضطهاد.

وهذه الاضطهادات العشر هي^(٥):

(١) نيرون (٥٤ م - ٦٨ م).

(٢) دوميتيان (٨١ - ٩٦ م)،

(٣) تراجان (٩٨ - ١١٧ م)

(١) التاريخ القديم ص ١٥٨.

(٢) د/ أسدرستم: الروم ١/ ٣٣.

(٣) الإمبراطورية الرومانية ص ٢١٠.

(٤) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة [٧٧/٢].

(٥) راجع: جون لوريير: تاريخ الكنيسة [١١٧/٢].

(٤) ماركس أوريليوس [١٨٠ م].

(٥) سبتيموس سيفروس [١٩٣ - ٢١٠ م].

(٦) مكسيميانوس [٢٣٥ - ٢٣٨ م].

(٧) ديسيوس [٢٤٩ - ٢٥١ م].

(٨) فاليريان [٢٥٣ - ٢٦٠ م].

(٩) دقلديانوس [٢٨٤ - ٣٠٥].

(١٠) جاليريوس وماكسيميانوس [٣٠٥ - ٣١٣ م].

وهذا التقسيم تقسيم عرفي اصطلاح عليه المؤرخون وليس معناه أن الاضطهادات حدثت عشر مرات فقط ، فهناك اضطهادات أخرى مثل اضطهاد أوريان سنة ١٢ م ، واضطهاد كاركلا سنة ٢١١ م إلى آخره.

ثانياً: إن الاضطهاد الروماني أجرى بموجب تشريع خاص صدر عن الامبراطور "نيرون" عام ٦٤ م وقضى ألا يكون أحد مسيحياً^(١).

ثالثاً: إن هذه الاضطهادات كانت لجميع المسيحيين.

يقول د/ زاهر رياض: "لا يمكن أن يستثنى مكان من هذه الاضطهادات إلا إذا ثبت أنه كان خالياً تماماً من المسيحيين"^(٢).

المراحل العشر للاضطهاد الروماني:

لقد بدأ الاضطهاد الروماني للمسيحيين قبل عهد "نيرون" ولكنه كان بسيطاً وكان بإيعاز وتدبير اليهود ومن أجل إرضائهم، فمثلاً جاء في سفر الأعمال أن هيردوس^(٣) الملك قد مد "يديه ليسىء إلى أناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا

(١) د/ أسدرستم : الروم (١/ ٣٣).

(٢) كنيسة الإسكندرية في افريقيا ص ٤٩ .

(٣) تسمى بهذا الاسم أشخاص كثيرون من سلالة هيرودس الكبير الذي ملك من سنة ٤١ ق.م إلى ما قبل العصور الميلادية بعام واحد تقريباً . والمقصود بهيردوس هنا هو أغرياس الأول (حفيد هيرودس الكبير وقد عاش طويلاً في روما ثم رجع وعين حاكماً على بعض فلسطين سنة ٣٩ م) وتزيد من المعلومات: ولیم باركلي: تفسير أعمال الرسل ص ١٥١ . ١٥٢.

بالسيف ، وإذ رأى أن ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً ولما أمسكه وضعه في السجن^(١) .. ثم تتابع الاضطهاد بعد ذلك ولكنه كان اضطهاداً رومانياً خالصاً وبدأ باضطهاد "نيرون".

{١} نيرون (٥٤ - ٦٨ م):

ولد "نيرون" عام ٢٩ م حين تزوج أبوه "أكتيوس دوميتيوس" في عام ٢٨ م بأجربينا الثانية، وقد أطلقا على ابنهما الوحيد اسم "لوسيوس" وأضافا إليه لقب "نيرون" ومعناه "القوي الشجاع"^(٢).

أما عن توليه حكم الإمبراطورية فقد تم ذلك عقب موت "كلوديوس" دون أدنى معارضة خاصة وأن أمه أجربينا وعدت الحرس الإمبراطوري بمكافأة جزيلة وكان "نيرون" وقتئذ في السادسة عشرة من عمره^(٣).

وبدأت رئاسة "نيرون" بفترة من الحكم الصالح وذلك بتوجيه من بوروس قائد الحرس الإمبراطوري و "سنيكا" معلم "نيرون" ولكن سرعان ما انقلب حكمه إلى كابوس من المؤامرات والدعارة والاغتيالات، تلك الاغتيالات التي بسببها أصبح هذا العصر مضرِباً للأمثال^(٤)

فقد دبر مصرع "برتانيكوس" ابن "كلوديوس" سنة ٥٥ م أي ابن أخيه بالتبني حتى لا ينافسه في المطالبة بالعرش ثم بعد ذلك دبر مصرع أمه عام ٥٩ م إلى غير ذلك من الأمور^(٥).

أما عن موقفه من الدين ، فقد أثرت عليه دراسة الفلسفة.

يقول "ول ديورانت": "إن القدر الضئيل الذي ناله من الفلسفة حرر عقله من قيود الدين دون أن ينضج حكمته وكان يزدري جميع أنواع العبادات"^(٦).

(١) أعمال ١٢ : ٥ - ١.

(٢) قصة الحضارة ١ مج ٣ / ج ٢ ص ١٢٥.

(٣) د/ سيد أحمد الناصري : تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ١٣٤ ..

(٤) دونالد ددلي : حضارة روما ص ٢٦٥.

(٥) راجع قصة الحضارة مج ٣ ج ٢ ص ١٣٠ ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ١٣٦.

(٦) قصة الحضارة ١ مج ٣ / ج ٢ ص ١٢٨.

حريق روما وبداية اضطهاد المسيحيين:

في يوليو عام ٦٤ "أي في السنة العاشرة من حكم نيرون" أصيبت العاصمة "روما" بحريق مروع اندلع في شدة لم يعرف لها في العصور الخوالي نظير أو مثال^(١)، ظل مشتعلًا تسعة أيام حتى التهم ثلثي المدينة^(٢).

"وكان نيرون غائبًا في ضاحية "أنتيوم" خارج العاصمة حين شبت النيران، فلما وصله النبأ أسرع بالعودة إلى روما، وقد قام بجهود كبيرة في قيادة المحاولات التي بذلت لحصر النيران أو التغلب عليها^(٣).

واتهم نيرون المسيحيين بإشعال هذا الحريق وأذيقوا بسببه ألوانًا من التعذيب والاضطهاد. يقول "تاسيتوس"^(٤) أقدم مؤرخ روماني كتب عن هذا الاضطهاد "ولم يصدر الحكم عليهم بناء على أدلة واضحة تثبت أنهم هم الذين أشعلوا النار في المدينة، بل أدنوا لأنهم يكرهون الجنس البشري كله"^(٥).

أما ألوان التعذيب والاضطهاد التي وقعت على المسيحيين فيقول تاسيتوس عنها: "ولم يكتف "نيرون" بتعذيبهم. بل أضاف إلى هذا التعذيب السخرية منهم والازدراء بهم فألبس بعضهم جلود الوحوش وتركوا لتلثمهم الكلاب، وسمر غيرهم في الصليبان، ودفن الكثيرون منهم أحياء، ودهنت أجسام البعض الآخر بالمواد الملتهبة وأشعلت فيها النيران لتكون مشاعل في الليل"^(٦).

وفي عهد هذا الإمبراطور قتل بطرس وبولس على أرجح الأقوال.

(١) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية (١/ ٤٢٤).

(٢) قصة الحصار (مج ٣ / ج ٢ ص ١٣٥).

(٣) المرجع السابق ص ١٣٦.

(٤) تاسيتس أو تاسيتوس: مؤرخ روماني مشهور عاش ما بين عامي (٥٥ - ١١٥ أو ١٢٠ م).

(٥) راجع قصة الحصار (مج ٣ ج ٢ ص ١٣٧).

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.

يقول يوسابيوس القيصري: "وهكذا إذ أعلن جهارا أن أول أعداء الله الرئيسين تقدم إلى قتل الرسل، لذلك دون بأن بولس قطعت رأسه في روما نفسها، وأن بطرس أيضا صلب في عهد نيرون"^(١).

ويعتبر اضطهاد نيرون هذا أول اضطهاد علني قاس - من الرومان لأتباع المسيح في سلسلة الاضطهادات التي وقعت عليهم.

[٢] اضطهاد ((دومتيان)):

ولد سنة ٤١ م وتولي عرش الإمبراطورية عام ٨١ م وتوفي عام ٩٦ م عن عمر يناهز الخمس والأربعين .. وكان محبا للسلطة والنفوذ متعطشا للقوة والجبروت، فما أن قضى أخوه تيتوس سنة (٧٩ - ٨٠م) غبه حتى هرول "دومتيان" إلى ثكنات الحرس الإمبراطوري وحصل من الجنود على موافقتهم على ترشيح نفسه إمبراطورا حتى قبل أن يبدي السناتو (مجلس الشيوخ الروماني) رأيه في ذلك^(٢).

وقد عمل في العشر سنوات الأولى من حكمه على إصلاح أحوال البلاد وتعميرها، ولكن سرعان ما انقلبت الأمور وتغيرت الأحوال إثر حركة التمرد التي قام بها أحد ولاته على ألمانيا العليا عام ٨٩م، ونتيجة لهذا سيطر الرعب والقلق على الإمبراطور، وراح يتخيل المؤامرات التي تحاك ضده، وبدأ بذلك عهد إرهاب جديد، وراح بلا رحمة يسفك دماء الأعضاء البارزين من رجال السناتو والإدارة^(٣). .. ثم امتدت يده إلى المسيحيين إثر مناداته بتأليه أبيه وأخيه وزوجته وأخته، كما نادى بتأليه نفسه، وأنشأ طائفة جديدة من الكهنة ليشرفوا على عبادة أولئك الأرباب، وطلب من الموظفين ألا يذكره في وثائقهم إلا بلقب "سيدنا وإلهنا" وأبي اليهود والمسيحيون أن يعبدوه إلهًا، وقد طلب من بعض المسيحيين تقديم القرابين بين يدي تمثاله، فأبوا، فأعدمهم وذلك في سنة ٩٣م^(٤).

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ١٠٨.

(٢) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ١٨٣.

(٣) عن سياسته وإصلاحاته راجع المراجع السابق ص ١٨٤ ، قصة الحضارة [مج ٣ ص ٢ ص ١٥٤] وما بعدها.

(٤) قصة الحضارة [مج ٣ ص ٢ ص ١٥٧].

وقد وصف اضطهاده بأنه كان عنيفا^(١)، فلقد أُمعن في اضطهاد المسيحيين وقتل كثيرين منهم، وكان ممن نكل بهم - كما يقول المسيحيون - يوحنا الإنجيلي إذ عذبه عذابا أليما ثم نفاه إلى جزيرة بطمس^(٢) - إحدى الجزر على شواطئ آسيا الصغرى - ففي رؤيا يوحنا "أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره، كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح"^(٣).

[٢] تراجان:

ولد في الثامن عشر من سبتمبر سنة ٥٢م، واختير قنصلا عام ٩١ م وقد تبناه الإمبراطور "نيرفا" في أواخر عام ٩٧م، ثم اعتلى العرش بعد وفاة هذا الإمبراطور في عام ٩٨^(٤) وتوفي سنة ١١٧م في الرابعة والستين من عمره^(٥)... وقد قام ببعض الفتوحات والانتصارات ولذلك نصب في روما العمود المشهور باسم عمود تراجان تخليدا لانتصاراته العسكرية^(٦).

وقد أمر هذا الإمبراطور الولاة بأن يمنعوا الاجتماعات السرية، ولما كان المسيحيون قد جرت عاداتهم بأن يجتمعوا للصلاة في الخفاء هربا من الاضطهاد فقد وقعوا بذلك تحت طائلة القصاص^(٧).

ففي عام ١٠٦م أصدر تراجان أمره إلى ولاته في كل أنحاء المملكة بأن يقضوا على المسيحيين، ويمنعوا اجتماعاتهم التي كانوا يعقدونها في الخفاء ليقيموا صلواتهم، فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل وقتلوا منهم أعدادا كبيرة، وقد استخدم

(١) تاريخ سورية (١/٣٦٧).

(٢) زكي شودة : تاريخ الأقباط (١/١٠٢)، راجع أيضا يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ١٤٠

(٣) رؤيا يوحنا ١ : ٩.

(٤) فشر : تاريخ أوروبا العصور القديمة ص ١٧٥.

(٥) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٢ ص ١٤٠٢).

(٦) إدخار : التاريخ القديم ص ١٤٩.

(٧) لجنة التاريخ القبطي : تاريخ الأمة القبطية ص ١٠٥.

الإمبراطور ساحة الملعب الروماني المسمى "الكلوسيوم" في إعدام المسيحيين بالقائمة هناك إلى الوحوش تمزقهم شرمزق^(١).

ويقال عن تراجان إنه أقام عروضاً استمرت ١٢٣ يوماً كاملة وهلك فيها كثير من المسيحيين^(٢)...

وهكذا حل بالمسيحيين وقتند اضطهاد عنيف في أماكن كثيرة حتى إن بليني (والي يثينيا^(٣)) وهو من أشهر الولاة إذ أزعجته كثرة عدد الموتى من المسيحيين بسبب الاضطهاد والتعذيب، اتصل بالإمبراطور بصدد الجموع الذين قتلوا بسبب مسيحياتهم^(٤)، ثم كتب له كتاباً يشرح له فيها الطريقة التي كان يتبعها مع المسيحيين فقال: "قد كنت أسأل المتهمين (هل أنتم مسيحيون)؟ فإذا قالوا نعم كنت أحذرهم وأسألهم مرة ثانية وثالثة، فإذا قالوا نعم حكمت عليهم بالإعدام، وأعدمتهم. أما كل من أنكروا أنهم مسيحيون، أو أنهم كانوا كذلك أفرجت عنهم؛ لأنهم دعوا باسم الآلهة كما أمرتهم، وأظهروا الخشوع والاحترام لصورتكم، وقدموا لها البخور؛ ولأنهم لعنوا المسيح، وهذا شئ لا يستطيع المسيحي الحقيقي أن يفعله ... وقد فكرت أنه من الضروري أن أصل إلى الحقيقة وذلك بتعذيب اثنين من الشمامسة، ولكنني لم أجد شيئاً إلا الخرافات المروعة المقبولة،

ويقول بليني بعد ذلك: "إن أسلوبه هذا قد لاقى نجاحاً، فكثيرون من المسيحيين قد رجعوا لعبادتهم القديمة، وبدأت المعابد تمتلئ مرة أخرى"^(٥).

"وهذا الكتاب كاشف كل الكشف عما كان يحدث للنصارى في عهد ذلك القيصر من اضطهاد وتعذيب وتنقيب عن القلب وخبيثة النفس"^(٦).

(١) تاريخ الأقباط ١/ ١٠٢.

(٢) د/ عزت زكي: المسيح وفلاسفة أثينا ص ١٢٥.

(٣) مقاطعة في الشمال الغربي لآسيا الصغرى في المنطقة التي تحيط بالقسطنطينية.

(٤) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ١٦٦.

(٥) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ١/ ٩٢.

(٦) محاضرات في النصرانية ص ٣٦.

ولكن الاضطهاد والتعذيب خف بعض الشيء بعد الرد الذي أرسله "تراجان" إلى الوالي " فقد أجاب عليه بالموافقة على سياسته ، ولكن نصحه ألا يتصيد المسيحيين بل يحاكمهم فقط إذا أبلغ عنهم وثبت عليهم التهمة"^(١).

يقول يوسابيوس : " ونتيجة لهذا خف إلى حد ما ذلك الاضطهاد الذي كان ينتظر أن يصبح أعنف اضطهاد"^(٢).

[٤] ماركوس أوريليوس:

عاش أوريليوس ما بين عامي ١٢١ و ١٨٠ م تبناه عمه أنطونينوس بيوس (٨٧ - ١٦١م) الذي كان من أكثر أباطرة الرومان تحضراً، وخلفه ماركوس أوريليوس على العرش في عام ١٦١م وقضى بقية حياته في خدمة الإمبراطورية^(٣).

وقد قال العلماء والمؤرخون في حكمته وفيما تمتعت به الإمبراطورية في عهده من رخاء وسعادة أقوالاً كثيرة^(٤). ويُعد هذا الإمبراطور من الفلاسفة الرواقيين^(٥)، تلك الفلسفة التي كان قد تلقاها في صباه وشبابه ، وكان معتدلاً في رواقيته لا متشدداً ولا جافياً^(٦)، وكان لذلك أثره في نظريته إلى الأمور "فقد كان يبني حياته على العقل والمنطق، وأقلقه أن يسمع عن المسيحية أنها ديانة مملوءة باخراقات، ولذلك كرهها وأصدر أمراً أن كل جماعة بما فيهم المسيحيون يشجعون البدع والاضطرابات يجب

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عشور: أوروبا العصور الوسطى (١/٣١).

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ١٦٦.

(٣) برتراند رسل: حكمة الغرب (١/٢١٦).

(٤) قصة الحضارة [مج ٣ ج ٢ ص ٤٢٤].

(٥) الرواقية : لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية التي أنشأها "زينون الكيتومي" بمدينة أثينا أوائل القرن الثالث ق.م. ويطلق على أنصار تلك المدرسة اسم الرواقيين أو "أصحاب الرواق" أو "أهل المظال" كما يسميهم الشهير ستاني في الملل والحل (١١٧/٢) نسبة إلى الرواق المنقوش ، وهو حجر مسقوف ومصبوغ باللوان متعددة، وفي هذا الرواق كانت تلقي المحاضرات الفلسفية في ذلك العهد. واستمرت هذه الفلسفة زهاء خمسة قرون ، وخلال هذه المدة صرأت على تعاليمها تغيرات كثيرة. غير أن ما يجمع الحركة كلها تعاليمها الأخلاقية التي ظلت على ما هي عليه طوال الوقت.

راجع : د/ عثمان أمين: الفلسفة الرواقية ص ٢٢ - ٢٣.

(٦) المرجع السابق ص ٢٥٦ - ٢٦٩.

أن يضيق عليهم الخناق ويوقف نشاطهم ، واعتبر الولاة في الإمبراطورية - وخاصة الكارهين لها - هذا الأمر إشارة من أعلى سلطة في الإمبراطورية تسمح لهم بتصيد المسيحيين وقتلهم^(١).

وهناك أمر آخر أثار الإمبراطور أكثر ضد المسيحيين وهو موقفهم من الخطر الذي كان يهدد الإمبراطورية كلها نتيجة للوباء المروع - وباء الطاعون - الذي جاء مع الجنود الرومان العائدين من الشرق ، وذلك بعد رجوعهم من الحرب ضد البارثيين^(٢) في عام ١٦٦م ، وقد جرّ ذلك الوباء بلاءً على الإمبراطورية ، فقد نقلوا العدوى في كل مدينة مروا بها ، وإلى كل صقع من أصقاع الإمبراطورية انتقلوا إليه^(٣) ، ففشا الوباء سريعاً في آسيا الصغرى ومصر وبلاد اليونان وغالة (فرنسا) ، وأهلك خلال عام واحد (١٦٦ - ١٦٧م) أكثر من أهلكتهم الحروب ، ومات منهم في روما ألفان في يوم واحد ومنهم عدد كبير من أشرف المدينة ، وهكذا سقط نتيجة لذلك الوباء الآلاف من الضحايا^(٤).

أما موقف المسيحيين إزاء هذا الوباء ، فقد اعتبروه علامة على نهاية العالم ، وهذا الموقف حول شك الناس فيهم إلى كراهية شديدة لهم ورغبة شديدة في الانتقام منهم ، فانفجر الاضطهاد فجأة في بعض الأماكن لعل أهمها وأكثرها تحقّقاً ذلك الذي حدث في سميرنا في آسيا الصغرى ، والثاني في ليون بفرنسا سنة ١٧٧م^(٥).

أما بالنسبة لاضطهاد المسيحيين في سميرنا في عهد هذا الإمبراطور^(٦) فقد جاز المسيحيون فيها إن كرهوا أو طوعاً أقسى العذابات ، فقد جلدوا بسيطا في أطرافها قطع من الرصاص المدب لكى يمزق جلودهم ، وقطع لحمهم بآلات حديدية حادة حتى ظهرت العظام ، وألقي ببعضهم إلى الوحوش الكاسرة ، وربطوا في أعمدة وأحرقوا^(٧).

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ١٢٨ / ١.

(٢) البارثيون : هم مواطني بارثيا ، وهي بلد قديمة في شمال شرق إيران ، وهي تقع بين بلاد فارس وأديسا ، وكانت تشمل معظم أراضي إيران الحديثة. راجع : حامد عبد القادر : الأمم السامية ص ٩٥.

(٣) قصة الحضارة [مج ٣ ج ٢ ص ٤٣٠].

(٤) المرجع السابق ص ٤٣١.

(٥) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ١٢٨ / ١.

(٦) المرجع السابق ص ١٢٩.

وبالنسبة لاضطهاد المسيحيين في بلاد الغال فكان بعد مرور عشرين سنة على الاضطهاد سالف الذكر (١٧٧ - ١٧٨)، وكان ذلك في مدينتي ليون وفينا على ضفاف نهر الرون في جنوب فرنسا، كان ذلك في موسم أحد الأعياد وعندما قدم شخص روماني كبير إلى تلك المنطقة هب الجمهور دون أي رادع يتصيدون المسيحيين ليقدموهم محرقات في الحلبة^(١).

"وهكذا عومل المسيحيون بقسوة شديدة"^(٢) - في هذا العهد - وتظهر بشاعة أعمال الاضطهاد في ذلك العهد من خلال رسالة كتبها بوليكايريوس^(٣) أسقف سميرنا (مدينة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وهي أزمير حالياً) سنة ١٦٥م يقول فيها : إن الذين اعترفوا بمسيحيتهم ضربوا ضرباً غنياً بالسياط حتى ظهرت عروقهم، والذين حكم عليهم بأن يطرحوا للوحوش قاسوا أشد العذاب في السجن، إذ كان السجناء يطرحونهم وهم عراة على حجارة مسنونة فتنبثق الدماء من أجسادهم"^(٤).

[٥] سبتيميوس سفيروس:

ولد الإمبراطور سبتيميوس سفيروس عام ١٤٦م وتولي رئاسة الإمبراطورية عام ١٩٣ وتوفي عام ٢١١ م^(٥). وكان جنرالاً في جيش روما ولكن الجنود الذين كانوا تحت إمرته انتخبوه إمبراطوراً فهزم كل من وقف في وجهه^(٦)...

أما بدء الاضطهاد في عصره فكان في عام ٢٠٢م حين أصدر مرسوماً بمنع الرعاية من الدخول في اليهودية أو المسيحية لأنه كان وثنياً، وكان السبب في ذلك هو أن اليهود بدأوا بثورة، أما المسيحيون فقد اعتبرهم غير أهل للثقة "لأن كثيرين منهم لم

(١) المرجع السابق ص ١٣٢.

(٢) مايبل وريترين : صراع عبر الزمان ص ٢١.

(٣) بوليكايريوس أسقف سميرنا. وكان يعرف بالمارك لأنه عرف الرسول يوحنا. وقد مات سنة ١٦٧ أو

١٦٩م. راجع : بوسايوس : تاريخ الكنيسة ص ٢٠١.

(٤) تاريخ الأقباط ١١ / ١٠٤.

(٥) راجع : د / سيد أحمد الناصري : تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٢٤٩.

(٦) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (٢/ ١٢٩).

يكونوا متحمسين للمعارك لأنهم كانوا ينتظرون المجئ السريع للمسيح^(١)، وقد أمر الإمبراطور بتطبيق هذا المرسوم بصرامة متناهية^(٢)

وقد وصف هذا الاضطهاد بأنه كان شديدا وازداد فيه عدد الموتى زيادة مروعة^(٣).

وكان هذا الاضطهاد - كما يقول جون لوريمر - هو الأول من نوعه إذ وقع على اليهود والمسيحيين معا، وشمل كل العالم، وامتد إلى الإسكندرية، وأنطاكية، وكورنثوس، وروما، وقرطاجنة، فقد رفض أتباع الديانتين أن يقدموا ذبائح لتمثال الإمبراطور؛ فتعرضوا للحرق والضرب وقطع الرقاب^(٤).

[٦] اضطهاد مكسيميانوس:

تولى حكم الإمبراطورية سنة ٢٣٥ م وتوفي سنة ٢٣٨ م، كان جنديا طيبا لا أكثر، وكان أميا لم ينل شيئا من التعليم، تولى الإمبراطورية إثر الثورة على الإمبراطور سيفيروس الكسندر^(٥)، ، وقد اضطهد هذا الإمبراطور المسيحيين اضطهادا شديدا وخاصة في مصر فقتل كثيرون في عهده^(٦)، وكان اضطهاده أشد لآباء الكنيسة، وأصدر أمرا بقتل آباء الكنائس باعتبارهم أصحاب المسؤولية الأولى في بث هذه التعاليم^(٧).

[٧] اضطهاد ديسيوس:

عين ديسيوس إمبراطورا عام ٢٤٩ م وتوفي سنة ٢٥١ م "وكان ذلك العصر يتميز بعدم الاستقرار في الإمبراطورية، وقد حدا ذلك بالإمبراطور ديسيوس أن يعزم على اتخاذ بعض الإجراءات الحاسمة لمواجهة ذلك"^(٨).

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) د/ جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٥٥.

(٣) تاريخ الأقباط (١/ ١٠٤).

(٤) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [٢/ ٣٠].

(٥) قصة الحضارة (مج ٣، ج ٣ ص ٣٢٤ - ٣٣٥).

(٦) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٧.

(٧) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٣٢٠.

(٨) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [٢/ ٧٤].

يذكر "ول ديورانت": أن الإمبراطورية في عهد هذا الإمبراطور أمة منهمكة في حرب عوان تزعمها الهزائم المنكرة وتوقع أن يغزو بلادها الأعداء وتحتاج الإمبراطورية موجة من النشوة الدينية القوية في سنة ٢٤٩ م ويهرع الرجال والنساء إلى الهياكل يحيطون بالآلهة ويضرعون إليها بالصلاة والدعوات، وفي وسط هذه الحمى التي تتأجج فيها نيران الوطنية والخوف يقف المسيحيون عن بعد وقفة المشاهدين الذين لا يعينهم الأمر ويظلون كسابق عهدهم يستكرون الخدمة العسكرية ويقاومونها ويسخرون من الآلهة^(١)، لذلك أصدر ديسوس أوامره للقيام بإحصاء شامل لجميع المسيحيين دون إقامة أية تهمة^(٢).

ثم أصدر هذا الإمبراطور مرسوما ملكيا. ويذكر العلماء أن هذا المرسوم صدر في يونيو عام ٢٥٠ م. بأنه على كل السكان الأحرار (غير العبيد) من رجال ونساء وأطفال أن يقدموا الذبائح لآلهة الإمبراطورية وأن يسكبوا لها السكاكب ويأكلون من الذبائح وعندما يقدم شخص ذبيحة كان يعطى شهادة بذلك^(٣).

يقول د/ سيد أحمد الناصري: "وجدير بالذكر أنه يوجد لدينا عدد من الشهادات التي كانت تمنح للأفراد بعد تقديم الصلوات والأضاحي للإمبراطور المقدس وتعرف باسم الشهادات. وقد عثرت جامعة ميتشجان^(٤) على العديد منها في مدينة الفيوم القديمة، ونفهم من نصوصها أن الإمبراطور عين في كل مدينة شخصا مختصا لاستقبال هذه الأضاحي والصلوات، ثم يوقع بالتصديق على أن الشخص المذكور أدى في حضرته هذه الشعائر الوثنية"^(٥).

وإليك نص بعض هذه الشهادات التي وجدت في مصر (مقدمة إلى هيئة الذبائح في قرية جزيرة الإسكندرية) من أوريليوس ديجينس بن ستابوس عمره ٧٢ سنة بوجهه جرح عميق فوق الحاجب الأيمن:

(١) قصة الحضارة (مع ٣ ج ٢ ص ٣٧٧).

(٢) حبيب سعيد: فجر المسيحية ص ١١٢.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ١٧٥/٢١.

(٤) ولاية من ولايات أمريكا.

(٥) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٢٩٥.

"سبق لي أن قدمت للآلهة، كما أقدم الآن محرقات حسب الأصول المرعية، وأكلت منها، وها أنا الحاكم (بخط الحاكم) أوريليوس سيروس أشهد أن ديوجنيس قدم المحرقة أمامي في عهد الإمبراطورية ديسيوس في ٢٥ يونيو سنة ٢٥٠ م"^(١).

وكان من لا يحصل على هذه الشهادة تكون عقوبته الموت، وقد ذهب ضحية هذا أعداد كبيرة من المسيحيين^(٢)، وقد نجح هذا المرسوم في إحداث ردة بين بعض المسيحيين^(٣). وذاق المسيحيون في هذا الاضطهاد ألوانا من التعذيب والتكيل، وطبق هذا الإمبراطور سياسة الإبادة الجماعية للمسيحيين^(٤).

ولييان هذا يكفي أن نقتبس من رسالة "ديونيسيوس الأول"^(٥) "البطريك الإسكندري إلى أسقف أنطاكية يقول له فيها: "لم نكد نتنفس الصعداء حتى حاق بنا الخوف وحفنا الخطر عندما أبدل ذلك الملك - يقصد فيليب العربي ٢٤٤ - ٢٤٩ م وقد أظهر تسامحا تجاه المسيحيين - الذي كان أرق جانبا وأقل شرا من غيره بملك آخر قد لا يجلس على كرسي المملكة إلا ويوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا وقد بدأ حدسنا يصدق وظننا يتحقق حالما أصدر أمرا شديدا الوطأة حتى أوشك المختارون على السقوط والعتار، وعم الخوف الجميع، وأركن كثيرون من المشاهير إلى الفرار، ورفت كل مسيحي في خدمة الحكومة كيفما كان ذكاؤه ونباهته، وكان كل وثني يعرف أحد المسيحيين ويرشد عنه كان يؤتى به على عجل ويدعون الواحد باسمه حتى يتقدم إلى هيكل الأوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية، وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحة للصنم بعد أن يجتهدوا في إقناعه بذلك بكل وسائل التخويف والإرهاب ، ، ، وبعض ضعيفي الإيمان أنكر

(١) رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٢٨.

(٢) لبيان ذلك راجع يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٣٢٧، تاريخ الأقباط (١/ ١٠٦).

(٣) رؤية سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٥٨، د/ أسدرستم: الروم (١/ ١٣٤).

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣١٧.

(٥) ديونيسيوس البطريك الرابع عشر للكنيسة القبطية ولد في أواخر القرن الثاني وكان قبل دخوله المسيحية عابدا للوثنية ونصب بطريركا على الكنيسة سنة ٢٤٧ م ونال قسطا كبيرا من الاضطهاد أيام ديسيوس وفاليريان وتوفي سنة ٢٦٥ م

راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٦٢ وما بعدها.

مسيحيته وأثبت أنه لم يكن مسيحياً، واقتدى به البعض. ومنهم من تمسك بأذيال الفرار، وغيرهم قبض عليهم وطرحوا في السجون مكبلين بالقيود والأغلال^(١).

[٨] اضطهاد فاليريان:

ولد هذا الإمبراطور عام ١٩٣ م ونودي به إمبراطوراً عام ٢٥٣ م وهو يبلغ من العمر ستين عاماً.

لم يهنا المسيحيون بفترة راحة بعد ديسيوس ٢٥١ م. ولكن خلفه جاليوس (٢٥١ - ٢٥٣) م الذي واصل الاضطهاد، ولكن حين تولي فاليريان حكم الإمبراطورية أظهر بعض التسامح للمسيحيين. وقد كتب عنه "ديونيسيوس الإسكندري" قائلاً: "إنه كان لطيفاً نحو رجال الله، ومحباً لهم، إذ لم يعاملهم أحد من الأباطرة قبله بهذا اللطف وهذه الرقة، وحتى الذين قيل عنهم بأنهم مسيحيون لم يظهروا لهم مثل تلك المحبة والود والكرم التي أظهرها في بداية حكمه. لأن بيته كان مليئاً بالأشخاص الأتقياء"^(٢).

لكن هذا التسامح لم يدم طويلاً، وذلك بسبب المشاكل التي كانت تواجه الإمبراطورية^(٣). وتنفيذاً عن فشله في حلها بدأ الإمبراطور يفتك بالمسيحيين فتكا بربرياً^(٤)، وأصدر مرسومه الأول - الخاص باضطهاد المسيحيين - وكان ذلك في سنة ٢٥٧ م ضد رجال الدين المسيحي يمنع فيه العبادة المسيحية ويأمر بتقديم الذبائح ودعى الأساقفة ليمثلوا أمام المحاكم الإمبراطورية صاغرين^(٥)، وحرّم عليهم الاجتماع في المقابر ومحلات العبادة^(٦).

(١) الفس / منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٨-٨٩.

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٣٥٣.

(٣) عن المشاكل الاقتصادية والتهديدات التي كانت تواجهها الإمبراطورية. راجع قصة اخضارة ١ مج ٣ ص ٣٣٧.

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٢٩٨.

(٥) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ٢١ / ١٧٨.

(٦) د / أسدرستم: الروم ١١ / ٣٥.

أما المرسوم الثاني فكان في عام ٢٥٨م ذلك أنه لما ظهر المرسوم الأول لم يكن له مفعول شديد، فأصدر "فاليريان" مرسوما ثانياً أشد ضراوة وقسوة، ففيه يأمر بأن كل رجل دين مسيحي لا يذعن لأمر الإمبراطور يجب أن يقتل ويجرد رجال مجلس الشيوخ والفرسان من رتبهم، وتنفي السيدات الشريفات وتصادر أملاكهن، ويرسل عمال القصور الملكية إلى معسكرات العمل الشاق^(١)، وقد لقي المسيحيون في عهد هذا الإمبراطور كثيراً من ألوان التعذيب، فبعضهم قطعت رؤوسهم وبعضهم أحرق، وبعضهم ألقي بهم إلى قمائن الجير المشتعلة^(٢)، وما يذكر أن بعض المسيحيين ارتدوا عن دينهم جهاراً حفاظاً على حياتهم^(٣).

وبعد هذا الإمبراطور توقف الاضطهاد بعض الوقت وذلك حينما اعتلى العرش "جالينوس" (٢٦٠ - ٢٦٨)م وأصدر أول مرسوم يقضي بالتسامح الديني، اعترف فيه بأن المسيحية من الأديان المسموح بها، وأمر أن يرد إلى المسيحيين ما صودر من أملاكهم، وحدثت اضطهادات خفية في السنين الأربعين التالية، وكانت هذه السنوات في معظمها سنى هدوء وراحة^(٤)، ولكن سرعان ما بدأ الاضطهاد الأكبر وهو اضطهاد "دقلديانوس".

[٩] اضطهاد دقلديانوس:

ولد هذا الإمبراطور عام ٢٤٥م واعتلى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م، وفي عام ٣٠٥م اعتزل الحكم ومات عام ٣١٦م.

وقد قام بإصلاحات كثيرة في الإمبراطورية كلها، ولذلك اعتبره المؤرخون من أعظم الحكام الرومانيين^(٥)... وكان من أهم إصلاحاته أنه أدرك أن الإمبراطورية متزامية الأطراف، وأنه من الصعب أن يستطيع حاكم واحد أن يقوم بحمايتها،

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [١٧٨/٢].

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) د/ جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٥٨.

(٤) قصة الحضارة لمج ٣ ج ٣ ص ١٣٧٨.

(٥) المرجع السابق ص ٣٥٩، راجع أيضاً فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى ص ٢.

ولذلك قرر في عام ٢٩٣م توزيع السلطة على أربعة.. وبذلك خلق النظام المسمى بالسلطة الرباعية - ويكون ذلك بتقسيم الإمبراطورية إلى قسمين :

(١) ولايات الشرق ولها دقلديانوس "إمبراطور" ومعه جاليريوس قيصر."

(٢) ولايات الغرب ولها ماكسيميانوس الإمبراطور الشريك "لدقلديانوس ومعه قسطنطيوس - والد الإمبراطور قسطنطين الأكبر - وكان دقلديانوس الإمبراطور الأعلى للجميع^(١).

أما بالنسبة لاضطهاد "دقلديانوس" للمسيحيين، فلم يكن مصاحبا لوقت توليه العرش، ولكنه تأخر بعض الوقت، فقد كان في بداية حكمه متسامحا مع المسيحيين بدرجة كبيرة، وبدا - في أول عصره - أن ملكيته قدر لها أن تعزز الأمن والسلام في الدين والسياسة على السواء^(٢). فلم يظهر عداؤه للدين في أوائل حكمه^(٣)، ولقد قدر بعض الباحثين هذه الفترة بعشرين عام تقريبا^(٤). وبعدها انقلب "دقلديانوس" ضد المسيحيين وأذاقهم ألوانا من التعذيب والاضطهاد.

وقد اختلف المؤرخون والمحللون لأحداث التاريخ اختلافا كبيرا حول أسباب اضطهاد "دقلديانوس" للمسيحيين.

البعض منهم يتهم دقلديانوس: بأنه هو الذي قام بهذا الاضطهاد حفاظا على الوحدة السياسية والدينية للإمبراطورية. "وقد اضطهد المسيحيين لأنه وجدهم منصرفين عن عبادة الإمبراطور. وهو أمر رأي فيه تهديدا لسلامة الإمبراطورية وأمنها^(٥)"، ويستدلون على ذلك بأنه "وضع مبدأ جديدا لزيادة الصفة المقدسة

(١) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٣٠. راجع أيضا د/إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٤٨.

(٢) قصة الحضارة [مج ٣ ج ٢ ص ١٣٧٨.

(٣) محمد عبد الرحيم مصطفى: انتم اليونانية والرومانية والإسلامية ص ١٠٩.

(٤) د/ مصطفى العبادي: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٩٣.

(٥) رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٥٩.

لشخص الإمبراطور وأطلق على نفسه لقب "جيوفوس" ومعناه ممثل جوبيتر كبير الآلهة على الأرض^(١)، وأنه فعل ذلك لأنه رأى أنه لا يمكن إحياء الإمبراطورية عسكريا بدون إحياء العقائد الوثنية التي قامت عليها خاصة وأن الانحراف عن الوثنية كان معناه في نظر المسؤولين عن الإمبراطورية التباهي بعدم الإخلاص وعدم الموالاة^(٢)، ولذلك نظر الرومان الوثنيون إلى خلايا المسيحية على أنها عناصر هدامة مخربة تريد هدم التراث الديني والمجد الروماني العريق لتقيم على حطامه ديانة أخرى غريبة^(٣).

"وبناء على ذلك قرر "دقلديانوس" تصفية المسيحيين خاصة بعد أن تسللت ديانتهم إلى داخل الجيش الروماني وداخل أجهزة الدولة الإدارية ..

وقد علل هؤلاء العلماء تأخير "دقلديانوس" في اضطهاد المسيحيين بأنه أجله إلى ما بعد الانتهاء من باقي إصلاحاته وبعد انتصاره على الفرس خاصة وأنه اعتبر عملية تصفية المسيحية جزءا مكملًا لمخططة العام بإحياء المجد الروماني المترنح"^(٤)،

أو أنه أجل اضطهاد المسيحيين لأنه جرب أولا الوسائل السلمية - كما يرى بعض المؤرخين - في حل مشكلة الانقسام الديني في الإمبراطورية^(٥)، فلم تنفع ولم تجد ويش من نفعها، ولذلك استخدم أسلوب الاضطهاد على غرار الأباطرة السابقين، أما شدة هذا الاضطهاد فيعلل بأنه رغب في إعادة الوحدة والنظام داخل البلاد بمثل الشدة التي أعاد بها هيبة الإمبراطورية خارج البلاد.

أما البعض الآخر من المؤرخين: فيرون أن "دقلديانوس" لم يكن هو صاحب فكرة اضطهاد المسيحيين وإنما انساق وراء "جاليريوس" شريكه ونائبه في حكم ولايات الشرق الذي كان يغلي غيظا وحقدًا على المسيحيين.

(١) د/ مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٩٣.

(٢) أندريه إيمار : تاريخ الحضارات العام . [المجلد الثاني الخاص بروما وإمبراطوريتها] ص ٥٦٠.

(٣) د/ سيد أحمد الناصري : تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٠.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٥) د/ مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٩٣.

"فلقد رأي بعض المؤرخين أن "جاليريوس" نائب "دقلديانوس" في الشرق هو الذي أوغر صدره ضد المسيحيين وأوعز إليه أن مشاكل الإمبراطورية يمكن أن تحل إذا سحقتم المسيحية"^(١).

يقول ول ديورانت: "إن جاليريوس كان يرى أن المسيحية هي آخر العقبات القائمة في سبيل السلطة المطلقة. فأخذ يحرض رئيسه "دقلديانوس" على أن يجعل العودة إلى العهود الرومانية السابقة عودة كاملة وذلك بإرجاع الآلهة الرومانية إلى منزلتها القديمة، تردد "دقلديانوس" في الأخذ بهذه المشورة لأنه كان عازفاً عن ركوب أخطاء لا موجب لها ولأنه كان أكثر من "جاليريوس" تقديراً لثقل العبء"^(٢)، ولكن تطور الأمور بعد ذلك جعله يقبل هذا الأمر ويصدر قراراته بالاضطهاد.

وهذا يعني أن "دقلديانوس" - في نظر هؤلاء المؤرخين - لم يكن الداعي إلى هذا الاضطهاد الكبير. ولم يكن صاحب فكرته الأولى، وإن كان هو الذي أمر به فإنما فعل ذلك على مضض شديد منه وتحت ضغط شديد من القيصر جاليريوس"^(٣).

والتعليل الأول مبني على تعليقات وجيهة، فهو يتفق مع تطلع "دقلديانوس" لإصلاح الإمبراطورية. وتطلعه لإعادة المهابة والقداسة إلى الديانات الرومانية وإلى منصب الإمبراطور الذي يحكم الإمبراطورية. لذلك أضاف إلى نفسه من القداسة ما يتفق مع ذلك، فأعلن أنه يمثل الرب "جوبيتر" كبير الأرباب على الأرض من أجل إعادة مجد الإمبراطورية.

بدء اضطهاد "دقلديانوس" للمسيحيين:

بدأت عملية الاضطهاد - في عصر هذا الإمبراطور - سنة ٢٩٩م، وذلك أثناء تقديم القرابين.

يقول ول ديورانت: "في يوم من أيام القريان في الإمبراطورية حدث أن رسم المسيحيون علامة الصليب ليتقوا شر الشياطين الخبيثة، ولما أن عجز العرافون عن أن

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢/ ١٠ - ١١).

(٢) قصة الحضارة (١) مج ٣ ص ٣٧٨.

(٣) إدريس بل: البهليونية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ١٣٩.

يجدوا في أكباد الحيوانات المذبوحة العلامات التي كانوا يرجون تفسيرها ألقوا الذنب على وجود أشخاص كفار مسيحيين^(١)، "وأعلنوا أن الآلهة تضيق بكفر المسيحيين وتأبى من أجل هذا أن تكشف عن أنباء الغيب المحجب"^(٢)، عندئذ غضب "دقلديانوس" وأصدر أمرا أن يقرب جميع الحاضرين القرايين لآلهة الإمبراطورية القديمة ابتداء من زوجته حتى أصغر حراسه ومن يخالف أمره يجلد^(٣)، وأن يمثل جميع جنود الجيش هذا الأمر أو يفصلوا من الخدمة^(٤).

قرارات الاضطهاد في عصر دقلديانوس :

ثم صدر القرار الإمبراطوري الأول الخاص باضطهاد المسيحيين وذلك في فبراير سنة ٣٠٣م ويتضمن: تدمير الكنائس المسيحية وتسويتها بالأرض، وحرق الأناجيل أو جمعها من الناس وتحريم القيام بأي صلوات أو شعائر مسيحية^(٥) ... وجاء فيه أيضا :

أن من يرفض تقديم القرايين للآلهة الوثنية سيحرق حيا^(٦)، ويحرم المسيحيون من جميع المناصب العامة ويعاقب بالإعدام من يضبط منهم في أي اجتماع ديني، وبدأت كتيبة من الجند تنفيذ هذه القرارات، فأحرقت كنيسة نيقيوميديا وتدميرها عن آخرها^(٧).

وعقب صدور هذا القرار حدث أن ثار أحد المسيحيين عليه ومزق إحدى الملصقات الخاصة به، فقام الحرس بالقبض عليه وعذب وأحرق جسده حتى الموت، وزاد الأمر سوءا أن أضرم النار مرتين على مدى اسبوعين في قصر الإمبراطور

(١) قصة الحضارة [مج ٣ ج ٣ ص ١٣٧٨].

(٢) د/ توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الديني ص ٤٠.

(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥١.

(٤) قصة الحضارة [مج ٣ ج ٣ ص ١٣٧٩].

(٥) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٢.

(٦) د/ إسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥١.

(٧) قصة الحضارة [مج ٣ ج ٣ ص ١٣٧٩].

"دقلديانوس" الذي فزع فزعاً شديداً لأن واحدة من هذه الحرائق التهمت حجرة نومه^(١)، وبالطبع وجهت أصابع الاتهام إلى عدد كبير من المسيحيين، لأن الحرائق نشبت في أعقاب القرار الأول الخاص بهدم الكنائس... وأن المسيحيين ارتبطوا بفكرة إشعال الحرائق منذ حريق روما عام ٦٤ م^(٢).. وقد ألقت السلطات القبض على عدد كبير من المسيحيين وسجنوا وعذبوا ومات عدد كبير منهم.

ثم صدر القرار الثاني: بالقبض على القسس والكهنة المسيحيين وزجهم في غيابات السجون^(٣).. ولما امتلأت السجون بهم ولم يعد هناك مكان لهم أصدر قراره الثالث في مطلع عام ٣٠٤. وكان ذلك في أثناء مرضه.. وهو يقضي بالعفو عن المسجونين المسيحيين إذا ما قبلوا تقديم الأضاحي إلى الآلهة الرومانية، أما الذين يرفضون فينفذ فيهم حكم الإعدام^(٤).

ثم صدر قرار رابع يفرض فيه على جميع المسيحيين من عامة الشعب أن يقدموا الذبائح للإمبراطور، وحينئذ نزل الاضطهاد بكل قوته على الجميع ولم يستثن أحد من الرجال أو النساء أو الأطفال^(٥).

وطبقت هذه القرارات في جميع بلاد الإمبراطورية، ولكن بدرجات متفاوتة، وكان تطبيقها في مصر بدرجة كبيرة وقسوة شديدة وكانت المحنة قاسية^(٦). ونظراً لكثرة الذين قتلوا في هذا الاضطهاد من المصريين جعلت الكنيسة القبطية تقويمها مبتدئاً من عام ٢٨٤ م وهو العام الذي ارتقى فيه "دقلديانوس" عرش الإمبراطورية^(٧).

(١) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥١.

(٢) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٢.

(٣) حبيب سعيد: فجر المسيحية ص ١١٣.

(٤) المرجع السابق ص ١١٣، ١١٤.

(٥) جون لو ريمر: تاريخ الكنيسة (٢/ ١١٢).

(٦) يعقوب نخلة: تاريخ الأمة القبطية ص ٢٥.

(٧) إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية (١/ ١٢٧).

ولقد بالغ الكتاب المسيحيون كثيرا في وصف ألوان التعذيب والاضطهاد الذي وقع على المسيحيين سواء في مصر أو في غيرها "فالأرقام التي وردت في كتب المسيحيين مبالغ فيها"^(١) ولذلك يجب أن نتناولها بالحذر^(٢).

وكذلك أيضا الروايات التي رويت في تفاصيل أنواع العذاب مبالغ فيها، ولا نريد أن نخوض في بيان هذه الروايات التي مضمونها وصف أنواع التعذيب سواء بالجلد أو بالإلقاء في النيران، أو كشط الأجساد أو الغرق أو الصلب إلى آخره^(٣).

وأخيرا يمكن القول إن اضطهاد "دقلديانوس" أشد ما ابتليت به الكنيسة وأعظم اضطهاد وقع عليها بعد نيرون.

[١٠] اضطهاد جاليريوس وماكسيمينوس :

بعد أن مرض "دقلديانوس" اعتزل الحكم في شهر مايو سنة ٣٠٥م، وفي اليوم ذاته أعلن "ماكسيميانوس" اعتزاله الحكم أيضا وفاء لعهد قطعه على نفسه أمام "دقلديانوس" أن يغادر الحكم معه في وقت واحد حتى يعطيا الفرصة للنظام الذي أقاماه ليشبث نفسه بدونهما، حيثُذ عيّن "قسطنطيوس" إمبراطورا في الغرب و "جاليريوس" إمبراطورا في الشرق، واختار "قسطنطيوس فلافيوس" "فاليريوس سيفيروس" ليشغل منصب نائبه، كما اختار "جاليريوس" ابن شقيقه "ماكسيمينوس"^(٤).

وبعد أن أصبح "جاليريوس" إمبراطورا شجع الاضطهاد في الشرق بجميع وسائل التشجيع، فزاد عدد المضطهدين والمعتدين حتى الموت في كل جزء من أجزاء الإمبراطورية عدا غالة وبريطانيا حيث اكتفى "قسطنطيوس" بإحراق عدد قليل من الكنائس^(٥).

(١) فلقد قدر بعض المسيحيين القتلى في هذا الاضطهاد بنحو مائة وأربعة وأربعين ألفا، وبعضهم قال ثمانمائة ألف. لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية ص ١٠٦، وبعضهم قال: إن عدد الذين قتلوا في هذا الاضطهاد يبلغ المليون، تاريخ الأقباط ١١ / ١١٠.

(٢) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥٢.

(٣) راجع: يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٠٠، قصة الكنيسة القبطية ١١ / ١٢٠.

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٣.

(٥) قصة الحضارة لمج ٣ ج ٣ ص ١٣٨٠.

"وقد جرب" جاليريوس" جميع ألوان الاضطهاد والتعذيب وهلك بسببه كثير من المسيحيين وقاسى عدد آخر يخطئه الحصر ألوانا مختلفة وارتد الآلاف من المسيحيين عن دينهم^(١).. وأصدر أمرا في عام ٣٠٨م يقضي بمواصلة اضطهاد المسيحيين في غير هوداة ولا رحمة^(٢)

وكان هذا الاضطهاد شديدا وقد عاون "جاليريوس" في اضطهاده هذا "ماكسيمينوس" نائبه،

فكان ما كسيمينوس يصدر أحكامه ضد المسيحيين ابتداء من التشويه والتمثيل بهم إلى الأعمال الشاقة في المناجم والمحاجر، ووصلت به الشراسة حدا أنه كان يقتل النساء والأطفال والشيوخ الذين يرفضون تقديم الأضاحي للآلهة الوثنية ويتخلون عن العقيدة الجديدة، بل حاول إنشاء كنيسة وثنية على نفس التنظيم الكهنوتي الذي قامت عليه المسيحية، وعن طريق إحياء المعابد القديمة وبناء معابد كبرى جديدة للآلهة الوثنية^(٣).

ثم توقف الاضطهاد بعد ذلك في عام ٣١١م حين أصيب "جاليريوس" بمرض خبيث وأصدر قرار التسامح الديني والذي بمقتضاه سمح للمسيحيين بممارسة شعائهم وفتح كنائسهم في كل أرجاء الإمبراطورية بشرط أن يذكر الإمبراطور والإمبراطورية في الصلوات بالخير ويكللها بالدعاء^(٤)، ثم أعلن بعد ذلك "قسطنطين" مرسوما أبرم في ميلان سنة ٣١٣م وفيه أعلن مبدأ التسامح العام.

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٤٨٠).

(٢) تاريخ الأقباط ١ / ١١٠ / ١.

(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٦٠.

(٤) راجع نص القرار في : تاريخ الكنيسة ٢ / ١١٦.

الاضطهاد عامل من عوامل التأثير:

لقد عانت النصرانية كثيرا من الويلات الشديدة والآلام الكثيرة في هذا الاضطهاد الذي استمر الثلاثة قرون الأولى للديانة، ولقى النصارى خلالها صنوفا من الاضطهادات المدمرة..

ولقد أثرت هذه الاضطهادات تأثيرا كبيرا على الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام مما صح معه أن تكون عاملا من عوامل التأثير بغيرها وذلك على النحو التالي:

أولا: قتل عدد كبير من أنمة النصارى نتيجة للاضطهاد:

إن أي دعوة من الدعوات تحتاج إلى من يحملها ليلبغها إلى غيره، وتتوقف صحة أفكار الدعاة الأولين على مدى ارتباطهم بالداعي الأول، فكلما كان الداعي قريبا من المعلم الأول ومعاصرا له وفي زمانه ومن تلامذته، كلما كانت أفكاره أقرب إلى مطابقتها لأفكار الداعية الأول، وكلما كان قريبا من المورد الأساسي كلما كانت تعاليمه أنقى وأصفى.

ولا شك أن تلاميذ وأصحاب الرسل عليهم معول كبير في حمل أمانة نشر الدعوة وتبليغها لمن بعدهم، ولكن إذا قتل هؤلاء الأصحاب في فترة وجيزة بعد انتهاء حياة الرسول وفي ظروف ملبدة بالغيوم والسحب، وفي ظروف اضطهاد لا يستطيع معها أن يبلغ هؤلاء الرسالة إلى الناس، أو يحملونها لمن يقم بنشرها بين الناس، فإن ذلك يكون له أثر كبير على الديانة نفسها، خاصة إذا كان عدد التلاميذ، أو عدد الذين اتبعوا الرسول في حياته محدودا وقليلًا وهذا ما حدث بالنسبة لديانة المسيح عليه السلام.

لقد بعث الله سيدنا عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل ليلبغهم شرع الله الصحيح وكانت فترة دعوته وجيزة - على أرجح الأقوال ثلاث سنوات - البعض قال

إنها بضعة أشهر والبعض قال إنها بضعة أسابيع'''... وفي خلال هذه المدة القصيرة علّم المسيح بعض اليهود الذين آمنوا به الشرع الذي جاء به من عند الله. واختار بعض أصحابه منهم وجعل حمل الرسالة وتبليغها منوطا بهم ..

وفي الحقيقة أنه يمكن القول إنه في خلال مدة قصيرة كهذه يصعب أن يكون له أتباع كثيرون قد فهموا كل شرائع الديانة وحفظوا كل ما فيها من نصوص تدل عليها.

على أن الذين آمنوا بالمسيح لم يكن الجو مهينا لهم لأن يعلموا الناس ما ورثوه عن المسيح عليه السلام، فلقد اضطهد اليهود المسيح نفسه، ولم ينقطع الاضطهاد بعده بل امتد إلى أتباعه الذين نزل عليهم من البلايا والكوارث ما تقشعر منه الأبدان، ففي وسط هذا الجو لم يستطع أتباع المسيح الحقيقيون أن يبلغوا الشرع السماوي ويعلموه للناس.

والأنجيل المسيحية التي يؤمن بها المسيحيون الآن تذكر أن المسيح عليه السلام اختار اثني عشر تلميذا من تلامذته ليبلغوا دعوته وينشروا رسالته وسط اليهود .. يقول متى: "ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض، وكل ضعف.

وأما أسماء الاثني عشر رسولا فهي هذه الأول سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه، يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه، فيلبس وبرثولماس، توما، ومتى العشار، يعقوب بن حلفي. ولبّاس الملقب تداوس، سمعان القانوي ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه .. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أُمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالخرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه اقترب ملكوت الله"^(١)، ثم انتخب متياس خلفا ليهوذا الاسخريوطي^(٢)

(١) شارل جيتير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٣ ..

(٢) متى : ١٠ : ٧.

(٣) أعمال : ١ : ٢٦.

وعلى فرض التسليم بصحة هذا النص^(١)، فإننا لو نظرنا في تاريخ هؤلاء لوجدنا أنهم جميعا قتلوا أو صلبوا أو عذبوا بسبب هذا الاضطهاد، وهذا يدل - أو يمكن اعتباره علامة - على الجو الذي عاشه الأتباع الحقيقيون الذين لم نعرف لهم خبرا.

وعموم القول إن الاثنى عشر الذين ذكروا في الأناجيل الحالية نزل بهم كثير من ألوان التعذيب والاضطهاد، حتى وصل الأمر بأغلبهم إلى القتل أو الصلب، ويكفى أن نشير إلى ذلك.

فلقد قتل بطرس ذلك أنه قبض عليه في رومية وحكم عليه بالصلب منكسا^(٢)، وكذلك أيضا عذب أندراوس عذابا شديدا ثم صلب^(٣).. ولقد طرح "يعقوب الصغير"^(٤) من أعلى الهيكل ثم أجهز عليه ورجم حتى الموت^(٥).

وبالنسبة ليعقوب بن زبدي أخو يوحنا نجد أنه قبض عليه في أورشليم وقطع رأسه بالسيف^(٦)، ولقد عذب فيلبس عذابا ألما وصلب منكسا أيضا^(٧).

وبالنسبة لبرثولماس نجد أنه صلب وسلخ جلده وقطع رأسه وألقي في البحر^(٨)، ولقد قتل "توما" طعنا بالحرا^(٩)، وضرب "متى" ضربا مبرحا حتى الموت^(١٠)، وقتل "لباوس"^(١١) و "سمعان"^(١٢) ورجم "متياس" حتى الموت^(١٣).

(١) راجع الفصل الثاني من هذا الباب وفيه الحديث عن عدم قدسية الأناجيل المسيحية.

(٢) لبيان ذلك راجع هليز: مجمل تاريخ العالم ص ٢٠٤، كتاب السنكسار (وهو كتاب سير القديسين المسيحيين وأخبارهم ٣٩٥/٢).

(٣) تاريخ الأقباط ١/ ٨٣.

(٤) وهو يعقوب حلفى أخو "متى" سمي بـيعقوب الصغير تمييزا له عن يعقوب بن زبدي أخو يوحنا. تاريخ الأقباط ١/ ١٧٨.

(٥) فولتون شين: حياة المسيح دراسة وتأمل ص ٢٢٠.

(٦) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٧٨، كتاب السنكسار ١٥٩/٢.

(٧) تاريخ الأقباط ١/ ٨١، ٨٢.

(٨) المرجع السابق ١/ ٨٢.

(٩) المرجع السابق ١/ ٨٤.

(١٠) المرجع السابق ص ٧٦.

(١١) المرجع السابق ص ٨١.

(١٢) المرجع السابق ص ٨٢.

(١٣) المرجع السابق ص ٨١.

وهكذا نرى أن هؤلاء الذين ذكروا في الأناجيل المسيحية على أنهم تلاميذ المسيح عليه السلام قد قتلوا جميعا تقريبا بسبب الاضطهاد.

يقول الشيخ أبو زهرة: "فما تركوا عالما منهم بالديانة إلا قتلوه وكان الولاة يتفنون في طرق إبادة المسيحية من الوجود أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد إليها ويتوارث العلم بها"^(١).

وقتل هؤلاء في ظروف صعبة كهذه وبسبب الاضطهاد يجعلنا نتوقف قليلا لنسأل: هل استطاع تلاميذ المسيح الحقيقيون في مثل هذه الظروف أن يبلغوا الشرع السماوي الذي حملوه من عيسى عليه السلام ليبلغوه إلى غيرهم؟

ومن ناحية أخرى: هل استطاع أناس أن يحفظوا هذا الشرع السماوي من الأتباع الحقيقيين في مثل هذه الظروف الصعبة؟ خاصة وأن الأتباع الحقيقيين كانوا أقلية ما زالوا في دور التكوين ولا يستطيعون أن يردوا عن أنفسهم أي عدوان أو يحموا المنتسبين إليهم من أي اضطهاد أو تعذيب.

إنه يمكن القول: إنه من المحتمل أن بعض الناس قد تلقوا بعض الشرع من التلاميذ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إنهم تلقوا الشرع السماوي كاملا، لأن ظروف الاضطهاد - خاصة وأن المضطهدين كانوا يتبعون هؤلاء ويمنعوهم من الاجتماعات حتى لأداء العبادة - منعت الكثيرين من أن يجلسوا إلى التلاميذ ليتعلموا منهم كل ما نزل على المسيح عليه السلام، إنه من المحتمل أن البعض قد تلقى بعض الشرائع، ولكن هذا البعض لم يجد الميثاق الطيب والأرض الصالحة للنمو وذلك لأن الداخلين في هذه الديانة دخلوا وعقولهم وقلوبهم مليئة بالعقائد الوثنية فمزجوا بين عقائدهم وبين هذا البعض، وما زال هؤلاء ومن بعدهم يبعدون شيئا فشيئا حتى اكتمل البعد تماما عن ديانة المسيح عليه السلام وأصبحت الديانة المسيحية بعيدة كل البعد عما جاء به المسيح عليه السلام.

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٠٧.

وهكذا يتبين لنا مدى الأثر الذي أحدثه الاضطهاد على ديانة المسيح عليه السلام.

ثانياً: ضياع الإنجيل الصحيح:

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى أنزل على عيسى عليه السلام كتاباً سماوياً يسمى "بالإنجيل" ..

ولكن أين هذا الإنجيل؟ الواقع أن هذا الإنجيل ليس واحداً من الأناجيل الموجودة حالياً بين المسيحيين، وإنما تنسب إلى كاتبها. فأين إنجيل المسيح عليه السلام؟

إن عيسى عليه السلام ترك لتلاميذه هذا الإنجيل الصحيح الذي نزل عليه من عند الله وعلمهم إياه، وهؤلاء التلاميذ ومن بعدهم تعرضوا لجميع أنواع الاضطهاد والتعذيب، ولقد شمل هذا الاضطهاد - كما بينا سابقاً - الأتباع والكتب وأماكن الاجتماع والعبادة، وهذا يعني أن الاضطهادات أثرت على ديانة المسيح عليه السلام فأدت إلى ضياع الإنجيل الصحيح. فكما أن النصرانية فقدت بسبب الاضطهاد العلماء الحافظين لهذه الديانة، فكذلك أيضاً فقدت بسببه إنجيل المسيح عليه السلام، فلقد التهمه الاضطهاد وقضى عليه.

وذلك لأن هذا الاضطهاد الذي دام إلى أوائل القرن الرابع الميلادي لم يترك عالماً بالديانة إلا وعذب، ولا كتاباً خاصاً بها إلا وأيد من الوجود، ولا مكاناً خاصاً للاجتماع وأداء العبادة إلا وقد سوي بالأرض.

في وسط هذا الاضطهاد: هل يمكن المحافظة على الكتب أو التحقق من صحتها؟ وهل يمكن إثبات سند متصل للأناجيل المسيحية؟ إنه في هذه الحالة يكون من الصعب فعلاً حماية الأصالة النقية، ويجعل الكتب التي رويت موضع شك في نسبتها إلى قائلها حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة.

وبذلك يمكن القول إن الاضطهادات أثرت على ديانة المسيح عليه السلام فأضاعت إنجيله الصحيح، وكذلك أيضاً لها أثرها على كتب المسيحية الحالية فأفقدتها الثقة حيث انقطعت النسبة بينها وبين من تنسب إليه.

ثالثاً: تشتت الأتباع خارج بلاد اليهود:

لقد كان من نتائج الاضطهاد - وبخاصة اضطهاد اليهود لأتباع المسيح - أن تشتت بعض المؤمنين بالنصرانية خارج بلاد فلسطين للتبشير بهذه الديانة بين اليهود

اليونانيين والوثنيين. وهذا الوضع لا شك له أثر كبير على الديانة النصرانية من جميع النواحي وكان له أثره في دخول أفكار وثنية في هذه الديانة :

(١) أول أثر لهذا التشتت أن بدأ الناس ينظرون إليهم نظرة مختلفة، فقد كان معروفا لدى الناس أن هذه الديانة ما هي إلا فرقة يهودية، وهم يعرفون أن اليهود لا يبشرون بدينهم بين غيرهم، ولا يقبلون غير جنسهم بينهم، فلما وجدوا أن أتباع النصرانية يبشرون بدينهم بين الوثنيين تغيرت نظرتهم إليهم وأصبحوا يعاملونهم معاملة تختلف عن معاملة اليهود ويتبين ذلك من أمرين :

الأمر الأول: أطلق عليهم الوثنيون الاسم الخاص بهم وهو ما يعرفون به الآن "المسيحيين" وكان هذا علامة تميزهم عن اليهود.

الأمر الثاني: اختلفت نظرة السلطة الحاكمة "الرومانية" إليهم ذلك أنهم كانوا يعاملونهم بتسامح شأنهم كشأن اليهود، ولما وجدوا أنهم افترقوا عن اليهود وتركوهم وعاداتهم تغيرت معاملتهم وأصبحوا ينظرون إليهم نظرة جديدة ويعاملونهم كجماعة دينية جديدة لا تخضع لأحكام القوانين العامة للإمبراطورية ولذلك نجد حلقات الاضطهاد متصلة وتحاصرهم من كل جانب وفي كل مكان.

(٢) أنه لو اقتصر الأمر على خروجهم من أورشليم بدينهم واكتساب الأتباع الجدد من اليهود فقط لكان الأمر عاديا، ولكن حين خرجوا لم يتركوا بلاد اليهود وحدها ولكنهم تركوا معها ديانة بني إسرائيل وشرائعها وعقائدها، وذلك لكي يجذبوا الناس إلى هذه الديانة الجديدة ولكي تروق في أعينهم. وهو أخطر ما يمكن على الديانة النصرانية إذ معناه: الانفصال عن ديانة جاء المسيح متعبدا بها وحافظا لشرعها، أو بمعنى أصح: إنهم بانفصالهم عن ديانة بني إسرائيل التي ما جاء المسيح ناقضا لها بعدوا عن ديانة المسيح عليه السلام، وهو ما يعني أن الاضطهاد الذي نتج عنه التشتت جاء بالوبال على ديانة المسيح عليه السلام، ليس لأنه هو السبب في قتل علماء الديانة وضياع الإنجيل فحسب. ولكنه أيضا صاحب المبادرة الأولي في خروج أتباع الديانة عن وجه الدين الصحيح .. هذا من ناحية ، ،

ومن ناحية أخرى: فإن هؤلاء الوثنيين الذين دخلوا في النصرانية لم يدخلوها بذهن خال، وإنما دخلوها بذهن مليئ بالخرافات والوثنيات، ولم يجدوا من يحو لهم من أذهانهم وعقولهم هذه الوثنيات، خاصة وأن العلماء قتلوا وأن الكتاب الأصلي أريد، والدعاة قد انفصلوا عن الديانة التي جاء المسيح متعبداً بها، ولذلك وجدوا أرضاً خصبة ليمزجوا أفكارهم ووثنياتهم بهذه الديانة التي دخلوا فيها، ولهذا نجد أن هؤلاء ساهموا بدور كبير في وضع عقائد هذه الديانة الجديدة .. وستزيد هذا الأمر وضوحاً في الفصل السادس من هذا الباب.

وعلى هذا يمكن القول إن بعض أتباع الديانة النصرانية رأوا أنهم في حاجة بسبب الاضطهاد إلى متنفس، فخرجوا من بلاد أورشليم إلى بلاد اليونان ولكن هذا المتنفس جاء إليهم بالأوباء والأمراض التي امتزجت بالديانة النصرانية.

رابعاً: زيادة اتجاه النصارى إلى السرية:

لقد ازداد اتجاه النصارى إلى السرية خوفاً من الاضطهاد، وهذه السرية كانت من أكبر الأمور التي تسربت الوثنيات من خلالها، ذلك أن الوثني كان يدخل النصرانية ويمزج عقائده بالمسيحية دون أن يجد من يصحح له المعتقد الصحيح، أو أنه يخاف أن يجهر بمعتقده خوفاً من الاضطهاد.

يقول د/ بركات دويدار: "استطاعت الأفكار الوثنية التي كانت موجودة في ذلك الحين أن تدخل المسيحية لتزيح غيرها من الأفكار الدينية الصحيحة، وساعدها على ذلك أن المسيحي ما كان يستطيع أن يميز بين ما هو مسيحي وما هو وثني وذلك خوفاً من الاضطهاد والتعذيب"^(١).



وهكذا يتبين لنا مما سبق أن النصرانية تعرضت لجميع أنواع الاضطهادات ووقع على أتباعها كثير من البلايا والكوارث التي أودت بحياة بعضهم وردة بعضهم

(١) د/ بركات دويدار : الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٤.

وإخفاء الباقيين لتدينهم، وذلك في خلال القرون الثلاثة الأولى، وكان لهذا الاضطهاد أكبر الأثر على النصرانية:

[١] فلقد قضى الاضطهاد على أتباع المسيح الحقيقيين واحتل مكانهم في القيادة والريادة أتباع جدد لم يعرفوا عقيدة المسيح الحقيقية.

[٢] أطلق عليهم اسم جديد من جراء هذا الاضطهاد وذلك بعد خروجهم من بلاد أورشليم إلى بلاد اليونان للتبشير بديانتهم وهناك أطلق الوثنيون عليهم اسم "المسيحيين" وهو لقب لم يطلق على المسيح ولا على أتباعه الحقيقيين في زمانه ولا بعد رفعه في الأيام الأولى وقت أن كانت الديانة نقية صافية بعيدة عن الاختلاط والامتزاج بالوثنية والوثنيين.

[٣] خرجوا من هذا الاضطهاد بأناجيل جديدة ليست هي إنجيل المسيح عليه السلام، كل إنجيل منسوب إلى واحد منهم ولم ينسب أي واحد منها للمسيح عليه السلام.

[٤] خرجوا من هذا الاضطهاد بتعاليم جديدة ليست هي التعاليم التي نادى بها المسيح عليه السلام.

وبهذا يتضح لنا أن الاضطهاد كان عاملاً كبيراً من عوامل تأثر النصرانية بغيرها.

الفصل الثانى

ضِياعُ إِنْجِيلِ
الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَعَدَمُ قَدْسِيَّةِ الْأَنْجِيلِ الْحَالِيَّةِ

ما هيبة الإنجيل الصحيح:

إن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى بني إسرائيل رسلاً يهدونهم إلى البر والصلاح والصراف المستقيم وجعل آخرهم عيسى بن مريم عليه السلام الذي أوحى إليه الإنجيل، وهو كتاب اشتمل على الحق المنزل عليه من السماء، فهو كتاب هداية ونور، وذلك لما فيه من دعوة الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك فهو موعظة للمتقين لأنهم هم الذين يهتدون بهدأته" وهو مصدق للتوراة ومحبي لشريعته ومؤيد للصحيح منها وهو مبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد"^(١). ولقد فصلنا القول عن هذا الإنجيل في المدخل العام لهذا الكتاب.

فالإنجيل الحق هو الذي نطق به عيسى. وهو كتاب واحد لا تعدد فيه ولا اختلاف، وهناك أدلة في كتب المسيحية الحالية تدل أن المسيح عليه السلام كان معه إنجيل يبشر به ويدعو الناس إليه.

ففي إنجيل متى" وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملوك"^(٢) وبشارة الملوك هي ترجمة كلمة إنجيل باليونانية"^(٣).

وفي إنجيل متى أيضاً: "أن امرأة جاءت إلى المسيح في بيت سمعان وسكبت على رأسه قارورة طيب كثيرة الثمن، فقال المسيح لمن معه: "الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكراً لها"^(٤).

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٥.

(٢) متى ٤: ٢٣.

(٣) محاضرات في النصرانية ص ١٥.

(٤) متى ٢٦: ١٣، راجع أيضاً مرقس ١٤: ٩.

وفي إنجيل مرقس: "وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"^(١).

وجاء أيضا: "من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها"^(٢).

وحينما قال بطرس للمسيح إنا قد تركنا كل شئ وتبعناك رد عليه المسيح: "لم يترك أحد منكم شيئا لأجلي ولأجل الإنجيل"^(٣).

وجاء أيضا قول المسيح لتلاميذه: "ينبغي أن يكرز أولا بالإنجيل"^(٤).

وكذلك جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: "فإن الله الذي أعبدته بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم"^(٥).

يتبين من هذا أن المسيح جاء إلى أصحابه بإنجيل من عند الله وأنه كان يدعوهم إلى الإيمان به والتبشير به ...

ولا شك أن الإنجيل المذكور في الفقرات السابقة ليس واحدا من أناجيل المسيحيين الحالية لأنها لا تضاف إلا إلى أصحابها باتفاق المسيحيين، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل. كما جاء في عبارة متى التي أشرنا إليها - ولم يكن واحدا من هذه الأناجيل قد وجد في عهده باتفاق، وليس من المعقول أن يعظ المسيح بأقوال تلاميذه وهم بعد لا يزالون في دور التعليم ولأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على أنه كان قائما في عهد المسيح عليه السلام، ولأنه ذكر من غير نسبة - كما في الفقرات التي نقلناها من إنجيل مرقس - وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه، ولأنه ذكر في رسالة بولس إلى أهل رومية منسوباً إلى المسيح الابن، وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم"^(٦).

(١) مرقس ١ : ١٥ .

(٢) مرقس ٨ : ٣٥ .

(٣) مرقس ١٠ : ٢٨ - ٢٩ .

(٤) مرقس ١٣ : ١٠ .

(٥) رومية ١ : ٩ .

(٦) محاضرات في النصرانية ص ٦٦ .

وعلى هذا فإنجيل المسيح ليس واحداً من هذه الأناجيل كما تقضي بذلك طبيعة السياق وكما يقضي بذلك العقل والمنطق.

اليهود وضياع الإنجيل الصحيح.

في الواقع أنه لا يوجد هذا الإنجيل الصحيح وإنما فقد وضاع بسبب الاضطهاد، ذلك لأنه كان في البداية في ذاكرة المؤمنين الحقيقيين بالمسيح ولم يكن مكتوباً.

يقول اسبيروجور: "إن المسيح لم يترك أي أثر كتابي".^(١)

وحين اشتد الاضطهاد على التلاميذ لم يستطيعوا أيضاً أن يكتبوا هذا الإنجيل أو يعلموه لكثيرين من أتباعهم، وبارتحال الجيل الأول من تلاميذ المسيح ارتحل معهم هذا الإنجيل ولم يبق منه شيء.

وفي هذا يقول (عز الدين المحمدي) في رده على أحد النصارى:

"أخبرني أيها المغرور، وأي ضمان عندكم على صدق رواة دينكم؟ وأي شهادة لكم على صدق أقوال مؤسس مذهبكم؟ أنتم تعلمون علم اليقين وتقرؤون مع الناس أجمعين أن عيسى بن مريم عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقاً، ولم يترك شيئاً مسطوراً من أقواله، ولم يكلف أحداً بجمع مقالاته، ولا أملي إنساناً شريعته، وإنما أحاديثه ومواظمه كانت كلها شفاهية لم تحصرها الدفاتر ولا سطرته الأقلام في زمن المسيح عليه السلام، ولا في زمن متقارب منه، لأن دينكم قد نشأ في الناصرة بين جماعة من صيادي الأسماك قليلي العدد. ولاختلاطهم باليهود واستيلاء الجهل عليهم لم يقدروا على كتابة شيء من أقوال المسيح عليه السلام. ثم بعد ذلك بمدة اشتغلتم بالمنازعات والمدافعات عن النصرانية، فلم تفتكروا أيضاً في تقرير شيء من أصل دينكم".^(٢)

ولقد كان لليهود دخل كبير في ضياع هذا الإنجيل وذلك لما يأتي:

(١) اسبيروجور: سر التدبير الإلهي (التجسد) ص ١٩.

(٢) عز الدين المحمدي: الفاصل بين الحق والباطل ص ٢٢.

{١} لأنهم هم الذين اضطهدوا أتباع المسيح في البداية، "ولا شك أن اضطهادهم أمكن وتفتيهم عن العقيدة أدخل لأنهم من الشعب ومخالطوهم ومعاشروهم فهم بداخلهم أعرف"^(١).

{٢} ولأن ضياع هذا الإنجيل واختفائه كان يهمهم في الدرجة الأولى بعد أن تخلصوا من المسيح عليه السلام، وذلك لما يشتمل عليه من عقائد وتعاليم تخالف أهواءهم وتفضح تحريفهم لعقائدهم وتوراتهم.

فلقد حرفوا التوراة^(٢) وحرفوا بعض عقائدها، إذ حرفوا عقيدتهم في الإله^(٣). و تصوروا الله في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل^(٤)، ووصفوه بما لا يليق فهو يتعب ويستريح^(٥) وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بذات الله تعالى.

هذا إلى جانب تحريفهم لعقيدة اليوم الآخر: ففرقة الصدوقيين^(٦) تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقي إنما يحصلان في حياتهم. وفرقة الفريسيين^(٧) تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في

(١) محاضرات في النصرانية ص ٣٥.

(٢) راجع سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٥٥، راجع أيضا: القرطبي: الإعلام بما في دين النصرى من الفساد والأوهام ص ١٨٨.

(٣) راجع: د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ١٨٠.

(٤) انظر مثلا تكوين ٣ : ٨ - ١٠ ووصفهم الله سبحانه وتعالى كأنه يسير في الجنة وأن لسيره صوتا وأنه كان لا يعرف مكان آدم. (راجع: د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٥)،

(٥) تكوين ٢ : ٣.

(٦) الصدوقيون: إحدى الفرق اليهودية الرئيسية التي كانت معاصرة للمسيح، وتنسب على أرجح الأقوال إلى صادوق الكاهن زميل أبياتاار الذي خدم في كهنته في عهد داود ٢ صموئيل ٨ : ١٧، ١٥ : ٢٤) وهم لا يعترفون إلا بالمعهد القديم فقط ويرفضون الأحاديث المنسوبة إلى موسى عليه السلام. (راجع: د/ فهم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٦ - ٣٥، قصة الحضارة مج ٣ ج ٣ ص ١٧٢)

(٧) الفريسيون: أهم الفرق اليهودية وأكثرها عددا في ماضي تاريخهم وحاضرهم. وكلمة "فريسي" تعني "منفصل" ولقد اختلف العلماء حول أصل وتفسير هذا المعنى، فظن بعضهم أنها تعني "الذين ينفصلون عن الناس". وقال آخرون إن فعل الكلمة لا يعني الانفصال بل يعني "التفسير" أي أنهم هم الذين يفسرون الكتاب المقدس أو التاموس. وسواء كان هذا المعنى أو ذاك فإن هذا الاسم واشتقاقه معناه لا يكشف عن أصل هذه الجماعة وقيامها وأعمالها (المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٩) وأهم مبادئها: أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود بل إن فقهاءهم هم الذين ألفوا التلمود (اليهودية واليهود ص ٩١)،

ملك المسيح - المخلص كما يعتقدون - الذي سيأتي في آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ، ويدخلهم جميعا في ديانة موسى ، أى أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا ، فالفرقتان الرئيسيتان في اليهودية - كما وضع - حرفت معتقد اليوم الآخر^(١).

وفى مجال الأخلاق اغرفوا عن القواعد الأخلاقية التي جاء بها موسى ، وأصبحت أخلاقهم تقوم على أساس الأنانية والحقد وحب الذات وعبادة المادة^(٢).

ولما جاء المسيح عليه السلام كان يصحح لهم مفاهيم العقيدة فى الإله ، ويوضح لهم حقيقة الحياة الآخرة ويبيان أنها الغاية السامية لهذه الحياة ، وكذلك أيضاً يصحح لهم نظرهم إلى الحياة الدنيا ومادياتها.

هذا إلى جانب أنه جاء يشرهم بسيدنا محمد ﷺ وأنه هو النبی الموعود الذى جاء ذكره فى توراة موسى عليه السلام ، وأنه هو الذى تكون رسالته عامة للناس أجمعين وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولكنهم بسبب هذا انزعجوا انزعاجا كبيرا لأنهم كانوا يتمنون أن يكون هذا النبی الموعود المبشر به من نسلهم وسلالتهم ، ولأنهم كانوا قد حرفوا البشارات الخاصة بالنبي محمد ﷺ فى التوراة.

هذه التعاليم كلها لم تعجب أهواءهم ولم ترق فى أعينهم فتقدموا المناوئة ومعاكسته .. ولنذكر مثالا لهذا من الأناجيل المسيحية الحالية :

ذلك أن الأناجيل تذكر إحدى محاورات الصدوقيين المنكرين لليوم الآخر مع المسيح فى عقيدة اليوم الآخر.

يقول متى : " فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسالوه قائلين يا معلم : قال موسى : إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقم نسلا لأخيه^(٣) : فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات ، وإذ لم يكن له نسل

(١) اليهودية اليهود ص ٣٥.

(٢) د / سعد الدين صالح : مشكلات فى العقيدة النصرانية ص ٤٧.

(٣) يشيرون بذلك إلى ما جاء فى سفر التثنية " إذا سكن أخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى ، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج ، والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحق اسمه من إسرائيل. (تثنية ٢٥ : ٦ ، ٥) .

ترك امرأته لأخيه وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ، ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة ، فإنها كانت للجميع ، فأجاب يسوع وقال لهم : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء . وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب^(١) ليس الله إله أموات بل إله أحياء فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه^(٢) .

ووجه استدلال المسيح لإثبات القيامة : أنه قال لهم : إن الله حى وهو إله لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وحيث إنه إله لهؤلاء فهم أحياء ، لأن الله لا يكون إلهاً للأموات ، وإذا كانوا هم أحياء فمعنى ذلك أنهم قاموا من الموت. وهذا دليل على القيامة.

وهكذا يتبين أن تصحيح المسيح للعقائد والتعاليم التى حرفوها من ديانة موسى عليه السلام لم تعجبهم ، ولذلك عملوا على معاكسته ومناوئته ، ولما لم تؤت هذه المناوئات ثمارها افتروا عليه عند السلطات الرومانية الحاكمة ، لإصدار حكم القبض عليه وإعدامه صلباً لولا أن الله نجاه من أيديهم ورفعهم إليه .

وبعد رفع المسيح لم تنته المعركة بالنسبة لليهود إذ أن الإنجيل الذى يفضحهم ويبين تحريفاتهم للتوراة ما زال موجوداً فى ذاكرة تلاميذ المسيح ، ولا بد فى نظرهم من اضطهاد هؤلاء الأتباع والقضاء عليهم حتى يتم ضياع الإنجيل الذى يقلقهم ويفضحهم ويشيع عنهم التحريف لو بقى ، لذلك علموا على ضياع هذا الإنجيل وإبادته من الوجود بطريق أو بآخر حتى لا ينكشف أمرهم وينفضح تحريفهم .

٣- الأمر الثالث وهو مهم أيضاً : ذلك أن المتأمل فى تاريخ الديانة النصرانية يجد أن الذين بدأوا التحريف فى هذه الديانة إنما هم بعض اليهود "كبولس" مثلاً ، أى أنهم ساهموا فى ضياع الإنجيل بوضع البديل الذى يحل محله ، وهذه ربما تكون خطة

(١) يشير المسيح بذلك إلى ما جاء فى سفر الخروج أن الله قال لموسى (أنا إله أبائك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب) خروج ٣ : ٦ .

(٢) متى ٢٢ : ٢٣ - ٣٣ .

اليهود الخبيثة فى ضياع الإنجيل ، ذلك أنهم وجدوا أن طريق الاضطهاد مع هؤلاء قد لا يجدى وحده ، لذلك عمل بعضهم على أن يتظاهر بالدخول فى هذه الديانة ، ليعبث بها من الداخل ، ويعمل على إنشاء إنجيل جديد بعقائد جديدة يستغنى به النصارى عن الإنجيل الصحيح ، وهذا ما حدث.

يقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية : " ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معى تيطس أيضاً ، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لثلاث أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً " (١).

وهذه العبارات تدل على أن إنجيل عيسى بن مريم عليه السلام قد حرفة اليهود عمداً وكتبوا بدله إنجيلاً آخر (٢) ، ولذلك نجد أن بولس يصرح فى مكان آخر بأن الإنجيل الجديد الذى يبشر به ليس هو الإنجيل الذى تركه المسيح من قبل رفعه إلى السموات ، بل هو إنجيل تلقاه بالهام من المسيح من بعد رفعه أى أنه لا يبشر بما ترك المسيح بل يدعى أنه يبشر بإنجيل ألهمه المسيح إياه (٣) يقول ما نصه :

" وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأننى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح " (٤)

وفهم من هذا أن اليهود لهم دخل كبير أيضاً فى ضياع الإنجيل من هذه الناحية وذلك بإنشاء غيره ليحل محله .. ويتضح من هذا كله أن الإنجيل الصحيح ضاع وأبيد من الوجود وأن اليهود هم الذين عملوا على ضياعه .

أثر ضياع الإنجيل الصحيح على ديانة المسيح عليه السلام :

لقد كان لضياع الإنجيل الصحيح أثر كبير على ديانة سيدنا عيسى عليه السلام ويتبين ذلك مما يأتى :

(١) غلاطية ٢ : ١ ، ٢ .

(٢) من تعليقات د/ أحمد السقا على كتاب الإمام الجوينى : شفاء الغليل ص ٦٨

(٣) المرجع السابق ص ٦٩ .

(٤) غلاطية ١ : ١١ ، ١٢ .

أولاً: سهولة تحريفها وتأثيرها بالمعتقدات الوثنية:

لقد كان لضياح هذا الإنجيل الصحيح أثر كبير فى خروج هذه الديانة من دائرتها السماوية المقدسة إلى دائرة ترتع فيها المعتقدات الوثنية وتجعل من عيسى بن مريم عليه السلام بطلاً أو إلهاً مقدساً على غرار الديانات الوثنية القائمة آنذاك، ونفذت الأهواء والأساطير وأخذت تنال من ديانة المسيح عليه السلام وصميمها، ولم تجد من يردّها بنص قاطع يسلم له الجميع ويقف عنده كل مفكر أو مجتهد أو مجدد، ويردع كل مبتدع أو مضل أو فاسق، ويكون ميزاناً للحق والباطل ومقياساً تقاس به الآراء ومرجعاً يرجع إليه المختلفون.

لذلك كثر الأدعياء والدخلاء، فكان فى مقدور أى شخص يدعى أنه من أتباع المسيح ويدخل فى الديانة ما يحلو له من معتقدات، ويدعى أنه يقول ما يقول بإلهام أو أن المسيح ظهر له أو أى شئ من هذا القبيل - ما دام لا يوجد نص سماوى يفرق بين الصحيح والفساد من المعتقدات.

يقول الدكتور / بركات دويدار: " والواقع أنه لا يوجد مصدر صحيح، فأخذ الدعاة من الوثنية عقائد، وأدخلوها فى المسيحية بدل أن يأخذوا من المسيحية للقضاء على الوثنية"^(١).

ثانياً: وجود الأناجيل الكثيرة:

ولقد كان لضياح الإنجيل الصحيح أثر فى وجود أناجيل كثيرة فى أوقات مختلفة، ذلك أن كل واحد كان يستطيع أن يكتب إنجيلاً ويدعى أنه هو الصحيح، وربما دعا بعض الناس إلى إنجيله حتى يصبحوا جماعة أو فرقة. ونتج عن هذا " أنه كان لكل فرقة إنجيلها أو أناجيلها الخاصة التى تعتمد عليها وتفعل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها أو بطلانها"^(٢)

(١) الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٦.

(٢) د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ٩٣.

"والحقيقة أنه عند وجود أصل متفق عليه يلتزم الجميع به وينصه ، ولكن عند فقد الأصل أو ضياعه فالنتيجة حدوث الاجتهادات والاختلافات"^(١). وهذا هو الذى حدث نتيجة لضياح الإنجيل . فلقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة^(٢)، بل إن البعض قدرها بالآلاف^(٣).

فكان ثم إنجيل ينسب لثى غير إنجيله المذكور فى العهد الجديد ، وإنجيل ينسب ليرنابا ، وإنجيل ينسب ليعقوب . وإنجيل ينسب لـ "توماس" - وهما اثنان من تلاميذ المسيح - ويقص هذان الإنجيلان أمورا أغفلتها الأناجيل الأربعة من تاريخ مريم وطفولة المسيح - وإنجيل ينسب للقديس نيكوديم (أحد رؤساء اليهود فى عهد المسيح وقد لقي المسيح وجرت له معه مناقشات فى الشئون الدينية فأمن برسالته وأظهر إيمانه بعد رفع المسيح) ، وإنجيل يقال له إنجيل السبعين وينسب إلى تلامس^(٤) هذا إلى جانب أنه كان هناك أناجيل أربعة تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية وهى إنجيل العبريين . وإنجيل الناصريين . وإنجيل الاثنى عشر ، وإنجيل الأيوبيين^(٥) ، وكان هناك إنجيل لبطرس وإنجيل المصريين وإنجيل نيقوديموس وغيرهم^(٦) ، وكان لكل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديسان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ، ولأصحاب مانى إنجيل على حدة يخالف أيضا الأناجيل السابقة^(٧) .. وأناجيل أخرى كثيرة ذكرتها دائرة المعارف الأمريكية وذكرت المراجع المسيحية أيضا نجيل القارئ بالرجوع إليها^(٨) - هذا إلى جانب الأناجيل والرسائل المعترف بها فى المسيحية الآن.

(١) د / السعيد طه : التشريع فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص ٥٨ (رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة).

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٣٩٢.

(٣) راجع : منى المسكين : التقليد ص ٨٦.

(٤) الأسفار المقدسة ص ٩٣.

(٥) راجع دائرة المعارف الأمريكية (١٣ / ٧٠ - ٧١) فلقد ذكرت الأناجيل المسيحية المرفوضة بالتفصيل

(راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٧).

(٦) جون لوريير : تاريخ الكنيسة (١ / ٨٤)

(٧) رحمت الله الهندي : إظهار الحق (١ / ١٩٢).

(٨) راجع : حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٣٥ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٢.

وهناك إشارة لكثرة الأناجيل المؤلفة فى الأناجيل المسيحية الحالية.

يقول لوقا: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتينة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس"^(١).

وهناك إشارة أخرى أيضا فى العهد الجديد الموجود حاليا بين المسيحيين إلى أن التحريف كان شائعا ومنتشرا أشد الانتشار وقت كتابة هذه الأناجيل^(٢) والتى من خلالها تم البعد عن مجرى ومضمون الإنجيل الصحيح.

يقول بولس: "إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح"^(٣).

ويقول: "ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضا فى ما يفتخرون به، لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ما كرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح"^(٤).

اختيار أناجيل ورسائل العهد الجديد وكيف تم الاختيار؟:

استقر رأى المسيحيين على اعتماد سبعة وعشرين سفرا وهى: الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، وأربع عشرة رسالة لبولس، ورسالتان لبطرس، وثلاث رسائل ليوحنا، ورسالة ليعقوب، ورسالة ليهوذا، ورؤيا يوحنا.

أما بالنسبة لتحديد الزمان والمكان والكيفية التى اكتسبت بها الأناجيل الأربعة والرسائل الصيغة القانونية، ومن ثم اعتبرت كتباً مقدسة، فإن أحدا من المسيحيين لا يدري عن هذا الموضوع شيئا ولا يملك علماؤهم إلا أن يقولوا: "ليس لدينا أى

(١) لوقا ١: ١-٤.

(٢) د/ محمد وصفى: المسيح والتثليث ص ٣٥.

(٣) غلاطية ١: ٦-٧.

(٤) ٢ كورنثوس ١١: ١٢، ١٣.

معرفة محددة بالنسبة للكيفية التى تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ولا بالمكان التى تقرر فيه ذلك^(١)

يقول جون لوريمر: " لم تصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التى اعتبرت بها الكتب المقدسة كتباً قانونية "^(٢)

أما بالنسبة لقانونية العهد الجديد كمجموعة فإن ذلك تم خلال القرن الرابع الميلادى " فلقد وقع خلاف فى أوائل القرن الرابع بسبب تحديد الأسفار المقدسة، فوضع البابا اثناسيوس^(٣) جدولا بالأسفار الموجودة بين المسيحيين الآن واعتبروها هى الأسفار الصحيحة "^(٤)

ولقد قبلت الكنيسة فى البداية عشرين كتاباً من كتب العهد الجديد وهى الأناجيل الأربعة، وثلاث عشرة رسالة لبولس، ورسالة بطرس الأولى، ورسالة يوحنا الأولى، وسفر الأعمال، أما السبعة الباقية وهى الرسالة إلى العبرانيين، ورسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، " فقد حدثت بخصوصها مناقشات والبعض ارتاب فيها لأن الخمسة الأولى منها لم يصرح فيها باسم الكاتب، والاثنين الآخرين كل منهما خطاب لشخص، وذلك يجعل صعوبة فى برهان صدق قانونيتها^(٥)... إلى أن تمت الموافقة عليها فى مجمع قرطاجنة الذى انعقد سنة ٣٩٧م، وهو أول مجمع صدق على المجموعة الكاملة لأسفار العهد الجديد، ولم يصدق نهائياً مجمع الكنائس الشرقية على قانونية هذه الأسفار إلا فى سنة ٦٩٢م "^(٦).

(١) دائرة المعارف البريطانية (٢ / ٥١٤) راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٥.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ١٥٢)

(٣) وهو بطريرك الإسكندرية الذى كان له الأثر فى تقرير عقيدة الثالوث فى مجمع نيقية. وقد ولد عام ٢٩٦م بمدينة الإسكندرية من والدين وثنيين ودخل المسيحية وهو فى بداية سن الشباب ثم بعد ذلك أصبح من رجال الكنيسة ثم بطريركاً لكنيسة الإسكندرية حتى توفى عام ٣٧٣م. راجع مزيد من المعلومات: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٦.

(٤) المرجع السابق ص ١٣٩

(٥) راجع: د / فهم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ١٥٤. علم اللاهوت النظامى ص ٩٨.

(٦) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٢٨.

ويجب أن نضع فى الاعتبار حقائق عن هذا الاختيار:

أولاً: أن هذه الأناجيل لم توجد فى القرون الأولى، ولم تكن هى أساس الاعتقاد وأن المسيحيين الأولين ماتوا قبل كتابة سطر واحد من هذه الأناجيل، وأن الكنيسة هى التى اختارت هذه الأناجيل، لذلك يقول كالتوف: إن صورة المسيح بكل معالمها وملاحمها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل^(١)

ويقول د/ براون: إن الجيل الأول من المسيحيين عاش حياة الإيمان قبل أن يكون الكتاب المقدس ما عدا العهد القديم، وذلك لأن الكنيسة لم تكن من صنع الكتاب المقدس، بل العكس هو الأصح فإن الكتاب المقدس هو من صنع الكنيسة، وقد انقضت أجيال كثيرة قبل أن تظهر أسفار الإنجيل فى وضعها الحالى وسرعان ما ظهرت حتى غدت سنداً قوياً للإيمان والكنيسة، فالإنجيل لم يكن أساس إيماننا^(٢)، فإن كثيراً من المسيحيين عاشوا وماتوا قبل أن يقرأوا كلمة واحدة من أسفار الإنجيل^(٣).

"ومن هنا نعلم أن الكتاب المقدس هو من صنع الكنيسة واختيارها وأنها هى التى اختارت الأسفار ومن تنسب إليهم"^(٤)

فلقد اختارت الكنيسة الأسفار التى تتفق مع معتقداتها، وسلمت بها، وجعلتها كتباً قانونية، ورفضت ما يخالف رغبتها، وحرمتها وأحرقتها وأبادتها من الوجود.

ثانياً: لقد وضح للباحثين أن رسائل بولس كانت أساسية فى هذا الاختيار، فهى أقدم أسفار العهد الجديد، وهى أولى أسفار العهد الجديد^(٥) كتابة وقبولاً كرسائل قانونية.

(١) راجع: محمد الطهطاوى: النصرانية والإسلام ص ٣٩.

(٢) لا زال الكلام للدكتور براون.

(٣) شرح رسالة كورنثوس الأولى، تعريب حبيب سعيد ص ١٤.

(٤) د/ السعيد طه: التشريع فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص ٦٢.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٨٨.

يقول جون لوريمر: "ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الوثائق الأولى كانت رسائل بولس. وقد ركزت أساسا على أمور لا هوتية، وتعاليم خاصة بالسلوك الشخصى والأمور الدينية، ولم يكن بها شئ يذكر عن حياة المسيح أو أية اقتباسات من تعليمه أو صلواته أو أمثاله"^(١).

فرسائل بولس هي أولى الوثائق الثابتة فى المسيحية^(٢) وهى رسائل خلت من تعاليم المسيح عليه السلام وصلواته..

وكذلك أيضا كانت رسائل بولس هي "أول ما قبل من الأسفار. ثم الأنجيل الأربعة، ثم الأعمال،، ودخلت بقية الأسفار فى الاعتبار القانونى تباعا"^(٣).

وإذا كانت رسائل بولس - رغم علاتها - هي أول ما قبل من الأسفار القانونية فإن معنى ذلك أنها هي التى أصبحت المقياس والمعيار لما يقبل بعدها - أى أن الأنجيل والرسائل التى تقبل بعد ذلك لابد أن توافق رسائل بولس، حتى لا يقع تناقض فى المعتقدات، ولذلك قبلت الكنيسة من الأنجيل والرسائل ما يوافق رسائل بولس معتقدا وفكرا، وبهذا يتبين خطر هذه الرسائل على المسيحية. لذلك خصصنا الفصل التالى لبولس ورسائله لما له من أهمية بالنسبة لموضوع دراستنا.

وسوف نركز هنا على الأنجيل الأربعة وهل تصلح أن تقوم مقام الإنجيل الصحيح؟

التعريف بالأنجيل الأربعة:

يختلف الدارسون عند دراسة الأنجيل، بأى الأنجيل يبدأون؟ فالبعض يبدأ بإنجيل مرقس باعتباره أول الأنجيل زمنيا..

والبعض الآخر يبدأ بإنجيل متى باعتباره الأول فى الترتيب المكانى..

وسوف نسير على النظام الثانى. وذلك لأن الكنيسة المسيحية قدمت إنجيل متى فى الترتيب ولأنه - كما يقول د / فهم عزيز - يعتبر أحب الأنجيل إلى الكنيسة المسيحية عامة، وأكثرها شعبية فيها، فهو الأقرب دائما، والأكثر استعمالا فيها"^(٤)

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٨٢).

(٢) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٧٣.

(٣) رولاند بيتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٢٣.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٢.

(١) إنجيل متى:

ينسب هذا الإنجيل إلى "متى" أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، وكان من "العشارين" (١) "أى" جباة الضرائب "للدولة الرومانية فى كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين، وكانت هذه الوظيفة محتقرة جدا من اليهود، لأنها من جهة تلجئ محترفها إلى الظلم، وتشير من جهة ثانية إلى الخضوع لسيادة أجنبية (٢)، وطالما اقترنت أسماؤهم بالخطاة والوثنيين (٣).

ولكن المسيح عليه السلام اختاره تلميذا من تلاميذه، كما هو مذكور فى الإنجيل المنسوب إليه "وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه "متى" فقال له اتبعنى، فقام وتبعه، وبينما هو متكئ فى البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين، والخطاة، فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (٤).

"ولما صعد المسيح إلى السماء جال للتبشير فى بلاد كثيرة ثم مات سنة ٧٠ م ببلاد الحبشة إثر ضرب مبرح أنزله به أحد جنود ملك الحبشة، وفى رواية أخرى أنه طعن برمح فى سنة ٦٢ م، وبعد أن قضى نحو ثلاث وعشرين سنة مبشرا بالمسيحية - كما هو الراجح" (٥).

اللفة التى كتب بها هذا الإنجيل:

الرأى السائد بين العلماء والمؤرخين أن "متى" كتب إنجيله للعبرانيين بلغتهم أى بالآرامية.

(١) لزيادة المعلومات عن "العشار" ومهمته واحتقار اليهود له (راجع فولتون شين: حياة المسيح دراسة وتأمل ص ٨٥، القس إنسطاسى شفيق: الغداء فى إنجيل لوقا ص ٢٥٠ - ٣١٤).

(٢) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٥٢ / ٢).

(٣) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص ١٢.

(٤) متى ٩: ١٢.

(٥) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٥٢ / ٢، ٥٣).

يقول يوسابيوس :

"إن متى الذى كرز للعبرانيين كتب إنجيله باللغة الوطنية" (أى بالآرامية) ^(١)

وينقل يوسابيوس عن المسيحيين السابقين هذا القول.

فلقد نقل عن بابياس - الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى - قوله : " وهكذا كتب متى الأقوال الإلهية باللغة العبرانية ، وفسرها كل واحد على قدر استطاعته " ^(٢).

وكذلك أيضا ينقل عن إيريناوس ^(٣) - الذى ولد فى أوائل القرن الثانى وتوفى عام ٢٠٠ م - قوله : " لقد نشر متى إنجيله بين العبرانيين بلغتهم ، إذ كان بطرس وبولس يكرزان ويؤسسان الكنيسة فى روما " ^(٤).

فالرأى السائد هو أن " متى " كتب إنجيله باللغة الآرامية " ولكن هذا الأصل فقد ^(٥) ولم يصل إلى المسيحيين إلا النسخة المترجمة إلى اليونانية.

يقول بولس إلياس اليسوعى : لكن النسخ الآرامية فقدت ، ولم يبق منها سوى ترجمتها اليونانية " ^(٦).

ويقول ول ديورانت : ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية " ^(٧)

ولا يعرف من الذى ترجمه إلى اليونانية ؟ ولا تاريخ هذه الترجمة !

يقول حبيب سعيد : " ولسنا ندرى من الذى نقلها إلى اللغة اليونانية " ^(٨).

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ١٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨.

(٣) عن حياة هذا المؤلف راجع جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ١٣٦).

(٤) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٢٥٣.

(٥) سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٥٦.

(٦) بولس إلياس اليسوعى : يسوع المسيح ٢١.

(٧) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٠٨).

(٨) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٥.

وهكذا فقد النص الأسمى، ولم يبق إلا النص اليونانى المترجم، ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل؟ ومن هو المترجم؟ وما هو حاله من القوة والضعف فى الدين؟ وهل هو من المسيحيين أو اليهود أو غيره؟^(١)

وكيف يصح نسبته إلى "متى" ولا يعلم مدى صحة هذه الترجمة؟ وهل يستطيع المسيحيون أن يصلوا إلى التحقق من صحة هذه الترجمة؟ الحق "أنه يستحيل تحقيق صحة الترجمة وذلك لعدم وجود الأصل"^(٢).

هل إنجيل بهذه الحالة يصلح مصدرا؟

تاريخ كتابة هذا الإنجيل:

اختلف المسيحيون اختلافا كبيرا حول تاريخ كتابة هذا الإنجيل، ولا تستطيع أن تجد اتفاقا حول تاريخ معين لكتابة هذا الإنجيل..

البعض يقول إنه كتب حوالى عام ٤١ م^(٣) وذلك عندما أراد أن يترك شعبه ليذهب إلى بلد آخر للتبشير، وكان ذلك عندما كان بطرس وبولس فى روما^(٤)

يقول د/ فهميم عزيز: "ولكن هذا رأى يناقضه ما جاء فى سفر الأعمال الإصحاح الخامس عشر، وسفر غلاطية الإصحاح الثانى ٢: ١ - ١٥ حيث يظهر أن الإرسالية خارج اليهود لم تكن إلا عن طريق بولس وبرنابا، وكان ذلك ابتداء من سنة ٤٩ م، أما بقية الرسل فلم يكن عندهم تفكير جدى فى اتخاذ هذه الخطوة لتقديم الإنجيل إلى الأمم، وإلى جانب ذلك فهناك عبارات فى إنجيل متى تدل على أنه كان قد مضى وقت طويل على حدوث الأحداث العظيمة التى يسجلها هذا الإنجيل مثل "إلى هذا اليوم" متى ٢٧: ٨، ٢٨: ١٥"^(٥).

(١) عبد الرحمن باجة: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١.

(٢) الفاصل بين الحق والباطل ص ٢٣.

(٣) جاد المنفلوطى: نظرات فى الإنجيل ص ٢٢.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٧.

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٧، ٢٤٨.

ثم يقول: "إذا أخذ كل ذلك فى الاعتبار فيمكن أن نقول مع كثيرين من العلماء أن الكتاب قد كتب بعد سنة ٧٠م ، وربما ما بين ٧٥ - ٨٠م ، وعلى كل حال هذا رأى غير قاطع"^(١)

والبعض يقول ما بين سنة ٨٠م و ٩٠م^(٢) فيحتمل أن يكون فى أى سنة من عام ٧٥ إلى عام ٩٠م.

ويقول جون فنتون: "كتب هذا الإنجيل فى الفترة من عام ٨٥ إلى ١٠٥م وعلى أية حال فيمكن القول بأنه كتب فى الربع الأخير من القرن الأول، أو فى السنوات الأولى من القرن الثانى"^(٣).

وهكذا اختلف المسيحيون حول تاريخ كتابة هذا الإنجيل.

والحق أن باب الاختلاف فى شأن تاريخ كتابة هذا الإنجيل لا يمكن سده ، ولا يمكن ترجيح رواية ، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع"^(٤)

هل نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحوارى صحيحة؟

إن نسبة هذا الإنجيل إلى "متى" الحوارى مشكوك فى صحتها حتى بين الدارسين المسيحيين.. يقول حبيب سعيد: "أما (متى) فلا ينعقد الإجماع على أنه مؤلف البشارة التى تحمل اسمه ، ذلك لأن واضع هذه الرسالة كان يهوديا غير معروف"^(٥) . ويقول : "فالتاريخ لم يذكر اسم الكاتب الحقيقى"^(٦).

ويقول د/ فهم عزيز عن كاتب هذا الإنجيل: "إننا لا نستطيع أن نعطيه اسما ، قد يكون متى الرسول ، وقد يكون غيره"^(٧).

(١) المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٤.

(٣) راجع: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٥٩.

(٤) محاضرات فى النصرانية ص ٥٣.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٢٢.

(٦) المرجع السابق ص ٢٤٣.

(٧) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٥.

وجاء فى مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد - التى اشترك فى تأليفها مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت - " أن اسم المؤلف غير معروف بالتحديد " (١)

وعليه فإن هذا الإنجيل - كما يقول القسيس نورتن - المنسوب إلى " متى " ليس من تصنيفه والتحريف واقع فيه يقينا " (٢)

ولقد ساق الباحثون المسيحيون أنفسهم الأدلة على أن هذا الإنجيل ليس من وضع الحوارى " متى " وإليك أهم هذه الأدلة :

أولاً : " أن هذا الإنجيل اعتمد فى تكوينه على إنجيل مرقس ، فلقد استنتج العلماء أن إنجيل مرقس كان فى متناول يد الإنجيليين (متى ، ولوقا) وأنهما قد استخدماه أساساً لكتائيهما ، ولقد كان إنجيل متى أكثر الاثنين استخداماً لهذا الكتاب فى ترتيب الحوادث وفى اقتباس جمل وكلمات كثيرة منه ، وهذه حقيقة معروفة لدى جميع الدارسين .

وهنا يتساءل البعض : لو قيل إن لوقا اقتبس من مرقس لما كان من حرج ، لكن كيف يكون الحال مع " متى " لو كان حقيقة تلميذ المسيح المعروف ؟ ألا يعتبر ذلك أمراً غير محتمل ؟ هل يعتمد التلميذ وخصوصاً تلميذ كمتى له عقلية المرتبة الواعية أن يعتمد على مصدر لم يكن له نفس القرب الذى له ؟ كيف يعتمد " متى " التلميذ على " مرقس " تلميذ التلميذ ؟ " (٣)

فلو كان " متى " الحوارى هو مؤلف هذا الإنجيل لما نقل نقلاً عن إنجيل مرقس ، ولما اتخذ مصدرًا للإنجيله " (٤)

ثانياً : إن أسلوب الإنجيل نفسه يدل على أنه أسلوب الشخص الذى أخذ المادة من مرقس ، وأجرى فيها بعض التلميح - إن جاز هذا التعبير - وأسلوبه يدل على أنه الشخص الذى جلس يفكر ويصلح ، وليس الشخص الذى شاهد بعينه ثم ذكر ما

(١) موريس بوكاي : دراسة فى الكتب المقدسة ص ٨١ .

(٢) راجع بكر بن السيد عمر التميمي : السيف الصفيل ص ٣١ .

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٤ .

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٥ .

رأى وعرف^(١) "قلو كان هذا الإنجيل من تأليف "متى" الحوارى لكتب بأسلوب الشخص الذى شاهد وعانين الأحداث.

وعليه فإن نسبة هذا الإنجيل إلى "متى" تلميذ المسيح نسبة غير صحيحة ولم يُجد بحث العلماء المسيحيين وغيرهم فى التعرف على صاحب هذا الإنجيل.

لذلك يقول حبيب سعيد: "وكنا نود أن نعرف من كان هذا الكاتب"^(٢).

وننتهى من الحديث عن إنجيل "متى" إلى ما يلى:

(١) أن النسخة الأصلية لهذا الإنجيل كانت باللغة الآرامية، ولكن هذه النسخة فقدت ولم يبق إلا النسخة المترجمة إلى اليونانية.

(٢) أن مترجم هذا الإنجيل إلى اللغة اليونانية مجهول الهوية، ولم يعرف هل هو يهودى أم مسيحى؟ وهل هو على علم باللغتين (الآرامية واليونانية) أو لا؟ وهل ترجمه ترجمة حرفية أم زاد فيها؟ وهل كان وفيًا فى نقل النص الأصيل؟ أم أنه أدخل فيه معتقداته وثقافته؟

(٣) أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل مجهول، والاختلاف حوله ليس له حد.

(٤) أن نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحوارى نسبة غير صحيحة، وأن الأدلة قامت على أنه كتبه شخص آخر غير "متى" الحوارى، ولكن هذا الشخص لم يعرف. ولم يصل الباحثون والمسيحيون إلى حل فى معرفة من هو مؤلف هذا الإنجيل؟ وهل كتاب بهذه الصورة يصلح أن يكون سندًا أو دستورًا مقدسًا لديانة؟

(٢) إنجيل مرقس:

لقد أبان النقد الحديث أن إنجيل مرقس استعمل مصدرًا فى كتابة إنجيل متى، ولوقا، وهذا يعنى أن إنجيل مرقس أقدم الأناجيل، وأنه له الأسبقية فى الزمن على سائر الأناجيل الموجودة حاليًا فى العهد الجديد^(٣).

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٤.

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٥.

(٣) راجع: طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات (٢/ ٣٣٠)، قصة الحضارة (مجلد ٣ ج ٣ ص ٢٠٨).

المدخل إلى العهد الجديد ص ٢١٥، ٢١٦.

ينسب هذا الإنجيل إلى "مرقس" واسمه "يوحنا"، وأما "مرقس" فلقبه.
ولد "مرقس" من أبوين يهوديين كانا يقيمان فى مدينة القيروان بأفريقية، وبعد أن تعرضا لهجوم قبائل البربر انتقلا إلى بيت المقدس، وهناك يحتمل أن يكونا قد أنجبا ابنهما مرقس، وكان ذلك بعد ميلاد المسيح بوقت قصير^(١).
ولم يكن مرقس هذا من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا على المسيح واختصوا بالقرب منه.

يقول زكى شنودة: "وكان مرقس من أوائل الذين آمنوا بالمسيح فاختاره ضمن السبعين رسولا - الذين نزل عليهم الروح القدس فى اعتقادهم بعد رفعه - وكان يتردد على بيته، ويقال إنه أكل الفصح عنده مع تلاميذه"^(٢).

وكان بيته - كما يشير سفر الأعمال^(٣) - مكان اجتماع التلاميذ بعد رفع المسيح، وكان مرقس ابن أخت برنابا، وفى سنة ٤٧م رحل هو وبرنابا برفقة بولس إلى قبرص فى رحلة تبشيرية^(٤)، لكن مرقس - كما يقول باركلى - تراجع^(٥) وعاد إلى وطنه، ولم يعرف السبب، ربما احتج لأن برنابا لم يكن فى مكان القيادة، وربما خاف من الرحلة إلى أنطاكية بسيدة، لأن الطريق إليها من أصعب وأخطر الطرق، وربما شك فى جدوى الكرازة للأمم لأنه جاء من أورشليم، وربما كانت هذه شخصيته، شخصية الشاب الغر الذى يبدأ أى شئ بحماس لكنه لا يكمله، المهم أنه عاد^(٦).

ولما خرج بولس فى رحلته التبشيرية الثانية أراد برنابا أن يصطحب معه مرقس لكن بولس رفض^(٧)، وكانت النتيجة أن افترق بولس وبرنابا نهائيا ومنذ هذه اللحظة - كما يقول باركلى - اختفى اسم مرقس من التاريخ، وإن كان التقليد الشائع يقول: إن مرقس ذهب إلى الإسكندرية فى مصر، وأسس الكنيسة هناك^(٨).

(١) د/ جوزيف نسيم يوسف: دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٤٩.

(٢) تاريخ الأقباط (١ / ٧٦).

(٣) أعمال ١٢ : ١٢.

(٤) أعمال ١٢ : ٢٥.

(٥) أعمال ١٣ : ١٣.

(٦) تفسير العهد الجديد (سفر الأعمال) ص ١٦٤.

(٧) أعمال ١٥ : ٣٨.

(٨) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ١٦٤.

ويقول المسيحيون: إن مرقس كان يذهب إلى رومية مع بطرس ليعاونه في مجال الدعوة^(١) حتى استقر به الحال في مصر وقتل فيها عام ٦٨ م^(٢).

اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل:

يقول البعض: "إن مرقس كتب إنجيله باليونانية فقط"^(٣).

وبالعكس يقول إنه كتبه باللغة اليونانية والقبطية"^(٤).

ويقول د/ جوزيف نسيم يوسف: "ويحتمل أن يكون القديس مرقس قد وضع إنجيله باللاتينية أو اليونانية أو باللغتين معاً"^(٥).

فهل كتبه مرقس باليونانية فقط أم أنه كتبه باليونانية وغيرها؟ اختلاف بين المسيحيين.

تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل:

اختلف المسيحيون في تحديد تاريخ كتابة هذا الإنجيل:

(١) فالذين يتمسكون بالتقليد المصري - الأقباط - يؤكدون أن الإنجيل كتب في منتصف الأربعينات.

(٢) والبعض يذكر أنه كتب فيما بين عامي ٣٩ - ٤٠ م.

(٣) والبعض يذكر أنه كتب في الخمسينات.

(٤) وآخرون يعتقدون أنه كتب فيما بين سنة ٦٤ - ٧٠ م^(٦).

وهذا الاختلاف مبني على أساس هل كتبه مرقس في مصر أو في روما؟

وهل كتبه بتدبير بطرس أم بعد موته؟

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٨.

(٢) إيريس جيب المصري: قصة الكنييسة القبطية (١/ ٢٦).

(٣) تاريخ الأقباط (١/ ٧٦).

(٤) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنييسة القبطية ص ١٤.

(٥) دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٥٠.

(٦) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢١٩، ٢٢٠. راجع أيضا: بماذا يؤمن المسيحيون: تعريب: إسحاق مسعد

ص ٤٤.

فالقائلون بأنه كتب في مصر قالوا: إنه كتب في الأربعينات، والقائلون إنه كتب في رومة، قالوا إنه كتب في الستينات.

ولا شك أنه يظهر للدارس أن منشأ هذا الاختلاف يرجع إلى الاختلاف بين الكاثوليك والأقباط الأرثوذكس، حيث إن الأولين يعتقدون أن بطرس هو مؤسس الكنيسة الكاثوليكية فلا بد وأن تكون له الريادة، ولذلك اعتقدوا أن مرقس كتب إنجيله في روما بتدبير بطرس، بينما وقف الأقباط الأرثوذكس ضد هذا الرأي، وقالوا إن مرقس كتب إنجيله في الأربعينات في مصر بعيداً عن بطرس. وإليك تفصيل هذا الاختلاف.

اختلف المسيحيون حول مكان كتابة هذا الإنجيل:

الرأي الأول: يقول إن مرقس كتبه في روما وكان هو اللسان الناطق لبطرس^(١) واستدل أصحاب هذا الرأي بأقوال الأقدمين:

يقول اكلميندس الإسكندري - عاش في النصف الثاني من القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي - أما إنجيل مرقس فقد كانت مناسبة كتابته هكذا: لما كرّز بطرس بالكلمة جهاراً في روما وأعلن الإنجيل طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله لأنه لازمه وقتاً طويلاً، وكان لا يزال يتذكرها، وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمن طلبوه^(٢).

ويظهر من هذا القول أن مرقس كتبه بناء على طلب أهل روما، وسلمه إليهم بعد تبشير بطرس بينهم.

وبعض المسيحيين يفسر كتابة مرقس لإنجيل بطرس "لأنه - أي بطرس - كان يجهل اليونانية، ولا يعرف سوى الآرامية، فلما قضت الظروف بذهابه إلى روما وبإقامته فيها استدعى مرقس ليترجم له بين الرومانيين وسكان روما"^(٣) وآخرون يقولون إن مرقس كتبه بعد موت بطرس^(٤).

(١) راجع يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٣.

(٣) د/ أسد رستم: الروم ص ٤٠.

(٤) دافيد براون: هل صلب المسيح ص ٧.

الرأى الثانى : يقول إن مرقس كتب إنجيله فى مصر قبل أن يلتقى ببطرس^(١)، وأن أهل مصر هم الذين طلبوا منه أن يكتب لهم هذا الإنجيل^(٢)

وهناك رأى ثالث يقول : إن مرقس كتب إنجيله فى إنطاكية ، ويدل على ذلك وجود الكلمات الآرامية فيه^(٣).

وهكذا نرى اختلافا كبيرا بين الروايات ، ولا ندرى أيها الصواب من كثرة الاختلاف.

هل نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس صحيحة؟

" الحق أن ذلك الاختلاف حول تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل وإن كان زمنيا فى ظاهره ، هو فى معناه ولبه اختلاف فى شخص المحرر لهذا الإنجيل^(٤) . وهذا الأمر هو الذى حدا ببعض اللاهوتيين المسيحيين أن يشكك فى نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس.

يقول نينهام - أستاذ اللاهوت بجامعة لندن - : " من غير المؤكد صحة القول المأثور الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس..

لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط باسم فرد ورد ذكره فى العهد الجديد إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم . ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعا فى الإمبراطورية الرومانية فعندئذ نتحقق من مقدار الشك فى تحديد الشخصية فى هذه الحالة"^(٥).

ومن ناحية أخرى فإن الإنجيل لا يحمل أية شهادة داخلية تبين من هو كاتب هذا الإنجيل؟ لذلك يقول جاد المنفلوطى : ولئن كانت البشارة لا تتضمن أية

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٤ - ١٥ .

(٢) قصة الكنيسة القبطية ص ٢٥ .

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٢٠ .

(٤) محاضرات فى النصرانية ص ٥٦ .

(٥) نينهام : تفسير إنجيل مرقس ص ٣٩ . راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٥٢ .

شهادة داخلية صريحة تفصح عن كاتبها، إلا أنها تؤكد أن كاتبها يهودى يتحدث اليونانية^(١).

فالمسيحيون أنفسهم لم يتحققوا من شخصية الكاتب، ولذا فنسبته إلى مرقس مشكوك فى صحتها..

وهل كتاب بهذه الصفة من الاختلاف حول تاريخ ومكان كتابته، وعدم التحقق من شخصية كاتبه، يستحق أن يكون مصدرا دينيا أساسيا؟

(٢) إنجيل لوقا:

ينسب هذا الإنجيل إلى لوقا، وينسب إليه أيضا سفر أعمال الرسل، وهو ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حواريه، بل هو تلميذ بولس الذى لم ير المسيح ولم يتلمذ عليه..

ولد فى إنطاكية ودرس الطب ومارسه^(٢)، وكان مرافقا لبولس، رافقه فى أسفاره، وأعماله، ويروى بعضهم أنه قتل فى حكم نيرون، ويقول البعض الآخر إنه قتل عام ٧٠م فى مدينة بتراس (بيلاد اليونان)^(٣).

ولوقا كان أميا - غير يهودى - وهو الوحيد بين كتبة العهد الجديد الذى لم يكن يهوديا^(٤). وقد ذكر لوقا فى العهد الجديد فى ثلاثة مواضع كلها فى الرسائل التى تنسب إلى بولس^(٥).

لماذا كتب لوقا إنجيله؟

يبدأ لوقا إنجيله بمقدمة يوضح فيها: لماذا كتب هذا الإنجيل؟ وكيف؟ يقول: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين

(١) جاد المنفلوطى: نظرات فى الإنجيل ص ٤٥.

(٢) البعض يقول: إنه لم يكن طبيبا وإنما كان فنانا وأنه رسم صورة للعذراء مريم. (راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٥٥، تفسير العهد الجديد (إنجيل لوقا) ص ٩).

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٥٣).

(٤) تفسير العهد الجديد (إنجيل لوقا) ص ٩.

(٥) كولوسى ٤ : ١٤، فلبيمون ٢ : ٢، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١.

كانوا منذ البدء معانين ، وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تتبع كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به" (١).

ولقد حاول العلماء معرفة "ثاوفيلس" هذا الذى وجه إليه "لوقا" رسائله ، ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة محققة ، ولم يتعد الأمر سوى تقديم بعض الفروض والتخمينات حول شخصية ثاوفيلس هذا.. لذلك يقول باركلى : " وليس أمامنا إلا التخمين لمعرفة شخصية هذا الرجل " (٢).

ويقول : " قد يكون ثاوفيلس هذا اسما وهميا ، أو اسما مستعارا ، وقد يكون شخصا حقيقيا " (٣).

تاريخ كتابة هذا الإنجيل

لا خلاف بين المسيحيين فى أن إنجيل لوقا كتب باليونانية (٤)

أما تاريخ كتابة هذا الإنجيل ففيه اختلاف بين العلماء المسيحيين.

يقول حبيب سعيد : " يذهب البعض إلى أن لوقا أكمل الإنجيل وسفر الأعمال حوالى سنة ٦٥ م قبل موت بولس ، وذلك لأن سفر الأعمال لم يذكر شيئا عن موت بولس.

ويذهب فريق آخر من العلماء إلى أن لوقا حذف عمدا حادثة قتل بولس لغرض خطير لا نعرفه ، وإلى أنه أكمل سفره حوالى سنة ٧٥ م ، وذلك لأن الإنجيل يذكر حادثة سقوط أورشليم وكانت حوالى سنة ٧٠ م.

وهناك فئة أخرى من العلماء تعتقد أن إنجيل لوقا كتب حوالى سنة ٩٠ م (٥).

وهكذا نرى اختلافا كبيرا حول تاريخ كتابة الإنجيل.

(١) لوقا ١ : ٤ .

(٢) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ٧ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) تاريخ الأقباط ١ / ٧٦ .

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٥٥ ، راجع أيضا المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٧٦ وما بعدها .

ونخلص من هذا الإنجيل إلى ما يلى:

(١) أن لوقا ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حواريه بل من تلاميذ بولس ، وبولس هذا له شأن خطير فى المسيحية ، هذا إلى جانب أن لوقا لم يكن يهوديا ، وإنما هو وثنى دخل المسيحية ، والوثنيون لهم دخل كبير فى تحريف الديانة النصرانية.

(٢) أن الإنجيل عبارة عن رسالة إلى شخص لم تعرف هويته.

(٣) أن المسيحيين لم يحددوا تاريخ كتابته.

(٤) ونضيف هنا أن اسم لوقا لم يذكر فى الإنجيل ، فلم ينسب لوقا لنفسه هذا الإنجيل ، وإنما الكنيسة هى التى نسبته إليه.

يقول حبيب سعيد : واسم المؤلف لا يظهر فى أى من السفريين - الإنجيل ورسالة الأعمال - ولكن منذ القرن الثانى نسب التقليد هذين السفريين إلى لوقا ^(١).

(٤) إنجيل يوحنا:

ينسب هذا الإنجيل إلى يوحنا أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر ..

ولد يوحنا فى بيت صيدا من أعمال الجليل ، وهو ابن زبدي وسالومى ، وأخو يعقوب الكبير ^(٢) ، وقد كان المسيح يحبه حتى أنه استودعه والدته وهو فوق الصليب . كما يزعم المسيحيون ، وفى أيام الاضطهادات الأولى نفاه القيصر دومتيانوس إلى جزيرة بطمس (إحدى الجزر على شواطئ آسيا الصغرى) ، ثم عاد إلى أفسس لبث يبشر فيها حتى توفى شيخا ^(٣).

لماذا كتب هذا الإنجيل؟

إن هذا الإنجيل قد كتب لغرض معين ، حدده كاتبه فى إحدى فقرات هذا الإنجيل يقول الكاتب : " وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٥٣.

(٢) يعقوب الكبير أخو يوحنا بن زبدي ، وهو خلاف يعقوب حلفى أخو " متى " الذى سمي يعقوب الصغير.

(٣) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٥٤).

الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا أمتم حياة باسمه" (١).

وبدأ إنجيله بقوله عن المسيح "في البدء كان كلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.." (٢).

أى أنه كتب هذا الإنجيل لكي يبرهن على أن المسيح هو الكلمة الأزلى، وهو ابن الله، وذلك لأنه كان قد ساد بين الناس أن المسيح ليس ياله، وإنما هو إنسان، فطلب منه أساقفة الكنيسة في آسيا الصغرى أن يكتب إنجيلا يبين فيه أن المسيح هو ابن الله، ويرد به على هؤلاء.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "فالذى دفع يوحنا إلى أن يكتب إنجيله هو ظهور بعض الهرطقات التى بدأت تشق طريقها إلى الكنيسة المسيحية" (٣).

ويقول جاد المنفلوطى: "إن يوحنا كتب البشارة تلبية لرغبة أساقفة الكنيسة فى آسيا الصغرى" (٤).

ويقول جرجس زوين اللبناني: "إن جماعة لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانا وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك فى سنة ٩٦م اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا. والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون. وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح. فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم" (٥). فكتب يوحنا - على ما يعتقدون - إنجيله ردا على افتراءات هؤلاء الذين يعلمون أن المسيح إنسان مولود^(٦) وكتب إنجيلا مختلفا عن الأناجيل الأخرى.

(١) يوحنا ٢٠ : ٣٠ . ٣١ .

(٢) يوحنا ١ : ١ - ٥ .

(٣) د/ حنا جرجس الخضرى : تاريخ الفكر المسيحي . المجلد الأول ص ٤٠٥ .

(٤) جاد المنفلوطى : نظرات فى الإنجيل ص ١٠٦ .

(٥) راجع عبد الرحمن باجة : التفارق بين المخلوق والخلق ص ٣٤١ .

(٦) كتاب السنكسار (٢ / ٢٤٨) .

ويعلل د/ موريس تاووروس ذلك بقوله: " فقد كان يكتب لقوم يعرفون المسيح وتعاليمه ، ولكنهم يواجهون موجة من الآراء الخاطئة والفلسفات الكاذبة التى أذاعها الهرطقة ، فلم تكن الحاجة إذن أن يكتب يوحنا كما كتب غيره من البشيرين ، بل كان عليه أن يواجه المطالب الجديدة فيقدم المسيح من زاوية مختلفة ، فالأنجيل الثلاثة اهتمت على الأكثر بوقائع تمس حياة المسيح الخارجية ، بينما قدم يوحنا المسيح فى وجوده الإلهى الذى تدل عليه الأحداث ، وهكذا يمكن القول إن يوحنا أراد بإنجيله أن يكمل الأنجيل الأخرى الثلاثة^(١) .

ويتبين من هذا أن يوحنا كتب فى إنجيله ما لم يكتبه الأولون ، وكتبه خصيصا لإثبات هذه العقيدة " وهنا لا يسع القارئ إلا أن يستببط أمرين :

أحدهما : صريح : وهو أن الأنجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح ، أو هى كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل ، وهذه حقيقة - يجب تسجيلها وهى أن النصارى مكثت أنجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح .

ثانيهما : أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها ويصرح بها ، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم - فى زعمهم - لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك فاتجهوا إلى يوحنا فكتب - كما يقولون - إنجيله الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية ، وهذا ينبئ عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص فى الكتب عليه ، وإلا لما اضطروا اضطرابا إلى إنجيل جديد " (٢) .

تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل :

اختلف المسيحيون حول تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل اختلافا كبيرا ، ولم يتفقوا إلا على كتابته باللغة اليونانية^(٣) ...

(١) د/ موريس تاووروس : دراسات فى إنجيل يوحنا (١ / ٦٦) .

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٦٤ .

(٣) دراسات فى إنجيل يوحنا (١ / ٧٩) .

أما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فنجد ميدان الاختلاف فيه واسعا، ويمكن تلخيص هذا الاختلاف بقول أحدهم: "تتأرجح آراء العلماء بالنسبة لتاريخ كتابة إنجيل يوحنا ما بين قبل سنة ٧٠م إلى ما بعد ١٦٠م أو سنة ١٧٥م^(١)."

فيمكن أن يكون تاريخ كتابته فى أى سنة من هذه السنوات. لذلك نجد البعض يقول إنه ألف خلال عام ٨٥م و ٩٥م^(٢)، والبعض يقول إنه ألف عام ٩٦م^(٣) أو ٩٧م^(٤) والبعض يقول ما بين ٩٦ - ١٠٤م^(٥) إلى آخر هذه الاختلافات.

وعلى هذا فليس هناك تاريخ محدد لكتابة هذا الإنجيل...

أما بالنسبة لمكان كتابة هذا الإنجيل فنجد أيضا باب الاختلاف لا يمكن سده. فالبعض يقول^(٦): إن الإنجيل كتب فى أفسس على أساس أن يوحنا عاش فى أفسس.

ومنهم من يقول إنه كتب فى أنطاكية، وقد تمسك بعض علماء العصر الحاضر بهذا، لأنهم وجدوا بعض التشابه بين رسالة أوغناطيوس^(٧) والإنجيل، وأوغناطيوس هذا أنطاكى..

ومنهم من يقول إنه كتب فى الإسكندرية، نظرا لوجود أوراق البردى فى مصر^(٨)، ولأن "فيلون"^(٩) الفيلسوف الإسكندرى الذى تكلم بإقاضة عن "اللوغوس" الكلمة.

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٦٠.

(٢) يسوع المسيح ص ٢٧.

(٣) كتاب السنكسار (٢ / ٢٤٨).

(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص ٩.

(٥) د / أسدرستم: الروم ص ٤٢.

(٦) راجع هذه الآراء فى كتاب: المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٦٢.

(٧) أوغناطيوس عاش ما بين سنة ٣٥م وسنة ١٠٧م وهو أحد الآباء وأسقف إنطاكية. راجع جون نوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٨٨).

(٨) وذلك على أساس أنه اكتشف بعض أوراق البردى، والتى تدل على أن إنجيل يوحنا كان معروفا فى مصر فى القرن الثانى الميلادى. ولعل هذا يشجع القول القائل بأن كاتبه أحد طلبة مدرسة الإسكندرية. (راجع توملين: فلاسفة الشرق ص ٤٠).

(٩) فيلون: ولد بالإسكندرية نحو عام ٢٠ أو ٣٠ ق. م. ومات بعد عام ٥٤ م. كان يهوديا درس الفلسفة اليونانية وسائر الفلسفات التى كانت الإسكندرية تنوع بها، ودرس التوراة وحاول أن يوفق بين دراسته الفلسفية وديانته اليهودية. (راجع مقدمة كتاب الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندرى. لمؤلفه إميل برييه).

وأخيرا ظن آخرون أن الإنجيل كتب فى جنوب اليهودية فى فلسطين، نظرا لما فى الإنجيل من عناصر يهودية بارزة وخصوصا لمجابهة الإنجيل معهم.

وهكذا لا نجد مكانا محددًا ألف فيه هذا الإنجيل، فكل رأى له أدلته، ومعظم المسيحيين مقتنعون بالرأى الأول، وذلك حتى يمكنهم ربط هذا الإنجيل بيوحنا الذى عاش فى أفسس، وذلك برغم أن أدلة هذا الرأى هى أضعف الأدل.

هل نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا صحيحة؟

الرأى السائد بين المسيحيين أن هذا الإنجيل كتبه يوحنا، ولكن هذا الرأى مشكوك فيه "فمن العسير التأكيد بأنه كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه"^(١) فلم يستطيع علماء اللاهوت المسيحى والنقاد بعد الدراسة المستفيضة الوصول إلى نتيجة محددة فى صاحب هذا الإنجيل، ولم يعرف إلى الآن كاتبه الحقيقى!!

لذلك يقول د/ فهم عزيز: "من هو الذى كتب إنجيل يوحنا؟ هذا السؤال صعب، والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة غالبا ما تنتهى بالعبرة "لا يعلم إلا الله وحده من الذى كتب هذا الإنجيل"^(٢).

ويقول توملين: "إننا لا نعرف على وجه التحقيق من كتبه"^(٣).

ولقد انتهى الأمر ببعض المتخصصين فى دراسة اللاهوت المسيحى إلى إنكار أن يكون يوحنا الحواري هو كاتب هذا الإنجيل.

يقول موريس بوكاى: "إن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحواري هو مؤلف الإنجيل الرابع"^(٤).

وفى الحقيقة أن هذا الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال، بل ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى، فإن بعض المسيحيين فى آخر القرن الثانى الميلادى أنكروا نسبة هذا

(١) موريس بوكاى: دراسة فى الكتب المقدسة ص ٧٦.

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٤٦

(٣) فلاسفة الشرق ص ٤٠.

(٤) دراسة فى الكتب المقدسة ص ١١٨.

الإنجيل إلى يوحنا الخوارى، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس^(١) تلميذ بوليكارب^(٢) تلميذ يوحنا الخوارى، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكارب، ولأعلم هذا تلميذه أرينيوس ولأعلن هذه النسبة عندما شاع إنكارها^(٣).

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية والتى اشترك فى تأليفها خمسمائة عالم من علماء المسيحية كتبوا عن هذا الإنجيل ما يلى: أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين وهما القديسان يوحنا، ومتى. ولقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه الخوارى الذى يحبه المسيح. فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الخوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون متهمى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفيلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليلى، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى خبطهم على غير هدى^(٤).

وهناك من الأدلة من الإنجيل نفسه ما يدل على أن يوحنا الخوارى ليس هو كاتب هذا الإنجيل وإليك بعضا من هذه الأدلة:

أولا: أن "يوحنا بن زبدي" لم يذكر أبدا فى الإنجيل، ومع أن يوحنا المعمدان قد ذكر، ولم يذكر الكاتب لقبه (أى يوحنا فقط دون المعمدان)^(٥) وكان يجب أن يذكر اللقب لو أراد الكاتب أن يميزه عن نفسه^(٦).

(١) أرينيوس: من أباء الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى. ولد فى سميرنا. مدينة على الساحل الغربى لآسيا الصغرى وهى أزمير حاليا. فى أوائل القرن الثانى الميلادى حوالى ١٣٠م وتعرف فيها على بوليكاربوس ثم ذهب إلى روما وقضى وقتا بها، ثم اختبر قسبسا فى مدينة ليون وتوفى بها سنة ٢٠٠ أو ٢٠٢م. (راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢/ ١٣٦).

(٢) بوليكارب: من أباء الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى، توفى سنة ١٥٥م بمدينة سميرنا. يقول المسيحيون إنه عرف يوحنا. المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) إظهار الحق ص ٩٩، محاضرات فى التصراية ص ٥٩.

(٤) راجع الفارق بين المخلوق والخلق ص ٤٣٢.

(٥) راجع الإصحاح الأول الفقرات التالية: ٦، ١٥، ١٩، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٤٠. والإصحاح

الثالث الفقرات التالية: ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧. والإصحاح الرابع الفقرة الأول. والإصحاح الخامس

الفقرة ٢٣، ٢٦. والإصحاح العاشر الفقرة رقم ٤٠.

(٦) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٥٥.

ثانياً: أنه جاء فى هذا الإنجيل: "هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق" (١)، فقال كاتبه فى حق يوحنا هذه الألفاظ "هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وشهادته" بضمائر الغائب، وقال فى حقه "نعلم" على صيغة المتكلم فاعلم أن كاتبه غير يوحنا" (٢).

ثالثاً: أن هذا الإنجيل يدل على أن كاتبه كان عالماً بالفلسفات وبالمصطلحات الهلينية (٣)، والسؤال كيف يكون يوحنا هو كاتب هذا الإنجيل الذى يحمل صفة عالم الفلسفة، وقد كتب عنه سفر أعمال الرسل بأنه عديم العلم عامى؟ يقول سفر الأعمال ما نصه:

"فلما رأوا - أى رؤساء وشيوخ الكهنة - مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهمما إنسانان عديمي العلم وعاميان تعجبوا" (٤)

إلى غير ذلك من الأدلة التى تدل على أن يوحنا الحوارى ليس هو كاتب هذا الإنجيل، مما حدا ببعض العلماء أن يجتهد فى بيان صاحب هذا الإنجيل. يقول شارل جنيسير: إنه أحد الآسيويين المجهولين (٥). وقال البعض: "إنه من تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية" (٦) ..

إلى غير ذلك من الاجتهادات التى لم تخرج علينا بنتيجة محددة يعرف من خلالها صاحب هذا الإنجيل! وكيف صنفه؟ والملابس التى صاحبت تأليفه! وفى أى زمان وأى مكان ألفه؟..

وعليه فلقد تبين أن العلماء لم يستطيعوا أن يوجدوا حلولاً مؤكدة لمشكلات التعريف بهذا الإنجيل وكاتبه..

وهل كتاب فى مثل هذه الحالة يصلح أن يكون مصدراً ودستوراً دينياً؟!!

(١) يوحنا ٢١: ٢٤ (نهاية إنجيل يوحنا).

(٢) إظهار الحق ص ٩٩.

(٣) وقد أشار علماء الفلسفة بأن صاحب هذا الإنجيل قد تأثر بفلسفة فيلون، وأن هذا الإنجيل قد كتب تحت تأثير فيلوني صرف. (د/ عبد الرحمن بدوى: خريف الفكر اليونانى ٩٧، ٩٨)

(٤) أعمال ٤: ١٣.

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٣.

(٦) إظهار الحق ص ٩٩، فلاسفة الشرق ص ٤٠.

هل تصلح هذه الإنجيل أن تقوم مقام الإنجيل الصحيح؟

وهل يمكن أن تكون مقدسة؟

إن المسيحيين يعتقدون أن هذه الأناجيل هي مصدرهم الأساسي^(١) وأنها كتاب الله الذى أوحى به إلى هؤلاء الرسل الذين كتبوه ولذلك فهي مقدسة.

يقول بولس عن ذلك: "كل الكتاب هو موحى به من عند الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر"^(٢)

وفى تعليق حبيب سعيد على هذه الفقرة يقول: "هذا ما يقوله العهد الجديد وهو قول لا حيدة عنه فى ديننا المسيحى"^(٣).

وفى إقرار الإيمان المسيحى ما نصه: (نؤمن بأن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو كلمة الله الموحى بها، وهو الدستور الوحيد المنزه عن الخطأ الشامل للحق الإلهى الكامل والقانون المعصوم الذى به تقاس جميع التصرفات والآراء والتعاليم الدينية^(٤)).

ومعنى الوحى عندهم: أن أسفار الكتاب المقدس قد كتبها أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس بكيفية أكيدة واضحة^(٥)، وذلك بإعلانه لهم - كما يقولون - المكنونات ومساعدتهم إياهم على نقل المعلنات وتسطيرهما^(٦).

يقول بطرس فى رسالته الثانية: "إن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٤٠).

(٢) ٢ تيموثاوس ٣: ١٦.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥.

(٤) القس صموئيل مشرفى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص ٥.

(٥) قانون إيمان الكنائس المعمدانية الكنائسية الأولى ص ٣.

(٦) د/ أندرو وطسون: شرح أصول الإيمان ص ١٩.

القدس" ^(١) ، ويعتقدون أنه ما دام الكتاب المقدس موحى به من عند الله فهو بالتالى "معصوم" أو "منزه من الخطأ".

وإثبات العصمة للكتاب المقدس يعنى - كما يقول د/ إدوار يونج : "إنها الكتب التى تحمل فى طبيعتها التحرر من كل خطأ، والتنزه عن الغلط وعدم القابلية للشروء أو الانحراف وهى كاملة فيما تنطق بالحق، والبعد كل البعد عن الميل والبهتان والكذب" ^(٢).

ويؤكد المسيحيون على إثبات هذه العصمة حتى قال أحدهم "والمسيحية كلها تدور وجودا وعندما حول الإيمان بعصمة الكتاب المقدس" ^(٣) ، ويتمسكون بهذه العصمة أشد الاستمساك.

يقول د/ إدوار يونج : "لأنه إذا لم يكن الكتاب المقدس كتابا معصوما فلم يبق أمانا شئ على الإطلاق يمكن أن يكون موضوع يقين أو تأكيد، وستذهب سائر العقائد الأخرى واحدة وراء الأخرى فى مهب الريح" ^(٤) ، "وأصبح من المستحيل معرفة ما هو صحيح فيه وما هو غير صحيح، ويصبح الدفاع عن المسيحية كلها دقيقا وحرجا، ويضحي الإعلان الإلهى بأكمله مشوبا بالشبهة والشك" ^(٥).

وعلى هذا فالأناجيل عند المسيحيين معصومة من الخطأ ، لأنها كتبت بوحي من عند الله ، والله ساق هؤلاء لكتابة هذا الوحي فى الأناجيل الموجودة بين أيديهم... ولذلك فهذه الأناجيل هى دستورهم المعصوم - فى نظرهم - ومصدرهم الأساسى لديانتهن المسيحية ، أى أنها تقوم مقام الإنجيل الصحيح - إنجيل المسيح عليه السلام - الذى فقد وضاع لسبب أو لآخر.

وفى هذه الدراسة نحاول أن نبين هل هذه الأناجيل فعلا سماوية؟ أو هل هى موحى بها من عند الله؟ وهل هى معصومة من الخطأ ولذلك فهى مقدسة؟ وهل يمكن أن تقوم مقام الإنجيل الصحيح؟

(١) ٢ بطرس ١ : ٢٠ - ٢١.

(٢) د/ إدوار يونج : الكتاب المقدس فى الميزان ص ١٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ٧.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة

(٥) المرجع السابق ص ١٨٢.

والخطوة الأولى السؤال الآتى: هل هذه الأناجيل حقاً كتب سماوية؟ وهل ينطبق عليها شروط الكتاب السماوى؟ أم أن أصحابها يدعون ذلك بلا برهان ولا دليل؟

الواقع أنه لأجل أن يكون الكتاب سماوياً وحجة يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه ومجموع أوامره ونواهيه ومصدر الاعتقاد، يجب أن يتوافر فيه شروط^(١):

أولاً: أن ينسب الكتاب إلى رسول، وأن يكون ذلك الرسول قد علم صدقة بلا ريب ولا شك، وأن يدعى ذلك الرسول أنه أوحى إليه، وأن يكون قد دعم الصدق على دعواه بمعجزة أى بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين وأن يشتهر أمر ذلك التحدى وهذا الإعجاز، ويتوارثه الناس خلفاً عن سلف ويتواتر بينهم تواتراً لا يكون للإنسان مجال لتكذيبه.

ثانياً: ألا يكون ذلك الكتاب متناقضاً مضطرباً يهدم بعضه بعضاً، فلا تتعارض تعليماته ولا تتناقض أخباره، بل يكون كل جزء منه متعمداً للآخر ومكملاً له، لأن ما يكون عن الله لا يختلف ولا يفترق ولا يتناقض.

ثالثاً: أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذى نسب إليه ثابتة بالطريق القطعى، بأن يثبت نسبة الكتاب إلى الرسول بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلاً بعد جيل من غير مظنة الانتحال^(٢).

هذه هى الشروط: أن يكون الكتاب منسوباً إلى رسول علم صدقه بالبينات وأن تكون نسبته إليه بالسند المتصل، وأن يكون ذلك الكتاب متألفاً ببعضه مع بعض.

ولننظر فى كتب النصارى هل تتوافر فيها هذه الشروط حتى نستطيع أن نسلم لهم بقديسيتها وصحتها، وتكون أدلة كونها سماوية واضحة للعيان؟ أم انها دعوى بلا دليل وأن فيها من الزيف والتجنى على الله ما لا يمكن معه التسليم بقديسيتها، وصحتها، وصحة ما فيها؟ هذا ما توضحه الصفحات التالية.

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٩١ وم بعدها.

(٢) نفسه ص ٩٢.

الشرط الأول: أن ينسب الكتاب إلى رسول علم صدقه بالبينات، ادعى النبوة والرسالة وأقام الحجة والبرهان على رسالته.

إن هذه الأناجيل - كما بينا سابقا - لم يكتبها المسيح ولم يملها، ولم يكتب شئ منها في زمانه، وكذلك لم ينسب واحد منها إلى المسيح بن مريم عليه السلام، بمعنى أن هذه الأناجيل لا تنسب إلى رسول الله عيسى بن مريم وهو الرسول الذي أقام الحجة والبرهان على رسالته.. فكيف تنسب إلى ديانته هذه الأناجيل وهو لم يكتبها ولم يصدق عليها؟

إن النصارى يدعون أن الذين كتبوها إنما هم رسل المسيح من بعده. ولكن هذه الأناجيل تنسب إلى بعض تلاميذه وبعض أتباعه - فكيف يكونون رسلا - بمعنى الرسل الذين أوحى إليهم من عند الله؟

على معتقد النصارى أن المسيح هو ابن الله الذي أرسلهم وألهمهم، بأن أفاض عليهم بالروح القدس الذي ساقهم إلى كتابة هذه الأناجيل^(١).

فنحن الآن أمام قضيتين: الأولى: أنهم رسل، والثانية: أنهم ألهموا هذه الأناجيل.

أما بالنسبة للأولى: فنجد أن هؤلاء لم يدعوا الرسالة ولم يثبتوها بالمعجزة والبرهان.

يقول الشيخ أبو زهرة: "إننا نبحت في مراجعهم فلا نجد مرجعاً صحيحاً قرر أن هؤلاء قد ادعوا مثل هذه الرسالة، ودعوا الناس إلى الإيمان بها، ومعهم البرهان عليها والدليل القاطن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"^(٢).

أما بالنسبة لما ذكر في إنجيل لوقا من المسيح أرسل سبعين رسولا وأرسلهم اثنين اثنين^(٣)، فإنه لا يوجد - كما يقول يوسابيوس - أقدم مؤرخي الكنيسة - أى بيان عن أسماء التلاميذ السبعين^(٤).

(١) د/ أندرو طسون: شرح أصول الإيمان ص ١٩.

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٩٣.

(٣) والنص كما جاء في إنجيل لوقا "وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزعما أن يأتي. ثم يقول لوقا بعد ذلك "فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب. حتى الشياطين تخضع لنا باسمك فقال لهم رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شئ ولكن لا تفرحوا بهذا إن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالخرى إن أسماءكم كتب في السموات (راجع النص كاملا لوقا ١٠: ١ - ٢٠).

(٤) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٥٢.

وإذا كان أصحاب الأناجيل من السبعين رسولاً، فلماذا لم يذكر لوقا أسماءهم؟ وكيف يمكن الإيمان برسالة رسل لم تعرف أسماؤهم؟ نعم كانت تذكر بعد ذلك أسماء أشخاص ويصفون بأنهم رسل، ولكن لم يذكر أنهم من السبعين رسولاً أم ليسوا منهم^(١)؟ هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى فإن إرسال السبعين - كما يقول أنسطاسي شفيق - لم يذكر إلا في إنجيل لوقا وحده^(٢).

ولوقا هذا - كما ذكرنا سابقاً - ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه بل كان تلميذاً لبولس - وبولس هذا له شأن خطير على المسيحية - وعلى ذلك فروايتها عن هؤلاء وعن المسيح ليست رواية من شاهد وعاین، وهذا يعنى أن السند غير متصل بين لوقا والمسيح أو تلاميذ المسيح^(٣).

وعليه فإن كبة الأناجيل ليسوا رسلاً - وذلك لأنهم لم ينسبوا إلى أنفسهم ولم يدعواها، ولعدم وجود الدليل الصحيح على كونهم رسلاً.. وبالتالي فإن ما ينسب إليهم لا يعتبر مقدساً ولا يعتبر سماوياً.

أما بالنسبة لكونهم كتبوا ما كتبوه بإلهام أو بوحى فغير مسلم به لما يأتى :

أولاً: من يطالع هذه الأناجيل يجد أن طريق أحاديثهم وأساليبهم فى المناقشة تدل بوضوح تام على أن هذه الكتابات لم تصدر عن وحى وتفويض إلهى، بل هى - كما يقول سبينوزا - مجرد أحكام شخصية وطبيعية لمؤلفيها، ولا تتضمن إلا نصائح أخوية مقترنة بتعبيرات مجاملة ومهذبة^(٤).

ويقول شارل جنيبير: " ويجب علينا أن ننظر إلى الكتب التى تدعى سرد سيرته على أنها مؤلفات تستند إلى الكثير من التحكم والنزعات الذاتية "^(٥).

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٩٤.

(٢) القس أنسطاسي شفيق: الغداء، فى إنجيل لوقا ص ٤٣٨.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٩٥.

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣٣٠.

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٦.

على أن الأناجيل نفسها تقرر صراحة أنها عبارة عن مجهودات خاصة وكتابات شخصية أنشأها كاتبوها لبيان قصة المسيح ورسالته ونشاط تلاميذه^(١).

فمثلا يذكر لوقا أن إنجيله هذا ما هو إلا رسالة كتبها - كما كتب كثيرون قبله - إلى شخص عزيز يسمى ثاوفيلس.

يقول لوقا: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به"^(٢).

كيف يكون كتب ما كتب بالهام وهو يوضح أنه كتبه بدافع شخصى كما يقول "رأيت أنا" ثم يشير إلى عمله وجهده فى كتابة هذا الإنجيل فيقول: "تبعث كل شئ من الأول بتدقيق".

أخيرا يظهر من ديباجة إنجيل لوقا أنه لم يدر بخلده وهو يكتب هذا الإنجيل أنه سيكون إنجيلا مقدسا يخضع له ملايين البشر ويستخرجون منه عقائدهم لأن ما كتبه رسالة شخصية لصديقه فيقول له "لتعرف صحة الكلام".

يقول حبيب سعيد: "يجب ألا يظن أن أحدا من كتاب العهد الجديد فكر واعيا وهو يكتب أنه يكتب أسفارا مقدسة سيجمعها المسيحيون فى السنوات المقبلة ويضعونها فى مستوى أسفار العهد القديم، إن مثل هذه الفكرة لم تخطر لأحد منهم على بال، وما كانوا يرضونها لو خطرت، ولم يكن مؤلفو الأسفار المعروفة لدينا الآن فى العهد الجديد واضعين الأجيال المقبلة نصب أعينهم، ولكنهم كتبوا أسفارهم لسد الحاجات المحلية العاجلة التى أحس بها أتباع المسيحية الأولون فى كنائسهم الخاصة"^(٣).

(١) راجع أحمد عبد الوهاب: الوحي والملائكة فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص ٤٩.

(٢) لوقا: ١ - ٤.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٣١ - ٢٣٢.

وهذا يدل على أن هذه الأناجيل لم تكتب بوحي أو إلهام، فلم يدع واحد من كتاب الأناجيل أنه كتب ما كتب بالوحي أو الإلهام - وهذا هو المهم - ولا يهمننا بعد ذلك أن يدعى المسيحيون الذين جاءوا بعد ذلك أن هذه الأناجيل كتبت بالوحي أو الإلهام، فتلك دعوى من غير دليل ولا برهان.

يقول حبيب سعيد: "ولا يدعى كتاب الأناجيل أنفسهم أنهم كانوا تحت إرشاد إلهي فيما كتبوا، ويبدو في الظاهر أنهم كتبوا من تلقاء أنفسهم حسب مقتضيات الظروف، وهنا نذكر كلمات لوقا في أول إنجيله"^(١).

فلم يدعوا أنهم كتبوا هذه الأناجيل بإلهام أو بوحي، ولم يظن واحد منهم أنه يكتب كتاباً مقدساً يدين به الناس ويخضعون لأحكامه ومتطلباته، بل صرحوا بأن هذه الأناجيل ما هي إلا كتابات شخصية لسرد سيرة المسيح - كما اعتقدوا - وتابع كل واحد هواه وخطته في تنسيق وترتيب مؤلفه"^(٢).

ثانياً: إن الإلهام لهذه الأناجيل لو سلمنا به، على فرض أنه واقع بالنسبة لها، فإنما يكون على أساس أنه حدث للكاتبين عندما كتبوا النسخ الأصلية، وهذا هو المفهوم من كلامهم عن الوحي والإلهام لهذه الأناجيل.

يقول د/ إدوارد يونج: "لقد ذكرنا في التعبير الدقيق للوحي أنه نفخة الله لرجال محمولين بروح الله وهذا ينصرف أساساً على النسخة الأصلية التي تلقها النبي أو الرسول، ومن ثم فهي الأصل الذي ينصرف إليها المعنى"^(٣).

والنسخ الأولى الأصلية ليست بين أيدينا"^(٤)، والموجود حالياً عبارة عن كتب مترجمة - أي ليست بلغة الكاتب ولا بخطه - وإذا كان الأمر كذلك فليست هذه الكتب هي التي كتبت بوحي أو إلهام وإنما غيرها؟ خاصة وأن بعض هذه الأناجيل - وهو إنجيل متى - لم يجدوا له أصلاً، فالسائد عندهم أنه كتب بالآرامية، والأصل

(١) المرجع السابق ص ٢٢٣.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٨.

(٣) الكتاب المقدس في الميزان ص ٦٧.

(٤) المرجع السابق ص ٦٨.

الذى وجدوه مكتوب باليونانية، فهل يستطيع أى عاقل أن يقبل أن هذه الترجمة إنما هى بالإلهام، وهو لا يعرف أى ترجمة صحيحة أمينة للنص الأصلي أم أن فيها بعض الزيادات والإضافات؟ ولا يعرف أيضا حال المترجم، وهل هو مسيحى أم يهودى؟ وإذا كان مسيحيا فهل هو من التلاميذ أو الرسل المختارين أم من عامة الناس؟ وهل كان على المستوى الثقافى والدينى الذى يؤهله لفهم النص فهما صحيحا؟ أو لا؟ فهل بعد هذا يقبل أنه كتب بالإلهام؟ كيف؟؟

يقول د/ إدوارد بونج: "إن الوحى يمتد إلى النسخ الأصلية فى الكتاب، وهذه النسخ معصومة، فإذا كانت النسخ الأصلية ليست بين أيدينا بفعل الزمن، فإنه من المسلم به إمكانية وقوع بعض المخطوطات القديمة فى الخطأ فى هذا أو ذاك عند نسخها"^(١).

وإذا كان الأمر كذلك فليست ملهمة، ما داموا قد سلموا بوقوع بعض الأخطاء عند النقل..

على أننا نجد علماء المسيحية يعللون النقد للأناجيل بأنه محاولة للوصول للنص الأصلي، وهذا يعنى أن النص الموجود الآن غير ملهم أو غير موحى به.

يقول موريس بوكاي - نقلا عن الترجمة المسكونية للعهد الجديد التى كتبها مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت - : "إن كل ما يستطيع نقد النصوص الحديث أن يقدمه لنا من وجهة النظر هذه هى محاولته لإعادة بناء نص يتمتع بأكبر الفرص الممكنة فى أن يقترب من النص الأصلي، وعلى أى حال فلا مجال مطلقا للأمل فى الوصول إلى النص الأصلي نفسه"^(٢).

ثالثا: على أن القول بالإلهام ليس محل إجماع المسيحيين فمنهم من يصرح أو يلمح إلى نفي الإلهام.

(١) المرجع السابق ص ٧٢.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ١٠٣.

ففى عام ١٩٢٣م أعلن المحفل العام للكنيسة المشيخية^(١) المتحدة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أحد قراراته " أن الروح القدس أوحى وأرشد وحرك كتاب الكتاب المقدس وصانهم من الخطأ " ولقد صادف هذا القرار معارضة من كثيرين ومن هؤلاء جماعة فى مدينة أمريكية اسمها " أوبرن " أصدرت وثيقة تتصدى لهذا القرار ، ومن ثم أطلق عليها " تصريح أوبرن " ولقد هاجم التصريح ليس الإعلان المذكور فحسب ، بل عقائد مسيحية أخرى...

وقد قال بصدد آراء المحفل العام عن الكتب المقدسة : " ليس هناك تأكيد فى الكتب المقدسة أن كتابها قد حفظوا من الخطأ "^(٢).

" وكذلك أيضا ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية من أنه وقع النزاع فى أن كل مندرج فى الأسفار المقدسة هل هو إلهامى أم لا ؟ فقال كثيرون منهم : إنه ليس كل قول منها إلهاميا ، على أن الذين قالوا إن كل قول مندرج فيها إلهامى لا يقدر أن يشبوا دعواهم بسهولة "^(٣).

وكذلك أيضا ما نقلناه سابقا عن " شارل جنيير " عن الأناجيل من أنها كتابات شخصية وأن كل واحد من كتاب الأناجيل اتبع هواه وخطه فى تنسيق مؤلفه^(٤) ...

وهكذا نجد أن دعوى الإلهام ليست محل إجماع المسيحيين ، ولقد نقل الشيخ رحمت الله الهندى أقوال كثير من المسيحيين ممن ينكرون الإلهام فى الأسفار المسيحية تحيل القارئ بالرجوع إليها^(٥).

(١) هى إحدى الكنائس البروتستانتية وقد أخذت الكنيسة اسمها من لفظ " شيوخ " لأن الذى ساس أمرها لم يكن الأساقفة بل الشيوخ بخلاف الكنيسة الكاثوليكية واللوثرية . نسبة إلى لوثر ١٤٨٢ . ١٥٤٦م . يحكمها الأساقفة على نسق نظام أخكم المدنى حيث كان الأمراء يحكمون أجزاء من المدينة . أما الكنيسة المشيخية فقد وضعت حكمها فى أيدي الشيوخ من كبار السن الذين شكلوا مجالس حكم الكنيسة . ويطلق بعض الناس على الكنيسة المشيخية اسم الكنيسة الكلفينية نسبة لجون كلفن مؤسسها (١٥٠٩ - ١٥٦٤) راجع مواقف فى تاريخ الكنيسة ص ١٢٧ .

(٢) راجع الكتاب المقدس فى الميزان ص ٦٨ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية (١١ / ٢٧٤) راجع إظهار الحق ص ١٧٦ .

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٨ .

(٥) إظهار الحق ص ١٧٤ وما بعدها .

رابعاً: على أن هذه الأناجيل لو كانت كتبت بإلهام أو عن طريق الوحى - كما يقولون - لما وقع فيها من الأغلاط والاختلافات والتناقضات، وكانت صادقة غير مختلفة وغير متناقضة، لأن الوحى لا يكذب ولا يختلف ولا يتناقض بعضه مع بعض، ولكن الواقع أن هذه الأناجيل مليئة بالتناقضات والاختلافات ما يجعلنا نقول إنها ليست ملهمة، ولا بوحي من الله سبحانه وتعالى عما يقولون.

يقول الشيخ أبو زهرة: "إن دعوى الإلهام باطلة من أساسها ليس لعدم إقامة الدليل عليها، بل لأن البيانات قائمة ضدها، ذلك لأنها لو كانت بإلهام من الله كما يقولون لكانت صادقة فى كل ما أخبرت، وما وجد الباطل منفذاً ينفذ منه إليها، ولم يكن ثمة محل لتكذيبها، ولكانت متفقة غير مختلفة، ولم تكن متضاربة بأى نوع من أنواع التضارب وذلك لوحدة من صدرت عنه، لأنها جميعاً صادرة عن واحد وإن اختلف الناطقون بها، ولكننا وجدنا بينها اختلافات من أوجه عدة ووجدنا فيها أخباراً تناقض ما علم من التاريخ وما كان مشهوراً فيه" (١).

وسنذكر بعض هذه الأمور فيما يلى وذلك فى التعليق على الشرط الثانى.

الشرط الثانى: ألا يكون ذلك الكتاب متناقضاً مضطرباً يهدم بعضه بعضاً فلا يتعارض ولا يختلف ولا يتناقض، ذلك أنه من أهم شروط الوحى الصادق ألا يكون فيه تناقض، أعنى أن تكون معانيه وأحكامه مطابقاً لبعضه بعضاً وغير متناقضة ولا مختلفة "فإنه متى تناقض فيه معنيان لا يمكن أن يكون أحدهما حقاً، فتناقض المعانى والأحكام فى أى كتاب دليل على عدم كونه من عند الله، لأن الله هو كامل الصفات منزّه عن العجز والنقص والتناقض فى كلامه العزيز" (٢)...

فالأصل فى الكتاب السماوى هو أن يكون متسقاً بعضه مع بعض بحيث لا نجد بين أجزائه اختلافاً أو تناقضاً.

والحقيقة أنه عند المطابقة والمقابلة بين أناجيل المسيحيين نجد بينها من التناقض والاختلاف ما لا يقع فى أى كتاب بشرى، فما بالك بكتاب يدعى أصحابه أنه من عند الله؟

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٩٩.

(٢) الشيخ على البحرانى: لسان الصدق ص ١٧.

واليك أمثلة من هذه الاختلافات والتناقضات :

(١) الاختلاف فى نسب المسيح " فمن قابل بيان نسب المسيح الذى فى إنجيل متى بالبيان الذى فى إنجيل لوقا وجد ستة اختلافات :

١- يعلم من " متى " أن يوسف بن يعقوب، ومن " لوقا " أنه ابن هالى.

٢- يعلم من " متى " أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام، ومن " لوقا " أنه من أولاد ناثان بن داود.

٣- يعلم من " متى " أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، ومن " لوقا " أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤- يعلم من " متى " أن شالليل بن يكيئا ويعلم من " لوقا " أنه ابن نيرى.

٥- يعلم من " متى " أن اسم ابن زربابل أبيهود، ومن " لوقا " أن اسمه ريسا. والعجيب أن أسماء بنى زربابل مكتوبة فى الاصحاح الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام وليس فيها أبيهود ولا ريسا، فالحق أن كلا منهما غلط.

٦- من داود إلى المسيح ستة وعشرون جيلا على ما بين " متى " وواحد وأربعون جيلا على ما بين " لوقا "، ولما كان الاختلاف بين البيانيين ظاهرا بادئ التأمل تحير فيه علماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلى اليوم " (١) .

وإزاء هذه الاختلافات نتساءل : هل هذه الأناجيل كتبت بوحي من الله أو إلهام منه ؟ وكيف يكون ذلك وهم قد اختلفوا فيما لا يجوز فيه الاختلاف ؟ وهل يجوز فى الوحي أو الإلهام الاختلاف فى مثل نسب عيسى عليه السلام ؟ وإذا كانوا قد اختلفوا فى هذا الأمر الذى ليس من موارد الاختلاف ، فما بالك بهم فى الأمور الأخرى !!!

(٢) من هذه الاختلافات أيضا ما جاء فى إنجيل يوحنا من " أن الكهنة واللاويين سألو يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) وقالوا له : أنت إيليا ، فقال : لست أنا

بإيليا"^(١).. بينما جاء فى إنجيل متى أن المسيح عليه السلام قال عن يحيى عليه السلام: إذا أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى"^(٢).

فهذا لا شك تناقض يوحى بعدم صدق الروايتين " ذلك أنه متى اتحدت نسبة كل خبر وتبائنا، قطع بكذب أحدهما على الآخر"^(٣)، ولما كان الصادق منهما غير واضح وغير متعين فالشك وارد على الاثنين.

(٣) من ذلك أيضا ما جاء فى إنجيل متى من أن أحد الرؤساء جاء إلى عيسى عليها السلام وقال له إن ابنتى ماتت، يقول متى " وفيما هو يكلمهم - أى الفريسيين - إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا إن ابنتى الآن ماتت ولكن تعالى وضع يدك عليه فتحيا"^(٤).

بينما جاء فى إنجيل مرقس أنه قال ابنتى على آخر نسمة ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى، وبينما هم فى الطريق جاءت جماعة من بيت الرئيس وأخبروهم بموتها"^(٥)، ففرق بين كونها ماتت، وكونها مريضة، فهذا تناقض بين إنجيلين فى رواية لحادثة واحدة.

(٤) وكذلك أيضا ما جاء فى إنجيل متى أن امرأة تقدمت إلى المسيح وسألته شفاء ابنتها من الجنون... يقول متى: " وانصرف يسوع إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك النخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود ابنتى مجنونة"^(٦)..

بينما نجد هذا النص فى إنجيل مرقس " ومضى إلى نخوم صور وصيدا ودخل بيتا وهو لا يريد أن يعلم أحد، فلم يقدر أن يختفى لأن امرأة كانت بابنتها روح نجس

(١) يوحنا ١: ٢١.

(٢) متى ١١: ١٤.

(٣) الإمام الجوينى: شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل ص ٥٠.

(٤) متى ٩: ١٨.

(٥) مرقس ٥: ٢٣-٣٥.

(٦) متى ١٥: ٢١-٢٢.

سمعت به فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت المرأة أعمية فى جنسها فينيقية سورية^(١)..ففى هذا النص يبين جنس المرأة بأنها فينيقية سورية ، بينما نجدها توصف فى إنجيل متى بأنها كنعانية ، فأيهما أخرى بالقبول؟

يقول الشيخ أبو زهرة فى تعليقه على هذه الحادثة : " لا شك أنه لا يمكن أن تكون الروايتان صادقتين معا ، بل لابد أن تكون إحداهما كاذبة وليست بإلهام من الله ، لأن الله لا يكذب ، وإذا كانت إحداهما ليست صادقة يتيقن وكاذبة يتيقن ولم يدر أيتهما الكاذبة المفتراة . فالشك إذن ملازم الاثنين لا ينفصل عنهما حتى نتبين الصدق من الكذب ، ولا سبيل إلى ذلك ، ولا يمكن أن تثبت لأيهما إلهاما مع هذا الشك الملازم الذى لا سبيل إلى إزالته "^(٢).

إلى غير ذلك من التناقضات^(٣) التى تجعلنا نقول إن هذه الأناجيل ليست من عند الله لأن " كل ما هو من عند الله لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه "^(٤).

الشرط الثالث : أن يكون الكتاب منسوباً إلى الرسول بالطريق القطعى أى عن طريق التواتر : " وأساس ذلك التواتر أن يروى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب حتى تصل إلى الرسول ، بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوى عن الجمع الذى سبقه ، والذى سبقه كذلك حتى يصل إلى الرسول الذى أسند إليه الكتاب ونسب إليه "^(٥) أى أن يكون الكتاب منسوباً إلى الرسول بالسند المتصل حلقاته.

والحقيقة أن مسألة السند المتصل لها أهمية وخصوصاً فى الكتب السماوية . فلا يمكن أن تقبل الكتب السماوية إلا إذا علم تواترها ، ومقدار صحة عقول الرجال الذين تناقلوها ، وهل هؤلاء القوم يتوافر فيهم الصدق والأمانة حتى إن كل ما

(١) مرقس ٧ : ٢٤ - ٢٦ .

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٠٢ .

(٣) من أراد المزيد من التناقضات والاختلافات بين الأناجيل . يراجع قصة الصلب والقيامة فى الأناجيل سجد اختلافات وتناقضات كثيرة . راجع أيضا : إظهار الحق ص ١١٤ وما بعدها .

(٤) عبد الله الترجمان : تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص ١١١ .

(٥) محاضرات فى النصرانية ص ٩٢ .

يقولونه حق وما يكتبونه حق وما يدونونه صحيح ، والسبب فى كل هذا هو أن تخرج العقيدة سليمة نقية لا شئ فيها من التحريف أو التغيير الذى ربما يؤدى إلى هدمها^(١)، فهل هذا السند المتصل ثابت لهذه الأناجيل . على فرض أنها أناجيل صحيحة . الواقع أن هذه الأناجيل لا سند لها .

فإنه ليس للمسيحيين سند متصل يصل هذه الأناجيل فى أقدم العصور التى عرفت فيها بالكاتبين . لها أو المنسوب إليهم هذه الأناجيل .

وفى إحدى المناظرات العلمية بين بعض علماء المسلمين وبعض علماء المسيحيين طلب علماؤنا من علمائهم السند المتصل فاعتذروا بفقده ، وقالوا إن سبب فقده هو توالى وقوع الاضطهاد والتعذيب على المسيحيين إلى أوائل القرن الرابع الميلادى .

يقول الشيخ رحمت الله الهندى : طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشر سنة ، وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين ، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت إن الظن فى هذا الموضوع لا يغنى شيئا ، فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفىنا وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا^(٢) .

فالسند المتصل لا يوجد عند المسيحيين ولا يوجد لهذه الأناجيل .. وبيان ذلك أنه لا توجد إشارة لهذه الأناجيل إلا فى أواخر القرن الثانى وابتداء القرن الثالث ، فالذى ذكر هذه الأناجيل أولا أرينيوس فى سنة ٢٠٠م تخمينيا ، وأورد بعض الدلائل على عددها ، ثم اجتهد بعد ذلك كليمنت^(٣) إسكندريانوس فى سنة ٢١٥م^(٤) .. بينما نجد أن هذه الأناجيل كتبت فيما بين عامى ٦٠ ، ١٢٠م .

(١) مصطفى سعداوى المهر : نظرات فى العقائد المسيحية ص ١٨ .

(٢) إظهار الحق ص ٨٣ .

(٣) كليمنت : من المفكرين المسيحيين فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى . ولد تقريبا فى منتصف القرن الثانى من أصل وثنى ، وكان وثنيا فى بداية حياته حتى أصبح مسيحيا فى الإسكندرية (لمزيد من المعلومات راجع جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ٢ / ٤٩ ، تاريخ الكنيسة القطبية ٢٨) .

(٤) إظهار الحق ص ١٨٥ .

يقول ول ديورانت: " وترجع أقدم النسخ التى لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث ، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامى ٦٠ - ١٢٠م ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل ، ولعلها أيضا تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التى ينتمى إليها الناسخ أو أغراضها ، والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادى لا ينقلون قط شيئا عن العهد الجديد بل كان ما ينقلونه مأخوذا من العهد القديم" (١)

ولقد وصف علماء المسيحية الفترة التى يُظن كتابة الأناجيل فيها أنها أكثر فترات التاريخ المسيحى غموضا ، فهم لا يعرفون عنها شيئا.

يقول حبيب سعيد: " إن الأربعين سنة من ٧٠ - ١١٠م تبقى أكثر فترات التاريخ المسيحى غموضا وإبهاما ، وهو أمر يؤسف له ، لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغيير فى الكنيسة نفسها... وفى هذه الفترة الغامضة من التاريخ المسيحى كتبت بشائر الإنجيل" (٢).

وبين زمن كتابتها وزمن الإشارة إليها لا يوجد للمسيحيين أى سند لهذه الأناجيل ، لذلك وجدنا أن نسبة هذه الأناجيل إلى أصحابها - كما بينا سابقا - غير صحيحة ومشكوك فيها ، والأسماء الحالية هى أسماء وضعتها الكنيسة بعد فترة من الزمن ، وليس لديها من الأدلة الكافية على ثبوت نسبة الأناجيل إليهم.

" فالأناجيل الثلاثة - كما يقول حبيب سعيد - غفلة من اسم المؤلف . ولم يذكر الكاتب شيئا عن نفسه ، أما الألقاب الحالية فقد وضعت بعد زمن من ظهورها اعتمادا على وجهة نظر الكنيسة" (٣).

(١) قصة الحضارة (مج ٣ / ج ٣ ص ٢٠٧).

(٢) فجر المسيحية ص ٤٧-٤٨ ، ولقد ردد هذا المعنى نفسه جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٧٥).

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٢١.

وكذلك الأمر بالنسبة لإنجيل يوحنا لم يذكر عن نفسه إلا قوله " هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا " (١)، وقد أخذت الكنيسة هذه الكلمة على علاتها ونسبته إلى يوحنا وهى نسبة غير صحيحة - كما بينا سابقا.

على أن هذه الأناجيل لم تعرف معرفة كاملة قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ولم يتحدد موقفها إلا فى هذا المجمع، فلقد أقر المجمع - لأول مرة فى تاريخ المسيحيين - قانونية هذه الأناجيل وبعض الرسائل الأخرى فى العهد الجديد، ولم يوافق على العهد الجديد كاملا إلا فى عام ٣٧٩م فى مجمع قرطاجنة (٢).

وقبل هذا التاريخ لم تكن هذه الأناجيل معروفة، أو مختصة بذلك التقديس، ولم يكن لها أى سلطان على أى مسيحى، وآخر إنجيل من هذه الأناجيل كتب فى نهاية القرن الأول، فبين آخر كتبهم تدوينا فى زعمهم ومعرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لا راوى يرويهها، وقد وقع بهم من الأحداث والاضطهاد ما يذهب باللب ويضيع الرشد وينسى المرء معه كل شئ، ولم تسلم هذه الكتب من الاضطهاد، ولا شك أن ذلك الاضطهاد الذى دام إلى صدر القرن الرابع يجعل الكتب التى رويت قبل ذلك موضع شك فى نسبتها إلى قائلها حتى يقيموا دليلا على صحة تلك النسبة، ولم يقيموا أى دليل، لأن السند منقطع بينها وبين من تنسب إليه (٣).

وهكذا يتبين لنا أن السند المتصل الذى يجعلنا نشق بالكتاب ونعتبره صحيحا لم يثبت لهذه الأناجيل، وهذا الأمر يضعف شأن هذه الأناجيل وشأن الثقة فى الركون إلى أخبارها وأحكامها وتعاليمها... وإذا كان الأمر كذلك فهى ليست كتباً مقدسة - فى نظرنا.

(١) يوحنا ٢١ : ٢٤.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٦.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ١٠٧.

تعقيب:

قد وضح لنا أن هذه الأناجيل لا ينطبق عليها أى شرط من شروط الكتاب الدينى السماوى ، وليس فيها أى علامة من علامات الكتاب السماوى ، فلم تنسب إلى رسول ادعى الرسالة ، وإنما نسبت لبعض التلاميذ والأشخاص وهم ليسوا معصومين.

ولم تكن هذه الأناجيل متسقة اتساقاً ذاتياً ، بل كانت متناقضة متضاربة ، هذا إلى جانب أنها ليس لها من السند المتصل الصحيح بينها وبين من نسبت إليهم . على أن دعوى الإلهام التى ادعوها لم يستطيعوا أن يقيموا عليها أى دليل ، وبأقل نظرة فى هذه الأناجيل يمكن الرد على هذه الدعوى.

إذن فهذه الأناجيل ليست حجة ، وليست لها من الأدلة ما يجعلها فى عداد الكتب الدينية السماوية . ولا يمكن أن تكون مصدراً يعتمد عليه فى بيان الرسالة الصحيحة التى جاء بها المسيح عليه السلام.

فهذه الأناجيل ليست بالإنجيل الذى كان بيد المسيح فى بداية رسالته ، ولو فرض وجود بعض من الإنجيل الحقيقى فى خلال سطور هذه الأناجيل فتعينه مستحيل ، وعصمته من التحريف غير ثابتة ، فلذلك كانت هذه الأناجيل الموجودة غير صالحة للاحتجاج بها لأنه حجة مع الاحتمال^(١).

وننتهى من هذا إلى القول بأن ضياع الإنجيل الصحيح كان له أكبر الأثر على ديانة المسيح ، فلقد اختلط وامتزج بهذه الديانة الكثير من المعتقدات والأفكار الوثنية ، وكان يمكن أن تكون الأناجيل التى وجدت بعد ضياع الإنجيل الصحيح محافظة على الديانة الصحيحة لو أنها حافظت على أفكار ومعتقدات معلمهم ، وأخذت نفس الخط الذى سار عليه رسولهم عيسى عليه السلام ، وانتهجت نفس النهج ، ولكن هذه الأناجيل للأسف لم تنهج هذا النهج الصحيح ولم تقف ضد المعتقدات الوثنية . بل بالعكس تبنتها وعملت على ترويجها ، وعملت الكنيسة على تقرير هذه الأناجيل التى تحمل هذه الأفكار والمعتقدات الوثنية.

وبهذا يتضح مدى الأثر الذى أحدثه ضياع الإنجيل الصحيح على ديانة المسيح عليه السلام.

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١١.

الفصل الثالث

بولس ونشاطه في المسيحية

مصادر سيرة بولس الذاتية والفكرية

يعتبر بولس لدى المسيحيين من أكثر أشخاص القرون الأولى للمسيحية معرفة، وذلك بالنسبة لحياته وأفكاره، حيث ترجع مصادر معرفته إلى السنوات التي عاش فيها وإلى كتبه ورسائله التي كتبها بنفسه، هذا إلى جانب السفر الذي عنى بسيرته ورحلاته ونشاطه في المسيحية، وهذا يعنى أنه لدى المسيحيين مصدران عن حياة وأفكار بولس.

المصدر الأول: رسائل بولس نفسه:

ففى العهد الجديد ثلاث عشرة رسالة منسوبة إلى بولس بخلاف الرسالة إلى العبرانيين - المنسوبة إليه - التى لم يوجد اسمه فيها كما يظهر فى الغالبية العظمى من المخطوطات القديمة^(١)

وفى هذه الرسائل نجد بعض المعلومات التى يلقيها بولس عرضا عن سيرته ورسالته^(٢)، هذا إلى جانب أن هذه الرسائل تمثل أفكار وعقائد بولس التى بشر بها وتحمس من أجلها.

المصدر الثانى: سفر أعمال الرسل:

وينسب إلى لوقا (صاحب الإنجيل الثالث)^(٣) ..

(١) د/ فهم عزيز: الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٢.

(٢) راجع غلاطية ١: ١١، ٢: ١٤، ١ كورنثوس ١٥: ٨، ٩، ٢ كورنثوس ١١: ٢٢، ١٢: ١٢.

(٣) وهذه النسبة ليست محل إجماع العلماء. فبعضهم يفضل النظرية التى تقول إن مؤلف الإنجيل لوقا وأعمال الرسل شخصان مختلفان. وهناك رأى يقول إن مؤلف سفر الأعمال ليس شخصا واحدا. ولا شخصين، بل عدة أشخاص كتبوا عدة أجزاء أو كتابات. وجاء مؤلف واحد وجمع هذه الكتابات معا، وهو ليس لوقا (راجع قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٩٨، ٢٩٩.

ويعتبر هذا السفر من الأسفار المقدسة لدى المسيحيين، وهو يحكى سلسلة من أعمال المسيحيين الذى بشروا بالمسيحية وما لا قوة من عنت وعذاب وقتل واضطهاد، هذا إلى جانب أن عنى بوجه خاص بتاريخ وحياة بولس قبل دخوله فى المسيحية واضطهاده لأتباعها، ثم يحكى بعد ذلك قصة دخوله فى المسيحية وأفكاره التى بشر بها ورحلاته التبشيرية إلى العالمين اليونانى والرومانى، هذا ويظهر من خلال نبرة هذا السفر أنه يهدف لإظهار فضل بولس فى زعامة المسيحية^(١).

ويطلق المسيحيون على هذا السفر مع الأناجيل الأربعة اسم الأسفار التاريخية، أما الرسائل الأخرى - عدا رؤية يوحنا - فيطلقون عليها اسم الأسفار التعليمية^(٢).

ولقد اعتبر المسيحيون أن سفر أعمال الرسل كتاب ضرورى ومصدر رئيسى لمعرفة الأساس التاريخى لحياة بولس ومعرفة تفكيره^(٣)، خاصة وأنهم يعتقدون أن لوقا - المنسوب إليه سفر الأعمال - قد رافق بولس^(٤) فى السفر ورافقه مدة ستين فى قيصرية فى السجن^(٥).. وقد ذكر بولس اسمه ثلاث مرات فى رسائله^(٦).

البيئة التى نشأ فيها بولس:

لقد كانت الإمبراطورية الرومانية فى زمن ولادة بولس هى المسيطرة على العالم آنذاك، وكان الاتصال والتنقل بين أجزاء الإمبراطورية سهلا ميسورا، خاصة وأن الرومان أمنوا الطرق من اللصوص، والبحار من القراصنة، فانقطعت بذلك عصابات السطو وقطاع الطرق، ومن ثم زادت التبادلات التجارية والعلاقات

(١) يوسف الخداد: فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٢٤ ، ٢٥).

(٢) راجع المطران أفلاطون: الخلاصة الشبهة فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ٩، د/ ألفرد مارتن: دراسة أسفار الكتاب المقدس "الكتاب الأول" ص ١٣.

(٣) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ١٢.

(٤) البعض ينكر أن يكون كاتب سفر الأعمال قد رافق بولس وذلك على أساس أنه يوجد فى هذا السفر كثير من النقاط التى تتعارض مع التعاليم المذكورة فى رسائل بولس (عن بعض من هذا التعارض راجع: فلسفة المسيحية فى رسائل بولس ١ / ٣٥) ومن غير المعقول إذن أن تكون هذه قد سطرها شخص له معرفة ببولس ورحلاته التبشيرية (راجع رأى د/ جورج كيرد - رئيس الجمعية الكندية للكتاب المقدس - فى كتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٦٥).

(٥) تفسير العهد الجديد "إنجيل لوقا" ص ١١.

(٦) كولوسى ٤ : ١٤ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١ ، فلپمون ٢٤.

الثقافية بين الشعوب ، وكان العالم حينئذ يعج بالفلسفات والمعتقدات الدينية المختلفة.

وفى بقعة من أحد أجزاء هذه الإمبراطورية ولد ونشأ بولس ، وبالتحديد فى مدينة "طرسوس" إحدى المدن اليونانية..

وكانت طرسوس مدينة عظيمة . نشطة غاية فى النشاط ، فكانت مركزا هاما من مراكز التجارة والأعمال . وميناء من موانئ بحر الروم على ساحل آسيا الصغرى ، وتقع خلفها جبال طوروس العالية . وقد شقت فيها منافذ تعبر منها القوافل إلى ما وراءها ، وفى وسطها نهر كدموس يفرغ ماءه فى البحر الأبيض المتوسط ، وقد جرت السفن على مياهه الهادئة ، وحفلت ضفافه بالأرصفة والمرافئ^(١) . وهذه الظواهر جعلت طرسوس مدينة لها أهميتها واستراتيجيتها ، مما جعلها ممرا تجاريا هاما لجميع الشعوب والأجناس الذين كانوا يأتون ومعهم أفكارهم ومعتقداتهم وفلسفاتهم ، فيطلع عليها أهل بلاد طرسوس ، ويأخذون منها ما يحلو لهم ، ويتركون ما لا يقع فى نفوسهم بعد أن يعرفوا مضمونها..

وكانت طرسوس قبل عهد الرومان مركزا للثقافة اليونانية ، خاصة وأن أهلها تحمسوا للفلسفة ، وتعشقوا العلم والتهذيب^(٢) ، فازدهرت المدارس اليونانية ، وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه اليوم بـ (الجامعة) التى كانت سببا لشهرة هذه المدينة ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية^(٣) ، وأصبحت فى مصاف المدارس الفلسفية الكبرى ، فكانت تعتبر ثالث مدرسة كبرى بعد مدرستى الإسكندرية وأثينا ، وكانت تنافسهما وتقتادك فى العلم والمعرفة^(٤) ..

فكانت مركزا من مراكز الرواقية وهى مدرسة فلسفية وضع أصولها زينون (٢٤٦.٣٣٦ ق.م) وأكملها تابعان من بعده (أفلايتوس ٣٣١ - ٢٣٢ ق.م) و

(١) حبيب سعيد : سيرة رسول الجهاد " بولس " ص ٣ ، القس حارث فريضة : القديس بولس ص ١٠ .

(٢) سيرة رسول الجهاد " بولس " ص ٣ .

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٨ .

(٤) د / على القمراوى : مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط ص ٣٤ .

(أفرسيوس ٢٨٢ . ٢٠٩ ق . م)^(١) وكانوا جميعا من غربى آسيا^(٢) أى بالقرب من طرسوس ...

والرواقية تعنى بدراسة الأخلاق أكثر من غيرها، يقول جورج سارتون: " فالأخلاق هى المذهب الرواقى ومجده"^(٣).

ويقول د/ عثمان أمين: " ويكاد الإجماع ينعقد بين الباحثين على أن الرواقية لم تكن مذهباً مرسوماً بقدر ما كانت عقيدة أخلاقية"^(٤).

وفى السنوات الأولى لحياة بولس كان قد علا شأن هذا المذهب بدرجة كبيرة^(٥)، فكان أساتذة الدراسات الفلسفية فى طرسوس ينتمون إلى هذا المذهب، ويبدو أنهم لم يكتفوا بغرس تعاليم هذا المذهب فى أذهان الطلبة الذين يتابعون حلقاتهم، بل راحوا ينشرون مبادئه الأساسية، وقضاياها الأولى، وشعاراته المثيرة، بل روحه فى شبه " حملة تبشيرية " ذات طابع شعبى يتفق مع طرق تفكير الجماهير، وهذا يعنى أن بولس كان على معرفة بالمبادئ الأولى للفلسفة الرواقية، والوسائل الشائعة فى الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين^(٦) مما كان له أثره الكبير عليه فيما بعد.

وكان لطرسوس أيضا شهرة واسعة فى مجال المعتقدات الدينية، وكان ذلك بسبب موقعها الجغرافى، فكانت حلقة الاتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام ومفرق الطرق التجارية الهامة التى تجلب إليها فى آن واحد من اليونان وإيطاليا وفريجيا والشام وقبرص وفينيقيا ومصر سبيلا لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة^(٧)، فكانت مكانا لالتقاء الثقافات والمعتقدات الشرقية والغربية، ومزجها والتأليف بينها.

(١) راجع : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٢٣ .

(٢) جورج سارتون : تاريخ العلم (٣ / ٣٩٢)

(٣) المرجع السابق ٣ / ٣٨٨ .

(٤) د/ عثمان أمين : الفلسفة الرواقية ص ١٠ .

(٥) فجر المسيحية ص ٢٤ .

(٦) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٨ .

(٧) المرجع السابق نفس الصفحة

فلقد عبد الشعب فى طرسوس آلهة يونانية وسريانية^(١)، شرقية وغربية على السواء، وانتشر بين أهلها ديانات ذلك العصر وهى ما تسمى بالديانات السرية^(٢).

يقول يوسف لحداد: كان فى طرسوس زوايا للعبادات السرية وهى مزيج من حكمة اليونان ومن صوفية الشرق تدعو للخلاص بطقوس سرية^(٣).

فكانت طرسوس مركزاً من مراكز المثرية^(٤) وهى تنسب لمثرا الفارسى، وكان أهلها يعتقدون أن مثرا هو المخلص والمنقذ، وفى طرسوس أيضاً كان هناك أتباع للأورفية^(٥)، وما يشبهها من تلك الديانات السرية - والتى كان من أهم تعاليمها فكرة (المخلص) أو (المنقذ).

يقول ول ديورانت: "وكان فى طرسوس كما كان فى معظم المدن اليونانية أتباع للأورفية وغيرها من العقائد الخفية يعتقدون أن الله الذى يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره، وأنه إذا دعى بإيمان وحق وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم، وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه فى موهبة الحياة الخالدة المباركة"^(٦).

هذا وكان يعبد فى طرسوس ديانات أخرى، وكان معظمها يدور حول هذا المعتقد وهو موت الإله وقيامه من الأموات من أجل خلاص البشر، وكان من أهم هذه الديانات عبادة الإله "بعل طرز" أى "سيد طرسوس" وهو الذى قرن أهل اليونان بينه وبين زيوس، وهو إله زراعة قديم يتحكم فى خصوبة الأرض، فلما انتقلت عبادته إلى المدينة، وقرن شيئا فشيئا بزيوس ارتفعت مكانته، واتخذ شكل وصفات إله السماء وسيد الآلهة.

(١) سيرة رسول الجهاد بولس ص ٩.

(٢) سميت هذه الأديان بالسرية لأن الشخص عند دخوله إلى هذه الديانات كان يقوم ببعض الطقوس، ويستلم بعض التعاليم السرية، ويصبح بذلك شخصا كاملا روحيا (راجع الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٤٥) راجع الباب الثانى من هذه الدراسة..

(٣) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس ص (٤٨ / ١).

(٤) العقاد: حياة المسيح ص ٩٢.

(٥) الأورفية: تنسب إلى شاعر من أهل تراقيا اسمه أورفيوس، وهو شخصية اختلف حولها العلماء، ولقد عرف التاريخ الأورفية أول ما عرفها فى القرن السادس ذائعة ذبوعا قويا وبخاصة فى إيطاليا الجنوبية وصقلية (راجع: برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية - الكتاب الأول ص ٤٢، راجع أيضا: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦).

(٦) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٥٩ - ٢٥٠).

وأيضاً (الإله ساندان) وكان فى الأصل أيضاً إله خصوبة - أو بصورة أعم إله الزراعة - وكان الناس يحتفلون به كل عام فيتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلى السماء^(١)، وهى معتقدات تشبه المعتقدات الشرقية، وهذا يؤكد نزعة المزج والتوفيق بين الآلهة وهى التى كانت منتشرة فى طرسوس بوضوح ومنذ زمن بعيد^(٢).

لقد ولد بولس ونشأ فى هذه البيئة المليئة بالمعتقدات الدينية، والتى كان من أهم سماتها المزج بين الآلهة وأهم معتقداتها عقيدة (المخلص) والتى كانت تظهر فى الديانات بصورة مختلفة... هذا إلى جانب أن هذه البيئة كانت مشبعة بالأفكار والمصطلحات الفلسفية.

نشأ بولس وترعرع فى وسط هذه الأجواء الدينية والفلسفية مما سهل عليه الاطلاع عليها والتعرف على أساليبها، وهى لا شك كان لها أثرها عليه فيما بعد.

يقول حبيب سعيد: " على أنه شابا مثقفا - بولس - فى مدينة كهذه لا بد أن يكون قد تشبع بكثير من الآراء اليونانية، وبالجو السياسى والدينى فى العالم الأكبر المحيط به خارجا عن بيئته اليهودية المحافظة"^(٣).

الاسم والعائلة:

اسمه " بولس " وهو الاسم الرومانى، وكان اسمه العبرى " شاول " كما تدل عليه صيغته، وفى سبب تسميته باسمين رأيان:

الرأى الأول: يقول إنه كان اسمه شاول، ولكن بولس غير اسمه وتسمى باسم الوالى الرومانى (سرجيوس بولس) والى قبرص.

الرأى الثانى: وهو الرأى السائد بين المسيحيين وهو أن بولس كان له اسمان، اسم يعرف به بين اليهود وهو شاول، واسم يعرف به بين الأمم وهو بولس^(٤).

(١) لمسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨٠.

(٣) فجر المسيحية ص ٤٠.

(٤) راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦.

يقول يوسف الحداد: " وكانت عادة مألوفة عند الشعوب المغلوبة في الدولة الرومانية أن يحمل أحدهم اسمين اسما قوميا، واسما رومانيا، وخصوصا إذا ما اكتسب الرعوية الرومانية وامتيازاتها. كما كانت حال بولس عن أبيه وحمل الاسمين معا منذ مولده في طرسوس ^(١) .

ويقول باركلي: " وكان لمعظم اليهود اسمان، أحدهما يهودى يعرف به في الأوساط اليهودية، والآخر يونانى يعرف به في باقى أجزاء العالم، وأحيانا كان الاسم اليونانى ترجمة للاسم العبرى، وأحيانا يكون الاسمان متشابهان في النطق مثل يشوع ويسوع. وهكذا كان شاول وبولس ^(٢) .

والواقع أنه برغم الأدلة التى ساقها المسيحيون على التسمية بالاسم الثانى (لشاول) إلا أن هناك حقيقة لم يستطع المسيحيون إنكارها، أو تجاهلها، وهى أن بولس كان يدعى شاول (كما فى سفر أعمال الرسل) إلى الوقت الذى ظهر فيه اسم الوالى الرومانى (سرجيوس بولس) على مسرح الأحداث فى سفر أعمال الرسل الإصحاح الثالث عشر ^(٣) .

ففى الوقت الذى يبين فيه هذا السفر أن هذا الوالى دخل المسيحية على يد شاول، نجد أنه - أى سفر أعمال الرسل - يطلق على شاول لأول مرة اسم بولس، ولم يذكر شاول بهذا الاسم قبل هذه الواقعة... فليس هناك أى دليل على أنه نودى بهذا الاسم قبل هذه الواقعة. والعجيب أن الإصحاح الثالث عشر الذى ذكر هذه الواقعة قد ذكر اسم شاول فى بدايته أربع مرات ^(٤) . وإن صح هذا رأى فإنه يعنى أن بولس كان شديد التأثير بمن حوله وأنه كان من النوع الذى يتأثر بغيره، فلقد غير اسمه وسمى نفسه باسم الوالى، ويعنى أيضا أنه كان يحب التقرب إلى أهل السلطة والولاة.

(١) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٤٧).

(٢) تفسير أعمال الرسل ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) أعمال ١٣ : ٦ - ١٠.

(٤) أعمال ١٣ : ١ - ٢ - ٧ - ٨.

أما بالنسبة لولادة بولس فيذكر أنه ولد في طرسوس في العام الثالث^(١) الميلادي تقريبا^(٢)... ويقول المسيحيون إنه اكتسب الرعوية الرومانية لأنه ولد في طرسوس وهي إحدى الولايات الرومانية^(٣).

والواقع أن بولس لم يدع لنفسه أنه روماني إلا في أوقات الأزمات، فعندما كان يرى أنه سيلحقه أذى من الرومانيين يقول لهم إنه روماني الجنسية، حتى يتمكن من النجاة من أيدي الرومان أو من العذاب..

يقول سفر الأعمال : (فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضى عليها...)^(٤).

أما أبوه فكان تاجرا ويقال إنه كان فريسيا من الفريسيين^(٥).
أما والدته فلم يذكرها بولس قط في رسائله، والأرجح أنها توفيت وهو طفل^(٦).

ثقافة بولس:

عاش بولس في الفترة الأولى من حياته في طرسوس، بين أجواء مشبعة بالفلسفة والمعتقدات الدينية، أي أنه نشأ وقت انتشار تلك الثقافات بين جميع الأوساط، وذلك بفضل أن أساتذة الفلسفة في هذا الإقليم سهلوها بطرق تتفق مع طرق تفكير الجماهير، وهذا يعنى أن اللبنة الأولى في عقل بولس سمعت بهذه الثقافات وتلك المعتقدات.

في بداية حياته - وحين بلغ الصبى شاول السادسة من عمره - كما يقول حبيب سعيد - بعث به والده إلى مدرسة صغرى ملحقة بالمجمع اليهودي في طرسوس، وفي

(١) العام الذى ولد فيه بولس لم يعرف بالتدقيق ولذلك نجد "ول ديورانت" يذكر أنه ولد في السنة العاشرة الميلادية. (قصة الحضارة) مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٩.

(٢) فلسفة المسيحية في رسائل بولس (١ / ٥٠).

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٤.

(٤) أعمال ٢٢ : ٢٥ - ٢٧.

(٥) سيرة رسول الجهاد : بولس ص ٦.

(٦) المرجع السابق ص ٧.

مدرسة هذا المجمع تعلم شاوّل العبرية^(١) وتعلم القراءة فى الكتاب المقدس بهذه اللغة^(٢)... وبعد تعلمه العبرية أرسله والده إلى مدرسة يونانية - أو أسلمه إلى مرب تولى تعليمه اليونانية قراءة وكتابة^(٣)، وتلقى الثقافة اليونانية مدة عشر سنين حتى أتقن اللغة اليونانية جيداً^(٤).

ويقول: عكف الفتى شاوّل على قراءة الكتب اليونانية، فعرف الشئ الكثير عن الإلهة التى عبدها أهل طرسوس، وأشهرها الإله (زيوس) الذى "يكثّر غلة الأرض، ويخصب حقوق الحنطة وكرم العنب" حسب اعتقاد أهل طرسوس، ثم الإله (ساندان)، وكان تمثاله أشبه برجل قوى البدن، أمسك بيده قوساً وسيفاً وفأساً، وهو الذى يحمى طرسوس بقوسه وسيفه وفأسه ووقعت أبصار الفتى على تماثيل إمبراطور رومية منصوبة فى هياكل طرسوس^(٥)، ويظهر من هذا أن بولس فى سنّى شبابه اطلع على ما كان منتشرًا فى طرسوس فدرس الأفكار الفلسفية اليونانية، واطلع على المعتقدات الدينية المنتشرة سواء ما كان منها شرقى أم غربى.

ولقد هيات له الظروف أن يطلع أكثر على معتقدات الناس من خلال اختلاطه بهم، وذلك حين اقتاده والده إلى أحد مصانع الخيام لتعلم هذه الحرفة^(٦)، وظل مواظباً على الذهاب بضعة أسابيع حتى أتقن هذه الصناعة^(٧).

ثم بعد ذلك أرسله أبوه وهو فى الخامسة عشرة أو العشرين من عمره - كما يقول المسيحيون - إلى غمالاتيل^(٨) أحد أبحار اليهود فى أورشليم وعضو فى السندهريم وأحد اللاهوتيين المعروفين فى القرن الأول الميلادى^(٩).

(١) المرجع السابق ص ٤.

(٢) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٥١).

(٣) سيرة رسول الجهاد بولس ص ٥.

(٤) المرجع السابق ص ٤.

(٥) المرجع السابق ص ٥.

(٦) خاصة وأن طرسوس اشتهرت بهذه الصناعة، فكان يأتى إلى أسواقها الناس من إقليم كيليكية حول ميناء طرسوس الذين اشتهروا بتربية قطعان من الماعز الطويل الشعر، وكان رعاتها يجزون شعرها ويذهبون ليبيها فى أسواق طرسوس لطائفة المشتغلين بصناعة الخيام (شبنى: تاريخ العالم الغربى ٨٣. سيرة رسول الجهاد : بولس ص ٧، وبما أن بولس كان قد ذهب لتعلم هذه الحرفة فلا بد وأنه اختلط بهؤلاء الناس وغيرهم فى أسواق طرسوس وفى مصانع الخيام التى كانت كثيرة فى هذه البلاد.

(٧) سيرة رسول الجهاد: بولس ص ٧.

(٨) راجع أعمال الرسل ٢٢: ٣، راجع أيضاً: فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٥٢). المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٤، ٣٤٥.

(٩) وكان غمالاتيل أول من طالب برفع القيود عن تلاميذ المسيح والكف عن اضطهادهم، وحثه أن هذا العمل إن كان من الناس فهو يسقط بطبيعة الحال أما إذا كان من الله فلا تقدروا أن تنقضوه (أعمال ٥: ٣٤. ٣٩، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٦٢).

تتلمذ بولس على يديه ، ولقد حكى سفر الأعمال عن بولس قوله (أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ولكن ربيت فى هذه المدينة مؤدبا عند رجلى غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوى^(١) .

يقول حبيب سعيد : " ولبت متتلمذا على يديه مدى سنوات - لا يعرف مداها بالضبط - والأرجح أنه عاد إلى مسقط رأسه (طرسوس) ، ويؤكد علماء التاريخ وجمهرة الشراح أن شاول لم يكن فى أورشليم خلال السنوات الثلاث التى قضاها المسيح فى خدمته العامة فى أورشليم^(٢) .

ويشكك العالم المسيحى شارل جنيبير فى تلمذة بولس على يد غمالائيل فيقول : " وليس فى وسعنا بطبيعة الحال نفى هذا الخبر بصورة قاطعة ، ولكننا نستطيع القول بأنه على أى حال لا يتفق كثيرا مع الصورة العامة التى تكونت لدينا من دلائل مختلفة : فلا نفهم مثلا أن تلميذا من تلاميذ كهنة فلسطين تصل به الحال إلى تجاهل وإنكار أساتذته كما فعل بولس فى طور من أطوار حياته ، بينما نراه أحسن التعبير عن الروح اليهودية التى كانت تسود فى معابد المهجر المتأثرة بالفكر اليونانى^(٣) .

ويقول : " ونكرر أننا لا نثق فى هذا الادعاء - تلمذته لغمالائيل - بل نعتقد أنه يبعد بنا عن الحقيقة^(٤) " بمعنى أن بولس لو كان تلميذا لغمالائيل الخبر اليهودى لتربى على حفظ الناموس ، ولما كان أكثر انفتاحا للفكر اليونانى وأقل تعصبا ليهوديته ، فلقد تأثر بولس كثيرا بيهود المهجر الذين عاش معهم فى طرسوس ، فكان يسير على نمطهم وأسلوبهم وموقفهم من الشريعة ، هذا إلى جانب أنه كان يستخدم التوراة اليونانية المسماة (بالترجمة السبعينية) وهى النسخة التى كان يقرأها يهود المهجر .

يقول يوسف الحداد : " فنشأ بولس (عبرانيا) فى وسط هلىنى يتلو كل يوم مع والده الكتاب المقدس باللغة اليونانية السبعينية^(٥) .

(١) أعمال ٢٢ : ٣ .

(٢) سرّة رسول الجهاد "بولس" ص ١٨ .

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٥) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٤٩) .

ويقول : " حفظ بولس الكتاب المقدس في ترجمته السبعينية ، وكان ينقل منها عشرات الاستشهادات في رسائله " (١) .

وخلاصة القول : إننا نقول إن تعلمه اليهودية على يد يهود أورشليم الذين يمتازون بالمحافظة على التاموس والنص العبري ، قول مشكوك فيه . وهذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن تعليم بولس اليهودية كان على يد معلمين من يهود المهجر ، خاصة وأن تعليمه اليهودية الأولى كان في طرسوس تلك التي كان يعيش فيها كثير من اليهود المهاجرين من أورشليم ، ويؤكد ذلك : الأحداث التالية وأفكاره التي بشر بها بين المسيحيين بعد دخوله المسيحية . واستخدامه للنص اليوناني في الاستشهاد دون النص العبراني .

يقول شارل جنيير : " وهذه الملاحظة على الأخص تدعونا إلى الاعتقاد بأنه لم يدرس النصوص المقدسة في مدينة القدس ، ولكن في إحدى المدارس اليهودية بالمهجر " (٢) .

وهكذا يتبين لنا أن ثقافة بولس تتلخص في أنها كانت ثقافة يونانية حيث نشأ في طرسوس وتعلم في مدارسها ونهل من معارف أصحابها ، أما ثقافته اليهودية فهي ثقافة يهودي عاش في بلاد المهجر تأثر بالثقافات والمعارف اليونانية ، وإن كان قد تفوق على يهود المهجر في دراسة اليهودية .

يقول بولس : " وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي من جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي " (٣) .

اضطهاد بولس لأتباع المسيح :

يعد بولس قبل دخوله المسيحية من أكبر قادة الاضطهاد ضد النصارى ، فقد كان يكيل لهم من البطش والتشكيل ما تشهد به أسفار العهد الجديد ، واعترف بولس نفسه بأنه كان من أكبر المضطهدين للنصارى ، وأنه أفرط في تعقبهم واضطهادهم .

(١) المرجع السابق ص ٤٨ . راجع أيضا القس حارث قريصة : القديس بولس (١ / ٤٩) .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٤ .

(٣) غلاطية ١ : ١٤ .

يقول بولس: " واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة ^(١) أى أنه كان قاسيا لدرجة أنه لم يترك رجلا أو امرأة إلا وسلمهم إلى السجون.

وفى فقرة أخرى أبرز بولس ذلك الاضطهاد العنيف بدرجة أكثر وضوحا، وأشار إلى أنه كان يفتى بقتلهم ، ثم وضع السبب فى هذا الاضطهاد، وهو حقده على هؤلاء النصارى.

يقول بولس: " فأنا ارتأيت فى نفسى أنه ينبغى أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى وفعلت ذلك أيضا فى أورشليم فحبست فى سجون كثيرين من القديسين آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة ، ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك ^(٢) ، وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة وأضطروهم إلى التجديف وإذا أفرط حقى عليهم كنت أطردهم إلى المدن التى فى الخارج ^(٣) .

ويقول: " فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية أنى كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ^(٤) ، ويفصل سفر الأعمال هذا الإفراط فى اضطهاد النصارى الذى تحدث عنه بولس فيقول: " وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن ^(٥) وكلمة السطو فى اللغة الأصلية - كما يقول باركلى - تنفيذ عملا وحشيا كما ينقض وحش على فريسته ^(٦) .

ثم يوضح سفر الأعمال أن بولس لم يترك بابا فيه إيذاء للنصارى إلا وطرقه واستخدمه فيقول: " وأما شاول فكان لم يزل ينفث (كما ينفث الثعبان سمه القتال) ^(٧) تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل

(١) أعمال ٢٢: ٤ ، ٥ ، راجع فيلبي ٣: ٦ .

(٢) وفى الطبعة الكاثوليكية (كنت ممن أصدر رأيه بقتلهم) .

(٣) أعمال ٢٦: ٩ - ١١ .

(٤) غلاطية ١: ١٣ .

(٥) أعمال ٨: ٣ .

(٦) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ١٠٦ .

(٧) د/ ماكرتنى : أعظم الرجال فى الكتاب المقدس ص ٦ .

إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم^(١).

ويوضح سفر الأعمال أيضا أن بولس كان يشاهد بفرح عظيم وارتياح شديد الحجارة التي تنهال بشدة على استفانوس ، وكان راضيا وسعيدا لقتل استفانوس^(٢). وهكذا يتبين لنا أن بولس كان من أشد المضطهدين للنصارى . وأنه استخدم في اضطهادهم كل الوسائل التي تمكنه من القضاء عليهم سواء بالقول أو بالعمل.

تحوله المفاجئ إلى المسيحية:

إن المسيحيين يروون قصة لتحول بولس إلى المسيحية وهي كما يلي:

إن بولس لما علم أن أناسا اتبعوا الديانة المسيحية في دمشق تقدم بطلب إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق للتعريف بمهمته وحتى يتمكن من القبض عليهم ويسوقهم إلى أورشليم ويسلمهم إلى السجون ، وبينما هو في الطريق حدث أن ظهر له المسيح - كما يعتقدون - ودار بينهما حوار سأله فيه المسيح لماذا تضطهدينى؟ وعلى أثر هذه الواقعة اهتدى بولس للمسيحية وأعلن أنه رسول لها . وهذه القصة جاءت فى مصادر المسيحيين بثلاث روايات ، ولأن هذه الحادثة لها أثرها على المسيحية كلها سوف نذكر تلك الروايات وننظر ما فيها.

الرواية الأولى:

على لسان لوقا (على اعتبار أنه صاحب سفر الأعمال كما يعتقد المسيحيون) :
 "فتقدم - شاول - إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم ، وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدينى؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال

(١) أعمال ٩ : ١ ، ٢ .

(٢) أعمال ٢٢ : ٣ .

الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس^(١)، فقال وهو مرتعد ومتحيرا يا رب ماذا تريد أن أفعل، فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا، فنهض شاول عن الأرض وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحدا فاقتاوده بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب^(٢).

ومفاد هذه الرواية: أنه فجأة ظهر لبولس نور، فلما أبصره سقط مغشيا عليه، وسمع صوتا يسأله لماذا تضطهدينى؟ فسأله بولس من أنت؟ فقال أنا يسوع الذى تضطهده، ثم نصحه المسيح بالدخول إلى المدينة (دمشق) ليتلقى مهمة التبشير بالمسيحية، وبعد ذلك قام شاول وهو لا يبصر شيئا، فاقتاوده إلى دمشق، أما المسافرون معه فتوضح هذه الرواية أنهم سمعوا الصوت ولم يشاهدوا النور ولا أى شئ آخر ووقفوا صامتين.

الرواية الثانية:

يرويهها صاحب سفر الأعمال على لسان بولس نفسه. تقول الرواية: " فحدث لى وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لى شاول شاول لماذا تضطهدينى؟ فأجبت من أنت يا سيد؟ فقال لى أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده، والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى

(١) فى المعاجم اللغوية (لغس الدابة كصبر، وجعل، أى غرز مؤخرها أو جنبها بعود ونحوه، والمناخس: ما ينخس به الدابة لتنشط، وجمعها مناخس أو مناخيس، راجع لسان العرب ص ٤٣٧٦، القاموس المحيط ج ٢ باب السين فصل النون ص ٢٦٣، وهذا القول كناية عن أن بولس لن يستطيع أن يهرب منه، وأن عليه أن يتعلم الطاعة والخضوع له. أى المسيح. يقول باركلي معلقا على هذا: " قال المسيح للقام. أى الذى قام من قبره كما يعتقدون. لبولس: "صعب عليك أن ترفس مناخس" كان الثور الذى يوضع تحت الثير لأول مرة يرفس محاولا الإفلات من الثير، وكان صاحبه يمد عصا طويلة فى آخرها جزء حاد، فكان كل مرة يرفس يتألم من المناخس، وكذلك فى العربة توضع مناخس خلف رجل الحصان حتى إذا ما رفس يتألم أيضا ويخرج، كان على الثور الصغير أن يتعلم الطاعة والخضوع للثير القاسى وكذلك كان على بولس أن يتعلم الخضوع والطاعة. راجع: تفسير أعمال الرسل ص ٢٨٩.

(٢) أعمال ٩: ١.

كلمنى، قلت ماذا أفعل يا رب؟ فقال لى الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل، وإذا كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادنى بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق^(١).

وهذه الرواية تبين أن الذين كانوا مع بولس نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا الصوت، ولم تحدث لأى منهم أى حادثة عمى، أو غشاوة مثل بولس.

الرواية الثانية:

وهى على لسان بولس أيضا، والجديد فى هذه الرواية أن المسيح انتخب بولس شاهدا، وخداما له، وأنه اختاره ليكون رسولا إلى الأمم (غير اليهود).

نص الرواية كما جاء فى سفر الأعمال حكاية عن بولس: "رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أشرق حولى وحول الذاهبين معى، فلما سقطنا جميعا على الأرض سمعت صوتا يكلمنى ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدنى؟ صعب عليك أن ترفض مناخس، قلت أنا من أنت يا سيد؟ فقال أنا يسوع الذى أنت تضطهده، ولكن قم وقف على رجلك لأنى لهذا ظهرت لك لانتخبك خادما وشاهدا بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم^(٢)."

ويلاحظ فى هذه الرواية أن المسافرين مع بولس سقطوا جميعا على الأرض وبولس هو الذى سمع الصوت باللغة العبرانية، وأنه تلقى الرسالة من المسيح الذى وعده بإنقاذه من الشعب اليهودى ومن الأمم (أى غير اليهود).

وأهم الملاحظات على هذه الحادثة ما يلى:

(١) أنه يوجد بين الروايات الثلاث بعض الاختلافات التى لا تقبل الجمع بينها، فالأولى تبين أن المسافرين معه سمعوا الصوت ولم ينظروا النور ووقفوا صامتين،

(١) أعمال ٢٢: ١١-٦.

(٢) أعمال ٢٦: ١٣-١٧.

والثانية تبين أنهم لم يسمعوا الصوت ونظروا النور ، والثالثة نظروا النور وسقطوا على الأرض.

والاختلاف الثانى : أنه يلاحظ من الرواية الأولى والثانية أن المسيح أمر بولس بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة ، بينما الرواية الثالثة توضح أن المسيح أعطى بولس الرسالة فوراً . وقت ظهوره له . مع وعد بإنقاذه من اليهود والشعوب الأخرى^(١).

ولما كانت هذه الحادثة تعتبر الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس إيمانه لدخوله المسيحية واختياره رسولاً من المسيح فإننا نقول الروايات التى روت هذه الواقعة مختلفة فيما بينها ، والاختلاف يعنى أن واحدة من هذه الروايات هى التى تحمل أنها صحيحة والأخرى ليست كذلك ، ولا سبيل إلى تحديد الصحيحة من غيرها.

(٢) أن بعض الباحثين يرجعون ما حدث لبولس بأنه ربما يكون تهيؤاً حدث له نتيجة لعوامل صحية ، فبعض العلماء يقررون أن بولس غالباً كان مصاباً بالصرع . يقول د/ إنج^(٢) "ما ترجمته : " لقد كان يعانى بولس من مرض جسمانى غامض والذى لا نستطيع إلا أن نخمن طبيعته غالباً إنه الصرع لقد كان بولس عرضة لحالات من الغشاوة الغامضة التى وجد فيها البعض دليلاً على الافتراض بأنه كان يعانى من الصرع"^(٣).

هذا إلى جانب عوامل الإرهاق والتعب الشديد الناجمين عن السفر الطويل كل هذا ربما يكون هو السبب فى أن يخرج علينا بولس بهذا التهيؤ الذى اعتمل واختمر فى ذهنه فصور للمسيحيين أنه حدث حتى يستطيع الدخول فى الديانة التى اضطهد أتباعها حتى الموت.

يقول ول ديورانت : " ولعل ما قاساه من التعب فى سفره الشاق الطويل فى شمس الصحراء اللافتة ، أو لعل ومضة برق من السماء ناشئة من شدة الحرارة ،

(١) راجع حقيقة التبشيرين الماضى والحاضر ص ٣٠.

(٢) عالم من علماء الكنيسة وأحد قساوستها ، كان عميداً لكلية القديس بولس بإجلترا.

(٣) T.W Sullivan and Walter Grierson . eds. Outline of Modern Belief (٣)

لعل شيئاً من هذا أو ذاك كله قد أثر فى جسم ضعيف . ربما كان مصاباً بالصرع . وفى عقل يعذبه الشك والإجرام فدفع بالعملية التى تجرى فى عقله الباطن إلى غايتها^(١) .

(٣) أن الروايات تذكر أن بولس كان معه بعض المسافرين الذين سمعوا ولم ينظروا . أو نظروا ولم يسمعوا . لماذا لم تذكر لنا الروايات أسماءهم ، وصفاتهم ، وشهادتهم وحالهم بعد إعلان بولس للواقعة؟؟ إن شهادة هؤلاء لو ذكرت لكان هؤلاء شهود إثبات لهذه الواقعة ولا يستطيع أحد أن ينكرها خاصة وأنه لم يحضر أحد هذه الواقعة سواهم . وشهادتهم فى الواقع تعتبر شهادة من شاهد وعاین وتكون أكبر دليل على حدوثها . أما وأن هؤلاء لم تأت الروايات بأى ذكر عنهم ، فإننا نشك أن تكون هذه الواقعة حدث !!!

والواقع أن حدوث هذا الأمر لشخص مشهور بالاضطهاد الشديد وبالتحامل على النصارى ، لو كان قد شهد أناس لكن مثار حديث الجميع منهم ، ولذهب الناس إلى هؤلاء الحاضرين لهذه الواقعة ، يسألونهم عن تفاصيلها خاصة وأن ما وقع شئ غير معتاد ومألوف وهو ظهور المسيح على هيئة نور ومعاتبه لبولس وتكليفه بحمل الرسالة . ولكن هذا لم يحدث ولم نسمع عنه من خلال الأسفار التى كتبها المسيحيون .

والجدير بالذكر أن هذه الواقعة لو حدثت وكان معه هؤلاء المسافرون والمشاهدون لهذه الواقعة لما شك أتباع المسيح فى بولس حين ذهب ليلتصق بهم وخافوا منه ، ولذهبوا لهؤلاء المسافرين معه وسألوهما عما حدث لبولس ، أو لاستجدا بهما بولس وبشهادتهما ! ولكن هذا لم يحدث . كل الذى حدث أن برنابا هو الذى تشفع له عند التلاميذ ، وذكر لهم كيف أن المسيح ظهر له... إلى آخره؟

ولكن هل برنابا كان من هؤلاء المسافرين؟ الواقع أن الروايات لا تذكر عن ذلك شيئاً... والخلاصة أن رواية ظهور المسيح لبولس هى رواية ادعاها بولس وحده ولم يشهد بها أحد من المصاحبين له فى السفر .

(١) أول ديورانت : قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٥٢) .

(٤) إن هناك سؤالاً يحيرنا وهو: لماذا تمت هذه الرؤيا بعيدا عن أعين التلاميذ؟ أو بعيدا عن مجتمع التلاميذ (وهو أورشليم)؟ ولماذا ظهر له المسيح بعيدا عن تلاميذه؟ أليس من الأفضل والأحسن له ولجميع النصارى أن تتم تحت سمع وبصر التلاميذ؟ وذلك حتى يقفوا بجانبه وينعموا بمشاهدة معلمهم المسيح عليه السلام ومعجزاته! وحتى يكون التلاميذ شهودا على هذا الظهور. هذا إلى جانب أن ظهور المسيح لبولس بين التلاميذ لا يفتح مجالا للدعاء أو الاحتيال على النصارى بمثل هذا.

الواقع - فى نظرنا - أن بولس ادعى هذه الرؤيا وادعاها بعيدا عن أتباع المسيح عليه السلام، لأنه يعلم تمام العلم من خلال اضطهاده لهم أنهم صادقون فى اتباعهم للمسيح عليه السلام وأنهم لن يقنعوا بادعائه هذا، ولن يصدقوه، لذلك آثر أن يدعى هذه الرؤيا بين أناس بعيدين عن هذا المجتمع الذى عاش وعلم ودعى فيه المسيح عليه السلام فلا يفتضح أمره ولا ينكشف كذبه، ومن ناحية أخرى يجد لدعواه مجالا لأن يقبلها قوم لا يعرفون شيئا عن المسيح عليه السلام ولا عن دعواه ورسالته ف يأخذ بلب هؤلاء فيقتنعوا به ويقولوه، ويصبح له أتباع، ثم بعد ذلك يضع التلاميذ وأتباع المسيح أمام الأمر الواقع خاصة وأنهم كانوا قلة إذا قيسوا بمن اتبع بولس وآمن بدعوته وبمعتقداته.

(٥) المعروف لدى بعض المسيحيين والمؤرخين أن بولس قبض عليه نيرون وعذبه كثيرا وأمر بقطع رأسه^(١). أى أن حياة بولس انتهت بالقتل على أيدي الرومانيين بينما الرواية الثالثة تذكر أن المسيح وعد بولس بأنه سينقذه من اليهود ومن الأميين (أى غير اليهود) أى أنه سينقذه حتى يموت ميتة طبيعية، تقول الرواية "منقذا إياك من الشعب - أى الشعب اليهودى - ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم"^(٢).

ونحن الآن أمام أمرين:

إما أن المسيح وعد ولم يستطع أن يفى بالوعد، وكذب على بولس، وهذا كفر بالديانة.

(١) راجع من كتب المسيحيين : تاريخ الأقباط (٧٨/١) وكتاب السنكسار (٣٩٦/٢) ومن الكتب التاريخية : حضارة روما ص ٣٨٠ وغيرهم.

(٢) أعمال ٢٦ : ١٧.

أو أن المسيح لم يعد بهذا والرواية كاذبة.. ويولس والمسيحيون لا يحبون أن يكون رسولهم - أو إلههم كما يعتقدون - كذابا، لذلك لا مناص من القول أن الرواية كاذبة وأن يولس لم يحدث له هذا. ويكون هو الذى كذب على المسيحيين واحتال عليهم، لالتصاق بهم لترويج أفكاره ومعتقداته.

هل تلقى يولس تعليمًا نصرانيا يؤهله للتبشير بها؟

إنه من الأهمية بمكان أن نبحث هذه النقطة، لأنه يترتب عليها مدى إمكانية معرفة يولس لرسالة المسيح عليه السلام.

(١) لا أحد يذكر أن يولس قد التقى بعبسى عليه السلام مدة حياته، حتى يولس نفسه لا يذكر ذلك.. هذه حقيقة أجمع عليها العلماء والباحثون المسيحيون وغيرهم، فلم تكن لبولس أية معرفة بالمسيح عليه السلام ولم يره فى حياته ولم يتلمذ عليه!! إذن فهو ليس من تلاميذ المسيح، وإنما كان يعد من أكبر المناوئين والمحاربين لرسالته وتلاميذه من بعده.

يقول حنا جرجس عبد السيد: "لم يكن شاول هذا من تلاميذ المسيح ولا من الرسل السبعين بل لم يكن إلا مضطهدا للمسيحية والمسيحيين"^(١).

(٢) الحقيقة الثانية: أن يولس لم يتلمذ على أى تلميذ من تلاميذه المسيح عليه السلام، ولم يلتق بأى واحد منهم إلا بعد مدة من تبشيره بالمسيحية - يقدرها البعض بثلاث سنوات - وذلك حينما ذهب إلى أورشليم بعد فترة من دخوله المسيحية، وحاول أن يقترب من التلاميذ، ولكنهم خافوا منه، ولم يصدقوه لولا تدخل برنابا.. على أنه لم يلتق إلا بطرس ويعقوب من تلاميذ المسيح، ولم يجلس معهم إلا بما يقدر بخمسة عشر يوما، وهذه المدة بلا شك غير كافية لتلقى التعاليم النصرانية لأى مبشر بالديانة.

والجدير بالذكر أن يولس لم يذهب إلى أورشليم ليتعلم من التلاميذ أو ليأخذ منهم تعاليم المسيح، وإنما ذهب إليهم ليعرض عليهم تعاليمه هو الجديدة التى بشر بها.

(١) حنا جرجس عبد السيد: مطالعات فى الكتاب المقدس ص ١٧.

يقول بولس: "ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم، للوقت لم استشر لحما ودما ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قلبى.. ثم بعد ثلاث سنين صعدت لأتعرّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما ولكنى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب"^(١).

فالأمر الذى يهمنا هنا هو ملاحظة أن بولس لم يتلق تعاليمه عن المسيحية من التلاميذ، ولم يتدرب على التبشير بالمسيحية فى أورشليم، ولا على أيدى التلاميذ وهذه نقطة هامة يجب التنبيه عليها.

يقول شارل جنيير: "والشئ الذى يبدو لنا غير قابل للجدل هو أن تطور بولس نحو المسيحية لم يتم بالقدس وأن مذهبه لم ينشأ من الاتصال بالحواريين الاثنى عشر"^(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فعلى يد من تلقى بولس تعاليم المسيح عليه السلام؟ أو بمعنى أدق على يد من تعلم مبادئ المسيحية التى أخذ يبشر بها والتى دونها فى رسائله الأربع عشرة؟ لم تبين لنا الكتب المسيحية ذلك ولعلمهم يعتقدون أنه ليس فى حاجة إلى التلقى والتعلم، لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ إلى مرتبة الرسل فى المسيحية وصار ملهما ينطق بالوحي فى اعتقادهم، فلم يكن فى حاجة إلى التعلم والدراسة، لأن الوحي كفاه مؤونة الدرس وتعبه"^(٣).

وإننا لنعجب - كما يعجب غيرنا - كيف ينتقل شخص من الكفر المطلق بالديانة إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير وليس له مشابه، ولم يعهد ذلك فى أنبياء ورسول قط، وهذه تورا اليهود وأسفار العهد القديم التى يؤمن بها المسيحيون كما رووها وقالوها ليذكروا لنا رسولا بعث من غير

(١) غلاطية ١ : ١٥-١٩

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٧.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٨٦.

أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحي وصفاء نفس يجعله أهلا للإلهام ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، وإنه إذا لم يكن للرسالة إرهابات قبل تلقيها لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها^(١).

(٣) إن بولس برغم أنه لم يأخذ العلم من السنة تلاميذ المسيح علماء النصرانية إلا أنه استطاع أن يفرض نفسه عليهم وعلى المسيحيين من بعدهم . وذلك بأن ادعى أن المسيح ظهر له وطلب منه أن يتحمل التبشير بديانته.

يقول موريس بوكاي : " ولما لم يكن قد عرف المسيح فى حياته فقد برر لشريعة رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق " (٢).

وهكذا يتضح لنا أن بولس لم يتلق أى تعليم من تعاليم المسيح عليه السلام ، فلم يلتق به - مدة حياته - ولا بتلاميذه ، ولكنه ادعى أن المسيح ظهر له وأعطاه الرسالة وهذا هو موضوع النقطة التالية.

ادعاء بولس للرسالة:

بعد أن ادعى بولس أن المسيح ظهر له ادعى أيضا أنه أرسله رسولا للتبشير بديانته ، ويذكر بولس ذلك فى كثير من رسائله المنسوبة إليه.

يقول بولس فى أول رسالة من رسائله فى العهد الجديد^(٣) وهى رسالته إلى أهل رومية (بولس عبد ليسوع المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله) (٤).

يقول باركللى فى تعليقه على هذه الفقرة : " ويبدأ بولس بتقديم نفسه ، فيدعو نفسه عبدا ليسوع المسيح . ويدعو نفسه رسولا ، ويدعو نفسه المفرز لإنجيل الله ، أى المخصص لنشر الأخبار المفرحة " (٥).

(١) المرجع السابق ص ٨٨ .

(٢) دراسة فى الكتب المقدسة ص ٧٣ .

(٣) المقصود بها أنها أول رسالة فى ترتيب العهد الجديد

(٤) رومية ١ : ١ .

(٥) تفسير رسالة رومية ص ٢٥ . ٢٦ .

ويقول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "ألست أنا رسولا، ألست أنا حرا، أما رأيت يسوع المسيح ربنا، ألستم أنتم عملى فى الرب، إن كنت لست رسولا إلى آخرين فإنما أنا إليكم رسولا لأنكم أنتم ختم رسالتى فى الرب هذا هو احتجاجى عند الذين يفحصوننى"^(١).

وفى رسالته إلى أهل غلاطية يدعى أنه رسول لا من قبل الناس بل من قبل يسوع المسيح، وأنه تسلم منه الإنجيل الذى يشر به فيقول: "بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح"^(٢). ويقول: "وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علّمته بل بإعلان يسوع المسيح"^(٣).

أما متى ادعى أنه رسول؟ فالواقع أن الرواية الثالثة للرؤيا التى ادعاها بولس تدعى أن المسيح أرسله وقت ظهوره له، ولكن سفر الأعمال يبين لنا أن هذا الادعاء - ادعاء الرسالة - كان بعد اثني عشر عاما كما حدده بعض المسيحيين، وذلك عندما رجع إلى أورشليم"^(٤).

يقول سفر الأعمال حاكيا عن بولس: "وحدث لى بعدما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل أنى حصلت فى غيبة فرأيتة قائلا لى أسرع وأخرج عاجلا من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى، فقلت يا رب هم يعلمون أنى كنت أحبس وأضرب فى كل مجمع الذين يؤمنون بك وحين سفك دم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفا وراضيا بقتله وحافظا ثياب الذين قتلوه فقال لى اذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيدا"^(٥).

(١) ١ كورنثوس ٩ : ١-٣.

(٢) غلاطية ١ : ١.

(٣) غلاطية ١ : ١١، ١٢.

(٤) راجع فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٦٩) وإن كان بولس نفسه فى سفر غلاطية يبين أنه حدث بعد أربع عشرة سنة، يقول غلاطية (بعد أربع عشرة سنة صعدت إلى أورشليم) غلاطية ٢ : ١.

(٥) أعمال ٢٢ : ١٧-٢١.

فأيهما نصدق؟ هل أرسله المسيح - على فرض أنه صحيح - وقت ظهوره له؟ أم بعد ذلك بنحو اثنتى عشرة سنة؟ لابد أن نعرف ولابد من التحديد، لأنه إذا كانت هذه الرسالة بعد اثنتى عشرة سنة من دخوله المسيحية فما فعله وقاله ودعا به قبل هذه المدة ليس من المسيح بل من عنده هو، ومن تأليفه واختراعه ويترتب على ذلك: أن الرواية الثالثة التي تروى تحول بولس للمسيحية وإعلانه رسولا كاذبة. وإذا كان إنسانا بهذه الصفة يكذب على المسيح الذى هو ابن الله فى زعم المسيحيين - فإنه - أى بولس غير جدير بأن يكون رسولا، لأن أهم صفة للرسول أن يكون صادقا فيما يبلغه عن ربه ولا ينسب إليه ما لم يرسله به، وهذا يعنى أن ادعاء الرسالة لا معنى له سوى تضليل الناس والافتراء عليهم.

على أنه يتبين من أقواله وأفعاله أنه لم يكن رسولا بعد أربع عشرة سنة من دخوله المسيحية حيث يقول: "ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى اورشليم مع برنابا آخذًا معي تيطس أيضا، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً"^(١)

يستفاد من هذا القول أن بولس ذهب إلى اورشليم ليعرض الإنجيل الذى بشر به بين الأمم على التلاميذ ليعرف أهو صحيح أم لا؟ وهنا نتعجب إذا كان هذا الإنجيل قد قبله من الرب - كما يدل ذلك ادعاؤه للرسالة، وكما يدل على ذلك أيضا ما أورده فى الفقرة السابقة على هذه الفقرة فيقول: "وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عملته بل بإعلان يسوع المسيح"^(٢).

فلماذا ذهب إلى اورشليم ليعرضه على التلاميذ وليعرف مدى صحته إذا كان هو قد قبله من الرب بوصفه رسولا - لو كان هذا صحيحا؟، ولا مجال للقول أنه قصد به

(١) غلاطية ٢: ١، ٢٠.

(٢) غلاطية ١: ١١.

اطلاع التلاميذ على مضمون رسالته وإنجيله ، ذلك أن الضرورة تحتم أن التلاميذ كانوا يعرفون مضمون رسالته وإنجيله . وذلك لأنهم هم الذين تتلمذوا على يد المسيح وعاصروه وحملهم المسيح مؤونة التبشير برسالته . فلا داعى لأن يعرفوه؟ وكذلك لا داعى لأن يعرضه على التلاميذ ليعرف صحته ؛ لأنه ما دام قد قبله من الرب فهو بلا شك صحيح ، وإلا إذا كان عرضة لكونه صحيحا أو غير صحيح فمعنى ذلك أنه ليس من عند الله ، أو أن بولس قد شك فيما قبله من المسيح ، والشك فى ذلك غير محمود ، وغير مقبول من رسول . على فرض كونه صحيحا .

وخلاصة القول من هذه المناقشات : أن المعنى الذى قرره بولس بنفسه فى الفقرة المشار إليها . والتى تحكى ذهابه إلى أورشليم ليعرض على التلاميذ الإنجيل الذى بشر به . يدل على أنه لم يكن رسولا وإلا لما قال " لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً " (١) .

وهكذا يتضح لنا أن ادعاء بولس للرسالة ليس له أدلة واضحة وصحيحة ، وأنه ادعاء غير مسلم به علميا ومنطقيا ، كما اتضح من المناقشات السابقة .

نشاط بولس التبشيري ورحلاته التبشيرية:

إن سفر الأعمال يوضح لنا أنه منذ ظهور المسيح لبولس . كما يعتقد المسيحيون . أثناء سفره إلى دمشق وهو يعد من أكبر دعاة المسيحية وأكثر المبشرين بها ، فقد تعددت رحلاته للتبشير بالمسيحية " فصار القوة الفعالة والحركة الدائبة فى الدعاية المسيحية . كما تدل على ذلك عبارات سفر الأعمال " (٢) .

وكان من الواجب على بولس حين دخل المسيحية وقبل أن يبدأ أى تبشير وأى نشاط عليه أن يذهب إلى أورشليم ليلتقى بتلاميذ المسيح والصفوة من أتباعه ليتعرف عليهم وليتعلم منهم التعاليم والمبادئ الصحيحة لهذا الدين ، ولكنه لم يفعل ذلك ، فلم يذهب إلى أورشليم إلا بعد ثلاث سنوات .

(١) علاطية ٢ : ٢ .

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٨٦ .

يقول بولس : لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحماً ودماً ، ولا صعدت إلى أورشليم بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت إلى دمشق ثم بعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم ^(١) . والمقصود بالعربية الصحراء العربية الواقعة شرق مدينة دمشق كما يذكر المسيحيون ^(٢) .

فلقد ذهب بولس إلى الصحراء العربية ثم رجع إلى دمشق يدعو إلى المسيحية ، وبعدها ذهب إلى أورشليم ، هذا ما يذكره بولس عن نفسه ، ولكن سفر الأعمال لا يذكر عن ذهاب بولس إلى الصحراء العربية أى خبر ، وإنما يبين أن بولس حين دخل دمشق بعد ظهور المسيح له أخذ يبشر فى المجمع اليهودية بأن المسيح ابن الله ، وقد تشاور اليهود لقتله ولكنه استطاع أن ينجو منهم بفضل بعض معاونيه .

وهنا نسأل سؤالاً : لماذا تشاور اليهود لقتل بولس ؟ هل لأنه أصبح مسيحياً وأخذ يبشر بالمسيحية ؟ ربما ، ولكن سفر الأعمال يذكر لنا السبب الحقيقى فيقول : " وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققاً أن هذا هو المسيح " ^(٣) .

والمعنى أن بولس أخذ يبين لهم ويحاول إقناعهم بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو المسيح المنتظر - أى المخلص - وهذا الأمر حير اليهود ، ولم يعجبهم ، وذلك لأنهم يعرفون أنه يكذب عليهم ، لأن بشارات العهد القديم لا تدل على عيسى عليه السلام وإنما على غيره ^(٤) .

إن اليهود كانوا يتمنون أن يكون عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر ، لأنه يهودى وهو أولى من غيره من بنى البشر ، فلو كان هو المنتظر لفرحوا به ولقبلوا دعوته ، ولكنهم لأنهم يعلمون أنه ليس هو لم يؤمنوا به ولا بدعوته ، وحين دعا بولس أن عيسى هو المسيح المنتظر اضطهدوه ، وتشاوروا لقتله ، لأنهم يعرفون كذب قوله ، وهم أعلم الناس بنبوءات العهد القديم وما تدل عليه .

(١) غلاطية ١ : ١٥ - ١٨ .

(٢) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ٦٢) .

(٣) أعمال ٩ : ٢٢ .

(٤) وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن هرب بولس من دمشق ذهب إلى أورشليم ليلتصق بالتلاميذ ، وكان ذلك بعد مدة ثلاثة أعوام - أخذ بولس يبشر فيها بالمسيحية من أفكاره ومن تعاليمه لا من تعاليم التلاميذ - ولكن التلاميذ خافوا منه ، ولم يصدقوه ، حتى تشفع له برنابا عند التلاميذ.

يقول سفر الأعمال : " ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق " (١).

يقول باركلي - في تعليقه على هذه الفقرة - : " كان برنابا يرى أفضل من الآخرين ، فبينما نظر الباقون إلى بولس على اعتبار أنه جاسوس أو عميل مدسوس عليهم وثق به برنابا " (٢).

ولا تحسبن أن بولس ذهب إلى التلاميذ ليتعلم منهم - فهو ما مكث إلا خمسة عشر يوماً وما قابل إلا بطرس ويعقوب ، وهذه الأيام المعدودات لا تكفي لتعليم مبشر - بل ليبشر بأرائه وأفكاره وتعاليمه ، فلقد دخل على اليهود اليونانيين في أورشليم وعرض عليهم دعوته ، ولكنهم لم يقبلوه وحاولوا أن يقتلوه فهرب بفضل معاونة بعض الذين كانوا معه.

يقول سفر الأعمال : " وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه فلما علم الأخوة أحذروه إلى قيصرية (٣) وأرسلوه إلى طرسوس " (٤).

أما لماذا حاولوا قتله ؟ فالجواب أنه قدم المسيح بصورة جديدة ، وهذه الصورة رفضها اليهود في أورشليم وأثارت ضجة أدت إلى تعقبه لقتله مما اضطر معه إلى الهروب مرتحلاً إلى طرسوس " (٥).

(١) أعمال ٩ : ٢٦ .

(٢) تفسير أعمال الرسل ص ١٢٤ .

(٣) هي أم المدن في فلسطين في أيام العهد الجديد وكانت تقع على البحر على بعد ٤٤ ميلاً جنوبي عكا ، و ٤٧ ميلاً إلى الشمال الغربي من أورشليم بنهاها هيرودوس الكبير عام ١٠ ق . م وسماها قيصرية تكريماً للإمبراطور أغسطس قيصر (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٥).

(٤) أعمال ٩ : ٢٩ - ٣٠ .

(٥) د / محمد الفرت : بولس والمسيحية ص ٥٠ .

ويلاحظ مما سبق ما يأتي: أن بولس في بداية دخوله المسيحية لم يتلق أى تعليم من أى تلميذ من تلاميذ المسيح بل أخذ يبشر بالمسيحية قبل الرجوع إلى هؤلاء التلاميذ، وأن اليهود فى دمشق وفى أورشليم حاولوا قتله، وأن التلاميذ خافوا منه فى أول الأمر ونظروا إليه على اعتبار أنه جاسوس أو عميل، كل هذا ليس له إلا تفسير واحد وهو: أن بولس أخذ يبشر بتعاليم جديدة لم يأت بها المسيح عليه السلام، ولم يتعلمها تلاميذ المسيح من معلمهم، وأنه أخذ يطبق نبوءات العهد القديم التى تشير إلى النبى المنتظر على عيسى بن مريم عليه السلام مستعيناً بالعقائد الشرقية والأديان السرية السائدة فى عصره، واليهود لأنهم يعرفون أن هذا غير صحيح حاولوا قتله، والتلاميذ لأنهم لم يتلقوا هذه التعاليم من المسيح عليه السلام خافوا منه ولم يصدقوه، أى خافوا من هذه التعاليم الجديدة لأن تكون هدماً لديانة المسيح عليه السلام، ولم يصدقوا أن عيسى بن مريم هو المسيح المنتظر.

المهم أن بولس خرج من أورشليم هارباً من اليهود الذين حاولوا قتله إلى قيصرية، ثم إلى طرسوس، وقضى فيها خمسة أعوام^(١) ويقال تسعة أعوام^(٢) بشر بالمسيحية فى خلال هذه المدة فى أقاليم سورية وكيليكية^(٣) إلى أن ذهب إليه برنابا وطلب منه المساعدة فى التبشير بالمسيحية فى إنطاكية فاستجاب بولس لطلبه، وذهبا معاً إلى إنطاكية وأخذاً يبشراً فيها عاماً كاملاً واستجاب لدعوتهما غير اليهود ودخل فى المسيحية أجناس أخرى غير اليهود، وفى هذه الأثناء دعى أتباع هذه الديانة - لأول مرة فى التاريخ - بالمسيحيين.

يقول سفر الأعمال: "ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاوول ولما وجده جاء به إلى إنطاكية فحدث أنهما اجتماعاً فى الكنيسة سنة كاملة وعلماً جمعاً كثيراً ودعى التلاميذ مسيحيين فى إنطاكية أولاً"^(٤) فالتسمية (بالمسيحية) ظهرت فى إنطاكية

(١) راجع فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٧٨).

(٢) راجع ولیم باركلي: تفسير أعمال الرسل ص ١٤٧.

(٣) غلاطية ١ : ٢١.

(٤) أعمال ١١ : ٢٥ - ٢٦.

أولاً - أى بعيداً عن المجتمع الذى بشر فيه المسيح عليه السلام وبعيداً عن مجتمع التلاميذ - وكان ظهورها مقروناً بدعوة بولس فيها^(١).

وفى أثناء وجود بولس فى إنطاكية جاءه الخبر من أورشليم أن هناك مجاعة واضطهاداً للأتباع، فجمع الأتباع الجدد فى إنطاكية التبرعات وأعطوها لبرنابا وبولس ليقوما بتوصيلها إليهم^(٢)

ويلاحظ من هذا ثلاثة أمور أساسية:

الأول: أن بولس ارتبط اسمه بدعوة الأمم (غير اليهود) فلقد عمل على قبول الوثنيين فى الديانة المسيحية.

يقول جون لوريمر عن بولس: " وكان من الملاحظ منذ بدء حياته للمسيحية العملية أن الحقل الحقيقى لعمله المرسل هو الأمم (غير اليهود) ولذلك نراه بصحبة برنابا فى إنطاكية حيث بدأت الكنيسة تزدهر بين اليهود والأمم معاً"^(٣)...

وهذا يعنى أن بولس يعتبر من أوائل - إن لم يكن أول - الذين ابتدعوا دخول الوثنيين غير اليهود فى المسيحية، ناقضاً بذلك إحدى وصايا المسيح إلى تلاميذه " إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"^(٤).

الثانى: إن اسم (المسيحيين) أطلق لأول مرة من تاريخ هذه الديانة على الأتباع الذين دعاهم بولس - بعيداً عن تلاميذ المسيح - فى إنطاكية، وهذا يعنى أن ثمة شيئاً جديداً جعل هؤلاء الوثنيين يطلقون هذا الاسم الجديد على هؤلاء الأتباع، هل لأن غير اليهود قبلوا هذه الدعوة ؟ ربما !! هل لأن الأتباع عددهم أصبح كبيراً ؟ ربما !!

(١) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٧٩).

(٢) راجع أعمال الرسل ١١ : ٢٧ - ٣٠.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٦٢).

(٤) متى ١٠ : ٥ - ٦.

ولكن فى الحقيقة هذه الأسباب - فى نظرنا - لا تشفى غليلاً، ولا يمكن أن تكون سبباً حقيقياً، فالاسم دائماً لابد أن يكون مرتبطاً بشئ معين واضح، وأقرب ارتباط لهذا الاسم أنهم مسيحيون أى أتباع المسيح^(١) وهذا اللفظ فى اليونانية - وهؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية ولا يعرفون العبرية ولا الآرامية - يعنى أتباع المخلص، بمعنى أن بولس أطلق على عيسى بن مريم لقب "المسيح بمعنى المخلص"^(٢) وقال إنه هو ابن الله المخلص ودعا الناس لهذا الاعتقاد. قبله الوثنيون لأنه قريب الشبه بمعتقداتهم - وهذا الاعتقاد الجديد جعل لهم شهرة وأتباعاً، وكان لابد من علامة تميزهم عن غيرهم، فوجد الناس أقرب لقب يدل على عقيدتهم هو لقب المسيحيين نسبة إلى المسيح بمعنى المخلص، فهو لاشك علامة تميزهم عن غيرهم - وهذا فى نظرنا هو السبب الحقيقى لهذا الإطلاق.

الثالث: لم يشأ بولس أن يفصل نفسه عن النصارى فى أورشليم، وأراد أن يكسب ودهم، فحينما علم بالضائقة التى يمرون بها نتيجة للاضطهاد حاول جذبهم إليه وبين لهم بطريق أو بآخر أنهم لو اتبعوه لجاءهم بالتبرعات - من الوثنيين الجدد الذين اتبعوه ودخلوا فى ديانته - التى تكفى مؤونتهم وتسد مجاعتهم.

رحلات بولس التبشيرية

بدأ بولس رحلاته التبشيرية متجولاً فى بلاد اليونان ليعرض عليهم المسيحية، فقام بثلاث رحلات تبشيرية عدا رحلته الأخيرة التى قتل فيها وذلك فى عهد الإمبراطور الرومانى "نيرون".

الرحلة الأولى، ومجمع أورشليم:

كانت هذه الرحلة فى عام ٤٦م واستغرقت حوالى ثلاث أو أربع سنوات، وجاء ذكرها فى سفر الأعمال فى إصحاحين هما الثالث عشر والرابع عشر.

^(١) أصل إطلاق هذا الاسم على المسوح بالزيت والدهن، وكان يطلق هذا الاسم فى بنى إسرائيل على الأنبياء والملوك والكهنة، فقد أطلق على شاول (صموئيل الأول ١: ١٠) ودأود (صموئيل الثانى ٥: ١ - ٢) وغيرهما (راجع رسالة الماجستير للباحث: الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص ٢٧٦ وما بعدها).
(٢) المرجع السابق ص ٢٨٠.

"وقد بدأت هذه الرحلة من إنطاكية حيث أفرز بولس للقيام بها، وقد رافقه فيها برنابا، ومن إنطاكية بسورية ذهب بولس وزميله برنابا إلى سلاميس، وبافوس في جزيرة قبرص، ومن هناك إلى آسيا الصغرى وبشرا في برجة بمفيلية ثم إنطاكية بيسيدية ثم أيقونية لسترة ودربة وكلها في الجزء الجنوبي من مقاطعة غلاطية الرومانية، ثم رجعا من نفس الطريق حتى وصلا إلى إنطاكية مرة أخرى"^(١).

واختتمت هذه الرحلة بعقد اجتماع بين المسيحيين من أجل النظر في قضية الاختتان لغير اليهود.

وبيان ذلك: أن بولس وبرنابا واجها في إنطاكية مشكلة كبيرة تقف في طريق تبليغ دعوة بولس، ذلك أنه كان يقبل الوثنيين في المسيحية دون المطالبة بالاختتان وهو من سنن الشريعة الموسوية التي ما جاء المسيح ناقضا لها، وقام بشأن ذلك جدال كبير.

"فلقد رأى بولس أن الدعوة لو اقتصرت على أرباب الختان فسوف لا يقبلها إلا عدد ضئيل، محصورين في جماعة من اليهود، ولا تلبث أن تتلاشى بعد قليل من الزمن"^(٢).

لذلك لا بد من أن تنشر بين غير اليهود، وهؤلاء لا يقبلون عملية الختان فرأى بولس إعفاءهم منها، ولكن النصارى من اليهود لم يقبلوا هذا التفكير وقالوا لا بد وأن يحتسبوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى^(٣)

واشتعل الجدل بين النصارى من اليهود وبين المسيحيين الذين اتبعوا بولس، ولما لم يصلوا إلى حل لهذه المشكلة اتفقوا على رفع الأمر إلى التلاميذ والرسل في أورشليم. وكانت المشكلة الأولى: هل يقبل غير اليهود في المسيحية؟ وإذا قبلوا فهل يجب عليه الخضوع لشريعة موسى؟ كانت هذه هي المشكلة.

(١) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٧، الأنبا يوانس، والقس إبراهيم سعيد وغيرهما: الدين المسيحى للمرحلة الثانية سنة ١٩٦١م ص ٩٠.

(٢) بولس والمسيحية ص ٦٤.

(٣) أعمال الرسل: الإصحاح الخامس عشر.

ولقد كان بولس ذكيا حين عمل على أن يجتمع بالتلاميذ بالانفراد ليقنعهم بالأمر، ولقد ذكر ذلك بولس نفسه حين قال: "ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى اورشليم مع برنابا آخذا معي تيطس أيضا، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو سعيت باطلاً".^(١)

يقول يوسف الحداد: "تلك المفاوضات على حدة قبل جلسة المؤتمر هيأت بطرس ويعقوب لتبنى وجهة نظر بولس، وهذا ما ظهر فى المجمع، فما قام الجدل على دعوة بولس حتى حسمه بطرس وأيده يعقوب"^(٢).

ولقد حاول بولس إقناع التلاميذ بوسائل متعددة، واعتمد فى إقناعهم على النجاح الكبير الذى حققته رحلته التبشيرية الأولى، ودخول عدد كبير من الوثنيين فى المسيحية.

يقول يوسف الحداد: "كان عرض انتشار الإيمان المسيحى بين الأعمىين كافيا لترجيح نظرية بولس بتحرير المسيحية من الموسوية"^(٣).

ومن ناحية أخرى كان مجتمع النصارى فى اورشليم فقيرا، وكان بولس يعمل على مساعدتهم بعد أن يجمع التبرعات من الوثنيين الذى دخلوا المسيحية.

يقول باركلى: "إن بولس كان يهدف للذهاب إلى اورشليم لأن كنيسة اورشليم كنيسة فقيرة، وكان غرض بولس أن يأخذ مقدمة من كنائس الأمم إلى كنيسة اورشليم. ونجد إشارات لذلك فى رسائل"^(٤) بولس"^(٥).

هذا وذاك كان لهما أكبر الأثر فى التأثير على التلاميذ فى اورشليم.

(١) غلاطية ٢: ١-٢.

(٢) راجع أعمال الرسل ١٥: ١٩-٧، فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٦٤).

(٣) المرجع السابق (١ / ٩٢).

(٤) راجع ١ كورنثوس ١٦: ١، ٢ كورنثوس ٩: ١، رومية ١٥: ٢٥، ٢٦.

(٥) تفسير أعمال الرسل ص ٢٣٣.

يقول شارل جنينير: "ولا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر يستكفون كثيراً من مثل هذه النتائج التي توصل إليها بولس ويبدون أمامها تردداً قوياً إلا أنه فرضها عليهم فرضاً، إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمداً على تحليل أوجه النجاح التي لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى في ربوع آسيا الصغرى، وكان هذا المجتمع فقيراً، وكانت كنائس بولس أحياناً بين أتباعها ثروة القوم وكرامهم، وكان بولس خبيراً بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم"^(١).

وهكذا يتبين أن بولس باجتماعه مع بعض الأتباع في أورشليم رتب كل شئ لصالحه قبل اجتماع الجمع، لذلك جاءت قراراته موافقة لآرائه، وانتهى أمر الجمع هذا. كما جاء في سفر الأعمال - على أن يقبلوا الأعمى في المسيحية وذلك بعد أن يقلعوا عن أربعة أمور هي:

١. أكل ما ذبح للأصنام.

٢. الزنا

٢. المخنوق.

٤. الدم^(٢).

وكانت قرارات هذا الجمع انتصاراً كبيراً لآراء وأفكار بولس عامة، إذ قرر الجمع الأورشليمي ما كان يصبو إليه بولس وهو قبول الأمم في المسيحية وإعفاؤهم من الاختتان^(٣).

الرحلة التبشيرية الثانية:

بدأت هذه الرحلة عام ٤٩ - أو ٥٠ م، وقد انفصل بولس عن برنابا في بداية هذه الرحلة لرفض الأول أن يصحبا معهما (مرقس) - المنسوب إليه الإنجيل الثاني - مرة أخرى، فأخذ بولس معه عضواً من كنيسة أورشليم وهو سيلاس "سلوانس"^(٤)، ونجد تفاصيل هذه الرحلة التي استمرت ثلاثة أعوام في أعمال الرسل من الإصحاح الخامس عشر الفقرة ٣٦ إلى الإصحاح الثامن عشر الفقرة ٢٣.

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٤.

(٢) راجع سفر الأعمال ١٥ : ٢٠.

(٣) سفر الأعمال ١٥ : ٢٣، ٢٩.

(٤) أعمال ١٥ : ٢٦ - ٤١ (المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٨).

ولقد بدأت من إنطاكية وزار بولس أولا كنائس سورية وكيليكية، ثم وصل إلى جنوب غلاطية لزيارة كنائس درية ولسترة. وفيها تعرف على تيموثاوس^(١). وإيقونية وإنطاكية بسيدية، ثم اتجه بعد ذلك إلى نيابوليس - وهو ميناء فيلبى - ثم فيلبى ومنها إلى تسالونيكي وبيرية، ثم اتجه إلى أثينا ثم كورنثوس حيث قضى حوالى ثمانية عشر شهرا، ثم سافر إلى أورشليم مارا بأفسس وأخيرا عاد إلى إنطاكية نقطة البداية^(٢). وفى خلال هذه الرحلة - وفى كورنثوس - كتب رسالتى تسالونيكي^(٣).

ولقد حدث فى هذه الرحلة أمر يجب التعليق عليه: ذلك أنه يلاحظ أن بولس أثناء وجوده فى أثينا نظر حوله فوجد المدينة مليئة بالأصنام، فأخذ يكلم كل من يقابله، فتكلم مع قوم من الفلاسفة، الأبيقوريين والرواقين، فاستهزؤا بكلامه، وسخروا منه، وأخذوه وذهبوا به إلى أريوس باغوس (وهى الكلمة اليونانية لجبل الإله مارس) فوقف بولس فيهم خطيبا قائلا: أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنتكم متدينون كثيرا، لأننى بينما كنت أجتاز، وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه: لإله مجهول، فالذى تتقونه وأنتم تجهلون هذا أنا أنادى لكم به. الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه هذا، إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيدى، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شئ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شئ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس.. لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه، مع أنه عن كل واحد منا ليس ببعيد، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال شعراؤكم أيضا لأننا أيضا ذريته... إلى آخره^(٤).

ونلاحظ هنا أن بولس يحاول فى جراحة منقطعة النظر أن يوفق بين المسيحية وبين ما يراه من نقوش على آلهة وثنية تعبر عن عقائد وثنية صرفة صنعتها الفلسفة

(١) أعمال ١٦: ١-٣.

(٢) تفسير أعمال الرسل ص ١٩٢.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٩.

(٤) أعمال الرسل ١٧: ٢٢-٣١.

اليونانية، ولقد قفى أثره من بعده دعاة المسيحية فى العصور التالية^(١)، فقال لهم: إننى وجدت مذبحاً عليه نقش لإله مجهول، وهذا الإله المجهول هو الذى أدعوكم إليه، ولا شك أن هذه النقوش إنما هى لآلهة يونانية وثنية.

الرحلة التبشيرية الثالثة:

بدأت هذه الرحلة حوالى عام ٥٤ م واستغرقت أربع سنوات.. ونجد تفاصيل هذه الرحلة فى سفر الأعمال الإصحاح الثامن عشر من بداية الفقرة الثامنة والثلاثين.

"وبدا بولس هذه الرحلة بغلاطية الشمالية ثم فريجية حيث مكث فيها ثلاث سنوات تقريبا ونجح نجاحا كبيرا ثم ترك بولس أفسس وذهب إلى كلدونية ثم إلى اليونان، ثم سار إلى فيلبى واستمر فى طريقه إلى أورشليم، ولقى فيها كثيرا من الاضطهاد والإيذاء من اليهود والرومان وكانت البداية أن رآه بعض اليهود ومعه أحد الأعميين يدخلان الهيكل، وكان دخول الأعمى الهيكل ممنوعا بتاتا، كان مسموحا للأعمى أن يدخلوا رواق الهيكل - وكان من يتخطى العلامة المحددة عقوبته الموت، ولما رأى بعض اليهود بولس ومعه أحد الأعميين فى الهيكل اتهم بتدنيس الهيكل والتعدى على الناموس والاستهتار بشعب الله المختار، لذلك قاد اليهود حركة كان الغرض منها التعدى على بولس وقتله، حتى جاءت السلطات الرومانية وقبضت عليه وخلصته من أيدي اليهود، ثم أرسله قائد حرس الهيكل إلى قيصرية وهناك بقى فى الحبس لمدة سنتين (٥٨ - ٦٠) وبعد جلسات المحاكمة رفع بولس أمره لقيصر كمواطن رومانى - بعد ادعائه لهم أنه رومانى - فأرسله الوالى فذهب إلى رومية بعد رحلة قاسية، وهناك بقى فى السجن مدة عامين كتب فيها بعض الرسائل المنسوبة إليه فى العهد الجديد"^(٢).

تنتهى قصة بولس بحسب سفر الأعمال عند هذا الحد.

(١) بولس والمسيحية ص ٧٠.

(٢) تفسير أعمال الرسل ص ٢٤٥، المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٥١.

يقول باركلي : " إنه - أى سفر الأعمال - ينتهى وبولس فى السجن ينتظر المحاكمة ، فكم كنا نشاق أن نعرف ما حدث لبولس ، ولكن النهاية محوطة بالغموض (١)"

وهناك اتجاه عند بعض المسيحيين أن هذا السجن لم يكن نهاية حياة بولس ولا نهاية خدمته ، وبينون رأيهم على أساس النهاية العجيبة لسفر الأعمال ، إذ لا تكشف عن أى شئ سوى أن بولس مكث مدة ستين فى السجن يبشر الذين يأتون إليه ، ثم إن هناك رسائل منسوبة إلى بولس - وهى تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس - لا يوجد لها مكان فى أية فترة من حياته قبل سجن رومية ، لذلك يقول البعض إن بولس خرج من السجن ، ثم ذهب إلى أسبانيا وبشر هناك ، ورجع إلى رومية ، وأخيرا قبض عليه فى عهد نيرون ، ثم قتل وأختر هذا العهد بعد أن انفجر الاضطهاد العنيف ضد المسيحيين الذى أمر به هذا الامبراطور (٢) .

وهكذا نجد أن بولس كان يرثل من بلدة إلى أخرى مبشرا بالمسيحية التى رآها ونجح فى جعل كثيرين من الوثنيين يعتنقون هذه الديانة ، وهذا يعنى أن بولس كان أكبر المبشرين بالمسيحية وكان له من المؤيدين لديانته الكثيرون ، ويعنى أيضا أن ديانة بولس كان لها الغلبة لأن أتباعها هم الأكثر تواجدا وانتشارا فى العالم..

وهل لنا أن نتلمس : لماذا كان بولس أكثر نشاطا من غيره فى التبشير بالمسيحية؟ ربما يكون ذلك بسبب أن بولس كان له دخل فى إنشاء العقائد التى بشر بها ، أى أنه بشر بعقائده هو ، وهذا يجعله أكثر تحمسا وأكثر نشاطا من غيره ، ذلك أن كل صاحب فكرة جديدة يكون أكثر الناس تحمسا لها ، وهذا يفسر لنا أيضا خروج بولس فى أغلب الأحيان للتبشير بالمسيحية دون أن يصحب معه أحدا من التلاميذ.

رسائل بولس:

ينسب لبولس فى أسفار العهد الجديد أربع عشرة رسالة كتبها - أو كتب معظمها - أثناء الرحلات التبشيرية التى قام بها.

(١) تفسير سفر الأعمال ص ١٥

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٥٠ - ٣٥١.

وهى على حسب ما رتبته البعض تاريخياً - وهو ترتيب غير مجمع عليه - كما يلي^(١):

(١) الرسالة إلى غلاطية : هذه أولى الرسائل فى رأى كثير من الشراح ، وربما يكون بولس قد بعث بها من إنطاكية أو أورشليم بعد رحلته الأولى التى قام بها للمناداة بدعوته.. على أن بعضهم يقول إن بولس بعث بها خلال رحلته الثانية ، وكان قد بعث قبلها برسائله إلى أهل تسالونيكي.

(٢ ، ٣) تسالونيكي الأولى والثانية : كتب بولس هاتين الرسالتين خلال رحلته الثانية ، والأرجح أنه أرسل الأولى من أثينا والثانية من كورنثوس^(٢).

(٤) كورنثوس الأولى : أرسلها بولس من أفسس خلال رحلته الثالثة.

(٥) كورنثوس الثانية : أرسلها من مكدونية - ربما من فيلبى - خلال رحلته الثالثة.

(٦) رومية : أرسلها من كورنثوس قبل رحلته الثالثة.

(٧ ، ٨ ، ٩) كولوسى ، أفسس ، فيلمون : أرسلهم وهو سجين فى رومية

(١٠) فيلبى : أرسلها وهو سجين أيضاً ربما بعد الثلاث رسائل السابقة ، ويقول البعض إنه أرسلها من قيصرية قبل ترحيله إلى رومية.

(١١ ، ١٢) تيموثاوس الأولى وتيطس : أرسلهما بعد إطلاق سراحه من السجن ، وكان وقتئذ يجوب منادياً بدعوته.

(١٣) تيموثاوس الثانية : أرسلها وهو سجين فى رومية للمرة الثانية قبيل قتله بفترة طويلة^(٣).

(١٤) الرسالة إلى العبرانيين : ولا يعرف متى كتبت؟ ونسبتها إلى بولس مشكوك فيها^(٤).

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٨٨.

(٢) وهاتان الرسالتان فى رأى بعض الشراح أنهما أقدم الرسائل التى كتبها بولس. (راجع حبيب سعيد : أديان العالم ص ٢٧٢).

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٤) المرجع السابق ص ٣٤٠ - ٣٤١.

ولما كان الاستطراد فى بيان هذه الرسائل بياناً تفصيلياً يخرج بنا عن دائرة البحث فإننا سنكتفى بإبراز بعض الحقائق عن هذه الرسائل :

أولاً: إن هذه الرسائل ليس فيها شئ من تعاليم المسيح عليه السلام ، فلم تذكر أى قول من أقواله ، أو أى تعليم من تعاليمه ، بل هى أقوال وتعاليم بولس .

يقول جون لوريمر : " وقد ركزت أساساً على أمور لاهوتية ، وتعاليم خاصة بالسلوك الشخصى والأمور الدينية ، ولم يكن بها شئ يذكر عن حياة المسيح ، أو أية اقتباسات من تعليمه ، أو صلواته ، أو أمثاله " (١) .

ثانياً: هذه الرسائل لم تكتب بلغة المسيح ، ولا لغة تلاميذه ، بل كتبت باليونانية ^(٢) .

يقول يوسف الحداد : وبما أن بولس كان أول كتبة الوحي الإنجيلى ، فقد كان واضح لغته اليونانية المكتوبة ^(٣) . أى أنه هو الذى أنشأ هذه الكلمات ، وكتبها ، وأدخلها المسيحية .

ثالثاً: إن رسائل بولس هى أولى أسفار العهد الجديد كتابة وقبولاً ، فأول ما كتب من العهد الجديد هو هذه الرسائل ..

ففى مقدمة كتاب (لمن كتب الرسول) جاء " أن رسائل بولس قد كتبت وجمعت قبل أن تكتب بشائر الإنجيل وتجمع فى صورتها الحالية " ^(٤) .

ويقول لويس برسوم : " رسائل بولس هى التى كتبت على ما حققه العلماء ما بين ٦٢ - ٥١ م أى قبل كتابة الأناجيل الأربعة " ^(٥) .

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ٨٣) .

(٢) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٤٥) .

(٣) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٢٤٢) .

(٤) مابل واربرتون : لمن كتب الرسول ص ٦ .

(٥) لويس برسوم : المسيح الإله والإنسان ص ٨ .

ويقول يوسف الحداد: وقيمة رسائل بولس الأثرية أنها الأثر الأول قبل تدوين الإنجيل للدعوة المسيحية، فبولس أول من كتب في المسيح والمسيحية^(١). وكذلك أيضاً أول ما تم قبوله لدى الكنيسة واعتبر قانونياً من كتب العهد الجديد هو هذه الرسائل. يقول رولاند بيتون: "وكان أول ما قبل من الأسفار رسائل بولس الرسول، ثم الأناجيل الأربعة، ثم الأعمال، ودخلت بقية الأسفار في الاعتبار القانوني تباعاً"^(٢).

رابعاً: هذه الرسائل لم يعترف بها رسمياً إلا في سنة ٣٢٥م في مجمع نيقية، عدا الرسالة إلى العبرانيين، فقد اعترف بها بعد ذلك.

خامساً: إن هذه الرسائل هي التي تحتوى على العقائد والمبادئ والأفكار المسيحية وتركز عليها، أى أنها تشتمل على المبادئ اللاهوتية والأسس العقائدية للدين المسيحى بصورة مفصلة، هذا إلى جانب أنها تحتوى على الشرائع والعبادات والأخلاق التي يركز عليها الدين المسيحى.

يقول يوسف الحداد - تحت عنوان قيمة الرسائل الموضوعية -: "أنها تحمل المبادئ الأولى التي قامت عليها الدعوة المسيحية في البيئة الهلينية والتي عاشت فيها المسيحية، ففيها يوضح بولس مبادئ التعليم المسيحى ويحجب بفتاويه على مسائل كنائسه"^(٣).

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى: "وهذه الرسائل تحتوى على تعاليم عامة، ولكن معظمها يقدم لنا بعض العقائد عن المسيح. والدارس المدقق يجد في رسائل بولس ما يمكننا أن نسماه بقوانين الإيمان"^(٤).

العقائد والأفكار التي بشر بها بولس:

لا نستطيع في هذه الدراسة أن نحصر كل الأفكار والعقائد التي كان يبشر بها بولس، فتلك تحتاج إلى دراسة خاصة، ولكن سنعرض لأهم الملامح الرئيسية التي شكلت دعوته والتي بشر بها بين الأمم.

(١) فلسفة المسيحية في رسائل بولس (٢ / ٣٠٩).

(٢) موقف من تاريخ الكنيسة ص ٢٢.

(٣) فلسفة المسيحية في رسائل بولس (٢ / ٣٠٩).

(٤) د/ حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول ص ٣٨٥.

أولاً: (الخلاص) العقيدة الرئيسة في تفكير بولس:

إن العقيدة الرئيسة التى بشر بها بولس هى عقيدة الخلاص^(١)، فكان كل تفكيره يدور حول هذه العقيدة لدرجة أنه أخضع كل أعمال وحياة المسيح لها، بل وأضاف إلى المسيح عليه السلام بعض الأعمال حتى تكتمل صورة المخلص كما رسمها هو.

ويبدل على ذلك ما جاء فى سفر أعمال الرسل من أن أول ما بشر به بولس - عقب إعلانه الدخول فى المسيحية - هو الدعوة إلى الاعتقاد بأن عيسى بن مريم هو ابن الله المسيح المنتظر.

" وللوقت جعل يكرز فى المجمع بالمسيح أن هذا هو ابن الله، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم، وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة، وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققاً أنه هذا هو المسيح"^(٢).

والمعنى أن بولس بدأ يبشر بالمسيح على أنه هو المخلص، وفسر أعمال المسيح بما يتطابق مع هذه العقيدة التى سمحت وهيات له ولمن بعده لإضافة أعمال أخرى كثيرة إلى المسيح حتى أصبحت هكذا: المسيح المخلص هو ابن الله الذى تجسد وصلب وقام من أجل خلاص البشر.

يقول د/ فهميم عزيز: " إن مركز فكر الرسول بولس يتلخص فى تحقق مجئ العصر الجديد عصر الفداء الذى فيه يتمم المسيح عمله"^(٣).

ويقول يسى منصور: " ويعتبر تعليم بولس - عن موت المسيح هو المحور الأساسى لكل أقواله كما نرى ذلك جلياً فى رسائله الأربعة عشر"^(٤).

ويقول فرويد: " إن جوهر الخلاص هو ما أضافه بولس إلى المسيحية"^(٥) وهذا المعنى أيضاً قاله شارل جينيير^(٦).

(١) راجع: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) أعمال ٩: ٢٠ - ٢٢.

(٣) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٥٢.

(٤) يس منصور: الصليب فى جميع الأديان ص ٦١.

(٥) فرويد: موسى والتوحيد ص ١٧٩.

(٦) راجع المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٨.

وفى الحقيقة أن بولس كان ذكياً - ونقصه به ذكاء المبتدع - حين جعل هذه العقيدة هى أساس تبشيره ودعوته، وذلك "لأنه حاول من خلالها الجمع بين عقيدتين إحداهما يهودية والأخرى وثنية، بمعنى أنه حاول الجمع بين عقيدة اليهود وعقيدة الوثنيين فى المخلص..

فاليهود كانوا ينتظرون مخلصاً يخلصهم مما هم فيه من الاستعباد والذل، ويخلصهم من حالة الانكسار العسكرى والهزائم المتلاحقة التى منى بها بنو إسرائيل، وتم على أثرها خضوعهم للأشوريين سنة ٧٢٢ ق.م، ثم البابليين سنة ٥٨٦ ق.م ووصلت إلى ذروتها فى العصر الرومانى - يخلصهم من هذه الوحدة السياسية ويضعهم على قمة السلم البشرى^(١).

أما الوثنيون: فكانوا يعتقدون فى منقذ له القدرات الإلهية التى يستخدمها فى هذا الخلاص، ولما كان الوثنيون يعتقدون بالتعدد فى الألوهية فقد تبع ذلك تعدد فى المخلصين...

فقد كان الجو الدينى الوثنى الذى يحيط ببولس يتحدث عن مخلص (منقذ) يخلص البشرية، هذا إلى جانب أن اليهود كانوا يتحدثون عن حياة (مسيح منتظر) فأخذ بولس يفكر لِمَ لا يكون عيسى بن مريم هو المسيح المخلص ؟؟

ولقد اختار بولس لإعلانه هذه العقيدة الزمان والمكان المناسبين، حتى يضمن لها القبول، وكان ذلك حين خرج من أورشليم وهو فى طريقه إلى دمشق ادعى أن المسيح ظهر له وسأله لماذا تضطهدينى ؟ إلى آخر الرواية، ثم دخل إلى دمشق وادعى هذه الرؤيا، ثم أخذ يبشر بين الناس بعقيدته الجديدة وهى أن عيسى بن مريم هو المسيح المخلص، وأنه متصف بصفات أكثر من البشر، أو أن له قدرات أكثر من قدرات البشر.

وهكذا نرى أن بولس حاول الجمع بين عقيدتى اليهود والوثنيين فى المخلص.

(١) راجع هذه الفكرة فى رسالة الدكتوراة للباحثة منى ناظم: المسيح اليهودى ص ١٨، ١٩

لقد كان هدف بولس من هذا الجمع هو جعل دعوته مستساغة - أو مقبولة - من اليهود والوثنيين على حد سواء . ومن الواضح أنه اتبع فى تبشيره هذه الطريقة . فلقد عرض هذه الدعوة على اليهود والوثنيين معاً ، وبدأ باليهود . وخاصة اليهود اليونانيين . وذلك لما يتميزون به من مرونة أكثر ، ولأنهم كانوا أقل تعصباً ليهوديتهم من يهود أورشليم . وذلك بسبب اختلاطهم باليونانيين وغيرهم . ولكن اليهود اليونانيين فى دمشق وأورشليم لم يقبلوا هذه الدعوة فى بداية الأمر وحاولوا قتله ^(١) وذلك لأنهم كانوا يعلمون من خلال درايتهم بالتوراة أن عيسى بن مريم ليس هو المسيح المنتظر ولم تنطبق عليه صفات ونبوءات التوراة ولا الصفات التى اشترطها اليهود للمخلص .

ولكن بولس لم ييأس فولى وجهه تجاه الوثنيين ، وبدأ البعض منهم يدخل فى الديانة الجديدة بفضل معتقد بولس . وكان لدخول هؤلاء أثر كبير على ديانة المسيح عليه السلام ، وهو أنهم مزجوا بين معتقداتهم وبين النصرانية ^(٢) ، وأثر آخر على بولس نفسه إذ وجدناه - فى سبيل إرضاء هؤلاء - يفسر الأحداث التى حدثت لعيسى عليه السلام بتفسيرات لا تتعارض مع أهوائهم ، بل ويلغى بعض الشرائع ويضيف بدلاً منها أخرى ، حتى تكون دعوته مقبولة لهؤلاء ويرضوا عنه وعنهما .

يقول ول ديورانت : " وعرض بولس الإنجيل على غير اليهود من أهل كورنثة ودخل كثيرون منهم فى دينه ، ولعل المسيحية قد بدت لهم أنها صورة أخرى من الأديان الخفية (أو السرية) التى طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم ، ولعلهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة . وأثروا فى بولس فجعلوه يفسر الأحداث تفسيراً يألفه العقل الهلنستى " ^(٣) .

صفات المخلص فى نظر بولس :

بعد أن أعلن بولس أن عيسى بن مريم هو المخلص وصفه . بصفات تتفق - فى نظره - وهذا الإطلاق ، وهى : أنه ابن الله وأنه صلب وقام من أجل الخلاص .

(١) أعمال الرسل ٩ : ٢٠ - ٢٥ . ٢٨ : ٣٠ .

(٢) راجع هذا الموضوع فى الباب الثانى الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ص ٢٥٨) .

١- ابن الله : لقد أعلن بولس أن المسيح عليه السلام هو ابن الله ، وكان يبشر بهذا " وجعل يركز بالمجامع أن هذا هو ابن الله " (١) ، وهذا اللقب استخدمه بولس كثيراً في رسائله ، وأعلن أن المسيح ابن الله هو موضوع الإنجيل الذى بشر به (٢) ، ولهذا السبب يقول عن هذا الإنجيل إنه إنجيل ابنه (٣) .

وفسر د/ فهم عزي هذه الفقرة بقوله : " أى أن الابن هو الذى يختص به الإنجيل " (٤) . وبين بولس أيضاً فى رسائله أن ابن الله هو موضوع الكرازة (٥) ، وكذلك أيضاً هو موضوع الإيمان (٦) . وهكذا بين بولس أن ابن الله هو موضوع الإنجيل والتبشير وموضوع الإيمان (٧) ...

أما لماذا كان ابن الله هو موضوع هذه الأشياء الثلاثة ؟ فلذلك لأنه - فى نظر بولس - هو المخلص . يقول بولس : " لأنه يوجد إله واحد وسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع " (٨) .

ويقول : " ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس " (٩) ..

ويقول : " ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى " (١٠) .

ويقول : " لم يشفق - أى الله - على ابنه بل بذله لأجلنا " (١١) .. إلى غير ذلك من هذه الاقتباسات التى تدل على أن بولس أطلق على المسيح عليه السلام لقب ابن الله لأنه - فى نظره - هو المخلص الذى خلص البشرية من الآثام والذنوب .

(١) أعمال ٩ : ٢٠ .

(٢) رومية ١ : ٣ .

(٣) رومية ١ : ٩ .

(٤) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٤٣ .

(٥) ٢ كورنثوس ١ : ١٩ .

(٦) غلاطية ٢ : ٢٠ .

(٧) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٤٣ .

(٨) ١ تيموثاوس ٢ : ٦ .

(٩) غلاطية ٤ : ٤ .

(١٠) غلاطية ٢ : ٢٠ .

(١١) رومية ٨ : ٣٢ .

ونحب أن ننبه أن بولس حين أطلق على عيسى بن مريم لقب ابن الله كان لا يقصد المعنى الذى تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وذلك حين نسبت للشعب الإسرائيلى وبعض أنبيائه البنوثة الله^(١) وهو المحبة والرعاية من الله لخلقه، ولكن بولس حين أطلق هذا اللقب على المسيح عليه السلام أراد منه معنى جديداً وهو أزلية المسيح وألوهيته. ويدل على ذلك أنه نسب إلى المسيح ابن الله بعض القدرات والصفات الإلهية التى لا يوصف بها البشر، فنسب إليه الأزلية وهذا يظهر فى كل كتابات بولس^(٢).

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "ولقد شدد بولس على حقيقة أن المسيح أزلى الوجود، فإن ظهور يسوع الناصرى فى فلسطين لم يكن هو بداية وجود المسيح، بل هو موجود قبل كل موجود، وكل ما فى الكون وجد به وله"^(٣) وإليك بعض الاستشهادات من أقوال بولس نفسه:

يقول بولس: "شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليفة، فإن فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى.. الكل به وله قد خلق الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل، وهو رأس جسد الكنيسة الذى هو البداء من الأموات لكى يكون هو متقدماً فى كل شئ لأن فيه سرّ أن يحل كل الملاء"^(٤).

ويقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله"^(٥).

وكذلك أيضاً نسب بولس للمسيح ابن الله دوراً كونياً فى عملية الخلق.

(١) تكوين ٦: ٣، ١: ١٤، خروج ٤: ٢٢، صموئيل ٧: ١٤، أخبار الأيام الأول ٣٢: ١٠.

(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٤٥.

(٣) تاريخ الفكر المسيحى (١ / ٣٨٦).

(٤) كورنثوسى ١: ١٢-١٩.

(٥) فيلبى ٢: ٦-٥.

يقول د/ فهميم عزيز: " يكشف بولس أن الابن شريك وعامل مع الآب في كل أعماله من الأزل وإلى الأبد ففيه خلق الله كل العالم " (١).

وإليك بعضاً من أقوال بولس عن هذا:

يقول بولس: " لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به " (٢)

وكذلك أيضاً قوله فى كولوسى التى أشرنا إليها سابقاً " فإن فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى " (٣).

وهكذا يتبين لنا أن بولس أراد ببنة المسيح لله معنى يخالف معنى البنة فى العهد القديم.

يقول هنتر - عميد كلية المسيح بجامعة ابردين بإنجلترا - : " لقد سمي بولس يسوع ابن الله أربع مرات و (الابن) مرتين و (ابنه) لا أقل من إحدى عشرة مرة ... ، وعندما سمي بولس يسوع ابن الله ، كان يتحدث عن كائن إلهي ، ولمعرفة مصدر هذه التسمية يجب أن نذهب إلى الهلينية التى اعتادت على تسمية صانعي الأعاجيب بأنهم أبناء الله " (٤).

٢- الصلب من أجل الخلاص:

ما دام أن بولس قد تصور أن عيسى بن مريم هو المخلص، فإنه سوف يعمل ذهنه لتكميل هذا التصور، وشخص بهذه العقلية الواعية لا يتصور أن يعجز أن يقدم حلولاً مرضية للوثنيين - الذين هم مجال تبشيره - عما أشيع (٥) من أن عيسى بن مريم صلب، والصلب يعنى اللعنة - أى أن كل مصلوب ملعون، كما تنص التوراة

(١) الفكر اللاهوتي فى رسائل بولس ص ١٤٦ .

(٢) ١ كورنثوس ٨ : ٦ .

(٣) كولوسى ١ : ١٦ .

(٤) راجع : أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير ص ٤٦ .

(٥) ذلك أن اليهود أشاعوا أنهم صلبوا المسيح ولكنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

التي يؤمنون بها (ملعون كل من علق على خشبة)^(١). وهذه العقيدة لا يرضى عنها أهل الأوثان، وهنا أعمل بولس ذهنه ففكر وقدر، واستطاع أن يصل إلى الحل المرضي لهؤلاء الوثنيين، وهو لا يخرج عن دائرة ما اعتقدوه من أن هذا المصلوب ما هو إلا شخصية إلهية نزل من عند الله ليخلص البشرية من أوزارها، وأنه هو الذي اقتدى البشرية من اللعنة بصلبه.

يقول بولس: "المسيح اقتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة، لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع"^(٢). وهكذا ظن بولس أنه خرج من هذا المأزق بهذا الحل العجيب ليرضى هؤلاء الوثنيين.

يقول شارل جنيبير: "ورأى بولس أن الأتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول (فضيحة الصلب)، وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة - التي لم يكف الأعداء بطبيعة الحال عن الرجوع إليها - تفسيراً مرضياً يجعل منها ذات مغزى ديني عميق، وأعمل بولس فكره في هذه المشكلة المزدوجة وذلك بطبيعة الحال حسب الاتجاه الذي رسمه له مجتمع المهجر الهيلينستي، ووضع لها حلاً كان له صدى بالغ المدى: لقد تجاهل فكرة "عيسى الناصري" التي أغرم بها الاثنا عشر، ولم يتجه إلا إلى "عيسى المصلوب" فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود، وتمثل نوعاً من التشخيص لروح إله تصوره (رجلاً سماوياً) احتفظ به الله إلى جانبه أمداً طويلاً حتى نزل إلى الأرض، لينشئ فيها بشرية جديدة يكون هو (آدمها)"^(٣).

ولقد ذكر بولس هذا المعنى وركز عليه وشرحه في معظم رسائله.

يقول د/ فهميم عزيز: "وتظهر أهمية موت المسيح عند بولس في كتاباته الوفيرة عنه، فلم تخل أي رسالة عن ذكر وشرح هذه الحادثة المركزية، ولم يفته موقف لم يعلم فيه عنه"^(٤).

(١) تثنية ٢١: ٢٣.

(٢) غلاطية ٣: ١٣، ١٤.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٥.

(٤) الفكر اللاهوتي في رسائل بولس ص ١٦٤.

وإليك بعض ما ورد فى رسائل بولس عن الصلب - أو الموت - من أجل الفداء والخلاص..

يقول بولس: "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"^(١).

ويقول: "هو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام"^(٢).

ويقول: "الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا"^(٣).

إلى غير ذلك مما ورد فى رسائل بولس عن هذه العقيدة.

٣- القيامة بعد الصلب:

ولكى يكمل بولس صورة المخلص التى رسمها أوضح أنه قام من الموت، لأنه لا يمكن أن يكون إلهاً ويموت، لذلك كان لابد من وضع حل للاعتقاد بصلبه وموته. ولم يتعب بولس كثيراً فى إيجاد هذا الحل، فقد كان الجو الوثنى حوله يؤمن بإله مخلص يموت ويقوم من أجل البشر، ووجد بولس للاعتقاد بالقيامة بعد الموت مكاناً فى عقيدته الرئيسية التى كان يبشر بها وهى الخلاص، فأعلن أن المسيح عليه السلام مات وقام من أجل فداء البشرية.

يقول د/ فهم عزيز: "كأن موت المسيح عند بولس مهماً جداً، ولكنه كان ينظر إلى هذا الموت كوجه واحد للحقيقة الإلهية للخلاص، أما الوجه الثانى فهو القيامة"^(٤).

ولقد ذكر بولس هذا المعنى فى رسائله كثيراً فقال: "نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا"^(٥).

(١) رومية ٥ : ٨.

(٢) ٢ كورنثوس : ٥ : ١٥.

(٣) أفسس ١ : ٧، كولوسى ١ : ١٤.

(٤) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٧٠.

(٥) رومية ٤ : ٢٤، ٢٥.

وقال: "إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم"^(١) ولقد أوضح بولس فى هذا القول أن التبشير والإيمان باطلان إذا لم يكن المسيح قد قام، وهو بهذا يعبر عن هذا المعنى الذى أشرنا إليه وهو أنه المسيح إله فلا يمكن الاعتقاد بموته، ولذلك كان لا بد - فى نظره - من الاعتقاد بالقيامة من الأموات، وربطها بعقيدة الخلاص للبشر..

والواقع أن عقيدة موت الإله المنقذ وبعثه كانت منتشرة فى أنحاء العالم اليونانى والرومانى، وفى البيئة التى نشأ وتعلم فيها بولس، حيث كانت هذه العقيدة هى العقيدة الرئيسية للأديان السرية التى كانت لها الغلبة آنذاك.

٤ - خاص بالشعائر:

لم يفت بولس أن يدخل بعض الشعائر فى المسيحية التى تعبر عن عقيدة الخلاص، أو يشير إلى ربط بعض الشعائر المسيحية بعقيدته الرئيسية التى جعلها مركز تفكيره وتبشيريه وهى (الخلاص)، فمثلاً يشير إلى التعميد على أنه مرتبط بأعمال المخلص المشار إليها، فكما أنه مات ودفن وقام فكذلك التعميد لحظة دخوله فى الماء أو تغطيسه فيها يكون قد مات ودفن، ولحظة خروجه منها يكون قد قام.

يقول بولس: فدفنا معه بالعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة"^(٢).

وكذلك أيضاً يربط بولس بين تناول الخبز جماعة وما نسب إلى المسيح من كونه مات وقام لأجل الخلاص، فيقول: لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى"^(٣)

(١) ١ كورنثوس ١٥ : ١٤.

(٢) رومية ٦ : ٤.

(٣) ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٢٤.

ثانياً: التقليل من شأن الناموس^(١):

فى البداية يجب أن نذكر أن المسيح عليه السلام حرص على شدة التمسك بالناموس باعتباره السبيل القويم لنجاة الإنسان، ولقد أكد فى أكثر من مرة أن الشريعة التى سبقت مجيئه (وهى شريعة موسى) لا ينقض منها كلمة، وأنه إنما أتى ليكملها^(٢) فقال: " لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات " ^(٣).

ولكن بولس كان له رأى آخر، فلقد قلل من شأن هذا الناموس ونفى عنه أية إمكانية لتبرير الإنسان ونجاته، ومن ثم دعا إلى التخلي عنه، وأكد أن التبرير^(٤) أو النجاة إنما هو بالإيمان بيسوع المسيح لا بأعمال الناموس.

وقد ركز بولس على هذا الاعتقاد وأولاه اهتماماً كبيراً لدرجة أن بعض المسيحيين - وهم البروتستانتون - جعلوا هذه العقيدة هى مركز تفكير بولس قبل عقيدة الخلاص، بينما اعتبرها الآخرون: العقيدة الثانية بعد عقيدة الخلاص.

يقول د/ فهميم عزيز: " فقد اتخذ بولس هذه العقيدة - عقيدة التبرير بالإيمان بيسوع - أساساً لفكره اللاهوتى، وذلك لمواجهة عقيدة البر بأعمار الناموس التى تمسك بها اليهود، وهذه العقيدة تظهر فى كل كتاباته فى رومية وكورنثوس وغلاطية وبقية الكتابات بوضوح وجلاء واتساع بحيث تعبر تعبيراً كاملاً عن رأيه، وهذا ما تمسكت

(١) والناموس اسم يونانى الأصل معناه (شريعة أو قانون) والمراد به : شريعة موسى التى جاء بها من عند الله. (راجع : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨).

(٢) حنا جرجس عبد السيد : مطالعات فى الكتاب المقدس ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) متى ٥ : ١٧ - ١٩.

(٤) والتبرير - كما عرفه المسيحيون - عكس الدينونة، ويعنى أن المسيح ينال البر والنجاة، ويصبح باراً بفضل إيمانه بيسوع المسيح (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٩).

به البروتستانتية"^(١) وهذا يدل على مدى اهتمام بولس بهذه العقيدة ، فلقد ذكرها في معظم رسائله وأسفاره.

يقول بولس : " جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة "^(٢).

ويقول : " الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها "^(٣).

ويقول : " لأنه إذا كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب "^(٤).

ويقول : " لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر أمامه "^(٥).

ويقول : " بر الله بالإيمان يسوع المسيح... متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى يسوع المسيح "^(٦)... إلى غير ذلك من الأقوال الدالة على فكرته فى الناموس وهى أن الإنسان لا ينال النجاة بأعمال الناموس ، بل بالإيمان بيسوع المسيح ، وأن الناموس فقد أهميته بعدما جاء المسيح ، وهذا لا شك . كما سبق البيان . مخالف لتعاليم المسيح الذى صرح أنه ما جاء لينقض الناموس ، وأن من نقضه يدعى (أصغر فى ملكوت السموات).

المهم هنا أن نبين أن هذه العقيدة من أسس تفكير بولس ، واعتبر المسيحيون هذا العمل . وهو إنكار أهمية الناموس . اكتشافاً خطيراً... ففى إحدى الرسائل المسيحية جاء ما يلى : " اكتشاف بولس الرسول هذا يعتبر خطيراً للغاية ، لأنه أحدث نقطة التحول العظمى من العبادة اليهودية إلى العبادة المسيحية التى أنهت على التبرير بالناموس إلى الأبد.

ولقد كانت وقفة بولس الرسول فى وجه بطرس فى هذا الأمر من أخطر الوقفات فى تاريخ الكرازة باسم المسيح ، إذ أعلن فى صراحة ووضوح لأول مرة فى الإنجيل

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٥٠.

(٢) غلاطية ٣ : ١٠.

(٣) غلاطية ٣ : ١٣.

(٤) غلاطية ٢ : ٢١.

(٥) غلاطية ٣ : ٢٠.

(٦) رومية ٣ : ٢٢ - ٢٤.

" وإذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح ، آما نحن أيضاً يسوع المسيح لتتبرر بإيمان يسوع المسيح لا بأعمال الناموس ، لأن بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما " (١) ، (٢) .

ويا للعجب يعتبرون خرق بولس ونقضه لشريعة التوراة أمراً محموداً واكتشافاً عظيماً !!

وبناء على عقيدته هذه ألغى بولس (الختان) فقال : " وهكذا أنا أمر في جميع الكنائس دُعى أحد وهو مختون فلا يصبر أغلف ، دُعى أحد في الغرلة فلا يختن ، ليس الختان شيئاً وليس الغرلة شيئاً ، بل حفظ وصايا الله " (٣) . وكان يردد (ما هو نفع الختان) (٤) .

ويقول : " ها أنا بولس أقول لكم أنه إن اختنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً " (٥) .
ويقول : " لأن في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة " (٦) .

ولقد علل العلماء إلغاء بولس للختان بأنه كان عقبة في سبيل قبول الوثنيين للمسيحية.. يقول شارل جنبيير : " كان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم ، فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح بل بأن هذا المسيح أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد " (٧) .
وينفس هذا المعنى قال فشر : " ولقد قاوم بولس الختان باعتباره عقبة كبرى في سبيل انتشار المسيحية بين الوثنيين " (٨) .

(١) غلاطية ٢ : ١٦ .

(٢) رسالة التبرير ص ١٥ .

(٣) ١ كورنثوس ٧ : ١٧ - ١٩ .

(٤) رومية ٣ : ١ .

(٥) غلاطية ٥ : ٢ .

(٦) غلاطية ٦ : ١٥ .

(٧) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٤ .

(٨) فشر : تاريخ أوروبا العصور القديمة ص ١٤ .

ولكن كيف يلغى بولس الختان وهو شريعة من الشرائع الموسوية^(١) التي ما جاء المسيح ناقضاً لها؟ بل إننا نجد أن المسيح نفسه اختتن.

يقول لوقا " ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي "^(٢)، ولكن بولس لم يعجبه هذا فألغاه ونبذه دون اعتماد على نقص صريح من المسيح عليه السلام.

هذه هي أهم العقائد والأفكار التي نادى بها بولس ولنتظر بعد ذلك هل هي تعاليم نادى بها المسيح أم لا؟

هل هذه التعاليم نادى بها المسيح؟ وما موقف التلاميذ منها؟

مما لا شك فيه أن هذه التعاليم لم يقلها المسيح عليه السلام ولم يدع إليها، ولقد بنا في المدخل العام لهذا الكتاب التعاليم التي نادى بها المسيح عليه السلام..

فالمسيح لم يقل عن نفسه أنه (المسيح المنتظر)، ولم يشر إلى أنه (ابن الله) الذي يصلب من أجل الخلاص.

يقول ولز: " يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسر فيها مبادئ الكفارة والفداء، أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو تناول سر مقدس، كذلك لا يبرز هو دعواه أنه (المسيح) ولا يضيف على إشراكه مع الله في الربوبية أى ثوب بارز، ربما أحسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمراً بالدرجة الأولى من الأهمية "^(٣).

ويقول شارل جنبيير: " والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه (ابن الله) وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة لليهود - سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه

(١) يقول سفر اللاويين : " وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل قائلاً : إذا جلبت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام... وفى اليوم الثامن يحنن لحم غرله " لاويين ١٢ : ١ - ٣. راجع أيضاً سفر يشوع ٥ : ٢.

(٢) لوقا : ٢١ : ٢١.

(٣) ولز : معالم تاريخ الإنسانية (٦٩٢ / ٣)

فى الدين، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل^(١) بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التى استخدمها بولس^(٢).

فالمسيح عليه السلام لم يعلم هذه العقائد التى بشر بها بولس ولم يدع إليها ولم يشر أيضاً إليها، وإنما الذى قالها وعلم بها هو بولس الذى كان عدواً لدوداً ثم انقلب فجأة رسولاً.

والأمر كذلك بالنسبة لنبذة للتوراة وشرائعها، فالمسيح أعلن لأتباعه صراحة دون مواراة أنه ما جاء ناقضاً للشرعية اليهودية وإنما جاء مصدقاً ومصححاً ومكملاً لها... وعليه فما بشر به بولس يختلف كل الاختلاف عما نادى به المسيح عليه السلام ويبعد عنه بعداً كبيراً.

أما موقف التلاميذ من هذه التعاليم:

فمما لا شك فيه أيضاً أن الحواريين الذين امتدحهم القرآن الكريم لا بد وأنهم لم يوافقوا على هذه الآراء ولم يشجعوها وقابلوها بالإنكار والبعد عنها، وبالكتابة ضدها، ولكن أين ما كتبوه؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم؟

"الجواب: أنه ليس فى أيدينا شئ فلا بد أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان والغوغاء فى عصور الاضطهاد، كما دمرت إنجيل عيسى، أو قل إن بعض ما كتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير وأخفاء ذروته وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى ظهر مجمع نيقية حيث تقرر اختيار الأسفار الموجودة حالياً بفضل المقررين للاهوت المسيح، وتقرر أيضاً إحراق ما عداها من الكتب الأخرى"^(٣)

على أن الباحثين والعلماء يقررون أن تلاميذ المسيح لم يرضوا عن تعاليم بولس.

(١) وذلك على فرض أنها صحيحة.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٩.

(٣) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص ١١٨.

يقول شارل جنبيير : " ولا غرابة أن نرى الحواريين الاثنا عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم يستكفون كثيراً من مثل هذه النتائج التي توصل إليها بولس ، ويدون أمامها تردداً قوياً إلا أن بولس فرضها عليها فرضاً^(١) .

ويقول د/ سعد الدين صالح : " إن معظم الحواريين الذين شاهدوا عيسى وسمعوا منه العقيدة الصحيحة قد رفضوا أفكار بولس وحدث بينه وبينهم خلاف كبير لدرجة أن بولس حكم عليهم بالكفر ، وهذا ما يتبين لنا من خلال رسالته إلى غلاطية والتي يحذر فيها أتباعه من قبول أى تعاليم أو آراء مخالفة لتعاليمه حتى لو أتى بها ملاك من السماء ، وكل من يبشر بما يخالف تعاليم بولس فهو كافر محروم من الجنة " . يقول بولس : " إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بعدما بشرناكم فليكن أنائما^(٢) " أى محروم من الجنة^(٣) .

ولقد أشار سفر الأعمال إلى موقف التلاميذ هذا إشارة خفيفة وذلك حين روى أن بولس حين حاول أن يلتصق بالتلاميذ خاف منه الجميع ولم يصدقوه^(٤) .

وعلى ذلك فالحواريون الذين تتلمذوا على يد المسيح عليه السلام ظلوا على ولائهم لتعاليمه ولم يحرفوا شيئاً منها ، ولم يرضوا بالتحريف الذى أجراه بولس فى تعاليمه عليه السلام .

أما ما يروى من أن بطرس وافق قول بولس فى دخول غير اليهود إلى المسيحية وإعفائهم من الناموس " فلعل هذه الموافقة - كما يقول د/ محمد الفرت - أمر مدسوس عليه من كاتب سفر الأعمال ، أو لعل ما ينطوى عليه بولس من قوة فى الذكاء وبراعة فى الحيلة ونشاط قوى يستطيع به أن يستولى على مشاعر سامعيه أن يقنع بطرس بنظريته تلك فوافق على هذا القرار الخطير^(٥) .

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٤ .

(٢) غلاطية ٨ : ١ .

(٣) د/ سعد الدين صالح : مشكلات فى العقيدة النصرانية ص ٥٧ .

(٤) أعمال ٩ : ٢٦ .

(٥) بولس والمسيحية ص ٦٦ .

أما يعقوب فقد واجه بولس وهدم نظريته من أن النجاة بالإيمان بيسوع المخلص دون العمل بالناموس، ورفض هذا الفكر الذى ينبذ شريعة موسى يقول يعقوب "لأن من حفظ كل الناموس وإنما عشر فى واحدة فقد صار مجزماً فى الكل... إلى آخره"^(١).

وهكذا نرى أن بولس بشر بآراء لم يقلها المسيح عليه السلام ولم يوافق عليها الخواريون.

المصدر الصحيح لتعاليم بولس:

تبين مما سبق أن تعاليم بولس ليس مصدرها المسيح عليه السلام ولا تلاميذه، فهو لم يلتق بيسى عليه السلام ولم يتلمذ على التلاميذ الذين ظلوا متمسكين بتعاليم المسيح عليه السلام ولم يعلموا تلك العقائد والتعاليم التى بشر بها بولس، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لابد أن يكون لهذه التعاليم مصادر أخرى استقى منها بولس تلك العقائد والتعاليم، إذ لا يمكن أن يكون قد جاء بها من فراغ، أو اخترعها من ذهنه دون أن يلجأ إلى مصادر أخرى سبقتها أو عاصرتها، خاصة تلك التعاليم الفلسفية التى لا يمكن أن تكون من تأليفه؛ وذلك لشهرتها بين الناس قبل مجئ بولس بها.

إن أغلب العلماء يؤكدون أن بولس وقع تحت تأثير تيارات دينية وفلسفية نتج عنها تعاليمه وأفكاره التى بشر بها فى المسيحية، وهذا يرجع إلى أن البيئة التى نشأ فيها بولس كانت مليئة بالمعتقدات الدينية والأفكار الفلسفية..

فلقد كانت (طرسوس) - وهى البيئة التى نشأ وترعرع فيها بولس - مهداً للتأليف بين الكثير من المعتقدات الدينية والمزج بينها وذلك بسبب موقعها الجغرافى بين هضبة آسيا الصغرى وبلاد الشام، مما كان له أثره فى أن تكون ممراً تجارياً بين بلاد الشرق والغرب فكان يمر عليها الشرقيون والغربيون ويأتون بعقائدهم ودياناتهم معهم فيطلع عليها أهل البلاد ويأخذون منها ما شاءوا ويتركون الآخر بعد أن يتعرفوا عليه، ولذلك تجد فى طرسوس أدياناً شرقية وغربية على السواء، وكان أهم الأديان

(١) راجع النص كاملاً فى رسالة يعقوب ٢ : ١٠ - ٢٣.

المنتشرة فى طرسوس ما يسمى بالأديان السرية التى كانت تعتقد بالمخلص والمنقذ، فكانوا يعتقدون بأن الإله الذى يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره ليخلصهم من الجحيم ويهبهم حياة الخلود^(١).

يقول د/ فهميم عزيز: "والسمة الأساسية لهذه الديانات أنها تدور حول إله - أو بطل - إما أنه يموت ويقوم من الموت مثل أوزوريس المصرى ، أو ينتصر على الشر مثل مشرا الفارسى ، وكان معتنقو هذه الديانات يطلبون الخلاص بالاتحاد مع هذا الإله فى موته وحياته بواسطة طقوس وعوائد وأكلات خاصة"^(٢).

ولم تكن بيئة بولس وحدها هى التى تعتقد بالمخلص، بل كانت هذه العقيدة سمة من سمات الوثنية فى تلك العصور، وهذا يعنى أن بولس حين خرج ليبشر بالمسيحية بين الوثنيين وجد هذه العقيدة منتشرة فى أنحاء العالم الوثنى آنذاك...

يقول ول ديورانت: "وهذه الأديان السرية هى التى أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان"^(٣).

فالعقيدة الخلاص كانت من العقائد الرئيسية فى الأديان السرية التى كانت منتشرة فى أنحاء العالم الوثنى آنذاك، وكذلك أيضاً وجدنا أن عقيدة الخلاص كانت هى العقيدة الرئيسية التى بنى عليها بولس تفكيره وتبشيره ودعوته ورسائله. فهل تأثر بولس بهذه الأديان؟ الواقع أن بولس فعلاً تأثر بهذه الأديان، وهذا هو اعتقاد كثير من العلماء.

يقول د/ فهميم عزيز: "لقد اعتقد كثير من العلماء أن بولس أخذ تفكيره من الهلينية سواء أكانت الهلينية الوثنية^(٤) أم الهلينية المسيحية^(٥) فلقد فسر (باور)^(٦)

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٩-٢٥٠).

(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٩.

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٥٠).

(٤) ويقصد بالهلينية الوثنية: الفكر اليونانى المتزج بالأديان الشرقية، وقد بدأ انتشاره منذ عصر الإسكندر الأكبر الذى عمل بعد فتوحاته على أن يمزج بين الشرق والغرب وظل هذا الفكر منتشراً أثناء الإمبراطورية الرومانية.

(٥) ويقصد بالهلينية المسيحية: فكر هؤلاء اليونانيين الذين دخلوا فى المسيحية ومزجوا بينها وبين تعاليمهم الوثنية.

(٦) أحد دارسى تاريخ الكنيسة فى القرن التاسع عشر، كان عميداً لإحدى المدارس اللاهوتية النقدية وهى مدرسة توينجن، وكانت دراستها تنصب على تفسير تاريخ الكنيسة الأولى وكان شعارها أن التاريخ بدون الفلسفة أخرس ميت (الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٦).

موقف بولس على أنه بطل الأمم (غير اليهود) وضد اليهودية والمسيحية، وأن المصدر الأصلي لفكره يكمن في إطار الديانات السرية التي انتشرت نتيجة تلاقي الفكر اليوناني والديانات الشرقية، ويظهر ذلك في المتوازيات الموجودة بين عناصر لاهوت وعقائد هذه الديانات مثل: الإله الذى يموت ويقوم، ولقب (الرب) والخلاص المتصل بالفرائض والأسرار، والمعرفة، والروح، ولقد وقع بولس تحت تأثير هذه الديانات عندما كان ولداً في طرسوس وكذلك في رحلاته التبشيرية بعد أن صار مسيحياً^(١).

ويقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب: "يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابهاً قوياً بين المسيحية - مسيحية بولس - وبين غيرها من ديانات العالم الرومانى التي كانت منتشرة آنذاك وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة، سواء من ناحية المعتقدات والأفكار أو نواحي العبادات والطقوس التي تعكس تلك المعتقدات"^(٢).

فالتعاليم التي بشر بها بولس لم يستقها من مجتمع التلاميذ بل أتى بها من مجتمعه اليوناني (طرسوس وغيرها) الذي كان يدين بالأديان السرية التي كانت تتحدث عن (منقذ) أو مخلص يخلصهم من الأوزار والآثام ويضمن لهم حياة الخلود والأبدية، أخذ بولس هذه التعاليم وقام بتطويرها وتنميتها - هو ومن جاء بعده - وبشر بها في المسيحية على أن المخلص هو عيسى بن مريم عليه السلام.

فقد أعلن أن المسيح عليه السلام هو المخلص وأنه صلب وقام من قبره من أجل خلاص البشرية شأنه في ذلك كشأن آلهة الديانات السرية التي تعتقد بالإله المخلص الذي يموت ثم يقوم، معلناً بذلك انتصاره على الشرور والخطايا، وخلاصه للبشر منها .

وهكذا يتضح لنا أن المصدر الدينى لأفكار وتعاليم بولس يتمثل فى معتقدات الأديان السرية.. هذا إلى جانب أن بولس تأثر بالفلسفة الرواقية فى بعض تعاليمها وفى طرق التعبير عن المسيحية فى رسائله.

(١) المرجع السابق ص ٢٠.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ٧٨.

يقول د/ عثمان أمين: "من المشهور لدى الباحثين فى الإلهيات المسيحية أن رسائل بولس هى فى لهجتها ومضمونها قريبة الشبه برسائل (سكنا)^(١)، وتعليل ذلك ما هو معلوم من نشأة بولس ببلاد طرسوس فى وسط عاشت فيه الأفكار الرواقية"^(٢).

ويقول: "وبولس يوافق الرواقية موافقة واضحة فى نظراته إلى وظائف الدين: فهو مثلهم لا يحفل بإقامة الشعائر الخارجية ويرى إقامة ما يسميه (عبادة)^(٣) ملائمة للعقل"^(٤)، ولقد ذكر د/ عثمان أمين أمثلة كثيرة على تأثر بولس بالرواقية نحيل القارئ بالرجوع إليها.

هذا وقد استعار بولس من الفلسفة الرواقية بعض التعبيرات الفلسفية^(٥).

يقول يوسف الحداد: "مثل (صورة الله)^(٦)، واقتبس منهم فكرة (اغتراب) النفس فى الجسد"^(٧) وفكرة (الملء الكونى أو الشخصى)^(٨)^(٩)، هذا إلى جانب بعض التعبيرات والمصطلحات.

ويقول ول ديورانت: "ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية انتقلت من البيئة المدرسية فى طرسوس إلى مسيحية بولس"^(١٠) إلى غير ذلك من النقول التى تدل على أن بولس تأثر بالرواقية، وهذا يعنى أن بولس كان دارسا للرواقية التى أدخل منها بعض أفكاره ومصطلحاتها فى المسيحية.

(١) أحد الفلاسفة الرواقيين، ولد بقرطبة فى السنة الرابعة ق. م. وكان أبوه من نژاد الرومان. تعلم الفلسفة الرواقية وأصبح واحدا من أساتذتها. الفلسفة الرواقية ص ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٤.

(٣) رومية ١: ١٢.

(٤) الفلسفة الرواقية ص ٢٧٧.

(٥) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (٢ / ٣٢٧)، تراث العالم القديم ص ٢٣٨.

(٦) كولوسى ١: ١٥.

(٧) ٢ كورنثوس ٥: ٦، ١٠.

(٨) كولوسى ١: ١٩، ٢: ٩، أفسس ١: ٢٣، ٣: ١٩، ٤: ١٣.

(٩) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٢١٩، ٢٢٠).

(١٠) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٩).

وهكذا يتضح لنا أن المصدر الصحيح لتعاليم لبولس هو الديانات الوثنية المنتشرة آنذاك في البيئة التي عاش فيها، والتي يجمعها اسم (الأديان السرية)، والفلسفة الرواقية التي كانت منتشرة أيضا في البيئة التي عاش وتعلم فيها.

أثر تعاليم بولس على ديانة المسيح عليه السلام:

لقد ظهر أن التعاليم التي بشر بها بولس ليست من تعاليم المسيح علي السلام، وإنما اقتبسها وطورها، وبشر بها باسم السيد المسيح عليه السلام، وعلى هذا يتبين التغيير الكبير الذي أحدثه بولس في رسالة المسيح، فهو يعتبر أول المحرفين لهذه الديانة، فقد أدخل فيها ما ليس منها، وبشر بعقائد وتعاليم لم يقلها المسيح عليه السلام وسلك طريقا لم يشر إليها، وألغى شرائع وأضاف أخرى لم يوص بها المسيح ولم يشرعها، فهو بلا شك أخرج النصرانية عن نطاقها السماوى ووضع بدلا منها وثنيات الأديان الوثنية وخرافات الأديان الوضعية.

فهو أول من وصف المسيح بأوصاف إلهية تخرجه عن دائرة البشر، وهو أول من وضع لما ادعاه اليهود من صلب المسيح معنى وثنيا، وكذلك أيضا هو أول من قال بقيامة المسيح وادعى أنه شاهده أثناء سفره إلى دمشق، وهو أيضا أول من قال بظهور المسيح عليه السلام.

وعليه فهو الذى ادعى أن عيسى بن مريم هو (المسيح المنتظر) الذى كانت تنتظره اليهود، وهو المخلص الذى كانت تدعيه به الأديان الوثنية، وهو الذى تجرأ على شريعة التوراة وقلل من شأنها، وبين أن النجاة بالإيمان لا بأعمال الناموس الذى أصبح فى نظره بدون فائدة، ولذلك ألغى بعض شرائعه مثل الختان.

ولكن يضمن لأفكاره القبول ادعى أن المسيح ظهر له فى أثناء رحلته إلى دمشق وأنه أعطاه الرسالة، وكان مقصده من ذلك أن تنال أفكاره قبول أتباع المسيح - وحتى لا يهتمونه بالتحريف فى ديانة المسيح - ولكنهم لم يصدقوه وخافوا منه، فرأى أن يخرج بهذه الأفكار الى البلاد الوثنية ليبشر بينهم بها، والتي كانت مألوقة لديهم، حتى إذا ما ضمن الأتباع الكثيرين وضع أتباع المسيح أمام الأمر الواقع.

يقول د/ فهميم عزيز: "ويقول بولس إنه بمجد خدمته للأمم"^(١) لكي يربحهم ولكنه لا يقف عند هذا الحد، إن له هدفاً أبعد هو أنه باكتساب الأمم إلى المسيحية يغير اليهود فتدفعهم هذه الغيرة إلى التنازل عن عنادهم ورفضهم الندم والتوبة والرجوع إلى المسيح وبذلك يكمل عدد المقدسين"^(٢).

وهذا يعنى أن بولس استخدم الوسائل الآتية لضمان قبول أفكاره:

أولاً: لم يستشر أحداً من تلاميذ المسيح فى المبادئ والتعاليم التى كونها حول المسيح وبشر بها بين الناس.

ثانياً: تبشيره بمبادئه وأفكاره بين اليونانيين والوثنيين فى بلادهم، وهؤلاء دخلوا المسيحية واعتقدوا بما علمه بولس لهم، ولم يعرف هؤلاء العقيدة الصحيحة لديانة المسيح عليه السلام وذلك لأنهم لم يعرفوا عيسى عليه السلام ولم يشاهدوه ولم يسمعوا عنه إلا بالقدر الذى قاله لهم بولس، هذا إلى جانب أنهم لم يسمعوا شيئاً عن تلاميذ المسيح الذين ظلوا متمسكين بدينهم ولم يخرجوا من بلاد فلسطين.

وهكذا تكونت أفكارهم وعقائدهم عن المسيح بالمعنى الذى قرره بولس لهم وكان لنشاط بولس الواسع أثره فى نشر عقائده وتعاليمه بين كثيرون من اليونانيين والوثنيين، وهذه الكثرة هى التى جعلت لأفكار بولس البقاء فيما بعد.

ثالثاً: ولكى يضمن بولس دخول هؤلاء فى دعوته سهل لهم المبادئ التى يظن منها أنها تسبب بعض الصعوبة لهم، ففسر لهم الصلب بم رضيتهم، وألغى لهم الختان، ولم يقيدهم باتباع شريعة التوراة، لأنه كان يعرف أن المجتمع اليونانى كان ينبذ الاشتراك مع اليهود فى شريعة واحدة - هذا إلى جانب أن بعض هذه الشرائع كانت لا تتفق مع أساليبهم وعاداتهم.

رابعاً: لم يكتف بولس بهذا النشاط الفذ فى التبشير بتعاليمه بين الوثنيين بل عمل على كتابة رسائل تحمل هذه التعاليم، وكان يهدف من وراء ذلك: الخوص بالألا يتسرب إليهم أية أفكار أخرى، لذلك يقول فى رسالته إلى أهل غلاطية: "إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر،

(١) راجع قوله فى رسالة رومية الإصحاح الأول.

(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١١٧.

ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما^(١) فهو يتعجب منهم ، ويقول لهم: لماذا تتحولون عن الذى دعوتكم إليه ؟ إنهم يريدون أن يحرفوا إنجيل المسيح المنتظر (المخلص) الذى بشرتكم به ، ثم نصحبهم بألا يقبلوا أى تعاليم غير التى بشر بها بينهم ، حتى ولو كان هذا المشر ملاك من السماء !!

وفى رسالته الثانية إلى كورنثوس " ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضا فى ما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ما كرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح "^(٢) فهو يفعل ذلك لكى يقطع الفرصة على هؤلاء الذين يسميهم رسلا كاذبين والذين يريدون أن يكونوا فى موضع الافتخار الذى وضع نفسه فيه ! هذا إلى جانب أن بولس كان يهدف من وراء هذه الرسائل بقاء رسائله مكتوبة يرجعون إليها ولا يسألون غيرها.

يقول جون لوريمر: " كان الهدف الأساسى لبولس فى جهوده المرسلية هو أن يقيم كنائس قوية لها اكتفاء ذاتى ، لهذا كان لا يكتفى بزيارة واحدة للكنيسة ، بل يرجع إليها ليعينها ويشجعها أو يكتب لها رسالة "^(٣)

وقد نتج عن الوسائل التى اتبعها بولس هذه أن أصبحت رسائله التى تحمل مبادئه وتعاليمه هى الأساس فيما بعد ، وهى السائدة والمنتشرة دون غيرها ، وذلك لما يأتى.

(١) بقاء تعاليم بولس فى الرسائل التى خلفها مكتوبة ، بينما تعاليم تلاميذ المسيح كانت شفاهية نسيت ومحييت بفعل الزمن ، أو بفعل فاعل كما حدث للأناجيل

(١) غلاطية ١ : ٦ - ٨.

(٢) ٢ - كورنثوس ١١ : ١٢ ، ١٣.

(٣) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ٦٣).

والرسائل التي كانت موجودة إلى وقت مجمع نيقية، حيث كان مصيرها الحرق والإبادة.

يقول ول ديورانت: ولم يشعر معاصرو بولس بأثره في التثنية والساعة لأن الجماعات التي أنشأها كانت أشبه بجزائر صغرى في بحر الوثنية الواسع الخضم، ولأن كنيسة رومة كانت من صنع بطرس بقيت وفية لذكراه، ومن أجل هذا ظل بولس مائة عام كاملة بعد موته لا يكاد يذكره إنسان، فلما انقضت الأجيال الأولى من المسيحيين وأخذت أحاديث الرسل تضعف ذكراها في الأذهان وأخذ العقل المسيحي يضطرب بمثات من عقائد الزيف والضلال، لما حدث هذا أضحت رسائل بولس إطارا لمجموعة من العقائد أضفت على الجماعات المتفرقة اتزاناً وألفت منها كنيسة واحدة.^(١)

فلقد صارت الغلبة لتعاليم بولس بفضل رسائله المكتوبة، بينما كانت التعاليم الأخرى شفاهية.

(٢) إنه قدر لرسائل بولس أن تكون هي المعيار والأساس لقبول الكتب الأخرى، وكان ذلك بسبب أن أول ما قبلته الكنيسة هو هذه الرسائل، لذلك عملت على أن تكون الأناجيل والرسائل المقبولة بعد ذلك موافقة تماماً لأفكار وتعاليم هذه الرسائل، لذلك رفضت الكنيسة في بداية الأمر رسالة يعقوب، وكان السبب أنها تخالف رسائل بولس^(٢) في تعاليمها وأفكارها خاصة عقيدة التبرير بالإيمان التي قال بها بولس...

وكان لقبول هذه الرسائل وجعلها هي الأساس أثره في إبادة وحرق ما تبقى لتلاميذ المسيح وأتباعهم من تعاليم مكتوبة سواء كانت على هيئة رسائل أو أناجيل منسوبة إليهم...

هذا إلى جانب أن أموراً أخرى كان لها أكبر الأثر في بقاء هذه التعاليم وجعلها هي العقيدة الأساسية وهي المقياس لغيرها، ويتضح ذلك من الفصلين التاليين.

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٦٩).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ١٥٤.

وبعد:

فقد تبين مدى أثر بولس على ديانة المسيح عليه السلام، فلقد أدخل فيها ما لم يقله، ونادى بأفكار وتعاليم لم يشر إليها، ومحا الرسالة التي جاء بها وأسس ديانة أخرى جديدة لا تمت إلى عقائد ومبادئ المسيح عليه السلام بشئ، وهذه الديانة الجديدة هي التي انتشرت وأصبحت هي الباقية إلى الآن.

وعليه فقد ظهر واضحا للعيان أن المسيحية الحالية إنما هي من تأليف بولس وتأسيسه، فهو يعد المؤسس الحقيقي لها....

وهذا القول ليس استنتاجي وحدي بل هو استنتاج كثير من العلماء والمؤرخين الثقة.

يقول ولز: "إن كثيرا من الثقات العصريين يعتبرون بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية"^(١)..

ويقول مايكل هارت: "إن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة هو القديس بولس، وليس السيد المسيح، وليس واضحا ما كان سينول إليه أمر المسيحية لولا القديس بولس"^(٢)...

"بولس وليس عيسى هو الذى بنى المسيحية وأقامها على النحو الذى هي عليه الآن"^(٣).

وفى مؤتمر رجال الكنيسة الذى عقد فى كلية جيرتون بكامبردج سنة ١٩١٨م طرح الشماس ديان إنج على أعضاء المؤتمر هذا السؤال: هل المسيح هو المؤسس للدين المسيحي؟ فلم يجب على هذا السؤال (بنعم) إلا رئيس الشمامسة المستر فورد. أما الباقيون فأجابوا (لا)^(٤) لأن المؤسس الحقيقي هو بولس.

(١) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧٠٥).

(٢) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم ص ٢٤.

(٣) د/ رؤوف شلبى: التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام ص ٤٧٩.

(٤) راجع تقارير هذا المؤتمر كاملة فى كتاب: خواجه أفندي كمال الدين - زعيم المبشرين السنيين بالإنجلترا - يتابع المسيحية ص ٥٩ - ٦٠.

ويقول اتين جلسون: "إن القديس بولس هو الذى أرسى القواعد التى أقيم عليها بناء الفكر المسيحى كله، وأن المفكرين المسيحيين الذين جاءوا بعده لم يفعلوا شيئاً أكثر من استخراج النتائج المترتبة على هذه القواعد"^(١).

ولهذا نجد بولس فى المسيحية الحالية أعظم شخصية فيها، فينسب إليه من كتب المسيحية الآن ثلث العهد الجديد، وصارت أفكاره اللاهوتية - كما يقول جون لوريمر: "نهائية لكل العصور وعمله المرسل المثلالى لكل المرسلين فى التاريخ"^(٢)... وحتى أن كلمة (الرسول) إذا أطلقت لا يراد بها فى اصطلاحهم إلا بولس كما يطلقون عليه لقب (الرسول الكبير)^(٣)...

لذلك يقول يوسف الحداد: "ففى ضمير الأجيال المسيحية بولس هو الرسول على الإطلاق"^(٤).

ويقول: "بولس هو بعد السيد المسيح رسول المسيحية الأول دعوة وكتابة، قال أحدهم: بولس هو الأول بعد الوحيد"^(٥).

ويقول: "ويكفيه فخراً أنه المعلم الأول للمسيحية بعد المسيح، وأن رسالته تنمى لرسالة المسيح كما يظهر من تكوين العهد الجديد فالتنزيل من المسيح والتفصيل من بولس"^(٦).

وهكذا دعى بولس فى هذه المسيحية الرجل والمعلم الأول والمتكلم الأول والأفضل^(٧) فى نظرهم حتى إننا نجد أن أحد المسيحيين ألف كتاباً بعنوان "أعظم الرجال فى الكتاب المقدس" فجعل أول هؤلاء بولس، وجعل بعده داود ثم موسى ثم يوحنا التلميذ الذى كان يحبه يسوع^(٨).. أى أنه - فى نظرهم - مفضل على جميع أنبياء ورسل العهد القديم.

(١) اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط ص ٢٦.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٦١).

(٣) د/ على وافي: الأسفار المقدسة ص ٧٢.

(٤) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٢٠).

(٥) المرجع السابق ص ١٩.

(٦) المرجع السابق ص ٢٢ - ٢٤.

(٧) المرجع السابق ص ١٦.

(٨) د/ ماكربنى: أعظم الرجال فى الكتاب المقدس ص ٣٢.

وربما يصح لنا أن نعلل أن بولس أعظم رجل في هذه المسيحية - كما يعتقدون - بأنه هو منشؤها ومؤسسها، وهو بهذا قد قضى على تعاليم المسيح عليه السلام ونشر بدلاً منها تعاليمه باسم المسيح.

وعليه " فقد ترك المسيحيون منذ عهد بولس الرسالة وعبدوا الرسول، وتحولت النصرانية إلى دين يدور حول عيسى ولا يأخذ بتعاليمه، والسبب وراء ذلك هو بولس " (١).

وبهذا يتضح مدى أثر بولس على ديانة المسيح عليه السلام... فهو الذى طمس نورها، وطعمها بخرافات الجاهلية التى انتقل منها، والوثنية التى نشأ عليها " (٢).

(١) د/ محمد يحيى : رحلتى من الكفر إلى الإيمان (قصة الإسلام الكاتبة الأمريكية : مريم جميلة ص ١٤٠).

(٢) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بأخطا المسلمين ص ٣٨.

الفصل الرابع

قُسطنطين وأثره في المسيحية

لمحة عامة عن قسطنطين من ولادته حتى توليه عرش الإمبراطورية

ولد قسطنطين حوالى عام ٢٨٠م وهو ابن غير شرعى^(١) لقسطنطيوس بن خلوروس - الذى كان قيصرًا أو إمبراطورًا مساعدًا فى الإمبراطورية الغربية، وكان مسئولًا عن بريطانيا وغالة - من عشيقته هيلينا والمعروفة باسم (هيلانة) فى المصادر العربية، وهى امرأة وضيفة المنبت كان أبوها صاحب حان^(٢)، أو أنها كانت خادمة فى إحدى الحانات فى بيشينيا^(٣) وكان قد التقى بها قسطنطيوس هناك وأقام معها لعدة سنوات ثم هجرها عام ٢٨٩م ليتزوج من ثيودورا ابنة زوجة الإمبراطور ماكسيميانوس^(٤)، وأرسل ابنه قسطنطين إلى بلاط الإمبراطور دقلديانوس لينال شرف التربة فى القصر الملكى، وهناك ألم قسطنطين بأحداث الإمبراطورية وأسرار القصر الإمبراطورى، فنشأ متفهما لأسرار السياسة^(٥).

وبرغم هذه التنشئة إلا أنه لم ينل قسطًا طيبًا من التعليم، فلم يتلق من العلم إلا قليلاً^(٦) وكما يقول عنه - ولز - كان من الأميين أو يكاد، وكان يعرف القليل الذى لا يكاد يذكر من الإغريقية^(٧).

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٢).

(٢) جورج سارتون : العلم القديم والمدنية الحديثة ص ١٩٣.

(٣) وبشينا . كما سبق أن أشرنا إليها - إحدى المقاطعات التى تمتد على السواحل الشمالية لآسيا الصغرى ولزبد من المعلومات عن هذه المقاطعة راجع قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ١٣٥، ٣٨٢).

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص ٣٥٧.

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة

(٦) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٢).

(٧) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧١٧).

وكان بيت قسطنطين يدين بالألوهية الشمسية، فقسطنطيوس خلوروس (والد قسطنطين) كان يعتنق ديانة تعتقد بإله وثنى، وهو إله الشمس الذى لا يقهر^(١) وهى الديانة التى فرضها أورليان على الإمبراطورية حين كان إمبراطورا فى القرن الثالث الميلادى (من ٢٧٠ - ٢٧٥م) وكانت هى الديانة الرسمية للإمبراطورية التى كان يدين بها قسطنطين^(٢)، وهذا يعنى أن قسطنطين كان بمولده ونشأته الأولى وثنيا.

وقد اغرط قسطنطين فى سلك الجندية فى سن مبكرة فالتحق بالجيش وهو فى الخامسة عشرة من عمره وأظهر شجاعة وبأسا فرقى إلى رتبة قائد، وهو فى الثامنة عشرة من عمره^(٣).

ولقد هيات له الظروف بعد ذلك لتولى شئون الإمبراطورية، فلقد تنازل دقلديانوس ومكسيميانوس عن العرش عام ٣٠٥م وتولى مكانهما جالوريوس، وقسطنطيوس (والد قسطنطين) وأعطيت له المكانة الأولى، واختير (فلافىوس سفوريوس) نائبا عن قسطنطيوس، " وماكسيمينوس دايا" نائبا عن جالوريوس وذلك تطبيقا لنظام السلطة الرباعية التى أنشأها دقلديانوس، والتى أشرنا إليها فى الفصل الأول من هذا الباب.

ولكى يضمن جالوريوس عدم غدر قسطنطيوس به وحسن مسلكه عزل ابنه قسطنطين من الجيش وأبقاه عنده فى قصره.

وفى عام ٣٠٦م غزت القبائل الاسكتلندية جنوب بريطانيا عندئذ طلب قسطنطيوس من جالوريوس أن يبعث له بولده ليساعده فى الحرب وحاول جالوريوس المماطلة خوفا مما يفعله الأمير الشاب - قسطنطين - ولكنه رضخ فى النهاية ووافق على سفر قسطنطين إلى أبيه، ولما أحس الأمير الذكى أن جالوريوس قد يغير رأيه تسلل وهرب ليلا فى طريقه إلى أبيه فالتقى به فى ميناء بولونى وهو يستعد للعبور إلى بريطانيا^(٤)...

(١) كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٧٠).

(٢) كرسيتوفردوس: تكوين أوريباص ص ٢٧.

(٣) د / أسدرستم: الروم ص ٥١.

(٤) راجع هذه الأحداث التاريخية فى: قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٢)، تاريخ الإمبراطورية السياسى

والحضارى ص ٣٥٧.

وما أن أقر قسطنطيوس الأمور في بريطانيا حتى عاد إلى يورك . وهى من أعمال بريطانيا . وهناك أدركته المنية فى ٢٥ يوليو ٣٠٦م^(١).

وتجمعت القوات التى كانت تحب قسطنطيوس ونادت بانه قسطنطين إمبراطورا مكان أبيه ، وفى الحال بعث قسطنطين برسالة إلى جاليريوس يطلب منه الموافقة والاعتراف به إمبراطورا شريكا مكان أبيه ، ورضخ جاليريوس تفاديا لنشوب الحرب الأهلية ولكنه بعث موافقا على تعيين قسطنطين نائبا بدرجة قيصر^(٢) وليس إمبراطورا بينما عين (سفيروس) إمبراطورا ، ولكن هذا الإمبراطور سقط قتيلًا فى المعارك التى خاضها ماكستتيوس بن ماكسيميانوس الإمبراطور الذى اعتزل مع دقلديانوس . والذى أعلن أحقيته فى وراثة مكان أبيه أسوة بقسطنطيوس ولكن جاليريوس رفض طلبه ، وعين (ليكينوس) مكان (سفيروس) إمبراطورا مشاركًا له.

ومنذ ذلك الوقت دخلت السلطة الرومانية فى سلسلة من الصراعات والنزاعات حول السلطة ، وقد أظهر قسطنطين تفوقا كبيرا حتى قضى على مؤامرة ماكسيميانوس عام ٣١٠م ، وبعد موت جاليريوس عام ٣١١م زحف قسطنطين على إيطاليا بعد أن تحالف مع (ليكينوس) وقهر منافسه ماكستتيوس بن ماكسيميانوس عام ٣١٢م ، وانتصر عليه فى معركة من أهم المعارك التاريخية وتسمى (المعركة الملفية) أو (جسر ملفان) بالقرب من روما^(٣) برغم أن خصمه كان يتفوق عليه كثيرا فى عدد جنوده ، ودخل قسطنطين روما منتصرا وقتل منافسه شر قتلة وهذا النصر جعله سيدا وحاكما على الغرب^(٤) ، وعلى الفور اجتمع مجلس الشيوخ الرومانى وأعلن مبايعته لقسطنطين كإمبراطور^(٥).

(١) د/ رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة (٦٠ / ٢) .

(٢) د/ سيد أحمد الناصرى : تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية واخضارى ص ٣٥٨ .

(٣) د/ عبد القادر أحمد اليوسف : الإمبراطورية البيزنطية ص ٢٠ .

(٤) كانتو : التاريخ الوسيط (٧٠ / ١) .

(٥) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٦٢ .

فلم يبق في الميدان إلا قسطنطين وليكينيوس، فحكم الأول الغرب وحكم الثاني الشرق، غير أن الصفاء لم يستمر طويلا بين الشريكين إذ سرعان ما شجر الخلاف بينهما ونشبت الخصومات من أجل السيادة على الإمبراطورية انتهت بانتصار عسكري باهر حققه قسطنطين على غريمه (ليكينيوس)^(١) الذي استسلم وأمر قسطنطين بقتله فقتل في عام ٣٢٤م ليصبح قسطنطين الحاكم الوحيد للإمبراطورية الرومانية والعالم الروماني^(٢) وقد انفرد بالحكم من ذلك التاريخ حتى وفاته سنة ٣٣٧م.

ويذكر المؤرخون أن الإمبراطور قسطنطين أصدر قرارين جعلاهما علامة بارزة في مجرى التاريخ، ونقطة تحول هامة في مسيرة الحضارة العالمية، إذ بفضل هذين القرارين يمكن القول إن العالم ألقى خلفه رداء العصر القديم. وأخذ يوجه أنظاره نحو آفاق العصر الوسيط...^(٣) وهذان القراران هما:

١- اتجاهاته الإيجابية تجاه المسيحية.

٢- تأسيس القسطنطينية وجعلها عاصمة للإمبراطورية.

وسوف نتناول القرار الأول بالتفصيل لأنه هو الذي يهمننا في الدرجة الأولى، أما بالنسبة للقرار الثاني فيكفى أن نشير إلى أن قسطنطين قرر في عام ٣٢٤م وضع أساس عاصمته الجديدة على أرض بيزنطة وتم افتتاحها عام ٣٣٠م بعد أن استغرقت عملية البناء ست سنوات وسماها (روما الجديدة) وسمتها الأجيال التي أعقبته باسمه^(٤).

(١) الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢.

(٢) د/ أسدرستم: الروم ص ٥٢ وما بعدها، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٣٨.

(٣) راجع: فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى ص ٦ وما بعدها، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٣٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن القرار الثاني (راجع المراجع التاريخية التي تحدثت عن الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية البيزنطية، وكتب تاريخ العصور الوسطى في بدايتها).

تعاطف قسطنطين مع المسيحيين وإصدار وثيقة التسامح معهم:

لقد كانت الدولة الرومانية تنظر إلى المسيحيين نظرة معادية، وتعددهم قوما خارجين على السلطة، لذلك أذاقتهم ألوانا من الاضطهاد وصنوا من العذاب ما تقشعر منه الأبدان، وذلك على مدى القرون الثلاثة الأولى من عمر الديانة المسيحية، ولكن قسطنطين حين اعتلى العرش أظهر تعاطفا شديدا تجاه المسيحيين وغير وجه السلطة الرومانية إزاء هؤلاء، فبعد أن كانت تنظر إليهم على أنهم مارقون، وتنفّر منهم وتقاومهم أينما وجدوا، وتألّب الشعب الروماني عليهم أينما ثقفوا، أصبحت تبدى لهم عطفًا، وتحرص على ولائهم والتقرب إليهم.

فالحقيقة التي لا مراء فيها أن قسطنطين هو الذى طبق ونفذ سياسة التعايش السلمى مع المسيحيين، بل وزاد بالعطف عليهم، وانتهت على يديه أقصى محن المسيحية، وبذلك يسجل قسطنطين نقطة تحول هامة فى سياسة الإمبراطورية الرومانية نحو الديانة المسيحية.

ولقد أصدر بعض الأباطرة قبل قسطنطين بعض المراسيم التى تتضمن التسامح مع المسيحيين، ولكنها لم تنفذ ولم تر النور والتطبيق، وبدأها جاللينوس (الذى كان إمبراطورا من عام ٢٥٣م إلى ٢٦٨م) إذ أصدر مرسوما يقضى بالتسامح الدينى واعترف فيه بأن المسيحية مسموح بها، وأمر بأن يرد إلى المسيحيين ما كان قد صودر من أملاكهم أو سلب منهم وذلك فى سنة ٢٦١م^(١) وهو يعد أول مرسوم يقضى بالتسامح الدينى مع المسيحيين^(٢)

ولقد حفظ لنا المؤرخ الكنسى (يوسابيوس) صورة رسالة موجهة من الإمبراطور إلى الأساقفة يقول فيه: "لقد أصدرت أمرى بإغداق هباتى على كل العالم، وأن يتعدوا عن أماكن العبادة"^(٣)، ولهذا يمكنكم استخدام هذه الصورة من أمرى لكى لا يزعجكم أحد"^(٤).

(١) يذكر ول ديورانت أن هذا المرسوم صدر فى عام ٢٦٠م. قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٠٠).

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ٤١).

(٣) أى يتعدوا عن أماكن العبادة المسيحية.

(٤) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٣٦١.

ولكن هذا المرسوم لم يطبق، ولم يؤخذ مأخذ الجد من جانب حكام الولايات مما يدل على عظم نفوذهم فى هذه الفترة^(١)، ويشهد لذلك ما ذكره (يوسابيوس) من أن (ماكرينوس) وإلى مصر كان لا يزال صاحب نفوذ كبير، وقد تلكأ فى تنفيذ أوامر الإمبراطور مما أدى إلى قتل (مارينوس) أحد رجال قيصرية فلسطين الشهيرين^(٢).

وفى ٣٠ إبريل سنة ٣١١م فاجأ جاليريوس الجميع وقرر ما لم يتوقعه أحد، فلقد كان مشهورا بأنه أعدى أعداء المسيحية، ولكنه فى أثناء مرضه أدرك عدم جدوى عمليات الاضطهاد، فأصدر مرسوما جاء فيه: " بين الأمور الأخرى التى رتبناها للصالح العام سبق أن أبدينا الرغبة لرد كل شئ إلى الحالة اللائقة بالقوانين القديمة ونظام الرومانيين العام، ولضمان رجوع المسيحيين الذين هجروا ديانة أجدادهم إلى حالة طيبة، لأنه قد استولى عليهم الكبرياء إلى حد ما، وغلبت عليهم الغباوة حتى أنهم لم يتبعوا الفرائض القديمة التى سبق أن أسسها أجدادهم، بل أقاموا لأنفسهم قوانين حسب أهوائهم واتبعوها، وهكذا اجتمعوا جماعات متفرقة فى أماكن مختلفة.

ولما أصدرنا أوامرا الملكية بضرورة رجوعهم إلى الفرائض التى أسسها الأقدمون خضع الكثيرون أمام الخطر، ولكن عددا وفيرا جدا تضايقوا وتحملوا كل أنواع الموت، ونظرا لأن الكثيرين استمروا فى حماقتهم ونحن نلاحظ أنهم لا يقدمون لآلهة السماء العبادة اللائقة ولا يقدمون الإكرام لإله المسيحيين، فمراعاة لمحبتنا للبشرية وعاداتنا الثابتة التى اعتدنا بموجبها أن نصفح عن الجميع، اعتزمنا أن يشمل صفحنا هذه الأمور أيضا بكل سرور حتى يرجعوا إلى مسيحيتهم مرة أخرى، ويعيدوا بناء الأماكن التى اعتادوا الاجتماع فيها على شرط ألا يعملوا شيئا ضد النظام، وفى رسالة أخرى سوف نبين للولاة ما يجب عليهم اتباعه، وبناء على هذا الصفح الذى أذعننا يجب أن يتضرعوا لإلههم من أجل سلامتنا وسلامة الشعب،

(١) الدولة والكنيسة (٢ / ٤١).

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٣٦٢.

ولكى يتم الصالح لهم ولعمامة الشعب فى كل مكان، ولكى يعيشوا فى بيوتهم آمين^(١).

وهذا المرسوم يقضى بالعفو عن المسيحيين والسماح لهم بإعادة بناء كنائسهم، ولكن بشرط ألا يقوموا بأعمال ضد الصالح العام للدولة الرومانية، غير أن هذا المرسوم لم يؤت ثمرته المرجوة ولم ينفذ، ذلك أن جاليريوس ما لبث أن مات بعد ذبوعه بأيام قلائل^(٢)...

وهذا يعنى أن هذين المرسومين لم يوقفا الاضطهاد، وظلت الاتهامات الموجهة إلى المسيحيين باقية وقائمة.

أما قسطنطين فهو الذى له الفضل فى وقف حركة الاضطهاد ضد المسيحيين، ومنحهم حرية العقيدة والعبادة. واعترف بالكنيسة وسلطانها فى كل إقليم من أقاليم الإمبراطورية.. فعلى الرغم من أن قسطنطين لم يكن أول أباطرة الرومان الذين اتبعوا سياسة التسامح مع المسيحيين، إلا أنه كان الوحيد من بينهم الذى تابع بشكل جدى تنفيذ سياسة المسامحة، وتخطى هذه المرحلة إلى مد يد العون للكنيسة ثم الإغداق عليها^(٣).... ويتجلى هذا فى إصدار مرسوم يقضى بالتسامح الدينى لكل الأديان.

فمنذ أن اعتلى قسطنطين العرش وهو ينتهج سياسة والده السلمية تجاه المسيحية ويظهر^(٤) جانب التسامح والتعاطف على المسيحيين، وبعد أن انتصر قسطنطين النصر الكبير على خصمه ماكستينوس، ودخل روما منتصرا مظفرا، وأعلن الشعب تنصيبه إمبراطورا أصدر ما يسمى بقانون التسامح العام مع المسيحيين.

(١) نقلنا نص هذا المرسوم من كتاب يوسابيوس القيصرى (الذى عاصر هذه الفترة) المرجع السابق ص ٤٢٢. ٤٢٣.

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٢٣. الدولة والكنيسة (٢ / ٦٩).

(٣) الدولة والكنيسة (٧ / ٢).

(٤) الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢.

فلقد اجتمع قسطنطين وليكينيوس^(١) فى ميلانو وذلك فى مارس ٣١٣م، وكان من بين الموضوعات التى تناولتها المحادثات بين الزعيمين مسألة معاملة الرعايا المسيحيين فى الإمبراطورية، حيث تعهدا بمنح الحرية الدينية لكل سكان الإمبراطورية شريطة ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام للدولة. ولم تصلنا سجلات تلك الاجتماعات، ولكن أهم ما دار فيها حفظته لنا رسالة بعث بها ليكينيوس إلى نائبه فى نيقوميديا:

تضمنت هذه الرسالة السياسية التى رأى الطرفان اتباعها فيما يختص بالمشكلة الدينية، ولهذا شاع بين المؤرخين تسمية هذه الرسالة بمرسوم ميلانو، والحقيقة أنها ليست بياناً رسمياً صدر عقب المحادثات بين قسطنطين وليكينيوس ولكنها رسالة أذاعها النائب الإمبراطورى فى نيقوميديا بعد أن جاءته من ليكينيوس^(٢).

ولقد أورد (يوسابيوس) هذه الرسالة التى تعبر عما استقر عليه الطرفان فى ميلانو سنة ٣١٣م بشأن الأديان..

تقول هذه الرسالة: "أنا إذ أدركنا منذ عهد طويل أن الحرية الدينية يجب أن لا يحرم منها أحد، بل يجب أن يترك لحكم ورغبة كل فرد أن يتمم واجباته الدينية وفق اختياره أصدرنا الأوامر بأن كل إنسان من المسيحيين وغيرهم يجب أن يحتفظ بعقيدته وديانته"^(٣).

وتقول الرسالة أيضاً: "وعندما حضرنا إلى ميلان فى ظروف طيبة وتأملنا فى كل ما يؤول إلى الخير العام ورفاهية الشعب اعترزنا أول كل شئ أن نصدر الأوامر التى تعود بالخير على كل واحد من وجوه كثيرة، أى تلك التى تحفظ الإكرام لله وتقواه، أى أننا اعترزنا منح المسيحيين وكذا كل الناس الحرية لاتباع الديانة التى يختارونها...

(١) شريكه فى حكم الإمبراطورية. كما أشرنا فى مقدمة هذا الفصل. وذلك بناء على السلطة الرابعة، وكان حاكماً للجزء الشرقى من الإمبراطورية إلى أن قضى عليه قسطنطين سنة ٣٢٤م بينما كان قسطنطين حاكماً على الجزء الغربى.

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ١٠٦).

(٣) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٩٨.

وأن لا يحرم أى واحد من الحرية لاختيار واتباع ديانة المسيحيين ، وأن تعطى الحرية لكل واحد لاعتناق الديانة التى يراها ملائمة لنفسه ؛ لكى يظهر لنا الله فى كل شئ لطفه المعهود وعنايته المعتادة^(١)

ويتبين من هذا الجزء من الرسالة أن قسطنطين وشريكه^(٢) أطلقا حرية العبادة لكل الرعايا بما فيهم أتباع المسيحية ، وأقرا حق الفرد فى اختيار ما يراه مناسبا له ، وعلى أساس هذا منح المسيحيون كامل الحرية لممارسة فرائض ديانتهم . وأصبحت دينا مسموحا به شأنها شأن الديانات الوثنية الأخرى ، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل شمل القرار رد أماكن العبادة المسيحية التى كانت قد سلبت من المسيحيين واستولى عليها الرومان.

تقول الرسالة: " وعلاوة على ذلك تأمر من جهة أماكن المسيحيين التى اعتادوا الاجتماع فيها سابقا.. إذا ظهر أن أحداً اشتراها إما من خزانة أو من أى شخص آخر وجب ردها لهؤلاء المسيحيين من غير إبطاء أو تردد دون مطالبتهم بشئ عوضا ، وإن كان أحد قد قبل تلك الأماكن كهبة وجب ردها لهؤلاء المسيحيين بأسرع ما يمكن.

وليكن معلوما بأنه إذا كان الذين اشتروا هذه الأماكن أو الذين قبلوها كهدية يطلبون شيئا من هباتنا فليذهبوا إلى قاضى الناحية ، لكى يعطوا شيئا من قبل رأفتنا ولتمنح كل هذه برعايتكم لجماعة المسيحيين فى الحال ودون إبطاء.

ونظرا لأنه معروف بأن هؤلاء المسيحيين لم يملكوا فقط هذه الأماكن التى اعتادوا الاجتماع فيها بل أماكن أخرى أيضا لم تكن ملكاً للأفراد بل للجماعة كمجموعة . أى لجماعة المسيحيين . ، وأصدروا الأوامر برد هذه أيضا من دون إبطاء

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٢) يذكر " يوسابيوس " : أن ليكيوريوس لم يكف عن شره تجاه المسيحيين وأن قسطنطين وحده هو الذى طبق ما جاء فى هذه الرسالة ومنح المسيحيين الحرية وأظهر لهم العطف والرحمة ، وذكر أيضا أن ليكيوريوس طرد من بيته كل مسيحي وطرد الجند الذين فى المدن من مناصبهم إذا لم يذبحوا للأوثان هذا إلى جانب أشياء أخرى (راجع التفاصيل فى المصدر السابق ص ٥٠٥ - ٥٠٨).

وفقا للأمر السابق ذكره إلى هؤلاء المسيحيين، أى إلى جماعتهم وهيتهم مع مراعاة الاحتياط السابق ذكره بطبيعة الحال، أى أن الذين يريدونها بدون ثمن كما قدمنا يصح أن يطالبوا بتعويض من هباتنا^(١).

ثم أمرت الرسالة بأن تنشر هذه الأوامر مكتوبة فى كل مكان ليعرفها كل الناس. وهكذا تغير موقف الإمبراطورية الرومانية من الديانة المسيحية تغيرا جذريا وأصبحت المسيحية على قدم المساواة مع بقية الديانات الأخرى المعترف بها فى الإمبراطورية، وانتهى عصر الاضطهاد والتعذيب للمسيحيين، وأضحى كل واحد منهم يجاهر بعبادته دون خوف أو قلق، وكان لقسطنطين الفضل الأكبر فى هذا التغيير.

ففى رسائله الرسمية من عام ٣١٢، ٣١٣ م لم يظهر التسامح للمسيحيين فى مملكته فحسب بل منحهم عطفه أيضا^(٢)، وحباهم بالأعمال التى تعيد إليهم أمنهم وأمانهم وتزيل من نفوسهم الريب والقلق، فلقد قرر عودة المسيحيين الذين نفتهم السلطات الحكومية قبلا إلى جزر نائية أو مناطق جبلية موحشة، وقرر عودتهم إلى أوطانهم وترد إليهم ممتلكاتهم^(٣)، وأطلق سراح أولئك الذين حكم عليهم بالعمل فى المناجم أو سخروا فى الأعمال العامة^(٤)، وحرر هؤلاء الذين كانوا ينتمون إلى المجتمع الراقى ثم أنزلوا إلى مرتبة العبودية وأجبروا على الخدمة فى المنازل^(٥)، وسمح للجنود أو الضباط الذين حرموا من رتبهم العسكرية إما بالعودة إلى مناصبهم مرة أخرى وإما الحياة الهادئة بعد خلاء سبيلهم بكيفية كريمة^(٦)، وأمر بأن تنقل مقابر قتلاهم إلى ملكية الكنيسة، وتعاد إليهم وتصبح تحت تصرفهم

(١) المصدر السابق ص ٤٩٩.

(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا (١ / ٣٨٧)

(٣) يوسابيوس : حياة قسطنطين ص ٥٨.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق ص ٥٩.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة

وإرادتهم^(١)، وأن تعود أملاك هؤلاء الذين ماتوا أو التي صودرت إلى أقرب أقربائهم فإن لم يكن ورثتهم الكنيسة^(٢). وأباح لهم الحصول على الهبات والتبرعات التي يقدمها المواطنون^(٣)، ورد إلى الذين انتزعت منهم بسبب عقيدتهم أملاكهم من الأراضي والحدائق والدور حتى ولو كانت هذه قد أصبحت فى حوزة الخزنة الإمبراطورية، وعلى الذين ابتاعوا ممتلكات تخص الكنيسة أو تسلموها هبة المبادرة إلى تسليمها ثانية^(٤).

هذا إلى جانب أنه فتح أمام المسيحيين باب الوظائف الحكومية وسلم الترقى فيها^٥ و منح المحاكم الأسقفية امتيازات هائلة، وأرسل إلى عماله فى مختلف الأقاليم بوجههم إلى المساعدة فى إقامة الكنائس وأن لا يخلوا بشئ فى سبيل ذلك حتى من الخزنة الإمبراطورية نفسها^(٦)، وأرسل قسطنطين إلى الأساقفة رسائل شخصية ومعها بعض الامتيازات والهدايا المالية^(٧).

وهكذا يتبين لنا أن قسطنطين لم يقف عند حد التسامح الدينى معهم بل كان يقدم لهم العون المادى والمعنوى، وهذا كان له أثره الكبير على المسيحيين.

ولقد وصف (يوسابيوس) شعوره وشعور المسيحيين إزاء هذا التسامح وهذا التعاطف المنقطع النظير فقال: " وأخيرا أشرق نهار صحو جميل لا تتخلله السحب وأضاء بأشعة نور سماوى كنائس المسيح فى كل العالم، وحتى الذين لم يكونوا من جماعتنا^(٨)، لم يحرموا من الاشتراك فى نفس البركات أو على الأقل من الانتفاع

(١) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٥٠٠ .

(٥) حياة قسطنطين ص ٦٤ .

(٦) د/ رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة (٢ / ١١٠ ، ١١١) .

(٧) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٤٨٠ .

(٨) يشير بذلك إلى أن قسطنطين منح الحرية كاملة للمسيحيين بل لكل إنسان مهما اختلفت عقيدته أو ديانته وذلك بمقتضى الأمر الذى أصدره فى ميلانو ٣١٣م .

بمزايها والتمتع بجزء من النعم التى أغدقها علينا الرب، وهكذا تحرر كل الناس من ظلم الطغاة^(١).

ثم يقول : " وهكذا انتزع من البشر كل خوف سبق أن تملكهم ، وأولموا الولائم الفاخرة ، واحتفلوا بالأعياد العظيمة ، وامتلأ كل شئ بالنور ، وأولئك الذين كانوا أذلاء تطلع كل واحد إلى أخيه بثغور باسمه وعيون لامعة ، وفى المدن والقرى مجدوا أولاً الله ملك الكل بالرقص والتسايح ، لأنهم هكذا تعلموا. ثم مجدوا الإمبراطور"^(٢).

وهكذا اعتقد المسيحيون أن هذا العصر عصر جديد لهم ، تنفسوا فيه الصعداء وأحسوا فيه بالأمان الذى افتقدوه على مر العصور الأولى ، فأقاموا عباداتهم دون خوف أو وجل ، وشيدوا كنائسهم واحتفلوا بأعيادهم وطقوسهم من غير أن يحملوا هم الترقب والترصد من الرومان ، ويرجع الفضل فى هذا الأمان وتوابعه إلى قسطنطين ، ولكن الحقيقة أن هذا العصر - وإن كانوا قد شعروا فيه بالحرية والأمان والاطمئنان - إلا أنه فتح عليهم بابا من الجدل والمناقشات والاختلافات حول العقائد والنظم اللاهوتية والكنيسة والتى لم تنته إلى الآن.

فبزوال الاضطهاد بدأت الكنيسة تشهد صراعا عقائديا أحدث انقساماً كبيراً واختلافاً بين المسيحيين لا يزالون يعانون منه إلى الآن.

المهم هنا أن نحدد : أن قسطنطين اعترف بالمسيحية ديانة رسمية وجعلها من بين الديانات المسموح بها فى الدولة الرومانية ، ومنع اضطهادها ومنح المسيحيين الحرية والأمان ، وهكذا انتهى على يديه عصور الاضطهاد والتعذيب والقسوة التى عاشها المسيحيون فى القرون الثلاثة الأولى ، " وتحول وضع المسيحية من ديانة محرمة إلى

(١) المرجع السابق ص ٤٧٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠٩.

ديانة مكرمة^(١) معترف بها من الجهات الرسمية ومسموح بها، " فحفظت له الكنيسة جميل أنعمه ففرض عليها هو بالتالي قاهر إرادته^(٢)، بمعنى أن قسطنطين اعتبر تسامحه هذا مع المسيحيين أكبر جميل لهم، لذلك استغله لصالحه أفضل استغلال ففرض عليهم ما يريده، ويتضح ذلك أكثر مما يأتى:

دوافع اتجاه قسطنطين إلى المسيحية:

لقد اختلف الباحثون اختلافا كبيرا حول الدوافع التي جعلت قسطنطين يعطف على المسيحيين ويزيل عنهم الاضطهاد والتعذيب: هل كان بدافع ديني؟ أو بدافع سياسي؟ هل كان تسامحه نابعا من إيمانه بدينهم؟ أم كان للدوافع السياسية كبير شأن فى اتخاذ جانبه؟ وانجذابا لهذا الشق أو ذاك جاء من الدارسين قبيل هنا وراح غيره هناك.

والرأى الأول يدعمه مؤرخو الكنيسة جاعلين من قسطنطين حواريا يضاف إلى حوارى المسيح الاثنى عشر.

والرأى الثانى يؤكد على جل الدارسين المحدثين جاعلين من قسطنطين سياسيا حاذقا^(٣).

الرأى الأول:

ادعاء رؤيا تحول قسطنطين مسيحيا:

ويستند هذا الرأى إلى رواية (يوسابيوس) فى كتابه (قسطنطين العظيم) الذى يصور لنا قسطنطين بأنه كان ملكا تقيا ضرب المثل الأعلى فى حياة التقوى بل جعله رسولا من رسل المسيح^(٤)، تلقى تعاليمه عن المسيحية بتعليم إلهي^(٥).

(١) هـ. موس: ميلاد العصور الوسطى ص ٢٨.

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ١٢١).

(٣) المصدر السابق (٢ / ٩٥).

(٤) حياة قسطنطين ص ٨، ٩.

(٥) المصدر السابق ص ٢٦.

يقول د/ رأفت عبد الحميد: " ولم يكن قسطنطين فى رأى (يوسابيوس) ليهتدى إلى المسيحية على لسان بشر، إذن لغدا أحدهم، ولكنه جعل السماء داعيه فى يقظته، ويسوع المسيح مبشره فى نومه، والصليب شارته، وخدام الرب مشاعل جنده والرب يبارك منه الخطي"^(١).

فلقد روى (يوسابيوس) أن قسطنطين أثناء زحفه على إيطاليا وقبيل معركته^(٢) مع جيش ماكسمنتيوس - الذى كان يفوق جيشه فى العدد والعدة - تراءى لقسطنطين صليب مضيء فوق قرص الشمس، كتب حوله (بهذا ستنتصر) فتدهش هو وجيشه،

وإليك الرواية كما جاءت فى كتاب: حياة قسطنطين^(٣).

يقول يوسابيوس: وبينما قسطنطين يصلى بلجاجة وحرارة ظهرت له علامة عجيبة فى السماء يصعب جدا تصديقها، لو أن شخصا آخر رواها، ولكن طالما كان الإمبراطور الظافر نفسه هو الذى رواها لكاتب هذا السفر بعدها بمدة طويلة فمن الذى يتردد فى تصديق الخبر؟ قال إنه حوالى الظهر رأى بعينه صليبا من نور فى السماء فوق الشمس يحمل هذه الكتابة (أغلب بهذا) أمام هذه الرؤيا ذهل هو نفسه وكذا كل جيشه الذى رافقه فى هذه الحملة وشهد المعجزة"^(٤).

ثم يقول: "وعلاوة على هذا قال إنه خامرته الشكوك فى داخله فى معنى هذه الرؤيا، وبينما هو يتأمل ويفكر فى فحواها أقبل الليل فجأة ثم ظهر له فى نومه (مسيح الله) بنفس العلامة التى رآها فى السماء وأمره بأن يصنع مثالا لهذه العلامة التى رآها فى السماء وأن يستعملها كوقاية له فى كل حروبه مع أعدائه"^(٥).

(١) الدولة والكنيسة (٢ / ٩٥).

(٢) تلك المعركة التى أشرنا إليها سابقا فى مقدمة هذا الفصل وهى معركة (جسر المفلان) التى انتصر فيها قسطنطين ودخل روما على أثرها.

(٣) سنورد هذه الرواية بنص (يوسابيوس) لأهميتها لأنها هى الرواية التى يستند إليها القائلون بأن قسطنطين كان مسيحيا.

(٤) حياة قسطنطين ص ٢٤.

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

ثم يقول : "وفى الفجر استيقظ وأنبأ أصدقائه بالأمر العجيب الذى رآه ثم استدعى الصانع الذين يعملون فى الذهب والأحجار النفيسة وجلس فى وسطهم ووصف لهم هيئة العلامة التى رآها وأمرهم بأن يصنعوها من ذهب وحجارة كريمة"^(١) وذلك لتوضع على رؤوس جيشه "^(٢)".

ثم بعد ذلك يوضح (يوسابيوس) أن قسطنطين على أثر ذلك استدعى قساوسة الديانة المسيحية ليفسروا له ما رآه فى نومه ، فأخبروه أن الذى ظهر له إنما هو المسيح ثم علموه تعاليم الديانة المسيحية فيقول : " فإنه - أى قسطنطين - إذ ذهل من الرؤيا العجيبة التى ظهرت له وعزم على أن لا يعبد إلها آخر سوى ذلك الذى ظهر له ، واستدعى بعضا من الخبيرين بأسرار تعاليمه ، فسألهم عنم يكون هذا الإله ؟ وما المقصود بعلامة الرؤيا التى رآها ؟ فأكدوا له بأنه هو الله الابن الوحيد للإله الواحد الوحيد ، وأن العلامة التى رآه هى رمز الخلود وعلامة النصر على الموت التى أحرزها فى الماضى لما كان على الأرض ، ثم علموه أسباب مجيئه وفسروا له السر الحقيقى للتجسد ، وهكذا تلقى التعاليم اللازمة عن هذه الأمور وتأثر جدا من الظهور الإلهى الذى رآه بعينه.

وإذ قارن الرؤيا السماوية بالتفسير الذى أعطى له تثبت اعتقاده ، ولما اقتنع بأن معرفة هذه الأمور قد أعطيت له بتعليم إلهى عزم من ذلك الوقت على تكريس نفسه لقراءة أقوال الوحى الإلهى . وعلاوة على ذلك جعل كهنة الله مستشارين له ورأى أنه من الضروري أن يكرم الله - الذى ظهر له - بكل وقار ، وبعد هذا إذ تحصن بالرجاء الأكيد فيه أسرع فى إطفاء نار الاضطهاد "^(٣)".

وهذا يعنى أن قسطنطين - كما بين يوسابيوس - تلقى تعليمه المسيحى عن طريق إلهى - عن طريق المسيح الذى ظهر له فى نومه لذلك عزم على قراءة الكتاب المقدس !! واتخذ من القساوسة المسيحيين مستشارين له.

(١) المصدر السابق نفس الصفحة . ولقد وصف (يوسابيوس) بعد ذلك الهيئة التى صنعت بها هذه العلامة وهى عمل الصليب من حربة طويلة مغشاة بالذهب يستعرضها قضيبي فى قمة الكل ثبت إكليل من ذهب وحجارة كريمة وفى وسط هذا ثبت رمز لاسم المسيح ثم تدلى من عصا حربة الصليب القماش المطرز بالذهب والأحجار الكريمة ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٣) حياة قسطنطين ص ٢٦ .

وهكذا يصور لنا (يوسابيوس) الدافع الذى حدا بقسطنطين إلى إطفاء نار الاضطهاد الذى ابتلى به المسيحيون من أباطرة الرومان وهو: اهتداؤه إلى المسيحية عن طريق الرؤية التى شاهدها فى صحو النهار، أى أن دافعه كان دينيا، وعلى هذا النهج سار بعض مؤرخى الكنيسة.

ولنبداً فى مناقشة هذه القصة التى أوردتها (يوسابيوس) فى كتابه عن حياة قسطنطين:

يذكر (يوسابيوس) أن العلامة التى ظهرت لقسطنطين فى السماء لم يشاهدها منفردا بل رآها معه كل جيشه واندھشوا منها جميعا، معنى ذلك أن تكون هذه الرؤية شيئا شائعا ومعروفا بين الجميع، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكرها (يوسابيوس) فى كتابه (تاريخ الكنيسة) كل الذى يقوله عن الفترة التى سبقت الحرب بين (قسطنطين) و (ماكستتيوس) نصه ما يلى:

"أما قسطنطين الذى كان متقدما فى المقام وفى المركز الإمبراطورى فإنه فى بداية الأمر أشفق على من ظلموا فى روما، وإذ لجأ بالصلاة إلى إله السماء وكلمته يسوع المسيح نفسه مخلص الجميع كعون له تقدم بكل جيشه"^(١).

وفى الحقيقة يكاد يكون هذا المعنى هو نفس ما يذكره (يوسابيوس) عن (ليكينئوس) فى صراعه مع (ماكسيمانيوس) فيقول: وأعطيت النصر إلى (ليكينئوس) الذى كان يحكم وقتئذ بمساعدة الله الواحد الوحيد إله الجميع"^(٢).

فلماذا لم ينص يوسابيوس فى كتابه: "تاريخ الكنيسة" عن الرؤية التى حدث بها عن قسطنطين. والتى ذكرها فى كتابه: حياة قسطنطين. وهى رواية شائعة رآها كل جيش قسطنطين؟

ربما يرد على هذا بأن "يوسابيوس" اعتمد فى ذكر هذه الرؤيا على قسطنطين نفسه وهو لم يلتق به إلا بعد أن كتب تاريخه.

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٧١.

وهنا يتساءل المؤرخ المسيحي (يوحنا موسهيم) قائلا : " لماذا لم يستند يوسابيوس إلا إلى شهادة الإمبراطور دون ذكر شهادة أحد من الأئوف الذين كان ينبغي أن يكونوا قد شاهدوا ذلك؟ ولماذا لم يقل إن الخبر شاع في العالم واعتمد على شهادة كثيرين عوضا عن مجرد شهادة قسطنطين بالانفراد معه؟ وإن كان الله قد قصد إنارة عقل قسطنطين هل يصدق بأن الله أراد مجرد صورة صليب بدلا من أن يوحى إليه؟ وهل يصدق أن يسوع المسيح ملك الملوك أمر ذلك الإمبراطور بصنع صليب مادي جعل عليه كل اتكاله من أجل النصر؟ وكيف يمكن أن تكون هذه القصة غير معروفة للعالم المسيحي حتى بعد حدوثها بخمس وعشرين سنة ^(١) ولما عرفت كان ذلك عن حديث بين "يوسابيوس" و"قسطنطين" ألا يكون الأرجح أن "يوسابيوس" استنتج ذلك من حديث الإمبراطور عن هالة براقه ظهرت حول الشمس نهارا وعن حلم مؤثر رآه في الليلة التالية، مما جعله يصنع الصليب المرصع ويستخدمه راية لجيشه؟ ^(٢)

وليس هذا المسيحي وحده هو الذي يقف عند هذه الرواية ولا يصدقها، بل هناك آخرون كثيرون لم يقتنعوا بهذا الرواية ولم يصدقوها.

يقول أندرو ملر : " وكذلك لا نصدق حصوله على إعلان إلهي في الرؤية التي رآها في وقت الظهيرة أو الحلم الذي شاهده في منامه، بل ربما كان هناك منظر غير عادي حول الشمس أو السحب تخيل له من هذا المنظر شكل الصليب، ويحتمل أن يكون المنظر الذي رآه في الحلم نتيجة مشغوليته الكثيرة واضطرابه العظيم، وقد تعتبر القصة كلها الآن كخرافة مملوءة بالتملق والمداهنة للإمبراطور العظيم أبهجت وأسرت "يوسابيوس" الذي كان معجبا جدا بالإمبراطور مثليا عليه أحسن الثناء فدونها كأنها حقيقة واقعية، وقل من يعطيها مكانا بين الأخبار التاريخية الصحيحة ^(٣).

(١) وذلك على أساس أن "يوسابيوس" هو الوحيد الذي كتب هذه الرواية في كتاب : حياة قسطنطين الذي لم يكتبه إلا بعد وفاة قسطنطين - أي بعد سنة ٣٣٧م. وهذه الحادثة حدثت في خريف سنة ٣١٢م.

(٢) يوحنا موسهيم : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، ترجمة هنري هسي. هامش ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) أندرو ملر : مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦٠ / ٢٦١).

ويتضح لنا من هذا أن الرؤية ما هي إلا تخيل قسطنطين لمنظر غير عادى حول الشمس، أو أن الرواية بأكملها أسطورة أو خرافة، لقد قال بهذا رأى أو ذاك كثير من المؤرخين والمسيحيين.

فالمؤرخ (جونز) يرى أن قسطنطين قد تخيل هذه الرؤية أخيرا ويتأكد ذلك من الطريقة التى يقدم بها "يوسابيوس" القصة من أن الإمبراطور لم ينشر هذه الحادثة بل أفضى له بها فى لحظة من لحظات الألفة والمودة.

ويقول: "إن ما يحتمل أن يكون قسطنطين قد رآه ليس سوى ظاهرة نادرة لهالة طبيعية مشابهة لقوس قزح تنجت عن سقوط - لا المطر - ولكن كرات الثلج خلال أشعة الشمس، وهى عادة تأخذ شكل شمس مصطنعة أو حلقات من الضوء تحيط بالشمس، وربما تكون الفترة التى تبدى فيها ذلك قصيرة، والعرض غير مكتمل المشاهدة، ولكنه كان بالنسبة لخيال قسطنطين المكدود المنهك ذا دلالة كبيرة، فهى الشمس التى يقدها، وفى ساعة من ساعات احتياجه بعثت إليه الشمس بعلامة وكانت العلامة الصليب شعار المسيحيين، وأما كانت تعنى: المسيح مظهرا للشمس التى لا تقهر، أو أن الشمس هى رمز القوة الإلهية التى إياها يعبد المسيحيون، فقد كان واضحا أن المسيح سيد الصليب قد أصبح بالنسبة لقسطنطين بطله وحاميه"^(١).

أما بالنسبة لكون هذه الرواية أسطورة من الأساطير وخرافة من الخرافات فقد قال بهذا رأى فئة من العلماء المسيحيين والمؤرخين.

يقول فيليب حتى: "ويرجح أن تكون قصة اعتناق قسطنطين للمسيحية من باب الأساطير"^(٢). كذلك يقول عنها "شيني" إنها أسطورة قديمة"^(٣).

ويقول د/ إسحاق عبيد: "كان طبيعيا أن يربط كتاب الكنيسة حياة قسطنطين بالمسيحية وهنا اختلقت الوقائع التاريخية بالروايات الأسطورية الطابع"^(٤).

(١) راجع هذا رأى فى كتاب: الدولة والكنيسة (٢ / ٩٧ / ٩٨).

(٢) فيليب حتى: تاريخ سوريا (١ / ٣٨٧).

(٣) شيني: تاريخ العالم الغربى ص ٩٠.

(٤) د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥٥.

فالرؤية التي حدث بها (يوسايوس) عن قسطنطين في نظر كثير من المؤرخين تخيل وتهيؤ لقسطنطين، أو أسطورة من الأساطير.

أوجه التشابه بين رواية بولس ورواية قسطنطين:

ولنا على هذه الرواية تعليق آخر وهو: ألا يوجد نوع من التشابه الخفى في طريقة الادعاء بدخول كل من بولس وقسطنطين المسيحية؟ فلقد ادعى كل منهما أن المسيح ظهر له ووجه إلى الطريق الصحيح ودعاه بطريق غير مباشر إلى الدخول في المسيحية كما في رواية قسطنطين، أو بطريق مباشر كما في رواية بولس.

فلقد ادعى بولس أنه ظهرت له علامة في السماء في نصف النهار وذلك عن طريق أنه أبرق حوله نور من السماء "فبغثة أبرق حوله نور من السماء" وعلى أثرها سقط بولس على الأرض فظهر له المسيح وعاتبه على اضطهاده للمسيحيين وأمره بالدخول إلى المدينة (دمشق) وسيقال له ماذا يفعل؟

وكذلك الأمر بالنسبة لقسطنطين ظهرت له علامة في السماء في نصف النهار وذلك عن طريق أنه رأى بعينه صليبا من نور في المساء فوق الشمس، ثم ظهر له المسيح في نومه وأمره بأن يصنع مثالا من العلامة التي رآها في السماء وأن يستعملها كوقاية له في الحرب، وعندما استيقظ من نومه استدعى قساوسة الكنيسة ليفسروا له ما رآه في نومه فأخبروه أنه المسيح.

وكما أن رواية بولس تظهر أنه كان معه وقت حدوثها بعض الناس الذين شاهدوا العلامة التي ظهرت لبولس وذهلوا جميعا وارتعبوا، فكذلك أيضا رواية قسطنطين تظهر لنا أن كل جيشه نظر هذه العلامة التي ظهرت له ودهشوا جميعا...

وكما أن رواية بولس نجد فيها أن المسيح وعده بأن ينقذه من الشعب اليهودي وغير اليهودي فكذلك أيضا نجد في رواية قسطنطين أن المسيح يأمره بأن يتخذ العلامة التي ظهرت له وقاية له في كل حروبه مع أعدائه.

إن هناك تشابها كبيرا في أجزاء هاتين الروايتين ولهذا يمكن القول: إن ادعاء الرؤى والتهيئات والأحلام كان وسيلة لأي مدع أو دخيل على الديانة المسيحية لإظهار تعاطفه ومن ثم دخوله في المسيحية، حتى ولو كان هذا التخيل أو المدعى

من أعدى أعداء المسيحية، وهذا يعطى مؤشرا آخر خطيرا وهو أن المسيحيين آمنوا بطريق مباشر أو غير مباشر بالتهيؤات والتخيلات وخلطوا بينهما وبين ما هو صحيح.

وهكذا يتضح لنا أن الكثيرين من المؤرخين لم يقنعوا بالرواية التي أوردها (يوسابيوس) وشككوا فيها واعتبروها غير صحيحة، وهذا يعنى التشكك فى قبول رأى القائل بأن الدافع الذى جعل قسطنطين يتجه إلى المسيحية بالعطف والتسامح هو قبوله الدخول فى المسيحية والتدين بها.

هذا إلى جانب أن هناك علامات وأدلة كثيرة - أوردها العلماء والمؤرخون تزيد هذا التشكك وتؤيده وأهمها ما يلى :

أولاً: إن قسطنطين لم يتقبل المعمودية إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م وهو العام الذى توفى فيه ^(١)، والتعميد إعلان بدخول المسيحية، وهذا يعنى أن قسطنطين طوال حياته لم يكن مسيحياً.

ثانياً: إن قسطنطين لم يتخل عن اعتقاد آبائه وأجداده الوثنى، وهو الاعتقاد بالوهية الشمس التى لا تقهر ^(٢)، ولم يتخل عن منصب الكاهن الأعظم، وهو المنصب الإمبراطورى فى الديانة الرومانية الوثنية ^(٣)، وقام بجميع المراسيم التى يتطلبها منه منصب (الكاهن الأعظم) والتى تحتمها عليه الطقوس التقليدية، وجدد بناء الهياكل الوثنية وأمر بممارسة أساليب العرافة، واستعمل رقى سحرية وثنية لحماية المحاصيل وشفاء الأمراض ^(٤).

ثم إن العملة فى أيام قسطنطين ضربت وعلى وجه منها علامة الصليب، وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس، وانقضى من عهد قسطنطين ما يزيد على عشر سنين قبل أن يصدر الأمر بعقوبة الجند على تقديم القرابين إلى جوبيتر (كبير آلهة

(١) قصة تعميده واردة فى كتاب يوسابيوس: حياة قسطنطين ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) أرنولد توينبى: تاريخ البشرية (٢ / ٢١) فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى ص ٧.

(٣) راجع بالإضافة إلى المصدرين السابق، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥٥.

(٤) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٩).

الرومان) أو أن يستبعد الشعائر الوثنية من الحفلات الإمبراطورية الرسمية^(١)... وكذلك أيضاً أنشئ معابد وثنية جديدة فى القسطنطينية أيام قسطنطين وأن الذين أنشأوها كانوا من موظفى الدولة لأنهم كانوا وثنيين فأرادوا بذلك التعبير عن تمسكهم بعقائدهم^(٢).

لذلك يقول حبيب سعيد: "إن قسطنطين لم يتعرض للوثنية بسوء وظل هو نفسه رئيس الكهنة"^(٣).

هذا إلى جانب أن بعض المؤرخين يشيرون إلى أن قسطنطين قتل ابنه وزوجته بطريقة بشعة، ففى إحدى الروايات - كما يذكر ولز - أنه أغلى عليها ماء حمامها حتى ماتت. وفى رواية أخرى أنها ألقيت للضواري عارية الجسم على جبل موحش^(٤).

وهكذا أصبح واضحاً أن القول بأن قسطنطين كان مسيحياً حين توجه إلى المسيحيين بالعطف والتسامح قول مشكوك فيه ولا توازره الأدلة، بل هى قائمة على النضد.

لذلك يقول فشر: "ليس فى استطاعة أى باحث أن يجرؤ على الجزم بأن ذلك الإمبراطور العسكرى كان على الدين المسيحى، لأنه وإن لم يكن من المستطاع اتهامه بإلقاء الأسرى من الجرمان إلى الوحوش الضارية بالملعب العام لتسليّة النظارة، فمن المؤكد أنه قتل زوجه وابنه"^(٥).

الرأى الثانى: وهو أن الدافع لاتجاه قسطنطين نحو المسيحية كان سياسياً :

إن معظم المؤرخين يعتقدون أن سياسية قسطنطين الدينية قد أملتها ضرورات سياسية. فكان اتجاهه للمسيحية بالعطف والتسامح نابعاً من حاجته السياسية لهم،

(١) تاريخ أوروبا العصور الوسطى ص ٨.

(٢) نورمان: الإمبراطورية البيزنطية بتصرف ص ١٠ بتصرف.

(٣) فجر المسيحية ص ١٤٢.

(٤) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧١٧ . ٧١٨).

(٥) تاريخ أوروبا العصور الوسطى ص ٦.

إذ رأى فى اجتذاب المسيحيين إليه سبيلاً إلى كسب المعارك والإمساك بزمَام أمور الإمبراطورية.

يقول أندرو ملر: "ولكننا إذا تعمقنا فى معرفة فكر قسطنطين معرفة صحيحة لما ترددنا لحظة فى القول بأن كان وثنياً بالقلب ومسيحياً من الوجهة الحربية فقط، حيث كان فى تلك اللحظة على استعداد أن يقبل بسرور ويرحب بمساعدة أى إله قدير ليستعين به فى حروبه، لأجل ضم شمل أطراف الإمبراطورية الشاسعة تحت لوائه"^(١).

فلقد رأى قسطنطين أن المسيحيين أحسن تنظيماً وأشد إيماناً بقضاياهم من جموع الوثنيين^(٢)، وهذا يعنى أنهم أكثر فائدة للإمبراطورية من هؤلاء الوثنيين، لذلك اتجه إليهم بالعطف والتسامح، ليكسب ودّهم، وينال رضاهم، ويحظى لديهم بالقبول والتأييد.

يقول فشر: "لم يرغب عن بصيرة إمبراطور حصيف مثل قسطنطين أن اتخاذ الأولياء من فئة قليلة من الناس^(٣) يحدوها النظام، ويهديها الإيمان الراسخ، وتسندها كتب مقدسة - فى نظره - وعقيدة واضحة"^(٤) أجدى عليه من فئة كبيرة ذات عقائد شتى"^(٥).

ويقول ول ديورانت: "نعم إن أتباع هذه الديانة كانوا لا يزالون قلة فى الدولة ولكنهم كانوا إذا قيسوا إلى غيرهم قلة متحدة"^(٦) مستبلة قوية، على حين أن

(١) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦٣).

(٢) د/ إبراهيم العدوى: المجتمع الأوربي فى العصور الوسطى ص ٤١.

(٣) يقول فشر فى الهامش: "وذلك على اعتبار أن المسيحيين كانوا فى ذلك الوقت أقلية فلقد قدرها المؤرخ بيورى "بمقدار الخمس من سكان الإمبراطورية" تاريخ أوروبا العصور الوسطى هامش ص ٧.

(٤) لعل المراد بقوله "وعقيدة واضحة" أنها كانت معروفة، بخلاف الديانات السرية التى كانت منتشرة آنذاك وكانت عقائدهم سرية لا يطلع عليها إلا من دخل فيها.

(٥) المرجع السابق ص ٧.

(٦) لعل المعنى متحدة فى اعتقادهم بنسبتهم إلى المسيح، وذلك لأنهم اختلفوا كثيراً فى حقيقة المسيح.

الأغلبية الوثنية كانت منقسمة إلى عدة شيع دينية ، وكان فيها عدد كبير من النفوس التى لا عقيدة لها ولا نفوذ لها فى الدولة^(١).

ويقول برتراند رسل : " والظاهر أن هذا هو ما قصد إليه قسطنطين. فقد كان لابد من محاربة المسيحيين باعتبارهم كتلة منظمة واحدة - لكى يظفر منهم بالتأييد، على حين كانت كل الفرق المعادية للمسيحيين على غير نظام. وبالتالي لم يكونوا ذوى أثر من الوجهة السياسية"^(٢).

هذا ما ظنه قسطنطين فى المسيحية قبل اتجاهه إليها بالعطف والتسامح - وإن كان بعد ذلك وجد أن ظنه فى غير موضعه ، وذلك حين وجد الاختلاف الشديد بين المسيحيين وعمل على حلها .

لقد أحس قسطنطين بأن نجم الوثنية فى أفول وضمور ، أما نجم المسيحية فقد بدا فى الظهور لذلك رأى أن يكسب أتباع المسيحية فى صفه لكى ينال تأييدهم ويدعم مركزه فى الإمبراطورية...

وهكذا استطاع قسطنطين أن يأسر الكنيسة بما أغدقه عليها من خيرات وبما أولاها من نعم فكسب ولاء رجالها وتأييدهم ، وكان الإمبراطور فى ميسس الحاجة لمد هؤلاء القوم يعتمد عليهم فى تسكين خواطر رعاياهم لما يعلمه من نفوذهم الكبير عليهم ، لقد غدا رجال الكنيسة فى حكومة قسطنطين (شرطة نبيلة) أمل فيها الإمبراطور أن تحفظ بالهدوء وتنتشر بالسكينة السلام^(٣).

يقول أندروملر : " لقد قدر قسطنطين بحكمته السياسية فضل الديانة المسيحية أدبياً وتأثيرها فى جعل الناس يخضعون خضوعاً تاماً للسلطة المدنية"^(٤).

ويزيد هذا المعنى وضوحاً ول ديورانت فيقول : " لقد أعجب قسطنطين بمجودة نظام المسيحيين إذا قيسوا بغيرهم من سكان الإمبراطورية وبطاعتهم لرؤسائهم

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٨).

(٢) برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية . الكتاب الثانى ص ٤٨.

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٢٧ - ١٢٨).

(٤) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦١).

الدينيين، وبرضاهم صاغرين بفوارق الحياة رضاء مبعثه أملهم فى أنهم سيحظون بالسعادة فى الدار الآخرة... وأيضاً قد تعلم المسيحيون على يد معلمهم واجب الخضوع للسلطات المدنية ولقنوهم حق الملوك المقدس، وكان قسطنطين يأمل أن يكون ملكاً مطلق السلطات، وهذا النوع من الحكم يفيد من تأييد هذا الدين له، وقد بدا له أن النظام الكهنوتى وسلطان الكنيسة الديوى يقيمان نظاماً روحياً يناسب نظام الملكية، ولعل هذا النظام بما فيه من أساقفة وقساوسة يصبح أداة لتهدئة البلاد وتوحيدها وحكمها^(١).

وهكذا يتضح لنا أن اتجاهات قسطنطين الإيجابية نحو المسيحية كانت بسبب تدعيم مركزه فى الإمبراطورية، والمحافظة على وحدة الإمبراطورية، بمعنى أن قسطنطين كان سياسياً حاذقاً استطاع أن يستغل كل شئ لصالحه حتى الدين المسيحى.

هذا وقد أدرك قسطنطين - من جانب آخر - أن المسيحيين برغم أنهم لا يُكوّنون أغلبية فى الإمبراطورية إلا أن لهم نفوذاً واسعاً فى المدن والأرياف وخاصة فى الجهات الشرقية من الإمبراطورية، إذ انتشرت فى أكثرية ولايات آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر والشمال الأفريقى، وهذا يعنى أنه كان للمسيحيين تأثيراتهم الواضحة وخاصة فى المناطق الحيوية للإمبراطورية^(٢) 'وهنا أدرك قسطنطين بثاقب فكره أن هؤلاء المسيحيين يمثلون قوة فى الجهات الشرقية، لذلك عمل على كسب ولاء المسيحيين لكى يحافظ على وحدة الإمبراطورية، ومن هذه الوجهة نظر الدارسون إلى أن اتجاه قسطنطين إلى المسيحية كان اتجاهاً لمصلحة سياسية وغللوا عونه للمسيحيين تعليلاً سياسياً...

وهذا التعليل هو الأرجح فى نظر معظم المؤرخين^(٣).

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٨).

(٢) د/ عبد القادر أحمد اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢-١٦ بتصرف

(٣) راجع: الدولة والكنيسة (٢ / ٩٥ ، ١٢٨).

يقول د / عبد القادر أحمد اليوسف: " حقاً إن قسماً كبيراً من المؤرخين يعتقدون بأن سياسة قسطنطين قد أملت لها ضرورات سياسية"^(١).

ويقول ول ديورانت: " ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً فى عمله هذا؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملت لها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب ... فقد أحاط قسطنطين نفسه فى بلاطه ببلاد غالة بالعلماء والفلاسفة الوثنيين... وقد كان فى أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعمامه السياسيون، فكان يستدعيهم إليه ويرأس مجالسهم ويتعهد بتنفيذ ما تقره قساوستهم من آراء، ولو أنه كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ، ولكن الآية انعكست فى حال قسطنطين، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية"^(٢).

وهكذا يتضح أن قسطنطين مد يد العون للمسيحيين لأنه رأى أن تأييدهم له سيجعل سيطرته على الإمبراطورية أكثر إحكاماً، وذلك لأنهم أفضل نظاماً وأحسن حالاً إذا قيسوا بغيرهم من الوثنيين. هذا إلى جانب أنهم يمثلون قوة فى الجهات الشرقية وكسبهم فى صفه يضمن للإمبراطورية وحدتها وقوتها، وهذا يعنى أن قسطنطين استفاد من تسامحه مع المسيحيين الكثير، ولم يخسر شيئاً حتى الوثنية والوثنيين.

تدخل قسطنطين فى شئون المسيحية واتخاذ صفة رئيس الكنيسة^(٣):

لقد أعطى قسطنطين لنفسه الحق فى التدخل فى شئون الكنيسة. والفصل فى المنازعات القائمة بين المسيحيين حتى يضمن وحدة الإمبراطورية. " فدعا إلى عقد المجامع الدينية المحلية والمسكونية وترأس جلساتها، وأدار مناقشاتها. وصدق على

(١) د/ عبد القادر اليوسف : الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢.

(٢) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٧).

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٧٠).

قراراتها، وتدخل فى تعيين الأساقفة وعزلهم، بل شارك فى صياغة العقيدة على النحو الذى غدت به قانوناً للإيمان^(١).

فلقد جعل قسطنطين الوحدة شعاراً وهدفاً، واعتبر الكنيسة المتفرقة أحزاباً وشيعاً لن تفيد الدولة فى قليل أو كثير، ولذا أدت به الضرورة السياسية إلى أن يجعل من نفسه راعياً ورئيساً فخرياً للمجامع الدينية وفيصلاً فى المنازعات بين المذاهب، ومشيراً مطاعاً فى تقرير عقائد الكنيسة^(٢).

واليك بعض الأمثلة على هذا التدخل:

المثال الأول : الدوناتيون :

ولقد بدأ هذا التدخل واضحاً من قسطنطين حين علم بالمنازعات القائمة بين المسيحيين فى شمال إفريقية، ويرجع أسباب هذا النزاع إلى ما حدث أيام اضطهاد (دقلديانوس) ذلك أنه كان من بين مراسيم الاضطهاد الاستيلاء على الكتب المقدسة وإحراقها، وكان رد الفعل عند رجال الكنيسة متبائناً إزاء هذا المرسوم:

فالبعض سلم الكتب إلى السلطات الرومانية، والبعض الآخر لم يسلمها وأثر حياة الضياع والحرمان..

وبعد انتهاء الاضطهادات اختلف المسيحيون فى شمال إفريقية حول أولئك الذين سلموا الكتب للسلطات الرومانية إلى فريقين:

الفريق الأول : اتهم هؤلاء الأساقفة بالخيانة، واعتبرهم قد خسروا رحمة الرب ولم يعودوا مسيحيين، وأن شعائر التعميد ورسامة الأساقفة التى تجرى على أيدي هؤلاء الأساقفة باطلة^(٣).

(١) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة (٢ / ٧).

(٢) فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٧.

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٩١).

وطالب هذا الفريق أن تتم الأسرار المقدسة على أيدي قساوسة طاهرين، واعتبروا أن الأسرار التي تتم على أيدي قساوسة غير جديرين بذلك تعتبر باطلة.

هذا هو رأى (الدوناتيين) الذين ينسبون إلى دوناتس أسقف قرطاجة.

أما الفريق الآخر: فقد ظل على اعتقاده أن الأسرار المقدسة تتوقف على منصب القسيس وليس على صفاته الشخصية^(١).

تفجر هذا الخلاف في عام ٣١١م حينما علم التوميدون^(٢) - وهم الذين تبنوا الرأى الأول - بأن الكنيسة المسيحية نصبت (كاكيليانوس) أسقفاً لقرطاجة، وأن واحداً من الأساقفة الذين اشتركوا في سيامته كان خائناً^(٣) أى من أولئك الذين سلموا الكتب المقدسة للسلطات الرومانية أثناء الاضطهاد، فعارض أهل نوميديا هذا التنصيب، واجتمع سبعون أسقفاً منهم وقرروا عدم الاعتراف بشرعية اختيار (كاكيليانوس) أسقفاً، وقاموا برسم أسقف جديد يدعى (ماجورينوس) وقاموا بإرسال رسائل إلى جميع أساقفة إفريقيا يطلبونهم فيها على ما تم إجراؤه^(٤)، وجاء بعد (ماجورينوس) أسقف يدعى (دوناتوس الكبير) وسمى هذا الانشقاق الدوناتية نسبة إلى هذا الأسقف العنيد^(٥).

وهكذا انقسمت كنيسة قرطاجة إلى حزبين متضادين أحدهما يمثل الكنيسة الكاثوليكية^(٦) ويتزعمه (كاكيليانوس) والآخر يمثل كنيسة القديسين ويرأسه (ماجورينوس) ثم (دوناتوس) ثم زادت هوة الخلاف واتسعت حتى وصلت إلى

(١) كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٧٧).

(٢) نسبة إلى نوميديا وهي مقاطعة في جنوب قرطاجة.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ / ١٢٣).

(٤) الدولة والكنيسة (٢ / ١٣٩ ، ١٤٠).

(٥) حبيب سعيد: فخر المسيحية ص ١٤٦.

(٦) كلمة كاثوليكية تستخدم هنا لئلا تُلان على الكنيسة الرومانية الغربية. جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ /

مسامع الإمبراطور قسطنطين الذى كان يميل إلى جانب الأول، فأغدق عليهم الهبات الكثيرة، بينما حرم الدوناتية من هذه الهبات.

ولقد حفظ لنا (يوسابيوس) رسالة من قسطنطين يحدد فيها مبلغا من المال لكنيسة (كايكيليانوس) ^(١) وحرمان أنصار الدوناتية.

ولكن الدوناتيين لم يهدأوا، فلجأ إلى الإمبراطور قسطنطين يطلبون منه أن يعين أسقفا من غالة ليحكم بينهم ضمانا للحيدة، ولكن قسطنطين عهد بفض النزاع إلى البابا فى روما وبعث إليه برسالة ^(٢) ضمنها اختياره للقضاة الذين يحكمون فى هذا النزاع، ومكان النزاع، فلقد اختار ثلاثة من أساقفة غالة واختار روما لتكون مكانا للحكم بين المتنازعين.

اجتمع الأساقفة فى روما فى ٢ أكتوبر سنة ٣١٣ م، وقرروا إدانة الدوناتيين ^(٣).

ولكن الدوناتيين لم يقبلوا هذا القرار، لذلك تدخل قسطنطين مرة ثانية واستدعى الأساقفة لعقد مجمع يكون فى مدينة (إرل) من أعمال بلاد الغال (فرنسا) وذلك فى سنة ٣١٤ م وقد سمي هذا المجمع بـ (مجمع إرل).

يقول قسطنطين فى رسالته لأحد الأساقفة: "من أجل هذا قد أمرنا بأن يجتمع عدد وافر من الأساقفة من أماكن مختلفة فى مدينة إرل قبل أول شهر أغسطس" ^(٤).

وفى أول أغسطس سنة ٣١٤ م اجتمع فى إرل ثلاثة وثلاثون أسقفا، وقرر المجمع إدانة الدوناتيين وتبرئه (كايكيليانوس) واعتبار الرسامة صالحة وإن تمت بأيد غير نقية ^(٥).

ولكن الدوناتيين رفضوا الانصياع لقرارات المجمع ولجأوا إلى الإمبراطور نفسه يطلبون قراره الشخصى فى هذا النزاع ^(٦)، فدعا قسطنطين الحزبين للمثول بين

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٥٠٢،

(٢) راجع نص هذه الرسالة فى المصدر السابق ص ٥٠٠، ٥٠١.

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٤٥).

(٤) راجع الرسالة كاملة، يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٥٠٢.

(٥) فجر المسيحية ص ١٤٧.

(٦) الدولة والكنيسة (٢ / ١٤٩)

يديه فى روما سنة ٣١٥م حيث كان الإمبراطور يحتفل بمرور عشر سنوات على حكمه فلّبيّ الدوناتيون الدعوة، ولكن (كايكيليانوس) لم يظهر، فوجدها الدوناتيون فرصة سانحة لإصدار حكم غيابى ضد أسقف قرطاجة، واستعدوا لمغادرة المدينة، ولكن قسطنطين اعتقلهم.

وفى نوفمبر ٣١٦م انتقل الإمبراطور إلى ميلانو، وإليها أحضر الأساقفة الدوناتيين واستدعى إليه (كايكيليانوس) الذى سارع بالذهاب إلى حضرة الإمبراطور، وفصل قسطنطين بين المتنازعين ^(١)، وصدر قرار الإمبراطور ضد الدوناتيين ورفض التماسهم ^(٢)

ولكن الدوناتية رفضت الاستسلام والخضوع لهذا القرار. فأغلق الإمبراطور كنائسهم ونفى أساقفتهم ^(٣)... وأهم شئ هنا هو أنه بدل دور قسطنطين من مجرد رئيس يدعو المجامع الكنيسة للانتماء إلى حاكم أعلى لهذه المجامع ^(٤) ليفصل بين المسيحيين بصفته رئيس الكنيسة ^(٥).

وهكذا تسلم قسطنطين مرتبة مرموقة بعد أن احتل مركز الفصيل فى شئون الكنيسة، ومنذ اللحظة هذه وقسطنطين لم يتراجع عن هذا المنصب قيد أنملة، فقد غدا مهمنا على أمر هذا الدين. ولم تحتج الكنيسة على ذلك. ولم تطلب إليه أن يعيدها حقاً مسلوباً - سلبه إياها فلقد أعطاها الكثير ^(٦).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد. بل تعداه إلى ما هو أخطر من ذلك، ألا وهو تعيين الأساقفة، فلقد أبقي عنده دوناتوس - زعيم الدوناتية - وكايكيليانوس، وأرسل من لدنه أسقفين ليقوما برسم أسقف جديد على قرطاجة ^(٧).

(١) المرجع السابق ص ١٥٠.

(٢) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (٢ / ١٢٥)

(٣) فجر المسيحية ص ١٤٧.

(٤) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (٢ / ١٢٥).

(٥) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٧٠)

(٦) الدولة والكنيسة (٢ / ١٥٠).

(٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

وهكذا وضع تدخل قسطنطين في شئون الكنيسة فدعا إلى عقد ما يسمى بالجامع، وفصل بين المتنازعين، وعين أساقفة، وعزل آخرين.

يقول المؤرخ المسيحي جون لوريمر: كان من الواضح إذن أن قسطنطين أعطى لنفسه الحق في أن يتصرف كرئيس للكنيسة، وكما كان إمبراطورا في العالم الوثني، ادعى لنفسه السيادة الدينية، فلا أقل من أن يكون كذلك في الكنيسة^(١).

المثال الثاني: الأريوسية^(٢):

لم يكذب ينته قسطنطين من تسوية الخلافات بين المسيحيين في شمال إفريقيا حتى وجد انشقاقا آخر أكثر حدة وأخطر بأسا، فالخلاف هذه المرة لاهوتي يدور حول العلاقة بين المسيح الابن والإله الآب، وكان موطن الخلاف في بداية الأمر كنيسة الإسكندرية، ثم استشرى بعد ذلك فانتقل إلى غيرها من الكنائس في جميع الأنحاء.

وقد تفجر هذا الخلاف حينما كان الكسندر بطريرك الإسكندرية (٣١٣ - ٣٢٦م) يعلم أمام أريوس أن الكلمة ابن الله مساو للآب، وأن له طبيعة وذاتا واحدة، فقاطعه أريوس وعارضه بأن هذا التعليم هرطقة وليس من تعليم الإنجيل وقال إن المسيح غير مساو للآب في الجوهر والعظمة وأنه مخلوق بإرادة الآب حادث غير أزلي^(٣).

واشتد النزاع بينهما، وعقدت عدة مجامع هنا وهناك لإزالة هذا الخلاف - ولكن هذا لم يحدث...

فلقد عقد الكسندر مجمعا في الإسكندرية عام ٣١٩م قضى فيه بإدانة تعاليم أريوس، ثم عقد مجمعا ثانيا سنة ٣٢١م ضم أساقفة مصر وليبيا وقرر هذا المجمع لعن أريوس وأتباعه^(٤).

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ / ١٢٥).

(٢) لقد ركزنا في هذا الفصل على دور قسطنطين في تسوية الخلاف بين المسيحيين ودوره في انعقاد مجمع نيقية وكيف تدخل فيه؟ ولم نتعرض للمجمع نفسه بالتفصيل لأننا خصصنا الفصل التالي للمجامع عامة.

(٣) منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١١ - ٢٠٩.

(٤) المرجع السابق ص ١١٢، راجع أيضا الدولة والكنيسة (٢ / ١٦٤).

ولقد سلك أريوس وأشباعه مثل هذا المسلك فعدوا مجمعين الأول فى بيثينية سنة ٣٢٢م والثانى فى فلسطين سنة ٣٢٣م ، وقرر المجتمعون إلغاء الحكم الصادر على أريوس من بطريرك الإسكندرية^(١).

وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذى اتخذته الكسندر تجاه أريوس إلا أن أفكار أريوس كان يؤمن بها الكثير من القساوسة فى فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى^(٢)... هذا إلى جانب أنه كان ينضم إلى أريوس فى أفكاره أساقفة من ذوى الشهرة والمكانة مثل يوساب النيقوميدي ، وباولينوس أسقف صور ، ويوسابيوس أسقف قيسارية ، وغيرهم كثير^(٣).

ولقد وقف الكسندر بطريرك الإسكندرية منهم موقف المتشدد المعارض حتى بدا للجميع أن كنيسة الإسكندرية تقف فى جانب ، وفى الجانب الآخر جل كنائس الشرق الروماني^(٤).

واشتد الخلاف والتخاصم ولم يرضخ أى جانب منهم للجانب الآخر حتى وصل نبأه إلى مسامع الإمبراطور قسطنطين الذى ارتاع لهذا الاختلاف وحاول فضه عن طريق أحد مستشاريه المسيحيين.

فلقد اختار قسطنطين صديقه (هوسيوس) أسقف قرطبة فى أسبانيا ليتوسط بين الحزبين المتنازعين ويسعى لإيجاد السلام بينهما^(٥) وحمله رسالة إلى كل منهما يدعوهم فيها إلى الهدوء وفض هذا الإشكال وإلى التوفيق بين آرائهم المختلفة.

ولقد حفظ لنا (يوسابيوس) صورة الرسالة الموجهة إلى الكسندر وأريوس (٦) وسنقتطف أجزاء منها. لأنها ذات أهمية فى التعرف على فهم قسطنطين لهذا الخلاف.

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٤ .

(٢) يوسابيوس : حياة قسطنطين ص ٧٣ .

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٦٨) .

(٤) المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٥) حياة قسطنطين ص ٧٣ .

(٦) راجع الرسالة كاملة فى : حياة قسطنطين ص ٧٤ . ٧٩ .

وقد بدأها بالتنويه على أن غاية مساعيه هي التوحيد بين الآراء المختلفة حتى يضمن وحدة الإمبراطورية، ثم عرض بعد ذلك وجهة نظره في هذا الخلاف فقال: "فإننى إذ فحصت باعتناء أصل وأساس هذه الخلافات وجدت أن السبب غير جوهرى ولا يستحق هذا النزاع العنيف... والآن حكموا المنطق لأننى إن جاز لى أن أتوقع بأن أتمكن بسهولة وبالاتجاه إلى عواطف الذين سمعونى من أن أعيدهم إلى حالة أفضل"^(١) حتى وإن كان سبب اختلافهم أعظم فكيف أتردد فى أن أمنى نفسى بتسوية هذا الخلاف بكيفية أسهل، وفى وقت أقصر طالما كان السبب الذى يعوق الوحدة العامة تافها وعديم الأهمية"^(٢).

ثم بين أصل النزاع من وجهة نظره فيقول: "وقد فهمت أن أصل النزاع الحالى هو هذا، عندما طلبت يا إسكندر من القسيسين أن يدلوا بأرائهم حول فقره معينة فى الشريعة الإلهية، أو بتعبير آخر سألتهم سؤالاً يتصل بموضوع عديم الأهمية، أصررت يا أريوس بعدم تبصر على نقطة ما كان يصح مطلقاً أن تخطر لك على بال أو - إن كانت قد خطرت ببالك - كان يجب أن تطرح فى زوايا النسيان، وهكذا قام النزاع بينكما، وانتزعت روح الشركة، وتمزق الشعب المقدس إلى أحزاب مختلفة، ولم يبق بعد أثر لوحدة الجسد الواحد، لهذا أطلب منك الآن أن تظهرها درجة واحدة من الاحتمال والتسامح وتقبلاً النصيحة التى يقدمها إليكما زميلكما فى الخدمة"^(٣).

ثم قال: "وهذه النصيحة هى: كان خطأ من بداية الأمر الدخول فى مناقشة حول مثل هذه المواضيع أو الإجابة عليها عند طرحها للمناقشة، لأن نقط المناقشة هذه التى لا تستند إلى سلطة الشريعة، بل بالأحرى لم يحركها إلا روح النزاع المنبعث من سوء استخدام أوقات الفراغ، حتى ولو كان القصد منها رياضة عقلية،

(١) يشير بلك إلى تسويته للخلافات فى شمال إفريقيا والتى ذكرناها سابقاً

(٢) المصدر السابق ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق ص ٧٦.

يجب يقينا أن تكون محصورة في دائرة تفكيرنا الشخصى دون التعجل فى طرحها أمام الاجتماعات العامة أو توصيلها لآذان الجمهور بطياشة^(١).

ثم حثهم على الوحدة مشيرا عليهم بأن يكونوا على رأى واحد فقال: "لأن سبب نزاعكم لم يكن عن العقائد الجوهرية أو وصايا التاموس الإلهى ولا قامت بينكم هرطقة جديدة تتعلق بعبادة الله والواقع أنكم جميعا برأى واحد وفكر واحد... فلا تسمحوا للظرف الذى أدى إلى خلاف بسيط بينكم أن يسبب أى انقسام أو انشقاق طالما كان غير جوهرى. أقول هذا ولست أقصد الضغط عليكم للاتحاد الكامل فى الرأى بصدد هذه المسألة التافهة، مهما كانت طبيعتها حقيقية"^(٢).

وهذه الأجزاء من رسالة قسطنطين إلى أريوس والكسندر تبين فى الحقيقة تفكير وثقافة قسطنطين الدينية. فواضح من هذه الرسالة أنه لم يكن يدرك شيئا من هذا الاختلاف اللاهوتى الكبير، وإلا لما وصفه بقوله (أمر تافه) ويقول (إن سبب الاختلاف غير جوهرى) ويقول (إنه موضوع عديم الأهمية) ثم كيف يصف قسطنطين هذا الخلاف بقوله: "إنكم على رأى واحد وفكر واحد؟ إن هذا يدل على أن قسطنطين لم يفهم هذا النزاع ولم يكن ليستطع أن يحزر موضع النزاع !! تلك أمور لا يمكن لباحث أن يسقطها من حسابه عندما يتحدث عن مدى إمكانية فهم قسطنطين للمواضيع اللاهوتية والمسائل العقدية.

لهذا نجد أن هذه الرسالة لم تؤت ثمارها ولم تأت بما كان يتمناه قسطنطين وهو فض النزاع القائم، وذلك لأنها لم تعالج هذا الخلاف بما يتناسب معه من أهمية.

ولقد حاول "هوسبوس" أسقف قرطبة الذى حمل هذه الرسالة رأب الصدع وحل المشكلات القائمة بينهما ولكنه أيضا لم يفلح، وحمل إلى الإمبراطور نبأ اشتعال نيران الجدل والخلاف، وعظم شأنه وازدياد خطورته. لذلك عزم قسطنطين على عقد مجمع مسكونى وقام بتوجيه الدعوة إلى الأساقفة فى جميع أنحاء

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة

الإمبراطورية بوصفه رئيس الكنيسة الذى يقوم على رعاية مصالحها ويعمل على وحدة صفوفها.

يقول يوسابيوس: "وحيثما وجد فى الأقطار المختلفة من اختلفوا مع بعضهم البعض فى رأى فإنه كان يدعو المجامع من الخدام كأنه أسقف عام مقام من الله"^(١). فاستدعى قسطنطين الأساقفة من كل الأقطار ليحضروا على جناح السرعة برسائل أرسلها إليهم، وقد اختار وحدد مكان الاجتماع (مدينة نيقية فى بيشينيا) - مكانها الآن قرية ازناك التركية - وقد علل المسيحيون سبب اختياره لهذه المدينة بأنها ميناء يسهل الوصول إليها، ولقربها من عاصمة الإمبراطورية الشرقية^(٢)، هذا إلى جانب أنها مدينة ملائمة المناخ^(٣).

وقد قدم قسطنطين كافة التسهيلات الخاصة بنقل الأساقفة إلى مكان الاجتماع فوضع تحت تصرفهم كل وسائل النقل المعروفة فى ذلك العصر، فسمح للبعض باستخدام وسائل النقل العامة، وقدم للآخرين الخيل الكافية للانتقال^(٤).

وهكذا يسر قسطنطين للأساقفة كل الوسائل اللازمة، حيث تكفل بتسهيل وصولهم إلى مكان الاجتماع حتى يأسرهم بكرمه وفيض نعمته ولا يشعرون بضيق أو مشقة، ولا شك أن مثل هذه الأمور سوف يكون لها تأثيرها عليهم، وعلى قراراتهم، وعلى طواعيتهم لما يراه الإمبراطور صالحا له ولإمبراطوريته.

وبعد حضور الأساقفة من كل مكان اجتمعوا فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ م^(٥).

وفى البداية انتظر الحاضرون وصول الإمبراطور إلى قاعة الاجتماع حتى كانت اللحظة الحاسمة التى وصل فيها.

(١) المصدر السابق ص ٣٢.

(٢) ابريس حبيب المصرى: قصة الكنيسة القبطية (١ / ١٧١).

(٣) حياة قسطنطين ص ٨٦.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) قصة الكنيسة القبطية (١ / ١٧١).

يقول يوسابيوس: "ساد صمت رهيب فى انتظار وصول الإمبراطور... وإذ وقف الجميع لدى إعطاء الإشارة المنبئة بوصول الإمبراطور، تقدم هو أخيرا وسط الاجتماع كرسول سماوى من الله"^(١). ويمضى يوسابيوس فى وصف مظهر ومخبر قسطنطين ويخلع عليه صفات التمجيد والتقوى.

ولقد قام يوسابيوس - صاحب كتابا تاريخ الكنيسة. وحياة قسطنطين - بإلقاء كلمة الافتتاح والترحيب وموجها الشكر للإمبراطور، ثم عاد إلى مقعده وساد الصمت مرة ثانية والأنظار متجهة إلى الإمبراطور متطلعة إلى ما يقوله"^(٢).

ثم تكلم الإمبراطور قائلا: كانت أقصى أمنيى أيها الأحباء الأعزاء أن أتمتع برؤيتكم مجتمعين معا فى وحدة كاملة، والآن وقد تحققت هذه الأمنية أشعر بأننى مدين برفع الشكر لله ملك الكل.

وبعد ذلك أخذ يشرح لهم الأسباب التى حفزته لتوجيه الدعوة لهذا الاجتماع، وأمله فى أن يحقق هذا الملتقى ما يصبو إليه من نيل أسباب الشقاق والانقسام وتجنب مشاكل المناقشات حتى تتحقق الوحدة والسلام"^(٣).

وبعد نهاية الحديث - الذى كان باللاتينية - قام شخص بترجمته إلى اليونانية وبنهاية الترجمة أعطى قسطنطين للمجتمعين شارة البدء فى النقاش والمحاورة من أجل الوصول إلى الحل المناسب. وهنا بدأ كل واحد يقذف فى وجه الآخر بألوان الاتهامات حتى استحالت القاعة إلى ميدان يتبارى فيه المتخاصمون"^(٤).

جلس الإمبراطور يصغى لهذه المناقشات والاتهامات حتى وقف على حقيقة الأمر، وهنا أدرك أن أمل وحدة الإمبراطورية عقائديا ليس سهلا ولا بالأمر اليسير

(١) حياة قسطنطين ص ٨٩.

(٢) راجع وصف المجمع فى المصدر السابق ص ٨٩.

(٣) نص الخطاب بأكمله فى المصدر السابق ص ٩٠.

(٤) المصدر السابق ص ٩٠.

وكان الإمبراطور يتدخل فى المناقشة والمحاورة حتى قال يوسابيوس: "إنه كان يقطع البعض ويقدم الحجج للآخرين ويمدح من يحسنون الكلام"^(١).

ومرت الأيام والإمبراطور يشهد كل يوم مزيدا من هذه الشكايات، فلما هاله ما رأى حدد يوما وأمر بالاتهامات وردودها فجئ بها^(٢)، ثم نظر إليهم وخاطبهم وأمرهم بالوحدة وأصدر أمرا إمبراطوريا بحرق هذه الاتهامات التى جمعت بأمره وإذنه^(٣)، وبعد ذلك أمر بمجلس خاص لفئة معينة من الأساقفة.

يذكر ابن البطريق أن قسطنطين عجب من هذا الاختلاف، ووجد أن بعضا من هؤلاء متفقون فى رأى وقدر عددهم بأنهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا، فوضع لهم مجلسا خاصا عظيما وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتى لتصنعوا فيها ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذبح عنه، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعلمها ويعمل بها، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا بما فيها^(٤).

فلقد اختار قسطنطين هؤلاء الثلاثمائة والثمانية عشر من بين الأساقفة المجتمعين وعددهم - كما يقول ابن البطريق - ألفان وثمانية وأربعون أسقفا^(٥).

أما لماذا اختار قسطنطين هؤلاء بالذات من بين المجتمعين، وهم قلة بالنسبة لعدد الحاضرين؟

فالجواب يكون - فى نظرنا - بأنه رأى أن معتقد هؤلاء أفضل لإمبراطوريته، وذلك لأنهم يقولون بالوهية المسيح، وهذا الاعتقاد أفضل فى نظره لأنه يريد وحدة

(١) المصدر السابق ص ٩٠.

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ١٧٨).

(٣) المرجع السابق ص ١٧٨.

(٤) سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٢٧).

(٥) المصدر السابق (١ / ١٢٧).

الإمبراطورية، ويريد إرضاء الوثنيين والمسيحيين عن طريق سياسته المزجية التآلفية بين المعتقدين الوثني والمسيحي.

وهذا الاعتقاد - ألوهية المسيح - أقرب إلى المعتقد الوثني للوثنيين الذين كانوا يعظمون الإمبراطور ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية - هذا إلى جانب أن هذا المعتقد أيضا أقرب إلى فكره ومعتقده هو كوثنى بين هؤلاء الوثنيين.

ولذلك نجد أنه بهذا المعتقد استطاع أن يؤلف بينهما، وهو بهذا فتح المجال للوثنيين أن يدخلوا فى المسيحية التى أصبحت أقرب إلى فكرهم ومعتقدهم، وأصبح دخول المسيحية بالنسبة لهم سهلا ميسورا إذ لم يكن إلا عبارة عن الانتقال من الانتساب إلى الوثنية إلى الانتساب إلى المسيحية فقط .

يقول فشر: "إن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالا إلى جو غريب تمام الغرابة أو شعور بانقلاب باغت مفاجئ، بل بدا الولوج فى المسيحية عملية رفيقة فى كثير من التدرج الشعورى العاطفى"^(١)...

وهذا يعنى أن خطة قسطنطين كانت تهدف إلى الوحدة فى المعتقد حتى يضمن وحدة الإمبراطورية..

ولقد قرر هؤلاء المجتمعون - الذين اختارهم قسطنطين - ألوهية المسيح وصاغوا قانون الإيمان، وقرروا أيضا لعن أريوس وطرده من الكنيسة، وحرق الكتب التى كانت فيها آراؤه.

ولقد روى بعض المؤرخين أن بعضا من هؤلاء لم يوافقوا على ما قرره المجمع فى البداية، ولكنهم أخيرا ونحت ضغط الإمبراطور وافقوا على قانون الإيمان وإن لم يوافقوا على قرار حرمان أريوس^(٢).

وكان لقسطنطين دخل أيضا فيما صدق عليه هؤلاء المجتمعون، ذلك أنه لما وضع المجتمعون صيغة القانون أشار عليهم قسطنطين بإضافة عبارة "الهوموسية" Homoousius وهى تعنى نفس الجوهر أو "المساوى فى الجوهر"^(٣)

(١) تاريخ أوروبا العصور الوسطى (١ / ٨).

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ١٨٦).

(٣) المرجع السابق (٢ / ١٨٠).

ومعروف أن حقيقة الخلاف بين الأريوسية وبطريرك الاسكندرية كاتنة فى مساواة الابن بالآب فى الجوهر أو عدمه ، وهذا يعنى أن قسطنطين هو الذى حدد وقرر قرارات هذا المجمع وهو الذى صدق عليها، بل وزاد عليها.

ثم بعد ذلك - بعد انتهاء جلسات المجمع - أكرم قسطنطين هؤلاء الأساقفة الذين وافقوا على قرارات المجمع ، فدعاهم إلى مأدبة شائقة ، وقدم لهم الهدايا الفاخرة ، ثم ودعهم بما يليق بمقامهم من إعظام وإكرام - كما يقول يوسابيوس - وأذن لهم بالعودة إلى بلادهم ، ودعاهم إلى الالتزام بهذه القرارات.

وهكذا يتبين لنا أن قسطنطين له الدور الأول والأخير فى هذا المجمع المسكونى الكبير الذى كان له أكبر الأثر على المسيحية.

سياسة قسطنطين فى التوفيق بين المسيحية والوثنية:

لقد عمل قسطنطين على أن يسلك سياسة إرضاء الوثنيين والمسيحيين على وجه سواء ، فبالرغم من أنه اتجه إلى المسيحية بالعطف والرحمة والتسامح إلا أنه لم يستطع أن يتخلى عن ولائه الحميم للوثنية ، حتى يستطيع أن ينال الرضا والقبول من جميع المواطنين المسيحيين والوثنيين..

لذلك نجد أنه حينما أصدر قانون التسامح لم يخص به المسيحية فقط ، وإنما كان المقصود منه إطلاق حرية العقيدة لكل رعايا الإمبراطورية بلا تمييز ، والتسامح معهم جميعاً بشرط ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام للدولة.

لقد رأى قسطنطين - من أجل الحفاظ على سلامة الدولة من الانشقاقات الداخلية ومن أجل الحفاظ على وحدتها وعدم المنازعات العقائدية - أنه من الأفضل أن يحاول أن يوفق بين الوثنيين والمسيحيين ، وخطا قسطنطين فى ذلك خطوات واسعة ، وظهرت محاولته هذه فى أكثر من موقف .

لذلك تقول المؤرخة الإنجليزية (هسى): فإن اعتقاد قسطنطين فى إله المسيحية وإيمانه بالإرث الرومانى دفعاه إلى الاقتناع بأن عليه أن يأخذ زمام المبادرة لإيجاد وحدة عقيدية تنظيمية داخل الكنيسة المسيحية^(١).

(١) ج . م . هسى : العالم البيزنطى ص ٩٢.

وأول ما يلفت النظر فى سياسية قسطنطين هذه هو أنه لم يتخل عن اعتقاده الوثنى "بإله الشمس التى لا تقهر" ولكنه مع الوقت اعتبر الشمس هو المسيح^(١) وذلك لا يكون إلا عن طريق مزج هذه العبادة الوثنية مع الديانة المسيحية... ثم بعد ذلك نجد أن قسطنطين اتخذ لنفسه مقام السيادة على أمور الكنيسة والتصرف فى شئونها، فكان يحضر مجامع الأساقفة ويتحاور معهم ويراقب فض الإشكالات الدينية بصفته رئيس الكنيسة، وفى الوقت ذاته احتفظ لنفسه بمقام الكاهن الأعظم للوثنيين، ذلك اللقب الذى لم يتخل عنه قط وقد مات وهو حائز للقبين معا: رئيس الكنيسة، وكاهن الوثنيين الأعظم^(٢)، واستخدم فى تدشين القسطنطينية - العاصمة الجديدة التى أنشأها - شعائر مسيحية ووثنية على السواء^(٣). وظل يستخدم ألفاظا يستطيع أن يقبلها كل وثنى ومسيحى^(٤)

وبالنسبة للعملة فى أيام قسطنطين فقد رسم على وجه منها صورة الصليب وعلى الوجه الآخر شعارا لإحدى العقائد الوثنية.

يقول رولاند بيتون: "وقد ظهر التغيير فى العملة التى تداولتها روما، فقد كانت عملة روما تحمل صورة ذئب، وصورة الإله ميثرا إله النور. فصدرت العملة الجديدة تحمل على جانب منها اسم المسيح، وعلى الجانب الآخر الذئب، فقد صار الذئب مسيحيا، وعلى عملة أخرى ظهر اسم المسيح فى جانب وعلى الجانب الآخر آلهة روما، فقد صارت آلهة روما مسيحية، وعلى عملة ثالثة صورة الإله ميثرا إله الشمس ممسكا الشمس فى يده وعلى الجانب الآخر صليب فقد صار ميثرا مسيحيا"^(٥).

(١) أرنولد توينبى: تاريخ البشرية (٢ / ٢١).

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦٣، ٢٦٤).

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٩).

(٤) المرجع السابق ص ٣٨٨.

(٥) رولاند بيتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٣٣.

ومن الملاحظ أيضا أن قسطنطين فى عام ٣٢١م أعلن أن يوم الأحد هو يوم الرب ويجب أن يكون عطلة للمحاكم وللعاقلين فى مصانع الدولة وأجهزتها^(١).. ولقد كان هذا اليوم بالنسبة للمسيحيين منذ ذلك الزمن هو يوم الرب عندهم بالرغم من " أنه اليوم الذى مازال يسمى فى الإنجليزية (يوم الشمس)^(٢)."

يقول د/ إسحاق عبيد: "لم يكن ليشير إلى يوم الأحد إلا على أنه يوم إله الشمس الذى لا يقهر الذى لم يكن فى الواقع سوى الإله مثر الفارسي"^(٣).

وهذا يعنى أن قسطنطين اختار هذا اليوم وهو (يوم الشمس) ثم أدخله المسيحيون فى دينهم واعتبروه يوم الرب عندهم - وهذا يدل على أنه كانت تجرى عملية المزج والتوفيق بين المسيحية والوثنية فى عهد قسطنطين على مرأى ومسمع.

وزاد الأمر سوءا أن عمل قسطنطين على صياغة أول قانون للإيمان المسيحى لأول مرة فى تأريخ الديانة - والذى لا يزال المسيحيون يؤمنون به إلى الآن - والذى جاء موافقا لاعتقاده الوثنى ... وتجلى فى هذا القانون سياسة قسطنطين التى انتهجها من أجل وحدة إمبراطوريته وهى محاولة التوفيق بين الآراء الوثنية والمسيحية.

وهكذا يمكن القول إن قسطنطين كان صاحب سياسة للمزج بين الوثنية والمسيحية، وكان - كما يقول شارل جنيبير عنه - ذا فكر تأليفى واسع الآفاق^(٤).

أثر قسطنطين فى المسيحية:

وعلى ذلك يمكن إجمال أثر قسطنطين فى المسيحية كما يلى:

(١) إن قسطنطين استطاع أن يأسر الكنيسة ويطوق أعناق المسيحيين بأنعمه، فلقد خفض لهم الجناح وأعطاهم الأمان ورد إليهم كرامتهم وحررتهم وعزتهم، وأفاض

(١) د/ سيد أحمد الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٢) تشارلز وورث: الإمبراطورية الرومانية ص ٢١٧.

(٣) د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية ص ٢٥.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٧٢.

عليهم بالخير والهبات حتى استطاع أن يطوعهم ملك يديه. وبدأ يتدخل فى شئون الكنيسة شيئا فشيئا ويظهر لهم حرصه عليهم حتى وصل إلى مرتبة مرموقة فى الكنيسة وهى: الرئيس المتصرف الذى يفصل بنفسه فى مسائل المسيحية الشائكة، ويدعو إلى المجامع، ويرأس جلساتها، ويدير حواراتها. ويتدخل فى قراراتها، ويصدق عليها بل ويتدخل فى تعيين الأساقفة وإعفائهم.

لذلك يقول كانتو: "كان باستطاعة قسطنطين أن يرسى التقاليد التى جعلت من حق الإمبراطور أن يقوم بحل مشكلات العقيدة وفقا لرأيه الخاص فى غالب الأحيان وذلك بأن يدعو إلى عقد المجامع الكنيسة ويرأسها ثم ينفذ قراراتها"^(١) ولم يمانع المسيحيون من هذا، بل وافقوا قسطنطين وعملوا على التقرب منه وأظهروا طواعيتهم له.

يقول جلانفيل دوانى: "وقد قبلت الكنيسة بغير تردد - امتنانا منها لتحرير الإمبراطور لها، ومساندته إياها - الدور الذى لعبه قسطنطين دون أن تفكر كثيرا فى احتمالات السيطرة الإمبراطورية عليها فى نهاية المطاف"^(٢)

(٢) لقد سلك قسطنطين مسلك رجل السياسة الذى يريد المحافظة على وحدة إمبراطوريته، فعمل على إرضاء الوثنيين والمسيحيين على السواء. فبرغم تعاطفه مع المسيحيين إلا أنه لم يتخل عن الوثنية ومنصبها (الكاهن الأعظم) حتى الموت، ولم يتعرض لها بسوء. ولقد دعاه هذا الأمر إلى العمل على المزج والتأليف بينهما، وظهر هذا واضحا فى قراراته وأفعائه. ولما سنحت له الفرصة بالتدخل فى المسيحية أصبح يقرر - أو يوافق - على العقائد التى يراها تقترب وتتلاءم مع الوثنية ولا تنفر منها.

ولذلك يقول القاضى عبد الجبار: "وأظهر قسطنطين تعظيم المسيح والصليب وأقام ديانات الروم على حالها كما كانت، فما أزال إلا عبادة الكواكب وما زاد إلا

(١) كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٨٥)

(٢) جلانفيل دوانى: أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير ص ٨٢.

تعظيم المسيح والقول بربوبيته، وتعظيم الصليب، ولم يكن هذا بالبعيد عن الروم لأن من اعتقد في الكواكب وهى جماد موات أنها أرباب وتنفع وتضر لم يبعد عنهم أن يقولوا ذلك فى إنسان حى عاقل مميز قد قيل لهم إنه يحى الموتى وأنه إله وأنه وأبوه وزوجته خلقوا الكواكب، وكان هذا سهلا على أهل المغرب، ألا ترى أن القبط ومن بمصر كانوا يعتقدون إلهية فرعون^(١).

فلقد اختار قسطنطين الذين ألخوا المسيح ليضعوا دستور الإيمان للمسيحيين وهو بهذا اختار من هم أقرب إلى وثنيته وذلك "لأن عبادة رجل بشرى أقرب إلى وثنية الرومان من عبادة الإله الواحد الذى لا يرى ولا تحده الجهات ولا تحيط به الأفكار"^(٢).

(٣) أنه هو الذى ابتدع عقد المجامع المسكونية، وهى التى كان لها أكبر الأثر على المسيحية فى تقرير العقائد والقوانين الإيمانية.

يقول جلانفيل دوانى: ويفتح عهد قسطنطين عصر المجالس الكنسية الكبرى، وهى التى تولت أمر التوجيه والإرشاد فى أثناء نمو العقيدة بعد تحرر الكنيسة^(٣).

" فلقد عمد الإمبراطور من أجل تسوية الخلافات بين المسيحيين إلى استخدام نفوذه لعقد مجمع نيقية، ومنذ ذلك الحين أصبحت الكنيسة تتبع وسائل كهذه فى حل الخلافات"^(٤).. فلقد دعا قسطنطين إلى عقد المجمع المسكونى الأول وترأسه وتصرف كرئيس له السيادة والتصرف فى اختيار ما يقره من قرارات وقوانين.

لذلك يقول المؤرخ المسيحى أندروملر: لأن قسطنطين الذى تبوأ أريكة عرش العالم اعتبر نفسه الرئيس المطلق الوحيد المتصرف فى شئون الكنيسة، فاستخدم ما

(١) القاضى عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة (١ / ١٦٢)

(٢) د/ محمد اللافى شرعان: موقف القرآن الكريم والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح ص ٦٦ (رسالة دكتوراه).

(٣) جلانفيل دوانى: إنطاكية القديمة ص ١٨٨.

(٤) برتراند رسل: حكمة الغرب (١ / ٢٤٤).

لديه من سلطان ونفوذ وحدد وعرف ما أقره من التعاليم الدينية غاضا النظر عن كلمة الله^(١).

وعليه فإن هذا المجمع المسكوني لم تنتصر فيه المسيحية، بل انتصرت فيه الإرادة الإمبراطورية، فلقد اتخذ قسطنطين صفة عالم اللاهوت واختار الفئة التي تؤمن بألوهية المسيح ووضع لهم مجلسا خاصا وأغراهم بالسلطة حتى يصدقوا جميعا على هذا القرار ويجعلوه هو القانون الدينى العام لهم.

يقول الشيخ أبو زهرة: "ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل فى تكوين رأى الذين رأوا ألوهية المسيح، فلقد روى أن أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر لم يكونوا مجمعين على القول بألوهية المسيح، ولكن تحت سلطان الإغراء بالسلطة الذى قام به قسطنطين بدفعه إليهم شارة ملكه ليتحكموا فى المملكة أجمعوا، فقد دفعهم حب السلطان إلى أن يوافقوا هوى قسطنطين الذى ظهر فى عقده مجلسا خاصا بهم دون الباقيين لاعتقاده إمكان إغرائهم، فأمضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان التهيب أو الترغيب، أو هما معا، وبذلك قرروا ألوهية المسيح وقسروا الناس عليه بقوة السيف ورهبة الحكام^(٢)، والأكثر من ذلك أنه تدخل وأشار عليهم بوضع ما يؤكد ألوهية المسيح فأشار عليهم بوضع كلمة (مساو فى الجوهر).

(٤) إن قسطنطين فرض عقيدة المجمع النيقوى فرضا يؤيدها سلطانه، رغم مخالفتها لما يؤمن به الكثيرون من الأساقفة وعامة الشعب فى فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر والتي كان فيها أشياخ أقوياء لأريوس^(٣) ونحبرنا المؤرخ المسيحي (سوزمين)^(٤) - فى كتابه التاريخ الكنسى - أن الإمبراطور قد تهدد بالعقاب والنفى

(١) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٧).

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٢.

(٣) حقيقة التبشير ص ٦٧.

(٤) كان رجلا فلسطينيا اعتنق الدين المسيحي وكتب ٤٧٥ كتابا فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية عاش فى القرن الخامس الميلادى راجع حياته فى قصة الحضارة (مج ٤ ج ١ ص ٢٥٢).

كل من يخالف رأى المجمع"^(١). ويقول د/ أسد رستم: "وأيد قسطنطين هذه القرارات وأمر بوجوب تنفيذها والخضوع لها ونفى من الأساقفة كل من امتنع عن الموافقة عليها"^(٢).

وهكذا يمكن القول إن لقسطنطين أثرا كبيرا فى المسيحية فهو الذى عمل على تقرير ألوهية المسيح وجعلها هى العقيدة السائدة.

يقول ولز: "والجلى الذى لا خفاء فيه أن قدرا كبيرا من تاريخ المسيحية فى ذلك العصر يشف عن روح قسطنطين بقدر ما يشف عن روح يسوع إن لم يزد"^(٣).

ويقول فشر: "ولو كان قسطنطين أبى أن يعترف بالديانة المسيحية ضمن الديانات المسموح بها فى الدولة أو لو أنه لم يعقد مجمع نيقية الذى حدد مذهب ألوهية المسيح... لتغير مجرى التاريخ كله تغيرا تاما"^(٤).

بقيت لنا كلمة أخيرة وهى أن هناك اتصالا بين دور بولس فى المسيحية ودور قسطنطين، فبولس هو الذى أدخل هذه العقائد فى المسيحية، وكان يمكن لها أن تموت - أو أن يكون مصيرها كالأريوسية وغيرها - لولا أن قسطنطين هو الذى أعطاها الصفة الغالبة وجعلها هى الديانة المسيحية وهى القانون الدينى للمؤمنين بالمسيحية وما عداها هو الهرطقة.

(١) نقلا عن الدولة والكنيسة (٢ / ١٨٧).

(٢) د/ أسد رستم: الروم فى سياستهم ص ٥٩.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧٢١).

(٤) فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى ص ٢.

الفصل الخامس

الجامع المسيحية وأثرها في تقرير العقائد الكنسية

المقصود بالمجامع

المجامع فى المسيحية - كما يقول علماءهم^(١) - هيئات شورى فى الكنيسة المسيحية رسم الرسل - أى رسل الكنيسة - نظامها فى حياتهم حيث عقدوا المجمع الأول بأورشليم عام ٥١ - ٥٢ م للنظر فى مسألة الختان^(٢)

وكما يتبين من هذا التعريف فإن المسيح عليه السلام لم ينشئ هذا النظام ولم يشر إليه ولم يدع إلى تأسيسه، وإنما الذى رسمه وشرعه الذين جاءوا بعد المسيح عليه السلام، وهذا يعنى أن المسيحيين لم يستندوا إلى نص صحيح من قول أو فعل فى تأسيس هذا النظام.

والأمر الذى لا شك فيه أن المسيح عليه السلام لم يدع إلى شريعة جديدة ولم يؤسس نظاماً جديداً، بل سار على النسق الذى رسمه الله لموسى عليه السلام، وحكم بشريعته وناموسه، ولم يؤمر المسيح عليه السلام أن يغير شيئاً من شريعة موسى ومنهاجه - إلا ما أشار إليه القرآن الكريم^(٣) وهذا يعنى أن شريعة موسى هى الشريعة التى كان على أصحاب المسيح وتابعيه اتباعها والعمل بها، ولكن هذا لم يحدث، وبدأ التغيير مبكراً بسبب هذه المجامع.

فحينما أراد المسيحيون الجدد بعد المسيح عليه السلام - وعلى رأسهم بولس - أن يغيروا نظام الديانة ويلغوا التعامل بشريعة اليهود، أقاموا مجمع أورشليم المشار إليه

(١) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٢).

(٢) ولقد قرر المجمع قبول الأعميين (غير اليهود) فى المسيحية وإعفاءهم من الاختتان. وذلك بعد أن يقلعوا عن أربعة أمور هى: ١. أكل ما ذبح للأوثان ٢. الزنا ٣. المخنوق ٤. الدم. راجع قرارات هذا المجمع فى الإصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال.

(٣) فى قوله تعالى (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) سورة آل عمران آية: ٥٠.

سابقاً، ليحكم لهم بما أرادوا وليعطوا حكمه الصفة المقدسة ولتأخذ المجامع الصفة التشريعية بدلاً من التوراة، ولتشرع لهم ما أرادوا وما رأوه ملائماً لهم ولأهوائهم، وهذا يعنى أن هذه المجامع أنشئت لتشرع وتبدل وتنظم ما تراه - أو ما يراه القوم - ولذلك وجدنا بعد ذلك أن قوانين الإيمان وقواعد الديانة المسيحية إنما أساسها تشريع مجمع أو قرارات لمجمع.

والواقع أن مجمع أورشليم هذا كان يناقش قضية من قضايا التشريع - وهى قبول غير اليهود فى الديانة، وهل عليهم أن يلتزموا بشريعة اليهود؟ أما المجامع المسكونية التى ابتدعها قسطنطين وأعطاهها الصفة المقدسة فقد كانت مناقشاتها تدور حول صيغة الإيمان وحقيقته، والقانون الإيماني الذى يجب على المسيحي اتباعه والاعتقاد به، هذا إلى جانب تقريرها للنظم الكنسية التى انتهجها القوم، وهذا يدل على أن المجامع فى عهد قسطنطين تخطت مرحلة جديدة من مراحل تغيير الديانة وتحريفها، وهى صياغة قانون الإيمان ووضع أسس العقيدة، ولقد كان لقسطنطين الفضل فى إضفاء الإلزام لهذه المجامع، فقد أمر بتنفيذها وإلزام المسيحيين بقوانين الإيمان التى أصدرها المجمع الأول، وتوعد بالعقاب من يخالف هذه القوانين أو يخرج عليها، بل تعدى هذا الأمر إلى الفعل، فقد أمر بحرق كل المتعلقات الخاصة بالمعتقدات المخالفة لقانون المجمع الإيماني الذى قرره مجمع نيقية.

ونحب أن ننبه إلى أمر مهم وهو أن هذه المجامع تختلف كلياً وجزئياً عن مجامع اليهود التى جاء ذكرها فى الكتاب المقدس والتى كان يدخلها المسيح عيه السلام لدعوة اليهود إلى رسالته^(١)، ذلك أن مجامع اليهود أنشئت لتكون مكاناً للعبادة ولإقامة الشعائر ولقراءة التوراة وتعليمها.

وكان سبب نشأتها^(٢) أن اليهود حين كانوا مسبيين فى بابل تعذر عليهم إقامة شعائر عبادتهم فى هيكل أورشليم، ومن ثم خصصوا أماكن معينة للصلاة حيث

(١) متى ٤: ٢٢/١٢: ٩، لوقا ٤: ١٦-١٨.

(٢) ولقد زعم البعض أن المجمع نظم موسى وذلك حين قال الرب لموسى اجمع لى سبعين رجلاً من شيوخ الشعب وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وأأخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك (عدد ١١ : ١٦ - ١٧) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٠.

كانوا يقرءون أسفارهم المقدسة، ومن ثم أقاموا فى كل مدينة بناء لهذا الغرض وأطلقوا عليه اسم المجمع^(١).

يقول جون لوريمر: "وقد ظهر المجمع متأخراً فى حياة الأمة اليهودية كضرورة حتمتها ظروف السبى، فعندما وجد اليهود أنفسهم بعيدين عن أورشليم حيث الهيكل مركز عبادتهم استبدلوه بهذا المجمع يقيمون فيه أينما كانوا سواء فى السبى أو الشتات العبادة وتعاليم الناموس"^(٢).

فمجامع اليهود عبارة عن أبنية للعبادة وإقامة الشعائر، أما المجامع المسيحية فهى هيئات شورية لتقرير العقائد والشرائع ونظم الدين^(٣).... والمسيحيون أنفسهم لا يقولون إن مجامعهم تشبه مجامع اليهود ولم يقل أحد منهم إن مجامعهم امتداد للمجامع اليهود، على أن التعريف المسيحى للمجامع يدل دلالة واضحة على أن المجامع المسيحية تختلف كلياً وجزئياً عن المجامع اليهودية، وإلا لما جاء فى التعريف (رسم الرسل نظامها) فالذى رسم نظام المجامع المسيحية هم الأتباع الذين جاءوا بعد المسيح عليه السلام.

أنواع المجامع

والمجامع - فى عرف المسيحيين - نوعان:

أولاً: مجامع مسكونية^(٤): وهى التى كان يشهدها أساقفة وقسوس وشمامسة الكنائس من سائر أنحاء المسكونة^(٥)

والسبب الأساسى لعقدتها - كما يرى المسيحيون - هو ظهور آراء دينية غريبة رثى من الضرورى فحصها فى هذه المجامع، وإصدار قرارات فى شأنها وشأن

(١) زكى شودة: المجتمع اليهودى ص ٢٥٦.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٣٣).

(٣) عن الفروق بين المجامع اليهودية والمجامع المسيحية. راجع د/ محمد الشثوى: المجامع المسيحية وأثرها فى مذاهب الكنيسة ص ٨٩، ٩٠ (رسالة دكتوراه).

(٤) نقول ايريس حبيب المصرى: إن مسكونى نسبة إلى مسكونة أى العالم وقد أطلقت هذه التسمية على المجامع التى ضمت بين أعضائها أساقفة من مختلف بلاد المسكونة. (قصة الكنيسة القبطية (١ / ١٦٧).

(٥) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٢).

مبتدعها^(١)... وهذا يعنى أن عمل هذه المجامع هو فحص المسائل المتعلقة بالإيمان ، وإصدار القرارات والقوانين الخاصة بالعقائد الإيمانية^(٢).

وقد ذكر لنا - كيرلس الأنطوني - شروط المجمع المسكونى فقال: ينبغى أن تتوافر فى المجمع العامة أو المسكونية بضعة شروط نوجزها فيما يلى:

- ١- أن تنعقد بسبب دعوى أو انشقاق.
- ٢- أن تنعقد بسبب دعوة من الإمبراطور.
- ٣- أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة شرقاً وغرباً لتمثل فيها المسكونة
- ٤- أن تقرر شيئاً لم يكن مقرراً من قبل.

وفى ضوء هذه الشروط نجد أن المجامع التى عقدت فى الثلاثة قرون الميلادية الأولى لا تسمى مجامع مسكونية ، بل تعتبر مجامع مكانية^(٣).

"ومنذ القرن الرابع أخذت المشاكل الخاصة بالتنظيم الكنسى والعقيدة تناقش عن طريق الاجتماعات الكنسية التى يتمثل أعلاها فى المجمع المسكونية ، وكان أول هذه المجمع هو ذلك الذى دعا إليه قسطنطين وعقد فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥م وكانت الدعوة توجه إلى كل الأساقفة - أو من ينوبون عنهم!!! إذا لم يتيسر حضورهم شخصياً - وتصبح مناقشات هذه المجمع ملزمة للكنيسة كلها وتتم هذه الإجراءات جميعها تحت الرعاية الإمبراطورية"^(٤).

ويتبين لنا من هذه الشروط أن المجمع المسكونية أعطيت لها سلطة تقرير ما لم يكن مقرراً من قبل ، وذلك فى الأمور الدينية والعقدية ، وكان يساند هذه القرارات الأباطرة الذين كانوا يدعون إليها - وهو شرط من شروط المجمع المسكونى - ويرأسون جلساتها ، ويصدقون على قراراتها ، ويعملون على تنفيذها ، وهذا يعنى

(١) المرجع السابق نفس الصفحة ، راجع أيضاً: تاريخ الأقباط (١ / ١٦٨ ، ١٦٩).

(٢) القمص كيرلس الأنطوني: عصر المجمع ص ٢١.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠.

(٤) هسى: العالم البيزنطى ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

أن هذه المجامع قد خضعت لأهواء السلطات الحاكمة يدعون ويقررون ما يرونه في صالحهم وصالح سياستهم.

يقول كرسطوفر دوس: "كان الجهاز الأساسى فى السياسة الدينية التى سار عليها قسطنطين وأخلافه هو المجمع الدينى العام - المسكونى - ، ولم يكن ذلك المجمع منظمة دينية صرفة.. بل يدين بوجوده للسلطة الإمبراطورية ، لأن الإمبراطور احتفظ لنفسه بحق الدعوة لذلك المجمع العام ، وهو الذى يقرر بنفسه جدول المسائل التى يناقشها المجمع ويصادق على قراراته بالموافقة"^(١).

ولما كانت هذه المجامع لها أكبر الأثر فى تقرير عقائد المسيحية فإننا سنتناول بعضاً منها ، وخاصة المجامع الأربعة الأولى ، لأنها هى التى قررت القوانين الإيمانية والعقائد الدينية التى يؤمن بها جميع المسيحيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ، فهى - كما يقول الشيخ أبو زهرة - " التى حدث للأخلاف حدود العقيدة المسيحية فى نظر مقربها ، وهى التى رسمت الموح والتقاليد الكنيسة القائمة فى الكنائس ، أو بعضها الكثير إلى الآن ، وهى التى فلتحت الأرض ، لتبذر بذور هذه المسيحية التى سادت أفكار المسيحيين فى الأجيال من بعد "^(٢)... هذا إلى جانب أن المجامع الثلاثة الأولى يتفق عليها جميع الطوائف المسيحية.

ثانياً: مجامع مكانية:

وهى - كما يعرفها المسيحيون - التى كانت ولا تزال الكنائس تعقدها فى دوائرها الخاصة من أساقفتها وقسوسها إما لإقرار أو لرفض عقائد عامة ، أو للنظر فى بعض الشئون المحلية الخالصة"^(٣) ، وكما هو واضح من هذا التعريف فإن هذه المجامع لا تقرر عقائد جديدة.

وطبيعة هذه الدراسة تقتضى عدم ذكر هذا النوع من المجامع سواء بالتفصيل أو بالإجمال وذلك لعدم أهميتها ولكثرتها ، هذا إلى جانب أن تأثيرها محدود فهى

(١) كرسطوفر دوس: تكوين أوروبا ص ٤٥.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٤٥.

(٣) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٢) .

خاصة بالمكان والإقليم الذى عقد فيه المجمع، أما بالنسبة للمجامع المسكونية فالأمر مختلف تماما فهى التى تقرر وتحدد وعلى الجميع الالتزام والخضوع لقراراتها وقوانينها.

وليس هدف هذه الدراسة تعداد المجامع المسكونية بالتفصيل، وإنما المقصود بيان أثر هذه المجامع فى المسيحية، لذلك سنكتفى بذكر أهم هذه المجامع وخاصة المجامع الأولى منها، وذلك لأنها المختصة بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة التى ينبغى أن تلتزم بها كل الطوائف والكنائس^(١).

أهم المجامع المسكونية

المجمع المسكونى الأول: مجمع نيقية سنة ٣٢٥م:

السبب فى انعقاد هذا المجمع: يعتبر هذا المجمع أول المجامع المسكونية فى تاريخ الكنيسة وأهمها، ولقد كان لاختلاف المسيحيين فى شخص المسيح وهويته السبب الأول فى انعقاد هذا المجمع.

لقد عاش المسيحيون فى القرون الثلاثة الأولى فترة من أصعب الفترات، حيث أذاقهم اليهود ثم الرومان أشنع أنواع التعذيب والاضطهاد، واستمر هذا الاضطهاد حتى عصر قسطنطين الذى منح المسيحيين الحرية والاطمئنان، ولكنهم فى الحقيقة لم ينعموا بالراحة والسعادة، ذلك أنهم حين استراحوا من نير الاضطهاد وشعروا بالاطمئنان جهر كل واحد بمسيحيته وباعتقاده فى المسيح، وعندئذ فوجئوا بما هو أشد عليهم مما كانوا فيه، فلقد وجد المسيحيون أن بينهم من الخلاف ما لا يمكن وجوده فى دين واحد.

يقول ول ديورانت: "إن اتباع المسيح قد انقسموا فى الثلاثة القرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة"^(٢)

"وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقته؟ أم له بالله صلة خاصة

(١) د/ رؤوف شلى: أضواء على المسيحية ص ٩٥.

(٢) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٩١).

أكبر من رسول فهو من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق الله، ومن قائل إنه ابن الله له صفة القدم كما لله تلك الصفة، وهكذا تبانت نخلهم واختلفت وكل يزعم أن نخلته هي الصحيحة^(١).

"ولقد كانت تلك الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات لأنهم شغلوا بدفع الأذى ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث، وكانوا يستسرون بدينهم ولا يظهرونه، ويخفون عقائدهم ولا يعلنونها، حتى إذا رزقوا الأمان ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكامنة وإذا هم لم يكونوا متفقين إلا في التعلق باسم المسيح والاستمسك بالانتساب إليه من غير أن يتفقوا في حقيقته"^(٢).

يقول د/ بركات دويدار: "لقد عاش القوم وسط الاضطهادات فكانت التعاليم سرية ولا يستطيع إنسان أن يتأكد مما يسمع"^(٣)، لذلك نجد أنهم لما رفع عنهم هذا البلاء، وجهر كل إنسان بعقيدته، وجدوا أن بينهم من الخلافات ما لا يقل عن الخلاف الموجود بين دين ودين"^(٤).

وكان من نوع هذا الخلاف: اختلاف بين أريوس وبطريك الإسكندرية، وكان يدور حول العلاقة بين الآب والابن، ولقد استفحل أمر هذا الاختلاف، واشتد الجدل في هذه المسألة حتى انتشر في الآفاق، وأصبح الجدل والخوض في المسائل اللاهوتية أمراً مباحاً وموضوعاً مفتوحاً أمام الجميع.

وقد وصل إلى مسامع الإمبراطور أمر هذا الخلاف القائم بين أريوس وبطريك الإسكندرية، وكان الإمبراطور قسطنطين يخشى من انقسام الناس الأمر الذي يؤدي إلى تفكك الإمبراطورية. لذلك دعا إلى عقد مجمع مسكوني ليفصل في هذا النزاع ويجمع الناس على مذهب واحد ورأى واحد وعقيدة واحدة، وحدد له مدينة نيقية لتكون مكاناً لهذا الاجتماع ولذلك سمي مجمع نيقية.

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٤٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧.

(٣) الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٢.

(٤) الوحدانية ص ١٤٧.

ويمكن إذن أن نحدد السبب في إنعقاد المجمع هكذا: أن هناك سببا عاما لهذا المجمع وهو الاختلاف بين المسيحيين في شخص المسيح، وسببا آخر خاصا وهو ينحصر في المشكلة الرئيسة وهي الخلاف بين أريوس وبطريرك الإسكندرية حول حقيقة المسيح والعلاقة بينه وبين الآب.

ويجدر بنا قبل أن ندخل في تفاصيل هذا المجمع أن نشرح وجهة نظر أريوس، ونوضح مذهبه وعقيدته .

أريوس وعقيدته:

ولد أريوس في لبيبة القيروان بإفريقيا سنة ٢٧٠م، وتوفي عام ٣٣٦م والتحق في شبابه بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية (٣٠٠ - ٣١٢م) شماسا سنة ٣٠٧م ثم قسا وواعظا، وكان ذكيا فصيحاً له إلمام بعلوم كثيرة^(١).

وفي عام ٣١١م حرّمه البابا بطرس (بطريرك الإسكندرية) نتيجة اعتراضه على سياسة الكنيسة إزاء الأساقفة، ولما مات بطرس خلفه (أشيلاس) على الأسقفية الذي لم يستمر في منصبه سوى ستة أشهر^(٢)، وتمكن أريوس من الحصول على الغفران وأعيد في عام ٣١٣م إلى وظيفته الكنسية التي كان عليها قبلاً، ثم رقى إلى مرتبة القسيس لما لمسه فيه الأسقف السكندري من فطنة ومقدرة^(٣).

ولما تصدى أريوس إلى بطريرك الإسكندرية الكسندر الذي كان يعلم بمساواة المسيح الابن للإله الآب^(٤)، حكم عليه هذا البطريرك ومعه بعض الأساقفة بالحرمان واللعن...

أما تعاليم أريوس وعقيدته في الألوهية فهي " أن الله واحد فرد غير مولود لا يشاركه شئ في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شئ بإرادة الله ومشيتته"^(٥).

(١) تاريخ الأقباط (١ / ١٥٠).

(٢) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٠.

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٥٨).

(٤) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٩.

(٥) لويس غردي، وقتواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٨٧).

أما عقيدته فى المسيح فهمى كما يلى :

(١) ابتدأت الكلمة تكون، إذن فهمى ليست أزلية، وإلا لوجب علينا أن نقول إن فى الله مبدئين، والابن لم يكن ابنا حقاً، إذن لا يمكن أن نقول إن الابن هو الله.
(٢) لم يولد الابن من جوهر الآب، إذ لو سلمنا بذلك لقسمنا جوهر اللاهوت ونحيلنا اللاهوت ذا شكل حسى كالذى نشاهده فى البشرية. إن الابن خرج من العدم بإرادة الرب وهو خليفة. وإنما أولى الخلائق، ولهذا السبب سُمى (الابن البكر).

(٣) الابن فى جوهره لا يزيد عن كونه خليفة. إلا أنه يمتاز عن سائر الخلائق بعدة ميزات كالدرجة أو المركز، إذ بعد الله هو صاحب المركز الأكبر، إن الله خلق كل شئ حتى الزمن، لشدة ابتعاده عن الدنيا خلق الكلمة وجعل منه الوسيط الذى يؤثر به على المخلوقات ويتصل بها، ويجب أن نفهم أن بين الله والكلمة فرق عظيم لا حد له، أما بين الكلمة والخليفة فالفرق معنوى فقط.

(٤) إذا كان رغباً عن هذا الفارق العظيم أطلق على الابن لقب إله، فما ذلك إلا منحة يرجع الفضل فيها إلى الآب الذى شاء أن يتبناه، على كل هى تسمية خطأ.

(٥) إن إرادة الابن مخلوقة وهى قابلة للتغيير وفى استطاعتها أن تفعل الخير والشر هى إذن لا تركز على أى إثبات، أما مجد الكلمة فهو ثمرة قداسة حياته التى عرفها الله منذ البدء، ومعلوم أن كل شئ مكشوف أمامه، حاضِر وماضٍ ومستقبل^(١).

وهكذا نجد أن تعاليم أريوس فى المسيح تقوم على أنه - المسيح - ليس مساوياً لله فى الأزلية وفى الجوهر، بل هو إنسان مخلوق تتغير طبيعته مثل أى مخلوق، وهو كأى مخلوق قادر على عمل الخير والشر^(٢).

(١) الأنبا الكسندرس اسكندر : تاريخ الكنيسة القبطية (١ / ٧٥ ، ٦٧).

(٢) تاريخ الأقباط (١ / ١٥٠ ، ١٥١).

وعلى ذلك فمذهب أريوس يقوم فى أساسه على إنكار ألوهية المسيح وتصوره إنساناً محضاً مهما كان عظيماً^(١)... وهو بهذه العقيدة قام فى وجه كنيسة الإسكندرية التى كانت تنادى بمساواة الابن للآب فى الجوهر والأزلية - أى أنها كانت تنادى بألوهية المسيح - ولما لم يستطيعوا إسكاته حرموه من الكنيسة وأبعدوه.

يقول الشيخ أبو زهرة: "وقد أراد بطريرك الإسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة فلم يعمد إلى المناقشة والجدل حتى يتسع الخرق على الراقع، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس، ولكنه عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة"^(٢).

ولكنهم لم يستطيعوا إسكاته ولا القضاء عليه وعلى تعاليمه، ولذلك علموا هذه المرة على عقد مجامع محلية للعنه وطرده، فعقدوا مجمعا عام ٣١٩م فى الإسكندرية وآخر مثله فى عام ٣٢١م وذلك لهذا الغرض^(٣)...

ولكن هذه المجامع لم تنهه عن دعوته، فقد كان له أنصار كثيرون وكانت أفكاره منتشرة بدرجة كبيرة لا يمكن أن تردها مثل هذه المجامع المحلية أو غيرها، إلا إذا تدخلت قوة السلطان.

انتشار مذهب أريوس:

الواقع أن عقيدة أريوس ليست من إنشائه ولا من تأليفه، بل إنها كانت معروفة ومذكورة ومشهورة قبله كما يقول المسيحيون أنفسهم.

ففى رسالة (الكسندر) بطريرك الإسكندرية - الذى كان يحاربه أريوس - إلى عموم الأساقفة يشكو لهم أريوس ومن معه يقول فيها: "إن هؤلاء الأفراد فى سعيهم الدائب بكل مغالطاتهم لإنكار ألوهية الكلمة قد زكوا موقف من سبقوهم"^(٤)، فلقد أخذ أريوس عقيدته هذه ممن سبقه من أولئك الذين ظلوا على

(١) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٨٧).

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٤٨.

(٣) عن هذين المجمعين راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٢.

(٤) الدولة والكنيسة (٢ / ١٦١، ١٦٢).

ذكر برسالة وتعاليم المسيح عليه السلام. وإن كانت عوامل الزمن قد أحدثت في هذه التعاليم بعض التغييرات والتعبيرات التي لا يمكن أن تكون من تعاليم المسيح عليه السلام.

وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذي اتخذته (الكسندر) بطريرك الإسكندرية تجاه أريوس إلا أن مذهبه كان له مشايعون كثيرون حتى في الإسكندرية نفسها، ونقف على ذلك من رسالة (الكسندر) إلى الأساقفة حيث يذكر أن من ارتدوا عن الدين القويم - في نظره - من الأساقفة وتابعوا أريوس هم: أشيلاس الكاهن، وإيثالس، وكاربونس. وآخر يدعى أريوس. وسارماتس. ومن الشماسة: يوزيوس، ولوقا، ويوليوس. وميناس، وهيلاديوس. وجايوس^(١). هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المثقفين قد اتخذ جانب أريوس ورفاقه إيماناً منهم أن عقيدتهم حق^(٢)... ولقد كانت عقيدة أريوس منتشرة أيضاً في معظم الولايات الشرقية للإمبراطورية الرومانية.

فمن رسالة أريوس إلى صديقه أسقف نيقوميديا نعلم مدى انتشار الآراء الأريوسية في الولايات الشرقية للإمبراطورية، فقد جاء فيها ذكر الأساقفة الذين شايعوا الأريوسية وهم يوسابيوس أسقف قيسارية، وثيودوتوس أسقف اللاذقية، وباولينوس أسقف صور. واثناسيوس أسقف عين زربة - أهم مدن كيليكيا - وجريجورى أسقف بيروت.

ثم يضيف أريوس قائلاً: "وكل أساقفة الشرق عدا ثلاثة هم فيلوجون أسقف إنطاكية، وهيلانكوس أسقف طرابلس، ومكاريوس أسقف أورشليم^(٣)" هذا إلى جانب انتشارها بين بعض أساقفة فلسطين^(٤).

وعلى هذا النحو بدا للجميع أن كنيسة الإسكندرية تقف في جانب. وفي الآخر معظم كنائس الشرق الروماني. ولاقت عقيدة أريوس على النحو الذي رأيناه

(١) الدولة والكنيسة (٢ / ١٦٤).

(٢) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٥.

(٤) المرجع السابق ص ١٦٧.

رواجا كبيرا فى الدوائر الكنسية فى فلسطين، وسوريا، وآسيا الصغرى، وزاد من قوة أريوس انضمام أساقفة من ذوى الشهرة والمكانة إلى صفه، شأن يوسابيوس النيقوميدى، وباولينوس أسقف صور، ويوسابيوس أسقف قيسارية، وغيرهم كثير^(١).

وهكذا وضع أن عقيدة أريوس كانت منتشرة بدرجة كبيرة فى معظم الولايات التى كانت تدين بالمسيحية، وكان يدين بها الكثير من المثقفين، لذلك أحست كنيسة الإسكندرية بالخطر، فأخذت تحارب هذه العقيدة وتحاول القضاء عليها نهائيا، واشتد الجدل والمناقشة بين أريوس وأتباعه وبين المؤيدين لبطريك الإسكندرية حتى انتشرت حمى هذا الجدل بين المسيحيين جميعا.

يقول القس منسى يوحنا: "وتمكن أريوس بدهائه وفصاحته أن يجذب إليه بعض الأنصار، فكانوا يجادلون المؤمنين فى شوارع الكنيسة ويصرخ الواحد منهم فى وجه الآخر قائلا: "يا هرطوقى من الأكبر؟ الوالد أم المولود!!" وآخر يقول: "هل من المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته"^(٢).

ولقد اتسعت هوة الخلاف بين الفريقين ووصل أمر هذا الانقسام إلى الإمبراطور قسطنطين الذى عمل فى بداية الأمر على التوفيق بينهما من خلال رسالة أرسلها إليهما، ولكن النزاع كان أكبر من أن يفرضه رسالة أو وساطة، لذلك عزم الإمبراطور على عقد مجمع نيقية ليحسم هذه المشكلة.

اجتماع الأساقفة فى نيقية لبحث مشكلة النزاع:

دعا قسطنطين الأساقفة إلى الحضور إلى نيقية لبحث الخلاف بين أريوس وبطريك الإسكندرية، ولقد وصل إلى مكان الاجتماع كما يقول ابن البطريق "ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة"^(٣).

(١) المرجع السابق ص ١٦٨.

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٩.

(٣) سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٢٦) ولقد ذكر إدوار جيون أيضا أن عدد المجتمعين ألفان وثمانية وأربعون (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ١ / ٦٠٨) أما زكى شنودة: فقد ذكر أن مجموع الحاضرين كانوا نحو الألفين (تاريخ الأقباط ١ / ١٥٣).

ثم يصف حال هؤلاء المجتمعين واختلافهم فيقول: "كانوا مختلفين في الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم البربرانية ويسمون المريميين، ومنهم من كان يقول إن المسيح الآب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها وهى مقالة سابليوس وشيعته، ومنهم من كان يقول لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإنما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب، لأن الكلمة دخلت فى أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهى مقالة إبليان وأشياعه.

ومنهم من كان يقول إن المسيح خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، ولأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الأنسى صحبته النعمة الإلهية وحلت فيه بالمحبة والمشينة ولذلك سمي ابن الله. ويقولون: إن الله جوهر واحد وأفنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهى مقالة بولس السمساطى بطريرك إنطاكية وأشياعه وهم البوليقيانيون.

ومنهم من يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح، وطاخ، وعدل بينهما، وهى مقالة مرقيون وأصحابه، وزعموا أن مرقيون هو رئيس الخواريين وأنكروا بطرس. ومنهم من كان يقول بتأليه المسيح وهى مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثانة والثمانية عشر أسقفا^(١).

وهكذا كان الاختلاف العقائدى بين الحاضرين كبيرا..

يقول يعقوب نخلة^(٢) كل فئة تلعن الأخرى وتحرمها، وتزيف معتقدها ومذهبها.

كل يؤيد دينه يا ليت شعرى ما الصحيح^(٣).

ولقد رأس قسطنطين هذا المجمع وألقى خطبة الافتتاح وسمح للحاضرين بالمناقشة والحوار، وأمرهم بإيجاد حل للنزاع القائم بين أريوس وبطريرك الإسكندرية (الكسندر) الذى حضر ومعه شماسه (إثناسيوس)...

(١) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٢٦).

(٢) يعقوب نخلة : تاريخ الأمة القبطية ص ٢٧.

وبدأت المناقشات حول العلاقة بين الآب والابن، وهل هما متساويان في الجوهر أم أن الابن غير الآب؟

ودارت المناقشة بين أريوس وإثناسيوس، وشرح كل منهما مذهبه، وحدثت انقسامات ومناقشات حامية، مما اضطر قسطنطين أن ينهى هذا النزاع بميله إلى الفئة المؤيدة لكنيسة الإسكندرية - والتي كانت تنادى بالوهية المسيح ومساواته للآب في الجوهر والأزلية - وكان عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا فوضع لهم مجلسا خاصا بهم، وجلس في وسطهم، وأوعز لهم بعدم الاختلاف وأعطاهم كافة السلطات لوضع صيغة إيمانية، وقال لهم "إن لكم هذا اليوم سلطان الكهنوت والمملكة لتحلوا وتربطوا، فمن أردتم نفيه أو إبقاءه فلكم ذلك" (١)،

فما كان منهم إلا أن ردوا قائلين له: "أظهر دين النصرانية وذبح عنه" (٢)، والنصرانية - في نظرهم - هي ما سيضعونه من قوانين وشرائع، فكأنهم يريدون الاطمئنان على نشر ما يعتقدونه والدفاع عنه بواسطة السلطات الحاكمة.

نتائج هذا المجمع:

(١) وضع قانون الإيمان:

لقد قام الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا - الذين أخلى قسطنطين لهم دارا، ووضعهم في مجلس خاص بهم - بوضع دستور الإيمان الذي يتضمن العقائد التي يجب الإيمان بها لمن ينتسب للمسيحية، وهذا الدستور هو الذي تؤمن به جميع الكنائس إلى الآن، وذلك بعد إضافة بعض الفقرات في المجامع التالية، ويسمى هذا الدستور أو القانون (الأمانة).

أما نص هذا القانون فهو كما يلي: "نؤمن بإله واحد ضابط الكل، ما يرى وما لا يرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر الذي به كل شيء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من

(١) كتاب السنكسار (١ / ١٢٣).

(٢) التاريخ المجموع على التحقق (١ / ١٢٧).

السماء وتحمّد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطي، وتألّم وقبر. وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضاً يأتي ليدين الأحياء والأموات الذي ليس للملكة انقضاء^(١).

(٢) أما بالنسبة لأريوس الذي انعقد من أجله المجمع فقد أصدر المجمع قراراتين بشأنه:

أ. أقر المجمع بحرم أريوس وتحريم بدعته ونفيه.

ب. حرق كتب أريوس ومنعها عن الناس، وقرر عقوبة الخيانة العظمى على كل من توجد معه تلك الكتابات^(٢).

(٣) ثم قرر المجمع أيضاً حرمان كل من يقول بآراء أريوس أو يخرج في عقائده وآرائه عن آراء هذا المجمع. ولذلك جاء ضمن قرارات المجمع ما يلي: "إن جميع الذين يقولون عن الابن إنه جاء عليه حين من الدهر لم يكن موجوداً، أو أنه لم يكن له أثر في الوجود قبل أن يولد، أو أنه ولد من العدم. أو أنه من غير جوهر الآب، أو أنه مخلوق وعرضة للتحوّل والتبدل، فالكنيسة الجامعة الرسولية تعلن وقوعهم تحت طائلة الحرم"^(٣).

(٤) ثم فصل المجمع بعد ذلك في بعض مشاكل المسيحيين، ووضع عشرين قانوناً تتضمن بعض النظم الكنسية والأحكام الخاصة برجال الإكليروس^(٤).

هذا وقد أيد قسطنطين قرارات هذا المجمع وأمر بوجوب تنفيذها والخضوع لها وتوعد كل من يخرج عليها بالنفي أو الحرمان.

تعقيب على هذا المجمع:

يلاحظ في هذا المجمع أن قسطنطين استخدم نفوذه وسلطته للوصول بالمجمع إلى ما وصل إليه من قرارات وقوانين، فلقد دعا قسطنطين الأساقفة للحضور في نيقية ووصل إلى مقر الاجتماع ألفان وثمانية وأربعون لاهوتياً من رجال الكنيسة. وفي

(١) تاريخ الفكر المسيحي: (١ / ٦٣١). عصر المجامع ص ٦٤ . ٦٥.

(٢) تاريخ الأقباط (١ / ١٥٧ . ١٥٨). فجر المسيحية ص ١٥١.

(٣) الأنبا غريغوريوس: تاريخ الفكر المسيحي ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة ص ٨.

(٤) راجع مجموعة الشرع الكنسي ص ٤١.

بداية الأمر اجتمع جميع الحاضرين ومعهم الإمبراطور، ثم بعد ذلك نجد أن قسطنطين أعطى الكلمة لبطريك الإسكندرية ومعه إثناسيوس، وأعطاهم حق تقرير مصير المسيحية، وذلك حين اختار رأيهما واختار معهما بعض الأساقفة الموافقين لرأيهما، وكان عدد هؤلاء ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا، وأعطى قسطنطين هؤلاء حق تقرير ما يرونه من عقائد، ورفض ما يرفضونه، ووعدهم بأن يؤيد ما يقررونه بقوته وسلطانه وجبروته.

وهكذا وضع هؤلاء قانون الإيمان المسيحي ودستوره مع أنهم كانوا يمثلون بالنسبة لجميع الحاضرين أقلية، ذلك أنه إذا قيس عدد هؤلاء بعدد الحاضرين تبين ذلك.

هذا وقد تبين سابقا مدى انتشار عقيدة أريوس بين المسيحيين، فكان جل المسيحيين يعتقدون بعقيدته ويؤمنون بها، حتى لقد قيل إن كنيسة الإسكندرية - وهي التي تزعمت المعارضة لعقيدة أريوس - في جانب، والكنائس الأخرى في جانب آخر... أما لماذا تفوقت عقيدة كنيسة الإسكندرية؟ فالواقع أن ذلك يرجع إلى مساندة الإمبراطور واختياره.

يقول كانتو: " وكان الحزب الأريوسي قويا منذ البداية بدرجة لا يمكن معها أن تسحقه المجموعة الأرثوذكسية - كنيسة الإسكندرية - دون مساعدة الإمبراطور " (١).

ولقد كانت رغبة ورهبة السلطان هما السبب في اتفاق الفئة التي اختارها قسطنطين، فلقد حاول هذا الإمبراطور ما أمكن إغراءهم وإرهابهم في الوقت نفسه... فلقد أغراهم بأن وضع لهم مجلسا خاصا بهم، وجلس في وسطهم، وقال لهم قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا فيها ما ينبغي لكم أن تصنعوا، هذا إلى جانب أنه أكرمهم، وأحسن ضيافتهم. وأعطاهم من الهبات والأموال ما تقر به الأعين.

كما أنه أرهبهم بأن توعد من لم يقع على صيغة الإيمان المختارة بالوعيد الشديد.

تقول المسيحية مايل وربرتن: "وضع قانون الإيمان القديم، وقدم للمجمع، وطلب الإمبراطور إلى جميع الأساقفة التوقيع عليه مهددا بنفى كل من لا يفعل ذلك، ورغم التهديد استنكف عدد قليل من التوقيع"^(١).

وهذا يعنى أن دستور الإيمان الذى أقرته الفئة التى اختارها قسطنطين لم يكونوا كلهم راضين به وبمضمونه، ولكنهم خوفا من البطش والنفى والتشرد وقعوا عليه. وهكذا يتبين لنا أن للسلطان دخلا كبيرا فى القرارات والقوانين التى انتهت إليه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

ولقد أيد السلطان هذه القرارات بالقوة، ونفى المخالفين لها، وأمر بحرق كل الكتب التى تخالف صيغة الإيمان المسيحى الذى أقره هذا المجمع. وهذا يعنى أن المجمع المذكور قرر قانون الإيمان وأقر الكتب التى تساند قراراته وقوانينه - وعلى رأسها رسائل بولس - وأمر بتحريم الكتب الأخرى وحرقها وإبادتها من الوجود.

والحقيقة أن هذا المجمع برغم صياغته ووضعه لقانون الإيمان المسيحى إلا أنه لم يغلق الأبواب أمام الإضافات الأخرى له، فلقد فتح المجمع المجال أمام رجال الكنيسة لإضافة بعض العقائد الأخرى فى المجمع التالية، كما حدث فى مجمع القسطنطينية ومجمع أفسس وغيرهما. وهذا فى حد ذاته دليل على التحريف. إذ لو كان المجمع معصوما لما أضيف إليه، ولما خُطئ فى بعض القرارات.

فلقد حرم هذا المجمع بعض الكتب المسيحية^(٢) ثم بعد ذلك نجد أن مجامع أخرى خطأت فى هذا التحريم واعترفت بهذه الكتب وأقرت بشرعيتها - وهى الرسالة إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا. وهذا فى حد ذاته دليل على أن المجمع كان مخطئا فى بعض أحكامه، وإذا كان هذا المجمع عرضة للخطأ فى بعض القرارات - وخاصة فى الكتب - فإن آراءه الأخرى تكون أكثر عرضة للخطأ وأكثر استهدافا للنقد^(٣)، ومن ثم تزول عنه صفة الإلهام والعصمة.

(١) مايل وربرتن: صراع عبر الزمان ص ٥٧

(٢) راجع الفصل الثانى من هذا الباب.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٣.

المجمع المسكونى الثانى: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م:

يعتبر هذا المجمع هو المجمع المسكونى الثانى، ولقد عقد فى القسطنطينية وذلك بأمر من الإمبراطور ثيودسيوس (٣٧٩ - ٣٩٥ م) فى عام ٣٨١م.

ولقد كان هذا المجمع فى أول الأمر مجمعا محليا ثم تحول إلى مجمع مسكونى بعد موافقة بابا روما على ما قرر فيه^(١)، ولقد ترددت الكنيسة أعواما طويلة قبل أن تمنحه صفة المجمع المسكونى، فالمجمع الثالث (مجمع أفسس سنة ٤٣١م) لم يعتبر هذا المجمع مسكونيا، ولم يمنح صفة (المسكونى) إلا فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م بواسطة مندوبى البابا وأدرج ضمن المجمع المسكونية^(٢).

سبب انعقاد هذا المجمع:

فى الفترة التى خلا فيها عرش القسطنطينية من وجود إمبراطور وهى الشهور الواقعة بين مقتل فالنز (إمبراطور الشرق ٣٦٤ - ٣٧٨ م)^(٣) وإعلان ثيودسيوس إمبراطورا - وهى الفترة الواقعة بين شهرى أغسطس ٣٧٨ م، يناير ٣٧٩ م وامتدادها حتى دخول الإمبراطور الجديد إلى عاصمته فى نوفمبر سنة ٣٨٠ م - ماجت القسطنطينية بشتى الفكر، وازدادت حدة الخلافات اللاهوتية بين الدوائر الكنسية، وتخطت هذه إلى رجل الشارع نفسه ما بين الآريوسيين بفرقهم العديدة والماكدونيين^(٤) وهؤلاء جميعا والنيقيين^(٥)، وأصبحت العاصمة مليئة بالمناقشات، فإذا الناس كلهم لا هم لهم ولا حديث لهم إلا المسألة العقيدية فقهوا من أمر اللاهوت شيئا أو جهلوه^(٦).

وهذه الفترة هى التى يعبر عنها اللاهوتى القديس جريجورى أسقف نيسا (٣٤٠ - ٤٠٠ م) وهو يصف حال القسطنطينية وأهلها فيقول: "لقد أمتأ كل شئ بأولئك

(١) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٨٩).

(٢) الأنبا الكسندر روس: تاريخ الكنيسة القبطية (١ / ٨٦ - ٨٩).

(٣) قصة الحضارة (مج ٤ ج ١ ص ٧).

(٤) نسبة إلى ماكيدونيوس القائل بأن الروح القدس مخلوق وليس بإله.

(٥) النسبون إلى اعتقاد مجمع نيقية.

(٦) الدولة والكنيسة (٤ / ٥٧).

الذين يتحدثون بغوامض الكلم، وازدحمت بهم الطرقات والأسواق والأزقة، فإذا ما سألت عما يجب أن أدفعه ثمنا لشئ فلسفوا لى الإجابة حول المولود والمخلوق، وإذا ما رغبت فى الوقوف على ثمن الخبز أجباني بأن الآب أعظم من الابن، وإذا ما بحثت عما إذا كان حماى قد أعد جاءتنى الإجابة تقول إن الابن خلق من العدم^(١). هذا قد شاع بين الناس بعض العقائد أهمها: مقالة ماكدونوس وكان أسقفا للقسطنطينية (من ٣٤٢ إلى ٣٤٦ م، ومن سنة ٣٥١ إلى ٣٦٠ م)^(٢)، ثم عزل بسبب مقالته فى الروح القدس، فكان ينادى بأن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات أى ليس باله^(٣)، وكان له أتباع كثيرون استمروا بعد موته.

ولقد انزعج بعض القواد والوزراء من انتشار مقالة ماكدونوس بين الناس ولذلك ذهبوا إلى الإمبراطور "ثيودوسيوس" ويقولون له: إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة آريوس وماكدونيوس فيجب أن ننظر فى هذا وتذب عن أمانة النصرى، وتكتب إلى جميع البطارقة والأساقفة أن يجتمعوا وينظروا فى هذا ويوضحوا دين النصرانية، فاستجاب الإمبراطور لطلبهم وكتب إلى البطارقة والأساقفة يدعوهم للاجتماع^(٤) وأمر بانعقاد مجمع فى القسطنطينية يرد هذا الإشكال ويدحضه ويدعو الناس إلى عقيدة نيقية.

ولقد كان هذا الإمبراطور يهدف لتحقيق وحدة الإمبراطورية دينيا، فكان عنيفا ضد المخالفين لقرارات مجمع نيقية، ويتبين ذلك من مرسومه الصادر عام ٣٨٠ م والذي يتضمن "إن الذين يعتقدون بالآب والابن والروح القدس هم المسيحيون، وما عداهم عبارة عن جماعة من الحمقى والمجانين، وليس يحق لهم تسمية محلات اجتماعهم الدينية بالكنائس، وأنهم خارجون عن القانون"^(٥).

ولذلك حين علم بمقالة ماكدونوس أرسل إلى البطارقة يدعوهم إلى عقد مجمع دينى يعالج هذه الآراء.

(١) المرجع السابق (٤/ ٥٨)، راجع أيضاً د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (١/ ٣٥).

(٢) راجع فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢/ ٢٨٩).

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ١١٥).

(٤) د/ محمد الشتيوى: المجمع المسيحية (رسالة دكتوراة) ص ١٩٩.

(٥) د/ عبد القادر اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية ص ٣٢.

اجتماع الأساقفة ومناقشتهم لماكدونيوس:

هذا وقد حضر إلى القسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً "وكانوا من أساقفة الكنائس الشرقية"^(١) وكان منهم تيموثاوس بابا الإسكندرية^(٢)، ونكتاريوس بطريرك القسطنطينية، ومالاتيوس أسقف إنطاكية، وكيرلس أسقف أورشليم وغيرهم، هذا ولم يكن يمثل أسقفية روما أحد في هذا المجمع^(٣)، ولم يحضره أحد من أساقفة الكنيسة الغربية لا بصفتهم الشخصية ولا بممثلين عنهم^(٤).

ولقد اجتمع هؤلاء الأساقفة الحاضرون في مايو سنة ٣٨١م وبدأوا في مناقشة آراء ماكدونيوس الذي كان يقول فيها بأن الروح القدس ليس بآله ولكنه مخلوق مصنوع^(٥).

وقد بذل أساقفة المجمع جهداً كبيراً لإقناع "ماكدونيوس" بالعدول عن رأيه ولكنهم لم يفلحوا في هذا، ولذلك انسحب هو وأشياعه من المجمع، وكتب إلى أنصاره في جميع البلاد يطلب إليهم عدم الدخول في شركة النيقيين والبقاء على إيمانهم^(٦).

وقد قام تيموثاوس بابا الإسكندرية - أثناء انعقاد المجمع - يدلل على ألوهية الروح القدس فقال: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق، وإذا قلنا إن روح الله مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن^(٧).

(١) قصة الكنيسة القبطية (١ / ٣٣٠).

(٢) لجنة التاريخ القبطي : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٥)

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ١٧٣).

(٤) مجموعة الشرع الكنسي ص ٢٤٢.

(٥) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٤٥)

(٦) الدولة والكنيسة (٤ / ٦٨ ، ٦٩).

(٧) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٤٥)

وهكذا لم ينجح هذا المجمع فى إقناع مأكدونىوس وشيعته بخواص الروح القدس ومساواته فى الجوهر للآب والابن ، ولذلك لم يستطع أن يقرر ألوهية الروح القدس إلا بعد مغادرته اجتماع الأساقفة^(١).

أما عن هذا الدليل " فإن نظرة سريعة فاحصة إلى الأساس التى قامت عليه السلسلة ترينا أنه جعل روح القدس هى روح الله، وهذا لا يسلمه له مخالفه، ولا يستطيع أن يقيم عليه دليلاً...

إن روح القدس خلقه الله واتخذ ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحيا من خلقه أو أمرا كونيا، فهى ليست روح الله المتعلقة بذاته، وليس عنده من دليل على ما قال، ولكن هكذا ساق السلسلة وهكذا اقتنع سامعوه^(٢).

هذا وقد ناقش المجمع بعد ذلك بعض الأمور الخاصة بنظم الكنيسة وسياستها وقد أنهى المجمع جلساته فى يوليو سنة ٣٨١م^(٣).

أهم قرارات هذا المجمع:

لقد دعا هذا المجمع إلى التمسك بقانون مجمع نيقية وأعلن بوضوح لاهوت الروح القدس ومساواته فى الجوهر للآب والابن ولذلك قرر ما يلى:

١. لعن أصحاب البدع المخالفة لقانون الإيمان الذى قرره مجمع نيقية، وحرهم من الكنيسة وتحريم تعاليمهم، ولذلك اتفقوا على لعن مأكدونىوس ومن معه.

٢. إن الروح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من طبيعة الآب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة.

٣. زاد هذا المجمع فى الأمانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا فى نيقية صيغة (نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد).

(١) الأنبا الكسندر: تاريخ الكنيسة القبطية (١ / ٨٨)

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٦١.

(٣) الدولة والكنيسة (٤ / ٧٧).

٤. ثبتوا^(١) أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص وحدية فى تثليث، وتثليث فى وحدية، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة^(٢).

وقد سن هذا المجمع أيضا سبعة قوانين خاصة بنظام الكنيسة وسياستها^(٣).

وبعد ذلك قام المجمع بإرسال رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس ضمنها القرارات والقوانين التى اتفق عليها المجمع وجاء فيها:

"تلبية لدعوتكم التأم فى القسطنطينية جمعنا، وبعد أن أعدنا الوحدة إلى صفوفنا وضعنا تعريفات مختصرة تؤكد إيمان الآباء فى نيقية وتدين (الهرطقات)^(٤) التى ظهرت تناوئه، ومن أجل النظام الكنسى أصدرنا عددا من القوانين وألحقنا ذلك كله برسالتنا هذه إليكم.

نلتمس الآن أن يتفضل عظمتكم يؤكد فى رسالة تحمل رحمتكم قرارات هذا المجمع، فكما كرمت الكنيسة برسائل دعوتكم، فلتتعطف الآن بتوقيع هذه القرارات"^(٥).

واستجاب الإمبراطور (ثيودوسيوس) لرجاء الأساقفة فأصدر أوامره فى الثلاثين من يوليو سنة ٣٨١م بأن "كل الكنائس يجب أن تخضع للأساقفة الذين يؤمنون بوحداية الألوهية ممثلة فى الآب والابن والروح القدس، وعليها أن تدخل فى شركة نكتاريوس أسقف القسطنطينية - ثم أخذ يعدد بعض الأساقفة الذين وقعوا على قرارات هذا المجمع، ثم قال - وكل من لا يدخل فى شركة هؤلاء وجب طرده من الكنيسة"^(٦).

(١) وذلك كما فى قول ابن البطريرق.

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٤٥ - ١٤٦).

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٥).

(٤) والهرطقة: كلمة يونانية الأصل تعنى "الرأى المستقل" أو "الاجتهاد الفردى" وقد استخدمتها الكنيسة بمعنى المذهب الخارج على المسيحية وعلى ما تقرر فى المجمع المسبحة. راجع د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٣٤، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ١٧٥.

(٥) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة (٤ / ٧٧).

(٦) المرجع السابق (٤ / ٧٧، ٧٨).

ويتبين من هذا أن السلطان كان له دخل أيضا فى تنمية تقرير التليث، فكما أن قسطنطين كان له الدور الأكبر فى تقرير ألوهية المسيح وفرضها على الناس، فكذلك أيضا كان لـ "ثيودوسيوس" دور آخر فى تقرير بقية أفراد الثالوث، فلقد أصدر فى بداية حكمه وجوب خضوع كل المسيحيين لقانون مجمع نيقية، ثم دعا الأساقفة لمجمع آخر، كان عليه أن يرد على كل من أنكر ألوهية الروح القدس، ثم أصدر أوامره بوجوب الخضوع لقرارات هذا المجمع والإيمان بالأقانيم الثلاثة، وطرده من لم يخضع لها.

وبذلك تقرر التليث، وتم وضع الجزء الذى انتهى إليه هذا المجمع فى دستور الإيمان المسيحى على يد الأباطرة والسلاطين.

وأحب أن أشير إلى أمر آخر فى غاية الأهمية وهو: أن تنمة التليث جاءت أيضا على يد بابا الإسكندرية وبطيريكها، فكما أن ألوهية المسيح وتقريرها فى مجمع نيقية كان على يد بطيريك الإسكندرية (الكسندر) وشماسه (إثناسيوس) فكذلك أيضا تم تقرير ألوهية الروح القدس ومساواته فى الجواهر للآب والابن بواسطة بطيريك الإسكندرية تيموثاوس، وهذا يعنى أن المسيحيين فى الإسكندرية كانوا قد وقعوا تحت تأثيرات وثنية ركبت فى أذهانهم عقيدة التليث، فطبقوها فى ديانتهم المسيحية، وقرروها بواسطة السلطان، وما كان لهذه العقيدة أن تنتصر ويتم فرضها على الناس إلا بالطريقة التى تم فرضها، خاصة وأن عقيدة التوحيد كانت سائدة ومنتشرة انتشارا قويا، لدرجة أنه لا يمكن سحقها إلا بواسطة أوامر وجبروت وقهر السلطان الذى كان بدوره وثنيا.

المجمع الثالث

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م

تمهيد :

لقد كان تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية سبب كثير من الاختلافات والاتجاهات بين المسيحيين، فلقد أوجد هذا الاعتقاد كثيرا من المشكلات اللاهوتية " لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب، بل بين الجماعات التى اتفقت على المبدأ

واعتقته ثم عادت تفكر فيه ، وعلى هذا أوجدت هذه المشكلة مجالا للتفريق بينهم وكان مصدر هذه الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير فى طبيعة المسيح للتوفيق بين الألوهية التى صدر بها قرار وأصبحت بموجبه اعتقادا ملزما ، وبين الواقع وهو أن عيسى بن مريم كان يمشى على الأرض وكان يأكل كما يأكل الناس ويتحدث كما يتحدثون وكان على العموم إنسانا فى مظهره على الأقل^(١).

فالمسيحيون حين قرروا ألوهية المسيح لم يتفقوا على كنه هذا التأليه وعلى طبيعة الإنسان المؤله..

هل هو من طبيعة إلهية خالصة ؟

أم من طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى إنسانية ؟

وهل امتزجت هاتان الطبيعتان فى عيسى ؟

أم احتفظت كل منها بخواصها ومزاياها ؟

وما نتيجة هذا الامتزاج على فرض حدوثه ؟

هل تمخض عن طبيعة نصفها إلهى ونصفها إنسانى ؟

أم تولدت عنه طبيعة مغايرة تماما عن كلا الطبيعتين الإلهية الإنسانية ؟

أسئلة كثيرة حول عيسى جرها القول بتأليهه ، أسئلة اختلفت فى الإجابة عليها دعاة التأليه أنفسهم ، وانقسموا بينهم شيعا وأحزابا ، وتناثروا مذاهب وطوائف^(٢).

وهذا الخلاف كان سببا فى انعقاد الكثير من المجمع وذلك لبحث طبيعة المسيح والتحدث عنها ، وكان أول هذه المجمع هو مجمع أفسس الذى سنتحدث عنه الآن.

سبب انعقاد هذا المجمع :

لقد عقد هذا المجمع بسبب آراء نسطور حول المسيح.

ونسطور هذا كان - كما يقول المسيحيون - مشهورا بالخطابة إلى جانب شهرته بحسن السيرة والتقوى والحصافة فى إدارة ديره بحكمة ومهارة... استدعاه الامبراطور

(١) د / أحمد شلبى : المسيحية ص ١٨٩ .

(٢) محمد مجدى مرجان : المسيح إنسان أم إله ص ١٨١

ثيودوسيوس الثانى إلى القسطنطينية وعينه أسقفاً فى إبريل سنة ٤٢٨م ثم نصبه بطريركا على كرسى القسطنطينية^(١). وما أن جلس على الكرسى حتى أخذ يعلم أنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى (والدة الإله) بل (والدة المسيح الإنسان)^(٢)، وبذلك جعل للمسيح - كما يقول زكى شنودة - أفنومين أحدهما إنسانى والآخر إلهى، واعتقد بأن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسان^(٣).

ويقول: وشرح نسطور مذهبه قائلاً: "إن مريم لم تلد إلهاً. بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً، وما يولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنساناً هو آلة للاهوت"^(٤).

فمذهب نسطور يتلخص فيما يلى: المسيح له طبيعتان: إحداها بشرية والأخرى لاهوتية، والطبيعة البشرية ولدت من مريم لذلك تسمى (والدة المسيح الإنسان) أما اتصال الطبيعة البشرية باللاهوتية فذلك لم يكن عن طريق الاتحاد والامتزاج بينهما بل بطريق المصاحبة، لذلك قال نسطور فى إحدى خطبه: "إن يسوع إنسان، وإن تجسّم المسيح عبارة عن مصاحبة بين الكلمة الأبدية والمسيح الإنسانى، وأن مريم أم المسيح ولا يصح لذلك أن تسمى: (والدة الله)^(٥)".

يقول القس صموئيل مشرقى: "ولقد كانت بدعة نسطور فى الواقع هى فقط فى اعتبار المسيح إنساناً عادياً ولدت العذراء، ثم حل فيه اللاهوت بإرادته أى بالمصاحبة لا بالاتحاد"^(٦).

وهذه التعاليم أغضبت المسيحيين. لأنهم فهموا منها أن نسطور بإنكاره الاتحاد بين الطبيعة البشرية واللاهوتية إنما هو يهدر بذلك ألوهية المسيح.

(١) فرنسيس فريه: التجسد ص ٣٤

(٢) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (١١٦ / ٢).

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ١٥٩).

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة

(٥) د / مراد كامل: تاريخ الأدب السريانى ص ٩٤.

(٦) القس صموئيل مشرقى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص ١٤٥.

يقول القس منسى يوحنا: "وقصد نسطور بذلك أن يهد السبيل إلى إنكار ألوهية المسيح الذى قسمه إلى شخصين معلما أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط"^(١).

وإذا كان اللاهوت مصاحبا أو مساعدا للمسيح فمن الإمكان أن يفهم رأيه على أن المسيح تصاحبه العناية الإلهية أو تساعده، وهذا الفهم قالت به المؤرخة المسيحية "بتشر" التى تقول: "وأما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف عقائد وضعها الآباء والأحبار، بل هى كانت جوهرية تختص بأهم مواضع الإيمان، وأعظم أركان الدين المسيحى، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلها فى حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرا إذا"^(٢).

وهذه التعاليم^(٣) أغضبت الأساقفة - وخاصة أساقفة مدرسة الإسكندرية الذين كانوا ينزعون منزعا ظاهرا إلى إبراز اللاهوت فى المسيح"^(٤)، فهم الذين قرروا ألوهية المسيح والروح القدس سابقاً، فلا يمكن أن تضع مجهوداتهم سدى، لذلك انبرى أسقف الإسكندرية (كيرلس)^(٥) ليرد على تعاليم (نسطور) فقال: "إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوما واحدا إلهيا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحادا تاما بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هى والدة الإله"^(٦).

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٥٧.

(٢) ١.ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية (٢٨ / ٢).

(٣) وأحب أن أنه إلى أمر مهم وهو: أن الأساقفة حين حاربوا تعاليم نسطور وعقدوا المجامع من أجلها كانوا يبحثونها من ناحية رأيه فى اتصال المسيح الإنسان باللاهوت وما يترتب على ذلك من تسمية مريم بـ (أم الإنسان) وذلك حفاظا على عقيدة ألوهية المسيح التى كانت قد قررت فى مجمع نيقية.

(٤) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٩٩) راجع أيضا: تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة ص ١٠.

(٥) عن هذا القديس راجع الكتاب الصادر عن كنيسة مار جرجس عن هذا القديس والتى سمته باسمه (القديس كيرلس الكبير عمود الدين).

(٦) تاريخ الأقباط (١ / ١٦٠).

وقال كيرلس أيضا: "إن مريم لم تلد إنسانا عاديا، بل ابن الله المتجسد لذلك هي حقا أم الله"^(١).

وكتب إلى نسطور يقول له: "لو لم تكن أسقفا ما اهتم بك أحد، ولكنك على كرسى ابن الله، فهل يليق بك أن تستغل مركزك هذا فى التهجم عليه بذلك التجديف الذى تعجز عن إثباته؟ كيف هناك البحث إلى أن المسيح إنسان؟ ومن أى المراجع استخرجت هذه البدعة؟ أمن العهد القديم أم الجديد؟.. ومن الذى حمل خطايا العالم؟ أليس هو المسيح بن مريم الكلمة المتجسد؟ إن كنت معتقدا أنه نبي كموسى فهل حمل موسى أو غيره من الأنبياء خطايا العالم كما حملها السيد؟ لقد اعترف الجميع بألوهيته"^(٢)، فكيف تنكرها أنت؟"^(٣).

ولكن هذه الرسالة لم تقنع نسطور فلم يرجع عن رأيه، ولذلك مارس المسيحيون هوايتهم فى عقد المجمع من أجل محاربة التعاليم المخالفة لهم وتحريمها وتحريم أصحابها من الكنيسة، وإصدار قرارات اللعن والطرده ضدهم.

كانت الوسيلة عندهم - فى تلك الفترة - عقد المجمع عندما يعجزون عن مواجهة المخالف لهم وإقناعه بالحجة، ورد آرائه بالبراهين المقنعة، فقد عقد (كيرلس) مجمعا بالإسكندرية قرر حرم (نسطور) وحرم بدعته، كما وضع المجمع اثني عشر تحريما تتضمن تكفير نسطور وتحريمه وتحريم آرائه، كما عقد أسقف رومية مجمعا حكم فيه على نسطور بالهرطقة"^(٤).

ولكن هذه المجمع المحلية لم تسفر عن شئ فلم تسكت "نسطور" ولم تمنع آراءه من الانتشار والذيع، ولذلك كتب البابا "كيرلس" إلى الإمبراطور يطلب منه عقد

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) إن هذا القول غير مطابق للواقع فقد أنكر ألوهية المسيح كثيرون، فقد أنكروها أريوس وكان له أتباع كثيرون فى جميع الأقطار المسيحية.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

(٤) عن هذين المجمعين والتحريمات التى أصدرها المجمع الذى عقد بالإسكندرية. راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢١٧ وما بعدها.

مجمع عام للنظر فى أمر نسطور وتعاليمه^(١)، فأجابه الإمبراطور إلى طلبه ودعا الأساقفة للحضور فى أفسس، وعقد مجمع مسكونى يتناول بحث تعاليم نسطور وتابعيه.

اجتماع الأساقفة فى أفسس - والحكم على نسطور:

وقد حضر إلى مكان الاجتماع مائتا أسقف من أساقفة الكنيسة، وكان على رأس الحاضرين (كيرلس) بابا الإسكندرية الذى صحب معه خمسين أسقفا مصرية^(٢). ولقد اجتمع الحاضرون فى ٧ يونيو سنة ٤٣١م^(٣) ورفض نسطور حضور المجمع^(٤) لأنه كان يعلم ما سيؤول إليه أمر المجمع، وما سيفسر عنه من قرارات، ولذلك لم يجد كبير فائدة فى الحضور فلم يحضر.

ولقد ناقش المجمع تعاليم "نسطور" ثم قرر لعن نسطور وحرمة وتحريم مذهبه من الكنيسة وأرسل له المجمع رسالة بذلك.

كما قرر المجمع أن مريم العذراء (والدة الله) وإن المسيح إله حق وإنسان، معروف بطبيعتين متوحد فى الأئونم^(٥) أى أن فى المسيح أئونما واحدا بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة^(٦).

هذا وقد وضع المجمع مقدمة لقانون الإيمان المسيحى، وهى خاصة بتعظيم السيدة مريم بدأت بالقول "نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجذك أيتها العذراء القديسة والدة الإله... إلى آخره"^(٧).

زيادة حدة الاختلاف بين المسيحيين نتيجة لهذا المجمع:

لم يستطع مجمع أفسس أن يضع حدا لتلك الاختلافات والمنازعات القائمة بين المسيحيين، بل بالعكس زاد من حدتها، وبيان ذلك ما يلى:

(١) المرجع السابق ص ٢١٩.

(٢) تاريخ الأقباط (١ / ١٧٤).

(٣) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٣١٣).

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٥٧).

(٦) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٦).

(٧) راجع النص كاملا فى: تاريخ الكنيسة القبطية (للفس منسى يوحنا) ص ٢٥٦.

إن "كيرلس" بابا الإسكندرية عجل بانعقاد المجمع قبل وصول يوحنا أسقف إنطاكية، وقبل وصول مندوبى بابا رومة، فما أن حضر (يوحنا) أسقف إنطاكية وعلم بانعقاد المجمع قبل وصوله، والقرارات التى توصل إليها حتى غضب وعقد مجمعا آخر مكونا من ثلاثة وأربعين أسقفا، حكموا فيه بإدانة "كيرلس" و "ميمون" رئيس أساقفة أفسس مع رفض قرارات مجمع أفسس.

وبعد هذا وصل نواب أسقف روما الذين اجتمعوا أيضا، وأيدوا قرارات مجمع أفسس^(١).

وهكذا زاد هذا المجمع الخلاف والشقاق بين المسيحيين، وبسببه انقسمت الكنيسة بعد ذلك ولم تلتئم إلى الآن.

ويتبين لنا من ذلك أن مجمع أفسس - الذى يعرف بالمجمع المسكونى الثالث - اجتمع قبل حضور جميع الأساقفة، أى أن المجمع لم يكن شاملا لكل أطراف النزاع وذلك لغياب أساقفة إنطاكية ونسطور نفسه^(٢).

هذا إلى جانب أن المجمع زاد من تقطيع أواصر التقارب بين المسيحيين، وزاد من عداوتهم بعضهم لبعض - فلم يستطع المجمع أن يضع حدا للاختلاف حول طبيعة المسيح، وهذا يدل على أن العقيدة خرجت من أيديهم بتقريرهم لللاهوت المسيح والروح القدس - فأصبحت عقيدة معقدة، صعبة الفهم والإدراك، مليئة بطلاسم من الألفاظ والمصطلحات اللاهوتية العقيمة، ولذلك كلما حاولوا حل بعض مشاكلها زادوها تعقيدا وصعوبة.

وفى هذا المجمع أيضا: أثبتت كنيسة الإسكندرية أنها رائدة الفكر التليشى - أو عقيدة التليث - الذى تقرر فى المسيحية بمجهوداتهم فى المجمع، واتصالاتهم بالباطرة والسلاطين... فلقد تبنت القول بالوهية المسيح، ثم القول بالوهية الروح

(١) لبيان هذا راجع (الأبنا غريغوريوس: تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٢٤، تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٢١-٢٢٢).

(٢) د/ رؤوف شلبى: أضواء على المسيحية ص ١٠٤.

القدس، وبذلت جهدا كبيرا فى إقناع الأباطرة وبعض الأساقفة لتقرير هذه العقائد، وفرضها على الناس بقوة السلطان، وأفلحت فى إصدار قرارات التحريم واللعنة على من يخالف هذه العقائد.

وفى هذا المجمع جاءت كنيسة الإسكندرية لتثبت وجودها، ولتؤكد من جديد حرصها على بقاء عقيدة ألوهية المسيح من غير أن يمسهأ أو ينال منها أحد، لذلك جاء أسقفها إلى هذا المجمع وقد وضع الحل المناسب - فى نظر كنيسته - للمشاكل التى نجمت عن تقرير ألوهية المسيح، ألا وهى المشاكل حول طبيعة المسيح، فقررت أن المسيح إله حق وإنسان، بطبيعتين، متوحد فى الأقنوم بدون امتزاج ولا اختلاط. وقد جاء هذا الحل ليزيد من إسباغ صفات اللاهوت على شخص المسيح، وليضع المسيحية فى حالة من التعقيد العقائدى غير المفهوم.

وهكذا نرى أن كنيسة الإسكندرية وأساقفتها وقفوا بالمرصاد - بكل ثقلهم - لكل صوت ينادى بالتوحيد، أو يقترب رأيه من رأى الموحدين، فلقد حاربوا أريوس، وماكدونيوس، وهنا حاربوا نسطور بشدة، وذلك لأنهم فهموا أن معتقد نسطور ربما يؤدى فى النهاية إلى إنكار ألوهية المسيح، وفهموا منه أنه "صورة جديدة للأريوسية"^١، فلقد أنكرو وجود الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح، وهذا يؤدى إلى جعل المسيح مجرد إنسان صحبتة النعمة أو العناية الإلهية، ولكن كنيسة الإسكندرية المثلة وقفت فى وجهه لتخلق من جديد صوت التوحيد فى المسيحية، كما خنقته من قبل فى المجمع الأولى.

وبرغم كل هذا فإنه يمكن القول إن مجمع أفسس لم يستطع أن يضع حدا لتلك المنازعات القائمة بين المسيحيين بشأن طبيعة المسيح.

المجمع الرابع

والمجمع الرابع فى نظر الأقباط المصريين هو مجمع أفسس الثانى الذى عقد سنة ٤٤٩م .. ولكن الكنائس الأخرى لا تعترف بهذا المجمع وتسميه "مجمع اللصوص" ولذلك عقدت مجمعا آخر فى خلقيدونية سنة ٤٥١م للرد عليه . ولتقرير القول حول طبيعة المسيح ، وهذا المجمع هو المجمع المسكونى الرابع فى نظرهم .

ولذلك ستتكلم أولا عن مجمع أفسس الثانى ، ثم نعقبه بالكلام على مجمع خلقيدونية الذى عقد فى عام ٤٥١م .

(١) مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م :

سبب انعقاد هذا المجمع

لم يحسم مجمع أفسس الأول الخلاف فى عقيدة اجتماع اللاهوت والناسوت فى المسيح ، بل زاد من الاختلافات حول هذه العقيدة ، وكان من نتائج هذا الخلاف هو ظهور مذهب (أوطاخى) الذى كان رئيسا لدير بالقرب من القسطنطينية ، وكان من ألد أعداء نسطور^(١) .

ولقد تمسك "أوطاخى" بعبارة القديس "كيرلس" الإسكندرى (طبيعة واحدة بعد الاتحاد) وقال فى تفسيرها: معنى الطبيعة الواحدة عنده بأن اللاهوت قد امتص الناسوت وتمثله وابتلعه ، والناسوت قد تلاشى فى اللاهوت وتحول إلى جوهره ، وكأنه نقطة من الخل ابتلعها البحر أو المحيط ، ولذلك فإن "أوطاخى" ينكر أن يكون جسد المسيح مطابعا لأجسادنا أو من طبيعتها ، فهو عنده جسد إلهى ، وإذا كان قد ظهر للناس أن المسيح جسد إنسان لكنه لم يكن جسداً إنسانياً^(٢) .

وعقب تصريح "أوطاخى" بهذه الآراء عقدت كنيسة القسطنطينية مجمعا محليا برئاسة فلافيانوس بطريرك القسطنطينية وأثير فيه آراء وتعاليم "أوطاخى" واستدعى

(١) تاريخ الأقباط (١ / ١٦٢)

(٢) الألبا غريغوريوس : تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣٠ .

المجمع "أوطاخى" أكثر من مرة، فرفض المرة تلو المرة، ولكنه أخيراً حضر، وسئل: هل تعترف بأن المسيح مساو للآب فى جوهر اللاهوت ومساو لأمه فى جوهر الناسوت؟ فأجاب: إن المسيح من طبيعتين قبل الاتحاد، وإنه طبيعة واحدة بعد الاتحاد، وهنا حكم عليه المجمع بتجريدته وحرمانه من الكنيسة^(١).

ولكن "أوطاخى" لم يعجبه حكم المجمع، فكتب إلى البابا فى روما بتظلم، وبعد ذلك كتب بابا روما (ليون الكبير) إلى بطريرك القسطنطينية يستوضحه عما جرى، فأرسل إليه فلافيانوس - بطريرك القسطنطينية - نص أعمال المجمع الذى حكم فيه على "أوطاخى"، فعقد البابا مجمعاً فى روما، وفحص الأوراق التى أرسلها إليه بطريرك القسطنطينية، فوافق عليها، وأعلن ذلك للإمبراطور^(٢).

وهنا تدخلت كنيسة الإسكندرية - التى كانت تشجع أى فكر يزيد من لاهوت المسيح - وعلى رأسها بطريركها فى تلك الفترة "ديسقورس" الذى عقد مجمعاً محلياً أيضاً، وحلّ "أوطاخى" من القطع من الكنيسة، وطلب من الإمبراطور عقد مجمع مسكونى، فاستجاب الإمبراطور لطلبه فأرسل ثيودوسيوس الثانى يأمر بعقد مجمع عام فى أفسس، وعهد إلى بابا الإسكندرية برئاسة هذا المجمع^(٣).

انعقاد مجمع أفسس فى أغسطس سنة ٤٤٩ م والقرارات التى انتهت إليها:

واجتمع فى أفسس ما يقرب من مائة وخمسة وثلاثين أسقفًا.. وبدأ المجمع أعماله برئاسة (ديسقورس) بطريرك الإسكندرية فتلّيت رسالة الإمبراطور، ثم طلب وفد روما أن تتلى رسالة البابا إلى فلافيانوس بطريرك القسطنطينية فرفض ديسقورس، واشتد الجدل والنزاع مما جعل بعض الأساقفة يفرون ومنهم نواب البابا^(٤).

يقول زكى شنودة: "وقد ناقش المجمع "أوطاخى" فاعترف بتمسكه بقانون الإيمان النيقاوى، فحكم المجمع ببرأته، كما ناقش المجمع "فلافيانوس" الذى اتهم بأنه من أتباع "نسطور" ثم حكم بعزلة من وظيفته"^(٥).

(١) المرجع السابق ص ٣١.

(٢) د/ أسدرستم: الروم (١ / ١٢٦).

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضاً: تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣.

(٤) د/ أسدرستم: الروم (١ / ١٢٦، ١٢٧).

(٥) تاريخ الأقباط (١ / ١٧٦).

"وأكد هذا المجمع على القول بالطبيعة الواحدة بعد التجسد، لذلك جاء فى قراراته: كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محروماً"^(١).

وهكذا تم فى هذا المجمع لعن وحرمان كل من يقول بالطبيعتين بعد التجسد، وكان من الذين شملهم قرار الحرمان واللعن بطريرك القسطنطينية.

ويتبين لنا هنا مرة أخرى مدى حرص كنيسة الإسكندرية على تأكيد ألوهية المسيح، فلقد عمل بطريرك الإسكندرية "ديسقورس" على التأكيد على ألوهية المسيح بأن ركز على القول بالطبيعة الواحدة.

لذلك يقول د/ إسحاق عبيد: "لقد تجاوز السكندريون الحدود، ذلك أنهم عقدوا مجمعاً آخر فى أفسس سنة ٤٤٩ م لتأكيد ألوهية المسيح، ولقد أدى حرص أتباع (كيرلس) على تأكيد هذا المعنى، إلى أن جاءت براهينهم لتهدد ناسوت المسيح، فبدأ وكأن لاهوته قد استوعب ناسوته"^(٢).

وهذا المجمع لا تعترف به الكنيسة اليونانية ولا كنيسة روما^(٣).

(٢) مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م:

لم يحسم مجمع أفسس الثانى الخلاف بين المسيحيين بل زاده اشتعالاً، فالعقيدة التى ناقشها والتى كانت محل النزاع - وهى طبيعة المسيح - هى السبب فى انفصال الكنيسة القبطية المصرية عن الكنيسة الغربية إلى الآن.

ولقد أثارت قرارات مجمع أفسس الثانى أساقفة روما والقسطنطينية ضد ديسقورس بطريرك الإسكندرية^(٤). وضد المجمع نفسه، حتى لقد عرف هذا المجمع فيما بعد بين الكنائس الغربية باسم "مجمع اللصوص"^(٥).

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٢٩.

(٢) د/ إسحاق عبيد : الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٨٨.

(٣) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية ج ٢ ص ١١٧.

(٤) تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣٢.

(٥) نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٩، ولقد قيل إنه سُمى بهذا بسبب الإجراءات التى حدثت فيه. فلقد قيل إنه حين اشتد الجدل بين الحاضرين قرَّب بعض الأساقفة ومنهم نواب البابا، واستولى الرب على الباقيين حتى وقفوا على يياض (د/ أسد رستم : الروم (١/ ١٢٦).

سبب انعقاد هذا المجمع:

لقد شن بابا روما الحرب ضد مجمع أفسس الثانى وقراراته، وكان يأمل فى انعقاد مجمع يلغى به قرارات هذا المجمع، ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك فى عهد الإمبراطور "ثيودوسيوس الثانى"، وبعد موت هذا الإمبراطور عام ٤٥٠م خلفه على العرش الإمبراطور "مرقيان" الذى كانت زوجته "بولكيرا" تميل إلى القول بالطبعيتين، فانتهمز بابا روما (ليون الكبير) هذه الفرصة، وكتب إلى الإمبراطور يطلب منه الدعوة بعقد مجمع مسكونى، واستجاب الإمبراطور (مرقيان) إلى رغبة (ليون) بابا روما، ودعا إلى عقد مجمع مسكونى يأمل منه تقرير إيمان واحد فى كل أنحاء الإمبراطورية^(١)

انعقاد المجمع فى نيقية أولاً ثم نقله إلى خلقيدونية:

لقد اجتمع الأساقفة فى نيقية تلبية لدعوة الإمبراطور "مرقيان" لحضور المجمع المسكونى، ولكن نظراً لحدة الخلاف^(٢) - ومرض بعض الأساقفة واضطرابهم للمعالجة.. هذا إلى جانب أن الإمبراطور "مرقيان" نفسه لم يستطع أن يبارح العاصمة "بيزنطة" - أمر الإمبراطور بنقل المجمع إلى خلقيدونية فى جوار من بيزنطة ليشرف بنفسه على سير الأحداث^(٣).

وعقد المجمع جلسته الأولى فى الثامن من أكتوبر سنة ٤٥١م فى خلقيدونية، وقد اشترك فى أعماله ستمائة وثلاثون أسقفًا بينهم نواب روما - أسقفان وقسان - وبطريك القسطنطينية وبطريك الإسكندرية "ديسقورس" وغيرهم كثير... ووضع الإنجيل فى منتصف حلقة المجمع، وتصدرها وجهاء الدولة وأعيانها، وفى هذه الجلسة الأولى أقر المجمع أن كل ما جرى فى أفسس سنة ٤٤٩م إنما كان جبراً وظلماً، وأن "ديسقورس" بطريك الإسكندرية ومن ذهب مذهبه مستحق القطع^(٤).

(١) تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) د/ أسدرستم: الروم (١ / ١٢٧).

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

ولقد شهدت هذه الجلسة اختلافاً كبيراً بين المسيحيين حتى وصفت بأنها كانت صاخبة وعنيفة، وكانت العبارات البذيئة تقذف خلالها هنا وهناك^(١).

فلقد حدث ضجيج وصخب ومنازعات فى أثناء هذه الجلسة مما جعل مندوبى الحكومة يصيحون فيهم قائلين بلسان أحدهم: إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا بمثل هذه الأعمال الشائنة من صياح وصراخ وسب وقذف وضرب ولكم، بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب فى الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد، ولذلك نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل المهاترة، والدليل عوضاً عن القول الهراء^(٢).

وقد بالغت الكنيسة القبطية فى وصف الأضرار التى وقعت على ديسقورس بطريرك الإسكندرية، حيث أوردت أن زوجة الإمبراطور "بولكيرا" حققت من أقوال "ديسقورس" فلکمته، فانقلع له ضرسان، ثم أمرت بنتف أكثر لحيته^(٣) إلى غير ذلك من الروايات التى لا تخلو من المبالغة.

وفى الجلسة الثانية تليت رسالة "كيرلس" البطريرك الإسكندرى إلى "نسطوريوس" ورسالة البابا إلى "فلافيانوس" بطريرك القسطنطينية.

وفى الجلسة الثالثة قرأ رئيس وفد روما نص الحرم الذى كان قد أصدره البابا ضد "ديسقورس" فوافق عليه المجمع.

وفى الجلستين الرابعة والخامسة دار البحث حول العقيدة، وبعد جدال طويل وافق المجمع على النص التالى: "إننا نعلم جميعاً تعليماً واحداً. تابعين الآباء القديسين، ونعترف بابن واحد هو هو نفسه ربنا يسوع المسيح، وهو نفسه كامل بحسب الناسوت، إله حقيقى وإنسان حقيقى، وهو نفسه من نفس واحدة وجسد مساو للآب فى جوهر اللاهوت، وهو نفسه مساو لنا فى جوهر الناسوت، مماثل لنا

(١) د/ مراد كامل: تاريخ الأدب السريانى ص ٩٧

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٦٥.

(٣) كتاب السنكار (١ / ١٧)، تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٣٦.

فى كل شىء ما عدا الخطيئة، مولود من الآب قبل الدهور بحسب اللاهوت، وهو نفسه فى آخر الأيام مولود من مريم العذراء والدة الإله بحسب الناسوت، لأجلنا ولأجل خلاصنا، ومعروف هو نفسه مسيحاً، وابناً، ورباً، ووحيداً، واحداً بطبيعتين بلا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال من غير أن ينفى فرق الطبائع بحسب الاتحاد، بل إن خاصة كل واحدة من الطبيعتين ما زالت محفوظة توفاناً لكلاهما شخصاً واحداً وإقنوماً واحداً لا مقسوماً ولا مجزواً إلى شخصين، بل هو ابن ووحيد واحد هو نفسه الله الكلمة الرب يسوع المسيح، كما تنبأ عنه الأنبياء منذ البدء، وكما علمنا الرب يسوع نفسه وكما سلمنا دستور الآباء^(١).

ويلاحظ فى هذا النص أن المجمع انتهى فى قراراته إلى القول بالطبيعتين فى المسيح، وهاتان الطبيعتان توفاناً إقنوماً واحداً وشخصاً واحداً، ومريم على ذلك والدة الإله بحسب الناسوت.

وقرر المجمع أيضاً حرمان ولعن كل من: نسطور، وديسقورس، ومن يقول بمقاتلتهما، ولعنوا وأبطلوا قرارات مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م، ونفى ديسقورس إلى فلسطين^(٢).

وحين علم المسيحيون المصريون بقرارات هذا المجمع أصرروا على عدم الاعتراف بهذا المجمع، ومقاطعته، ومقاطعة الكنائس التى وافقت على هذا المجمع.

فهذا المجمع لا تعترف الكنيسة المصرية به^(٣)، ولذلك يُحدد عام ٤٥١م بأنه عام انفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الأخرى.

وبعد هذا نبذ المصريون كل ما هو يونانى ولاينى، وانطوت الكنيسة المصرية على نفسها واستخدمت اللغة الوطنية وهى اللغة القبطية فى قداستها علامة على سخطها. وتسمت بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية^(٤) وتبنت القول بالطبيعة الواحدة فى المسيح من طبيعتين.

(١) د/ رستم: الروم (١ / ١٢٧ - ١٢٨).

(٢) راجع التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٨٢).

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٨).

(٤) د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٩١.

وهكذا نرى أن هذا المجمع تسبب في الانشقاق المزمع بين المسيحيين، فهو أساس اختلاف الكنائس إلى اليوم، وهو أساس انفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الأخرى، ولا زال هذا الانفصال سارياً.

مجامع أخرى:

وبعد المجامع الأربعة عقدت ثلاث مجامع مسكونية أخرى لم تمثل فيها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وهى:

المجمع الخامس: الذى عقد فى القسطنطينية سنة ٥٥٣م للرد على القائلين بتناسخ الأرواح وأنه ليس هناك قيامة^(١).

والمجمع السادس: الذى عقد بالقسطنطينية أيضاً سنة ٦٨٠م وحكم بالكفر على القائلين بالمشيئة الواحدة ولعنهم وطردهم من الكنيسة^(٢).

والمجمع السابع: الذى عقد أولاً بالقسطنطينية سنة ٨٨٦م وأتم جلساته فى نيقية سنة ٧٨٧م لمناقشة عبادة الصور والأيقونات^(٣).

وبعد ذلك - وفى المجمع الثامن - انفصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية بسبب الاعتقاد فى انبثاق الروح القدس.. فقد اعتقدت الكنيسة الشرقية بانبثاق الروح القدس من الآب فقط.

بينما اعتقدت الكنيسة الغربية بانبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً^(٤)، وبسبب هذا الخلاف نجد أن المجمع الثامن يطلق على مجمعين:

المجمع الأول: ويسمى المجمع الغربى اللاتينى، وعقد فى القسطنطينية سنة ٨٦٩م وفى هذا المجمع تقرر انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً.

(١) راجع التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ٢٠٥).

(٢) راجع فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٧٦).

(٣) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٩٤.

(٤) عن هذا الخلاف حول انبثاق الروح القدس (راجع: د/ إسحاق عبيد: روما وبيزنطة ص ١٢ - ١٨).

والمجمع الثانى: يطلق عليه المجمع الشرقى اليونانى، وعقد أيضاً فى القسطنطينية سنة ٨٧٩م وتقرر فى هذا المجمع انبثاق الروح القدس من الآب فقط^(١)... وبسبب هذا الخلاف انفصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية انفصلاً نهائياً ولم تلتئم إلى الآن.



ولقد اقتصرنا على تفصيل المجمع الأربعة الأولى، لأنها هى المجمع التى قررت العقيدة المسيحية الحاضرة التى يؤمن بها جميع المسيحيين على اختلاف طوائفهم عدا ما جاء فى المجمع الرابع، فإن الكنيسة المصرية لم تعترف بما جاء به، وهذا يعنى أن المجمع الثلاثة الأولى هى مجامع معترف بها فى جميع الكنائس المسيحية.

أما المجمع الأخرى فقد اختلف المسيحيون حول ما جاء بها، ولذلك سردناها بإيجاز شديد... وهكذا يتضح لنا أن المجمع الأربعة الأولى حددت قوانين الإيمان المسيحى.

فالمجمع الأول: قرر ألوهية المسيح.

والمجمع الثانى: قرر ألوهية الروح القدس.

والمجمع الثالث: حدد كيفية التجسد، حيث قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله لا الإنسان فقط، وأن مريم والدة الإله.

والرابع فى نظر المصرين "قرر أن المسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتين،" أما المجمع المسكونى الرابع فى نظر الكنائس الأخرى فقد قرر "أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة وهذه هى أهم العقائد المسيحية.

(١) لزيادة المعلومات عن هذين المجمعين: راجع المجمع المسيحية وأثرها فى مذاهب الكنيسة (رسالة دكتوراة) ص ٣٠٣.

أثر المجامع فى المسيحية

أولاً: إن هذه المجامع لم يؤسسها المسيح ولم يدع إليها ولم يأمر بها، ولم يشر إليها لا بالتلميح ولا بالتصريح. وإنما ابتدعت بعده، وذلك من أجل أن تحكم وتشرع وتقرر شرائع وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان على رسوله عيسى بن مريم، لذلك كان أول مجمع ابتدع. وكان لبولس يد فى اجتماعه وفى القرارات التى توصل إليها - كانت قراراته مخالفة للشرعية التى جاء بها المسيح عليه السلام، ذلك أنه نقض شريعة موسى عليه السلام، تلك التى صرح المسيح بأنه ما جاء ناقضاً لها بل مكملًا.

وإذا نظرنا إلى المجمع المسكونى الأول نجد أيضاً أن الذى ابتدعه إنما هو قسطنطين الوثنى، وهذا يعنى أن المجامع سواء كانت العامة - المسكونية - أو الخاصة - إنما ابتدعت على يد من لم ير المسيح، ومن لم يتلمذ على يديه، وإنما كان بولس فى البداية من أشهر وأشد المضطهدين والمناوئين لرجال المسيح عليه السلام. ولما لم يستطع أن يقضى عليهم اختراع قصة رؤيا المسيح فى الطريق حتى يتسنى له الدخول فى هذه الديانة ويدخل فيها ما ليس منها.

أما قسطنطين فإنه حين دعا إلى المجمع المسكونى وترأسه وحكم فيه كان لازال وثنياً، حيث إنه لم يعمد إلا على فراش الموت، وقسطنطين هذا كان معروفاً بأنه صاحب فكر تأليفى - كان يؤلف ويمزج بين ديانات الإمبراطورية حتى يستطيع أن يرضى جميع أصحاب الديانات. وكان يأمل فى وحدة الإمبراطورية وعدم المنازعات والانقسامات حتى يستطيع إحكام السيطرة على الإمبراطورية.

وعليه فإن المجامع من ابتداع من ليسوا من أصحاب المسيح ولا حواريه، وإنما من اختراع من كان مناوئاً للمسيحية ومن كان وثنياً.

ثانياً: إن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يأتون الناس بعقائد وشرائع واضحة سهلة، يبلغونها للناس ويوضحونها لهم، ولا يتركون أصول العقائد والشرائع

لشطط العقول، ولا لاختلاف الناس حولها، كل واحد منهم يدلى بدلوه فيها ويشرح رأيه حولها.

إن أصول العقائد والشرائع فى الدين السماوى من الله سبحانه وتعالى لا من تأليف وتقرير مجمع أو غيره، وهذا يعنى أن المسيحية حين تناست أصول عقائدها وشرائعها الصحيحة رأت أن توجد بدعة المجمع لتقرر لها البديل فى العقائد والشرائع وهذا يسلمنا إلى النقطة التالية.

ثالثاً: إن المجمع فرضت سيطرتها على عقول المسيحيين حين قررت أن التعاليم المسيحية من عقائد وشرائع ونظم وعبادات لا يتلقاها الناس من الكتب المسيحية بل لابد من تلقيها من المجمع المؤلفة من الأساقفة بتدبير ودعوة الأباطرة.

يقول الشيخ أبو زهرة: "إن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية رأساً، بل لابد من تلقيها من أفواه أولئك العلماء ورجال الكهنوت وأن أقوالهم فى ذاتها حجة سواء أخالفت النصوص أم وافقت وسواء أكانت الصواب أم جافت الحق"^(١).

وهذا يعنى أن تقرير العقائد والشرائع فى المسيحية وقع تحت سيطرة رجال الكهنوت المسيطرين على هذه المجمع.

رابعاً: إن المجمع المسكونية نسبت إلى نفسها العصمة من الوقوع فى الخطأ متعللين بأن الروح القدس يحل عليهم فى اجتماعاتهم...

ففى كتاب "مجموعة الشرع الكنسى" جاء ما يلى: "إن المجمع المسكونية تنسب إلى ذاتها الحصانة من الخطأ فى تعاليمها فى العقائد والآداب، اعتماداً على الوعد بحلول الروح القدس على المجتمعين وإلهامه لهم"^(٢).

ومع ذلك فقد أخطأت المجمع، وإليك بعض الأمثلة:

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٢. ١٥٣.

(٢) مجموعة الشرع الكنسى ص ١٠.

إن مجمع نيقية وضع قانوناً للإيمان، ولكن المجمع التى تلته رأت أن هذا القانون ناقص فأضافت إليه ما ليس منه. وهذا يعنى أن المجمع لو كان معصوماً من الخطأ لوضع قانون الإيمان كاملاً بلا نقصان، ولم يكن الأمر فى تحطته محصوراً فى اتهامه بالنقص، بل إن الأمر يعدو ذلك ليصبح وقوعه فى الخطأ راجعاً إلى إثبات ما يجب نفيه وذلك أنه أى مجمع نيقية حرم قراءة بعض الكتب المسيحية ثم جاءت المجمع بعد ذلك وخطأت هذا التحريم واعترفت بصحة هذه الكتب المحرمة...

هذا إلى جانب أن المذاهب والطوائف المسيحية لا تعترف بكل المجمع المسكونية كما هو الحال بالنسبة لمجمع خلقيدونية.

كل هذا دليل على أن دعوى عصمة هذه المجمع غير صحيحة فضلاً عن كونها دعوى بغير دليل.

خامساً: إن هذه المجمع هى التى قررت العقائد والشرائع والعبادات، وكل ما يعتقد المسيحيون الآن. حتى العقائد والشرائع المختلف عليها بين المسيحيين، وهذه المجمع بدأت فى القرن الرابع الميلادى وبالتحديد فى عام ٣٢٥م، وهذا يعنى أنه قبل هذا العام لم يكن مقررأ شئ من هذه العقائد، وإلا لما احتاجوا إلى عقد المجمع لتقريرها، وهذا يدل على وجود الفجوة بين تعاليم المسيح عليه السلام وتعاليم هذه المجمع.

يقول ابن تيمية: "فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم أكابرهم بعد المسيح، كما وضع لهم الثلاثمائة والثمانية عشر الذين كانوا فى مجمع نيقية الأمانة التى اتفقوا عليها، ولعنوا من خالفها من الأريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله بها كتاباً، بل تخالف ما أنزل الله من الكتب مع مخالفتها العقل الصريح"^(١).

سادساً: إن العقائد التى قررتها المجمع لم تعلن للناس دفعة واحدة، بل قررت فى مجامع مختلفة وأزمنة مختلفة، فالتثليث لم تقرره المجمع مرة واحدة

(١) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١١٥)

وفى مجمع واحد، وعقيدة التجسد لم تقرر فى مجمع واحد، وقانون الإيمان لم يكتمل فى مجمع واحد وعام واحد، وهذا يدل على أمرين:

الأمر الأول: أن أصول الديانة كانت ناقصة، وكان كل مجمع يكمل فيها شيئاً، وهذا يدل على وضعية هذه الديانة.

الأمر الثانى: بشرية العقول التى وضعت والتى من شأنها عدم العصمة من الخطأ.

وكل هذا يدل على التحريف فى ديانة المسيح عليه السلام وأثر المجمع فى هذا التحريف.

سابعاً: إن هذه المجمع هى التى قضت على عقيدة التوحيد فى المسيحية، فلقد حرم المجمع الأول أريوس بالرغم من أن الأغلبية كانت معه، وقرر المجمع الثانى ألوهية الروح القدس، والمجمع الثالث قرر عقيدة التجسد المسيحية.

يقول د/ بركات دويدار: كان من الواجب على المسيحيين أن يرجعوا إلى نصوص الوحدانية فى الكتاب المقدس ويرفضوا كل عقيدة ضد التوحيد، ولكن الأمر سار على غير هذا، فعمدت المجمع، وفى كل مجمع كان يخنق صوت التوحيد ليرفع صوت الشرك والتثليث^(١).

ثامناً: إن هذه المجمع هى التى ساعدت على تأصيل الوثنية فى المسيحية وجعلها هى أساس الديانة ومضمونها، ويتبين ذلك من القرارات والقوانين التى توصلت إليها المجمع، فالعقائد التى توصلت إليها إنما هى مستقاة من الفكر الوثنى.

يقول هـ. روز: "وخرجوا بعد بضعة قرون من التأمل بلا هوت العقيدة النيقاوية... أما اللاهوت الناتج فكان يونانياً فى قلبه، يونانياً كذلك فى الجزء الأكبر من مضمونه"^(٢).

(١) د/ بركات دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٧.

(٢) هـ. روز: الديانة اليونانية ص ١٧٧.

ويقول شارل جنيير: "إذا تأملنا الكنيسة المسيحية فى مقتبل القرن الرابع فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين"^(١).

ثم يقول: "أنشأت هذه الكنيسة مجموعة عقائدية جديدة باللغة التعقيد، اعتمدت فى صلبها على شخصية المسيح التى نمت من حولها النظريات حتى تم توحيدها بالله، واستقت عناصرها من التأملات الخاصة المتغالية فى تفسير معطيات الإيمان الأولى، ثم من المذاهب الفلسفية والدينية التى وجدتها فى البيئة اليونانية الرومانية، وقد خرجت هذه المجموعة العقائدية على الناس فى صورة ما سعى به (دستور الإيمان)"^(٢).

وزيد - ول ديورانت - ذلك المعنى وضوحاً فيقول: "إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ذلك أن العقل اليونانى المتحضر عاد إلى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة اليونانية التى ظلت قروناً عديدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف، فجاءت من مصر آراء الثالوث... ومنها جاءت عبادة أم الطفل... إلى آخره"^(٣) وأخذ يعدد العقائد والطقوس ومصادرها، ثم قال فى النهاية:

"وقصارى القول: إن المسيحية كانت آخر شئ عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم"^(٤).

وهكذا يتبين لنا دور المجامع التى قررت هذه العقائد وتلك الطقوس، فهى التى تبنت العقائد الوثنية وقررتها حتى أصبحت هى الدين المسيحى المبتدع من الوثنية.

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦).

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٦.

تاسعاً: إن العقائد التى نتجت عن المجامع إنما هى عقائد تكونت بطريقة تراكمية من نتاج بشرى، لذلك جاءت عقائد بالغة الصعوبة والتعقيد ومناقضة للعقل ومنافية لبديهيات الأمور - وذلك بخلاف الدين السماوى الذى يتميز بالسهولة والبساطة ووحدة المصدر الإلهى، وعدم التناقض مع العقل - وهذا نتج عن التلقيح الذى أخذته المسيحية من الوثنية القديمة.

عاشراً: من الواضح أنه كان لكنيسة الإسكندرية دور كبير فى تقرير التثليث، وتكميل حلقات الثلاث، والتأكيد على ألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس، ويرجع ذلك إلى أن الإسكندرية كانت آنذاك مليئة بالمعتقدات والآراء الفلسفية - وخاصة الأفلاطونية الحديثة - فكانت تعد من أولى المدارس الفلسفية فى ذلك الزمان، ولقد تأثر أساقفة الإسكندرية بهذه المعتقدات وتلك الآراء، فتبنا عقيدة التثليث وفرضوها على الناس من خلال المجامع المسيحية.

يقول الشيخ أبوزهرة: "إن التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الإسكندرية كان يعلن على السنة بطارتها، وأنهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بأرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح عليه السلام... إن ذلك هو مفتاح التاريخ الصحيح"^(١).

حادى عشر: لا يمكن لدارس المجامع أن ينسى دور الأباطرة والحكام، فلقد كان لهم دور كبير فى اجتماع المجامع المسكونية وقراراتها.

فمن شروط المجمع المسكونى أن يكون بدعوة الإمبراطور أو الحاكم.

ففى كتاب (مجموعة الشرع الكنسى) جاء ما يلى: "إن المجامع المسكونية دعت إلى الاجتماع بأمر ومشية الملوك والحكام ذوى السلطة المدنية وبدون معرفة البابا"^(٢).

ويقول ولز: "وثمة أمر هام جداً علينا أن نسجله وهو الدور الذى لعبه الإمبراطور فى تثبيت المسيحية، فلم يقتصر الأمر على أن قسطنطين هو الذى دعا لاجتماع مجمع نيقية، بل إن كل المجامع العظيمة جمعتها كلها يد الإمبراطور"^(٣).

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٧.

(٢) مجموعة الشرع الكنسى ص ١١.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧٢١)

وقد وضع المسيحيون رقابهم تحت سيطرة الأباطرة حين رضوا بالتدخل من أول الأمر - فى زمن قسطنطين - ولم يكذب الأباطرة خبرا، واستغلوا ذلك أحسن الاستغلال لصالحهم ولصالح أهوائهم وسياستهم وإمبراطوريتهم.

فليس شرطا أن تكون الأغلبية فى صالح عقيدة حتى تقرر فى المجامع. وليس شرطا أن تكون العقيدة مقدسة سماوية أو وضعية وثنية حتى تنال قبول المجمع، ولكن الأهم أن تنال العقيدة المقررة قبول الحكام والأباطرة حتى يصدقوا عليها ويعملوا شرعيتها ووجوب تنفيذها، ولم يكن الأباطرة يعلمون دقائق الديانة المسيحية وعقائدها حتى يقرروا ويحكموا أيها أصح؟، ولكن الحقيقة أنهم كانوا يقررون ما هو قريب لوثنتيتهم ولاعتقادهم الوثنى.

ولا شك أن الحكام كانوا يميلون إلى العقائد الوثنية المنتشرة حتى يستطيعوا أن يهيئوا الجو لوحدة الإمبراطورية وعدم انقسامها... وأكبر دليل على هذا هو ما فعله قسطنطين حين شجع القول بألوهية المسيح، وأفرد للفئة القائلة بهذا الاعتقاد مجلسا خاصا بهم، ورغبهم فى تقرير هذه العقيدة وأرهبهم إن لم يقرروا هذا الاعتقاد، وكان هدفه من هذا: أن هذه العقيدة قريبة إلى الاعتقاد الوثنى، فيستطيع الوثنى أن يرى فى المسيحية التى يناصرها الإمبراطور عقيدته التى يدين بها. فدخل فيها حرصا على الوفاق مع الإمبراطور الخاكم، وهذا الأمر "ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة، لاسيما أن التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالا إلى جو غريب تمام الغرابة، بل بدا الولوج فى المسيحية عملية رفيقة فى كثير من التدرج الشعورى والعاطفى، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة"^(١).

ثانى عشر: إن هذه المجامع تسببت فى ازدياد الخلافات المذهبية والطائفية، وإلى انقسام الكنائس، فلقد انشقت الكنيسة المصرية، والكنائس الشرقية عن الكنيسة

(١) فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى ص ٨.

الغربية، حتى أنشأت كل كنيسة مذهباً خاصاً بها... فلقد وجدنا أن الكنيسة المصرية انفصلت عن الكنائس كلها بسبب مجمع خلقيدونية، كما أن الكنائس الشرقية انفصلت نهائياً عن الكنيسة الغربية بموجب المجمع الغربى اللاتينى سنة ٨٦٩م^(١).

ثالث عشر: أما اتصال دور هذه المجمع بدور بولس فيظهر واضحاً، ذلك أن المجمع تبنت أفكار وآراء بولس وزادت عليها، وهذا يعنى أن المجمع المسيحية جاءت لتكمل الحلقة التى بدأها بولس لتغيير وجه الديانة الصحيحة، فإذا كان بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى، فإن المجمع المسيحية هى التى أكملت الحلقة فى تثبيت الوجه الثانى الجديد فى المسيحية^(٢) حتى أنك لو نظرت فى فقرات دستور الإيمان تجد أغلبها مقتبساً من رسائل بولس، فمثلاً قول دستور الإيمان المسيحى (نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل) تجده فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٨ : ٦، والرسالة الأولى لأهل غلاطية ١ : ١

وقوله (نؤمن برب واحد يسوع المسيح) تجده فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٩ : ٨، والرسالة الأولى لأهل غلاطية ٦ : ٨٨.

وقوله (المولود من الآب قبل الدهور) تجده فى الرسالة إلى العبرانيين ٥ : ٥.

يقول أفلاطون مطران موسكو: "وجملة دستور الإيمان" وقام فى اليوم الثالث على ما فى الكتب "مأخوذة من قول بولس الرسول (فإننى سلمت إليكم فى الأول ما تسلمته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث كما فى الكتب"^{(٣)(٤)}.

ويقول: "من دستور الإيمان (وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب) هذه العبارات مأخوذة من قول بولس" الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع

(١) عن هذا الموضوع راجع د / رؤوف شلبى: يا أهل الكتاب ص ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضاً: المجمع المسيحية وأثرها فى تقرير عقائد الكنيسة ص ٥١ رسالة دكتوراة).

(٣) ١ كورنثوس ١٥ : ٣، ٤.

(٤) الخلاصة الشبهة فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ٩٩.

السموات" (١). ومن قوله: "إن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش الجلالة فى السموات" (٢). (٣).

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى: "والدارس المدقق يجد فى رسائل بولس ما يمكننا أن نسميه بقوانين الإيمان" (٤).

كل هذا يدل على أن المجامع أكملت ما بدأه بولس معتمدة على دوره ورسائله وآرائه وأفكاره بل وزادت عليها.

يقول ول ديورانت: "واتخذت الكنيسة صورة العقائد الثابتة فى لاهوت بولس ثم نمت باستيعابها العقائد والطقوس الوثنية" (٥).

وبعد...

فيمكننا فى خلاصة وجيزة أن نقول:

إن بولس وقسطنطين والمجامع - هذا الثلاث - اجتمع على ديانة المسيح عليه السلام فغير وجهها وبدلها، وأدخل فيها ما ليس منها، وطعمها بالأفكار والمعتقدات الوثنية السائدة.

(١) أفسس ٤ : ١٠.

(٢) عبرانيين ٨ : ١.

(٣) الخلاصة الشهية ص ١٠١.

(٤) د/ حنا جرجس: تاريخ الفكر المسيحى (١ / ٣٨٥).

(٥) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٢).

الفصل السادس

منافذ الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية

تهديد:

أكدت المصادر أن العالم فى العصور الميلادية الأولى - وما قبلها بقليل - كان مليئاً بالمعتقدات والأفكار الدينية.

وكان من مميزات تلك العصور عامة هو التبادل التجارى والثقافى والدينى بين جميع شعوب العالم، مما كان له أثره فى أن ديانات تلك العصور لم يقتصر التدين بها فى مكان نشأتها وموضع ولادتها، ولكنها انتقلت إلى البلاد الأخرى المجاورة القرية منها والبعيدة، ولقد كان هذا سبباً فى التقاء تلك الديانات المنتشرة آنذاك، بل والتحامها وامتزاج البعض بالآخر.

هذا وقد نتج عن هذا الانفتاح الدينى - إن صح هذا التعبير - أن وجدنا معظم تلك الديانات متقاربة فى معتقداتها، وعباداتها، والطقوس التى تقوم عليها، والوعود التى تعد أصحابها والداخلين فيها بها.

فالديانات المصرية تجد لها أتباعاً فى روما وإيطاليا وآسيا الصغرى ومعظم بلاد العالم فى تلك الفترة تقريباً.

والديانات الفارسية نجد لها صدى واسع النطاق بين الرومانيين فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية التى كانت تسيطر على بلاد العالم حينئذ وكان بيدها زمام الأمور لهذه البلاد.

والديانات الهندية نجد لها أنصاراً فى المراكز والموانئ التجارية نتيجة لانتقال الآراء والمعتقدات مع التجار الوافدين من الهند والمسافرين إليها، ولذلك كان للبوذية أتباع فى الإسكندرية وطرسوس وإنطاكية - أكبر المراكز الدينية والفلسفية فى تلك العصور - وغيرها.

ولم يشأ الرومانيون واليونانيون أن يتدينوا بهذه الديانات الشرقية التى استهوتهم وملكى عليهم أحاسيسهم ومشاعرهم الدينية فقط، بل عملوا على مزجها بآلهتهم وتوحيدها بها.

فى وسط هذا الجو الدينى، ووسط هذه المادة الدينية الضخمة والمتنوعة ظهرت ديانة سيدنا عيسى عليه السلام، وكانت فى بداية أمرها ديانة صحيحة سليمة سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا تضليل، ولا انحراف فيها عن أمر الله ووجهه، ولكن هذه الديانة تغيرت وتبدلت وانقلب أمرها بعد رفع سيدنا عيسى عليه السلام، وذلك حين التقت بتلك الديانات بفعل الفاعلين وأيدى الآثمين الذين دخلوا فى هذه الديانة وغيروا وجهها الصحيح، وبدلوا أمرها المستقيم، وحرفوا صراطها القويم.

حدث هذا التغيير نتيجة لتسرب ونفوذ الأديان الوضعية إليها، والتي لم تتسرب إليها بنفسها ولكن بفعل فاعل ونتيجة لظروف معينة، وهذا يعنى أن هناك منافذ رئيسة استطاعت الأديان الوضعية أن تزحف من خلالها كالسيل الجارف على ديانة سيدنا عيسى عليه السلام، فتطوى صفحتها البيضاء الناصعة وتترك لنا صفحة أخرى جديدة مختلفة كل الاختلاف، ومتناقضة أشد التناقض، عسيرة الفهم، صعبة الإدراك، معقدة فى عقائدها، وذلك نتيجة لأنها تدخل فيها الوضع البشرى والعقل الإنسانى.

ولا نستطيع أن نجزم أن هذه الديانة تغيرت جملة واحدة أو دفعة واحدة أو نتيجة لمنفذ واحد، ولكن شيئاً فشيئاً وعصراً بعد عصر، ومنفذاً يكمل الآخر، حتى اكتمل هذا التغيير وتكونت ديانة جديدة لا تمت إلى الوحي السماوى بشئ.

يقول القاضى عبد الجبار: "واعلم أن دين المسيح وديانات الرسل عليهم السلام لم تتغير ولم تبدل جملة واحدة، ولكن شيئاً بعد شئ، وفى كل عصر، وفى كل حين حتى تكامل تغيرها، وما زال أهل الحق فيها يقلون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق"^(١).

وفى هذا الفصل سنحاول تبيان هذه المنافذ، والملابس الخاصة بها لتتعرف على كيفية اللقاء، وكيف نتج عنه ذلك التحريف؟.

(١) القاضى عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة (١ / ١٥٢).

أولاً: يهود الشتات

يقسم المؤرخون شعب اليهود في عصر المسيح إلى فريقين:

الأول: اليهود اليونانيون: وهم يهود الشتات الذين عاشوا في الممالك اليونانية، وكانوا يتكلمون اليونانية، وكانت ثقافتهم يونانية.

الثاني: اليهود العبرانيون: وهم الذين عاشوا في بلاد فلسطين، وكانوا يتكلمون الآرامية، وكانت ثقافتهم عبرانية.

وكان ليهود الشتات أثر كبير في تاريخ المسيحية، ويجدر بنا قبل أن نشير إليه أن نسترجع شيئاً من تاريخ شتاتهم بإيجاز.

ويرجع تاريخ شتاتهم إلى عصور السبى الآشورى والبابلي.

ففي عام ٧٢١ ق.م وقعت مملكة إسرائيل^(١) في يد الآشوريين الذين سبوا الكثيرين من اليهود إلى بلاد آشور، وهذا هو السبى الأول، وقد سبى فيه حوالي ٢٧٢٩٠ يهودياً، ثم بعد ذلك تعرض اليهود عامة (أى مملكتنا الشمال والجنوب) مرة ثانية وثالثة للسبى في عام ٥٩٧ ق.م وعام ٥٨١ ق.م على يد البابليين، وفي هذه الفترة لم يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم إلا بعد عام ٥٣٨ ق.م حين انهارت الإمبراطورية البابلية على يد هجمات كورش مؤسس الدولة الفارسية، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا^(٢)

"وسمح كورش لليهود بالعودة إلى بلادهم، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية وامتدت بها أعراقهم، وعرفوا بها خصب العيش والتجارة الراجحة،

(١) والمقصود بها مملكة الشمال وهى إحدى أقسام مملكة سليمان عليه السلام بعد وفاته، ففي سنة ٩٣٥ ق.م انقسمت مملكته بعده إلى قسمين: مملكة الجنوب وتدعى (مملكة يهوذا) وعاصمتها أورشليم، وقد شمل هذا القسم كل بيت يهوذا وسيط بنيامين، والقسم الثانى هو مملكة إسرائيل من الشمال وعاصمتها السامرة، وكان هذا القسم يشمل عشرة أسباط وهم: أشير، أفرايم، جاد، دان، رأوبين، زبولون، شمعون، منسى، نفتال، يساكر. "راجع: تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٤٢".

(٢) راجع ذلك بتوسع فى المرجع السابق ص (٤٣، ٤٤)، رسالتنا للماجستير: الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص (٤٤، ٤٥).

ومن ثم فقد ترددا طويلاً فى العودة للقنار والصراع حول المدينة المقدسة ، وبعد هذا التردد استقر رأى الأغلبية الساحقة على البقاء حيث كانوا بالعراق ومصر وغيرهما من البلاد^(١) التى نزحوا إليها عقب سقوط دولتهم على يد مجتصر سنة ٥٨٦ ق. م ، ولم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجئ كورش^(٢) .

"وإلى هذه الفترة بدورها يرجع تشتت اليهود ، ذلك لأنهم لم يعودوا جميعاً إلى موطنهم ، وإنما عاد البعض فقط ، وظل هؤلاء يشكلون دولة دينية قليلة الأهمية نسبياً"^(٣) .

ثم استمر بعد ذلك هذا الشتات فى أثناء حكم البطالمة ثم الرومان ، وقد ساعد على ذلك أن بلاد فلسطين ومصر كانتا تحت الحكم البطلمى من الفترة (٣٢٣ ق.م إلى ١٩٨ ق.م)^(٤) ، ثم انتقل أمرهما إلى الحكم الرومانى بعد ذلك^(٥) .

وفى هذه الفترة هاجر كثيرون من فلسطين^(٦) إلى مصر وانتشروا فى شتى أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة ، وكان من أبرزها جالية الإسكندرية ومنها انساب اليهود إلى كثير من أقطار البحر الأبيض المتوسط^(٧) ، وأخذوا يتنقلون هنا وهناك وأقاموا جاليات كثيرة فى معظم الأقطار التى استقروا فيها ، ف بجانب الجاليات اليهودية فى مصر " كانت هناك جاليات أخرى فى دمشق حيث كان يوجد عدد كبير من اليهود وكذلك فى إنطاكية ، وفى مختلف بلاد اليونان ، وكان فى روما جالية

(١) يقول جورج سارتون - عن هؤلاء الباقين - استوطنوا فى أجزاء كثيرة من الأناضول وسوريا وفى مصر خصوصاً فى جزيرة الفنتين (جزيرة واقعة فى وسط أسوان) حيث وجدت مستعمرات يهودية قديمة جداً يرجع زمانها من القرن السابع إلى القرن الخامس قبل الميلاد. تاريخ العلم (٤ / ٣٠٣) ، وعن جزيرة الفنتين راجع (٤ / ١٩٠) .

(٢) د/ أحمد شلى : اليهودية ص (٩٢ ، ٩٣) .

(٣) برتراند رسل : حكمة الغرب (١ / ٢٣٨) .

(٤) تاريخ العلم (٤ / ٣٠٣) .

(٥) فلقد خضعت بلاد فلسطين للحكم الرومانى فى عام ٦٣ ق. م ، ومصر عام ٣٠ ق.م .

(٦) عن أسباب هجرة اليهود من بلاد فلسطين فى تلك الفترة راجع : المسيحية نشأتها وتطورها ص (٥٦) .

(٧) د/ مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر فى عهدى البطالمة والرومان ص (٢٩) .

أخرى آخذه فى النمو والازدياد^(١) حتى تجاوز عدد أفرادها الألوف فى بداية عصر الإمبراطورية^(٢)، واستمر هذا الشتات خارج بلاد فلسطين حتى أنه فى أيام المسيح عليه السلام كان عدد يهود الشتات ستة أضعاف اليهود الذين يعيشون فى فلسطين^(٣).

هذا هو موجز تاريخ يهود الشتات قبل عصر المسيح عليه السلام.

أهم صفاتهم:

لقد تأثر هؤلاء اليهود بالمجتمعات والشعوب الجديدة التى تشتتوا فيها، فتأثروا بثقافتهم وأفكارهم ولغاتهم، وانعكس ذلك على دينهم اليهودى.

ففى فترات الشتات الأولى - وأثناء السبى البابلى - حينما كان زمام الأمور بأيدي البابليين والفارسيين وجدنا هؤلاء اليهود قد تأثروا بثقافتهم واستخدموا لغتهم، وكان لهذا تأثيره على دينهم.

يقول ولز: "والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هى أن اليهود قد ذهبوا إلى بابل همجاً وعادوا منها ممدنين"^(٤)، عادوا شعباً متأجج الوعى الذاتى مشرباً بالنزعات السامية^(٥).

هذا إلى جانب أنهم تولدت لديهم أثناء فترات السبى هذه فكرة المخلص الذى يخلصهم من سيئهم ويحررهم من عبوديتهم^(٦).

يقول د/ أحمد شلبى: "وفكرة المخلص برزت فى الفكر اليهودى فى وقت متأخر، ومراجعة الكتاب المقدس تقرر لنا أن هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرههم فى بابل ثم خضوعهم إلى الفرس، وهذا التوقيت دفع الكثيرين من

(١) تاريخ العلم (٥ / ٥٥).

(٢) تاريخ الحضارات العام (المجلد الثانى الخاص بروما وإمبراطوريتها) ص (٤١٨).

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٣٠).

(٤) معالم تاريخ الإنسانية. المجلد الثانى ص (٣٠٠).

(٥) موجز تاريخ العالم ص (٩٠).

(٦) الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص (٥٠ - ٤٦).

الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ (المخلص) مستعارة من الزرادشتية التي يدين بها الفرس^(١).

فلقد تأثر اليهود بفترات السبى البابلى والفارسى وظهر ذلك واضحاً فى ديانتهم. يقول زكى شنودة: "وقد عاش اليهود فى المنفى بعد سبيهم عيشة العبيد فلم يلبثوا أن حاكوا ساداتهم من البابليين فى عاداتهم وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم وإن كان فريق ضئيل منهم تمسكوا بعقائدهم وتقاليدهم"^(٢). ويقول د/ عزت زكى: "وبإبان السبى الفارسى يبدو أن اليهودية قد تمثلت شيئاً من ديانة فارس"^(٣).

وقد استخدم هؤلاء اليهود فى هذه الفترة اللغة الآرامية، وكانت هى اللغة الجارية فى الإمبراطورية الفارسية^(٤)، ولذلك ترجمت أسفار العهد القديم^(٥) - فى هذه الفترات - من اللغة العبرية إلى اللغة الآرامية^(٦).

وهذا التأثير فى الحقيقة لم يكن قاصراً على يهود الشتات وحدهم بل انتقل إلى يهود فلسطين، وذلك بفضل هؤلاء اليهود العائدين من السبى بعد أن سمح لهم كورش بالعودة إلى بلادهم، فعادوا إليها وقد حملوا معهم ما تأثروا به من أفكار وثقافات.

هذا هو ما حدث لليهود عقب فترات الشتات الأولى وأثناء ازدهار الحضارة البابلية والفارسية.

(١) اليهودية ص (٢١٩).

(٢) تاريخ الأقباط (٢ / ٣٩).

(٣) د/ عزت زكى: الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات ص (١٢٠).

(٤) تاريخ العلم (٤ / ٣٠٩).

(٥) إن تسمية الجزء الأول من الكتاب المقدس بالعهد القديم تسمية متأخرة عن هذا التاريخ، حيث إن المسيحيين هم الذين أطلقوا هذه التسمية للتمييز بينه وبين العهد الجديد، ولقد أطلقناه هنا تجاوزاً وذلك أنه لم يصح عندنا - نحن المسلمين - تسمية هذا الجزء بالتوراة.

(٦) د/ على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة ص (١١).

أما وقت ازدهار الحضارة اليونانية وانتشار الثقافة اليونانية فقد وجدنا أيضاً أن يهود الشتات الذين كانوا يعيشون في البلاد الشرقية الخاضعة لليونان، والممالك اليونانية الأخرى، قد تأثروا بالثقافة اليونانية، فقد استمالتهم هذه الثقافة الجديدة واستهوتهم بدرجة كبيرة، وظل هذا التأثير واضحاً فيهم حتى وقت ظهور المسيح عليه السلام.

وكان هؤلاء اليهود هم النواة الأولى لتطعيم ديانة عيسى عليه السلام - بعد رفعه - ببعض العقائد والشعائر الوثنية، ويظهر هذا من خلال صفاتهم التي اتسموا بها، ومن خلال الروح التي وصفوا بها، وذلك على النحو التالي:

(١) اتصفوا هؤلاء بالمرونة "وكان تعصبهم لقوميتهم أقل من أولئك الذين يعيشون في فلسطين"^(١).

يقول شارل جنيير: "ولم يكن يهود المهجر قد احتفظوا بالصورة الأصلية الكاملة لعادات وروح إخوانهم في الدين من أهل فلسطين، فقد لانت تلك العادات وتلك التقاليد ولان معها تعصبهم وعداؤهم لـ (الأجنبي) في ربوع هذه البلاد"^(٢).

(٢) ونتيجة لهذه الروح المرنة التي اتصف بها هؤلاء اليهود وجدناهم تأثروا بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً واصطبغوا بها وظهر ذلك واضحاً في أفعالهم.

(أ) نسوا لغتهم الأصلية - اللغة العبرية - واستخدموا اللغة اليونانية بدلا منها في حياتهم.

يقول جون لوريمر: "وقد بلغ بهم الأمر أنهم نسوا العبرية لغتهم الأصلية لأنهم اضطروا أن يتكلموا اليونانية باستمرار لكونها اللغة العالمية في ذلك العصر"^(٣).

(١) بارو: الرومان ص (١٨٥).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٥٩).

(٣) جون لوريمر: تايخ الكنيسة (١ / ٣١).

وأصبح من المعتذر على عامة اليهود وخاصتهم قراءة التوراة فى لغتها الأصلية^(١)، ولذلك كان من الضروري ترجمة أسفار العهد القديم فى العبرية إلى اليونانية مما أدى إلى ظهور الترجمة السبعينية^(٢).

ويشك بعض المؤرخين فى أن هذه الترجمة جاءت صادقة للنص العبرانى وذلك لتأثر المترجمين بالأساليب الإغريقية^(٣).

وأصبحت مراسم العبادة أيضاً تقام عندهم باليونانية، بل كانوا يسمون (يهوه) إلههم (ثيوس هبستوس) وهو لقب الإله اليونانى زيوس^(٤).

هذا وقد تأثر اليهود باليونانيين فى كتاباتهم الأدبية.

" فقد استخدم اليهود النثر اليونانى فى الكتابة، ونظم بعضهم شعراً باللغة اليونانية، ومن أمثلة ذلك (فيلون) الذى كتب ملحمة عن بيت المقدس "^(٥).

يقول د/ مصطفى عبد العليم: " ويتضح فى تراثهم الأدبى^(٦) تقليدهم النماذج اليونانية من حيث صيغتها وصورها، حتى إننا لا نكاد نحس ونحن نقرأ تلك النماذج أننا بصدد أدب يهودى، إلا من حيث أنه كان يتناول مواضيع متصلة باليهود وتاريخهم، أو مساجلاتهم الأدبية أو الفلسفية مع بعض فلاسفة الإغريق ومفكرهم "^(٧).

(ب) قلدوا اليونانيين فى عاداتهم وتقاليدهم وتسموا بأسمائهم التى تتضمن مقاطعها لفظ (ثيوس) أى الرب مثل ثيودوتوس أو دوروثيا^(٨)، وبل قلدوهم أيضاً فى مظهرهم وزينهم.

(١) اليهود فى مصر فى عهدى البطلمة والرومان ص (١١٥)

(٢) وقام بهذه الترجمة يهود الإسكندرية وكان ذلك فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وقد نسجت حول هذه الترجمة كثير من الأساطير فقبل إنها سميت بالسبعينية لأن سبعين مترجماً قاموا على ترجمتها، وقيل إن كل مترجم من هؤلاء السبعين قد قام وحده بالترجمة وأنه لما قورنت الترجمات بعضها ببعض وجدت متطابقة، ولكن البحث العلمى أثبت - بعد ذلك - سوء هذه الترجمة، وأنها فيها أخطاء كثيرة وعيوب كبيرة.

راجع: تاريخ الفلسفة الغربية. الكتاب الثانى ص (٢٢، ٢٣)

(٣) اليهود فى مصر ص (١١٥).

(٤) تاريخ العلم (٥ / ٥٥)

(٥) المرجع السابق (٦ / ١٣٩).

(٦) يقصد يهود الشتات.

(٧) اليهود فى مصر ص (١١٥).

(٨) تاريخ العلم (٤ / ٤٧)، (٥ / ٥٥).

يقول د/ مصطفى عبد العليم: "ويحتمل أن مظهر اليهود الإغريقى فى لغتهم وزيههم جعل من العسير التفرقة بينهم وبين الإغريق"^(١).

وهكذا يتبين لنا أن اليهود تعاملوا باليونانية وقرأوا كتبهم المقدسة باليونانية، وأقاموا مراسيمهم الدينية بها، وكتبوا أديهم نثراً، وشعراً بها. بل امتد الأمر أن قلدوا اليونانيين فى كل أمورهم. وتسموا بأسمائهم، ولبسوا أزياءهم.

كل هذه الظواهر مجتمعة تدل على أن يهود الشتات لم يحتفظوا بصورتهم اليهودية كاملة، وعلى أنهم فقدوا الكثير من مقومات حياتهم القومية. وتدل أيضاً بوضوح على تأثيرهم باليونانيين تأثيراً واضحاً لا مجال للشك فيه.

(٣) فشت بين يهود الشتات - إلى حد ما - النزعة اليونانية التى كانت سائدة منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد. وهى نزعة الجمع والمزج بين الآراء المختلفة، وكان لذبوعها بينهم أثر على دينهم اليهودى، ولقد كان الأسلوب الذى اتبعه هؤلاء اليهود مع الشعوب الذين يعيشون معهم هو السبب فى هذا. ذلك أنهم كانوا يميلون إلى الاندماج بالقوم الذين كانوا يعايشونهم، أى أنهم كانوا يؤثرون - كما يقول جورج سارتون - أن يعتبروا يونانيين لايهودا"^(٢)، ولذلك قلدهم فى كل أمورهم ووصل الأمر ببعضهم إلى المزج والتوفيق بين الفلسفة اليونانية والعهد القديم مثل ما فعل (فيلون)^(٣).

يقول حبيب سعيد: "وامتزجت أيضاً فى الإسكندرية آراء العهد القديم الدينية بالآراء الفلسفية اليونانية وخاصة الأفلاطونية والرواقية. وكان أشهر أولئك الشراح (فيلون) الذى وفق بين آراء الكتاب المقدس، وبين أفضل الآراء والمذاهب الأفلاطونية والرواقية. وكان لهذا المزج والتوفيق أعظم الأثر فيما بعد فى نشوء الاصطلاحات اللاهوتية المسيحية"^(٤).

(١) اليهود فى مصر ص (١١٦).

(٢) تاريخ العلم (٥ / ٥٥).

(٣) عن آراء فيلون راجع: إميل برهنية: آراء فيلون الدينية والفلسفية، ترجمة: د/ محمد يوسف موسى.

(٤) فجر المسيحية ص (٧٨).

بل وأكثر من ذلك أن بعض هؤلاء اليهود اعتنقوا الديانات الشرقية واليونانية ومزجوها بيهوديتهم.

"ففى آسيا الصغرى كان اليهود يتزوجون من أجنبيات ويعتقون ديانات يونانية شرقية، وقد كانوا فى اعتناقهم ديانات شرقية يقلدون اليونان فى عرفهم الدينى، فقد كان الشئ المتعارف عليه عندهم أن يعتنق الواحد منهم مذهب القوم الذى يعايشهم"^(١).

يقول شارل جنبير: "لم يكتف يهود المهجر بالتطور الاجتماعى وفقاً للبيئة التى يعيشون فيها، ولم يكتفوا بإعادة تنظيم عقيدتهم الدينية لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يخلطون باليهودية بعضاً من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم"^(٢).

ولا نستطيع أن نقول إن عملية المزج - بين اليهود والديانات الأخرى - كانت عادة كل يهود الشتات، ولكن ربما تكون نزعة البعض فقط، والأدلة غير قاطعة فى أنهم مزجوا كل ديانتهم بالديانات الوثنية، والمراد هنا أن نقول إن نزعة المزج بين اليهودية والديانات الأخرى كانت موجودة بين اليهود.

يقول شارل جنبير: "وإن ما تجمع لدينا من معلومات لا تكفى لأن نقطع بالرأى فى كل ما يتعلق بهذه الفرق اليهودية التى نزلت إلى تأليف وتطوير عناصر مختلفة من الأديان الموجودة حينذاك، غير أن مجرد وجودها يدل دلالة واضحة على اتصال الروابط بين اليهودية بمعناها الحقيقى وبين الأديان الأخرى المختلفة فى غرب آسيا"^(٣).

ونخلص من هذا إلى أن يهود الشتات كانوا يميلون جميعاً - بدرجات متفاوتة - إلى الامتزاج والاندماج فى الإغريق والشعوب الهلنستية المحيطة بهم^(٤). وكانوا على

(١) تاريخ العلم (٥٥ / ٥).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٦١)

(٣) نفس المرجع ص (٦٣).

(٤) معالم تاريخ الإنسانية. المجلد الثالث ص (٦٨٩).

فقد تكون حول يهود الشتات بعض الفئات الوثنية الذين سثموا من الديانات الوثنية وما يدور حولها من أساطير، وانقسموا إزاء اليهودية إلى قسمين:

البعض اعتنق اليهودية - مع التحفظ في هذا.

بينما وقف البعض الآخر منهم موقف المتعاطف من اليهود.

يقول جيلانفيل دوانى: "وكان فى إنطاكية جالية يهودية، وكانت هذه الطائفة تجتذب إلى شعائرها وتعاليمها عدداً من غير المؤمنين بعقيدتها ممن كانوا يجدون فى اليهودية مذهباً خلقياً أكثر إرضاءً لنفوسهم من التعاليم الوثنية"^(١).

ويقول: "إنهم انجذبوا إلى اليهودية بسبب استيائهم من المذاهب الوثنية التقليدية"^(٢).

وهكذا انجذبت طائفة من الوثنيين لديانة يهود الشتات بينما توقفت الطائفة الأخرى.

يقول جون لوريمر: "بعضهم صار يهودياً، ولكن البعض الآخر كانوا متعاطفين فقط"^(٣).

وكان أغلب هؤلاء المعتنقين لليهودية من الوثنيين يحتفظون بثقافتهم وأفكارهم، بل وربما يعدّلون من اليهودية بما يتفق واتجاهاتهم وأفكارهم الوثنية.

يقول شارل جنيير: "ولا غرابة إذن فى تلك الظاهرة التى نلاحظها لدى الأتباع الجدد للدين اليهودى من الاحتفاظ بمقومات الثقافة والفكر المنتشرة فى بيئتهم الأصلية، فلم يكن هناك ثمة ما يدعوهم إلى احتقار تلك الحضارة التى صورها لهم معلمهم الأول على أنها أجمل الحضارات قاطبة، وأكرمها بالنسبة إلى الإنسان العاقل، فإذا ما اعتنقوا اليهودية على نحو ما، لم يكن ذلك إلا على أساس تطويرها مع اتجاهاتهم الفكرية، وعدم التخلّى عن الآراء أو تقاليد الحياة التى نشأوا عليها إلا فى حدود ما بدا لهم أنه يتعارض تمام التعارض مع ما يأخذونه من الدين الجديد"^(٤).

(١) إنطاكية القديمة ص (١٥٩).

(٢) إنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير ص (٣٣) راجع أيضاً: برودنت: الكنيسة المتغربة ص (٦).

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٣١).

(٤) المسيحية نشأتها ونظورها ص (٦٠).

وكان هؤلاء اليهود الجدد من أخطر ما يكون على ديانة المسيح عليه السلام.

والخلاصة هنا: أن يهود الشتات قبلوا في دينهم الوثنيين المتطبعين على الوثنية والتي لم يستطيعوا نسيانها - أو على الأقل عدم الجهل بها - وكانوا على دراية بكل أسرار وطقوس الديانات الوثنية المنتشرة آنذاك والجوانب المشتركة بينها.

هذا إلى جانب أن معرفتهم بالعهد القديم والكتب المقدسة كانت أقل بكثير من اليهود الأصليين حيث إنهم لم يعرفوا هذه الكتب إلا في دائرة الترجمة اليونانية الجديدة - وهي المسماة بالسبعينية - وهي التي أشرنا إلى أنها كانت غير مطابقة - إلى حد ما - للنص العبراني.

وكانت معرفة هؤلاء الجدد باليهودية وعقائدها وشرائعها أقل من معرفة اليهود الأصليين بل وأقل من يهود الشتات الذين تعلموا منهم.

ولك أن تتصور أيها القارئ مدى خطورة هؤلاء على ديانة المسيح عليه السلام حينما يؤمنون بها أو يدخلون فيها.

هذه هي أهم صفات يهود الشتات وقت ظهور المسيحية.

كيف عبرت ديانة المسيح عليه السلام إلى مجتمعات يهود الشتات (أو المهجر)؟

إن الأناجيل المسيحية الحالية لا تذكر لنا شيئاً عن أن المسيح بشر بديانته بين يهود الشتات، أو أن أحداً منهم قبل رسالته، أو أنه خرج إليهم في الممالك اليونانية والرومانية ليدعوهم إلى ديانته.

ولم يرد أى ذكر ليهود الشتات في الأناجيل إلا مرة واحدة - وفي إنجيل يوحنا خاصة.

فلقد ذكر إنجيل يوحنا أن المسيح كان يحاور اليهود ويقول لهم "أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى، ستطلبونى ولا تجدونى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أتم أن تأتوا، فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزعم أن يذهب حتى لا نجده نحن أعلمه مزعم أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعَلِّم اليونانيين"^(١).

وهذا النص لا يفيد شيئاً سوى استهزاء اليهود بالمسيح عليه السلام والسخرية منه.

ولا دلالة في هذا النص على تبشير المسيح بديانته بين يهود الشتات، وعليه فهو لم يبشر بها بينهم، وكذلك لم يؤمن أحد منهم برسالته وقت وجوده بين الناس. وبعد رفع المسيح عليه السلام يقص علينا سفر الأعمال أن بعضاً من يهود الشتات الذين عاشوا في بلاد متفرقة جاءوا إلى أورشليم للمشاركة في يوم الخمسين^(١).

يقول سفر الأعمال: "وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم... فرتيون^(٢)، وماديون^(٣)، وعيلاميون^(٤)، والساكنون ما بين النهرين، واليهودية، وكبدوكية^(٥)، وبنثس^(٦)، وآسيا، وفريجية^(٧)، وبفيلية^(٨)، ومصر، ونواحي ليبيا التي نحو القيروان، والرومانيون المستوطنون يهوداً ودخلاء كريتيون، وعرب"^(٩).

(١) وهو عيد يهودي كان يحتفل به بعد عيد الفصح وسمى بيوم الخمسين لأنه يقع بعد خمسين يوماً من الفصح، أو بعد سبعة أسابيع (سفر اللاويين ٢٣ : ١٥).

(٢) فرتيون: هم سكان باريثا وهي ولاية كانت تقع في آسيا الغربية جنوب شرقى بحر القزوين، وتكاد تكون مطابقة لمقاطعة خراسان الحالية الواقعة في القسم الشمالى الشرقى من إيران. راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٦٧٣).

(٣) ماديون: وهم نسل مادي بن يافث. (تكوين ١٠ : ٢)، وسكان بلاد مادي وهي اسم بلاد يحدها نهر اركسيس وبحر القزوين إلى الشمال والشمال الشرقى. المرجع السابق ص (٨٢٩).

(٤) عيلاميون: نسل عيلام بن سام (تكوين ١٠ : ٢٢) وسكان بلاد عيلام وهي بلاد فيما وراء دجلة وإلى الشرق من ملكة بابل. المرجع السابق ص (٦٥١).

(٥) كبدوكية: أكبر ولايات آسيا الصغرى القديمة وكانت واقعة إلى الجهة الشرقية. المرجع السابق ص (٧٥٨).

(٦) بنثس: هي المقاطعة الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى وكانت واقعة على شواطئ البحر الأسود. المرجع السابق ص (١٩٠).

(٧) فريجية: هي الجزء الغربى من الهضبة الوسطى في آسيا الصغرى. تاريخ العلم (٢ / ٢٠٣).

(٨) بفيلية: مقاطعة في آسيا الصغرى الواقعة إلى الجهة الشمالية من بحر الروم. قاموس الكتاب المقدس ص (١٨٩).

(٩) أعمال الرسل ٢ : ١١-٥.

ويبين لنا سفر الأعمال هذا أن بعضاً من هؤلاء آمنوا بالمسيحية^(١). "وأن فئة منهم عادوا إلى بلادهم فور الانتهاء من الاحتفالات بالعيد، بينما بقيت فئة أخرى بفلسطين غير أنها لم تلبث أن طردت منها إثر مقتل استفانوس على أيدي اليهود"^(٢).

وبعد رجوعهم إلى بلادهم التي تشتتوا فيها من قبل أخذوا يشرون بالمسيحية بين إخوانهم اليهود وبين هؤلاء الدخلاء - كما يسميهم المؤرخون - الذين دخلوا اليهودية من اليونانيين وغيرهم نتيجة استيائهم من المعتقدات الوثنية التقليدية، فأمن عدد كثير منهم بالمسيحية.

يقول سفر الأعمال: "أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وإنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط، ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرصيون، وقبرصانيون الذين لما دخلوا إنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم فأمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب"^(٣).

وبدأت المسيحية تنتشر في مجتمعات يهود الشتات في البلاد اليونانية والرومانية بعيداً عن أعين تلاميذ المسيح وبعيداً عن مجتمعاتهم.

وقد ساعد على انتشار المسيحية في تلك المجتمعات النشاط التبشيري الذي قام به بولس الذي كان واحداً من يهود الشتات المتأثرين بالثقافة اليونانية، وفي إحدى هذه المجتمعات - وبالتحديد في إنطاكية - أطلق على هؤلاء ولأول مرة لقب المسيحيين^(٤)، وهذا يعني - كما قلنا سابقاً - إن هذا اللقب لم يطلق على تلاميذ المسيح، ولا في بلاد فلسطين التي ظهر فيها المسيح عليه السلام ودعا الناس فيها إلى

(١) نقول هنا إنهم آمنوا بالمسيحية ولم نقل آمنوا بديانة المسيح عليه السلام. لأن سفر الأعمال المشار إليه يوضح أنهم آمنوا به رباً ومسيحاً ومخلصاً. وهذه ليست ديانة المسيح عليه السلام.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٦٤). راجع أيضاً: سفر الأعمال ٦: ٩، ٧: ٥٧.

(٣) أعمال الرسل ١١: ١٩-٢١.

(٤) أعمال الرسل ١١: ٢٦.

دعوته ورسالته، ويعنى أيضاً أن الناس ميزوا تمييزاً واضحاً بين هؤلاء وبين الطائفة اليهودية الأصيلة^(١).

يقول شارل جنيبير: وكان الخطر كبيراً على ديانة المسيح عليه السلام عندما انتقلت إلى المعابد اليهودية في بلاد اليونان: خطر الانحراف والتطبيع بخصائص الفكر اليوناني^(٢).

خطر يهود الشتات على ديانة المسيح عليه السلام:

لقد شكل يهود الشتات - بمرونتهم وعدم تعصبهم ليهوديتهم وتأثرهم بمن حولهم - خطراً على ديانة المسيح عليه السلام حين آمنوا بها ونقلوها إلى مكان سكناهم في المجتمعات اليونانية والرومانية، فالحقيقة أنهم لم يؤمنوا بهما كما جاء بها المسيح عليه السلام بل آمنوا بها بعد أن عدلوا في عقائدها وأدخلوا فيها ما ليس منها، فأدخلوا العقائد الوثنية في هذه الديانة وألصقوها بديانة المسيح عليه السلام.

وقد ساعدهم على ذلك أنهم كانوا بعيدين عن موطن تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين يعرفون الحق من الباطل والصحيح من المحرف والسموى من الوثنى.

يقول شارل جنيبير - عن مجتمعات يهود الشتات -: "ولا نشك في أنها طورت من ادعاءات أصحاب عيسى قبل اعتناقها"^(٣).

ولا نشك أيضاً في أنه من أوائل العقائد الوثنية التي أدخلها يهود الشتات هي عقيدة الخلاص والفداء وما يتصل بهما؛ فلقد آمنوا بعيسى بن مريم على أنه ابن الله المخلص والمنقذ كما كان يؤمن الوثنيون بآلهتهم.

يقول د/ محمد توفيق صدقي: "التعبيرات والأفكار المتعلقة بالفداء وحمل الآثام، وعقاب البرئ بذنب المذنب، حملته اليهود المنتصرون في مبدأ المسيحية كبولس وأضرابه إلى ديانتهم الجديدة، فأدخلوا فيها هذه العبارات والأفكار وطبقوها على

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٩٠).

(٢) المرجع السابق ص (٦١).

(٣) المرجع السابق ص (٨٧).

المسيح ثم توسعوا فيها شيئاً فشيئاً حتى وصلت عقائدهم إلى ما نعرفه عنهم اليوم^(١).

وقد ساعد اليهود على إدخال هذه الأفكار وجودهم فى ذلك الوسط الوثبى وسط اليونانيين والرومانيين وغيرهم وانتشار مثل هذه العقائد بين جميع الأمم الوثنية الأخرى^(٢).

فلقد حمل يهود الشتات - وعلى رأسهم بولس - بعض العقائد^(٣) الوثنية إلى ديانة المسيح عليه السلام، وصاغوها وطبقوها على المسيح، حتى أصبحت تسمى بالمسيحية.

ومن خلال هذا النهج زحفت الوثنيات الأخرى إلى هذه الديانة.

هذا وقد عمل يهود الشتات على جعل ديانتهم المسيحية مقبولة لدى العالم الوثبى، فأزاحوا العقبات التى ظنوا أنها تقف حائلاً دون قبولهم المسيحية، فألغوا الختان، والتحريمات فى الطعام عدا ما ذبح للأوثان، والمخنوق، والدم^(٤)، وأصبحوا يبشرون بأن الناموس الموسوى لم يعد صالحاً للاستعمال.

يقول يوسف الخداد: "منذ مطلع العهد الرسولى نشأ تفسيران للدعوة الإنجيلية، تفسير النصارى من بنى إسرائيل بزعامة يعقوب أخو يوحنا، وهذا التفسير يقول بإقامة التوراة والإنجيل معاً، والعمل بالختان والعماد معاً، وتفسير المسيحيين الذى نادى به التلاميذ من الشتات بقيادة مدرسة استفانوس وخصوصاً مدرسة بولس وهم يقولون بإقامة الإنجيل وحده وتحرير المسيحية من الموسوية"^(٥) أى تحرير المسيحية من شريعة موسى.

وبذلك فتحوا المجال أكثر لدخول العقائد الوثنية إلى المسيحية لسد الفراغ الذى تركه نبذ الشريعة الموسوية.

(١) د/ محمد توفيق صدقى: دين الله فى كتب أنبيائه ص (٣١).

(٢) المرجع السابق ص (٤١).

(٣) راجع ما قلناه فى الفصل الثالث من الباب الأول عن بولس والعقائد التى أدخلها فى ديانة المسيح عليه السلام.

(٤) أعمال الرسل ١٥ : ٢٠.

(٥) يوسف الخداد: فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ١٦).

وهكذا يتضح لنا أن يهود الشتات لعبوا دوراً كبيراً فى تأثر ديانة المسيح عليه السلام - بعد رفعه - بالديانات الوثنية، والواقع أنهم كانوا مهئين بالصفات التى اتصفوا بها، والتى أشرنا إليها سابقاً لأن يقوموا بهذا الدور، فكانوا من أوائل المنافذ لتسرب الوثنية إلى ديانة المسيح عليه السلام، حيث إنهم ألغوا ديانته وشريعته واستبدلوها بعقائد وشرائع وثنية وطبقوها على المسيح عليه السلام، وفتحوا المجال لمن يأتى بعدهم لأن يضيف إلى هذه الديانة ما يراه من وثنيات طالما أنه ينسبها للمسيح عليه السلام، ولذلك وجدنا منافذ أخرى لدخول الوثنيات إلى المسيحية.

وكان ليهود الشتات أيضاً دور فى هذه المنافذ كما سيتبين فيما يأتى، وذلك لأنهم هم الذين استخدموا اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية، ولأنهم هم الذين بشروا بالمسيحية بين الوثنيين.

المنفذ الثانى: السرية التى فرضها المسيحيون على أنفسهم

فى أول الأمر خوفاً من الاضطهاد

لقد قلنا سابقاً إن أتباع الديانة المسيحية قد عانوا الكثير من اضطهاد الأباطرة الرومانيين المعادين لهم، فكانت الكلمات التى تردد على ألسنة المسيحيين فى القرون الثلاثة الأولى (مسيحي) أو (مسيحية) تجلب على الناطقين بها الاضطهاد والتعذيب والموت^(١)، وكان هذا سبباً فى أن يتستر المسيحيون أو على الأقل يكتُموا تدينهم بين أضلاعهم فلا يعرفه أحد^(٢).

يقول د/ جوزيف نسيم يوسف: "أخذ المبشرون ينشرون المسيحية فى أقطار الأرض المعروفة وقتذاك، وقد بدأ التبشير بالديانة المسيحية كحركة سرية لا يمكن أن تكون علانية مع طبيعة النظام القائم وقتها"^(٣).

ولذلك نجد أن العلماء يقررون أنه برغم أن المسيحية وصلت مصر فى القرن الأول إلا أنه لا يوجد لها أى أثر فى أى ورقة من أوراق البردى التى ترجع إلى القرن

(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول والخاص "بالاضطهاد".

(٢) د/ أحمد شلى: المسيحية ص (١٣٣).

(٣) د/ جوزيف نسيم يوسف: دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص (٤٢).

الأول مما كشف حتى الآن، بل إنه فى وثائق القرن الثانى لا يوجد من الأدلة والبيانات الواضحة سوى أثر ضئيل لهذه الديانة^(١).

فهذا يدل على أن المسيحيين كانوا يخفون اعتقادهم خوفاً من أن تمتد إليهم أيدي السلطات الرومانية بالاضطهاد والتعذيب.

"وما دام قوم يسترون ولا يجهرن بدعوتهم فإن العقيدة سيدخلها كثير من الباطل"^(٢) خاصة بعد ضياع الإنجيل الصحيح والخروج بالديانة بعيداً عن موطن التلاميذ.

"لقد عاش القوم وسط الاضطهادات فكانت التعاليم سرية ولا يستطيع إنسان أن يتأكد مما يسمع.

إن الواحد منهم - بلا شك - كان يعتقد أن كل من حوله جاسوس عليه ورقيب عليه يحصى حركاته وسكناته، وإذا كانت هذه حاله فكيف يتمكن من سؤال غيره عن شئ فى دينه المحظور؟ لعل من يسأله يكون جاسوساً جاء ليعرف سره، وفى وسط هذا الجو دست على الدين كتب تحوى عقائد لم يتكلم بها السيد المسيح ولا تمت إلى شريعته بصلة"^(٣).

فلقد كانت السرية من أكبر المنافذ التى ساعدت ومكنت يهود الشتات والوثنيين من دس المعتقدات والتعاليم الدينية التى لم يأت بها المسيح عليه السلام خاصة وأن الأناجيل والرسائل كتبت فى فترة الاضطهاد والسرية.

المنفذ الثالث: استخدام اللغة اليونانية

شرع المسيحيون من يهود الشتات فى استخدام اللغة اليونانية وإدخال الثقافات والمصطلحات اليونانية بدلاً من الآرامية. وذلك لكى يخفوا نهجهم فى تحريف ديانة المسيح عليه السلام وإدخال الوثنية إليها.

(١) إدريس بل : الهلينية فى مصر من الإسكندري الكبير إلى الفتح العربى ص (١١٦)

(٢) الوحداية ص (١٤٧).

(٣) الحركة الفكرية ضد الإسلام ص (٢١٢-٢١٣).

واللغة الآرامية هي اللغة التي كانت سائدة في بلاد فلسطين، وهي التي كان يتكلم بها أهلها في العصر الذي ظهر فيه المسيح^(١).

"وكانت اللغة العبرية - كما تقول كاترين هنرى - قد بطل استعمالها لغة للكلام منذ السبي، لأن اليهود في بابل تعلموا اللغة الآرامية وظلوا يتكلمون بها حتى بعد عودتهم"^(٢).

"أصبحت اللغة الآرامية بعد تغلبها على اللغة العبرية في فلسطين وما إليها، وعلى اللغة الأكادية (أو البابلية الآشورية) في مناطق العراق، أي منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، اللغة السائدة في التخاطب والكتابة في جميع بلاد العراق من جهة، وفي سوريا وفلسطين وما إليها من جهة أخرى"^(٣).

وظل هؤلاء اليهود يستعملونها ويقدمونها، وبقي سلطانها عليهم حتى سنة ٦٣٥ م عند الفتح العربي فاستبدلت الآرامية باللغة العربية^(٤).

فكانت الآرامية هي اللغة التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام وتلاميذه الأصليون^(٥)، ولكن حينما آمن يهود الشتات بديانة المسيح بدأوا يستخدمون اللغة اليونانية في التعبير عن هذه الديانة بدلاً من اللغة الآرامية السائدة، وكان بولس هو السبّاق إلى صيغ ديانة المسيح عليه السلام بالصيغة اليونانية، واستخدام المصطلحات اليونانية وذلك حين عمل على نشر المسيحية بين ربوع اليونان والرومان.

يقول يوسف الحداد: "ودور بولس الثاني"^(٦) كان في توطين المسيحية في العالم الهلنستي وذلك في (تهلينها) باستخدام التفكير والتعبير الهلنستي"^(٧).

(١) د/ على عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص (٦٦).

(٢) التاريخ في الكتاب المقدس ص (١٢٩ ، ١٣٠).

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (١١).

(٤) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص (١٢٥ ، ١٢٦) ، راجع أيضاً : لمحات من التاريخ في الكتاب المقدس ص (١٢٠ ، ١٢١).

(٥) فقه اللغة ص (٦٦).

(٦) ذكر الكاتب المسيحي (يوسف الحداد) أن بولس له أفضال ثلاثة على المسيحية ، ذلك أنه التكلم الأول والأفضل . في نظره . في تفصيل الإنجيل ، وهو الذي قاد حركة تحرير المسيحية من الموسوية في الشريعة والحنان ، وهو الذي نقل المسيحية إلى البيئة الهلنستية . راجع : فلسفة المسيحية في رسائل بولس (١ / ١٦).

(٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

وبانتشار المسيحية بين يهود الشتات انتشر استخدام اللغة اليونانية بدلاً من اللغة الآرامية حتى إن الأنجيل المسيحية الحالية ألفت جميعها بها ما عدا إنجيل متى، فالراجح أنه كتب بالآرامية، ثم ترجم إلى اليونانية، غير أن الأصل الآرامي فقد، ولم يبق إلا الترجمة اليونانية، ولا يعرف من ترجمها؟ ولا متى ترجمت؟

يقول ناصر الدين دينيه : "أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذى لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه باد أو أنه قد أبعد، ولهذا قد جعلوا مكانه توليفات أربعاً مشكوكاً فى صحتها، وفى نسبتها التاريخية، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية وهى لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية، لذلك كانت صلة السماء بهذه الأنجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود"^(١).

واستخدام اللغة اليونانية فى التبشير بالمسيحية بدلاً من الآرامية يعتبر من أكبر المنافذ لتسرب الوثنية إلى المسيحية، ذلك أن الكلمة فى لغة غير الكلمة فى لغة أخرى، وأن المعانى التى تحويها الكلمة فى لغة تقل أو تزيد إذا ترجمت إلى لغة أخرى.

ومن هذا الطريق استخدم المسيحيون - من يهود الشتات اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية حتى يستطيعوا أن يغيروا المعنى، وتكون المحصلة تحريف ديانة المسيح عليه السلام، وإليك بعض الأمثلة على هذا.

يقول شارل جنيبير: "ولم يقل عيسى عن نفسه أنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوى فاحش، وضرب من ضروب السفه فى الدين، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأنجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فلكل لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية"^(٢).

(١) ناصر الدين دينيه: أشعة خاصة بنور الإسلام ص (٤٠ ، ٤١).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٣٩).

ويقول: " يمكن لليهودى أن يعتبر نفسه (عبداً) ليهوه، لا (ابناً ليهوه) ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد صور نفسه (عبد الله) وتقدم للناس بهذه الصفة، والكلمة العبرية (عبد) كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعنى (خادماً) و(طفلاً) على حد سواء، وتطور كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكرى اليونانى^(١)."

ولقد برر العالم المسيحى د/ إدوار يونج الاختلاف فى روايات الأنجيل فى قصة الشاب الغنى^(٢) بقوله: "إنه من الواجب أن نعلم أن الحديث جرى فى الأصل باللغة الآرامية بين المسيح والشاب الغنى غير أن البشيرين - كتاب الأنجيل - عندما كتبوا الأنجيل كتبوها باللغة اليونانية، أو أنهم فى الواقع كتبوا ترجمة الحديث من الآرامية إلى اليونانية"^(٣)

ويفهم من هذا التبرير أن الترجمة من الآرامية إلى اليونانية هى التى سببت هذا الاختلاف، وهذا يعنى أن استخدام اللغة اليونانية للتعبير عن المسيحية كان سبباً فى تعديل أقوال المسيح وتعاليمه.

ولم يقتصر الأمر عند حد استخدام اللغة اليونانية فقط، بل تعداها إلى الأفكار والمصطلحات الهلينية^(٤).

يقول د/ فهم عزيز: "إن الكنيسة المسيحية الأولى قد استفادت واستخدمت كثيراً من الصور والتفكير اليونانى وملائته بالرسالة المسيحية"^(٥).

(١) المرجع السابق هامش ص (٣٩، ١٠٦).

(٢) وملخص هذه القصة أن شاباً غنياً سأل المسيح قاتلاً: أي صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟ فقال له المسيح ليس أحد صالحاً إلا الله، ولكن إذا أردت أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا: لا تقتل، لا تزنى... إلى آخره "راجع هذه القصة فى الأنجيل المسيحية على النحو التالى: متى ١٩: ١٦-٢٦ / مرقس ١٠: ١٧-٢٧، لوقا ١٨: ١٨-٢٧.

(٣) د/ إدوار يونج: الكتاب المقدس فى الميزان ص (١٥١).

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص (١٠٤).

(٥) المرجع السابق ص (١٠٥).

ويقول جون لوريمر - عن الكنيسة - "فقد كانت لغتها هي اليونانية، أما الفكر اللاهوتى والتقاليد فقد اصطبغ بالصبغة الهلينية"^(١).

ويقول محمد شفيق غريال: "الكلمات الأساسية كافة فى العقيدة المسيحية يونانية الأصل"^(٢).

والخلاصة: أن استخدام اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية التى كان يتحدث بها المسيح عليه السلام كان سبباً فى تحريف ديانتة، وذلك عن طريق لوى الألفاظ، وتغيير المعانى، أو عن طريق إدخال المصطلحات والأفكار اللاهوتية اليونانية والتى كانت تستخدم فى التعبير عن العقائد الوثنية.

وكان المسيحيون من يهود الشتات هم السبب فى هذا الاستخدام، وذلك لكى يخفوا تغييرهم لمضمون ديانة المسيح عليه السلام، ويحتالوا على تحريفها.

وقد فطن القاضى عبد الجبار إلى هذا المنفذ الخطير، وأشار إليه فقال: " قالت العلماء: عدولكم معشر النصارى عن اللغة العبرانية، وهى لغة المسيح والأنبياء قبله عليهم السلام إلى سائر اللغات حتى ما من نصرانى يتلو هذه الأناجيل فى فرض من فروضه بلغة العبرانى، حيلة ومكيدة وفراراً من الفضيحة. فقال الناس لهم: إنما وقع العدول عنها لما قصده أصحابكم الأولون من الادغال فى المقالات، واحتيالاً فى تدليس ما وضعوه من الأكاذيب، وستراً لما احتالوا طلباً للرئاسة، ذلك أن العبرانية كانت لغة أهل الكتاب، وأهل العلم فى ذلك الزمان. فغير هؤلاء النفر اللغة بل عدلوا عنها كلها لئلا يفهم أهل العلم مذهبهم وقصدهم لسترها فيفتضحوا قبل تمكن مذهبهم. ولا يتم لهم، فعدلوا إلى لغات أخرى ما تكلم المسيح ولا أصحابه بها، وليس أهلها من أهل الكتاب ولا لهم علم يكتب الله وشرائعه"^(٣).

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١/ ١٤٣).

(٢) تكوين مصر ص (٧١).

(٣) القاضى عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٥٣ - ١٥٤).

المنفذ الرابع: التبشير بالمسيحية فى العالم الوثنى

إن المسيح عليه السلام - كما توضح الأناجيل الحالية - كان يعلم تلاميذه أنه أرسل إلى بنى إسرائيل خاصة فقال لهم (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)^(١) وأوصاهم حين أرسلهم للتبشير بقوله: "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"^(٢).

وهناك فقرات أخرى فى الأناجيل تبرز خصوصية رسالة المسيح لبنى إسرائيل، ففى إنجيل متى أن بطرس سأل المسيح قائلاً: ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر"^(٣).

فهذه الفقرات وغيرها تدل بوضوح على أن دائرة التبشير بديانة المسيح عليه السلام مقتصرة على بنى إسرائيل وحدهم.

ولكن يهود الشتات - وعلى رأسهم بولس - كان لهم رأى آخر، ذلك أنهم أخذوا يبشرون بالمسيحية بين الوثنيين فى الأفطار اليونانية والممالك الرومانية بين اليونانيين والرومانيين والشرقيين، وقد وجد هؤلاء فى الدين الذى يعرض عليهم بعض العقبات التى تقف فى طريق قبولهم له، ولكن بفضل جهود بولس ومن معه أزيلت هذه العقبات، فلقد تسامح بولس فى قبول الوثنيين فى المسيحية دون أن يفرض عليهم الالتزام بالشريعة الموسوية، هذا إلى جانب أنه فسر لهم الأحداث التى أصقت بالمسيح - كالصلب مثلاً - بما يتفق وعقائدهم الوثنية حتى أصبحت المسيحية ملائمة لهم.

(١) متى ١٥ : ٢٤.

(٢) متى ١٠ : ٦.

(٣) متى ١٩ : ٢٨.

يقول د/ محسن العابد: "إلا أن تسامح بولس فى قبول المسيحيين من غير اليهود، دون أن يفرض عليهم اختنا. والخضوع للتشريع الموسوى، وخاصة الشعائر الطقوسية الخاصة بالطعام قد فتح للمسيحية آفاقاً جديدة خارج أورشليم"^(١).

ويقول فيليب حتى: "قد بدت بعض مظاهر الدين الجديد (المسيحية) غريبة على الفكر الرومانى اليونانى. ولكن الهوة أزيلت نهائياً بمجهود بولس والآباء المسيحيين الأولين، ذلك بأن هؤلاء الكتاب قاموا بإعطاء المسيحية شكلها الهلنى، وجعلوها ملائمة للانتشار فى العالم. وكان بولس يعرف اللغة والفلسفة اليونانية، واستعمل التعابير والمصطلحات الفلسفية. وتبنى بعض آراء من ديانات الأسرار، وبفضل الطريقة التى انتهجها تم التفاهم بين الديانة المسيحية والحضارة اليونانية، وقد اتخذت المسيحية طابعاً هلينياً قبل أن تصبح مقبولة لدى الرومان واليونان"^(٢).

ثم أخذت المسيحية تنتشر بين الوثنيين بعد هذه التعديلات .

أهم خصائص الديانات الوثنية آنذاك^(٣):

إن الديانات الوثنية التى انتشرت فى الفترة ما قبل ظهور المسيح بثلاثة قرون وحتى القرن الثالث الميلادى قد جمعت بينها خصائص مشتركة أهمها ما يلى:

(١) كانت هذه الديانات تقوم على التعدد، فلم تخل أى ديانة من تلك الديانات من ظاهرة التعدد، هذا وقد حددت بعض الديانات هذا التعدد بثالوث، مثل الديانة المصرية (أوزيريس - وإيزيس - وحورس).

(٢) كانت هذه الديانات تؤمن بعقيدة حلول الله فى الحيوانات والنباتات والإنسان. وذلك مثل الديانة المصرية واليونانية والرومانية.

(٣) كانت هذه الديانات تؤمن بالإله المخلص المنقذ الذى يموت ثم ينتصر عليه بقيامه من الأموات، وذلك مثل أوزيريس، وديونيس.

(١) د/ محسن العابد: مدخل فى تاريخ الأديان ص (٣١)

(٢) تاريخ سورية (١ / ٣٦٦).

(٣) راجع للمؤلف كتاب: دراسات فى الأديان الوثنية القديمة. ط أولى سنة ١٩٩١م. دار المنار.

(٤) هذا إلى جانب أن هذه الديانات كانت تمارس طقوساً دينية يعتقد الناس فيها أنها تطهرهم من الآثام وتضمن لهم الخلود مثل التعميد، وطقوساً أخرى يعتقد الناس فيها أنها توحدهم بالإله وذلك مثل المائدة المقدسة وغيرها.

(٥) وكانت أهم ظاهرة فى هذه العصور هى ظاهرة المزج والتوفيق بين الآلهة، والتي كانت سائدة ومنتشرة فى أرجاء العالم الوثنى ، فى الفترة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادى.

"فمنذ عصر الإسكندر الأكبر كان هناك ميل مطرد إلى التوحيد بين مختلف الآلهة سواء الوطنية أو الأجنبية، ويعرف هذا الاتجاه باسم حركة التوفيق العقائدى"^(١).

يقول جورج سارتون: "ذاعت نزعة الجمع الهلينية بين الناس ذيوياً جعلهم لا يقتصرون على عبادة الآلهة الأجانب بل يعبدون أمشاجاً منها"^(٢)، وذلك بعد التوفيق والمزج بينها، وقد استمرت حركة المزج هذه فى عصر الإمبراطورية الرومانية، "حتى ليكن أن يقال إن العالم لم يشهد فترة امتزجت فيها الأديان القديمة كما حدث فى ظل الإمبراطورية الرومانية"^(٣)، ولهذا وصف ذلك العصر بأنه عصر المزج الدينى والفكرى^(٤).

كيف اعتنق الوثنيون المسيحية؟

إن ديانة المسيح عليه السلام التى شوهت على أيدى يهود الشتات وأصبحت تسمى بالمسيحية، حين خرجت من دائرة نفوذها وتبشيرها فى بلاد أورشليم إلى بلاد العالم الوثنى، لم تكن لتستطع أن تتجنب المؤثرات الخارجية، ولم تكن لتستطع أن

(١) الديانة اليونانية القديمة ص (١٤١).

(٢) تاريخ العلم (٤ / ٣٠٨).

(٣) د/ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ص (٢٧٥).

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٢٤٤)، وكان المزج بين الدين والفلسفة سمة من سمات هذا العصر الرومانى أيضاً، ففى كتاب (مبادئ الفلسفة) جاء ما يلى: (وكان امتزاج الدين بالفلسفة - الذى هو من خصائص التطور العقلى قبيل النصرانية وبعدها - ملموحاً فى رأى العام وفى المدنية أيام الحكم الرومانى، كان الدين يبحث عن الفلسفة ونظمها ليجد له أساساً علمياً يبنى عليه عقائده ويجعلها أكثر قبولا لقوم رافقن". راجع رابورن: مبادئ الفلسفة ص (١٠٩).

تقف أمام وثنيات العالم الوثنى، فلم يكن لها من القوة الذاتية ما يحفظها من التأثر بغيرها، إذ أنها خرجت من دائرة نفوذها بدون كتاب صحيح يقف عنده كل مبتدع أو مغال أو مضل، أو كل من يحاول العبث بها، ذلك أن الإنجيل الصحيح الذى أنزل على عيسى عليه السلام لم يتعلمه هؤلاء الذين حلموا الديانة إلى العالم الوثنى، وذلك بحكم شتاتهم بعيداً عن البلاد التى بشر فيها المسيح عليه السلام. ويهود الشتات هؤلاء لم يكونوا هم الذين يهمهم أن يحفظوا الديانة بعيداً عن المؤثرات الوثنية، بل هم الذين ساعدوا على دخول الوثنية إلى المسيحية، وذلك بحكم تكوينهم ومعيشتهم بين الشعوب الهلنستية، فلقد أغرموا بثقافتهم اليونانية وأعجبوا بها وأدخلوها فى ديانتهم.

بهذه الروح حمل يهود الشتات المسيحية إلى الوثنيين بدون وضع الحد المانع لهم الذى يقفون عنده، بل فتحوا المجال أمامهم لأن يدخلوا المسيحية ويؤثروا فيها بدون وضع شرط أو قيد عليهم. وذلك بعد أن سهّلوا لهم عملية الدخول بدون الالتزام بشريعة موسى التى صرح المسيح بأنه ما جاء مناقضاً لها، بل وعدلوا لهم بعض العقائد التى لم يكن ليرضى عنها هؤلاء الوثنيون، ولذلك صوروا لهم المسيح عليه السلام بأنه المخلص والمنقذ لهم (بالطريقة الوثنية) وفسروا المسيحية بما يتفق ومعتقدات الوثنيين.

ولذلك نجد القاضى عبد الجبار يقول: "فاختلع بولس من ديانات المسيح وصار إلى ديانات الروم، فإذا تبينت الأمر وجدت النصارى تروموا ورجعوا إلى ديانات الروم، ولم تجد الروم تنصروا"^(١).

ويقول د/ رؤوف شلبى: "إن قبول الرومان للمسيحية كان بعدما صارت المسيحية رومية الموضوع وبعد أن حذفت كثيراً من عناصرها الرئيسية"^(٢).

ولقد سار الوثنيون على النهج الذى رسمه هؤلاء اليهود فأدخلوا وعدلوا فى الديانة الجديدة بما يتفق وعقائدهم الوثنية، وساروا على ما ألفوه فى مجال المعتقدات

(١) تثبت دلائل النبوة (١ / ١٥٨ . ١٦٨ . ١٧٣).

(٢) د/ رؤوف شلبى: التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام ص (٣٩٩).

وهو المزج والتوفيق بين الآلهة، وحمل هؤلاء الوثنيون إلى المسيحية وثنياتهم القديمة، والتي لم يستطيعوا التخلي عنها أو التجرد منها.

يقول ول ديورانت: "وعرض بولس الإنجيل على غير اليهود من أهل كورنثة، ودخل كثيرون منهم في دينه، ولعل المسيحية قد بدت لهم أنها صورة أخرى من الأديان الخفية - السرية - التي طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم، ولعلمهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة، وأثروا في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيراً يألفه العقل الهلنستي"^(١).

ويقول: "ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل إنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين ولهذا ناداهم بولس بقوله^(٢): هو ذا سر أقوله لكم"^(٣).

وأخذت العقائد الوثنية تتسرب إلى المسيحية بواسطة هؤلاء الوثنيين سواء كانوا في البلاد الشرقية أو اليونانية أو الرومانية، فكلما آمن قوم منهم أدخلوا فيها ما يتفق وعقائدهم الوثنية.

ومن الأدلة على ذلك ما أورده الكاتبة المسيحية (بشر) في صورة خطاب بعثه أدرينانوس^(٤) قيصر إلى سرفيانوس القنصل الروماني يقول فيه: "أما بعد فإن مصر التي أطنبت لى في مدحها أيها العزيز قد وجدت أهلها على درجة عظيمة من الخفة والطياشة وقلة الحزم، يصدقون كل ما يقال ويطيرون مع كل ريح تهب، فالذين يعبدون سرايس مسيحيون، والذين يدعون أنفسهم أساقفة المسيح عبيد لسرايس، بل إن البطريك نفسه لما جاء إلى مصر قال عنه بعضهم إنه يعبد الإله سرايس، وقال آخرون إنه يعبد المسيح"^(٥).

(١) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٥٨).

(٢) ١. كورنثوس ١٥ : ١٥.

(٣) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٦٤).

(٤) عندما مات الإمبراطور تراجان سنة ١١٧م خلفه (أدرينانوس) على العرش، وقد شرع هذا الإمبراطور في السنة الرابعة من ملكه بطوف الولايات الرومانية وزار خلالها مصر.

(٥) ١. ل. بشر : تاريخ الأمة القبطية (١ / ٦١).

فلم يستطع القيصصر أن يفرق بين المسيحيين والوثنيين. وذلك لأن الوثنيين حين دخلوا المسيحية حملوا معهم عبادة الإله سرايس، ومزجوها بالمسيحية. ولم يجد الكهنة أو الشعب - كما يقول ول ديورانت - ما يحول بينهم وبين استبدال مريم بايزيس أو المسيح بسرايس^(١).

ومن الأدلة على ذلك أيضاً، ما أورده هذه الكاتبة عن إنجيل المصريين فتقول: "إن هذا الإنجيل الذى كان ينسب للمصريين ضاع منذ زمان طويل. حتى إنه ليصعب الآن معرفة أى الأنجيل الأربعة كان هو، بل قد أصبح من المرجح الآن استدلالاً من بعض شذرات وصلت إلينا باللغة اليونانية أن الإنجيل المذكور لم يكن ترجمة وإنما هو مجموعة أدخل إليها شئ من العقائد المصرية القديمة"^(٢).

فإنجيل المصريين اختلطت فيه الوثنيات المصرية القديمة بالمسيحية.

ولقد أوردت الكاتبة المسيحية هذه أسماء بعض الأشخاص الذين كانوا يمزجون الوثنية بالمسيحية فقالت:

"فقد كان كريبو كراتيس، وباسيليدوس، وفالتينيان، وجميعهم مصريو الجنس يتفننون وقتئذ فى إلباس القواعد الدينية ثوب المجاز والرمز. مجتهدين فى إذاعة تعليمهم ومذهبهم بالإسكندرية. نعم قد عدّ هؤلاء الثلاثة بعد موتهم من الهرطقة، ولكن لا يوجد برهان صريح على أن الكنيسة حكمت على أى منهم بالهرطقة فى أثناء حياته، وربما كان ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بالحقائق الجوهرية فى الديانة المسيحية، وإنما أثموا لأنهم كانوا يحاولون مزج أسرار الديانة الوثنية المصرية وغوامض رموزها بقواعد الإيمان المسيحى"^(٣).

والصحيح - فى نظرى - أنهم لم يحكم عليهم بالهرطقة فى حياتهم لأنه لم يكن بعد قد حدد - بصفة نهائية - الإيمان المسيحى فى نظر المسيحيين. فإنهم حين قرروا قانون الإيمان فى القرن الرابع عدّوا ما عداه هرطقة، ولم يعد الأخذ من الوثنيات مطلقاً بغير ضوابط كما كان من قبل.

(١) قصة الحضارة، المجلد الثانى (٣ / ٧٩)

(٢) ا.ل. ينشر: تاريخ الأمة القبطية (١ / ٦١).

(٣) المرجع السابق ص (٤٩).

وعلى ذلك فالمسيحية انتشرت بين المصريين - كما يقول هارناسك - لأنهم خلقوا لأنفسهم ديناً قومياً من المسيحية وذلك بأن لقحوا هذه الديانة ببقايا معتقداتهم القديمة وآمالها^(١).

ولم يكن الأمر قاصراً على المصريين وحدهم، والديانة المصرية وحدها، بل هناك عناصر وثنية أخرى أدخلها اليونانيون والرومانيون حين دخلوا في المسيحية حين أدمجوا عقائدهم الوثنية بالمسيحية.

يقول ديتلف نيلسن: "والمسيحية ضمت إليها سواء كان ذلك في وطنها أو في الأوطان التي غزتها كثيراً من العادات والتقاليد الوثنية القديمة، وكانت روح الوثام بينها وبين الوثنية قوية"^(٢).

وقد علل العلماء^(٣) انتشار المسيحية في القرون الميلادية الأولى ونجاحها في التغلب على الديانات الوثنية آنذاك بأنها قد استوعبت هذه الأديان "وأخذت من كل دين خير ما وجدته"^(٤).

بمعنى أنها أخذت من كل دين ما تراه صالحاً لانتشارها وقبولها لدى الوثنيين^(٥). يقول أرنولد توينبي: "لكن المسيحية خرجت عن التوحيد اليهودي بأن ابتلعت وتمثلت الديانات المنافسة المقهورة والتي كانت بأجمعها ديانات لا يهودية"^(٦).

ويقول: "لم يكن باستطاعة المسيحية أن تعيش وتسمح لغيرها أيضاً بالعيش، وكان عليها إما أن تقضى على منافساتها أو أن تمتصها، وكان مثل هذا الامتصاص يجب أن يتم بشكل خفي، ومع ذلك فقد امتصت المسيحية أكثر مما دمرت"^(٧).

(١) محمد شفيق غريال: تكوين مصر ص (٧٣).

(٢) ديتلف نيلسن: التاريخ العربي القديم ص (١٧٣).

(٣) يقول عبد الرشيد الأنصارى - أحد المسيحيين الذين أسلموا - في سبب إسلامه: "وما لبث من عزمي أيضاً أننى وجدت المسيحية قد استوعبت العديد من الشعائر الوثنية في كفاحها لتبقى". راجع: عبد الرشيد الأنصارى: قصة إسلامي ص (١٨).

(٤) راجع المسيحية نشأتها وتطورها ص (١٢٨).

(٥) وهذا المعنى يفسره الكاتب الأمريكى (اليوت) بقوله: تكيف المسيحية نفسها باستمرار لوضع يمكن معه الاعتقاد بها "راجع: أسطورة تجسد الإله ص (٢٣)..."

(٦) أرنولد توينبي: تاريخ البشرية (١ / ٣٦١)

(٧) المرجع السابق (١ / ٣٧٨).

ويقول: "إن المسيحية كما أوضحها بونس نجحت في التغلب على البيانات الإقليمية المنافسة لها بأن امتصتها. وكان ثمن ذلك التخفيف من الوحدانية^(١) التي ورثتها عن اليهودية، فأصبح يسوع الإله المتجسد كما كان الفرعون والقيصر وراما وكروشنا، وباعتبارها (أم الله) أصبحت أم يسوع الإنسان إلهة في الواقع."^(٢)

ويقول شارل جنيبير: "وإذا كانت المسيحية قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان التأليف الديني الوثني. فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف ديني، تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة. والشعائر الجوهرية التابعة من العاطفة الدينية الوثنية. قامت هي بترتيبها وتركيبها، وأضفت عليها الانسجام الذي تفتقر إليه"^(٣).

فانتشرت المسيحية إذن بعد أن أصبحت تشتمل على معظم العقائد والطقوس الوثنية التي ألفها العالم الوثني آنذاك.

ولذلك يمكن القول: "إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها"^(٤).

يقول ول ديورانت: "وقصارى القول إن المسيحية كانت آخر شئ ابتدعه العالم الوثني"^(٥).

الخلاصة:

إن المسيحية حين خرجت من نطاق التبشير بين اليهود ومضت إلى بلاد الوثنيين اختلطت وامتزجت بالأفكار والعقائد الوثنية.

وكان الوثنيون الذين دخلوا في المسيحية منفذاً كبيراً لتسرب عقائدهم الوثنية إلى المسيحية، حيث إنهم لم يستطيعوا فهم المسيحية - وهم معزولون عن إنجيل عيسى وتلاميذه - بغير ما هو ممتزج بأفهامهم وما هو مغروس في قلوبهم. فحاول كل

(١) والأجدر أن يقول: "وكان ثمن ذلك الخروج عن الوحدانية" فهذا هو الصحيح في نظري.

(٢) المرجع السابق ص (٣٧٧).

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١٢١).

(٤) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٧٥).

(٥) المرجع السابق ص (٢٧٦).

واحد منهم - بمساعدة مدرسة بولس - أن يفهم دينه الجديد فى ضوء فكره ومعتقده القديم، ونتيجة لهذا تكون للمسيحية العديد من العقائد الوثنية من أديان الشرق والغرب.

ولقد أدى هذا الأمر إلى الاختلاف الشديد بين المسيحيين، وحاولت المجامع ابتداء من القرن الرابع الميلادى حسم هذا الاختلاف، وفى سبيل هذا أخرجت لنا عقيدة معقدة مستحيلة الإدراك والفهم، فضلاً عن كونها لم تستطع أن تحسم الخلاف القائم بين المسيحيين.

الباب الثانى

مظاهر تأثر المسيحية
بالأديان الوضعية

الفصل الأول

التجسد

التجسد فى المسيحية

تعتبر عقيدة التجسد أهم العقائد المسيحية على الإطلاق، لدرجة أن المسيحية - كما يقول ويلز أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس فى كلية المسيح بإكسفورد - توصف غالباً بأنها "عقيدة التجسد"^(١).

ويقول: "وكلمتا مسيحية وتجسد متقاربتان إلى حد الترادف فى آذان كثير من الناس، لدرجة أن مسيحية بدون تجسد لها وقع مبهم وغير مفهوم بالنسبة لهؤلاء الناس"^(٢).

وأهمية عقيدة التجسد فى المسيحية تظهر حينما نعلم أنها أساس العقائد المسيحية الأخرى، فالمسيح الإله - فى نظر المسيحيين - هو الأقنوم الثانى من الأقانيم الثلاثة التى تصور عقيدتهم فى الذات الإلهية، وهو أيضاً - فى نظرهم - الذى تجسد ليصلب ويموت ويقوم من موته ليفدى البشرية ويخلصها من خطايا والآثام. ولذلك فإن إنكار التجسد - كما يقول د/ جورج حبيب - هو إنكار لكل شئ فى الكنيسة. بل هو إنكار المسيحية برمتها"^(٣).

ويقول إنسطاسى شفيق: "وكل من لا يقبل حقيقة التجسد ليس مسيحياً البتة"^(٤).

معنى التجسد :

والكلمة (تجسد) تعنى فى الجسد. وتستعمل فى علم اللاهوت المسيحى دلالة على الاعتقاد بأن (الكلمة) صار جسداً^(٥)، بمعنى أن المسيح ابن الله صار إنساناً باتخاذ ذاته جسداً^(٦).

(١) مجموعة من أساتذة اللاهوت المسيحى : أسطورة تجسد الإله فى المسيح ص (٢٧).

(٢) المرجع السابق ص (٢٨).

(٣) د/ جورج حبيب : المعمودية فى الكنيسة الواحدة ص (٢٢).

(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤١).

(٥) جورجيا هاكنس : بماذا يؤمن المسيحيون ص (٦٠).

(٦) تفسير أصول الإيمان (١ / ٨١).

يقول كلايد تارنر: نعنى بالتجسد أخذ جسد بشرى، أى أن ابن الله جاء إلى العالم وأخذ جسد بشر، والكلمة صار جسداً^(١).

واستند المسيحيون فى هذا المعنى إلى قول يوحنا "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً"^(٢).

ويتبين من هذا التعريف أن التجسد خاص بالمسيح ابن الله - أو الكلمة - الذى يمثل الأئونم الثانى فى الثالوث المسيحى.

يقول إنسطاسى شفيق: "إن الأئونم الثانى أخذ جسداً، فكان هو الكلمة قبل أن يتجسد، ولم يزل هكذا بعد ذلك فقد ولد من عذراء، وأخذ جسداً بشرياً مثلنا تماماً ما خلا الخطية"^(٣).

التصور المسيحى حول التجسد الإلهى:

عند تحليل كلمات التعريف السابق للتجسد نرى أنه يشتمل على حقيقتين:

الأولى: القول بأن المسيح إله.

الثانية: أن هذا الإله ظهر فى صورة بشرية، وهذا يعنى أن المسيح فى نظرهم إله وإنسان.

يقول كلايد تارنر: "هناك حقيقتان يحويهما تجسد المسيح، إله حق، إنسان حق"^(٤).

وستحدث فيما يلى عن الحقيقة الثانية بإيجاز أولاً، وذلك لأن كون المسيح عليه السلام إنساناً ليست محل خلاف بين أحد، ثم نذكر بعد ذلك قولهم فى ألوهية المسيح وما يتبع ذلك.

أولاً: المسيح إنسان:

جاء فى علم اللاهوت المسيحى "أن المسيح إنسان حقيقى، أى ذو طبيعة بشرية كاملة، ولذلك كل ما ينسب إلى الإنسان باعتبار ناسوته ما خلا الخطية يمكن أن ينسب إلى المسيح"^(٥). "فالبطبيعة البشرية التى أخذها المسيح عليه السلام - فى نظرهم

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٨٢.

(٢) يوحنا ١: ١٤.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤١).

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٨٢).

(٥) علم اللاهوت النظامى ص (٧٧٣).

- لم تكن طبيعة مختلفة عن كل الطبائع البشرية، بل هى نفس طبيعة كل إنسان، وهى طبيعة آدم قبل السقوط بل بعده^(١).

وهذه الطبيعة البشرية تظهر فى كونه حملت به امرأة، وولدت، ثم بعد ذلك اتصف بكل صفات الإنسان.

يقول القس أنسطاسى شفيق: "فى الكلام عن تجسد المسيح من جهة نفس التجسد ينبغى أن نلاحظ أمرين على الخصوص: أحدهما الجبل به الذى كان فى مستودع واحدة من الجنس البشرى وقد صار به ابن الإنسان حقاً، كما دعى مراراً كثيرة، وكان من نسل آدم ابناً لإبراهيم وابن داود حسب وعد الله^(٢)"، غير أن هذا

(١) تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول ص (٣٨٩).

(٢) يعتقد المسيحيون أن المسيح ابن داود، وذلك باعتبار أن داود هو الشخص الذى سيخرج منه المسيا المنتظر الذى يخلص الناس من الشرور والآثام، ولذلك استشهدوا ببعض نبوءات العهد القديم وقالوا إنها تدل على المسيح، وذلك مثل ما جاء فى المزامير "أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك، إن حفظ بتوك عهدي وشهادتي التى أعلمهم إياها فتبوعهم أيضاً إلى الأبد يجلسون على كرسيك" مزمو ١٣٢: ١١، ١٢. والمقصود بهذه النبوءة - فى نظر المسيحيين - هو المسيح (عن نسبة المسيح إلى داود، ونبوءات العهد القديم. راجع: تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول ص (٣٠، ٣١، ١٧٣)).
ولقد أطلق كتاب الأناجيل على المسيح هذا اللقب. ففى إنجيل لوقا يقول الملك للعرعاء "وبعيتك الرب الإله كرسى داود أبى" لوقا ١: ٣٢، وفى إنجيل مرقس ورد إطلاق هذا اللقب على المسيح ثلاث مرات "مرقس ١٠: ٤٧، ٤٩، ١٢: ٣٥ (عن إطلاق لقب ابن داود على المسيح فى العهد الجديد.. راجع المدخل إلى العهد الجديد ص (١٩٧، ١٩٨)).

وعند مناقشة هذه الدعوى يجب أن نبرز أن المسيح لم ينسب إلى نفسه هذا اللقب، بل نجد أنه بين أن النبوءات الخاصة بابن داود لا تنطبق عليه، فالأناجيل تذكر (متى ٢٢: ٤١-٤٦، مرقس ١٢: ٣٥-٣٧، لوقا ٢٠: ٤١-٤٤) أن المسيح وجه سؤالاً إلى الفريسيين قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح؟ فقال الفريسيون إنه من نسل داود، فقال لهم: لن يكون من نسل داود، لأن داود قال عنه: إنه سيده، فلو كان من نسل داود ما كان يقول عنه إنه سيده (وهذا يعنى أولاً: أن المسيح لو كان ابن داود فليس هو المخلص الذى تنبأت به الكتب المقدسة عندهم، لأن المسيح ابن مريم قال ذلك واستشهد بأقوال داود. ثانياً: أنه لو كان المسيح ابن مريم هو المخلص الذى يخلص البشرية - كما يعتقد المسيحيون - فليس هو ابن داود، هذا ما تشير إليه كتبهم ذلك أن داود نفسه يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟ يقول داود فى المزمور العاشر بعد المائة (قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أقدامك موطناً لقدميك) ١١٠-١، وعلى المعنى الثانى إما أن تكون الأناجيل كاذبة وإما أن المسيحيين افترضوا على المسيح وسموه بما لم يقله والتسليم بأحدهما ملزم للمسيحيين.

على أن نسبة المسيح إلى داود فيها كلام كثير بين العلماء. ذلك أن (متى) و (لوقا) حين يذكran سلسلة نسب المسيح - الذى ينسب فيها المسيح إلى داود - يذكran سلسلة من ناحية يوسف النجار وهو لم يكن الأب الشرعى للمسيح، وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون المسيح ابن لداود.

يقول د/ حنا جرجس الحضرى: "فإن الهدف الذى من أجله سجلت هاتان السلسلتان هو إثبات نبوة يسوع لداود، فإذا كان يسوع قد ولد بطريقة معجزية دون أى اتصال جنسى بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبه لداود، الأمر الذى يتسلك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد) تاريخ الفكر المسيحى ص (١٧٣-١٧٤).

ولو تمسكوا بهذه النسبة فمعنى ذلك نسبة الفاحشة لمريم - وحاشا لمريم البتول الطاهرة أن تفعل ذلك. وعلى ذلك فنسبة المسيح إلى داود نسبة غير صحيحة.

الحبل لم يكن كمألف بل بقوة الروح القدس. الثاني: ولادته: ومع أن الحبل به كان فائق الطبيعة، كانت طبيعته البشرية بعد الحبل تنمو شيئاً فشيئاً في مستودع العذراء حسب مجرى الطبيعة إلى أن كملت، وهكذا كانت ولادته كجاري العادة في غيره^(١)، ثم بعد ذلك نسب إليه ما ينسب إلى البشر من صفات.

يقول كلايد تارنر: تحت عنوان (المسيح إنسان حق): إن الاسم الذي أطلقه المسيح على ذاته أكثر من غيره من الأسماء هو (ابن الإنسان)، وكل ما رواه لنا عنه الإنجيل يقدمه كإنسان عاش واتصف بكل صفات الإنسان، كبر، وغما جسدياً، يقول لوقا: "وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس"^(٢)، لقد تعب المسيح وجاع، يقول يوحنا "إذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر"^(٣)، ويقول متى "فبعدها صام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً"^(٤)، كما تألم آلاماً جسدية، بكى، ونام، ومات، كل هذه الاختبارات تشهد بكون يسوع إنساناً^(٥).. إلى غير ذلك من الأوصاف البشرية الإنسانية التي تنسب إلى المسيح عدا الخطية في نظر المسيحيين.

والقول بأن المسيح لا ينسب إليه أى خطية قول لا يتفق مع ما جاء في الأناجيل المسيحية.

فمثلاً جاء في الأناجيل أن المسيح حين جاءه قوم من الكتبة والفريسيين وقالوا له يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجابهم قائلاً: جيل شرير فاسق يطلب آية^(٦)، وقالها أكثر من مرة، ويظهر من هذا أنه كان معتاداً على^(٧) السب والشتم، لأنهم سألوه

(١) القس إنسطاسي شفيق: الفداء في إنجيل لوقا ص (١٤٩).

(٢) لوقا ٢: ٥٢.

(٣) يوحنا ٤: ٦.

(٤) متى ٤: ٢.

(٥) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٨٣).

(٦) راجع متى ١٢: ٣٩، ١٦: ٤.

(٧) نحن المسلمين نجل المسيح ونوقره ونؤمن بأنه رسول معصوم من مثل هذه الآثام.

بكل احترام وخاطبوه بلفظ (يا معلم) ولكنه ما لبث أن سمع سؤالهم فنزل فيهم بقوارع الكلمات^(١) علماً بأن المسيح كان يوصى تلاميذه - كما جاء فى الأناجيل - من قال لأخيه يا أحمق فقد استوجب نار جهنم^(٢).

ومثال آخر: تذكر الأناجيل أن المسيح عليه السلام لم يكرم أمه^(٣)، ولم يلتفت إليها، بل تركها واقفة، وزاد على ذلك إذ قال فى جواب المخبر له عن أمه: من هى أمى؟ ومن هم أخوتى؟

يقول متى "وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه فقال له واحداً هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك فأجاب وقال للقاتل: من هى أمى ومن هم إخوتى"^(٤).

وفى حادثة أخرى: لما قالت له أمه ليست لهم خمر فقال لها مالى ولك يا امرأة يقول يوحنا: "وفى اليوم الثالث كان فى عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر، فقال لها يسوع مالى ولك يا امرأة"^(٥).

أهذا يكون احترام الأم؟ وهل يجوز زجرها بهذه الصورة؟ وهل يليق بشأن الصالح أن ينادى أمه بلفظ امرأة؟^(٦)، فهل هذه آثام وخطايا أم لا؟

إنها خطايا لا شك، فالأناجيل تروى أن المسيح أوصى بإكرام الآباء والأمهات فقال: "أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك"^(٧).

وبعد هذا الذى تذكره الأناجيل عن المسيح عليه السلام كيف يمكن للمسيحيين أن يثبتوا أن المسيح ينسب إليه كل الصفات الإنسانية ما عدا الخطية!!!

(١) جلال الدين شمس: البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص (٥٠).

(٢) متى ٥: ٢٢.

(٣) مرة ثانية نحن نؤمن أن مثل هذه الأمور لا تقع ولا تحدث من المسيح عليه السلام.

(٤) متى ١٢: ٤٦-٤٨.

(٥) يوحنا ٢: ١-٤.

(٦) راجع البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص (٥٠).

(٧) متى ١٩: ١٩.

نحن لا نقر أن يحدث هذا من المسيح عليه السلام، فهو رسول من عند الله معصوم. لكننا هنا نناقش ما ذكره المسيحيون عنه، ببيان أنه لا يتفق مع ما جاء فى أناجيلهم.

ولهذه الحقيقة - حقيقة كون المسيح إنساناً - أهمية كبرى عند المسيحيين إذ أنهم يعتقدون أنه - باعتباره ابن الله - اتخذ جسداً من جنس الجسد الذى أخطأ فيه آدم وذلك لكى يستطيع التغلب على الخطية بثوب الخطية ويخلص الناس من الشرور والآثام - كما يعتقدون.

ثانياً: دعوى ألوهية المسيح:

يعتقد المسيحيون أن المسيح هو الله، وأنه هو ابن الله باعتباره الأقنوم الثانى من الثالوث المسيحى^(١).

ففى قانون الإيمان المسيحى "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس"^(٢).

يقول حبيب سعيد: "كان المسيح إلهاً متجسداً أعلن للناس فى حياته ذات الله"^(٣).

ويقول الأنبا شنودة: المسيح إلها البار الكامل فى كل شئ القدوس الذى بلا خطية وحده الذى عاش على الأرض حياة كاملة"^(٤).

وجاء فى كتاب (ما معنى المسيح ابن الله ؟) تحت عنوان صفات وامتيازات المسيح الإلهية التى ينفرد بها بوصفه الله: (إن الأزلية والأبدية، الوجود الذاتى، وعدم التغير، والقدرة على كل شئ، العلم بالخفيات وبكل شئ، الحضور فى كل مكان،

(١) راجع المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٦)، تاريخ الأقباط (١ / ٢٣٦).

(٢) راجع خلاصة الأصول الإيمانية ص (١٠٣، ١٠٤).

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص (٢٥٦).

(٤) الأنبا شنودة: المسيح المتألم ص (٧٠).

القداسة المطلقة لا يتصف بها سوى الله . كما أن الإيمان والسجود له وتقديم العبادة إليه هي من الامتيازات التي يتمتع بها الله وحده دون سواه ، ولكن مع ذلك نجد أن جميع هذه الصفات والامتيازات يتصف بها المسيح مما يقطع الشك واليقين بأن المسيح هو الله ^(١).

ومع تحفظنا الشديد على وصف المسيح بهذه الأوصاف إلا أن الشاهد من كلام المسيحيين أن المسيح يتصف بصفات وامتيازات إلهية لأنه هو الله.

والمسيح - أيضاً في نظر المسيحيين - هو ابن الله ^(٢) وذلك لأنه - كما يقول المسيحيون - هو الذي يعلنه . أو بتعبير آخر لأنه هو الله معلناً ^(٣) ، ولأنه يمثل الأقنوم الثاني في الثالوث المسيحي.

فالمسيح - في نظرهم - هو الله ، وهو أيضاً ابن الله ^(٤) ، وهو اعتقاد يظهر فيه التناقض والتضارب ولذلك تجدهم يحاولون التوفيق بين هذين القولين.

يقول القس زكريا بطرس : " كيف أن المسيح ابن الله ، وهو الله ؟ الرد : نحن نقول إن المسيح هو الله من حيث الجوهر فهو من طبيعة وجوهر الله ، وإنه ابن الله من حيث الأقنوم أى أن له وجوداً ذاتياً ولكنه غير منفصل عن الآب ^(٥) .

وهو قول بعيد التصور . ومستحيل الحدوث ، وإلا فكيف يتصور العقل وجوداً ذاتياً للمسيح (الابن) وهو في الوقت نفسه غير منفصل عن الآب ، ذلك أن اتحادهما في الطبيعة والجوهر وعدم الانفصال بينهما يؤدي إلى أنهما ذات واحدة ، مع أن قوله إن للمسيح وجوداً ذاتياً يؤدي إلى انفراده واستقلاله ^(٦) ، وعلى هذا يظل الاعتراض قائماً ، وسنزيد إيضاح ذلك في الفصل التالي الخاص بالثالوث.

(١) ما معنى المسيح ابن الله ؟ ص (٢٤)

(٢) تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ص (٣٨٤) .

(٣) ما معنى المسيح ابن الله ؟ ص (١٣) .

(٤) راجع يسوع المسيح ص (٦٦) .

(٥) زكريا بطرس : المسيح ابن الله ص (٢٤) .

(٦) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٤٦) .

المهم هنا أن نبين أن المسيحيين يعتقدون بألوهية المسيح وأنه ينسب إليه ما ينسب إلى الله من صفات وأوصاف إلهية.

متى بدأ القول بألوهية المسيح؟

مما لا شك فيه أن المسيح عليه السلام لم يذكر قط أنه إله أو ابن إله، ولم يدع في يوم من الأيام أنه الله أو ابن الله، بل كان دائماً يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنه رسول أرسل من عند الله.

والناظر فى كتب العهد الجديد المسيحية لا يجد فيها قولاً أو إشارة للمسيح تنسب إليه على أنه كان يدعو إلى أنه إله أو ابن إله بل كان يدعو إلى الله الذى أرسله.

يقول المسيح عن نفسه كما يروى إنجيل يوحنا: "أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله" (١).

"فنادى يسوع وقال: الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى" (٢).

"فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلاً: تعرفوننى وتعرفون من أين أنا، ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق الذى أتم لستم تعرفونه" (٣).

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً كما أسمع أدين لأن دينونتى عادلة، لأنى لا أطلب مشيئى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى" (٤).

ويقول المسيح فى الدلالة على أنه رسول - كما جاء فى الأناجيل "الكلام الذى تسمعون ليس لى بل للآب الذى أرسلنى" (٥).

ويقول: "هذه هى الحياة الأبدية أن تعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" (٦).

(١) يوحنا ٨: ٤٠.

(٢) يوحنا ١٢: ٤٤.

(٣) يوحنا ٧: ٢٨.

(٤) يوحنا ٥: ٣٠.

(٥) يوحنا ١٤: ٢٤.

(٦) يوحنا ٣: ١٧.

كل هذه الأقوال تدل على أن المسيح كان يدعو الناس إلى أنه رسول مرسل من الله وحده لا شريك له وأنه ما دعا الناس إلى أنه إله أو ابن إله.

وهذه النتيجة قال بها كثير من الباحثين، ومنهم الكثير من المسيحيين.

يقول د/ نظمي لوقا: "ولم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في الأناجيل إشارة إلى أنه الله أو ابن الله، بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ (ابن الإنسان)^(١)."

ويقول أرنولد توينبي: "وبحسب ما ورد في الكتب المقدسة المسيحية فقد رفض يسوع نفسه فكرة الألوهية بالنسبة إليه في أى معنى كان"^(٢).

ويقول إميل لودفيج: "ولم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي، وليس بقليل أن يرى نفسه في بعض الأحيان دون النبي، ولم يحدث أن بدا من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمالاً فوق خواطر البشر وآمالهم"^(٣).

ويقول شارل جنيبير: "والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية"^(٤).

ولقد اجتمع في سنة ١٩٢١م عدد كبير من رجال الدين المسيحي في مؤتمر ديني مؤلف من كثير من الأساقفة والقسس وعظماء رجال الكنائس بإكسفورد، ورأس هذا الاجتماع د/ راشدال أسقف كارليل الذي أدهش العالم المسيحي دهشة عظيمة إذ قال: إن قراءته للكتاب المقدس أظهرت له أن عيسى ليس بإله، ولم تسمح له تلك القراءة باتخاذ عيسى إلهاً، لأنه كان رجلاً بكل معنى الكلمة لا إلهاً.

(١) د/ نظمي لوقا: محمد الرسالة والرسول ص (٦٦، ٦٥).

(٢) تاريخ البشرية (١ / ٣٧٢).

(٣) إميل لودفيج: ابن الإنسان ص (٩٥).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٣٩).

ثم قال: إن الناس يطلبون بشدة أن يخبرهم علماء اللاهوت الأشراف الأحرار بكلمات قاطعة عما يقصدونه في الحقيقة عندما يستعملون التقاليد القديمة التي تدور حول ألوهية المسيح.

ثم قال: إن ما يأتي هو بعض الأشياء التي تدل على أنه لا يمكننا أن نعزو وننسب الألوهية للمسيح:

(١) لم يدع المسيح الألوهية، ولم يناد بها، ربما كان قد سمح لنفسه أن يدعى مسيحاً إلا أنه لا يوجد أبداً في أى قول مثبت ما يدل على أن علاقته بالله -تتلف عن علاقة أى بشر آخر بالله، وأقوال الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا)^(١) لا يمكن النظر إليها على أنها أدلة تاريخية.

(٢) يتضح مما أتى به عيسى أنه كان رجلاً وكان له جسم، ونفس عاقلة، وإرادة بشرية.

(٣) ومن المخالف لتعاليم الكتاب المقدس أن نظن أن روح عيسى البشرية كانت موجودة قبل خلق العالم، إذ ليس هناك أى أساس لمثل هذه العقيدة.

(٤) لا تحتاج ألوهية المسيح إلى ولادة عذرية، أو إلى إتيان أى معجزة أخرى، فإن أمكن أن يثبت تاريخياً أن المسيح ولد حقاً من غير أب^(٢) لا يكون ذلك دليلاً أو برهاناً على ألوهيته^(٣).

وفي عام ١٩٧٧م أصدر سبعة من أساتذة اللاهوت ومن رجال الدين المسيحي ببريطانيا كتاباً أظهروا فيه أن ألوهية المسيح أسطورة من الأساطير، وأن المسيح لم يدع أنه الله أو ابن الله، وفي إحدى مقالات هذا الكتاب يقول موريس وايلز - أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس في كلية المسيح بإكسفورد - إن علماء المسيحية المثبتين لعقيدة التجسد يقولون إن يسوع لم يكن يعلم أنه ابن الله وأن الإله متجسد فيه^(٤).

(١) يشير بذلك إلى ما جاء في افتتاحية إنجيل يوحنا والتي يستشهد بها المسيحيون على ألوهية المسيح.

(٢) نحن المسلمون نؤمن ونعتقد أن المسيح عليه السلام ولد من غير أب.

(٣) حواجا أفندي كمال الدين - زعيم المبشرين السنيين بإنجلترا - : يتابع المسيحية ص (٥٦) ط ١٩٢٩م.

(٤) أسطورة تجسد الإله ص (٣٣ ، ٣٤).

ثم يقول تعليقاً على هذا: "ولو فعل ذلك كما يصرحون لكان حقاً أقل كلية في بشريته"^(١).

فلو كان المسيح إلهاً لأبرز ذلك وأوضحه.

هذا ولم يعتقد التلاميذ في المسيح عليه السلام أنه إله أو ابن إله، فإنهم لم يعرفوه إلا على أنه بشر مرسل من الله.

تقول دائرة المعارف الأمريكية: "وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان، إذ لو كان عند أى من بطرس أو يهوذا أى فكرة عن أن المسيح إله لما كان هناك أى تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع"^(٢)، حسبما تذكره الأناجيل بعد القبض عليه والذهاب به إلى بيت رئيس الكهنة "وما كان هناك تبريراً لخيانة يهوذا"^(٣)، إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائناً إلهياً له كل القوى"^(٤).

كل هذا يدل على أن القول بألوهية المسيح بدأ بعد رفع المسيح عليه السلام وبفعل أناس غير تلاميذ المسيح.

ولقد قلنا سابقاً إن بولس هو أول من نادى بأن المسيح هو (ابن الله). فبعد أن ادعى أن المسيح ظهر له وهو في الطريق إلى دمشق أخذ يبشر بأن المسيح هو ابن الله. يقول سفر الأعمال: "وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله"^(٥).

وبدأ بولس يبشر بهذه العقيدة وينشرها بين اليهود اليونانيين وبين الوثنيين، وكتبها في رسائله التي أرسلها إلى المسيحيين في البلاد التي بشر فيها.

(١) المرجع السابق ص (٣٤).

(٢) تذكر الأناجيل أن المسيح عليه السلام قال لبطرس: وهو رئيس التلاميذ. إنك تنكرني ثلاث مرات قبل أن يصبح الديك، وفي أثناء محاكمة يسوع. كما يدعون. أنكروه بطرس ثلاث مرات وتحققت النبوة. (راجع قصة إنكار بطرس في: متى ٢٦: ٥٨، ٧٥. مرقس ١٣: ٥٣، ٧٢. لوقا ٢٢: ٥٤، ٦١. يوحنا ١٨: ٢٧، ١٦).

(٣) تروى الأناجيل أن يهوذا أحد تلاميذ المسيح خانه بأن ساعد الجنود على القبض عليه. كما يدعون. راجع متى ٢٦: ٤٧، ٥٠. يوحنا ١٨: ٩، ٣.

(٤) دائرة المعارف الأمريكية (٢٧ / ٣٠٠، ٣٠١)، نقلاً عن طائفة الموحدين ص (٣٨).

(٥) أعمال ٩: ٢٠.

ولقد استنكر تلاميذ المسيح أفكار وعقائد بولس التى كان يبشر بها، ولكن لأن هؤلاء كانوا قلة بينما كان أتباع بولس هم الكثرة الكثيرة كُتب لأراء بولس فى المسيح أن تكون هى أساس عقائد الديانة المسيحية.

ولقد حمل أتباع بولس هذه المعتقدات، وأضافوا إليها ما يجدونه مطابقا لها، وبدأت عقيدة ألوهية المسيح تنتشر هنا وهناك، حتى تلففتها يد السلطان فى القرن الرابع الميلادى، ونحمت لها وعملت على تقريرها وجعلها هى أساس الديانة المسيحية.

يقول د/ أحمد شلبى: "وأما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه وابتداء من القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييداً صريحاً لاتجاهات بولس وإلزاماً للناس باتباعها"^(١)، ويتمثل هذا فيما فعله قسطنطين، فقد ساعد على تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وألزم المسيحيين بالاعتقاد بها.

وهكذا يتضح لنا أن ألوهية المسيح دخلت المسيحية على يد بولس الذى كان من ألد أعداء المسيحية. ثم تم تقريرها فى القرن الرابع الميلادى على يد السلطة الحاكمة التى ألزمت المسيحيين بتقريرها والاعتقاد بها، وعملت على طرد وإيذاء كل من يقول بغير ذلك.

أدلة المسيحيين على دعوى ألوهية المسيح:-

يدعى المسيحيون أن ألوهية المسيح تستفاد من بعض الأقوال والأفعال التى نسبت إليه.

يقول حبيب سعيد: "ومن أقواله وتعاليمه نستشف لاهوته وناسوته وهذا سر شخصيته التى قد لا تدركها الأفهام، ولكن الكنيسة اجتهدت طوال العصور فى اكتشاف هذا السر العميق"^(٢).

وهذا يعنى ابتداء أن أدلتهم على دعوى ألوهية المسيح ليست صريحة وإنما هى تستشف وتستقى وتستنتج من أقواله وأفعاله.

(١) المسيحية ص ١١٣.

(٢) حبيب سعيد: فجر المسيحية ص ٣٥.

وبرغم أن العقائد لا تترك للاستشفاف أو الاستنتاج، فإن علينا أن ننظر في هذه الأدلة لنرى هل يستفاد منها ألوهية المسيح أم لا؟

(١) الميلاد العذراوي (ولادته بدون أب):

تروى الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار، وقبل أن يتصل بها حملت بغيسى عليه السلام.

يقول متى: "وأما ولادة يسوع فكانت هكذا: لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس"^(١).

ولقد كان ميلاد المسيح من عذراء منفذاً للقول بتأليهه، فما دام أنه ولد دون أب فلا بد أن الله أبود، وأنه ليس من جنس الناس"^(٢).

يقول لوقا: "فقالت مريم للملاك فكيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله"^(٣).

يقول د/ هانى رزق: "وعلى ذلك فالمولود من العذراء لم يكن إنساناً مثل كافة البشر، إذ لم يكن من مشيئة جسد رجل بل من مشيئة روح الله"^(٤).

ويقول القس ليب ميخائيل تحت عنوان (لماذا نؤمن بأن المسيح هو الله؟) قائلاً: "إننى أؤمن بأن المسيح هو الله على أساس ميلاده المعجزى من عذراء"^(٥).

ويقول إبراهيم لوقا: "ولقد اتخذت المسيحية منذ بدءاتها ذلك الميلاد العجيب برهاناً على لاهوت المسيح وهى فى ذلك لم تنحرف عن جادة الصواب، فالشخص الذى يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن أن يكون إلا شخصاً خرج عن دائرة البشر"^(٦).

(١) متى ١: ١٨.

(٢) محمد مجدى مرجان: المسيح إنسان أم إله ص (١٨٤).

(٣) لوقا ١: ٣٤، ٣٥.

(٤) د/ هانى رزق: يسوع المسيح فى ناسوته ولاهوته ص (١٥٦).

(٥) القس ليب ميخائيل: هل المسيح هو الله ص (١٢٦).

(٦) إبراهيم لوقا: المسيحية فى الإسلام ص (١٢٩). عن ولادة المسيح من عذراء ودلائلها. فى نظر المسيحيين - على ألوهية المسيح راجع أيضاً: القمص بينوى عبد المسيح: المسيحية ديانة التوحيد ص (٤٣). بطرس

ديناسيوس: القول الصريح فى لاهوت المسيح ص (١٩، ٢٠).

فولادة المسيح من عذراء تدل - فى نظر المسيحيين - على ألوهية المسيح.

وهذا هو أول أدلتهم على ألوهية المسيح.

والحق أن هذا الاستدلال غير صحيح، ذلك أن ميلاد المسيح العذراوى لا يرفعه عن رتبة الآدمية إلى مصاف الألوهية، وإلا لكان آدم وحواء أولى منه فى نسبة الألوهية.

يقول الجاحظ: "إن كان المسيح إنما صار ابن الله، لأن الله خلقه من غير ذكر، فأدم وحواء إذ كانا من غير ذكر وأنثى أحق بذلك، إن كانت العلة فى اتخاذه ولداً أنه خلقه من غير ذكر"^(١).

فلو كان هذا الاستدلال صحيحاً فأدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه^(٢) لأنه لا أم له ولا أب، والمسيح له أم^(٣) ولأنه - أى آدم - لم يباشر الأرحام، ولا سقم الأطفال، ولا تطور فى أطوار البشر^(٤)، فقد شارك المسيح فى كونه من غير أب، وزاد عليه أنه من غير أم، لم يتكون فى ظلمة الرحم، ولم يتلطخ بدم الطمث، ولا خرج من مجرى البول^(٥).

ونقول أيضاً للمسيحيين: يلزمكم على هذا الاستدلال أن تكون حواء أيضاً إلهاً، لأنها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح^(٦).

يقول الشيخ رحمت الله الهندى: "وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته فيستدلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جداً، لأن العالم حادث

(١) الجاحظ: المختار فى الرد على النصارى ص (١١٦).

(٢) وكذلك أيضاً (ملكى صادق) الكاهن الذى كان معاصراً لإبراهيم عليه السلام وهو الذى تقول عنه كتبهم المقدسة "إنه بلا أب بلا أم بلا نسب ولا بدء أيام ولا نهاية حياة" راجع سفر التكوين ١٤ : ١٨، ١٩، عبرانيين ٧ : ٣. ف (ملكى صادق) فى نظرهم ولد بلا أب وبلا نسب ولا بداية أيام ولا نهاية حياة، ولذلك فهو أولى بالألوهية من المسيح إذا كان مقياسها الولادة من أم بدون أب (راجع بكر السيد عمر : السيف الصقيل فى الرد على رسالة البرهان الجليل ص (١١١).

(٣) ابن القيم : هداية الحيارى ص (٢٧٨)، راجع أيضاً : جواب أبى الوليد الباجى على رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين ص (٦٦).

(٤) القرافى : الأجوبة الفاخرة ص (٢٨٨).

(٥) القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص (١٣٦).

(٦) هداية الحيارى ص (٢٧٨)، راجع أيضاً المرجع السابق ص (١٣٧).

بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة - على زعمهم^(١) - وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم فى أسبوع واحد^(٢)، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم فكل من هذه يشارك المسيح فى كونه مخلوقاً بلا أب ويفوق عليه فى كونه بلا أم، وتتولد أصناف الحشرات فى كل سنة فى موسم نزول المطر بلا أب وأم فكيف يكون هذا سبباً للألوهية^(٣).

والمعنى الصحيح الذى يفهم من ولادة المسيح بدون أب هو أنه دال على قدرة الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه هو المالك للكون كله الخالق له حسب مشيئته وإرادته فقد يخلق بعض الأحياء بدون أب وأم، وقد يخلق بعض الأحياء بدون أم أو بدون أب، ولا يدل شكل الخلق أو سببه على أن هذا المخلوق إله، لأن الله سبحانه هو الخالق يخلق ما يشاء بقدرته وإرادته، ويميز بعض المخلوقات بقدرته ومشيئته، ولا يخرج المخلوق بهذه الميزة عن كونه مخلوقاً لله^(٤).

إن خلق المسيح عليه السلام من أنثى دون ذكر إنما هو إتمام لدورة القدرة الإلهية فى خلق الإنسان. فأدم عليه السلام خلق دون ذكر ولا أنثى، وحواء خلقت من ذكر دون أنثى، والإنسان العادى خلق من ذكر وأنثى، ثم تمت دورة القدرة الإلهية بخلق عيسى عليه السلام من أنثى دون ذكر، فهذه صور ميلاد البشر، وكل صورة منها تناظر الأخرى فى الدلالة على الخالق العظيم. ليس منها ما هو هين وما هو صعب فى جانب الله^(٥).

(٢) معجزات المسيح:

لقد أجرى الله سبحانه وتعالى على يد المسيح بعض المعجزات التى تثبت دعواه للنبوة والرسالة، والتى هى بمثابة قول الله صدق عبدى فيما يبلغ عنى.

(١) راجع: دراسة فى الكتب المقدسة ص (٤٧، ٤٨).

(٢) راجع: الإصحاح الأول والثانى من سفر التكوين.

(٣) إظهار الحق ص (٣٥٧).

(٤) تفسير المنار (٦ / ٢٥٨).

(٥) المسيح إنسان أم إله ص (١٨٥).

والمعجزات التي تقع على يد الأنبياء والرسل سنة من سنن الله في خلقه ، حيث إنه سبحانه وتعالى كان إذا أرسل رسولاً أيده بالمعجزات والخوارق التي تؤيد دعواه ، والمسيح عليه السلام شأنه كشأن الأنبياء والرسل السابقين أيده الله بالمعجزات وخوارق العادات.

ولقد روت الأناجيل المسيحية الحالية أن المسيح قام ببعض المعجزات مثل إحياء الموتى ، وشفاء المرضى ، وتسكين العاصفة ، والمشي على الماء ، وإشباع الجياع ، وغير ذلك.

ففي إنجيل يوحنا أن المسيح أقام لعازر من قبره بعد موته بأربعة أيام ، ولعازر هذا رجل من بيت عنيا - قرية من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة^(١) - كان يسكن مع أخته مرثا ومريم ، وكان موضع محبة أخته ، وبعد أن مات لعازر جاء كثيرون من اليهود ليعزوهم.

ولما سمعت مرثا أن يسوع آت قابله وقالت له لو كنت هاهنا لم يمت أخى... وبعد ذلك سأل المسيح عن مكان قبره ، فجاء إليه ومعه كثير من اليهود ، وكان مغارة قد وضع عليه حجر ، قال المسيح : ارفعوا الحجر ، قالت له مرثا أخت الميت : يا سيد قد أتت لأن له أربعة أيام ، قال لها المسيح ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله ، فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً ، فخرج الميت ويداه ورجلاه موبوطات بأقمصة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب^(٢).

فهذه الرواية توضح أن المسيح أقام الميت من قبره وذلك بعد أن رفع عينيه إلى السماء ودعا الله أن يؤيده بالمعجزة وخوارق العادات.

(١) الغلوة: مقياس يوناني الأصل يبلغ ٦٠٦ أقدام إنجليزية. راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٦٦١).

(٢) راجع يوحنا ١١ : ٤٣.

كذلك تروى الأناجيل أن المسيح أبرأ الأكمة^(١)، والأبرص^(٢)، وفتح أعين العميان^(٣)، وشفى الخرس، والمجانين^(٤)، وأشبع الجموع الكثيرة بطعام قليل، فلقد أشبع خمسة آلاف من الرجال - كما تروى الأناجيل. بخمسة أرغفة وسمكتين، بل وبقي منهم ما يملأ اثنتى عشرة قفة^(٥)، وأسكن العواصف^(٦) ومشى على الماء^(٧).

"وكانت معجزات المسيح هذه باباً آخر نفذت منه دعوى القول بتأليهه، فمادام يشفى المرضى ويحيى الموتى فهو - فى نظرهم - الله نفسه أتى من السماء ونزل إلى الأرض ليعرض على الناس قدرات الآلهة"^(٨).

وبدلاً من أن يستدل بها المسيحيون على صدقه فى دعوى النبوة والرسالة استدلوا بها على ألوهيته وعلى امتيازاه على جميع الرسل وكافة البشر^(٩).

جاء فى علم اللاهوت النظامى "عن معجزات المسيح" هى دليل راهن على أنه الله، لأن عمل المعجزات علامة على القدرة الإلهية"^(١٠).

ويقول جماعة من المسيحيين الهنديين: "عرف التلاميذ أن حياة المسيح كانت إلهية من المعجزات"^(١١).

ويقول فولتون شين: "إن ما فى معجزات المسيح من إعجاز يعد مؤشراً على قدراته الإلهية"^(١٢).

(١) راجع متى ٩ : ٢ - ٨، مرقس ١ : ٢ - ١٢، لوقا ٥ : ١٧ - ٢٦.

(٢) راجع متى ٨ : ١ - ٤، مرقس ١ : ٤٠ - ٤٥، لوقا ٥ : ١٢ - ١٦.

(٣) متى ٩ : ٢٧ - ٣١.

(٤) متى ٩ : ٣٢، ٣٣، ١٢ : ٢٢.

(٥) راجع متى ١٤ : ١٣ - ٢١، مرقس ٦ : ٣٠ - ٤٤، لوقا ٩ : ١٠ - ١٧.

(٦) راجع متى ٨ : ٢٣ - ٢٧، مرقس ٤ : ٣٥ - ٤١، لوقا ٨ : ٢٢ - ٢٥.

(٧) متى ٢٤ : ٢٢ - ٣٣، مرقس ٦ : ٤٥ - ٥٢، يوحنا ٦ : ١٥ - ٢١.

(٨) المسيح إنسان أم إله ص (١٨٧، ١٨٨).

(٩) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٤٩).

(١٠) علم اللاهوت النظامى ص (٣٣٢).

(١١) لقيف من المفكرين فى بلاد الهند: أنوار كاشفة ص (٢٣).

(١٢) حياة المسيح ص (١٥٥).

ويقول اثنايوس: "فطرده الأرواح الشريرة وخروجها فى الحال لا يمكن أن يكون عمل إنسان بل عمل الله، من ذا الذى بعد أن رآه يشفى الأمراض الخاضع لها الجنس البشرى يتجاسر ويقول إنه لا يزال إنساناً وليس إلهاً؟ فقد طهر البرص، وجعل العرج يمشون، والصم يسمعون، والعمى يبصرون، وبإجمال طرد من كل البشر كل مرض، وكل ضعف، من كل هذا كان ممكناً لأبسط إنسان أن يرى لاهوته"^(١).

ويتحدث القمص بيشوى عبد المسيح بوضوح أكثر عن معجزات المسيح ودلالاتها على ألوهيته فيقول: "وفى خدمة المسيح للبشرية نستدل من أعماله على لاهوته، ففى خلقه عينين من طين للأعمى"^(٢) وبتحويله الماء إلى خمر جيد فى عرس قانا بمنطقة الجليل"^(٣)، وهو بإشباعه الخمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكين، وإشباعه الأربعة آلاف من سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك"^(٤)، نرى فيه الإله الغنى الذى يعطى الجميع بسخاء، ويشبع الكل من رضاه، وهو بإقامته لعازر من الموت نرى فيه الإله الذى يعطى الحياة، وهو بإخراجه الشياطين وشفائه البرص والعمى وغيرهم نرى فيه الإله الشافى القادر على كل شئ، وهو بمشيئه على الماء وبإسكاته البحر والأمواج نرى فيه الإله القادر الذى له سلطان على الطبيعة"^(٥).

فالمسيحيون يرون فى معجزات المسيح أنها تدل على ألوهيته وقدراته الإلهية.

ويدعى المسيحيون أيضاً أن هناك فرقاً بين معجزات المسيح ومعجزات الرسل السابقين.

فالرسل السابقون - فى نظرهم - قاموا ببعض المعجزات لا بقوتهم الذاتية ولكن بتأييد من الله وقوته وقدراته، بينما كان المسيح يقوم بالمعجزات بقوته وسلطانه ولا هوته.

(١) اثنايوس الرسولى: تجسد الكلمة ص (٦٤).

(٢) راجع هذه الرواية فى: يوحنا ٩: ١-٤١.

(٣) راجع يوحنا ٢: ١١-١٠.

(٤) راجع متى ١٥: ٣٢-٣٩، مرقس ٨: ١-١٠.

(٥) القمص بيشوى عبد المسيح: القول الصريح فى لاهوت المسيح ص (٢٢).

يقول بولس إلياس اليسوعى: "إن الفرق بين المسيح ومن سبقه من الأنبياء لبعيد، بعد الإنسان عن الله، نعم لقد ماثل المسيح بعضاً من الأنبياء بما أتوه من خوارق، لكنهم فصلوا تعاليمهم عن شخصيتهم بحيث نسبوا ما قاموا به من معجزات إلى الله لا إلى ذواتهم، أما المسيح فلم يفصل بين تعاليمه وشخصيته ولا نسب إلى سواء ما أتاه من معجزات لكنه جعل نفسه موضوع تعليمه لأنه إله وابن الله"^(١)

وهذا الكلام فيه مغالطات شديدة، فلو راجعنا الأمثلة التى أوردناها سابقاً من معجزات المسيح لوجدناه عليه السلام لم ينسب المعجزات إلى نفسه وإنما نسبها إلى الله الذى أرسله. وبرغم هذا فهم ما زالوا يرددون تلك المغالطات.

ففى (علم اللاهوت النظامى) نعم موسى والأنبياء صنعوا معجزات ولكن ليس بقوتهم الذاتية كما صرحوا بذلك للشعب كقول بطرس لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى"^(٢)، وحين شق موسى البحر لم يكن سوى آلة كالعصا التى ضرب بها المياه. أما المسيح ففعل معجزاته بقوته، وحين فعلها نسبها إلى نفسه فقط، وأعطى تلك القوة للآخرين والرسل الذين نسبوا معجزاتهم إليها"^(٣).

وهذه الأقوال باطلة وذلك لما يأتى:

أولاً: إن المسيح عليه السلام أعلن بلسانه عدم القدرة على فعل المعجزات بقدرته الذاتية فيقول - كما تروى الأناجيل - "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى"^(٤)، معنى ذلك أن المسيح لا ينسب إلى نفسه قدرة شخصية على فعل المعجزات، وإنما ينسبها إلى الله الذى أرسله فهو الذى أجرى على يديه بعض المعجزات، وإذا كان الأمر كذلك فلا فرق بينه وبين الأنبياء الآخرين الذين كانوا يفعلون المعجزات بإذن الله.

(١) يسوع المسيح ص (٦٦).

(٢) أعمال ٣ : ١٢.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص (٣٣٢).

(٤) يوحنا ٥ : ٢٠.

ثانياً: لم يكن المسيح يرى المعجزات إلا بالدعاء^(١)، حيث إننا نرى المسيح يتجه إلى الله بالصلاة والدعاء قبل طلب المعجزة، والحمد والشكر بعد إعطائه المعجزة، ويدل على ذلك ما روى فى إنجيل متى ولوقا أن المسيح بعد أن أعطى تلاميذه سلطاناً ليدوسوا الحيات والعقارب وليشفوا المرضى فى تلك الساعة "تهلل يسوع وقال أحمذك أيها الرب رب السماء والأرض"^(٢).

فالمسيح هنا يتجه بالحمد والشكر لله الذى يسر له إعطاء النعمة، فلو كان المسيح هو الله فلمن يتجه بالحمد والشكر؟ وإذا كان المسيح إلهاً وأنه يفعل ما يفعل بقوة الإلهية فلمن يشكر ويحمد إذا كانت هذه قوته؟

هذا وقد روت الأناجيل أيضاً أن المسيح كان يصلى قبل طلب المعجزة، مثال ذلك : ما ورد فى إنجيل لوقا "وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه"^(٣).

"أما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى"^(٤).

"وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى"^(٥).

"أخذ بطرس ويعقوب وصعد إلى الجبل ليصلى"^(٦).

فلمن يصلى المسيح إذا كان هو الله؟ ولماذا يصلى إذا كان هو متصفاً بالألوهية؟ هذا ما كان فى حياة المسيح العامة قبل المعجزة وبعدها، الصلاة والدعاء والحمد والشكر لله.

وهذا يدل على أن معجزات المسيح لا تدل على ألوهيته، وذلك لأنه يفعلها بعد الصلاة والطلب من الله سبحانه وتعالى.

وهذا يدل أيضاً على أن الله هو مصدر المعجزة فهو الذى يتفضل على رسله بالخوارق المؤيدة لهم فى دعوى النبوة والرسالة.

(١) البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص (٥٤).

(٢) متى ١١ : ٢٥ ، لوقا ١٠ : ٢١ .

(٣) لوقا ٩ : ١٨ .

(٤) لوقا ٥ : ١٦ .

(٥) لوقا ٦ : ١٦ .

(٦) لوقا ٩ : ٢٨ .

ثالثاً: وهو مترتب على سابقه: أنه يظهر من إجراء عيسى بن مريم للمعجزات أنها ليست مقصودة لذاتها، بل يقصد منها اهتداء الناس إلى الإيمان بالله عز وجل. فإذا تم ذلك بالموعظة الحسنة فكان لا يفعل المعجزة، أما إذا وجد ضرورة للمعجزة حتى يؤمن القوم فإنه يفعلها رغبة في إيمانهم.

فالمسيح عليه السلام - كما تروى الأناجيل - كان يبدأ بالقاء العظات على الناس شارحاً لهم جمال الطاعة ومغبة المعصية مبيناً لهم طريق الحق والصدق، فإذا استمع الناس وتنبهت عقولهم فرح عيسى وانشرح، أما إذا وجد أمامه قوماً عميت أبصارهم وختمت أفئدتهم فلا يؤمنون إلا بالخوارق والأعاجيب فلا مفر من الإتيان بمعجزة تنبه هؤلاء وتردهم عن الغي والخلف^(١).

ففي إنجيل يوحنا أن خادماً للملك كان ابنه مريضاً فأتى إلى عيسى عليه السلام وطلب منه أن يذهب إلى بيته ويشفى ابنه، وتبرم عيسى من طلب الرجل، وضاق بأن تكون كل مهمته في الحياة تطبيب الناس وشفاء الأمراض "فقال له يسوع لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب" ولكن الرجل ازداد إلحاحاً ورجاء مما اضطر عيسى إلى الذهاب معه وشفاء ابنه. وهنا فقط آمن الرجل وأهل بيته برسالة المسيح^(٢).

فالمسيح عليه السلام كان يقصد من إتيان المعجزة اهتداء الناس إلى الإيمان بالله عز وجل. وعليه فلا دلالة في معجزات المسيح على ألوهيته، ولا فرق بينها وبين معجزات الأنبياء والرسل السابقين من حيث الغاية والهدف.

رابعاً: حرص المسيح على إخفاء المعجزات حتى لا تشغلهم عن الغاية منها.

قلنا إن عيسى بن مريم كان يضيق من الذين يطلبون منه المعجزة وذلك لأنها ليست مقصودة لذاتها، وهنا نقول: إن المسيح حين كان يستجيب بعد إلحاح لإجراء بعض المعجزات فإنه كان يوصي دائماً بإبقائها في طي الكتمان، وذلك للتأكيد على أنها ليست مقصودة لذاتها، ففي الأناجيل أن رجلاً أبرص جاء إلى عيسى وطلب أن

(١) المسيح إنسان أم إله ص (٧٧).

(٢) راجع يوحنا ٤: ٤٦-٥٣.

يشفيه "فتحنا يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر، فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر، فانتهره وأرسله للوقت وقال له انظر لا تقل لأحد شيئاً"^(١).

وعندما شفى المسيح أعميين أمرهما ألا يقولوا لأحد "فانتهرهما يسوع قائلاً انظرا لا يعلم أحد"^(٢).

ويقول لآخر بعد أن أبرأه: "لا تدخل القرية ولا تقل لأحد فى القرية"^(٣).

هذه الحوادث وأمثالها التى تتكرر فى الأناجيل نرى فيها مدى حرص عيسى عليه السلام على أن تظل معجزاته فى طى الكتمان وهذا الاتجاه يدعونا إلى التأمل لماذا كان يحرص عيسى على إخفاء المعجزات وإبقائها فى طى الكتمان، وعلى ألا يفعلها وسط الجموع أو بين الجماهير؟

إن رغبة عيسى فى عدم إعلان معجزاته، وعدم الدعاية لها، والتهويل فيها، راجع إلى رغبته فى ألا تشغل المعجزات الناس عن جوهر الدين والرسالة، وفى ألا تكون محور اهتمام الجموع. فيتركون الشريعة والجوهر ويهتمون بالأشكال والأعراض، وتصبح الخوارق شغلهم الشاغل، وينسون شريعة الله وناموسه"^(٤).

إن عيسى عليه السلام أخفى المعجزات فى بعض الأحيان حرصاً منه على أن يهتم الناس بجوهر الرسالة والدين وهو الإيمان بالله عز وجل.

وعليه فلا دلالة فى معجزات المسيح على الألوهية وإلا لما أخفاها.

خامساً: إذا كانت معجزات المسيح عليه السلام لا تختلف عن معجزات الأنبياء والرسل السابقين، من حيث أسلوب طلبها، ومن حيث الغاية والهدف، فإنها بذلك لا تدل على ألوهية المسيح، وإلا لكان جميع الأنبياء آلهة، وهو ما لا يقول به عاقل.

(١) مرقس ١ : ٤٤-٤٥، راجع أيضاً متى ٨ : ٤٠-٤١، لوقا ٥ : ١٢-١٣.

(٢) متى ٩ : ٣٠.

(٣) مرقس ٨ : ٢٢-٢٦.

(٤) المسيح إنسان أم إله ص (٨١-٨٣).

والسؤال الآن: هل اختص المسيح عليه السلام بنوع من المعجزات لم يفعلها غيره حتى تكون مثار أفضلية وتكون سبباً للقول بألوهيته؟

الحق: لا، فإن الكتب المقدسة عندهم تبين أن الأنبياء والرسل السابقين كانوا يقومون بمثل معجزات المسيح.

ومثال ذلك: إحياء الموتى. فقد روى العهد القديم أن حزقيال أحيا جيشاً عظيماً جداً بإذن الله ورد الحياة إلى آلاف الراقدين وبعثهم من قبورهم. بعد أن طال رقادهم وتحللت أجسادهم^(١).

وإذا نظرنا إلى معجزة (حزقيال) بالمقياس البشرى، فإننا نرى أنها تفوق كل معجزات المسيح حيث إن عدد الذين أحياهم حزقيال يفوق عدد الذين أحياهم المسيح عليه السلام.

إنه - أى حزقيال - أحيا آلاف الراقدين، بينما نجد الذين أحياهم عيسى - كما فى الأنجيل - لا يتعدى أربعة أشخاص، هذا فضلاً عن أن حزقيال أحيا الراقدين بعد أن تحللت أجسادهم وأصبحوا تراباً وعظاماً، أى بعد أن طال عليهم الزمن فى القبور وتوالت عليهم السنون حتى تحللت أجسادهم وتناثرت عظامهم، وتمكن نبي الله حزقيال بقدرة الله أن يجمع عظام كل شخص على حدة ويعيد إليهم الحياة. بينما كانت معجزات المسيح فى إحياء الموتى عبارة عن إحياء الميت الذى لا زالت أعضاؤه وعظامه كما هى.

فالمسيح لم يختص وحده بإحياء الموتى فحزقيال أحيا جيشاً عظيماً بفضل الله، ورغم ذلك لم يقل أحد عنه إنه إله، وكذلك أيضاً أحيا (إيليا)^(٢)، و(اليشع)^(٣) بعض الأموات فلا خصوصية للمسيح فى إحياء الموتى، وكذلك أيضاً

(١) راجع حزقيال ٣٧: ١٠.

(٢) راجع الملوك الأول ١٧: ٢١، ٢٢.

(٣) الملوك الثانى ٤: ٣٥، ٣٢. راجع أيضاً فى ذلك: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد ص (١٣٥)، نهاية الحيارى ص (٢٧٨). تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص (٨٤). الرد الجميل ص (٢٣٩).

لا خصوصية له فى المعجزات الأخرى^(١) التى فعلها، وهذا يعنى أنها لا تدل على الألوهية وإلا لأصبح هؤلاء الأنبياء جميعاً آلهة وهو ما لم يقل به أحد.

(٢) دعوى نسبة بعض الألقاب الإلهية إلى المسيح:

لقد تمسك المسيحيون فى الاستدلال على ألوهية المسيح بأن أسفار العهد الجديد أطلقت عليه بعض الألقاب التى تدل فى نظرهم - على الألوهية مثل ابن الله، والإله، والرب.

وإليك بيان ذلك ومناقشته:

١- ابن الله:

لقد أطلقت الأناجيل على المسيح لقب (ابن الله) مرات عديدة.

يقول القس إنسطاسى شفيق: "وقد استعمل لفظ (ابن الله) فى العهد الجديد ما يقرب من أربع وأربعين مرة عن يسوع المسيح"^(٢).

ففى إنجيل متى أن المسيح سأل تلاميذه قائلاً: "وأنتم من تقولون إنى أنا فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى"^(٣).

وفى إنجيل يوحنا أن المسيح لما رأى كثيرين من تلاميذه رجعوا ولم يعودوا يمشون معه قال للثنى عشر: "ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا، فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنّا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى"^(٤).

واستدل المسيحيون بهذا الإطلاق على ألوهية المسيح، فابن الإله لا يكون إلا إلهاً.

(١) راجع المراجع السابقة التى أشرنا إليها

(٢) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤٧)

(٣) متى ١٦: ١٥، ١٦.

(٤) يوحنا ٦: ٦٧-٦٩.

يقول القس إنسطاسى شفيق: "يجب تفهم عبارة (ابن الله) بأن الله متجسداً عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد"^(١).

ويقول: "ومدلول البنوة لا يفيد الولادة الطبيعية، بل بالحرى يفيد الوحدة، فالابن والآب كلاهما طبيعة إلهية واحدة، وجوهر إلهى واحد، ولذلك عبر لنا عن هذه الوحدة بتسمية ذاته الآب، والابن"^(٢).

وهذا الاستدلال ضعيف جداً وذلك لما يأتى:

١- إن المسيح عليه السلام لم يدع نفسه (ابن الله) بل كان يدعو نفسه به (ابن الإنسان)^(٣).

٢- إن هذا الإطلاق معارض بإطلاق "ابن الإنسان" و(ابن داود) فلا بد من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية، ولا يلزم منه محال، ولأنه لا يصح أن يكون لفظ (ابن) بمعناه الحقيقى، لأن معناه الحقيقى باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين وهذا محال ههنا، فلا بد من الحمل على المعنى المجازى المناسب لشأن المسيح^(٤).

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: "يتمسك المسيحيون بأن المسيح إله وابن إله بألفاظ وردت فى بعض الأناجيل التى صنعوها مثل إطلاق لفظ (ابن الله) عليه، وهو دليل واهن لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق (ابن الإنسان) على نفسه، وبإطلاق (ابن داود) على نفسه أيضاً فلا بد من حمل هذا الإطلاق على معنى لا يتنافى مع ما ثبت من جلال الله وتنزهه عما لا يليق"^(٥).

٣- إن هذا اللفظ (ابن الله) لم ينفرد به المسيح، بل لقد شاركه فيه - كما تبين الكتب المقدسة عندهم - البشر جميعاً.

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (١١٠).

(٢) المرجع السابق ص (١٠٩).

(٣) محمد الرسالة والرسول ص (٦٥، ٦٦).

(٤) إظهار الحق ص (٣٥١).

(٥) قصص الأنبياء ص (٤٥٨).

فلقد أطلق على آدم (ابن الله)^(١)، وعلى يعقوب^(٢)، وداود^(٣) وسليمان^(٤)، وعلى المؤمنين بالله من أتباع سيدنا نوح^(٥)، وعلى شعب بنى إسرائيل^(٦)، وعلى الناس جميعاً^(٧).

وعلى ذلك فإن البنوة لله لها معنى آخر، وهو الطاعة والولاء لله تعالى.

يقول عبد الرحمن الباجة: الذى يظهر أنهم فى الزمن الأول كانوا يسمون المؤمن الطائع ابن الله كما هو الواضح من نصوص العهد القديم، وأبناء الله بصيغة الجمع المؤمنون الطائعون، فلا إشكال ولا بأس إذن بإطلاق (ابن الله) على المسيح بالمعنى المذكور، وإلا لزم أن يكون جميع المؤمنين أبناء الله حقيقة كالمسيح، إذ صرح بقوله^(٨) "كونوا أبناء الله"^(٩).

وعلى ذلك فهذا اللقب - ابن الله - لا يدل على ألوهية المسيح وإلا لأصبح جميع المؤمنين بالله آلهة.

يقول ابن القيم: "إن قلت إنما جعلناه إلهاً لأنه سمي نفسه ابن الله فى غير موضع من الإنجيل. قيل: فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة"^(١٠).

٢- الرب:

من الألفاظ التى تمسك بها المسيحيون فى الاستدلال بها على ألوهيته (الرب).

فقد ورد فى بعض أسفار العهد الجديد إطلاق هذا اللقب على المسيح.

(١) لوقا ٣ : ٣٨.

(٢) خروج ٤ : ٢٢.

(٣) صموئيل ٧ : ١٤.

(٤) أخيار الأيام الأول ٢٢ : ١٠.

(٥) تكوين ٦ : ٣٠.

(٦) تثنية ١٤ : ١.

(٧) غلاطية ٣ : ٢٦.

(٨) متى ٥ : ٤٥.

(٩) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٤٢).

(١٠) هداية الحيارى ص (٢٨٠).

ففى إنجيل لوقا ظهر الملائكة لبعض الرعاة قائلاً لهم "لا تخافوا فيها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إنه ولد لكم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"^(١).

وفى أعمال الرسل - عن بولس - "فكان معهم يدخل ويخرج فى اورشليم وبجاءه باسم الرب يسوع"^(٢).

ويقول بطرس - كما يروى سفر الأعمال - "الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح هذا هو رب الكل"^(٣).

وفى رسائل بولس نجد هذا اللقب مضافاً إلى المسيح كثيراً.

ففى رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى: "لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد"^(٤).

وفى رسالته إلى تيموثاوس الثانية "نعمة ورحمة وسلام من الله الآب والمسيح يسوع ربنا"^(٥).. إلى غير ذلك من الفقرات.

يذكر يسى منصور أنه قام بعملية إحصائية عن عدد المرات التى أطلق فيها لفظ (الرب) على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة فى الأنجيل ورسائل الرسل فوجد أن الله الآب قد دعى رباً اثنتين وستين وأربعمئة مرة، أما الله الابن فقد دعى رباً أربعاً وأربعين ومائة مرة، ودعى الروح القدس رباً خمس مرات"^(٦).

وقد استدلل المسيحيون بهذا الإطلاق على ألوهية المسيح.

جاء فى "علم اللاهوت النظامى" عن أدلة المسيحيين على لاهوت المسيح من العهد الجديد ما يلى:

"من بين هذه الأدلة تسميته فيه بالرب وربنا بمعنى خاص.

(١) لوقا ٢: ١٠، ١١.

(٢) أعمال ٩: ٢٨.

(٣) أعمال ١٠: ٣٦.

(٤) ١. كورنثوس ٨: ٢.

(٥) ٢. تيموثاوس ٢: ١.

(٦) رسالة التثليث والتوحيد نقلاً عن (الله واحد أم ثلاث) ص (٤٤).

إن لفظة (رب) وردت في العهد الجديد^(١) بمعنى مالك نحو رب الكرم أى مالكه ، وبمعنى متسلط نحو رب العبيد أى المتسلط عليهم ، وبمعنى معلم ، وأيضاً لقب اعتبار لرؤساء الحكومة وذوى المناصب ، وهى مستعملة للمسيح فيه بمعنى أنه مالكننا ورئيسنا وإلهنا^(٢).

ويقول باركلى: "إن تلقيب يسوع بالرب يعنى وضعه فى نفس درجة الله إننا نعطيه أعظم مكان فى حياتنا مع الطاعة والعبادة"^(٣).

وهذا الاستدلال خاطئ وذلك لأن الأناجيل تفسر لنا معنى إطلاق لفظ (رب) على المسيح.

ففى إنجيل يوحنا أن عيسى عليه السلام فى بداية دعوته كان يسير بمفرده فتبعه رجلان صارا فيما بعد من تلاميذه "فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانه فقال لهما ماذا تطلبان؟ فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث"^(٤).

وكذلك أيضاً ورد فى هذا الإنجيل الحوار التالى بين المسيح ومريم المجدلية "قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يا معلم ، قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم"^(٥).

من هذه الأقوال يتضح أن المعنى المراد من إطلاق لفظ (رب) على المسيح هو - المعلم لا أكثر من ذلك ، خاصة و أن الأناجيل مليئة بإطلاق هذا الوصف على المسيح.

يقول لوقا: " فتقدموا - أى التلاميذ - وأيقظوه قائلين يا معلم يا معلم إننا نهلك"^(٦).

(١) جاء فى قاموس الكتاب المقدس تحت لفظ (رب) ما يلى : يقصد بهذا اللفظ اسم الجلالة وفى هذه الحالة يطلق على الآب والابن بدون تمييز بينهما ، وقد يستعمل بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والإكرام (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٦).

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (٣٢٧).

(٣) باركلى : تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ، ص (١٦٠).

(٤) يوحنا ١ : ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) يوحنا ٢٠ : ١٦ ، ١٧ .

(٦) لوقا ٨ : ٢٤ ، راجع أيضاً لوقا ١١ : ٤٥ .

ويقول : "فأجاب يوحنا وقال يا معلم رأينا واحداً يخرج الشياطين باسمك فمنعناه".^(١)

وليس فى هذا الإطلاق بهذا المعنى أى ضير أو لبس، لأن طبيعة رسل الله أن يكونوا معلمين للبشر ما أوحى الله به إليهم، لذلك يروى لوقا "إنه فى يوم من الأيام بعد أن فرغ المسيح من الصلاة تقدم إليه أحد تلاميذه قائلاً: يا رب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا تلاميذه"^(٢) أى كما علم يحيى بن زكريا عليه السلام تلاميذه".

يقول عبد الرحمن الباجة: "فالذى يسمى المسيح رباً بهذا المعنى فهو غير مشرك ومن يعتقد رباً بمعنى الخالق فهو مكذب لإنجيله مشرك ومعاند بلا شبهة عند كافة الملل الإلهية"^(٣)

٢- الإله:

لقد تمسك المسيحيون بما ورد فى أناجيلهم، بإطلاق لقب (الإله) على المسيح فى الاستدلال به على ألوهيته .

من ذلك ما جاء فى إنجيل يوحنا من أن (توما) أحد التلاميذ نادى المسيح بقوله (ربى وإلهى)^(٤).

وفى أعمال الرسل "لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه"^(٥).

وفى رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد"^(٦)... إلى غير ذلك من الفقرات التى استشهد بها المسيحيون على ألوهية المسيح.

(١) لوقا ٩ : ٤٩ .

(٢) لوقا ١١ : ١ .

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٢) .

(٤) يوحنا ٢٠ : ٢٨ .

(٥) أعمال ٢٠ : ٢٨ .

(٦) ١- تيموثاوس ٣ : ١٦ .

وهذا الاستدلال ضعيف أيضاً، ذلك أن لقب الإله لم يطلق فى الكتب المقدسة - عندهم - على المسيح وحده، فلقد أطلق على موسى عليه السلام "فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك" (١).

وقال الرب أيضاً لموسى عن شقيقه هارون "وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فمأ، وأنت تكون له إلهاً، وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات" (٢).

وأطلق على البشر العاديين من القضاة والحكام الإسرائيليين، فداود عليه السلام - على فرض أن المزامير من أقواله - يسمى القضاة آلهة فيقول "الله قائم فى مجمع الله فى وسط الآلهة" (٣) يقضى (٤).

ويقول داود أيضاً للقضاة "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم ولكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون" (٥).

وهذا يعنى أن إطلاق لفظ (الإله) على المسيح وغيره إنما هو من قبيل المجاز المطلق، والمعنى الصحيح لهذا الإطلاق هو تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريباً من الله عاملاً بوصاياه (٦).

ولقد أيد المسيح - كما تذكر الأناجيل المسيحية - المعنى المجازى لهذا الإطلاق، وذلك حين قام بالرد على اليهود الذين أمسكوا حجارة ليرجموه لادعائه بنوة الله،

(١) خروج ٧ : ١.

(٢) خروج ٤ : ١٦، ١٧.

(٣) وهذه الفقرة تفهم على المعنى التالى: إن الله موجود وحاضر فى محكمة العدل ووسط مجلس الحكم وأن ما ينطق به القضاة من أحكام إنما هو كلام الله وحكمه، وكان القضاة أنفسهم آلهة ينطقون بحكم الله وينفذون مشيئته. راجع المسيح إنسان أم الله ص (١٩٢)

(٤) مزمو ٨٢ : ١.

(٥) مزمو ٨٢ : ٦، ٧.

(٦) المسيح إنسان أم إله ص (١٩٧).

قال اليهود لعيسى "لستنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف"^(١) فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً"^(٢).

ويرد عليهم المسيح موضحاً لهم المجاز ومؤكداً أنه في هذا يشبه نفسه بحكامهم وقضااتهم الآلهة الذين ينطقون بحكم الله فهو أيضاً إنسان حامل كلمة الله منفذ لتعاليمه كأحد أبنائه"^(٣).

يقول يوحنا عن هذه الحادثة "أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يتقضى المكتوب، فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله"^(٤).

فلقد اقتبس المسيح من المزامير قول داود للقضاة "أنا قلت إنكم آلهة" وذلك لكي يوضح لليهود أن المراد بهذا الإطلاق هو المعنى المجازى. وإلا لأصبح موسى وهؤلاء القضاة آلهة بالمعنى الحقيقى وهو مالا يقول به مؤمن بالله.

يقول الإمام الغزالى: "هذا النص بالغ فى تحصيل غرضنا، ويبانه أن اليهود لما أنكروا عليه قوله" أنا والآب واحد" ظانين أنه أراد بقوله هذا مفهومه الظاهر فيكون إلهاً حقيقة، انفصل عليه السلام عن إنكارهم مصرحاً بأن ذلك من قبيل المجاز، ثم أبان لهم حجة التجوز بضربه لهم المثل فقال قد أطلق عليكم فى ناموسكم أنكم آلهة ولستم آلهة حقيقة، وإنما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنى وهو: صدور الكلمة إليكم وأنا قد شاركتكم فى ذلك"^(٥).

(١) والتجديف. فى نظريهم. قوله لهم كما جاء فى الفقرة السابقة على الفقرة المذكورة (الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافى كما قلت لكم، خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتسبى. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي. أبى الذى أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى. أنا والآب واحد) يوحنا ١٠: ٢٥. ٣٠ والتجديف يقصد به فى الكتاب المقدس كلام غير لائق فى شأن الله وصفاته. قاموس الكتاب المقدس ص (٢٥٣).

(٢) يوحنا ١٠: ٣٣. ٣٤.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص (١٩٣).

(٤) يوحنا ١٠: ٣٤. ٣٦.

(٥) الإمام الغزالى: الرد الجليل ص (٢٤٤. ٢٤٥)

ثم يقول: "ولو لم يكن ما ضربه لهم من التمثيل جواباً قاطعاً لما تخيلوه من إرادة ظاهر اللفظ لكان ذلك مغالطة منه وغشاً في المعتقدات المفضى الجهل بها إلى سخط الإله، وهذا لا يليق بالأنبياء المرسلين الهادين إلى الحق..

فإن كان هو الإله الذى يجب أن يعبد وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم المثل، فيكون قد أمرهم بعبادة غيره، وصرفهم عن عبادته، وذلك غش وضلال لا يليق بمن يدعى فيه أنه أتى لخلاص العالم"^(١).

وعلى هذا فإن صح إطلاق لقب (إله) على المسيح فالمراد به المعنى المجازى وهو: أنه الناطق بوحى الله المنزل عليه والداعى إلى أوامر الله ونواهيه، والمنفذ لشرع الله وتعاليمه.

وهكذا يتبين لنا أنه لا حجة للمسيحيين فى القول بالوهمية المسيح، وأن ما ساقوه من أدلة ما هى إلا شبهات واهية وتأويلات فاسدة، وهى برغم هذا أدلة غير مقنعة.^(٢)

يقول وايلز - أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس -: ويظهر لى أن الكنيسة خلال تاريخ طويل من محاولات تقديم عرض منطقى للمسيح كإنسان كامل وإله كامل لم تنجح أبداً فى عرض صورة متماسكة مقنعة"^(٣).

على أننا لو سلمنا بهذه الأدلة لترتب عليها فساد فى العقيدة، ذلك أننا لو سلمنا أن هذه الأدلة تدل على الألوهية لترتب على ذلك ألوهية آدم وحواء^(٤)، وموسى وجميع الأنبياء^(٥)، بل وجميع شعب بنى إسرائيل، بل وجميع البشر، وهو ما لا يقول به عاقل.

(١) المرجع السابق ص (٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) أسطورة تجسد الإله ص (٣٢).

(٣) من حيث ولادتهما بدون أب وأم.

(٤) من حيث نسبة المعجزات وخوارق العادات إليهم.

(٥) من حيث نسبتهم إلى الله بالبنوة

كيفية التجسد الإلهي في نظر المسيحيين:

بعد أن بينّا أن المسيحيين يعتقدون في تجسد المسيح أنه يشتمل على حقيقتين: الحقيقة الإنسانية، والحقيقة الإلهية، يجدر بنا الآن أن نبين وجهة نظرهم في كيفية الالتقاء والاتصال بين هاتين الحقيقتين.

هم يعتقدون أن الإله تجسد وظهر في صورة بشرية، والسؤال الآن: كيف اتصلت اللاهوت بالناسوت فأصبح هذا المتجسد إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً، أو إلهاً متجسداً؟ وما مدى تأثير كل منهما في الآخر؟ وما طبيعة هذا المتجسد بعد الاتصال؟ وهل لا زال يتكون من طبيعتين أم من طبيعة واحدة؟

اختلف المسيحيون حول هذا الموضوع اختلافاً كبيراً، ويرجع هذا الاختلاف إلى العصور الأولى لتقرير العقائد المسيحية، فبعد أن قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ألوهية المسيح، اختلف المؤلهون بعد ذلك في طبيعة المسيح الذي أصبح إلهاً بموجب هذا المجمع، ذلك أنهم لم يتفقوا على كنه هذا التأليه، وعلى طبيعة هذا الإنسان المؤله، وهل هو من طبيعة إلهية خالصة؟ أم من طبيعتين إحداهما إلهية والثانية إنسانية، وكيف تلاقت هاتان الطبيعتان؟ هل امتزجتا؟ وما نوع هذا الامتزاج؟ إلى غير ذلك.

وكان مصدر هذا الاختلاف هو التوفيق بين ألوهية المسيح التي صدر بها قرار وأصبح الاعتقاد بها ملزماً، وبين الواقع وهو أن المسيح بن مريم كان يمشي على الأرض وكان يأكل ويشرب ويفعل كل الأفعال والنقائص البشرية.

ولقد كان هذا الاختلاف سبباً في انعقاد الكثير من المجمع بدءاً من القرن الخامس، والتي نتج عنها انقسام الكنيسة إلى مذاهب وطوائف مختلفة، وأهم هذه الطوائف: الأرثوذكس، والكاثوليك..

ولكل منهما رأى في طبيعة المسيح، وكيفية الاتصال بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإلهية ونتيجة هذا الاتصال.

فالأرثوذكس: يعتقدون "أن الطبيعة اللاهوتية قد اتحدت بالطبيعة الناسوتية اتحاداً كاملاً مطلقاً"^(١) حتى أنه لا يجوز - كما يعتقدون - أن نميز بين اللاهوت والناسوت^(٢).

(١) الأب متى المسكين: لمحّة سريعة عن رهبنة مصر ص (١٠).

(٢) د/ جورج حبيب: المعمودية في الكنيسة الواحدة ص (٣٦).

يقول حبيب جرجس: "إن فادينا العظيم قد تنازل من سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذ جسداً حقيقياً بنفس عاقلة ناطقة، فحمل به بقوة الروح القدس في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء آخذاً كل مالنا ما عدا الخطيئة"^(١) وهذا يعني أن مريم ولدت يسوع الإله المتجسد.

فالذى ولدته - كما يقول منسى يوحنا - لا إلهاً بالإطلاق، ولا إنساناً بالإطلاق، ولا إلهاً وإنساناً، بل إلهاً متأسناً"^(٢)...

وهذا من المحال إذ كيف يمكن أن يكون الإله قد استحال لحمًا ودمًا؟

أما عن نوعية هذا الاتحاد - عند الأرثوذكس - فيقول حبيب جرجس: "اتحد اللاهوت بالناسوت بدون اختلاط ولا امتزاج، وباتحادهما معاً بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحدة، جوهرًا واحدًا، طبيعة واحدة"^(٣).

ويقول سعيد مرقص "بلا انفصال - أى لم تأت لحظة فى حياة المسيح أن انفصل اللاهوت عن الناسوت"^(٤).

ولا اختلاط: أى لم يختلط اللاهوت بالناسوت كما تختلط المواد بعضها ببعض ولا امتزاج: أى لم يمتزج اللاهوت بالناسوت كامتزاج السوائل بعضها ببعض ولا تغيير: أى لم تتغير طبيعة اللاهوت بحلولها فى الناسوت، ولم تتغير طبيعة الناسوت بحلول اللاهوت فيها"^(٥).

وهذه الأقوال مليئة بالتناقض الغريب إذ كيف يتحد اللاهوت بالناسوت ويصيرا طبيعة واحدة بدون امتزاج واختلاط؟ إذ أن تركيب الشئ مع شئ آخر غيره وصيورتهم شيئاً واحداً يفترق إلى انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر كاستحالة الهواء إلى الماء، والماء إلى الهواء، بواسطة البرودة فى الأول، واستحالة

(١) حبيب جرجس: خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص (٢٨ ، ٢٩).

(٢) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص (٢٥٩).

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٩ ، ٣٠).

(٤) وهذا يقتضى أن يكون الإله المتجسد قد صلب وتألم، أى أن اللاهوت على هذا القول يكون مصلوباً متألماً وجرى عليه ما جرى على المسيح الإنسان من إهانة وتعذيب وقتل وموت وهذا محال.

(٥) سعيد مرقص: جسد الرب ودمه ص (٣٨).

الماء فى النار. وبدون انقلاب الحقائق لا يحصل الاتحاد الحقيقى . وإنما تحصل المجاورة ومجرد الاختلاط كمزج الشعير بالبر والذين بالماء . وكل منهما يتميز عن الآخر دائماً كالأول ، أو بعد يسير من الزمان كالثانى . وهذا معلوم بضرورة العقل ومعروف بالمشاهدة ، والمغالطة فيه لا يصغى إليها لأنها تشكيك فى الضروريات وليس بشئ ، فاللاهوت لو تركب مع الناسوت للزم يقينا انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر وانقلاب اللاهوت إلى الناسوت محال ، وانقلاب الناسوت إلى اللاهوت مثله لأن المجرد لا يكون مادياً ، والمادى لا يكون مجرداً^(١).

فبطل بذلك قولهم بتركيب اللاهوت مع الناسوت فى المسيح واتحادهما معاً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

أما كيفية الاتحاد - عند الأرثوذكس - فيقولون عنه إنه تم بطريقة سرية لا تدرك ولا تفهم. يقول أفلاطون مطران موسكو: "اتحدت طبيعته الإنسانية بالطبيعة الإلهية بطريقة سرية لا تدرك ، ومن اتحاد الطبيعتين صار شخص واحد هو المسيح الإله الإنسان معاً"^(٢).

فهذه الأقوال غير معقولة ومتناقضة ، ولم يستطع أهلها تفسيرها . فكيف يؤمنون بها ويدعون الناس إلى الإيمان بها وهم لا يفهمونها؟

والتناقض فى هذه العقيدة واضح إذ كيف يمكن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت؟ وكيف يمكن اتحاد القديم بالحادث؟ وكيف يعقل الاتحاد بدون امتزاج واختلاط وينتج عنهما طبيعة واحدة؟ وكيف يعقل أن ينتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة دون أن يحدث أى تحول أو تغيير؟ وكيف يجتمع فى هذه الطبيعة هذا النقيض الهائل من اللاهوت والناسوت؟

ولقد رد المسيحيون القائلون بالطبيعتين على الأرثوذكس بما يلى :

يقول لويس برسوم: "إن القول بأن المسيح لاهوت وناسوت وهو هو طبيعة واحدة هو عين التناقض"^(٣).

(١) الشيخ على البحرانى : لسان الصدق ص (١١٥).

(٢) الخلاصة الشبهة فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص (٨٩).

(٣) المسيح الإله والإنسان ص (٥٥).

ويقول: "من المبادئ المسلم بها عند جمهرة الفلاسفة واللاهوتيين، إن من طبيعتين كاملتين لا يمكن أن تقوم طبيعة واحدة، فمن المحال أن تتحول الطبيعتان إلى طبيعة واحدة"^(١).

أما الكاثوليك: فيعتقدون أن المسيح إله كامل وإنسان كامل وأن له طبيعتان طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية، وهاتان الطبيعتان باقيتان فى المسيح، ويعنون بذلك أن الطبيعتين اتحدتا فى شخص المسيح.

يقول الأب بولس إلياس اليسوعى: "عندما تجسد ابن الله يسوع المسيح جمع فى شخصه الإلهى الطبيعتين الإلهية والبشرية، فكان إلهاً وإنساناً معاً"^(٢).

ويقول إلياس مقار^(٣): "إن المسيح ذو طبيعتين تامتين كاملتين إذ هو إله تام وإنسان تام اتحدا فى شخصه الواحد بالتجسد"^(٤).

ونوعية هذا الاتحاد - عند هؤلاء - هو أنه اتحاد بدون امتزاج أو اختلاط.

يقول الأب لويس برسوم: "ولكن دون أن ينشأ عن هذا الاتحاد - أى اتحاد الجسد أو الناسوت باللاهوت - أى اختلاط أو امتزاج أو تغيير، ومن ثم فإن كلاً من اللاهوت والناسوت فى المسيح يتميزان بعضهما عن بعض تمييزاً حقيقياً جوهرياً"^(٥).

ويقال لهم: إن قلتم إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد، إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحداً، فإذا كان جوهر الأزلئ باقياً بحاله، وجوهر الإنسان باقياً بحاله، فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة.

ويقال لهم أيضاً: أتقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازاً؟ فإن قالوا إن ذلك تجوزاً أو توسعاً، فقد أبطلوا الاتحاد وتجاوزوا بإطلاق ما لا يجوز إطلاقه على القديم سبحانه.

(١) المرجع السابق ص (٥٣).

(٢) يسوع المسيح ص (٩٩).

(٣) وهو بروتستانتى وذلك على أساس أنهم يتفقون مع الكاثوليك فى القول بالطبيعتين بعد الاتحاد.

(٤) قضايا المسيحية الكبرى ص (١١٥)، راجع أيضاً المسيح الإله والإنسان ص (٣٨).

(٥) المسيح الإله والإنسان ص (٦٤).

❖ أما النص الثانى فهو من رسالة يوحنا الأولى ونصه: " فالذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة، الروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"^(١).

ونسبة هذه الرسالة إلى يوحنا - تلميذ المسيح - مشكوك فيها، فالرسالة لا تذكر اسم الكتاب ولا اسم المكتوب إليهم، بل ولا توجد فيها خاتمة رسائل أيضاً، وهى مختلفة كل الاختلاف عن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، وعن الرسالتين الأخرتين المنسوبتين إلى يوحنا وهما الرسالة الثانية والثالثة^(٢).

هذا بالنسبة لأمر رسالة يوحنا الأولى ككل.

أما بالنسبة لهذه الفقرة بالذات فإن بعض المسيحيين ينكرونها، ويقولون بأنها لم تكن موجودة فى النسخ الأصلية وإنما أضيفت بعد ذلك.

ولا زال بعض البروتستانتين - إلى الآن - لا يذكرونها فى نسخهم وترجماتهم الخاصة بفرقتهم، وبين يدي الآن ترجمة جديدة للعهد الجديد لم أجد فيها هذا النص، بينما ورد فيها النص كما يلى: " فإن هنالك ثلاثة شهود: الروح، والماء، والدم، وهؤلاء الثلاثة هم فى الواحد"^(٣).

ولقد نقل الشيخ رحمت الله الهندى أقوال كثيرين من المسيحيين الذين يقولون بأن هذا النص مضاف إلى الأصل.

يقول الشيخ رحمت الله الهندى: " (وكريسباخ)، (وشولز) متفقان على إلحاقية هذه الفقرة، (وهورن) مع تعصبه قال إنها إلحاقية واجبة الترك، وجامعو تفسير (هنرى) و (اسكات) اختاروا قول (هورن)، (وآدم كلارك) أيضاً مال إلى إلحاقيتها، وكذلك (اكستين) الذى كان أعلم علماء المسيحيين المثلثين فى القرن الرابع من القرون المسيحية"^(٤).

(١) - يوحنا ٥ : ٧.

(٢) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص (٥٧٥ ، ٥٧٦).

(٣) كتاب الحياة (ترجمة تفسيرية للإنجيل ١ - يوحنا ٥ : ٧) وهو كتاب متداول ومشهور.

(٤) إظهار الحق ص (٢٣٦).

ويقول : " وأقر صاحب ميزان الحق - القسيس فندر - على رؤوس الأشهاد فى المناظرة التى وقعت بينى وبينه سنة ألف ومائتين وسبعين من الهجرة - أنها محرقة - وعلى ذلك لا ينكر التحريف فى عبارة يوحنا إلا مكابر عنيد ^(١) .

ثم يذكر قول (هورن) وأدلة القائلين بكذب هذا النص فيقول " للذين يثبتون أن هذه العبارة كاذبة وجوه :

الأول : أن هذه العبارة لا توجد فى نسخة من النسخ اليونانية التى كتبت قبل القرن السادس عشر .

والثانى : أنها لا توجد فى النسخ المطبوعة التى طبعت بالجد والتحقيق التام فى الزمان الأول .

والثالث : أنها لا توجد فى ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية .

والرابع : أنها لا توجد فى أكثر النسخ القديمة اللاتينية .

والخامس : أنها لم يتمسك بها أحد من القدماء ومؤرخى الكنيسة .

والسادس : أن أئمة فرقة البروتستانت ومصلحي دينهم إما أسقطوها ، أو وضعوا عليها علامة الشك ^(٢) .

وهذا النص - على غلاته - يمكن أن يكون له فهم آخر غير الذى أراداه المسيحيون منه ، فالنص لم يذكر أن هؤلاء الثلاثة هم إله واحد ، صحيح أنه قال هم واحد - ولم يقل هم إله واحد - " وعلى هذا يمكن فهم معناه على أن الثلاثة واحد فى المنزلة والمجد والعظمة ، أو أن الثلاثة هم واحد فى الرأى والقصود والفكر ، وما مثل وحدانيتهم إلا كمثل وحدانية تلاميذ المسيح - الذى قال المسيح عنهم كما يحكى إنجيل يوحنا - " أيها الأب احفظهم فى اسمك الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ^(٣) " ، فما يراد من معنى قول المسيح الأخير يراد مثله فى قول يوحنا فى الرسالة الأولى ^(٤) .

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) يوحنا ١٧ : ١١ .

(٤) راجع عقيدتنا الثلاث والصلب فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (١١ ، ١٢) .

تجسد الآلهة فى صورة بشرية فى الأديان الوضعية

لقد انحرف الإنسان عن فطرة الله ووجه السماوى وانتقاد إلى شهواته وأهوائه وأثبت الألوهية لغير الله ، فاتخذ المخلوقات آلهة وأربابا من دون الله ، ودعاها وتضرع لها ورجا منها النفع والنصر ، ومن هذا الانحراف تكونت أئما وثنية متنوعة تعبد آلهة متعددة ومتنوعة اخترعتها أوهامهم وعقولهم القاصرة التى لم تعد تؤمن إلا بكل محسوس أو مشاهد حتى فى مجال الألوهية ، لذلك نجدهم لم يتركوا قوة من قوى الطبيعة إلا وجعلوها إلها ، كإله الرعد ، وإله البرق ، وإله الماء ، وإله النار ، وإله الكواكب وغير ذلك .

ومنهم من عبد الحيوانات والنباتات وأضاف إليها صفات الألوهية وأحاطها بهالة من التقديس والإجلال ، بل وقدم لها الطقوس والقرايين المعبرة عن تقديسه وخضوعه لها ، إما لأنها حلت فيها روح الإله ، أو على أساس أنها الجد الأعلى للقبيلة أو على اعتبار أنها مصدر للقوة والانتصار ، وإما للخوف من هذا الحيوان أو الرغبة فى الانتفاع به .

ومنهم من عبد أحد أفراد البشر ، وقدم له كل فروض الولاء والطاعة ، وكل ألوان الخضوع والتقديس على أنه إله مقدس ، ولذلك وصف بصفات الإله وعومل معاملة الإله على أساس أن الإله تجسد فى صورة بشرية أو أنه حلت فيه روح الله .

يقول العلامة دوان : "ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم . وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية"^(١) .

ولقد أشار العلماء إلى أن تأليه البشر أو تجسد الإله فى صورة بشرية عرف منذ زمن بعيد .

يقول جيمس فريزر : "ترجع فكرة (الإنسان الإله) أو الكائن البشرى الذى يتمتع بقوى إلهية أو خارقة للطبيعة - فى جوهرها - إلى تلك الحقبة الأولى من التاريخ

(١) محمد طاهر النثير : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص (٥٤)

الدينى التى كان ينظر فيها إلى الآلهة البشر على أنهم كائنات من نوع واحد تقريباً^(١)

ويقول: "فبينما تبدو فكرة تجسد الإلهة فى صورة بشرية فكرة غريبة بالنسبة لنا نحن المعاصرين فلم يكن فيها ما يدعو للعجب أو الدهشة بالنسبة للإنسان المبكر"^(٢).

"ولعل الكاتب يريد أن يقول عبادة البشر كانت من بين أطوار العقيدة التى ارتقت إلى التوحيد، فهو يتبنى نظرية تطور العقائد من الوثنية إلى التوحيد وهو ما يرفضه الإسلام رفضاً باتاً إذ أن العقيدة الإسلامية قائمة على أن أبانا آدم عليه السلام هبط إلى الأرض بعقيدة التوحيد ثم خلف من بعده خلف نزعوا إلى الشرك والوثنية فتتابعت الأنبياء يدعون إلى توحيد الله ومحاربون الوثنية فى شتى صورها.

ولكن ما نستفيد من قول هذا الكاتب أن عبادة وتأليه البشر فكرة وقعت للإنسان من قديم"^(٣).

وقد اختلف العلماء حول أسباب اتجاه الإنسان إلى تأليه البشر.

يرى البعض أنها ربما وجدت بديلاً عن الآلهة الحيوانية.

يقول ول ديورانت: "وربما استمدت الآلهة البشرية الأولى طبعها من الآلهة الحيوانية التى جاءت تلك الآلهة البشرية لها بديلاً، والانتقال من أولئك إلى هؤلاء واضح فى القصص المشهورة التى تروى لنا تحول الصورة الإلهية، والتى تصف لنا كيف كانت الآلهة؟ أو كيف صارت حيوانية الصورة؟. ويعدئذ ظلت صفات الحيوان لاحقة بالآلهة لا تبرحها، كما تظل رائحة الإسطبل لاحقة بمكانه حتى بعد تحويله قصرًا ريفياً منيفاً"^(٤).

(١) جيمس فريزر: الغصن الذهبى (١ / ٣٣٣).

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٣) د/ فتحي الزغبى: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص (٢٨٢) رسالة ماجستير.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ (١ / ١٠٧ - ١٠٨).

ويورد بعد ذلك أمثلة من ديانات اليونانيين والبابليين والمصريين، ثم يقول: "وهذه الآلهة بوجوهها الإنسانية وأجسادها الحيوانية تبين مرحلة الانتقال نفسها وتعتزف بالحقيقة عينها وهي أن كثيراً من الآلهة البشرية كانت يوماً آلهة حيوانية"^(١). وبجانب هذا الاحتمال، هناك احتمال آخر وهو أن تأليه البشر كان وليداً لعبادة الموتى والأسلاف.

يقول ول ديورانت: "ومع ذلك فمعظم الآلهة البشرية قد كانوا - فيما يظهر - عند البداية رجالاً من الموتى ضخموا بفعل الخيال، فظهر الموتى في الأحلام كان وحده كافياً للتمكن من عبادتهم، لأن العبادة إن لم تكن وليدة الخوف فهي على الأقل زميلته، وخصوصاً من كانوا أقوى إبان حياتهم فألقوا الخوف في نفوس الناس، هؤلاء يرجح جداً أن يعبدوا بعد موتهم"^(٢).

ويدلل على ذلك بقوله: "ولذلك تجد الكلمة التي معناها (إله) عند كثير من الشعوب القديمة معناها في الحقيقة (رجل ميت) وحتى اليوم ترى كلمة (Spirit) في الإنجليزية، وكلمة (Geist) في الألمانية معناها إما روح وإما شبح"^(٣).

وهذا الاحتمال فيه جزء من الصواب - في نظري - فالناس كما يشير القرآن الكريم كانوا أمة واحدة على الهدى والإيمان بالله وتوحيده فاختلّفوا واخترّفوا فأرسل الله إليهم نوحاً ليرشدهم إلى الصواب^(٤).

وكان هذا الانحراف قبل زمانه بقليل، وذلك أنه حين أرسل إليهم وجدهم يعبدون أصناماً وتماثيل نصبها آبائهم لبعض الصالحين منهم^(٥) بعد موتهم، ثم جاء من بعدهم فعبدها اعتقاداً منهم بأن آبائهم كانوا يعبدون هذه التماثيل فاتجهوا إليها

(١) المرجع السابق ص (١٠٨)

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٢٥٠)، (٢ / ٤١١).

(٥) المرجع السابق (٤ / ٤٢٦).

بالعبادة تقليداً لأبائهم ونسبوا لأصحابها الألوهية، ويدل على ذلك قوله تعالى (قَالُوا لَا تَدْرُونَ الْهِتَكَزَ وَلَا تَدْرُونَ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوسَك وَيَعُوقُ وَنَسْرًا) نوح : ٢٣، وهذا أيضاً هو السبب فى نظرى - للاتجاه إلى الوثنية والشرك^(١).

ثم حدث بعد ذلك أن اعتقد الناس فى ملوكهم أو أباطرتهم أنهم آلهة، وغالباً ما كان هذا بإيعاز من الملوك أنفسهم.

"فقد كان الملوك من قديم الزمان يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس ويضعون مكانتهم فى إطار من الألوهية لا جهلاً منهم بأنهم أناس لا يختلفون عن غيرهم، ولكنهم يفعلون ذلك تمويهاً على العامة حتى يأمنوا غائله الثورات الهوج من الذين يطمعون فى تبوئ عرش الملك، مقدرين أن ذلك التقديس يحول بين النازعين إلى الثورة، وبين ما يشتهون، وهذه كانت حالة (نمرود) فى عهد إبراهيم وحال الذين أتوا بعد موسى من ملوك اليونان ثم الرومان، كما كانت حالة الفراعنة فى مصر"^(٢).

هذا إلى جانب "أنه وجد بعض الملوك الذين طغوا على الجميع وكلما أمعنوا فى طغيانهم تضائل الناس أمامهم ورمقوهم بعين الإكبار والتقديس يصاحب ذلك خوف ورهبة حتى وصلوا بهم إلى درجة الألوهية واستراح الطغاة لذلك إشباعاً لغرورهم واطمأنوا على سلطانهم وطاعة أوامرهم"^(٣).

ولذلك إذا نظرنا إلى معظم الأمم الوثنية التى قدست البشر ورفعتهم إلى مرتبة الألوهية وجدنا الملوك أو الأبطال أو الفراعنة أو الحكام أو الأباطرة فى مقدمة الذين ينسب إليهم الألوهية.

يقول جيمس فريزر: "كانت فكرة الألوهية وفكرة الملكية تتداخلان إحداهما فى الأخرى وتحتلطان فى أذهان الأسلاف الأقدمين"^(٤).

(١) راجع الفصل الثانى من هذا الباب وهو الخاص بالتثليث.

(٢) قصص الأنبياء، هامش ص (١٨٢).

(٣) د/ فتحى الزغبى : غلاة الشيعة وتأثيرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص (٢٨٣).

(٤) الفصن الذهبى (١ / ٣٤٨).

ويقول ولز: "وقد كانت أقدم الإمبراطوريات فى العالم بطبيعة الحال دولاً دينية تتمركز حول عبادة أحد الآلهة أو الملوك الآلهة"^(١)

ولم يكن التجسد قاصراً على الملوك فقط، وذلك على أساس أن التجسد المزعوم - كما يقول جيمس فريزر - قد يتم فى بعض الأحوال فى أشخاص من أحط الطبقات. ففى الهند مثلاً بدأ أحد الآلهة البشرية حياته بالعمل بتبييض القطن، وبدأها آخر ابناً لأحد النجارين"^(٢).

وكان قادة الإصلاح أيضاً الذين يقومون بأدوار إصلاحية فى بلادهم - فى بعض الأحيان - معرضين لأن يعتقد الناس بألوهيتهم وذلك مثل بوذا.

والتجسد - كما هو فى الأديان الوضعية - إما مؤقت وإما دائم.

"وفى الحالة الأولى يتخذ التجسد الذى يعرف حينئذ بأنه وحى أو مس شكل المعرفة أو العلم الخارق وليس شكل القوة الخارقة للطبيعة ويعبر بذلك عن نفسه عن طريق العرافة والتنبؤ وليس عن طريق المعجزة.

أما حين لا يكون التجسد مجرد حالة مؤقتة وإنما تتخذ الروح الإلهية من الجسم البشرى مقراً دائماً لها فإنه يتوقع من (الإله الإنسان) أن يبرز صفاته عن طريق المعجزات"^(٣).

هذا وقد روى التاريخ أن الاعتقاد بألوهية البشر كان منتشرأ فى أنحاء العالم الوثنى القديم، وأن كثيراً من البشر قد نسب إليهم الألوهية وخلع الناس عليهم صفات التقديس والإجلال - سواء كان هذا فى حياتهم أم بعد مماتهم - وذلك قبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

فالمصريون والهنود واليونانيون والرومانيون وغيرهم كانوا يقدسون بعض أفراد البشر على أساس أنهم آلهة متجسدون، وسوف يظهر هذا من خلال العرض التالى.

(١) ولز: موجز تاريخ العالم ص (١٩٣).

(٢) الفصن الذمى ١ / ٣٣٦.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١) التجسد عند الهنود:

يعتبر التجسد من أشهر عقائد الهنود وأكثرها ذيوغاً بينهم، وهو يسمى عندهم باللغة السنسكريتية واللغات الهندية (أوتار)^(١)، وبوجه عام فإن الأساطير الهندية تضيف على آلهتها الصفات الإنسانية مثل الزواج والإنجاب^(٢).

يقول جيمس فريزر: "يمكن القول بأنه قد لا توجد دولة في العالم أخصب من الهند في الآلهة البشرية، فهي توجد في كافة الطبقات ابتداء من طبقة الملوك حتى طبقة بائعي اللبن"^(٣).

ويقول د/ محمد الندوى: "إن عقيدة التجسد نالت شهرة كبيرة في الهند وغطت شهرتها جميع العقائد والاتجاهات"^(٤).

ولقد رويت عنهم روايات مختلفة بشأن اعتقادهم بتجسد الآلهة، وسوف نقتصر هنا على دراسة أهم الآلهة المتجسدة عندهم.

(أ) تجسد الإله كرشنا:

لقد اعتقد الهنود أن الإله (كرشنا) تجسد وظهر في صورة بشرية^(٥) وهو عندهم أعظم من كافة الآلهة التي تجسدت، ويمتاز عنهم كثيراً لأنه لم يكن في أولئك - في نظرهم - إلا جزء قليل من الألوهية أما هو - أي كرشنا - فإن الإله فشنو ظهر بالناسوت^(٦).

فهم يعتقدون أنه التقى فيه اللاهوت والناسوت أو حل فيه اللاهوت في الناسوت^(٧) ويعتبرون ذلك سراً عجباً، ففي (فوشو بورانا) - أحد الكتب الهندية المقدسة - جاء ما يلي: "وإنه لسر عجيب كيف أن الإله تكيف بجسد إنسان"^(٨).

(١) د/ محمد إسماعيل الندوى: الهند القديمة ص (١١٠)

(٢) المرجع السابق ص (٩٣).

(٣) الغصن الذهبي (١ / ٣٥٤).

(٤) الهند القديمة ص (١١٢).

(٥) راجع: د/ علي زيفو: الفلسفات الهندية ص (١٦٨)

(٦) يقول العلامة دوان: (إن كرشنا يخالف كل الإلهة التي تجسدت لأنها لم يكن فيها إلا جزء من الألوهية، أما كرشنا فهو نفس الإله فشنو ظهر بالناسوت) راجع: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص (٥٤).

(٧) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان (الديانات القديمة) ص (٢٨).

(٨) العقائد الوثنية ص (٥٧).

ولقد روت كتبهم قول كرشنا "والجهال لا يعترفون بلا هويتى وبأننى رب كل شئ ويحتقرونى بالناسوت متكئين على الشر والخبث والمكر فى طبائعهم. فأما لهم وحكمتهم وأفكارهم وطبيعتهم كلها فاسدة، أما الرجال ذوو العقول الواعية يتكلمون على طبيعتهم اللاهوتية فيعلمون أنى الأبدى الكائن قبل كل شئ ويعبدوننى بقلوب لا تميل إلى آلهة أخرى"^(١).

وقوله لتلميذه (أرجون) : "وأنت يا أرجون الذى بداعى ثقتك اعترفت بألوهية ولادتى انضم إلىّ وادخل فى"^(٢).

وكان الهنود يدعون أم كرشنا والدة الإله^(٣).

يقول دوان: "والهنود يقولون إن كرشنا هو ابن العذراء ديفاكى ويدعونها والدة الإله"^(٤).

(ب) التجسد عند البوذيين:

لقد انحرفت البوذية - بعد موت بوذا - ونسى أتباعه تعاليمه وراحوا يؤلهونه. وبدأت القصص فى كتبهم المقدسة تتحدث عن الإله بوذا وتصف كيف تقدم له القرايين، وأقاموا له المعابد وجعلوا منه هو نفسه إلهاً معبوداً^(٥).

فاعتقد البوذيون أن بوذا إله متجسد ذو أسرار عجيبة^(٦) وأنه واحد من سلسلة من كائنات قدسية هى البوذوات. وأن "لكل البوذوات روحاً خالدة لا تمتد إليها يد الموت"^(٧).

فهم يعدونه إلهاً متجسداً - أى أنه إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدهم ويفيدهم ويبنى لهم طريق السلام^(٨).

(١) المرجع السابق ص (٥٩).

(٢) المرجع السابق ص (٥٨).

(٣) وكما ترى عند التقارب واضحاً بين اعتقاد المسيحيين فى المسيح واعتقاد الهنود فى كرشنا. راجع العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية (الفصل السابع عشر) فيه مقارنة بين أقوال الهنود فى كرشنا وأقوال المسيحيين فى المسيح.

(٤) المرجع السابق ص (٥٥).

(٥) قصة الديانات ص (١٢٠).

(٦) الفلسفة الشرقية ص (١٤٥).

(٧) ولز: معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثانى) ص (٤٨٩).

(٨) العقائد الوثنية ص (٦٠).

ويروون عنه بعض الأساطير التى تشبه إلى حد كبير أقوال المسيحيين فى المسيح^(١).

(٢) التجسد عند المصريين القدماء:

ساد الاعتقاد فى مصر بالتجسد وحلول الإله فى البشر..
والآلهة المصرية المتجسدة كائنات فى أغلب الأحيان من الملوك والفراعنة أو من ينتسب إليهم.

يقول ول ديورانت: "ولم يكن آلهة مصر من الآدميين إلا رجالاً متفوقين أو نساء متفوقات خلقوا فى صور عظيمة باسلة، ولكنهم خلقوا من عظام وعضلات ولحم ودم، يجوعون، ويأكلون، ويظمئون، ويشربون، ويحبون ويتزوجون، ويكرهون، ويقتلون، ويشيخون، ويموتون شأنهم فى ذلك شأن آلهة اليونان سواء بسواء"^(٢).

وكانت عبادة الملوك - الذين يمثلون الإله المتجسد - تطغى أحياناً على عبادة الآلهة الأخرى، وتكاد تخفيها. وهكذا نجد أنه فى أيام حكم (مرنر) أعلن أحد الموظفين أنه قد بنى الكثير من الأماكن المقدسة حتى يمكن للناس الابتهال لأرواح الملك (مرنر) الخالد - فى نظرهم - أكثر مما يبتهلون ويتضرعون لجميع الآلهة"^(٣).

ويبدو أن هذه العقيدة ظهرت بين المصريين فى عام ٣٢٠٠ ق.م وذلك حين أعلن (ميناء) - بعد أن وحد القطرين - أن الإله حل فيه وأنه الملك الإله وذلك حتى يجمع فى يده كل السلطات"^(٤).

تم تناقلتها الأجيال المتعاقبة دون تغيير جوهري.

يقول ولز: "أما مصر فكان فيها فرد يرفع فوق الكهنة وهو التجسيد الحى الممثل لرب البلاد الأعلى وهو فرعون الملك الرب"^(٥).

(١) راجع الموازنة التى أوردها صاحب كتاب العقيدة الوثنية فى الديانة النصرانية بين أقوال البوذيين فى بوذا وأقوال المسيحيين فى المسيح (الفصل الثامن عشر).

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ (٢ / ١٥٩).

(٣) الغصن الذهبى (١ / ٣٦٧).

(٤) راجع دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم (الجزء الخامس الخاص بالحضارة المصرية) ص (٩٩)، الفلسفة الشرقية ص (٤٠).

(٥) موجز تاريخ العالم ص (٦٣).

وأصبح الملك الذى يتقلد الملك فى مصر ينظر إليه على أنه لم يكن من البشر وإنما كان إلهاً ثم تجسد فى الفرعون ليحكم الناس^(١).

يقول ول ديورانت: "وكان الفرعون لا يحكم مصر بحقه الإلهى فحسب، بل يحكمها أيضاً بحق مولده الإلهى. فهو إله رضى أن تكون الأرض موطناً له"^(٢).

وكان الناس يقدمون لهم القرابين. كما كانت عبادتهم تقام فى معابد خاصة يشرف عليها كهنة خصوصيون^(٣).

فموحد مصر (ميناء) ومن خلفه من بعده. الذين كانوا يلبسون تاج مصر. كانت تقدم لهم العبادة على أنهم تجسيد للإله فى صورة بشرية^(٤).

ولقد وضع المصريون القدماء بعد ذلك هذه العقيدة فى إطار فكرة أنشئوها مجملها ما يلى: "أنه كان يحكم مصر على الدوام ملوك، وأن الملوك الأوائل كانوا آلهة حقيقيين قاموا بتنظيم شئون البلاد. وعلموا المصريين فنون الحياة، ووضعوا قواعد ديانتهم ثم ارتفعوا إلى السماء وخلفهم على العرش ملوك من البشر، غير أن هؤلاء الملوك كانوا بشراً فى المظهر فحسب إذ أنهم فى الحقيقة كانوا صورة مجسمة للآلهة"^(٥).

"ولما كان آخر ملوك مصر من الآلهة الحقيقيين - كما يعتقدون - يدعى حورس فإن خلفاءه من الملوك البشر الذين تربعوا بعده على عرش البلاد كانوا يحملون هذا اللقب الذى أصبح جزءاً لا يتجزأ من ألقاب كافة الفراعة، لأنه كان دليلاً على طبيعته السماوية، وبما أن المصريين كانوا يعتقدون أن الإله (رع) كان أول الملوك

(١) راجع: طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (٢ / ١٦٠) بتصرف

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ (٢ / ١٦١).

(٣) الغصن الذهبى (١ / ٣٦٧).

(٤) تاريخ البشرية (١ / ٩٠).

(٥) د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر فى عصر البطالة (٢ / ٤ ، ٥).

الآلهة الذين حكموا مصر وجددهم الأعلى فإن فرعون اكتسب لقباً آخر، وأصبح الملك الإله يحمل لقبى (حورس) أو هورس، و(ابن رع)^(١).

ولما كان المصريون يعتقدون أن فرعون صورة حية للإله (حورس) وأنه (ابن رع) فمعنى ذلك أن فرعون كان إلهاً ابن إله وورث الآلهة على عرش مصر^(٢).

وتتضمن فكرة ألوهية (الفرعون) بالتجسيد جيلين من الفراعنة، فإن اعتلاء الملك الجديد للعرش يعنى اندماج قوى الملك الراحل بالملك الجديد، إذ أن الملك الميت يصير بالتجسيد بمثابة الإله (أوزوريس) أما الملك الذى يخلف الملك الميت فيصير الإله (حورس) - أو هورس كما يسميه البعض - ابن أوزوريس الذى أعقب أباه وصار ملكاً أيضاً، كما أن الملك الجديد يتجسد أيضاً بإله الشمس (رع) ويصير ابنه وهكذا تستمر الدورة^(٣).

وهكذا نرى أن المصريين كانوا يعتقدون بالتجسد الإلهى فى صورة بشرية، ولقد أخذت هذه العقيدة كثيراً من اهتمامهم، فصوروا الملك على أنه إله وابن إله نزل من السماء وتجسد بهيئة بشرية ليحكم الناس.

(٢) التجسد عند اليونانيين:

صور اليونانيون أبطالهم على أنهم آلهة بهيئات بشرية، ووصفوها بالصفات الإنسانية الصالحة والرديئة^(٤).

فالآلهة اليونانية بشرية إلى أقصى الحدود، فهي تأكل وتشرب وترتكب الخطايا والآثام وتنقاد إلى الشهوات، ولا تختلف عن الإنسان إلا فى كونها خالدة ومزودة بقوة خارقة للطبيعة البشرية^(٥).

(١) المرجع السابق (٢ / ٥)، راجع أيضاً: تاريخ الحضارات العام. المجلد الأول الخاص بالشرق واليونان القديمة ص (٤٦).

(٢) تاريخ مصر فى عصر البطالمة (٢ / ٦).

(٣) مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (٢ / ١٦١).

(٤) برستيد: العصور القديمة ص (٢٩٩).

(٥) راجع تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الأول ص (٣٥)، د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الدينى ص (٢٩٩)، الأدب اليونانى القديم ص (١١).

واعتقد اليونانيون أنه يحدث أحياناً أن ينزل الإله ويتمصص جسم إنسان فيستحيل الإنسان إلهاً وقد يتصل الإله اتصالاً جنسياً مع امرأة من الآدميين فتلد بطلاً^(١) أو إلهاً كما فعل زيوس مع (أكميناً)^(٢) فولدت (هرقل)^(٣).

فكانوا يدعون أبطالهم آلهة وأولاد آلهة وأنهم ظهروا بالناسوت، وكانوا يقربون لهم الذبائح والعبادات^(٤). وغير ذلك من الطقوس المعبرة عن التقديس والإجلال.

(٤) التجسد عند المقدونيين والبطالة والسلوقيين:

فقد ادعى الإسكندر الأكبر وخلفاؤه أنهم آلهة يجب على رعاياهم أن يعبدوهم، وفازوا بمطلبهم، إذ أنهم عندما لم يجدوا في دساتير المدن الإغريقية سنداً لسلطتهم رفعوا أنفسهم إلى مصاف الآلهة الإغريقية، وأقبل رعاياهم على عبادتهم على أنهم آلهة^(٥).

تقول فرنسيس يونغ - أستاذ العهد الجديد في جامعة بيرمنغهام ببريطانيا - : "إن ادعاء الإسكندر بأنه سليل الآلهة يرجع إلى فترة حياته نفسها وتدل على ذلك النقوش والمصادر الأخرى"^(٦).

فلقد عبد الإسكندر في حياته وبعد مماته كإله^(٧).

(١) يقول د / محمد صقر خفاجة: إن أقدم تفسير للأساطير اليونانية ينسب إلى العالم اليوناني (يوهيميروس) أواخر القرن الرابع قبل الميلاد الذي قال بأن آلهة اليونان كانوا في الأصل أبطالاً تجمع حولهم ضباب الزمن والخيال فحور أشكالهم وخلع عليهم صفة القداسة ورفعهم إلى مصاف الآلهة. راجع أساطير اليونان هامش ص (٣).

(٢) أكميناً: إحدى النيمف (بنات المحيط) وحفيداته وهن آلهة إناث للبحار والأنهار والعيون والآبار والغابات والجبال، والطائفة الأولى منهن وهى نيمف البحار يطلق على أفرادها اسم الأوسيانيد أى البحريرات أو المحيطيات. راجع: الأدب اليوناني القديم ص (١٩).

(٣) هرقل: إله القوة وتنسب له الأساطير القيام بأثنى عشر عملاً عجز عن القيام بها كثير من الآلهة قبله. المرجع السابق ص (١٦).

(٤) قصة الحضارة مجلد ٢ (١ / ٣٢٧).

(٥) راجع العقائد الوثنية ص (٦٧، ٦٨).

(٦) فشر: تاريخ أوربا العصور القديمة ص (٧٣).

(٧) أسطورة تجسد الإله ص (٥٩).

(٨) راجع: تراث العالم القديم (١ / ٢١٣).

وناداه الناس فى أنحاء المملكة المقدونية بلقب الإله وابن الإله، ويدل على ذلك أنه حين فتح مصر زار واحة سيوة وزار معبد آمون فيها وقرب القرايين^(١) وهناك لقبه الكهنة (ابن آمون) أى ابن الإله^(٢).

وكذلك رحب به الكهنة السوريون على أساس أنه إله وابن إله^(٣).

وحينما تولى البطالمة حكم مصر، والسلوقيون حكم سوريا - بعد وفاة الإسكندر - ساروا على سنة سلفهم فدرجوا على تأليه الحكام والملوك.

يقول د/ إبراهيم نصحي: ولقد رفع بطليموس أيضاً إلى مرتبة الألوهية وأطلق عليه اسم الإله المنقذ، أو عبد باسم الإله المنقذ^(٤).

ويقول إدريس بل: "وكان بطليموس الأول (٣٢١ - ٢٨٢ ق. م) قد أله بلقب سوتير أى (المخلص) وابن بطليموس الثانى وخليفته منح لقب (يورجيتيس) أى المحسن ومن ذلك الوقت فصاعداً كان ملوك هذه الأسرة - ويسمون جميعاً باسم بطليموس - يحملون لقب العبادة التى كانوا يعبدون بها حتى فى أثناء حياتهم"^(٥).

وبعد موت الذى كان يؤله فى حياته يصبح بعد مماته (الإله المتجلى) أو (الإله الحى) وفى اليونانية (إيفانيس)، وأول بطليموس لقب نفسه (الإله المتجلى) كان بطليموس الخامس الذى حكم من سنة ٢٠٥ إلى سنة ١٨٠ ق. م^(٦).

والملوك السلوقيون قد رفعوا أيضاً إلى مرتبة الآلهة، ولقب أنطيوخس الثانى السلوقي (٢٦١ - ٢٤٧ ق. م) بلقب (ثيوس) أو (الإله)، وكان أنطيوخوس الرابع الملك السلوقي (١٧٥ - ١٦٣ ق. م) يلقب بإيفانيس أى الإله المتجلى^(٧).

(١) يقول د/ إبراهيم نصحي (إن الاسكندر الأكبر زار معبد آمون فى سيوة لإثبات ألوهيته وإثبات نسبة الإلهى) تاريخ مصر فى عصر البطالمة (١ / ٢٢)، (٢ / ١٣) وما بعدها.
 (٢) التاريخ القديم ص (١١٣)، راجع أيضاً الحضارة الهلينية ص (١٤٧).
 (٣) أسطورة تجسد الإله ص (١٥٩).
 (٤) تاريخ مصر فى عصر البطالمة (١ / ٨٣، ٨٨، ٨٩).
 (٥) الهلينية فى مصر ص (٨١)، راجع أيضاً قصة الحضارة مجلد ٢ (٣ / ٧٠).
 (٦) تاريخ العلم (٥ / ٦٤).
 (٧) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٥) التجسد عند الرومانيين:

وانتقلت فكرة (تأليه البشر) إلى العالم الرومانى وتوطدت فيه ، وظهرت بصورة واضحة فى عبادة الأباطرة أيضاً.

وكان تأليه الإمبراطور (يوليوس قيصر ١٠٢ - ٤٤ ق. م) بداية اتجاه العالم الرومانى لظاهرة تقديس وعبادة الأباطرة الرومان.

وقد اختلف المؤرخون حول تأليه (يوليوس قيصر) ومتى تم ؟ هل أله فى حياته أم بعد مماته ؟

أشار د/ إبراهيم نصحى إلى أنه أله فى حياته وذكر الأدلة على ذلك. ملخصها ما يلى :

(١) أنه عثر على نقوش فى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى وصف فيها (يوليوس قيصر) بأنه إله . ومن البديهي أن وجود مثل هذه النقوش ينم على الأقل عن وجود اتجاه قوى فى روما نحو تأليه قيصر.

(٢) أنه نقش صورة (يوليوس قيصر) على العملة الرسمية الرومانية - ذلك أنه يتبين من دراسة العملة أنه فى الدول الهلينستية كانت لا تنقش عليها عادة إلا صور الآلهة والملوك ، وأنه فى روما كانت لا تنقش عليها عادة إلا صور الآلهة ، بيد أنه فى عام ٤٥ ق. م نقشت بأمر السناطو لأول مرة على العملة الرسمية صورة بشر على قيد الحياة.

(٣) لقد عين (يوليوس قيصر) فى حياته كاهناً خاصاً له - وهو أمر لم يسبق له مثيل فى الدولة الرومانية - ومن المسلم به أن الكهنة كانوا يعينون لإقامة شعائر عبادة إله.

فما كانت إذن مهمة كاهن قيصر ، وما كان مبرر تعيين هذا الكاهن الخاص إلا إذا كان قيصر قد رفع إلى مرتبة الألوهية فى حياته.

(٤) أنه أقيم لـ (يوليوس قيصر) تمثالان أحدهما فى معبد كويرينوس والآخر على تل قاينولينوس بجوار تماثيل ملوك روما الأسبقين . وأول هذين التمثالين كان يحمل نقشاً نصه (إلى الإله الذى لا يقهر).

هذا إلى جانب قرائن أخرى ذكرها المؤلف، ثم يقول فى النهاية: إنه من الإسراف فى الرأى إنكار تأليه قيصر فى حياته^(١).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن تأليه (يوليوس قيصر) كان بعد مماته.

يقول د/ سيد أحمد الناصرى (لم ينس أوكتافيوس ٢٧ ق. م. ١٤ م) أن يبعث السرور فى قيصر وهو فى قبره، فبنى له معبداً فى ساحة المدينة حيث حرق جثمانه، كما أوجد بمقتضى قانون خاص عبادة يوليوس قيصر الذى اعتبر من بين آلهة الدولة البارزين، وأصبح يسمى المؤله يوليوس، وكان ذلك بداية لتأليه الأباطرة فيما بعد^(٢).

ويقول جورج سارتون: "فى السنة التالية لاعتقال يوليوس قيصر احتفل الحلفاء بتأليه قيصر وشيدوا معبداً لتخليد ذكره"^(٣).

ويقول دونالد ددلى: "وقد تم إعلان تأليه (يوليوس قيصر) بعد موته وكان هذا شيئاً جديداً على التاريخ الرومانى، وقد تلقى الشعب هذا النبأ بترحاب بالغ وبحماس شديد"^(٤).

ويمكن القول بأن تأليه يوليوس قيصر قد مر بمرحلتين: مرحلة تمهيدية وفيها نسب إلى يوليوس قيصر ما ينسب إلى الآلهة، أو وصف فيها بما يوصف به الآلهة مثل رسم صورته على العملة، وتعيين كاهن خاص به. إلى آخره، وكان هذا فى حياته، وهو ما يعنى أن يوليوس قيصر أله فى حياته بنوع معين بأن نسب إليه ما ينسب إلى الآلهة، وكان هذا بمثابة التمهيد لإعلان تأليهه رسمياً.

أما المرحلة الثانية فقد تمت بعد موته وفيها أعلن تأليهه رسمياً، وهو ما يعنى أن عبادة الأباطرة بدأت بتأليه يوليوس قيصر "وقد اتخذتها الحكومة الرومانية عبادة

(١) د/ إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان (٢ / ٦٩١ - ٦٩٥).

(٢) د/ سيد أحمد الناصرى: تاريخ وحضارة الرومان ص (٤١٥).

(٣) تاريخ العلم (٥ / ٢٤).

(٤) حضارة روما ص (١٦٢).

رسمية - بعد موته - أى فى عهد أوكتافيان^(١) الذى سعى بالإمبراطور أغسطس^(٢) فيما بعد.

وما لبثت عبادة الأباطرة أن انتشرت فى سائر أنحاء الإمبراطورية، وقام بعض الشعراء بإذكاء الحماسة لهذه الفكرة^(٣) وذلك مثل فرجيل^(٤).

"فمن أهم الأفكار التى تضمنتها مختارات فرجيل هو تأليه قيصر وظهوره كنجم فى السماء"^(٥).

وقد ساعد على انتشار هذه العبادة أن الاتجاه العام فى البلاد التى تخضع لحكم الرومان كان يدور حول اتخاذ الملوك والحكام آلهة، كما تبين مما سبق عند المصريين واليونانيين والمقدونيين والسوريين.

يقول د/ لطفى يحيى: "وكانت هذه العبادة صدى لاتجاه عام كان قد بدأ يسود المنطقة التى امتدت عليها الإمبراطورية الرومانية"^(٦).

وقد فتح تأليه (يوليوس قيصر) الباب لتأليه الأباطرة الذين جاءوا بعده بدءاً من أغسطس حتى عام ٢٧٤م، وذلك حين قام أورليانوس بتغيير هذا الوضع الذى استعاض عنه بـ (الشمس التى لا تغلب) على أنها إله الإمبراطورية^(٧).

وكان أول الأباطرة المؤلهين بعد (قيصر) أوكتافيانوس الذى عومل فى حياته معاملة الآلهة، فقد أكرمه المدن الإيطالية، وأفرزت له محلاً لائقاً فى هياكلها،

(١) د/ لطفى عبد الوهاب يحيى: دراسات فى حضارة اليونان والرومان ص (١٨).

(٢) فى ١٦ يناير عام ٢٧ق.م أنعم السناو (مجلس الشيوخ) على أوكتافيانوس بلقب (أغسطس) وهو لفظ يعنى (المهيب) أو (المعجد) أو (المختار بحسن الطالع). راجع: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٢٧).

(٣) راجع كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٥٥).

(٤) هو بوبليوس فرجيل مارو (٧٠ - ١٩ ق.م) شاعر الإمبراطورية الأول، وكان أول عمل قدمه للناس مجموعة من (المختارات) فى الشعر الرعوى الذى تغنى فيها بجمال الريف وهدوئه كرد فعل لما ساد المدن من حروب أهلية ومظاهرات ومشاكل اجتماعية معقدة، وأهم أعماله الخالدة (الإلياذة) التى ألفها فى السنوات العشر الأخيرة من عمره بناء على رغبة أوكتافيانوس سنة ٢٩ق.م وهى تعتبر نموذجاً للشعر عندما يوضع فى خدمة الأمانى الوطنية، فهى وضعت لكى تعلن بصفة روما الجديدة ورسالتها كحاكمة للعالم كله. راجع: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٨٥، ٨٦).

(٥) المرجع السابق ص (٨٦).

(٦) د/ لطفى يحيى: دراسات فى حضارة اليونان والرومان ص (١٨).

(٧) تاريخ البشرية (٢ / ١٤، ١٥).

وأضافت رومة اسمه منذ سنة ٢٧ ق.م إلى أسماء الآلهة فى التراتيل الرسمية وجعلت يوم ميلاده يوماً مقدساً كما اعتبرته يوم بظالة^(١)، وفى الشرق استقبل فى سنة ٢١ ق.م استقبالا إلهياً وحيوه مخلصاً وبشيراً وإلهاً ابن إله^(٢).

يقول ول ديورانت: "ولما أن زار أغسطس آسيا اليونانية فى عام ٢١ ق.م وجد أن عبادته قد انتشرت فيها انتشاراً واسعاً، وكانت النذور تقدم إليه، والخطب ترحب بوصفه (المتقذ) و (ناقل الأنباء السارة) و(الإله)، و (ابن الله). وقال بعض الناس إنه هو المسيح الذى طال انتظاره أقبل يحمل السلام والسعادة لبني البشر، وجعلت مجلس الولايات الكبرى عبادته المحور الذى تدور عليه احتفالاتها، وعينت مجالس الولايات والبلديات طائفة جديدة من الكهنة يدعون بالأغسطيين لخدمة الإله الجديد"^(٣).

"ومن وجهة نظر اليونانيين كان أغسطس حاكماً إلهياً، وفى مصر لقبه المصريون بـ (الإله) وكان من ألقابه الرسمية لقب (ابن الإله) ولقب (أغسطس) أى الممجد أو صاحب الجلالة وهى جميعاً ألقاب إلهية"^(٤).

وكما أله الرومان - يوليوس قيصر - رسمياً بعد مماته فكذلك أيضاً ألهموا أغسطس رسمياً بعد مماته، وأدججوا عبادته بعبادة الآلهة فى روما^(٥).

"واجتمع السناتو (مجلس الشيوخ الرومانى) بالفعل وألقت خطب التكريم والتعظيم تأييداً للراحل العظيم، وبلغ بهم الأمر إلى إضفاء الألوهية رسمياً عليه واعتباره بين عداد الآلهة الرومانية الخالدة، ومن ثم أنشأت هيئة دينية للإشراف على عبادته ونشرها فى كافة أنحاء الإمبراطورية، وقد اختيرت هذه الهيئة التى كانت باسم الأوغسطاليس من بين رجال طبقة السناتو"^(٦).

(١) قصة الحضارة مجلد ٣ (٢ / ٣٥)

(٢) د/ أسد رستم: عصر أوغسطس قيصر وخلقاته ص ٩٦.

(٣) قصة الحضارة مجلد ٣ (٢ / ٣٦).

(٤) تاريخ العلم (٥ / ٦٥)

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة

(٦) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (١٠٦).

الصلة بين التجسد المسيحى والتجسد الوثنى:

تبين لنا مما سبق أن الاعتقاد بالتجسد والقول بتأليه الأشخاص البشرية صورة ألفها العالم الوثنى وقت ظهور المسيحية.

هذا وقد وضح من العرض لفكرة التجسد عند الوثنيين أن هناك تقارباً شديداً وتشابهاً كبيراً بين الوثنيين والمسيحيين فى تصوير هذه العقيدة... ولقد أقر المسيحيون بهذا التشابه.

يقول د/ جوزيف نسيم يوسف: "إن لاهوت المسيح وناسوته لهما شبيه فى شخص أوزوريس الذى كان إلهاً وإنساناً فى ذلك الوقت. وفى الحقيقة كان كل الفراعنة أشخاصاً مؤلهين".^(١)

ويقول: "من وجوه الشبه أيضاً بين المصريين الوثنيين والمسيحيين أن الإله أيس كان يتجسد من عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها"^(٢).

وأشار زكى شنودة إلى هذا المعنى فقال: "كما كان فى معتقدات المصريين ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أن حور محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء، وأن أيس كان يتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها"^(٣).

وإذا كان التشابه بين الاعتقادين واضح فما الصلة بينهما؟

إن القول بالتجسد لم يقله المسيح ولم يشر إليه، وتلاميذ المسيح الأوائل لم يؤثر عن واحد منهم أنه كان يعلم هذه العقيدة.

والرأى الجامع للأدلة هو أن بولس هو الذى وضع بذرة ألوهية المسيح فأضفى عليه الصفات والقدرات الإلهية، وبولس هذا لم يكن بمعزل عن التأثير بالأديان الوثنية المنتشرة آنذاك.

(١) دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص (٤٣).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ٣٦).

وقد توصل إلى هذه النتيجة أيضاً بعض رجال الدين المسيحي بعد أن قاموا ببعض الأبحاث المتصلة بهذا الموضوع.

فقد انبرى بعض رجال اللاهوت المسيحي لبحث عقيدة التجسد وجذورها ومصادرها، وانتهوا مجتمعين إلى القول بأن هذه العقيدة أسطورة وثنية وألفوا كتاباً بعنوان (أسطورة تجسد الإله في المسيح) وهذا العنوان ينم عن فكرتهم التي انتهوا إليها.

والكتاب مقسم على عشرة فصول، كتبها سبعة من أساتذة الدين المسيحي ستة رجال وامرأة^(١) صدر طبعته الأولى سنة ١٩٧٧م في لندن، والقاسم المشترك لهذه الفصول العشرة هو البحث في جذور ومصادر الأسطورة التي تسربت إلى العقيدة المسيحية (عقيدة التجسد).

يقول المؤلفون - في مقدمة هذا الكتاب -: "والمؤلفون مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً رئيسياً آخر مطلوب في الربع الأخير من القرن العشرين، وتبرز الحاجة لذلك نحو حجم المعلومات عن الأصول المسيحية والتي تضم اعترافاً بأن المسيح كان إنساناً اختاره الله لدور خاص في إطار الإرادة الإلهية، وأن الاعتقاد المتأخر بأن الله المتجسد ليس هو إلا أسلوباً أسطورياً أو شاعرياً للتعبير عن أهميته بالنسبة لنا وهذا الاعتراف مطلوب منا لمصلحة الجميع"^(٢)

ويقولون: "ليس هناك من جديد في الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب ولا ندعى (الفردة) هناك عدد متزايد من المسيحيين من علماء اللاهوت ومن العامة ينحون في تفكيرهم نفس المنحى، إلا أننا ألفنا هذا الكتاب لتثبيت موضوعه على جدول أعمال

(١) وهم : دون كويت : محاضر في الإلهيات وعميد كلية عمانوثيل جامعة كمبرج بريطانيا

ميكايل غولدر : محاضر في اللاهوت في جامعة بيرمنغهام بريطانيا.

جون هك : أستاذ (بروفسور) اللاهوت في جامعة بيرمنغهام بريطانيا.

لسلى هولدن : محاضر في دراسة الأناجيل في كلية كينغ جامعة لندن.

دنيس نينهام : مدير كلية كيبيل، إكسفورد بريطانيا.

موريس وايلز : أستاذ (بروفسور) الإلهيات والكتاب المقدس في كلية المسيح إكسفورد بريطانيا..

فرنس يونغ : محاضرة في دراسة الأناجيل في جامعة بيرمنغهام بريطانيا.

(٢) أسطورة تجسد الإله ص (٢٤).

المنافشات بخاصة في إنجلترا حيث كان الاعتقاد التقليدي بالتجسد منذ زمن طويل نوعاً من المتمسك الطائفي المعفى من التقصى المنطقي والمطروح بحرفيته دون أية تساؤلات^(١).

وفي الفصل الثاني من هذا الكتاب تقول فرنسيس يونغ: "ويبدو أن مجموعة من الاستنتاجات قد برزت نتيجة لذلك:

(أ) أن الألقاب والأفكار المنسوبة للمسيح كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الأوائل، أي يمكن الاطلاع عليها في وثائق غير مسيحية وبتفسيرات غير مسيحية.

(ب) ويتطبيق استعمالها على المسيح حملت هذه التعابير مضامين جديدة، وأصبحت التفسيرات الجديدة أمراً لا بد منه عندما ظهر امتزاج جديد لأفكار كانت قبل متميزة كل بمفردها.

(ج) ومن المحتمل أن الامتزاج كان نتيجة لتفتيش المؤمنين عن تصنيفات يستطيعون بواسطتها التعبير عن استجابتهم للمسيح، أكثر مما كان - أي الامتزاج - نتيجة ادعاء المسيح أنه هو هذه الشخصيات "المعينة"^(٢).

وتقول في الفصل الخامس: "إن هناك مجموعة من النقوش الممثلة والمدونات على ورق البردي يظهر منها أن الألقاب التي أضفهاها المسيحيون الأوائل على المسيح تتوازي تماماً بصورة كبيرة مع ما استعمل في عبادة الإمبراطور"^(٣).

وتقول: "إن وجود تشابه صارخ بين البشر المؤلفين الوثنيين وبين موضوع شخصية المسيح أمر لا يمكن استبعاده كلياً، فنحن نواجه ليس فقط بحقيقة أن كل من يعتبر استثنائياً أو بارزاً في شخصيته أو قدرته أو مركزه يمكن أن يدعى - أي إلهي - ولكننا نواجه بحقيقة الولادة الخارقة"^(٤) وقصص أسطورية عن اختفاء عجيب عند

(١) المرجع السابق ص (٢٥ - ٢٦).

(٢) المرجع السابق ص (٤٤).

(٣) راجع ذلك بالتفصيل المرجع السابق ص (١٦٣ - ١٦٤).

(٤) نحن المسلمون نؤمن بأن المسيح ولد من عذراء بطريقة إعجازية.

الموت والتأليه والتجليات من الأعالي كلها كانت تتلازم تكراراً مع شخصيات مثل هذا فى العالم الوثنى!!

من أين إذن أتت هذه الألقاب والدوافع؟ من الواضح جداً أنها استعيرت من الميثولوجيا القديمة. قصص الأساطير القديمة^(١).

والنتيجة الأكيدة لهذه الأبحاث أن عقيدة التجسد أسطورة وثنية انتقلت إلى المسيحية من الأديان الوثنية القديمة.

تقول فرنسيس يونغ: "إن ظهور الآلهة للبشر على هذه الأرض كان من مخزون تجارة الميثولوجيا - الأساطير القديمة -"^(٢).

ويقول جون هك: "إن فكرة التجسد الإلهى هى فكرة أسطورية"^(٣).

ويقول موريس وايلز: فكرة التجسد فى ابن الله تعتبر أسطورة تحوى عنصراً مزعجاً غريباً حقاً، إنها لا تقول فقط بأن الله ظهر بشكل إنسانى، بل إنه أصبح تماماً من بنى الإنسان عاش كشخص تاريخى... وحتى تعذب ومات كإنسان، وفكرة التجسد تصل موضوع الأسطورة وطبيعة الألوهية نفسها بحادثة تاريخية بشخص تاريخى، ولقد أعيد التأكيد مرات عدة على أن هذا لا يعنى فقط تفسيراً تعسفياً لفكرة ذات أساس أسطورى، بل هو مناقض لطبيعة الأسطورة نفسها، لأن الفردانية التاريخية أبعد ما تكون عن الأسطورة، والفردانية هذه تعبر عن نموذج صحيح لكل عصر"^(٤).

فعقيدة التجسد إذن انتقلت إلى المسيحية من الوثنية بواسطة بولس وأتباعه من اليهود اليونانيين، والوثنيين الذين دخلوا المسيحية، ذلك أنهم لم يروا المسيح إلا صورة طبق الأصل لآلهتهم الوثنية، وهذه حقيقة أكدتها الأبحاث العلمية التى قام بها المتخصصون فى علم اللاهوت المسيحى.

بقى بعد ذلك أن نشير إلى بعض الردود الموجزة على عقيدة التجسد.

(١) المرجع السابق ص (١٦٧، ١٦٨).

(٢) المرجع السابق ص (١٦٠، ١٦١).

(٣) المرجع السابق ص (٢٧٤).

(٤) المرجع السابق ص (٢٤٣).

الرد على عقيدة التجسد:

أولاً: إبطال دعوى ألوهية المسيح:

إن ادعاء المسيحيين بأن المسيح إله - رغم أنهم متأثرون فيه بالوثنية فهو مردود بما يأتي:

(أ) : من حيث النقل:

أولاً: إن أقوى الأدلة على إبطال هذه الدعوى هو أن المسيح لم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله ولم يدع أحد من تلاميذه هذه الدعوى، ولكن الذى نسب إليه الألوهية بولس. وهو لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ التلاميذ، وإذا لم يقل المسيح عن نفسه إنه إله فلا يجوز لغيره ادعاء الألوهية له^(١).

وكذلك لم يشر المسيح من قريب أو بعيد إلى أنه إله أو ابن إله مما يدحض كل حجة تقول باللوهيته.

ثانياً: إن الأناجيل المسيحية مليئة بالأحداث الكثيرة التى تقطع ببشرته حيث أثبتت له الأكل والشرب والنوم والراحة. وتحدثت عن كثير من مواقف ضعفه التى ألمت به فجزع لها أو حزن وبكى.

يقول المسيح - فيما ترويهِ الأناجيل - مخاطباً اليهود: "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب"^(٢)، وكان يتعب ويستريح وينام "فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر"^(٣)، وهذا ظاهر فى إبطال ألوهية المسيح، فإن من يعتريه النصب ليس بإله^(٤).

"وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائماً فتقدم تلاميذه وأيقظوه"^(٥).

(١) راجع دراستنا للمباحثير (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه) ص (٣٧٨).

(٢) متى ١١ : ١٩ ، لوقا ٧ : ٣٤.

(٣) يوحنا ٤ : ٦.

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٤٦).

(٥) متى ٨ : ٢٤ ، ٢٥.

وها هو يغضب ويتضح ذلك مما جاء فى الأناجيل من أن المسيح حينما دخل الهيكل فى أورشليم "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشتررون فى الهيكل ، وقلب مواقد الصبارة وكراسى باعة الحمام"^(١). وصنع سوطاً من حبال وطرده الجميع من الهيكل"^(٢).

وها هو أيضاً يجوع ، يقول متى : "وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط ، فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فبيست التينة فى الحال ، فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبيست فى الحال"^(٣).

وهذه الفقرة تدل على بشريته وعدم ربوبيته من وجوه :

- ١- جوعه وهو ينافى الربوبية ويثبت العبودية.
- ٢- عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة ، والله تعالى بكل شئ عليم فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما علم وذلك يثبت عبوديته وينافى ربوبيته.
- ٣- غضبه على الشجرة لأنه لما انحرم عليه أمله قوى غضبه وهذه خاصية البشرية ومنافية للربوبية.
- ٤- تعجب التلاميذ من يسها بقوله ، ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى لما عجبوا من ذلك"^(٤).

وهو أيضاً يحزن ويبكى ، ومن الأمثلة على ذلك ما حكاه متى عن المسيح قبل القبض عليه - فى نظرهم - وهو يقول لتلاميذه "نفسى حزينة جداً حتى الموت امكثوا هنا واسهروا معى ، ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"^(٥).

(١) متى ٢١: ١٢ ، ١٣ ، مرقس ١١: ١٥ ، ١٦ .

(٢) يوحنا ٢: ١٥ .

(٣) متى ٢١: ١٨ - ٢٠ .

(٤) القرافى : الأجوبة الفاخرة ص (٢١٧ ، ٢١٨) .

(٥) متى ٢٦: ٣٨ ، ٣٩ .

"فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمى عاجز يخاف نزول الموت عليه وأن له إلهاً ناداه وتضرع إليه ، وزادوا هم أنه مع آدميته كان من الشاكين في قدرة الله تعالى ، حيث قال إن أمكن صرف كأس المنية فاصرفها عني" لأن هذا عين الشك في قدرة الله تعالى ، ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شئ ، فما معنى قوله (إن أمكن ذلك)؟ وإن كان علم أن الله لا يمكنه ذلك فما معنى سؤاله والتضرع إليه؟ وحاشا روح الله ورسوله أن يشك في قدرة الله تعالى ، بل كان عالماً في درجات اليقين بأن الله تعالى لا يعجزه شئ" (١).

ولقد أوردنا ذلك لبيان أن المسيح إنسان تضرع إلى الله بأن يميز عنه كأس الموت واعترف بأن الله فعال لما يريد ، وهذا يدل على إنسانيته وعبوديته لا ألوهيته .
ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما جاء في إنجيل لوقا: "وإذ كان في جهاد كان يصلى بأشد حاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة" (٢).

وهو أيضاً بكى في أكثر من مناسبة ، فلقد بكى حين علم بموت العازر (٣) ، وبكى حين اقترب من أورشليم (٤).

بل وتذكر الأناجيل أنه وقع في قبضة الشيطان وأخذ يسأله إن كان ابن الله فليحول الحجارة إلى خبز ، وتضيف هذه الأناجيل كذلك أن الشيطان أخذ المسيح في قبضته وارتفع به إلى جبل عال جداً ، وأراه ممالك الدنيا ووعد به بإعطائها إياه وذلك إذا سجد له وصار له عبداً . ولكن عيسى رفض قائلاً: اذهب عني يا شيطان (٥).

"وهذه الرواية أقوى شاهد على عبوديته ، وهل يصدق الصغير الذي لم يبلغ الحلم أن من يكون إلهاً يعرض نفسه على المطرود من رحمة الله ليجره؟ وهل

(١) عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص (٦٨).

(٢) لوقا ٢٢ : ٤٤ .

(٣) يوحنا ١١ : ٣٥ .

(٤) لوقا ١٩ : ٤١ .

(٥) راجع متى ٤ : ١٠ ، لوقا ١ : ١٣ .

يتصور في فكر من عنده ذرة من العقل أن إبليس الذى هو أحقر مخلوق لله يتجاسر على الإله بأن يطلب منه السجود لنفسه؟^(١)

يقول ابن حزم - فى تعليقه على هذه الرواية -: "فيها عجائب لم يسمع بأطم منها، إقرارها بأن إبليس قاده المسيح فانقاد معه ومضى معه، وقاده مرة أخرى، ولا يخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعاً سامعاً، فما نراه إلا منصرفاً تحت حكم الشيطان ت وهذه والله منزلة رذيلة جداً، أو يكون قاده كرهاً، فهذه منزلة المصروعين الذين يتخبطهم الشيطان من المس، حاشا للأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله وابن إله بزعمهم؟"^(٢)

فإن قال المسيحيون إن هذه الأحوال والأوصاف البشرية وقعت للمسيح من ناحية ناسوته. قلنا لهم: إن اللاهوت والناسوت عندكم متحدان بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً والمسيح عندكم إله معبود^(٣).

يقول القرافى: "قلنا الاتحاد عندكم لم يبق اللاهوت متميزاً عن الناسوت، فلذلك لا يمكنكم تخصيص أحوال البشرية بها"^(٤).

ويقول أبو الفضل السعوى: "وقد ثبت أن المسيح جاع وشبع واطمأن وجزع، وناله النفع والضرر، واعتورت عليه أحوال البشر، فإن قالوا إن هذه النقائص إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته. قلنا لم يكن الاتحاد الذى تدعونه ناسوتاً متميزاً عن لاهوت حتى يخص بهذه النقائص بل صار به شيئاً واحداً، والشئ الواحد لا يقال له جاع ولم يجع، ومات ولم يميت"^(٥).

والخلاصة: أن كل هذه الأوصاف والأحوال - التى وردت فى أناجيلهم تدل على أن المسيح إنسان بشرى يجرى عليه كل أوصاف البشرية، وأنه ليس إلهاً ولا ابن إله.

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٤).

(٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والنحل (٢ / ٣١).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) الأجوبة الفاخرة ص (٢١٧).

(٥) المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل ص (٢٠).

هذا وقد وصفت الأناجيل المسيحية المسيح بأنه نبي ورسول^(١).

من ذلك قول يوحنا حكاية عن المسيح "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأنني لا أطلب مشيئة بل مشيئة الآب الذي أرسلني"^(٢). ويقول: "أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية"^(٣).

وهنا نقول للمسيحيين: "هل ما تضمنته أناجيلكم من أقوال المسيح حق أم باطل؟ فإن قالوا إنه باطل فقد كفروا بالمسيح، وإن قالوا إنه حق فقد اعترفوا بنبوة المسيح وعبوديته"^(٤).

ثالثاً: إن الكتب المقدسة لدى المسيحيين ناطقة بإبطال ادعاء الألوهية لغير الله. فإن أسفار العهد القديم ناطقة بأن الله واحد أزلي أبدي لا يموت. قادر على ما يشاء ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات، برئ عن الجسم والشكل^(٥).

وهذه الأمثلة كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

"الرب هو الإله وليس آخر سواه"^(٦).

يقول موسى: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"^(٧).

ويقول داود: "يا رب لا إله غيرك"^(٨).

ويقول أشعيا: "أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض"^(٩).

(١) راجع ما أورده في بداية هذا الفصل.

(٢) يوحنا ٥ : ٣٠.

(٣) يوحنا ٥ : ٢٤.

(٤) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٥٨).

(٥) إظهار الحق ص (٣١٧).

(٦) تثنية ٤ : ٢٥.

(٧) تثنية ٦ : ٤.

(٨) أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢٠.

(٩) أشعيا ٣٧ : ١٦.

وجاء فى سفر أشعيا قول الله "أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى" (١).

فهذه الفقرات وغيرها تدل على أن الله واحد لا شريك له.

وكذلك ورد فى أسفار العهد القديم ما يدل على أن الله ليس كمثله شئ.

من ذلك قول موسى "ليس مثل الله" (٢).

وقول سليمان "أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض" (٣).

وفى أسفار العهد الجديد ما يدل على أن الله ليس له شبه وصورة، وأن رؤية الله

فى الدنيا غير واقعة، من ذلك ما يأتى:

"الله لم يره أحد قط" (٤).

"لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" (٥).

"الله لم ينظره أحد قط" (٦).

فثبت من هذه الفقرات وغيرها أن من كان مرئياً لا يكون إلهاً قط (٧).

وكذلك أيضاً فإن الكتب المقدسة عندهم توضح أن عبادة غير الله حرام،

وحرمتها مذكورة بصراحة فى مواضع شتى.

ففى سفر التثنية "أنه لو دعا نبى أو من يدعى الإلهام فى المنام إلى عبادة غير الله

يقتل هذا الداعى وإن كان ذا معجزات عظيمة، وكذا لو أغرى أحد من الأقرباء أو

الأصدقاء إليها يرحم عليه" (٨).

(١) أشعيا ٤٤ : ٦.

(٢) تثنية ٣٤ : ٢٦.

(٣) أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤.

(٤) يوحنا ١ : ١٨.

(٥) ١ تيموثاوس ٦ : ١٦.

(٦) ١. يوحنا ٤ : ١٢.

(٧) راجع : إظهار الحق ص (٣١٩).

(٨) تثنية ١٣ : ١ - ١١ (نقلنا هذا النص بمعناه لطوله).

وفى سفر التثنية أيضاً: إذا وجد فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شراً فى عينى الرب إلهك بتجاوز عهده، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء، الشئ الذى لم أوص به، وأخبرت وسمعت وفحصت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس فى إسرائيل، فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت^(١).

وهذه الفقرات تبين أن عبادة غير الله حرام، وأن من يفعل ذلك يرجم على رؤوس الأشهاد.

وعلى ذلك فدعوى ألوهية المسيح باطلة أيضاً بما ورد فى الكتب المقدسة عندهم.
(ب) من حيث العقل:

إن العقل يبطل ما يدعيه المسيحيون من ألوهية المسيح ويتبين ذلك مما يأتى:
إن من صفات الإله وجوب الوجود لذاته وذلك يستلزم ألا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً ويجب له القدم والبقاء وسائر صفات الكمال، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك بل كان عبارة عن شخص بشرى جسمانى وجد بعد أن لم يكن وكان طفلاً ثم صار مترعراً ثم شاباً، يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ فهو إذن محدث محتاج. وقد تقرر فى بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً، والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً، والمتغير لا يكون دائماً، فكيف سيكون عيسى إلهاً؟^(٢).

وكذلك يبطل دعوى ألوهية المسيح ما ثبت فى الأناجيل من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى. فلو كان إلهاً لاستحال ذلك. لأن الإله لا يعبد نفسه^(٣).

(١) تثنية ١٧ : ٢ - ٥.

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٦٨). راجع المناظرة التى جرت بين الفخر الرازى وأحد النصارى

والتي أوردها فى تفسيره (٨ / ٨٧).

(٣) مفاتيح الغيب (٨ / ٨٨).

ثم إن القول بألوهيته يستلزم أن يكون خالقاً لأمه مريم، وأن تكون مريم قد ولدت خالقها، وهو ما لا يقول به عاقل، لأنه يستلزم أن يكون المخلوق سابقاً لخالقه والخالق متأخر عن مخلوقه^(١).

ويقال لهم أيضاً فى إبطال ألوهية المسيح: هل كان الأنبياء والمرسلون يعرفون المسيح الإله وابن الإله أم لا؟

فإن قالوا لا يعرفونه فقد شهدوا على الأنبياء بالكفر الصريح، إذ كانوا لا يعرفون ربهم وخالقهم الذى لا يصح التوحيد دون معرفته، وإن قالوا كانوا عارفين وهو ربهم وخالقهم، أكذبهم كتبهم ونبواتهم إذ ليس فيها شئ من هذا القبيل^(٢).

وعلى هذا فدعوى ألوهية المسيح باطلة بالنقل والعقل.

ثانياً: إبطال ما ذهب إليه المسيحيون فى اتحاد اللاهوت بالناسوت:

أما ما ذهب إليه المسيحيون من أن التجسد كان عن طريق الاتحاد فهو باطل أيضاً بما يأتى:

أولاً: إن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت باطل صريح لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث والمجرد بالمادى^(٣).

ويقال لهم: إن كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا - كما زعمتم - فقد استحالت صفة اللاهوت واستحالت صفة الناسوت، فلم يبق اللاهوت لاهوتاً ولا الناسوت ناسوتاً، بل صار جوهرًا ثالثاً، لا لاهوتاً وناسوتاً، وهم ينكرون هذا القول وهو باطل، فإن رب العالمين لا يتبدل ولا تستحيل صفاته بصفات المحدثات، ولا ينقلب القديم ولا شئ من صفاته محدثاً، ولا يستحيل القديم الرب الخالق والمخلوق المحدث إلى ثالث، بل صفات الرب التى لم يزل ولا يزال موصوفاً بها لا تتبدل ولا تنقلب ولا تستحيل، فضلاً عن أن تستحيل إلى أمر ثالث.

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٥٥).

(٢) المنتخب الجليل ص (١١٠، ١١١).

(٣) إظهار الحق ص (٣٣٦).

ليس قائماً بذاته وهو مستحيل أن يعلم إنسان أو غيره بعلم لم يقم به ، فبطل القول بالنزول والاتحاد مطلقاً^(١).

رابعاً : يقال لهم : هل اتحاد اللاهوت بالناسوت واجب أم جائز؟ فإن قالوا إنه واجب لزم قدم الناسوت ولا قائل به ، وإن قالوا إنه جائز لزم عليه الحدوث كسائر الحوادث وجاز انتفاء الاتحاد بعد وجوده كما يجوز عدم سائر الحوادث.

ويقال لهم : هذا الاتحاد كمال أو نقص ، فإن قالوا إنه نقص فقد وصفوا الإله بهذا الوصف. وإن قالوا إنه كمال لزم وجود الاتحاد فى الأزل وأن اللاهوت لم يزل بالناسوت قبل وجود الناسوت وهو محال^(٢) :

خامساً : إن قول القائلين بأن فى المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين بعد الاتحاد باطل أيضاً^(٣) وذلك لما يأتى :

إن قالوا إن حقيقة اللاهوت والناسوت بقيتا بعد الاتحاد على حالهما ولم يتغيرا عما كان عليه فقد بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة.

وإن قالوا : أحدهما قد غير الآخر وأبطله ، كانوا قد أقروا ببطلان الإله ولزمهم أن يكون المسيح لا قديماً ولا محدثاً ولا إلهاً ولا غير إله.

وإن قالوا : إن اللاهوت أبطل الناسوت ، كان العيان يبطل قولهم فإن ناسوت المسيح مثل ناسوت غيره فى الجسمية واللحمية.

وإن قالوا : الناسوت أبطل اللاهوت لزمهم أن يكون المحدث مبطلاً للقديم^(٤).

أو يقال لهم : اللاهوت والناسوت إن بقى لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان قطعاً لا حقيقة واحدة فلا اتحاد ، وإن ذهب خصوصية كل واحد منهما

(١) الأجوبة الفاخرة ص (٣٠٩).

(٢) إرشاد الحبارى فى ردع من مارى ص (٤ ، ٥).

(٣) راجع المنتخب للجليل ص (٤٩ ، ٥٠) ، إبراهيم حربية : مشكلة الحلول والاتحاد وموقف الإسلام منهما (رسالة ماجستير) ص (٤٩) وما بعدها.

(٤) نصر بن يحيى : النصيحة الإيمانية ص (٦٦ ، ٦٧).

عدما بالضرورة، لأن الخصوصية للذات من ألزم اللوازم. فإذا عدم اللازم عدم الملزوم، وإذا عدمت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة، لأن اتحاد الذاتين فرع وجودهما، والعدم نفى محض. فلا اتحاد معه فالاتحاد باطل جزماً.

ويلزمهم أيضاً على هذا المذهب: أن القديم صار محدثاً، والمحدث صار قديماً لضرورة اتحاد الحقيقة. وأن يصير الخالق مخلوقاً والمخلوق خالقاً لضرورة اتحاد الحقيقة وإلا فلا اتحاد^(١).

سادساً: ويقال للقائلين بأن في المسيح جوهرين أو طبيعتين: أنهما إن كانا قديمين فقد أثبتهم قديماً رابعاً. بجانب الثلاث. هو ناسوت المسيح، وإن كانا محدثين كنتم قد قلتم بمحدث الابن الذي تزعمون أنه أزلي وعبدتم ما ليس بإله لأنكم تعبدون المسيح وهو على هذا القول جوهران محدثان. وإن كان أحدهما قديماً والآخر حادثاً كنتم قد عبدتم القديم والمحدث إذ المسيح الذي تعبدونه مجموعهما. ومجموع القديم والمحدث من حيث هو هذا المجموع فهو محدث، فيكون قد عبدتم المحدث من حيث هو محدث لا يستحق العبادة فيجب أن تتمخض العبادة للقديم ولا يبقى للمحدث في ذلك مدخل فلا يكون قد عبدتم المجموع لو أخرجتم المحدث عن أن يكون له مدخل في العبادة، وحينئذ يثبت أن المسيح الذي هو عبارة عن مجموع الأمرين غير مستحق للعبادة وهو خلاف معتقدهم^(٢).

ويقال لهم أيضاً: إن قلتم إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد، إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحداً، فإذا كان جوهر الأزلي باقياً بحاله وجوهر الإنسان باقياً بحاله فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة.

ويقال لهم: أتقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازاً، فإن قالوا إن ذلك مجازاً وتوسعاً أبطلوا الاتحاد وتجاوزوا بإطلاق ما لا يجوز إطلاقه على القديم سبحانه.

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣٠١.

(٢) ابن كمونة: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص (٥٦ . ٥٧).

وإن قالوا إنه اتحد حقيقة لزمهم أن يكون مشيئتهما واحدة، لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة إذ لو كان للواحد مشيئتان للزم إما أن تكونا متماثلتين أو مختلفتين، فإن كانتا متماثلتين فإحادهما مغنية عن الأخرى وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما فثبت أنه لا بد من إبطال أحد المشيئتين إن كانا الاتحاد حقيقة أو إبطال الاتحاد جملة إذا ثبت المشيئتان^(١).

سابعاً: إن المسيحيين قالوا: إن هذا الاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تغير ولا استحالة وهذا القول مناقض لما جاء فى إنجيل يوحنا (الكلمة صار جسداً وحل بيننا)^(٢)، وهذا القول يقتضى أن الكلمة صارت جسداً وجسماً بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضى انقلابها جسداً أو جسماً، وهذا يقتضى استحالتها وتغيرها، وهم قالوا اتحاداً من غير تغير ولا استحالة^(٣).

ثامناً: إنهم إن قالوا إن هذا الاتحاد عن طريق الحلول فهو باطل أيضاً، لأنه إما أن يكون شخص المسيح هو الإله، أو يكون الإله بكليته قد حل فى المسيح، أو حل بعض الإله أو جزء منه فيه، والأقسام الثلاثة باطلة:

أما الأول: فمحال، لأنه بإعدام المسيح ينعدم الله، ذلك أنه لو كان إله العالم هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله؟ ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة هم اليهود، فالإله الذى تقتله اليهود إله فى غاية العجز.

وأما الثانى: وهو أن الإله بكليته حل فى هذا الجسم فهو أيضاً فاسد، لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله فى الجسم، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب

(١) المنتخب الجليل ص (٥٠، ٥١).

(٢) يوحنا ١: ١٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الرد على المسيحيين فى قولهم بالاتحاد بدون امتزاج: راجع: الجواب الصحيح (٢)

(٢٦٧ / ١)، (١٨٦ / ١).

وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل وكان الإله محتاجاً إلى غيره وكل ذلك سخف.

وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاد الإله وجزء من أجزائه فذلك أيضاً محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله فثبت فساد هذه الأقسام^(١).

تاسعاً: إن قوانين العقل البشرى ترفض رفضاً باتاً اتحاد الإله بعيسى وظهوره في صورته، فقانون الذاتية يحدد لكل موجود ذاتيته الخاصة التي لا يمكن أن تختلط بغيرها أو تتحد مع ذاتية أخرى، ولكن هؤلاء يهدمون هذا القانون ويدعون أن ذاتية الإله قد اتحدت مع عيسى وظهرا في صورة واحدة، وهو خروج على مبادئ العقل وقوانينه^(٢)، ولعل هذا هو الذي دعا أحد الباحثين إلى أن يقول: "ولولا أننا نرى بأعيننا أناساً يقولون هذه العقيدة ويدنون بها ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه"^(٣).

يقول الجاحظ: "لو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك، أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه، حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم في الإلهية"^(٤).

ولقد أقر المسيحيون بعلو هذه العقيدة عن الإفهام وتناقضها مع العقول.

يقول القس وهيب عطا الله: "إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل، والمنطق والحس، والمادة، والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن ولو لم يكن معقولاً"^(٥).

(١) مفاتيح الغيب (٨ / ٨٧، ٨٨).

(٢) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص (٨٥، ٨٦).

(٣) الشيخ عبد الرحمن الجزيري: أدلة اليقين ص (٢٠١).

(٤) الجاحظ: المختار في الرد على النصارى ص (٩٥).

(٥) القس وهيب عطا الله: طبيعة السيد المسيح ص (١٨).

ويقول القس إنسطاسى شفيق: "غير أننا نقبل حقيقة التجسد بموجب الإعلانات الصريحة، ولا يجوز لنا أن نبحث فيها عقلياً، ولا نثبتها، ولا ندافع عنها بالأدلة والبراهين البشرية، لأنها تعلقو عن أفكارنا بقدر ما لا يوصف وإنما نقبلها بالإيمان"^(١) ويقول القديس كيرلس: "إن التجسد الإلهى فائق الوصف، سرى بصفة مطلقة، يفوق العقل،... هو سر لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبر غوره، ولا أى لسان أن يعبر عنه، ولكنه جدير بأن يعبد فى صمت وإيمان".^(٢)

والحق أن الأمر يدعو إلى الحيرة، فإذا كان رجال الدين أنفسهم قد ءجزوا عن فهم عقائدهم فمن يا ترى يستطيع فهمها؟ وإذا لم يستطع الإنسان إدراك وفهم عقيدته الدينية بعقله وفهمه فبماذا يمكنه أن يدركها؟ إن العقائد الدينية يجب أن تكون بسيطة ومفهومة حتى يتمكن الناس من اتباعها والسير عليها، فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وكيف تقرر فى القلب عقيدة لم يستغن عنها العقل ويقبلها الفهم؟^(٣)

والحق أيضاً أن استحالة فهم هذه العقيدة هى التى جعلتهم يقولون إن هذه العقيدة تعلقو عن أفكارنا ولا نستطيع فهمها.

واستحالة فهم هذه العقيدة - وغيرها - من العقائد المسيحية هى التى جعلت بعض المسيحيين يتخلصون من إيمانهم بل وربما من الإيمان بالله كلية.

يقول وولتر أوسكار لندبرج: "فى جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة الإنسان بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام العلمية فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤١)، راجع أيضاً للمؤلف نفسه الغداء فى إنجيل لوقا ص (١٩٠).

(٢) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير ص (٢٠، ٢١).

(٣) راجع (الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه) ص (٣٩٤).

مقتضيات المنطق والتفكير العلمى تجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبد فكرة الله كلية، وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما ترتب عليه من نتائج نفسية لا يحبون العودة إلى التفكير فى هذه الموضوعات، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله^(١).

ولذلك اقترح موريس وإيلز الدعوة إلى ترك الادعاء بالتجسد وألوهية المسيح^(٢)، ولقد طالب مؤلفو كتاب (أسطورة تجسد الإله) - كما سبق أن بينا - بأن تطورا لاهوتياً لأبد أن يحدث فيجب الاعتراف بأن التجسد أسطورة.

وهكذا يتبين لنا أن عقيدة التجسد باطلة من كل الجوانب...

هذا فضلاً عن أنها عقيدة وثنية، انتقلت إلى المسيحيين عن طريق الوثنيين الذين لم يستطيعوا فهم المسيحية إلا فى ضوء معتقداتهم الوثنية، والتى كان أهمها تجسد الإله فى صورة بشرية.

(١) نخبة من العلماء الأمريكين: الله يتجلى فى عصر العلم ص ٣٢.

(٢) راجع الفصل الأول من كتاب (أسطورة تجسد الإله) والذى يحمل عنوان (مسيحية بلا تجسد).

الفصل الثاني

التعليق

التثليث عند المسيحيين

يعتبر التثليث من أهم العقائد المسيحية، فمحور قانون الإيمان المسيحي يدور حول هذه العقيدة، فلا يعتبر المرء مسيحياً إلا إذا آمن بها ومارس الشعائر والطقوس المقترنة بالألفاظ والمصطلحات الدالة عليها.

وبعد أن تم تقرير هذه العقيدة في المجامع المسكونية لعن وطرد من الكنيسة كثيرون بسبب إنكارهم لعقيدة التثليث، واعتبر غير المثلثين في نظر الكنيسة هراطقة ومبتدعين وخارجين عن إيمان الكنيسة، وخارجين عن المسيحية.

يقول القس إنسطاسي شفيق: "نؤمن إيماناً كاملاً بأن في اللاهوت ثلاثة أقانيم هي الآب، والابن، والروح القدس، وفي نفس الوقت ليس منا من ينكر أن اللاهوت وحدة كاملة، وهذا حق إلهي عظيم، يتحتم التمسك به كاملاً، ولا ينبغي أن يضعف البتة، فكل من يسلم بأنه ليس في اللاهوت أقانيم ثلاث فهو ليس مسيحياً على الإطلاق بل هو مضل، وضد المسيح"^(١)

مدلول كلمة (تثليث) في المعاجم العربية:

بالرغم من أن أصل الكلمة المعبرة عن عقيدة التثليث ليس عربياً - فهي مترجمة عن الكلمة اليونانية (ثرياس) أو اللاتينية (ترينيتاس) ومعناها الثالث، وأول من استعمل لفظ (ثرياس) باليونانية هو تيوفيلوس أسقف إنطاكية، وأول من استعمل كلمة (ترينيتاس) باللاتينية (ترتليان)^(٢) في أواخر القرن الثاني^(٣) - إلا أنه لا مانع من

(١) اللاهوت في إنجيل يوحنا ص (٨١).

(٢) تعدد الكنيسة واحداً من أبرز الشخصيات المسيحية في القرون الأولى عاش ما بين عامي (١٦٠ - ٢٤٠م) كان من أصل وثني اعتنق المسيحية في عام ١٩٠م، وينسب إليه بعض المصطلحات اللاهوتية الرئيسية التي استخدمت لأول مرة في المسيحية ولا زالت تستخدم إلى الآن مثل كلمة (ثالوث)، (سر)، (الجوهر). راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ / ٣١) وما بعدها.

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص (٣٠٠).

أن نستأنس بمعاجم اللغة العربية لتتعرف على نظير هذه الكلمة أو مرادفها فى اللغة العربية وهى كلمة (ثالوث) أو (تثليث) .

والواقع أن مادة هذه الكلمة (ثلت) بجميع اشتقاقاتها وتصريفاتها تشير إلى التعدد والكثرة لا الوحدة.

يقول ابن منظور: "ثلت الاثنين يَثْلُثُهُما ثَلْثًا: صار لهما ثالثًا، وثلث القوم أثْلَثْتُهُمْ إذا كنت ثالثهم، وأثْلث القوم أى صاروا ثلاثة، وأثْلثوا أى صاروا ثلاثين، والمثلوث من الحبال ما قُتل على ثلاث قوى، والتثليث: أن تسقى الزرع سقية أخرى بعد الثَّيْبِ"^(١).

وفى المعجم الوسيط: الثالوث : ما كون من ثلاثة^(٢).

فكل اشتقاقات هذه الكلمة " تدل إما على تعدد الشئ ذاته أو نسبته إلى ثلاثة أشياء أو تألفه من ثلاثة أجزاء أو أنه ذو ثلاثة أبعاد، ولم نجد أن هذه المادة أفادت معنى التوحد فى ذات الشئ الدالة عليه بمعنى عدم تجزئه او انقسامه، إنما كل ما دارت فيه هذه المادة يدل على تأليف الشئ وتعدد أجزائه ونسبه"^(٣).

مدلول الكلمة عند المسيحيين:

وكلمة (التثليث) أو (الثالوث) هى الكلمة المعبرة عن عقيدة المسيحيين فى الله سبحانه وتعالى وهم يعنون بها، أن فى الله ثلاثة اقانيم: الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس، " وأن الثلاثة هم واحد فى الجوهر وأنهم متساوون فى سائر الكمالات"^(٤)، " وأن لكل من الآب، والابن، والروح القدس ما للآخر من الألقاب

(١) لسان العرب (مادة ثلث) ص (٤٩٧ - ٥٠٠)، راجع القاموس المحيط (١ / ١٦٥٩). المعجم الوسيط (١ / ٩٩).

(٢) المعجم الوسيط (١ / ٩٩).

(٣) عقيدتنا التثليث والصلب فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (٣) (رسالة دكتوراة).

(٤) بطرس ديناسبوس: القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسد المسيح ص (١٠)، راجع أيضاً، وليمسن: تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٤).

والصفات الإلهية إلا ما كان خاصاً بالأقنومية^(١)، وأن كلاً منهم يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة^(٢)، " وأن بينهم تمييزاً فى الوظائف والعمل"^(٣).

فإنه فى نظر المسيحيين - كما يقول أحدهم - " واحد من حيث الجوهر، لكن هذا الواحد فى جوهره مثلث فى أقانيمه"^(٤).

وأنت ترى بادئ ذى بدء أن وضع هذه القضية فى معادلة رياضية أمر لا يقبله منطق العقل ولا يصدقه وإن جلبت له الحيل من كل وجه، فالثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة أبداً، ومع هذا فتلك هى القضية^(٥).

معنى كلمة (أقنوم) :

يقول د/ مراد وهبه تحت لفظ (أقنوم) :

١- الأقنوم فى اللغة الأصل وجمعه أقانيم^(٦).

٢- عند أفلوطين أحد مبائى العالم الثلاثة الأولى وهى : الواحد - والعقل - والنفس الكلية.

٣- فى اللاهوت المسيحى الأقانيم ثلاثة : الآب، والابن، والروح القدس^(٧).

وهذه الكلمة (أقنوم) من الكلمات الرئيسية فى الديانة المسيحية فهى المعبرة عن التمييز بين الآب، والابن، والروح القدس.

ولقد اختلف المسيحيون حول أصل هذه الكلمة.

فلقد ورد فى بعض المراجع المسيحية أن أصل هذه الكلمة (يونانى)

(١) الأقنومية : هى تلك التى بها يتميز الأقنوم الواحد عن الآخر بحيث أن اقنوم الآب لا يمكن أن يكون أيضاً أقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، راجع الخلاصة الشبهة فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص (٧٣) ..

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٥).

(٣) المرجع السابق ص (٢٨٦).

(٤) مفيد كامل : الثالث ص (١٩).

(٥) عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٢١٠).

(٦) راجع القاموس المحيط (٤ / ١٦٩).

(٧) المعجم الفلسفى ص (٣٩).

يقول د/ أندرو وطسون: إن المراد بكلمة (أقنوم) اليونانية الأصل المستعملة في علم اللاهوت هو التعبير عن شخصية كل من الآب والابن والروح القدس مع اشتراكهم في الجوهر الواحد غير المتجزئ^(١).

ويقول د/ إبراهيم سبيد، ومن معه من مؤلفي كتاب الدين المسيحي: "أقنوم كلمة معربة عن اليونانية من مصدر "قنم" ومعناها (أصل) أو (ذات) أو (شخص)".^(٢)

لكن بعض المسيحيين خطأ هذا القول، وأشار إلى أن أصل هذه الكلمة (سرياني).

يقول عوض سمعان: "والأقنوم كلمة سريانية يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه على شرط أن لا يكون مما شخص أو له ظل"^(٣).
ويقول القمص بيشوى عبد المسيح: "والأقنوم كلمة سريانية بمعنى الخاصة الذاتية"^(٤).

ويقول الأنبا غريغوريوس: "الأقنوم كلمة سريانية الأصل بمعنى شخص، لكنها تقال في مقابل الكلمة اليونانية (أبيوستاسيس) في مجال التحدث عن الثالوث وهو (الله) في المسيحية"^(٥).

والمسيحيون يركزون على كون (أقنوم) سريانية الأصل؛ وذلك لتخفيف حدة المعنى المراد منها في اليونانية، فالكلمة في اليونانية - كما ذكر المسيحيون في الفقرات السابقة - بمعنى (شخص) أو (أصل) أو (ذات) وكلها معاني تعنى انفصال واستقلال كل أقنوم عن الآخر دون أن يكونوا جوهرًا واحدًا، والمسيحيون لا يرضون عن هذا المعنى حيث اعتقادهم بتوحيد الثالوث.

(١) د/ أندرو وطسون: شرح أصول الإيمان ص (٤٦).

(٢) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١م ص (٣).

(٣) عوض سمعان: الله ذاته ونوع وحدانيته ص (١٣١)، راجع للمؤلف نفسه: الله ثالث وحدانيته ووحدانية ثالوثه ص (١٧).

(٤) القمص بيشوى عبد المسيح: المسيحية ديانة التوحيد ص (١٧)..

(٥) تاريخ الفكر الديني المسيحي ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة (هامش ص ٥).

لذلك نجد عوض سمعان يقول: " فكلمة (الأقانيم) تختلف كل الاختلاف عن كلمة (الأشخاص) من ناحيتين رئيسيتين :

الأولى: أن الأشخاص هم الذوات المنفصل أحدهم عن الآخر. أما (الأقانيم) فهم ذات واحدة هي ذات الله.

الثانية: أن الأشخاص وإن كانوا يشتركون فى الطبيعة الواحدة، إلا أنه ليس لأحدهم ذات خواص أو صفات أو مميزات الآخر، أما الأقانيم فمع تميز أحدهم عن الآخر فى الأتومية هم واحد فى الجوهر بكل صفاته وخواصه ومميزاته لأنهم ذات الله الواحد^(١).

وعن معنى (الأاقنوم) يقول مفيد كامل: إن كلمة (أاقنوم) تعنى الإشارة إلى كائن حى، قدير، تصدر عن شخصه أقوال وأفعال تنم عن كينونته، وهذه الأقانيم أشخاص - مع الاحتراز بأنها شخصية غير منفصلة - متميزة بخواص معينة تقوم فى جوهر واحد^(٢).

وعلى هذا فالأاقنوم - فى نظر المسيحيين - يعنى الخواص التى يتميز بها كل أاقنوم عن الآخر مع عدم الانفصال والاستقلال، فهم يحاولون ما أمكن جعل الأقانيم متميزة، غير منفصلة.

فهم يسلّمون بأن هناك تمييزاً بين هذه الأقانيم، ولذلك يجب د/ أندرو وطسون على السؤال القائل: ماذا تتضمنه أاقنومية الآب، والابن، والروح القدس؟ قائلاً: " إنها تتضمن كل الخاصيات المختصة منذ الأزل بالآب، والابن، والروح القدس تمييزاً لشخصيتهم، وأيضاً تتضمن إمكانية المشورة بينهم، وإمكانية استعمال أنفاظ (أنا) و (أنت) و (هو) و (نحن) بينهم^(٣).

ويزيد هذا المعنى وضوحاً، أفلاطون مطران موسكو فيقول: " فالأاقنومية هى تلك التى بها يتميز الأاقنوم الواحد عن الآخر، بحيث أن أاقنوم الآب لا يمكن أن

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص (١٣٢).

(٢) مفيد كامل: الثالث ص (٢٣).

(٣) شرح أصول الإيمان ص (٤٧).

يكون أيضاً أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس ، ولا الابن يمكن أن يكون الآب ، ولا الروح القدس يمكن أن يكون الابن.

أما الخواص الجوهرية فهي على السواء عامة بين الأقانيم الثلاثة تخص كل واحد منهم كقولنا الآب ، والابن ، والروح القدس على السواء أزليون وبلا ابتداء كاملون^(١).

وإذا كان المراد بأقنومية كل من الآب ، والابن ، والروح القدس هو الاختصاص الذاتي لكل واحد منهم عن الآخر ، فكيف يكونون بعد ذلك جوهرًا واحدًا؟ كيف مع هذا التميز والاختصاص الذي لأحدهم عن الآخر يكونون واحدًا؟ وواحدًا في الجوهر وفي كل الصفات والخصائص والمميزات؟ كلام غير معقول وغير مستساغ!! ولكن هو عند المسيحيين هكذا.

التصور المسيحي للأقانيم الثلاثة:

لقد ظهر مما سبق أن المسيحيين يعتقدون أن الذات الإلهية ذو ثلاثة أقانيم الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، كل أقنوم مميز عن الآخرين . يقول وليمس : "وعقيدة الثالوث يمكن أن يعبر عنها بثلاث حقائق : (١) يوجد إله واحد.

(٢) الآب هو الله ، الابن هو الله ، الروح القدس هو الله.

(٣) كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة مميز عن الآخرين^(٢).

فالآب ، والابن ، والروح القدس - في نظر المسيحيين - أقانيم ثلاثة متميزة ، ومع هذا فهي - في نظرهم - أيضاً إله واحد ، أى أن هذه الأقانيم متميزة كل له صفاته وخواصه الأزلية وكل يطلق عليه (الله) ومع ذلك فهي مجتمعة - في رأيهم - في إله واحد!!

(١) الخلاصة الشهية ص (٧٣).

(٢) وليمس : تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٤).

والناظر فى كتب العقائد المسيحية يجد أن عقيدة التثليث تدرس بطريقتين فى آن واحد:

الطريقة الأولى: دراسة كل أقنوم على حدة مع بيان مميزاته الشخصية والذاتية.
الطريقة الثانية: بيان أن هذه الأقانيم الثلاثة غير منفصلة، وأنهم إله واحد، ثم يحاولون بعد ذلك تبرير دعواهم بوحداية هذا الثالوث.
ولذلك ينبغى أن نبين التصور المسيحى حول كل أقنوم على حدة، ثم نذكر التعاليم المسيحية حول هذه الأقانيم مجتمعة.
ولنبداً فى دراسة كل أقنوم على حدة وخاصة كل منهم كما فى التصور المسيحى.

"والخاصية تعنى - كما يقول أندرو وطسون - كل ما يتميز به كل من الآب والابن والروح القدس فى أقنوميتهم وفاعليتهم الواحد عن الآخر"^(١).
دعوى الله الآب:

والآب فى التصور المسيحى أحد الأقانيم الثلاثة التى تصور الذات الإلهية. وقد أطلق المسيحيون على هذا الأقنوم (الله الآب)، كما أطلقوا على الأقنومين الآخرين الله الابن، والله الروح القدس.

يقول حبيب سعيد تحت عنوان (الله الآب): " تفردت المسيحية فى إطلاق هذه الصفة على الله، ولكن ليس لهذه اللفظة فى المدلول المسيحى أية صلة بالأبوة البيولوجية، وقد علم يسوع أتباعه أن يصلوا قائلين: " أبانا الذى فى السموات... "^(٢) وهى الصلاة التى يرددها المسيحيون فى كل أرجاء العالم"^(٣).

ثم يقول: " وقد تبنت الكنيسة هذه الصفة من صفات الله وصاغتها فى نصوص عقائد الإيمان، وكلمة (آب) بسيطة فى معناها، عميقة فى معناها، فالله الآب

(١) شرح أصول الإيمان ص (٥٩).

(٢) متى ٦ : ٩ .

(٣) حبيب سعيد : أديان العالم ص (٢٥٥).

السماعى يحينا كأبناء، أبراراً كنا أو خاطئين، مذنبين كنا أو تائبين، حكماء كنا أو جاهلين^(١).

وبرغم اعتقادهم أن المسيحية تفردت فى إطلاق لقب (الله الآب) بهذه الصفة . أى باعتباره أقنوماً من أقانيم الذات الإلهية، إلا أنهم لم ينكروا أن هذا اللقب . وإطلاقه على الله . كان موجوداً من قبل فى الديانة اليونانية^(٢).

وقد ورد بهذا اللفظ فى العبرية والفينيقية والآشورية والآرامية والسريانية^(٣)، وأيضاً نجده فى بعض فقرات العهد القديم حيث أطلق اليهود على الله لقب (الأب) فى سفر التثنية " الرب تكافئون بهذا يا شعباً غيباً غير حكيم، أليس هو أباك ومقتنيك"^(٤). وفى سفر أشعيا: " فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدركنا إسرائيل أنت يا رب أبونا، ولينا منذ الأبد اسمك"^(٥).

وفى سفر ملاخى: " أليس أب واحد لكلنا، أليس إله واحد خلقنا"^(٦).

والمعنى الأساسى للأبوة فى هذه الفقرات هو الخلق والتأسيس^(٧).

ولقد أشار د / فهم عزيز إلى أن اليهود تأثروا بالأدب اليونانى فى إطلاق لقب (الآب) على الله فيقول:

"أما فى اليهودية فإننا نجد فى كتب الأبوكريفا^(٨) وغيرها بضعة شواهد حيث ينادى الله بلقب الآب، ولكنها متأثرة بالأدب اليونانى"^(٩).

(١) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٢) راجع المرجع السابق ص (٢٦٤).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص (١٧).

(٤) تثنية ٣٢ : ٦

(٥) أشعيا ٦٣ : ١٦

(٦) ملاخى ٢ : ١٠.

(٧) د / فهم عزيز : ملكوت الله ص (٦٠).

(٨) أبو كريفا: كلمة يونانية معناها (مخفى) أو (غيباً) أو (سرى) وقد وردت فى سفر دانيال فى الترجمة السبعينية فى ١١ : ٤٣ للتعبير عن الكنوز المخفية، كما وردت فى دانيال ٢ : ١٩ للدلالة على معرفة الأسرار المخفية عن علم البشر، وقد كان هناك نوعان من المعرفة الدينية عند اليونان فى ذلك الحين. النوع الأول: كان يشمل عقائد وطقوساً لجميع طبقات البشر ومعرفتها وممارستها. أما النوع الثانى: فقد كان يشمل حقائق عميقة غامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدركها إلا قلة من الخاصة، ولذلك بقيت غمضة أو " أبو كريفية " عن العامة، وقد أطلقت فى العصور المسيحية الأولى على بعض الكتب غير القانونية فى العهد القديم وكذلك فى العهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس ص (١٨).

(٩) المدخل إلى العهد الجديد ص (١٩١).

وإذا كان اليهود قد تأثروا بالأدب اليوناني في إطلاق لقب (الآب) على الله ، فإن هذا المعنى ينتقل إلى المسيحيين ضمناً . خاصة وأن المسيحيين الأوائل كانوا من اليهود . ويهود الشتات المتأثرين بالفكر والثقافة اليونانية .

أما كون المسيحية تفردت في إطلاق لقب (الآب) باعتباره أقنوماً من الأقانيم الثلاثة فإن هذا أيضاً غير مسلم . وذلك لأننا لو سألنا لماذا كان الآب " هو الأقنوم الأول ؟ وجدنا الجواب . كما يقول القمص بيشوى عبد المسيح : " لأنه أصل وعلة وموجد كل الكائنات وخالقها وبارئها " (١) .

ويقول مفيد كامل " فالأقنوم الأول هو أصل الوجود ومبدع الأشياء " (٢) .

وهذه الإجابة يشوبها المعنى الفلسفي ، إذ تحمل المصطلحات الفلسفية " أصل ، وعلة الموجودات " وهذا تجد له نظيراً في الفلسفة اليونانية (٣) .

وسنزيد بيان هذا في موضوع التثليث في الأديان الوضعية .

أما لماذا سمى المسيحيون (الله الآب) بهذا الاسم ؟ فإننا نجدهم يجيبون على ذلك بما يلي :

أولاً : " لأنه . كما يقول مفيد كامل - أبو يسوع المسيح الذى هو الابن ، الكلمة ، كما جاء فى العهد الجديد " مبارك الله (الآب) أبو ربنا يسوع المسيح " (٤) .

فالأقنوم الأول سمى (آبا) . فى نظرهم . لأن له ابناً (٥) .

" فمن أجل وجود هذا الابن سمى الله أباً ، وهذا الابن هو المسيح عليه السلام فهو فى اعتقاد المسيحيين ابن الله ، وبما أنه مولود من الله فهو إله مثل الله وقد سمى الوالد أباً والمولود ابناً " (٦) .

(١) القمص بيشوى عبد المسيح : المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٥) .

(٢) الثالث ص (٢٥) .

(٣) راجع : د/ محمد البهى : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامى (الكتاب الأول) ص (٨٩) وما بعدها .

(٤) أفسس ١ : ٣ ، ١ . بطرس ١ : ٣ .

(٥) مفيد كامل : الثالث ص (٣٣) .

(٦) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثلاث ص (٩٤) .

ونسبة الأبوة إلى الله - فى نظرهم - ليست بالمعنى الجسدى - كما يقول عوض سمعان - " بل بالمعنى المجازى أو الروحى الذى يتوافق مع روحانية الله وخواصه وهو المحبة " (١).

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نقول إنه ليس للمسيح عليه السلام ميزة خاصة تجعل الله يسمى بـ (الأب) من أجل كونه - أى المسيح - ابناً، خاصة وأن نصوص العهد القديم والجديد تذكر أن أبناء الله كثيرون (٢).

فلقد ذكر لوقا أن " آدم ابن الله " (٣).

وكذلك يعقوب أطلق عليه لقب الابن " هكذا يقول الرب: إسرائيل ابنى البكر " (٤).

وأيضاً داود دعى ابن الله " هو يدعونى أباً وأنا أيضاً أجعله ابنى " (٥).

" أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً " (٦).

وكذلك سليمان بن داود عليهما السلام فقد ورد فى أخبار الأيام الأول قول الله تعالى - كما يدعون - عن سليمان " هو يكون لى ابناً وأنا له أباً " (٧).

وكما دعى الأنبياء أبناء الله فكذلك الملائكة دعوا أبناء الله.

ففى إنجيل لوقا (لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله) (٨).

وكذلك أيضاً دعى البشر العاديون أبناء لله.

ففى سفر التثنية جاء عن بنى إسرائيل أنهم أبناء الله " أنتم أولاد للرب إلهكم " (٩).

(١) عوض سمعان : الله ثالث وحادنيته ووحداية ثالثه ص (٨٤).

(٢) راجع : الله واحد أم ثالث ص (٩٥ ، ٩٦).

(٣) لوقا ٣ : ٨.

(٤) خروج ٤ : ٢٢.

(٥) مزمو ٨٩ : ٢٧.

(٦) صموئيل ٧ : ١٤.

(٧) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٠.

(٨) لوقا ٢٠ : ٣٦.

(٩) تثنية ١٤ : ١.

فإن صحت تسميتكم أن الله (أب) فليس لكونه أب المسيح وحده بل لأنه أب كل الشر، كما جاء فى سفر ملاخى " أليس أب واحد لكلنا، أليس إله واحد خلقنا " (١).

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا خصصتم المسيح بهذه الميزة - التى تجعل الله أباً من أجل كونه ابناً؟ (٢) فهذا تحكم لا أصل له، ولا مجال للقول إن المسيح له ميزة أنه خلق بدون أب، وأنه جاء ببعض المعجزات مثل إحياء الموتى وغيرها، فهذه الأمور ليست خاصة بالمسيح عليه السلام وحده. فأدم خلق بدون أب وأم. والمعجزات ليست خاصة بعيسى وحده وإنما لجميع الأنبياء والرسل.

ثانياً: يقول مفيد كامل : لأن هناك علاقة محبة عظمى أزلية غير متناهية متبادلة بين الأقنومين الأول والثانى، ولأنه لا توجد فى عالمنا هذا رابطة تعبر عن أسمى درجات المحبة أقوى من تلك التى تقوم بين الأب وابنه (٣).

كيف هذا وهم يقولون إن الثلاثة جوهر واحد؟ إن وجود مثل هذه العلاقة يستدعى وجود شخصين أو (إلهين) بينهما علاقة حب متبادلة.

كيف يمكن أن يحدث هذا جوهر واحد؟ هل يوجد انفصال ذاتي، بين البعض علاقات وبين البعض الآخر لا يوجد علاقات، إن هذا المستحيل وغير معقول!!

ثالثاً: يقول مفيد كامل أيضاً: للدلالة على المساواة الكاملة والتطابق التام بين الأقنوم الأول والأقنوم الثانى من حيث الجوهر والطبيعة والصفات وسائر الكمالات الإلهية؛ حيث لا يوجد فى عالم البشر من دليل على التطابق والتماثل أعظم من دليل الأبوة والنبوة (٤).

كيف يصح هذا وهم يقولون إن الأقانيم جوهر واحد؟

(١) ملاخى ٢ : ١٠.

(٢) ومن ناحية أخرى: إن صح أن يطلق على المسيح كونه إلهاً لأنه ابن الله. صح أن يطلق على هؤلاء جميعاً أنهم آله وهم لا يقنونون بذنبت.

(٣) الثالث ص (٣٣).

(٤) السابق ص (٣٤).

رابعاً: يقول مفيد كامل أيضاً: "لأنه يطن فى ذاته محبة اللاهوت الأزلية لبني البشر من قبل إنشاء العالم كقول بولس" كما اختارنا فيه من قبل تأسيس العالم لتكون قديسين وبلا لوم"^(١)، فهو كالمرء الذى تتمثل فيه معانى الأبوة الكاملة دون أن يكون له أبناء بالجسد، لأنها خاصية طبيعية كامنة فى أعماقه"^(٢).

ويقول بيشوى عبد المسيح: "وقد دعى الله أباً بسبب محبته التى أظهرها لنا فى ابنه الذى هو الكلمة المتجسد لأجل فداء وخلص بنى البشر"^(٣).

هذه هى الأسباب التى من أجلها دعى الأقباط الأول أباً - فى نظرهم - وهى كما ترى قائمة على أساس أن المسيح ابن الله، وأنه أقنوم ثان مساو للآب فى الجوهر والصفات الأزلية وسائر الكمالات الإلهية، وهذا الأقباط - الثانى تجسد ليفدى البشرية، وهذا يعنى أن الآب ذات إلهية، والمسيح ذات إلهية كل منهما مكمل للآخر ولازم له، وهذا دليل نقص وضعف لا يمكن تصوره فى الذات الإلهية.

وللأقباط الأول خاصية تميزه عن الأقباط الآخرين، ذلك أن المسيحيين يعتقدون أن "لكل أقنوم خاصية تميزه عن الآخر، وعمل معين، وليس لواحد منهم أن يطفى على الآخر أو يؤثر فى كينونته أو يضمحل فيه"^(٤).

أما خاصية هذا الأقباط فهى - فى نظرهم - أنه الذات الموجد لجميع الأشياء أى أنه أصل كل الموجودات.

يقول الأنبا ساويرس: "لأن خاصة الآب أنه القوام، لأنه الذات، وهو الأصل غر محتاج إلى أصل آخر"^(٥).

وإذا كان الآب هو الأصل لجميع الأشياء فهو الإله وحده، وما عداه لا يعد أصلاً ولا إلهاً.

ويقول بيشوى عبد المسيح: "والآب كلمة تعنى الأصل والعلة، وقد اصطلح على لفظة "الآب" كتعبير أصدق عن أول أقنوم من الأقانيم، يوضح هذه الخاصية

(١) أفسس ١ : ٤.

(٢) الثالث ص (٣٤).

(٣) المسبحة ديانة التوحيد ص (٢٦).

(٤) مفيد كامل : الثالث ص (٢٥).

(٥) الأنبا ساويرس : الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (٢٤).

التي يتفرد بها الله . من حيث هو ذات عليا أوجدت كل ما هو دونها من محسوسات وظواهر وخلائق^(١).

وإذا كانت هذه هي خاصية الأقتوم الأول (الآب) فإن معنى ذلك أن الأقتومين الثانى والثالث ليس كل منهما ذاتاً قائمة بنفسها ، وليس كل منهما ذاتاً موجدة . وإنما ينسب وجودهما إلى الله الآب . وهذا يعنى أن الأقتومين الآخرين - على فرض ألوهيتهما - لم يشتركا فى الإيجاد للكائنات ، وأن الذى أوجدهما جميعاً هو الله الآب ، فيتساوى الأقتومان الآخران مع الكائنات الأخرى فى أن أصلهم جميعاً هو الله الآب ، وهذا يدل على حدثهما وعدم ألوهيتهما.

وخلاصة القول حول الأقتوم الأول فى نظر المسيحيين كما يلى :

أن الآب - فى نظر المسيحيين - هو الأقتوم الأول للذات الإلهية ، وأنه سمي بالآب لأنه أبو المسيح عليه السلام . وأنه قد اختص بأنه الذات ، وأنه الأصل لجميع الأشياء والكائنات.

قولهم الله الابن :

فالابن هو الله أيضاً^(٢) . فى نظرهم - وهو الأقتوم الثانى - فى الذات الإلهية - الذى له خواصه الذاتية التى يتميز بها عن الأقتومين الآخرين .

والمقصود بالله الابن - عند المسيحيين - هو المسيح عليه السلام ، فهو المراد من قولهم الأقتوم الثانى هو الله الابن . وهو عندهم مساو للآب والروح القدس فى كل الصفات الإلهية^(٣).

وفى سؤال وجواب عن المراد ببنوة الأقتوم الثانى يقول د/ أندرو وطسون : ماذا يراد ببنوة الأقتوم الثانى ؟ يراد بها أن الأقتوم الثانى تسمى (ابناً) من حيث نسبته الأزلية إلى الأقتوم الأول فى الجوهر الواحد ، كما أن الأقتوم الأول تسمى (أباً) من حيث نسبته الأزلية إلى الأقتوم الثانى فى الجوهر الواحد^(٤).

(١) القمص بيشوى عبد المسيح : المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٠) .

(٢) السابق ص (٢٦) .

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ٢٣٦) .

(٤) شرح أصول الإيمان ص (٥٥ ، ٥٦) .

فالأقنوم الثاني - فى نظر المسيحيين - منسوب إلى الآب بنسبة أزلية، فهو مولود منه - كما يقول مفيد كامل - قبل كل الدهور^(١).

ولذلك يقول د/ أندرو واطسون: "كيف صارت هذه البنوة؟ إنها صارت بالولادة الأزلية"^(٢).

ثم يقول: " لا يراد بولادة الأقنوم الثانى ما يدل عليه حصر اللفظ فى كلام البشر، ولا أن الابن أوجد بواسطة الآب فى زمان من الأزمنة الأزلية، ولا أن الآب علة وجود جوهر الابن وصفاته، إنما يراد بها ذلك الفعل الأزلى الذى به - من التزام الطبيعة الإلهية ليس باختيار الإرادة - يلد الآب منذ الأزل أقنومية الابن لا جوهره، بحيث يكون الابن (رسم جوهر الآب) منذ الأزل، وهكذا يدوم فى الآب، والآب فيه إلى الأبد"^(٣).

وهذا كلام غير معقول وغير مفهوم!! ذلك أنهم قالوا بأن المسيح مولود من الآب، والولادة تقتضى الحدوث، ذلك أن المولود من غيره لابد أن يتقدم عليه والده بالزمان، ثم يوجد الولد بعده فى زمن آخر، إذ لو وجدا فى زمان واحد، لم يكن كون أحدهم ابناً للآخر أولى من العكس، والمتأخر بالزمان هو الحادث^(٤)، فالابن على هذا حادث.

هذا هو الذى يمكن فهمه من قولهم المسيح هو الابن، ولكنهم قالوا بغير المفهوم، وهو أن المراد بالولادة والبنوة الفعل الأزلى أو الصفة الأزلية، ولذلك تجدهم يقولون إن الابن هو النطق.

يقول مفيد كامل: " فالابن قائم مع الآب فى جوهر واحد هو اللاهوت، الآب هو اللاهوت بخاصية الأبوة، والابن هو اللاهوت بخاصية البنوة، وبمعنى آخر: الآب هو الله بخاصية الوجود الذاتى (الله موجوداً) والابن هو الله بخاصية النطق الذاتى (الله ناطقاً)"^(٥).

(١) الثالث ص (٣٦).

(٢) شرح أصول الإيمان ص (٥٦).

(٣) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٤) الإمام الغرافى: الأجوبة الفاخرة ص (٣٠٧).

(٥) الثالث ص (٣٧).

ويقول: "وعندما نتحدث عن كلمة الله المولود من الذات الإلهية فإنما نعني الإشارة إلى الله بخاصية النطق الذاتي الذي هو أقنوم الابن"^(١)، فيسمون الصفة القديمة الأزلية القائمة بالموصوف ابناً، وهذا كلام لم يقل به أحد من قبل، فضلاً عن كونه متناقضاً^(٢).

يقول ابن تيمية: "فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء النصارى، ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى. والأنبياء لم يطلقوا لفظ الابن إلا على مخلوق، وهم يقولون: أب للمسيح بالطبع ولغيره بالوضع، فلا يعقل جمهور العقلاء وغيرهما من هذا إلا البنوة المعقولة بانفصال جزء من الولد، وهذا ينكره من ينكره من علمائهم، لكنهم لم يتبعوا الأنبياء، ولم يقولوا ما تعقله العقلاء"^(٣).

ويقول الإمام القرافى: "هذا كلام غير معقول أصلاً وتقريره: أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى. وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام، فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذى يستحيل وقوعه فى زمن من الأزمان فضلاً عن كونه لم يزل كذلك، كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً، والعلم يكون طعماً، والرائحة تكون لوناً، وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً، فهذا التفسير غير معقول ولا متصور، وإن أردتم تفسيراً آخر فقولوه"^(٤).

والتفسير الآخر الذى يقولون به هو أن النسبة بين الآب و الابن غير معروفة، وغير مدركة وأنها تفوق مستوى عقولهم وإدراكاتهم.

يقول د/ إبراهيم سعيد - ومؤلفو كتاب الدين المسيحى - إن بنوة الابن للآب ليست بنوة جسدية طبيعية بالمعنى الذى يتسرب إلى الأذهان لدى سماعها، بل هى نسبة روحية سرمدية أزلية تفوق مستوى مداركنا المحدودة"^(٥).

(١) السابق ص (٣٩)

(٢) لأنهم يدعون المساواة بين الأقنومين، فى حين أن الصفة لا تساوى الموصوف.

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١٥٨).

(٤) الأجوبة الفاخرة ص (١٣٩).

(٥) الدين المسيحى للمرحلة الثانية سنة ١٩٦١ م ص (٣).

ويقول د/ أندرو واطسون: "إنه توجد بين الأقباط الأول وبين الأقباط الثاني نسبة سمرمية، غير مدركة منا، وغير معروفة عندنا"^(١).

وإذا كان هؤلاء لا يعرفون ولا يفهمون عقيدتهم فمن يا ترى يستطيع فهمها وإدراكها!!

أما خاصية الأقباط الثاني - فى نظر المسيحية - فهى البنوة.

يقول مفيد كامل: "أما خاصية الأقباط الثاني الذى هو الابن، فهى الولادة (البنوة) لأنه مولود من الآب، وهذه الخاصية لا يشاركه فيها أقباط آخر، وعمله المميز فى الخليقة هو فداء العالم"^(٢).

فالابن فى نظرهم هو الذى تجسد وصلب ليفدى البشرية ويخلصها.

يقول الأب لويس برسوم: "فالأقباط الثاني من الثالوث - أقباط الابن - هو وحده الذى تجسد وصار إنساناً لا كل الثالوث الإلهى، وهذا واضح من قول يوحنا^(٣) والكلمة صار جسداً"^(٤).

ولا نترك الحديث عن الأقباط الثاني قبل أن نقول إن المسيح لم يكن وحده هو الذى أطلق عليه لقب ابن الله، فقد أطلق هذا اللقب - فى الكتاب المقدس - لدى المسيحيين على كثيرين^(٥)، ولذلك يمكن أن يكون للبنوة معنى آخر، غير كونه أقباطاً من أقانيم الذات الإلهية.

"ومن يطالع العهد القديم والأنجيل ورسائل الرسل يجد أن لفظ (ابن الله) أو صفة البنوة لله لم ينفرد بها السيد المسيح بل لقد شاركه فيها كافة الأنبياء والملائكة وجميع المؤمنين، وأن هذا اللفظ (ابن الله) لم يقصد به إطلاقاً المعنى الحرفى له،

(١) شرح أصول الإيمان ص (٥٦).

(٢) الثالوث ص (٢٥).

(٣) يوحنا ١ : ١٤

(٤) الأب لويس برسوم: المسيح الإله والإنسان ص (٣٣).

(٥) راجع الشواهد التى نقلناها من الكتاب المقدس والتى تدل على أنه لا ميزة للمسيح عليه السلام فى كونه ابناً تجعل الأقباط الأول أباً. راجع ص ٣٧١ وما بعدها من هذا الكتاب.

وإنما قد أطلق كثيراً وكثر استعماله بالمعنى المجازى ، ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين له ^(١).

فلقب ابن الله - كما تشير الكتب المقدسة لدى المسيحيين - ليس خاصاً بالمسيح وحده ، وعليه فلا يدل اللقب على ألوهية وأزلية من يتصف به وإلا لتعددت الألوهية وأصبح جميع أفراد البشر المؤمنين - الذين هم أبناء الله - آلهة وهو ما لا يصح القول به.

وعلى ذلك فإن صح إطلاق (ابن الله) على المسيح فإنما يقصد به الطاعة والولاء والتقرب لله.

" فبنوة المسيح لله بنوة مجازية يقصد بها مجرد الطاعة والولاء من قبل الابن ، والرعاية والرحمة من قبل الآب ، وعلى هذا فلا اختصاص للمسيح بها دون سائر الأنبياء والأولياء " ^(٢).

وخلاصة قول المسيحيين عن الأتوم الثاني كما يلي :

إن ابن الله مولود من الآب مساو له في كل الصفات الأزلية ، وهو والآب والروح القدس في جوهر واحد ، وخاصة هذا الأتوم البنوة ، بمعنى النطق الذاتي لله ، هذا إلى جانب أنه تجسد ونزل إلى الأرض ليفدى البشرية ويخلصهم.

قولهم الله الروح القدس:

يرى المسيحيون أن (الروح القدس) هو الأتوم الثالث في الذات الإلهية ، فهو في نظرهم أتوم قائم بذاته ، وإله مستقل بذاته ، بمعنى أنهم يقولون عنه (الله الروح القدس) كما يقولون عن الأتومين الآخرين (لله الآب) ، (الله الابن).

يقول وليمنسن : " وهكذا نرى أن الروح القدس يسمى الله ، وله خاصيات الله ويعمل أعمال الله ، ويعبد كما يعبد الله ، فالروح القدس هو الله " ^(٣).

(١) الله واحد أم ثلاث ص (٩٥)

(٢) د / رفقي زاهر : قصة الأديان ص (١٧٤)

(٣) وليمنسن : تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٦)

ولقد نسب المسيحيون لهذا الأقتوم - شأن الأقتومين الآخرين - كل الكمالات والصفات الإلهية، إلا أن له أقتومية وخاصة تميزه عن الآب والابن.

يقول مفيد كامل: " وللروح القدس سائر الصفات والكمالات والألقاب التى للآب والابن فيما عدا الخاصية الأقتومية ^(١) .

ويقول زكى شنودة: " الروح القدس هو الأقتوم الثالث من اللاهوت الأقدس، وهو مساو للآب والابن فى الذات والجوهر والطبع، وكل فضل اللاهوت، وهو روح الله وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة ومنبع النظام القوة، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والابن ^(٢) .

وعن السبب فى إطلاق اسم الروح القدس على هذا الأقتوم يقول عوض سمعان: "سمى بالروح القدس لأنه يقوم بأعمال اللاهوت بوسيلة روحية، أو بالحرى بوسيلة غير منظورة، كما أنه يوصف بالقداسة لأنه هو الذى يعلن بحالة روحية قداسة الله التى هى الطابع العام لذاته، ولأنه أيضاً هو الذى يعلمه الروحى فى القابلين له من البشر يقدسهم بالتمام لكى يكونوا متوافقين مع الله فى قداسته ^(٣) . فهو - فى نظرهم - يحل فى نفوس المؤمنين يجددها ويقدها ويهيئها لتكون لله ^(٤) .

وقد ورد فى المراجع المسيحية أنه سُمى روحاً لأنه مبدع الحياة ^(٥) . ولذلك فإن خاصية هذا الأقتوم - فى نظر المسيحيين - الحياة ^(٦) ، فإذا كان الأقتوم الأول هو الذات، والثانى هو النطق، فالأقتوم الثالث هو الحياة.

(١) الثالث ص (٤٦).

(٢) تاريخ الأقباط (١ / ٢٤٠).

(٣) عوض سمعان: الله ثالث وحاديته ص (٩١، ٩٢).

(٤) الثالث ص (٤٦).

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص (٤١٤).

(٦) الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (٢٤)، راجع أيضاً الثالث ص (٢٨، ٢٩).

هذا إلى جانب أن المسيحيين - بنص قانون الإيمان - جعلوا الروح القدس هذا ناطقاً فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام "الناطق بالأنبياء".

كيف يتفق هذا وحياة الله صفة قائمة به لا تحل فى غيره ؟

وهذا المعنى يجربنا إلى القول بأن الروح القدس الذى تكون فى الأنبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائمة به ، ولو كان روح القدس الذى فى الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل من الأنبياء إلهاً معبوداً قد اتحد ناسوته باللاهوت كالمسيح عند المسيحيين - فإن المسيح لما اتحد به أحد الأقانيم كما يقول المسيحيون صار ناسوتاً ولا هوتاً - فإذا كان روح القدس الذى هو أحد الأقانيم الثلاثة ناطقاً فى الأنبياء ، كان كل منهم فيه لاهوت وناسوت كالمسيح ، والمسيحيون لا يقرون بالحللول والاتحاد إلا للمسيح وحده ، مع أنهم يثبتون لغيره ما ثبت له ^(١).

وعلى هذا فيمكننا أن نقول إن المراد من إطلاق (الروح القدس) معنى آخر غير كونه أقتوماً من الأقانيم الثلاثة التى تصور اللاهوت المسيحى ، وغير كونه حياة الله ، فما هو هذا المعنى ؟

إن العهد القديم يوضح أن روح الله أو روح القدس أنزل على الأنبياء والصالحين. ففى سفر صموئيل الثانى يقول داود : "روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى" ^(٢).

وفى المزامير يقول داود : "روحك القدس لا تنزعه منى" ^(٣).

ويقول حزقيال : (وحل على روح الرب وقال لى قل هكذا قال الرب) ^(٤)

وفى سفر العدد جاء قول موسى (يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذ جعل الرب روحه عليهم) ^(٥).

(١) المرجع السابق ص (١٢٠).

(٢) ٢٣ : ٢٢ . صموئيل .

(٣) مزمو ٥١ : ١١ .

(٤) حزقيال ١١ : ٥ .

(٥) عدد ١١ : ٢٩ .

وكذلك ورد في العهد الجديد أن روح القدس حل على المسيح وعلى الخواريين. ففى إنجيل لوقا (أما يسوع فرجع من الأردن ممثلاً من الروح القدس)^(١). وفى رسالة بطرس الثانية: إعلان بأن النبوة بحلول الروح القدس " لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسين مسوقين من الروح القدس "^(٢). وهذا يعنى أن الروح القدس أو روح الله ليست هى الله، وليست أقنوماً أو جزءاً أو عنصراً من الله . وليست هى حياة الله، وليست خاصة بالمسيح فهى تحل فى جميع الأنبياء والمرسلين إبراهيم وموسى ودأود.... وغيرهم.

وعن المعنى الصحيح للروح القدس يقول ابن تيمية: " وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل . ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذى ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة، وقد يكونا متلازمين، فإن الملك ينزل بالوحي . والوحي ينزل به الملك، والله يؤيد رسله بالملائكة والهدى "^(٣).

" وإذا كان روح القدس معروفاً فى كلام الأنبياء والمتقدمين والمتأخرين أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصاحبي عبادته سواء كانوا ملائكة تنزل بالوحي أو النصر أو حياً وتأييداً مع الملك وبدون الملك. فليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به كأن قال (عمدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس)^(٤)، مراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله، ونبه الذى أرسله. وبالمملك الذى أنزل عليه الوحي الذى جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه. وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول "^(٥).

وروح القدس التى كانت فى المسيح كانت من هذا الجنس، وهذا يعنى " أن روح القدس لا تختص بالمسيح - وهم يسلمون بذلك، فإن ما فى الكتب التى بأيديهم فى غير موضع أن روح القدس حلت فى موسى ودأود وفى غيرهما.

(١) لوقا ٤: ١

(٢) ٢. بطرس ١: ٢١.

(٣) الجواب الصحيح (١ / ٩٧ . ٩٨).

(٤) يشير بذلك إلى ما جاء فى إنجيل متى ٢٨ : ١٨.

(٥) الجواب الصحيح (٢ / ٩٨).

ومن ناحية أخرى: فإن كان روح القدس هو حياة الله، ومن حلت فيه يكون لاهوتاً لزم أن يكون إلهاً، لزم أن يكون كل هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح وهذا خلاف إجماع المسلمين والنصارى واليهود^(١)

فعلم من هذا أن روح الله - أو روح القدس - هو ما ينزله الله على عباده المصطفين، سواء كان ملكاً ينزل بالوحي، أو وحياً وتأييداً بدون الملك.



خلاصة قول المسيحيين عن هذا الأقانيم:

يعتقد المسيحيون أن الذات الإلهية ذو ثلاثة أقانيم وهم الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، كل أقنوم على حدة له مميزاته وخواصه الذاتية، فخاصية الآب الذات، وخاصية الابن النطق، وخاصية الروح القدس الحياة، وهم مع ذلك متساوون فى كل الكمالات والصفات الإلهية...

التعاليم المسيحية حول هذه الإقانيم:

أولاً: دعوى حتمية الثالث:

لقد ادعى المسيحيون أن التثليث حتمى بمعنى (حتمية أن يكون الله الواحد ثلاثة أقانيم)^(٢) وذلك لما يأتى:

أولاً: قولهم إن الله محبة، وهذه المحبة تستلزم وجود محب ومحبوب وثمره محبة، وتصبح المحبة عاطلة عند عدم وجود هذه الأمور.

يقول بولس إلياس اليسوعى: "من الناس من يقولون: لم يأتى إله واحد فى ثلاثة؟ أو ليس فى تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله أحد وحسب؟ لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث، وكنهه الله محبة^(٣) ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً، فالمحبة هى مصدر سعادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور، فهى إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع الحب إلى هبة الذات لمن يحب، هبة تكون فيها سعادتهما، فليكون الله

(١) المرجع السابق (٢ / ١٥٢)

(٢) مفيد كامل: الثالث ص (٧٣).

(٣) يشير بذلك إلى ما جاء فى الرسالة الأولى ليوحنا ٤ : ١٦.

سعيداً كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالى صورة ناطقة له ، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة حبه إياه ، ووهبه ذاته ، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابن الآب هذه المحبة . ووجد فيه هو أيضاً سعادته ، ومنتهى رغباته . وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس^(١).

ثم يقول : " ليس الله إذن كائناً تائهاً فى الفضاء ، منعزلاً فى السماء لكنه أسرة مؤلفة من ثلاثة تسودها المحبة ، ويفيض منها على الكون بره ، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض فيه التثليث"^(٢).

ويقول حبيب سعيد : " وإن كان الله هو مصدر الحياة والحق والخير فى العالم فلا بد أن تكون له إرادة ، وأن يكون له عقل ، وأن يكون له محبة ، وأن يكون له فكر ، ومن حقائق الوجود أن كل كائن يحب كماله ، فكمال العين هو اللون وهى تتعشق روعة الشمس فى مغيبها... ونحن نعلم أن المحبة متبادلة بين المحب والمحبوب ، وبينى وبين من أحب عروة وثقى تربطنا معاً ، وفى ذات الله الآب يحب الابن الذى ولده ، وهو رسم جوهره . والابن يحب الآب الذى ولد منه . أحدهما يفكر فى الآخر ، وأحدهما يحب الآخر . محبة قوية دافقة كاملة بحيث تخلق بينهما رابطة حية ، والمحبة فى هذا الطور لا تنطق ولا تصيح ، ولا تعبر عن نفسها بألفاظ منطوقة ، ولا بأنغام مسموعة ولكنها تعبر عن نفسها . كما يحدث لنا نحن البشر . بزفرة أو أنه أو نسمة... لهذا نسمى الأقنوم الثالث فى الذات الإلهية الروح القدس"^(٣).

ويتبين من هذه النصوص أنهم صوروا الله " بأنه كان وحيداً " فأحس بم حاجته إلى ذات ثانية توجد معه ، ويفيض عليها محبته . لذلك أوجد الإله الآب تلك الذات ، وكانت تلك الذات هى الإله الابن . وعندما وجد الابن أحبه الآب حباً شديداً ، وبادهه الابن حباً يحب فنشأ عن المحبة المتبادلة بينهما إله ثالث وهو (الإله الروح القدس)^(٤).

والتأمل فى هذه الدعوى يجدها باطلة لما يأتى :

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص (٧٩) .

(٢) المرجع السابق ص (٨٠) .

(٣) حبيب سعيد : الروح القدس ص (٦٩) . راجع أيضاً : أديان العالم ص (٣١٧) .

(٤) د/ محمود مزروعة : بحث فى حولى كلية أصول الدين بالمشوفا . العدد السادس . الجزء الأول ص (٢٢) .

(١) أنهم أثبتوا لله الاحتياج إلى شخص آخر يثبته حبه وعطفه، والاحتياج أمانة الحدوث، وهو باطل في حقه تعالى، لقيام الأدلة القاطعة التي تثبت له القدم في الذات ووجوب الوجود والغنى المطلق عن كل ما عداه^(١).

(٢) يتبين من دعواهم أن هناك فروقاً بين صفة الوجود بالنسبة لله الآب، وصفة الوجود بالنسبة لله الابن، والله الروح القدس، ذلك أن وجود الله الآب هو وجود بالذات وليس بالغير، فالله الآب موجود ووجوده لذاته، فليس محتاجاً في وجوده إلى غيره، أما وجود الله الابن والله الروح القدس فهو وجود غيري وليس ذاتياً، فهما موجودان لغيرهما وليس لذاتهما، ووجودهما مستمد من الغير ومستند إليه، أى أنهما محتajan إلى الغير في وجودهما سواء في أصل الوجود أو في استمراره وبقائه^(٢)، وهذا يدل على حدوثهما إذ لا يكون الإله محتاجاً إلى غيره في الوجود وفي الاستمرار والبقاء.

وبهذا يبطل قولهم إن كلاً من الابن والروح القدس لهما كل الصفات الإلهية والأزلية.

(٣) إن المحبة بالمعنى الذى قصده، وهو ميل القلب إلى محبوب كما يفهم من عباراتهم محالة في حقه تعالى "لأنها من الكيفيات النفسية التابعة للمزاج المستحيل عليه سبحانه وتعالى، لذلك جرى المحققون من العلماء على أنها في حقه تعالى إرادة الثواب لمن أطاعه، أو بمعنى الإنابة للطائعين فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثانى صفة فعل، وعلى كلا الحالين لا تقتضى محبواً أزلياً، أما على الأول فلأن تعلق الإرادة الأزلى صلوحى أى أنها صالحة فى الأزل لأن تخصص الممكن فيما لا يزال ببعض ما يجوز عليه، وأما على الثانى فلأن صفات الأفعال عبارة عن تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة"^(٣)، وعلى كل فمحبة الله لا تستلزم وجود محبوب فى الأزل.

(١) د/ إبراهيم سلامة: القرآن وعقائد الكتاب ص (٢٢٩).

(٢) راجع مقال د/ محمود مزروعة فى مجلة كلية أصول الدين . العدد السادس (١ / ٢٢).

(٣) د/ محمد شرعان: موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث وألوهية المسيح ص (٥٧)، راجع أيضاً القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٩٩).

(٤) إن وصف الله تعالى بهذا الوصف لعجيب وغريب، إذ يصفون الله سبحانه وتعالى بما يصفون به البشر من احتياج إلى محب وكلمات الحب.... إلى آخره، ولذلك يقول محمد مرجان بأسلوب التهكم على هذا الوصف.

"ومفاد نظرية بولس إلياس اليسوعى ومن معه أن الله عبارة عن عائلة تتكون من ثلاثة أعضاء أو ثلاثة كائنات، وكل كائن منها غير الآخر، وكل عضو فيها مستقل عن الآخر، ولكن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهية علاقات وأواصر متينة، ظاهرة وخفية، عاطفية وحسية أيضاً، وقد نتج عن العلاقة بين أقنومى الآب والابن ثمرة هى أقنوم الروح القدس. ومن يدرى فقد تعقب هذه الثمرة ثمرات أخرى يتزايد بها عدد أفراد الأسرة الإلهية وتم بها سعادتها، فقد يشتاق الأب إلى ابنة أيضاً يشها محبته وحنانه..."^(١).

"هذا هو تصوير دعاة الثالث لله ذى الجلال، التصوير الذى يجعل الله الغنى محتاجاً إلى شخص آخر يئنه عواطفه وينشئ معه علاقات تنزل بالله إلى مستوى مخلوقاته، علاقات نرباً بأنفسنا عن ذكرها ويعف فكرنا عن تصورها"^(٢).

كل هذا يدل على أن دعواهم بأن الثالث حتمى دعوى باطلة تؤدى إلى الكفر والضلال.

ثانياً: قولهم إن التثليث حتمى لأنه لا يعقل - كما يقول مفيد كامل - أن يكون الوجود الإلهى غير ناطق بالكلمة أو غير حى بالروح القدس، فالكلمة والروح القدس من مستلزمات الوجود الإلهى، فهى خواص أزلية واجبة الوجود وبدونها يصير جوهرًا صامتاً لا حياة فيه"^(٣).

فالتثليث حتمى - فى نظرهم - لأنه لابد أن يكون الله موجوداً، ناطقاً، حياً، والوجود والنطق والحياة يمثلون الأقاليم الثلاثة فى الذات الإلهية.

يقول القمص بيشوى عبد المسيح - فى الإجابة على سؤال لماذا يتحتم وجود الثالث فى الله الواحد قائلاً: "لأنه لا يمكن لله الذى خلق الكون كله وأوجد جميع

(١) الله واحد أم ثالث ص (١٩).

(٢) المرجع السابق ص (٢٠).

(٣) الثالث ص (٧٣).

الخلائق بكلمته وقدرته أن يكون هو بغير وجود، ولأنه لا يمكن لله الذى خلق آدم إنساناً عاقلاً ناطقاً أن يكون هو بغير نطق أو عقل.

ولأنه لا يمكن لله الخالق والمحيى من العدم والذى نفخ فى كل كائن حتى نسمة حياة أن يكون هو بغير روح وحياة" (١)

ولقد ناقشنا سابقاً تسمية النطق (ابن الله)، وحياة الله "الروح القدس"، وقلنا إن هذا لم ينطق به أحد من الأنبياء والرسل السابقين فلم نجد أحداً سمي الصفة القديمة القائمة بالموصوف الابن أو الروح القدس (٢).

على أننا لو أمعنا النظر فى العناصر التى جعلها دعاة التثليث هى مكونات الذات الإلهية - وهى الذات - النطق - الحياة - لوجدنا أن هؤلاء قد أخطأهم التوفيق كثيراً حين اقتصروا فى وصف الله على هذه العناصر الثلاثة فقط، بل لقد أخطأهم التوفيق أيضاً فى اختيار تلك العناصر بالذات هيكلاً لتكوين الثالوث (٣).

يقول محمد مرجان: "وإذا حاولنا أن نقارن مثلاً عنصر النطق الذى يكون الله الابن بعنصر العقل والتفكير، لا تضح بجلاء أن العقل والتفكير أهم بكثير من النطق، فإعمال العقل والفكر يسبق النطق، أما النطق بدون عقل أو تفكير فهو تخريف وهذيان، كذلك فالنطق ليس إلا مجرد وسيلة ضمن وسائل متعددة للتعبير عن الفكر والإرادة بأدوات أخرى كثيرة قد تفوق النطق، منها مثلاً الكتابة أو الإشارة أو إصدار قرار أو اتخاذ موقف معين بالفعل دون نطق أو قول... فإنه إذا أمكن تصور الله مدبر الكون بدون عنصر العقل فهل يمكن إضافة أقنوم رابع هو أقنوم العقل والحكمة والتفكير؟" (٤).

كذلك الأمر بالنسبة للقلب والقدرة والسمع والبصر، هل يمكن تصور الله دون قلب؟ وهل يمكن تصور الله وهو غير قادر؟ إن المتصف بالعجز لا يكون إلهاً. وهل يمكن تصور الله بدون سمع أو بصر؟ وهكذا.

(١) المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٠ - ٢٣).

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١١٥، ١٥٨).

(٣) الله واحد أم ثلاث ص ٣٥.

(٤) المرجع السابق ص ٣٥، ٣٦.

يقول القاضي عبد الجبار: "إذا كنتم تثبتون الأقاليم الثلاثة من حيث استحالة عندكم كونه تعالى فاعلاً إلا وهو حي عالم، فأثبتتم له علماً وهو الابن والكلمة، وروحاً وهي الحياة، فيجب أن تثبتوا له قدرة لأن الفعل لا يصلح إلا من قادر، وحاجة الفعل إلى كونه فاعله قادراً أكد من حاجته إلى كونه حياً عالماً، ويلزمكم إثبات سماع له وبصر..."^(١).

فهناك أمور أخرى لازمة للإله غير النطق - أو العلم - والحياة مثل القدرة والسمع والبصر وجميع صفات الله، فهلا أثبتتها المسيحيون أقاليم بجانب الأقاليم الثلاثة؟؟ ثم إنك إذا سألتهم لماذا النطق والحياة؟

يقولون: إن الإنسان أشرف الموجودات وهي حي ناطق فلذلك وجب أن يكون الله حياً ناطقاً.

يقول إبراهيم لوقا: تنقسم الموجودات إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها، فهي إما حي ناطق كالإنسان، وإما حي غير ناطق كالحيوان والنبات، وإما غير حي وغير ناطق كالجماد، وأولها أشرفها من غير شك، وكلنا يؤمن أن الله تعالى موجود وأنه مبدع جميع هذه العوالم المختلفة فيتحتم إذن ما دام أن أشرف الموجود هو الحي الناطق أن يكون الله بجانب وجوده (حياً، ناطقاً) وإلا لكان الموجود الحي الناطق - وهو مخلوق لله - فاضلاً له تعالى فيما هو نفسه قد فضله به على المخلوقات^(٢).

فكما أن الإنسان يتكون من ذات - ونطق - وحياة، فكذلك الله لا بد وأن يكون ذاتاً - ناطقاً - حياً.

وهكذا ينظر دعاة الثالوث إلى الله العظيم الذي ليس كمثلته شئ والمنزه عن مشابهة الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان، إن الله في نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تماماً، والله ناطق بكلمته كالإنسان وهو حي بروحه كالإنسان، ومن هذه الإقاليم أو العناصر يتكون الله كما يتكون الإنسان تماماً.

(١) القاضي عبد الجبار: المغنى (٥ / ٩١)، راجع أيضاً: الدميري: إرشاد الحياى فى ردع من مارى (مخطوط

بدار الكتب) ص ٥، الأصول والفروع ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) إبراهيم لوقا: المسيحية فى الإسلام ص (٦٥).

ومع ذلك فإن الباحث المتأمل يلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطوا للإنسان صفات ضنوا بها على الله، فالإنسان به عناصر وأجزاء أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر السابقة. هذا إن لم تكن تفوقها أهمية. منها مثلاً أن الإنسان مبصر بعينه، سميع بأذنيه، رحيم بقلبه، مفكر بعقله، مشير بيده... إلى آخره. وهكذا نستطرد في ذكر العناصر والأجزاء التي يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنه قد تفوق فيها على الله خالقه^(١).

لقد نسى هؤلاء أن لهذا الإنسان عناصر - أو صفات أخرى - من الأهلية بمكان، فهل لنا أن نضيفها إلى الأقانيم الثلاثة أم نعتبرها غير موجودة في الإله؟؟ على أنه يؤخذ عليهم في هذا التشبيه، أنهم منحوا الصفات الثلاث لله شروط وأوضاع خاصة، أما بالنسبة للإنسان فهذه الصفات مجتمعة فيه بدون هذه الشروط فهم قد قسموا الله إلى ثلاثة أقسام منحوا كل قسم صفة من الصفات منعوها عن القسم الآخر، في حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها في الإنسان الواحد ولا تجتمع في الله.

فبينما نجد الإنسان كائناً بذاته دائماً، وناطقاً بكلمته دائماً، وحيّاً بروحه دائماً، نجد الله لا يكون كائناً بذاته إلا حين يسمى (الآب) فبصفته كائن بذاته فهو الله الآب، فإذا تخلت عنه صفة الأبوة وتحول فأصبح بناً تتخلى عنه صفة الكينونة والذات ويصبح فقط ناطقاً بكلمته، كذلك إذا تحول الله إلى روح قدس تخلت عنه الصفتان السابقتان وصار فقط حيّاً بروحه^(٢).

وهكذا يتضح لنا أن دعوى أن الثالوث حتمى دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة، وأن ما ساقه المسيحيون على ذلك من تبريرات غير مسلمة وظاهرة الفساد والبطلان.

ثانياً: من تعاليم المسيحيين حول الأقانيم قولهم إن التثليث أكمل الأعداد

يدعى المسيحيون أن العدد ثلاثة - وهو عدد الأقانيم عندهم - هو أول الأعداد الكاملة، والذات الإلهية أكمل الذوات فلذلك اشتملت على ثلاثة أقانيم..

(١) الله واحد أم ثلاث ص (١٤).

(٢) المرجع السابق ص (١٥).

يقول عوض سمعان: " وأما عدد الأقانيم - المقصود الأقانيم الثلاثة - فهو طبعاً أول عدد لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خواص الوجدانية الجامعة المانعة ^(١) .

ثم أخذ يستدل بأقوال بعض الفلاسفة على أن العدد ثلاثة هو أول الأعداد الفردية ^(٢) وأنه أيضاً هو أول عدد كامل ^(٣) .

والمقصود بهذا القول: أن الله سبحانه وتعالى هو الكامل وأن الذي يطلق عليه هو العدد الكامل، وهو ثلاثة في نظرهم.

ولذلك تجده يقول عما يسميه بالوجدانية الجامعة " أنها تتوافق كل التوافق مع كمال الله واستغنائه بذاته عن كل شئ ^(٤) .

وهذه الدعوى غير مسلمة، ولا يسلم بها أحد غير هؤلاء.

وقد رد ابن حزم على هذه الدعوى بأدلة قوية دامغة نذكر منها ما يلي:

يقول ابن حزم: " وقال بعضهم لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد وهذا أكمل الأعداد وجب أن يكون الباري كذلك لأنه غاية الكمال وهذا من أغث الكلام لوجوه أهمها:

أحدها: أن الباري تعالى لا يوصف بكمال ولا نمام، لأن الكمال والتعالم من باب الإضافة، لأن التعالم والكمال لا يقعان البتة إلا فيما فيه نقص، لأن معناهما إنما هو إضافة شئ إلى شئ به كلمت صفاته، ولولاه لكان ناقصاً ولا معنى للتعالم والكمال إلا هذا فقط.

والوجه الثاني: أن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة، لأنه يجمع إما زوجاً زوجاً، وإما زوجاً وزوجاً وفرداً، وإما أكثر من ذلك، وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجاً وفرداً. فيلزمه أن يقول إن ربه أعداد لا تنتهي أو أنه أكثر الأعداد، وهذا أيضاً ممتنع محال لو قاله، وكفى فساداً بقول يؤدي إلى المحال ^(٥) .

(١) ويقصد بالوجدانية الجامعة أن الله واحد في جوهره جامع في تعيينه. عوض سمعان: الله ثلاث وجدانيته ص (١٥) بمعنى أن جوهر اللاهوت وإن كان واحداً إلا أنه جامع لأقانيم ثلاثة.

(٢) على أساس أن الواحد ليس بعدد بل أصل الأعداد

(٣) المرجع السابق ص (١٨). راجع أيضاً للمؤلف نفسه: الله ذاته ونوع وجدانيته ص ٢٢٣.

(٤) الله ثلاث وجدانيته ص (٨، ٢٠). الله ذاته ونوع وجدانيته ص (١٣٥)

(٥) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل (١، ٤٢).

ثم يقول: "والوجه الثالث: إن هذا الاستدلال مضاد لقولهم إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد بخلاف هذا، فليست الواحد التى يتناهى بل هى بعضها، وهى كل له ولغيره، والبارى تعالى لا بعض له ولا كل، والجزء ليس الكل، والكل ليس الجزء، والواحد جزء من الثلاثة، والثلاثة كل لواحد والاثنين معه، فالواحد غير الثلاثة، والثلاثة غير الواحد"^(١).

ثم يقول: "والوجه الرابع: إن هذا المعنى السخيف الذى قصده نجله فى الاثنين، لأن الاثنين عدد يجمع فرداً فرداً وهو مع ذلك زوج فى الاثنين الزوج والفرد فليجعل ربه اثنين على هذا المعنى"^(٢).

وعلى ذلك فدعوى أن التثليث واجب لله لأنه أكمل الأعداد مردودة وغير مسلم بها.

ومن ناحية أخرى فإن فكرة قدسية العدد ثلاثة، فكرة وثنية "فالشعوب الهندو أوربية كانت تعتقد أن الرقم ثلاثة هو أعظم الأرقام قداسة"^(٣).

يقول فشر: "وكانت فكرة التثليث معتقداً شائعاً بين الوثنيين تنبع أساساً مما تعارفوا عليه من أن العدد ثلاثة كان هو العدد الكامل"^(٤).

ثالثاً: اعتقاد المسيحيين بأن الثالوث واحد

يعتقد المسيحيون أن الأقانيم الثلاثة متساوية فى نسبة الصفات والكمالات الإلهية، فكل واحد منهم ينسب إليه من صفات اللاهوت ما ينسب إلى الآخر من الألقاب والصفات الإلهية^(٥).

فكل أقنوم ينسب إليه - فى اعتقادهم - أنه الله، وأنه أزلى، وأنه حى قادر يستحق العبادة والخضوع.

ولذلك جاء فى أصول إيمانهم عن الأقانيم الثلاثة "أنهم متساوون فى القدرة والمجد"^(٦).

(١) الأصول والفروع (٢ / ١٩٠)، راجع أيضاً المرجع السابق ص (٤٢ / ٤٣).

(٢) المصدر السابق ص (٤٣).

(٣) رالف لتون: شجرة الحضارة (٣ / ٣٠٦).

(٤) تاريخ أوروبا العصور القديمة ص (١١٥) نقلاً عن حقيقة التبشير ص (٧٩).

(٥) راجع علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٥).

(٦) شرح أصول الإيمان ص (٥٩)، تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٤).

ويعتقدون أيضاً أن كل أقنوم يتميز عن الآخر. فكل واحد منهم له خواصه وأعماله التي يتميز بها عن الأقنومين الآخرين. لذلك جاء في علم اللاهوت النظامي :

- ١- أن الآب والابن الروح القدس أقانيم ممتازون الواحد عن الآخر
- ٢- أن بين أقانيم الثالوث تمييزاً في الوظائف والعمل، لأن الكتاب يعلم أن الآب يرسل الابن، وأن الآب والابن يرسلان الروح القدس، ولم يذكر قط أن الابن يرسل الآب، ولا أن الروح القدس يرسل الآب أو الابن.
- ٣- أن بعض الأعمال تنسب على الخصوص إلى الآب، وغيرها إلى الابن، وأخرى إلى الروح القدس. مثال ذلك ما قيل إن الآب يختار ويدعو، وأن الابن يفدى، وأن الروح القدس يقدس ويجدد.

٤- تنسب بعض الصفات إلى أقنوم من الثالوث دون الآخرين. كالأبوة إلى الآب والبنوة إلى الابن، والانبثاق إلى الروح^(١).

وجاء أيضاً: أن كلاً من الآب والابن والروح القدس يقول عن ذاته أنا، إن كلاً منهم يقول للآخر في الخطاب أنت، ويقول عنه في الغيبة هو، إن الآب يحب الابن، والابن يحب الآب، والروح القدس يشهد للابن^(٢).

وواضح من هذه العبارات أن الأقانيم الثلاثة - في نظرهم - متغايرة ومختلفة ومتميزة، بحيث أنه ينسب لأحدهم ما لا ينسب للآخر، ويوصف أحدهم بما لا يتصف به الآخر، والمسيحيون يعتقدون أنهم متساوون في الجوهر والأزلية، وكل الصفات الإلهية، وأن كلاً منهم إله مستقل ورب خالق، وهذا يعني أنهم يعبدون ثلاثة آلهة، المنطق يقول ذلك.

"فإن قالوا: فإننا لا نقول إنها ثلاثة آلهة فكيف يحكون عنا التثليث؟ قلنا لهم: إنكم أعطيتُمونا معنى التثليث وأشعتموه واستوفيتم حقائقه ومنعتم بعض العبارة عنه، ألا ترون أنكم تقولون إله هو أب إله حى قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حى قديم خالق رازق ليس بأب ولا ولد ولا يجوز أن يكون والدًا ولا

(١) علم اللاهوت النظامي ص (٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) المرجع السابق ص (٢٨٥، ٢٨٦).

أباً، وإله روح قدس حى عالم قديم خالق رازق، ثم قلتهم هى ثلاثة أقانيم، وقلتهم فى كل واحد منها إنه إله ورب قديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتكم التفصيل، وما مثال ذلك إلا كمن قال: عبد الله العربى رجل وإنسان وجسم وإنسان وجسم وشخص، قلنا: فهؤلاء ثلاثة رجال وثلاثة أناس وثلاثة أشخاص وثلاثة أجسام، فقلتهم: لا بل هو رجل واحد، قلنا: لا يؤثر امتناعكم من إطلاق هذه العبارة فى شئ قد أشيعت حقيقته^(١).

فالمفهوم من كلامهم القول بثلاثة آلهة، ولكنهم يحاولون - منعاً لهذا الاعتقاد - أن يجعلوا هذه الأقانيم لشيء واحد، أو فى جوهر واحد، بمعنى أنهم يقولون إن الثالوث واحد، وإن الواحد يتكون من ثالوث، أو بعبارة أدق يحاولون الجمع بين التوحيد والتثليث.

يقول كلايد تارنر: " نقول بثلاثة أقانيم فى اللاهوت، هؤلاء الثلاثة واحد فى الجوهر متميزون بشخصياتهم"^(٢).

وجاء فى علم اللاهوت النظامى " إن ملخص تعليم الكتاب المقدس^(٣) فى هذا الموضوع هو أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط، ومع ذلك لكل من الآب والابن والروح القدس صفات اللاهوت وحقوقه"^(٤).

وجاء أيضاً: إن تعليم التوحيد والتثليث معاً يتضمن ما يأتى:

١- وحدانية الله.

٢- لاهوت الآب والابن والروح القدس^(٥).

(١) القاضى عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة (١ / ٩٥).

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٣٦).

(٣) سنتناول بعد ذلك أدلتهم من الكتاب المقدس ونبين هل تدل على التثليث أم لا ؟

(٤) علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٥).

(٥) ويوضح ذلك (وليمنس) فيقول : الآب هو الله ، والابن هو الله ، والروح القدس هو الله. راجع تفسير

أصول الإيمان (١ / ٢٤).

٣. إن الآب والابن والروح القدس أقانيم ممتازون الواحد عن الآخر.

٤. إنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد.

٥. إن بين أقانيم الثالوث الأقدس تمييزاً في الوظائف والعمل^(١).

ولكن كيف يمكن ذلك؟ إن وضع هذه العقيدة بهذا الوجه لا يمكن أن يقبله أو يصدقه أى عقل وإن جلبت له جميع أنواع الحيل من كل وجه.

كيف يمكن أن نعتبر أن الله واحد، وهو ثلاثة في نفس الوقت؟

ولذلك يقول المسيحي وليمسن: "ويلاحظ أنه في بيان هذه العقيدة يوجد حسب الظاهر أمران متناقضان، وهما الوحدة والتعدد في الله، الوحدة تظهر في أنه يوجد إله واحد فقط، والتعدد يظهر في أنه يوجد ثلاثة أقانيم وكل منهم هو الله... ويظهر لنا أن كلا عقيدتي التوحيد والإشراك أقرب إلى الفهم من عقيدة التثليث، ولكن هذا لا يعتبر حجة لهما أو حجة ضد الإيمان المسيحي، ولنذكر دائماً أن عقيدة التثليث ليست شيئاً آمن به الناس لأنه موافق للعقل. كلا، ولكن السبب الوحيد للإيمان بهذه العقيدة هو أن الكتاب لا يسمح لنا برأى آخر"^(٢).

وسوف نتناول بعد ذلك أدلة المسيحيين لبين مدى صحة هذا الادعاء. ولكن كل الذي أريد أن أثبت هنا هو: أنهم أنفسهم يحسون بهذا التناقض ويسلمون به، ولا تعباً بقوله تناقضاً ظاهرياً، فهو لم يبين عدم التناقض الحقيقي لنقول إنه صادق في قوله. وما دام هو لم يبين ذلك فالدعوى بالتناقض لازالت قائمة وباقية.

فالقضية متناقضة من كل الجوانب.

يقولون إن الأقانيم متميزة. ومع ذلك فهم واحد في الجوهر بكل خواصه وصفاته ومميزاته^(٣). وهذا تناقض..

إذ كيف يمكن أن يقال إن الأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء. بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم - خاصية الأقدمية لكل أقنوم - ويعجز البعض منهم عن فعل

(١) علم اللاهوت النظامي ص (٢٨٦).

(٢) تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٥).

(٣) الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه ص ١٠٤.

ما يفعله البعض الآخر وما يختص به، فالآب لا يمكن أن يكون ابناً ولا روح قدس، ومع ذلك يقال إنهم واحد في كل الصفات والخصائص والمميزات، أليس في هذا القول تناقض؟ كيف يتميزون ولا يتميزون...؟^(١).

ومن ناحية أخرى: فإن أقوالهم تدل على أنهم ثلاثة آلهة متساوون في كل الصفات الإلهية وسائر الكمالات الإلهية، كيف يمكن بعد ذلك أن نقول إنهم إله واحد؟

لقد وضع مما سبق أن كل أقنوم هو إله وله كل صفات الكمال، وأيضاً كل أقنوم له صفاته ومميزاته الخاصة به، وهذا يعنى انفصلاً كاملاً بين الأقانيم، انفصلاً يمنع الوحدة، بل ويمنع المساواة، وذلك لأن الابن مولود من الآب - كما يقولون - والابن مرسل من الآب - كما جاء في كتبهم - "أرسل الله ابنه"^(٢)، ويقول المسيح - فيما تحكيه الأناجيل المسيحية - "خرجت من عند الآب"^(٣).

ويقول: "لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الآب الذى أرسلنى"^(٤).

فلا شك أن الآب أقدم من الابن، وفي موضوع الإرسال لا شك أن المرسل أعلى درجة من المرسل أو الرسول فحين يرسل الآب الابن مثلاً فلا شك أن الآب أعلى من الابن، فهو كإرسال السيد خادمه أو كإرسال الرئيس مرؤوسه، يقول المسيح - فيما تروييه الأناجيل المسيحية - "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله إن علمتم هذا فطوباكم"^(٥).

إن الانفصال بين الأقانيم واضح وظاهر، وهو انفصال يمنع أن تكون الثلاثة واحداً بل ويمنع المساواة بينهم^(٦).

(١) الله واحد أم ثلاث ص (٢١).

(٢) ١ يوحنا ٤ : ٩.

(٣) يوحنا ١٦ : ٢٨.

(٤) يوحنا ٦ : ٣٩.

(٥) يوحنا ١٣ : ١٦.

(٦) راجع : الله واحد أم ثلاث ص (٣٣).

إن الذات والنطق والروح والسمع والبصر والقلب... وأشياء أخرى هي التي يتكون منها الإنسان، ولا يطلق على أى جزء منها أنه ذات مستقلة أو إنسان مستقل^(١)، بينما نجد أن المسيحيين يعتبرون أن كل واحد من الثالوث إنما هو إله وأقنوم مستقل متميز ومتصف بكل صفات الكمال الإلهية ثم هم بعد ذلك إله واحد، وهذا يعنى أن تشبيهاهم لشرح الثالوث فى واحد غير متطابقة وغير مقنعة، وأن عقيدة الثالوث فى واحد لا زالت غير مفهومه.

والسؤال الآن: لماذا كل هذه المحاولات - من المسيحيين - للجدع بين التوحيد والتثليث المتناقضين؟ لماذا يفرغ المسيحيون كل قواهم العقلية والذهنية لمحاولة الجمع بين الوجدانية والثالوث؟

لعل الذى دفعهم إلى هذا الأمر الصعب هو اعتقادهم بأن العهد القديم - الذى صرح المسيح بأنه ما جاء ناقصاً له - كتاب مقدس عندهم، وهو يصرح بالتوحيد ويدعو إليه ويحث عليه وينهى عن الشرك، وذلك مثل ما جاء فى سفر التثنية (الرب هو الإله وليس آخره سواء)^(٢).

وفى سفر الملوك الأول: "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر"^(٣).

وفى سفر أشعيا: أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض"^(٤).

وفى سفر أشعيا أيضاً: "أنا الأول وأ، الآخر ولا إله غيرى"^(٥).

وحين وجدوا أنفسهم امام هذه النصوص وغيرها الناطقة بالتوحيد الخالص فى العهد القديم اضطروا إلى التماس التوفيق بين التثليث والإله الواحد الذى صرح به العهد القديم فقالوا بأن هذا الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، حتى لا ينشروا عما جاء فى العهد القديم^(٦).

(١) وكذلك الأمر بالنسبة للشمس لا يطلق على الحرارة أو الشعاع أو القرص أو كل واحد منها شمس مستقلة بذاته.

(٢) تثنية ٤ : ٣٥.

(٣) ١ - ملوك ٨ : ٦٠.

(٤) أشعيا ٣٧ : ١٦ . ٢ - ملوك ١٩ : ١٥.

(٥) أشعيا ٤٤ : ٦.

(٦) راجع د/ محمد الفرت: عقيدتا التثليث والصلب فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (١٢).

ولذلك تجدهم يجتهدون أولاً فى أن يستنبطوا من نصوص العهد القديم ما يحملونه معنى الإشارة إلى التثليث كعبارة (كلمة الله) أو عبارة (روح الله).
وثانياً : يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحداية ليلتقى العهد القديم مع الإنجيل فيقربوا العهد القديم إليهم بتحميل عباراته ما لا تحتل ، ويقربوا عقائدهم من العهد القديم بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد ، وإن كان هو أيضاً لا يحتمل ذلك^(١).

رابعاً : اختلاف المسيحيين حول التثالوث :

لقد اختلف المسيحيون اختلافاً كبيراً حول عقيدة التثليث جملة وتفصيلاً ، فمنهم من ينكرها جملة واحدة ، ومنهم من ينكر بعض تفاصيلها أو أجزاء منها .
♦ فلقد كان (بولس السمساطى) - أسقف إنطاكية ٢٦٠ - ٢٧٣ م " من سمساط المدينة السورية " يعلم بالتوحيد وينكر ألوهية المسيح .

يقول المؤرخ المسيحي الروسى أفغراف سميرنوف : فى صف مضادى التالوث ، يشغل بولس السمساطى مكاناً أكثر ظهوراً ، وشغل فى النصف الثانى من القرن الثالث كرسى أسقفية إنطاكية ، أدخل فى تعليمه التوحيد اليهودى الصرف ، وعلم أن يسوع المسيح ليس هو إلهاً بالمعنى الصحيح ، سكنت فيه منذ الولادة الحكمة الإلهية أو العقل الإلهى بدرجة عالية أكثر مما فى أنبياء العهد القديم ، ويمكن أن يدعى ابن الله بالمعنى الأدبى^(٢).

فكان قول - بولس السمساطى - " التوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وأنه إنسان لا إلهية فيه "^(٣).

♦ أما (سابليوس) - أحد أساقفة بطولميس بالخمس المدن الغربية^(٤) . فى النصف الثانى من القرن الثالث - فكان يعلم - كما جاء فى علم اللاهوت النظامى ، إن

(١) محاضرات فى النصرانية ص (١٢٢ ، ١٢٣) .

(٢) أفغراف سميرنوف : تاريخ الكنيسة المسيحية ص (١٠٠) ترجمة الكسنديروس مطران حمص ، وقد منح هذا الكتاب جائزة من المجمع المقدس الروسى وحيداً تدريسه للصفوف العالية فى (السينار) .

(٣) ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل (١ / ٣٩) .

(٤) والخمس مدن الغربية واقعة فى الجزء الشرقى من طرابلس الغرب المتاخم الآن لمصر ، وتسمى باليونانية (بتابوليس) وقد تأسست سنة ٦٣٠ ق.م وهى : قيروان ، برنيقية وهى بنى غازى الآن ، سوزوسا وهى اسمها الآن مرسى سوزوسا ، درنة ، بطولميس وتسمى الآن طوليت بقرب أطلال برقة . راجع القس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية هامش ص (١١)

التثليث كناية عن ثلاثة تجليات مختلفة لإله واحد مفرد الأقنوم أى أن الألفاظ آب، وابن، وروح قدس، ليست أسماء أقانيم ممتازة بل أسماء ظهورات أقنوم واحد سمى الأب لأنه الخالق، وسمى الابن لأنه الفادى، وسمى الروح القدس لأنه المعزى والمقدس^(١). بمعنى أن الأب والابن والروح القدس أسماء لإله واحد، أو أسماء لثلاثة تجليات ذو مظاهر لهذا الإله الواحد^(٢).

• وكذلك أنكر أريوس وتابعوه عقيدة التثليث، حيث كان يعلم أن الله واحد فرد غير مولود لا يشاركه شئ فى ذاته تعالى^(٣)، وأن المسيح والروح القدس مخلوقان منه وغير مشتركين فى طبيعته الإلهية^(٤).

• أما السقف ماكدونيوس بطريرك القسطنطينية فقد أنكر ألوهية الروح القدس، وكان يعلم بأن الروح القدس ليس بإله بل هو مخلوق مصنوع^(٥).

ولم يكن الخلاف قاصراً على المؤيدين والمنتكرين لعقيدة التثليث فحسب، بل وجدنا هذا الخلاف بين المؤيدين أنفسهم لعقيدة التثليث.

• فقد اختلفوا حول الأقانيم وطبيعتها وصفتها، وصلة الأقانيم بعضها بعض والناظر فى كتب المسيحيين يجد كلاماً كثيراً حول أقانيم الثالوث.

• فبعضهم يذكر أن الأقانيم ثلاث خواص أزلية يعلنها الكتاب المقدس فى صورة شخصيات متساوية^(٦).

• وآخر يذكر أن الأقانيم ليست خواص بل صفات^(٧) ذاتية فى الله^(٨).

(١) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٣).

(٢) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص (٦١).

(٣) راجع: الأب جورج قنوتى: فلسفة الفكر الدينى (٢ / ٢٨٧).

(٤) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٢).

(٥) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (١١٥/٢).

(٦) اللاهوت فى إنجيل يوحنا هامش ص (٢٣١).

(٧) كيف يكون (الله) وهو أحد الأقانيم صفة؟ وكيف يصح أن (يرسل) الله (صفة) من صفاته كما أرسل أقنوم الابن؟ وكيف يصح وصف الصفة؟ إذ يتمتع كل أقنوم من الثلاثة وهو صفة بالصفات التى يوصف بها الآخر من حيث التساوى بينها

(٨) الأنبا غريغوريوس: تاريخ الفكر الدينى ما بين الإسكندرية وروما هامش ص (٥).

- وآخر يوضح لك أنها ليست صفات لأن الصفات معاني، والمعاني لا يقال عن أحدها إنه واحد من ذات الله، وعليه فالأقانيم عنده آحاد من ذاته أو آحاد ذاته^(١).
- وآخر يقول إنها ليست ثلاث صفات ولا ثلاثة أسماء بل هي ثلاثة أقانيم^(٢).
- وآخرون يذكرون أنها أشخاص، أو أسماء ... إلى آخر هذه الاختلافات. وكذلك اختلف المسيحيون حول كل أقنوم من أقانيم الثالوث.
- فلقد حدث نزاع كبير بين المسيحيين حول طبيعة المسيح وعقدت المجامع للفصل في هذا النزاع، ولكنها لم تستطع أن تحسمه، وانقسم المسيحيون إزاء ذلك إلى فريقين:
- الأرثوذكس: يعتقدون بأن للمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين^(٣). والكاثوليك: يرون أن للمسيح طبيعتين^(٤).
- كما حدث نزاع آخر حول مركز الأقنوم الثاني في الثالوث ودرجته في المرتبة الإلهية هل هو أعظم من الآب؟ أو أقل منه أو مساو له في الدرجة؟
- ونزاع آخر حول زمن وتاريخ وجود الأقنوم الثاني هل هو أزلى أم موجود منذ الأزل؟ أم أنه حادث وجد بعد زمن معين؟ وهل هو مولود أم مخلوق؟^(٥).
- وبالنسبة للأقنوم الثالث حدث اختلاف كبير أيضاً بين الطوائف المسيحية حول انبثاق الروح القدس.
- فالبعض قرر أن الروح القدس منبثق من الآب وهم الأرثوذكس^(٦).

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص (٢٣).

(٢) بطرس ديناسيوس: القول الصريح في تثليث الأقانيم ص (١٨).

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية ومعتقدات الكنيسة الأرثوذكسية ص (٢٩ - ٣٠).

(٤) الأب لويس برسوم: المسيح الإله والإنسان ص (٤١).

(٥) الله واحد أم ثلاث ص (٤٧ - ٤٨).

(٦) خلاصة الأصول الإيمانية ص (١٠٨).

وآخرون قرروا أنه منبثق من الآب والابن وهم الكاثوليك^(١) إلى غير ذلك من الخلافات.

والواقع أن اختلاف المسيحيين المؤيدين والمنكرين لعقيدة التثليث حول هذه العقيدة إنما يعطى للباحث مؤشراً خطيراً وهو أن العقيدة ليست واضحة أى وضوح فى أذهان المسيحيين، وإلا لما اختلفوا حولها كل هذا الاختلاف.

" وهذه الخلافات الجوهرية بين أصحاب الثالث أنفسهم بينهم وبين معارضهم إنما تدل بوضوح على غموض تلك العقيدة، وعدم اقتناع أصحابها بها لمخالفاتها لمنطق عقولهم وسوية فطرتهم مما يجعل أصحاب الثالث أنفسهم فى صراع دائم بين منطق عقولهم وحكم ظروفهم، بين عقول فطرت على التوحيد وظروف فرضت التثليث، تعصف بهم الرياح وتقاذفهم الأمواج، وقد يلجأ بعضهم إلى التحايل وإلى المزج بين العقيدتين، فيقول بتثليث فى وحدانية أو بوحدانية فى تثليث ولكن هذا المزج على استحالة يزيد الأمر تعقيداً ويزيد الغمز غموضاً، فكيف يكون الواحد ثلاثة؟ وكيف يكون الثلاثة واحداً؟ هل يجتمع النقيضان؟ هل يمتزج الضدان؟ هل يمتزج الحق بالباطل؟ هيهات... ثم هيهات"^(٢).

والسبب الحقيقى وراء كل هذه الاختلافات، ووراء هذا التخبط، هو أن العقيدة المسيحية قد وضعها البشر بأنفسهم دون أية هداية إلهية من وحي السماء. فوحي السماء يأتى بالعقائد الواضحة المتسقة مع الفطرة الإنسانية والعقل الإنسانى فلا تتناقض عقائده مع الفطرة ولا تتضارب مع العقل.

مدى فهم المسيحيين لعقيدة التثليث:

نعم إن عقيدة التثليث غامضة فى أذهان المسيحيين، فالأساقفة والقساوسة برغم أنهم يحاولون الدفاع عنها وتبريرها للعامة والبسطاء ببعض التشبيهات والتمثيلات إلا أنهم يشعرون بعدم إدراكهم لها، ولذلك صرح بعضهم بصعوبة فهم هذه العقيدة وبعد إدراكها عن العقل.

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص (٧٨) المظلمة الكاثوليكية ببيروت.

(٢) الله واحد أم ثالث ص (٥٢).

يقول القس توفيق جيد: "إن الثالث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كله في كفه"^(١).

ويقول القس إلياس مقار: "على أننا ونحن نتأمل هذه العقيدة - التثليث - بشئ من التفصيل والتوضيح لا مندوحة لنا من الاعتراف أننا إزاء سر من أعمق أسرار الوجود والحياة، وإذا كان أوغسطينس وكلفن قد اعترفا بأن اللغة اللاتينية على ما فيها من غنى وجمال عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعمقها، فإننا نقول ما هو أكثر إذ نقول أن بيان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها إلا إذا أمكنه أن يبلغ المستحيل ونعني به تفصيل الأعماق في طبيعة الله ذاتها"^(٢).

ويقول نقولا يعقوب: "لست أحاول الآن تفسير عقيدة لم يستطع تفسيرها الأوائل، ولن يتوصل إلى إدراك كنهها الأواخر"^(٣).

وفي علم اللاهوت النظامي: "إنه لا يمكن إيضاح كيفية وجود الله في ثلاثة أقاليم بصريح العبارة، لأن ذلك فوق طاقة العقل"^(٤).

فهم يصرحون بعدم إدراكهم لهذه العقيدة، ويأمل بعضهم في أن يفهموها أكثر في الحياة الآخرة.

يقول أفلاطون مطران موسكو: "إن سر الثالث غير مدرك.. غير أن الروح القدس لأجل تعزيتنا وراحة بالنا، قد وعد بأن ينير عقولنا في الحياة الآتية بمعرفة كاملة، فما ننظره الآن بطريقة غامضة، وكأنه لغز، ننظره حينئذ بكل وضوح وجلاء"^(٥).

ويقول القس بوطر: "قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في

(١) القس توفيق جيد: سر الأزل ص (١١).

(٢) فضايا المسيحية الكبرى ص (٦٠).

(٣) نقولا يعقوب جبريل: أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين ص ٦٦.

(٤) علم اللاهوت النظامي ص (٢٩٤، ٢٩٢).

(٥) الخلاصة الشهية ص (٧١، ٧٢).

الأرض. وأما فى الوقت الحاضر فى القدر الذى فهمناه كفاية"^(١)، فما هو هذا القدر الذى فيه الكفاية؟ إن أحداً لم يستطع فهم أى شئ فى هذه العقيدة حتى المسيحيين أنفسهم!!

"أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يحاسبهم الله عليها"^(٢)..

فلقد صرح المسيحيون بعدم استطاعتهم فهم عقيدة التثليث وباستحالة التعبير عن كنهها وحقيقتها، ولذلك يعجزون عن تعليم هذه العقيدة لأحد أو إقناع أى إنسان بها، وفى هذا الموضوع نقل الشيخ رحمت الله الهندى قصة توضح عجزهم الحقيقى عن توصيل هذه العقيدة لأى إنسان، ونصها كما يلى .

"نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص، وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية لاسيما عقيدة التثليث أيضاً، وكانوا فى خدمته فجاء محب من أجباء هذا القسيس وسأله عن تنصر؟ فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئاً عن العقائد الضرورية؟ فقال نعم، وطلب واحداً منهم ليُرى محبه، فسأله عن عقيدة التثليث، فقال إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى هو فى السماء، والثانى تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذى نزل فى صورة الحمام على الإله الثانى بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال هذا جهول.

ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس وطرده.

ثم طلب الثالث. وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً فى حفظ العقائد. فسأله فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً، وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح، إن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفى الاتحاد"^(٣).

(١) القس بوطر: رسالة الأصول والفروع ص (٤٥).

(٢) محاضرات فى النصرانية ص (١٢٢).

(٣) إظهار الحق ص (٣٣٧-٣٣٨).

فلقد عجز هذا القسيس عن توصيل هذه العقيدة إلى فهم هؤلاء، لأنه أصلاً عاجز عن فهمها وتصويرها.

فهم عاجزون كل العجز عن تصوير عقيدة التثليث وتعليمها لأى إنسان ولذلك ينصحون أصحابهم بالاعتقاد بها دون شرحها أو فهمها، وإذا كان هؤلاء عاجزين عن فهمها فمن يستطيع أن يفهمها أو يوضحها؟؟

ولقد رأيت فى كتاب (الدين المسيحى) الذى كان مقرراً على طلاب الثانوية سنة ١٩٦١م ملاحظة كتبها الهيئة المؤلفة للمدرس قائلين له: " إن موضوع الروح القدس ^(١) قد يرى أنه أشغل حيزاً كبيراً فى المنهج، غير أنه فى الواقع موضوع مختصر يمكن استيعابه فى حصص قليلة من غير إطالة فى الشرح، لأن كثرة الشرح فيه تزيد عقيداً إذ أنه موضوع لاهوتى ^(٢)."

فهم يحاولون تنشئة التلاميذ والطلاب على الإيمان بهذه العقيدة دون الخوض فيها وإطالة الشرح لها، ولذلك أعلن المسيحيون أنه يجب على المسيحى أن يقبل هذه العقيدة بالإيمان فقط دون التفكير فيها، فعلى المسيحى أن يلغى عقله وفكره ولا يبحث فى عقيدة التثليث. عليه أن يسلم بها تسليماً مطلقاً دون بحث أو نظر.

يقول بنيامين بنكرتن: " وإذ أعلن الله لنا ثالوثه فى الكتاب المقدس ^(٣). وهو جوهر المعتقد المسيحى فنحن نقبله بالإيمان لا بالعقل ولا نبحث فيه كأننا نقدر أن ندركه لأنه يفوق إدراكنا ^(٤)."

يقول الأستاذ محمد مرجان - الذى كان مسيحياً وأنعم الله عليه بالإسلام -: " ولقد قمت بنفسى بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين فى مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة، تارة حين كنت محسوباً فى الجماعة المسيحية، وتارة بعد انسلاخى عنها، وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولونى ثقتهم ويصدقونى الحديث

(١) وهو أول موضوع فى هذا الكتاب. وهو الأقنوم الوحيد الذى كان مقرراً على هؤلاء الطلاب.

(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ ص (٣).

(٣) وسوف نعرض بعد ذلك أدلتهم من الكتاب المقدس لتعرف على صحة هذا الادعاء.

(٤) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص (٥١).

فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس - عندهم - وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم، وحين تناقشت في ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أى تمحيص أو تفكير، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثي تسليماً مطلقاً أى تسليماً أعمى^(١).

هذا وقد عاب المسيحيون على كل من يستخدم عقله في هذه العقيدة، ومن يفعل ذلك يكون من الهرطقة الخارجين عن الدين المسيحى.

يقول أفغراف سميرنوف: " وهرطقة مضادى الثالوث ظهرت في الكنيسة نتيجة لاعتماد بعض أعضائها على العقل في قضية الديانة دون الإيمان"^(٢).

والسؤال الآن - الذى يفرض نفسه - لماذا يحاول المسيحيون منع التفكير العقلى في هذه العقيدة؟ لماذا يدعون إلى التسليم بها دون التفكير فيها؟

والجواب: لأنها تتصادم وتتناقض مع أبسط قواعد العقل والمنطق والحساب، فكيف يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة.

إن أبسط قواعد العقل أن الواحد لا يكون ثلاثة، والثلاثة لا تكون واحداً، وقواعد الحساب تقول إن $1 + 1 + 1 = 3$ ، وليست هناك قاعدة حسابية تقول إنها تساوى واحداً.

(١) الله واحد أم ثلاث ص (٧٣).

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية ص (٩٩).

أدلة المسيحيين على عقيدة التثليث

وكما هو واضح مما سبق أنه ليس للعقل مجال فى أدلتهم على عقيدة التثليث ، وكل استدلالاتهم على هذه العقيدة من كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد .

ففى علم اللاهوت النظامى جاء ما يلى : " ولا ندعى أننا قادرون على بيان سر التثليث وذلك لعدم إيضاحه فى أسفار الوحي ، لأن جل ما يتضح منها هو أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم لكل منهم صفات اللاهوت حتى يمكن اعتبارهم إلهاً واحداً فى الجوهر لا ثلاثة آلهة ^(١) .

ويقول كلايد تارنر : " إن الثالوث هو من أعظم الأسرار إطلاقاً ولم نكن لنعرفه لو لم يعلن فى الأسفار المقدسة " ^(٢) .

فالمسيحيون لا يلجأون فى الاستدلال على التثليث إلا إلى كتبهم المقدسة ، ولذلك يقولون بأن ما زاد على ما جاء فيها فهو من الأسرار المكنونة غير المدركة .

والسؤال الآن : هل كتابهم المقدس هذا فيه من النصوص والفقرات الواضحة التى تدل على عقيدة التثليث ؟ أم أنهم استتجوا - أو حملوا الألفاظ الموجودة فيه المعانى التى تدل على التثليث ؟

وقبل أن نذكر أدلتهم بالتفصيل يجب أن نذكر بعض الحقائق الهامة التى لا يمكن إغفالها :

(١) إن الناظر فى كتابهم المقدس من أوله إلى آخره - بعهديه القديم والجديد - لا يجد الكلمات الدالة على هذه العقيدة . فلو قرأت العهد القديم والجديد سراً سراً ، وإصحاحاً وإصحاحاً ، وكلمة كلمة لا تجد كلمة (تثليث) أو (ثالوث) ولا كلمة (أقنوم) أو (أقانيم) أو أى إشارة واضحة إليها ، وهذه هى الكلمات الرئيسية فى هذه العقيدة ، فالتثليث دال على وجود ثلاثة أقانيم فى الذات الإلهية ، وكلمة (أقنوم) هى الدالة على التمييز بين هذه الأقانيم - مع عدم الانفصال - كما يقولون .

(١) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٤) .

(٢) كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص (٣٦) .

(٢) إن أهل العهد القديم - وهم اليهود - لم يعرفوا التثليث ولا الأقانيم ولا اعتقدوا يوماً هذا المعتقد ، ولا حدثهم به نبي من أنبيائهم ، ولا كان لهم نظر فيه ولا علم به^(١).

(٣) نعم توجد كلمات (الآب) و (الابن) و (الروح القدس) فى العهد القديم ، ولكن لا يوجد فى كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكره من المعانى والعقائد.

(٤) إن المسيح عليه السلام كما فى كتبهم - لم يتحدث عن التثليث ولا عن الأقانيم ، فلم تثبت الأناجيل المسيحية الحالية أى نص للمسيح يذكر فيه (التثليث) أو (الأقانيم) أو يعلم منه أن الله مثلت الأقانيم.

(٥) لم يثبت أيضاً أن أحداً من تلاميذ المسيح ذكر كلمه (تثليث) أو (أفنوم) أو اعتقد بأن الله مثلت الأقانيم.

أدلة المسيحيين على التثليث من العهد القديم^(٢).

يعتقد المسيحيون أن العهد القديم يشير ويلمح إلى عقيدة التثليث ، ففيه من الرموز والإشارات - كما يعتقدون - الدالة على التثليث المسيحي وأقانيمه.

يقول القس إنسطاسى شفيق : وعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقاً سماوياً - فى نظره - أعلنه لنا الكتاب فى العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم^(٣).

ويقول كلايد تارنر : " وهذا التعليم - الثالث - لمح إليه فى العهد القديم "^(٤) .. ويقول أفلاطون مطران موسكو : " هذا السر - التثليث - لم يبين فى العهد القديم إلا بطريقة التلميح ، وظهر فيه على سبيل التورية والرمز "^(٥) ..

(١) راجع : المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٢٦٩).

(٢) عن هذه الأدلة راجع : الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (١٦٤) ، الثالث ص (٧٩) وما بعدها ، الخلاصة الشهية ص (٧٢) ، الله ثالث وحدانيته ص (٢١) وما بعدها.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٢٣١).

(٤) كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص (٣٦).

(٥) الخلاصة الشهية ص (٧٢).

وهذه الأقوال هي اعتراف مبدئي بعدم التصريح بعقيدة التثليث، وهو ما يعني أنهم حملوا الألفاظ ما تنوء به المعاني حتى يصلوا إلى غرضهم، وهو الاستدلال على هذه العقيدة بفقرات من العهد القديم.

ومع تحفظنا الشديد بأن العقائد لا تكون مجالاً للاستنتاجات البشرية والاحتمالات العقلية، فإننا سنورد أدلتهم، ونبين هل هي فعلاً تشير إلى عقيدة التثليث؟ وهل تفهم منها دون عناء أو مشقة؟ وهل يستطيع أى عاقل أن يفهمها دون أن يكلف نفسه الدخول في مجال الاستنتاج والاحتمال. أم لا؟.

أولاً: صيغ العظمة المنسوبة لله عز وجل في العهد القديم:

أشار المسيحيون إلى أن هذه الصيغ لا تدل على العظمة الإلهية، وإنما تشير إلى الأقانيم الثلاثة، وإلى اشتراكهم في الخلق والتدبير.

ويشيرون بذلك إلى ما جاء مثلاً في سفر التكوين من أن الله تعالى عندما شرع في خلق الإنسان قال (نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا)^(١).

يقول مفيد كامل: "لم يقل أعمل الإنسان على صورتى كشبهى، بل نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، ودلالة ذلك أن الله الواحد في جوهره إنما هو ثلاثة أقانيم، هؤلاء الأقانيم يشتركون معاً في خلق الإنسان على صورتهم ومثالهم"^(٢).

وهذه الفقرة لا تدل على التثليث إذ المعروف أن النون في الفعل المضارع في مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم^(٣).

واستدلوا أيضاً بما جاء في سفر التكوين: أنه بعدما عصى آدم وصية الله قال الله عنه - كما يقولون - "هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر"^(٤).

يقول عوض سمعان: "فقوله (كواحد منا) بهذا النص دليل على أن وحدانيته وحدانية جامعة وأن الجمع بالنسبة إليها هو الأقانيم"^(٥).

(١) تكوين ١ : ٢٦ ،

(٢) الثالث ص (٨٠).

(٣) يقول علاء الدين الباجي: "فإن قوله (لنعمل) صيغة أمر متوجهة نحو الأمر المتكلم لأن النون في الفعل المضارع في مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم" (على التوراة ص ٢٥)

(٤) تكوين ١١ : ٧.

(٥) الله ثالث وحدانيته ووحدانية ثالوثه ص (٢٣).

ومن هذا القبيل أيضاً أنهم قالوا: إن الله قال عندما كثر شر الناس على الأرض هلم نزل ونبلل هناك لسانهم" (١).

واستدلوا أيضاً بما جاء فى سفر أشعيا "من أرسل ومن يذهب من أجلنا" (٢) ... إلى غير ذلك من الأقوال المشتعلة على الأساليب الدالة على التعظيم، وهم يستدلون بها على أن الله واحد مثلت الأقانيم.

وهو استدلال غير صحيح، فالأساليب التى أشار إليها المسيحيون لا تدل على أن الأقانيم ثلاثة، وإنما تدل على تعظيم الله سبحانه وتعالى لنفسه.

ولا معنى لقول قائلهم: "إن الله عظيم فى ذاته، ومن هو عظيم فى ذاته لا يلجأ إلى تعظيمها" (٣)، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو وحده أحق بأن يعظم نفسه، وإذا كان البشر فى دينا الناس يعظمون أنفسهم، وهم غير أهل لها، فكيف نستكثر هذا على العلى العظيم؟

على أننا لو سرنا مع هذا المنطق لقلنا إن الله لا يقول عن نفسه إنه العظيم، وإنه الملك وإنه الجبار المتكبر، وإنه سبحانه لا يصح أن يعرف البشر صفاته وأسماءه!! كيف هذا وهو سبحانه وتعالى عرفنا بصفاته عن طريق وحيه إلى رسله؟

يقول أبو الفضل المسعودى: "إذا كان شأن العبيد التواضع والانكسار فشأن الإله العظمة والكبرياء والصفات العلى والحمد والثناء، فهل فى كتاب جاء من عند الله أو آثارة من علم الله على لسان أنبياء الله أن الله تواضع لعبيده، إنما يصف نفسه بالعزة والحلم والعفو والمغفرة والصفح وليس ذلك من باب التواضع للعبيد بل من باب القدرة والإحسان والتفضل والامتنان" (٤).

ومن يراجع العهد القديم يجد هذه الصفات منسوبة إلى الله عز وجل، بل ويجد أن الله يعظم نفسه فيقول - على فرض أنها أقواله - "اسمى عظيم بين الأمم، وفى كل

(١) تكوين ١١ : ٧.

(٢) أشعيا ٦ : ٨.

(٣) الله ثالث وثلاثيته ص (٢٢).

(٤) المنتخب الجليل ص (٢٣)، راجع أيضاً: السيف الصقيل ص (١١٧).

مكان يقرب لا سمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسماً عظيم بين الأمم قال رب الجنود^(١).

وجاء أيضاً: "لأنى أنا ملك عظيم قال رب الجنود واسمى مهيب بين الأمم"^(٢).

ومن ناحية أخرى فإن البشر حين يطلقون على أنفسهم هذه الأساليب التى تدل على التعظيم، هل يفهم أحد منها أنه يريد أن يقول عن نفسه إنه ثلاثة؟

"فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا، ونحن، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين ورب كل شئ ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا، ونحن، مع أنه ليس له شريك ولا مثل بل له جنود السموات والأرض"^(٣).

وعلى فرض أن هذه الأساليب تدل على تثليث الأقانيم فى الذات الإلهية، هل يستطيع واحد من المسيحيين أن يقول إنها تدل على وحدة الثالث؟.

هم يعتقدون أن الثلاثة واحد، فهل يستطيعون أن يثبتوا هذه الوجدانية من هذه الأساليب لو أنها دلت على التثليث؟.

"فمثلاً لو فرضنا أن جماعة مكونة من زيد، وعمر، ومحمد، وقالوا (قمنا) أو (جلسنا) هل هذا اللفظ - وإن دل على أنهم جماعة - هل يدل على أنهم واحد فى الذات والصفات؟، وهل الأوضاع اللغوية يمكن أن يؤخذ منها أن الثلاثة صاروا واحداً"^(٤)؟.

ثانياً: نجدهم يستدلون ببعض فقرات العهد القديم التى فيها تكرار للفظ (الرب) أو (الإله) فيقولون إن هذا دليل على أن الله مثلث الأقانيم.

فمثلاً يستدلون بما جاء فى سفر الخروج "ثم قال أنا إله أبيكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"^(٥).

(١) ملاخى ١: ١١.

(٢) ملاخى ١: ١٤.

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ٢٣٥).

(٤) الشيخ عبد الرحمن الجزيرى: أدلة اليقين ص (٢٢١).

(٥) خروج ٣: ٦.

وفى السفر نفسه : " قال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم " (١).

يقول مفيد كامل : " فى البداية يذكر اسم العلم (يهوه) الذى للمفرد للدلالة على الوحدانية ، ثم يكرر كلمة (إله) ثلاث مرات للدلالة على التثليث الأتومى ويختتم العبارة بقوله : (هذا اسمى إلى الأبد) تأكيداً منه لحقيقة الوحدانية فى الثالث (٢). وهذا المعنى قاله أيضاً الأنبا ساويرس (٣).

ونتعجب من هذا الاستدلال ، فهذه الفقرات وغيرها كان اليهود يقرءونها قبل ظهور المسيحية بمئات السنين ومع ذلك لم نسمع أن أحداً منهم فهم مثل هذا الفهم أو قال إنها تدل على التثليث.

على أننا لو التزمنا بالنص - وفهمناه بفهم المسيحيين - لقلنا إن الأقانيم أربعة وليست ثلاثة ، فالفقرة واضحة فى تكرار لقب (إله) أربع مرات.

بل قل إن الأقانيم أكثر من أربعة ، فأنه سبحانه وتعالى بجانب كونه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فهو أيضاً إله آدم ، ونوح ، وإسماعيل ، وداود ، وسليمان ، وهو أيضاً إله كل شئ ، وهو سبحانه إله العالمين ، فهل لنا أن نعدد أقانيمه بحسب كونه إله لكل المخلوقات ؟؟

فيلزمهم على ذلك تعدد الأقانيم فى الذات الإلهية بتعدد اللفظ. فإذا ذكر لفظ إله مرتين فالأقانيم اثنين ، وإذا ذكر أكثر من ذلك فالأقانيم تتعدد بحسب تكرار هذا اللفظ.

على أننا لو سلمنا أن هذا النص يدل على التثليث - على فرض صحته - فهل يمكن أن يدل على وحدة الجوهر ؟

الواقع أننا لو نظرنا إلى النص بنظرة المسيحيين نقول إنه لا يدل على وحدة الذات ولا على وحدة الجوهر ، فإن لقب (إله) ورد مكرراً بالعطف والعطف يقتضى المغايرة.

(١) خروج ٣ : ١٥ .

(٢) الثالث ص (٨٢) .

(٣) الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (١٦٥) .

يقول ابن تيمية فى الرد على هذا الاستشهاد: "والجواب أن الاحتجاج بهذا^(١) على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء، وذلك يظهر من وجوه:

أحدهما: أنه لو أريد بلفظ الإله أقنوم الوجود، ولفظ الإله مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة، لكان الأقنوم الأول إله إبراهيم، والأقنوم الثانى إله إسحاق، والأقنوم الثالث إله يعقوب، فيكون كل من الأقانيم الثلاثة إله أحد الأنبياء الثلاثة، والأقنومين ليس بالهين له. وهذا كفر عندهم، وعند جميع الملل.

وأيضاً فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة وهم يقولون إله واحد، ثم هم إذا قالوا: كل من الأقانيم إله واحد فيجعلون الجميع إله كل نبى، فإذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم أن يكون إله كل نبى ليس هو إله النبى الآخر مع كون الآلهة ثلاثة.

الوجه الثانى: أن يقال: إن الله رب العالمين، ورب السموات، ورب الأرض، ورب العرش، ورب كل شئ، فيلزم أن يكون رب كل شئ، ويقال إله موسى وإله محمد، مع قولنا إله إبراهيم وإسحاق أفتراه أثبت إلهين أحدهما إله والآخر إله الثلاثة^(٢).

ثم يقول: "فإنه إذا قيل إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب دل على عبادة كل منهم باللزوم، وإذا قال "وإله" دل على معبود كل من الثلاثة، فأعاده باسم الإله الذى يدل على العبادة دلالة باللفظ المتضمن لها وفى ذلك من ظهور المعنى للسامع"^(٣).

فاستشهدهم بتكرار لفظ (إله) فى النص المشار إليه لا يدل على التثليث.

❖ ومن هذا القبيل أيضاً استشهدهم بتكرار لفظ (رب) فى سفر العدد.

يقول النص: "هكذا تباركون بنى إسرائيل قائلين لهم، يباركك الرب ويحرسك، ويضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً"^(٤).

(١) يشير إلى النص السابق ذكره الذى استشهد به المسيحيون على التثليث.

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ٢٤٠).

(٣) المرجع السابق (٢ / ٢٤١).

(٤) عدد ٦ : ٢٢.

يقول مفيد كامل: "فتكرار كلمة (الرب) هنا ثلاث مرات مع اقتران ذكرها بأعمال إلهية خاصة يدلنا أولاً على التثليث الأقنومى فى جوهر اللاهوت ، ويدلنا ثانياً على طبيعة عمل الأقانيم"^(١).

وهذا النص من نفس نمط تكرار لفظ (إله) فهو لا يقتضى تعدد الأرباب والآلهة - أو الأقانيم - نتيجة لتكرار اللفظ ، ولو كان الأمر كذلك لجعلنا الأقانيم اثنين أو أربعة أو أكثر إذا تكرّر اللفظ مرتين ، أو أربعة أو أكثر من ذلك"^(٢).
على أنه يجب التنبيه أيضاً : أن هذا النص لو فهم بفهم المسيحيين لدل على تعدد الأرباب دون وحدة الثالوث.

❖ ومن هذا القبيل أيضاً ما جاء فى سفر أشعياء " وهكذا نادى ذاك وقال قدوس ، قدوس ، قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض"^(٣).

يقول مفيد كامل: " فتقديس الملائكة له ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر لتقديسهم الأقانيم الإلهية الثلاثة "^(٤).

وهذا النص كسابقيه لا يفهم منه التثليث ، والمفهوم منه أنهم يقدسون ثلاث مرات لا ثلاثة أقانيم ولا ثلاثة آلهة.

هذه هى أهم أدلة المسيحيين من العهد القديم على التثليث.

❖ وهناك بعض الأدلة الأخرى التى ذكروها مثل ذكر لقب (ابن) ، فكلما وجد المسيحيون هذا اللقب فى العهد القديم ، قالوا إن المراد به هو الأقنوم الثانى ، ومثال ذلك ما جاء فى المزمور الثانى " أنت ابنى أنا اليوم ولدتك "^(٥).

وكذلك إذا جاء لفظ (روح الله) قالوا المراد به الأقنوم الثالث ، ومثال ذلك ما جاء فى المزامير " ترسل روحك فتخلق "^(٦).

(١) (الثالث ص ٨٣).

(٢) راجع المزمور السادس عشر

(٣) أشعياء ٦ : ٣ .

(٤) (الثالث ص ٨٧).

(٥) مزمور ٢ : ٧ .

(٦) مزمور ١٠٤ : ٣٠ .

وهى ألقاب لا تدل على أقانيم المسيحيين، فالبنوة لله مجازية يراد منها الطاعة والولاء لله عز وجل. وروح الله بمعنى ما ينزله الله على عباده من وحى سواء كان عن طريق الملك الموكل بالوحى أو عن طريق الإلهام أو غير ذلك.

ولقد بينا سابقاً المعنى الحقيقى لهذه الألقاب، وأشرنا إلى أن لها معانى أخرى غير ما أراده المسيحيون منها.

تعقيب:

وإذا كان لنا من تعليق على هذا الأدلة جميعها فإننا نقول - على فرض أنها تدل على التثليث - فإنها ليست صريحة ولا ثابتة بالأدلة القطعية، ذلك أن العقائد لا بد أن تكون صريحة، والأدلة عليها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، بمعنى أن تكون مطلوبة من الإنسان على وجه القطع واليقين لا على وجه التلميحات التى يكتنفها الشك والاحتمال من كل جانب، وهذا الشرط غير متوافر فى هذه الأدلة، فنسبة العهد القديم وكذا العهد الجديد - إلى الله نسبة غير صحيحة، ذلك أن نسبة الأسفار إلى أصحابها غير مؤكدة، هذا فضلاً عن أنها مليئة بالتناقضات والاختلافات بل والأخطاء والتى لا يمكن معها نسبتها إلى الله تعالى^(١).

ومن ناحية أخرى فإن هذه الأدلة ظنية الدلالة بمعنى أنه - جداراً - يحتمل أن يراد بها هذا المعنى، ويحتمل أن يراد بها معنى آخر، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال خاصة وأنها أدلة عقيدة أساسية يجب أن تأتى صريحة، وأن يكون الاستدلال عليها بأدلة قطعية لا مجال لأن يدخل إليها الشك أو الظن أو الاحتمال.

والمسيحيون أنفسهم يعترفون بأنها أمور ظنية وذلك حين قالوا إنها إشارات أو رموز أو تلميحات للتثليث.

والإشارات والتلميحات لا تكفى لأن تكون أدلة لعقيدة أساسية، إذ كيف يمكن أن تترك العقيدة لاجتهادات شخصية أو استنتاجات عقلية؟ أو كيف يلقى الله الحجة على عباده بالرمز والإشارة دون التصريح والتوضيح؟

وهنا سؤال يفرض نفسه: لماذا لم تذكر عقيدة التثليث صراحة فى العهد القديم؟ لماذا ذكرت بالإشارة والتلميح دون التصريح؟

والجواب عند المسيحيين أنها ذكرت بالإشارة لتهيئة الناس إليها.

(١) راجع رسالتنا للماجستير: الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص (١٠ - ١٨).

يقول القس إنسطاسى شفيق: "إن العهد القديم يهيئنا تهيئة يقينية ولو أنها تدريجية لبزوغ نور هذا الحق. يقصد الثالث. واقتباله على الأثر فى قلوبنا"^(١)

وهذه الإجابة خاطئة. فلقد أثبت العلماء الباحثون وجود عقيدة التثليث عند أكثر الأمم الوثنية القديمة. فهل وصل الناس إليها بالعقل أم بالوحى. فإذا كان الأول فما معنى تهيئة النفوس أو عدم الاستعداد؟

وإذا كان الثانى فلم أوجبت إلى هؤلاء الناس. الذين كانوا يؤمنون بها. ولم توح إلى شعب إسرائيل. شعب الله المختار. كما يقولون؟ وما معنى هذه التهيئة وتلك الاستعداد؟ وهل كان الناس غير قادرين على فهم هذه العقيدة ثم فهموها، مع أنها ما فهمت قط ولن تفهم أبداً!!^(٢)

أدلة المسيحيين على التثليث من العهد الجديد

برغم أن كلاً من كلمتى (تثليث) و (أقنوم) لم تردا فى العهد الجديد إلا أن المسيحيين يعتقدون ويعلمون " بأن العهد الجديد يعلم ويشهد بالتثالث صريحاً وبكل جلاء"^(٣)

يقول كلايد تارنر: " وظهر التثالث جلياً فى العهد الجديد"^(٤)
ويقول مفيد كامل: " كانت هناك إعلانات واضحة وتصريحات جلية عن التثالث فى العهد الجديد"^(٥)

وعمدمة ما استدلوأ به من العهد الجديد على عقيدة التثليث ما يلى:^(٦)
١- يقول مفيد كامل^(٧): " أعلن الملاك جبريل التثالث عندما دخل إلى العذراء مريم يبشراً بولادة المسيح قال لها " الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظلك لذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله"^(٨)

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٨٢).

(٢) د/ محمد توفيق صدقى: دين الله فى كتاب أنبيائه ص (٤٣) بتصرف

(٣) الخلاصة الشبهة ص (٧٢).

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٣٦) . راجع اللاهوت فى إنجيل يوحنا هامش ص (٢٣١).

(٥) التثالث ص (٩٣).

(٦) المرجع السابق ص (٩٣) . انه تثالث وحدانيته ص (٣٩) وما بعدها. خلاصة الشبهة ص (٧٢ ، ٧٣) .

راجع أيضاً: يسوع المسيح ص (٧٦).

(٧) التثالث ص (٩٣)

(٨) لوقا ١ : ٣٥ .

٢- ويقول^(١): "لقد أعلن الثالث مرة أخرى عند عماد المسيح" فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه صوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت"^(٢).

٣- ويقول: " ولقد أعلن الثالث صراحة قبل صعود السيد المسيح إلى ملكوت السموات إذ قال لتلاميذه: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"^(٣).

٤- ويقول^(٤): " وإن هذا الثالث واحد - كما فى رسالة يوحنا: فالذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"^(٥). هذه هى أهم أدلة المسيحيين على التثليث وإعلانه صراحة - كما يقولون - فى العهد الجديد.

والحقيقة أننا لو نظرنا فى هذه الأدلة لا نجد فيها تصريحاً ولا إعلاناً واضحاً عن هذه العقيدة، ولا أدرى كيف فهم المسيحيون من هذه الفقرات عقيدة التثليث؟ فالتأمل فى هذه الفقرات يجد أنها لا تدل على شئ مما يعتقدون.

* فالقول الأول من جبريل "إنما هو يبشرها بأن الله سيشملها بعنايته ويظللهما بقوته فتحمل من غير أن يمسهأ بشر ويكون ولدها محبواً لله"^(٦).

* والقول الثانى - على فرض أنه صحيح - يعنى أن المسيح عندما اعتمد رأى جبريل نازلاً عليه من السماء يبشره بأنه محبوب عند الله.

(١) الثالث ص (٩٣)

(٢) متى ٣ : ١٦ .

(٣) متى ٢٨ : ١٨ .

(٤) الثالث ص (٩٤) .

(٥) ١ - يوحنا ٥ : ٧ .

(٦) د / إبراهيم سلامة : القرآن وعقائد أهل الكتاب (رسالة دكتوراة) ص (٢٣١) .

* أما القول الثالث والرابع: فهما من الأدلة المشهورة والهامة عند المسيحيين على عقيدة التثليث، وعلى كون الثالوث واحداً، ولذلك سنتوقف عندهما قليلاً.

* فالنص الأول منهما من إنجيل متى - ولم تذكر الأناجيل الأخرى هذا النص - وهو ليس بالإنجيل الذى يعتمد عليه فى إثبات عقيدة أو نفيها، خاصة بعد أن تبين أن كاتبه مجهول، والنسخة الأصلية غير موجودة، والمترجم غير معروف، كل هذه الأمور تجعل هذا الإنجيل غير أهل للثقة فيما أخبر به أو دل عليه.

ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى النص نفسه - على فرض أنه صحيح - وفهمناه فهماً حقيقياً لوجدنا أنه نص عادى لا يدل على ما اعتقدوه من التثليث، وأن الأقنوم الأول هو الذات والثانى هو النطق أو العلم والثالث هو الحياة.

"فالمعنى المفهوم"^(١) كما يقول أبو الفضل المسعودى - عمدوهم ببركة الله ورسوله والملك المؤيد للأنبياء"^(٢) خاصة بعد أن بينا سابقاً أن لقب (الابن) و (الروح القدس) لهما معانى أخرى غير ما أراده المسيحيون منهما.

يقول ابن تيمية فى مناقشة هذا النص: " هذا عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه شئ يدل على ذلك نصاً ولا ظاهراً، فإن لفظ الابن لم يستعمل قط فى الكتب الإلهية فى معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه، ولا سمووا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سموا عبده أو عباده ابنه أو بنيه، وإذا كان كذلك فدعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى فى غاية الكذب على المسيح، وهو حمل للفظ على ما لم يستعمله. هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازاً، فأى كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا؟"^(٣)

(١) يقول ابن تيمية فى معنى هذا النص: ومراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذى أرسله وبالملاك الذى أنزل عليه الوحي الذى جاء به فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله "راجع: الجواب الصحيح (٢ / ٩٨).

(٢) أبو الفضل المسعودى: المنتخب الجليل ص (٦٤).

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١٣١، ١٣٢).

" ولو كان لفظ الابن يستعمل فى صفة الله لسميت حياته ابناً وقدرته ابناً، فتخصيص العلم بلفظ (الابن) دون الحياة خطأ ثان لو كان لفظ الابن يستعمل فى صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك؟ وكذلك روح القدس لم يستعملوها - أى الأنبياء - فى حياة الله، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله التى هى صفته وإنما أرادوا بذلك ما ينزله الله على الصديقين والأنبياء"^(١).

على أن هذا النص - وإن صح أنه يدل على التثليث - لا يدل على توحيد الثالوث، فالنص لا يقول إن الثلاثة هم إله واحد أو جوهر واحد، بل الظاهر أنه أفاد أن كل واحد منهم غير الآخر تماماً، لأن الابن معطوف على الآب، والروح القدس معطوف على الابن، والعطف يقتضى المغايرة.

وأمر آخر هو فى غاية الأهمية : ذلك أن هذا النص غير قاطع فى الدلالة على التثليث، فهو - وإن صح أنه قول المسيح - من النصوص التى تحتل أكثر من معنى.

يقول القرطبى - صاحب كتاب الإعلام - عن هذا النص : " لا حجة لكم فيه إذ ليس بنص قاطع، بل هو مما تقولون أنتم فيه متشابه، فإنه يحتمل أن يكون مراده : عمدوهم على تبركهم بهذا القول، كما يقول القائل : كل على اسم الله، وامش على اسم الله، أى على بركة اسم الله، ولم يعين الآب والابن من هما؟ ولا ما المعنى المراد بهما؟ فلعله أراد بالآب هنا : الملك الذى نفخ فى مريم أمه الروح إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن : نفسه إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة بمثابة النطفة فى حق غيره"^(٢).

وهذا يعنى أن هذا الدليل بجانب أنه ظنى الثبوت فهو أيضاً " ظنى الدلالة، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

(١) المرجع السابق (٢ ، ١٣٢).

(٢) القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص (٦٤) ثم يقول بعد ذلك " ثم لا يبعد فى التأويل - إن صح أن عيسى أنه كان يطلق على الله لفظ الآب - أن يكون مراده به أنه ذو حفظ، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عباده الصالحين، فهو لهم بمنزلة الآب الشفيق الرحيم، وهو له فى القيام بمحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار ". المرجع السابق ص (٦٥).

❖ أما النص الثانى فهو من رسالة يوحنا الأولى ونصه: " فالذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة، الروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"^(١)

ونسبة هذه الرسالة إلى يوحنا - تلميذ المسيح - مشكوك فيها، فالرسالة لا تذكر اسم الكتاب ولا اسم المكتوب إليهم، بل ولا توجد فيها خاتمة رسائل أيضاً، وهى مختلفة كل الاختلاف عن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، وعن الرسالتين الأخرتين المنسوبتين إلى يوحنا وهما الرسالة الثانية والثالثة^(٢).

هذا بالنسبة لأمر رسالة يوحنا الأولى ككل.

أما بالنسبة لهذه الفقرة بالذات فإن بعض المسيحيين ينكرونها، ويقولون بأنها لم تكن موجودة فى النسخ الأصلية وإنما أضيفت بعد ذلك.

ولا زال بعض البروتستانتين - إلى الآن - لا يذكرونها فى نسخهم وترجماتهم الخاصة بفرقتهم، وبين يدى الآن ترجمة جديدة للعهد الجديد لم أجد فيها هذا النص، بينما ورد فيها النص كما يلى: " فإن هنالك ثلاثة شهود: الروح، والماء، والدم، وهؤلاء الثلاثة هم فى الواحد"^(٣).

ولقد نقل الشيخ رحمت الله الهندى أقوال كثيرين من المسيحيين الذين يقولون بأن هذا النص مضاف إلى الأصل.

يقول الشيخ رحمت الله الهندى: " (وكريسباخ)، (وشولز) متفقان على إلحاقية هذه الفقرة، (وهورن) مع تعصبه قال إنها إلحاقية واجبة الترك، وجامعو تفسير (هنرى) و (اسكات) اختاروا قول (هورن)، (وآدم كلارك) أيضاً مال إلى إلحاقيتها، وكذلك (اكستايين) الذى كان أعلم علماء المسيحيين المثلثين فى القرن الرابع من القرون المسيحية"^(٤)

(١) - يوحنا ٥ : ٧.

(٢) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص (٥٧٥ - ٥٧٦).

(٣) كتاب الحياة (ترجمة تفسيرية للإنجيل ١ - يوحنا ٥ : ٧) وهو كتاب متداول ومشهور.

(٤) إظهار الحق ص (٢٣٦).

ويقول : " وأقر صاحب ميزان الحق - القسيس فندر - على رؤوس الأَشْهاد فى المناظرة التى وقعت بينى وبينه سنة ألف ومائتين وسبعين من الهجرة - أنها محرفة - وعلى ذلك لا ينكر التحريف فى عبارة يوحنا إلا مكابر عنيد ^(١) .

ثم يذكر قول (هورن) وأدلة القائلين بكذب هذا النص فيقول " للذين يثبتون أن هذه العبارة كاذبة وجوه :

الأول : أن هذه العبارة لا توجد فى نسخة من النسخ اليونانية التى كتبت قبل القرن السادس عشر .

والثانى : أنها لا توجد فى النسخ المطبوعة التى طبعت بالجد والتحقيق التام فى الزمان الأول .

والثالث : أنها لا توجد فى ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية .

والرابع : أنها لا توجد فى أكثر النسخ القديمة اللاتينية .

والخامس : أنها لم يتمسك بها أحد من القدماء ومؤرخى الكنيسة .

والسادس : أن أئمة فرقة البروتستانت ومصلحي دينهم إما أسقطوها ، أو وضعوا عليها علامة الشك ^(٢) .

وهذا النص - على علاته - يمكن أن يكون له فهم آخر غير الذى أراداه المسيحيون منه ، فالنص لم يذكر أن هؤلاء الثلاثة هم إله واحد ، صحيح أنه قال هم واحد - ولم يقل هم إله واحد - " وعلى هذا يمكن فهم معناه على أن الثلاثة واحد فى المنزلة والمجد والعظمة ، أو أن الثلاثة هم واحد فى الرأى والقصد والفكر ، وما مثل وحدانيتهم إلا كمثل وحدانية تلاميذ المسيح - الذى قال المسيح عنهم كما يحكى إنجيل يوحنا - " أيها الأب احفظهم فى اسمك الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أنا نحن واحد " ^(٣) ، فما يراد من معنى قول المسيح الأخير يراد مثله فى قول يوحنا فى الرسالة الأولى ^(٤) .

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) يوحنا ١٧ : ١١ .

(٤) راجع عقيدتنا التليث والصلب فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (١١ ، ١٢) .

والمقصود هنا أن هذا النص بجانب أنه محرف ودخيل على الرسالة المنسوبة إلى يوحنا - وهى نسبة مشكوك فيها - فهو أيضاً غير قاطع فى عقيدة التثليث المسيحية ، وغير قاطع فيما أراده المسيحيون من الاستدلال به .



هذه هى أهم أدلة المسيحيين على التثليث من العهد الجديد ، وهى كما ترى غير قطعية الثبوت وغير قطعية الدلالة . فالعهد الجديد قامت الأدلة القاطعة على أنه من وضع البشر ، وليس من عند الله . فلا يصلح لأن يكون حجة على ما يتصل بذات الله تعالى .

هذا فضلاً عن أن الأدلة التى ساقها المسيحيون على التثليث أدلة ظنية تحتمل أكثر من معنى والاحتمال إذا دخل إلى الاستدلال أبطله ، على أنه يمكن القول - كما ظهر مما سبق - إن عقيدة التثليث أبعد المعانى المحتملة لهذه الأدلة خاصة وأن العهد الجديد مليئ بالفقرات التى تصرح بالتوحيد الخالص وترد كل قول بأن الله مثلث الأقانيم .

من ذلك مثلاً ما جاء فى إنجيل مرقس من أن أحد الكتبة سأل المسيح عليه السلام عن أول الوصايا ، فأجابه المسيح " إن أول كل وصية هى اسمع يا إسرائيل ^(١) . الرب إلهنا رب واحد ^(٢) " ، فبرد عليه هذا الكاتب قائلاً : " جيداً يا معلم ، بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه ^(٣) " .

وكذلك أيضاً ما جاء فى إنجيل متى ، من أن المسيح بينما كان يسير فى الطريق " وإذا واحد تقدم وقال أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية فقال له لماذا تدعونى صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ^(٤) " .

ويورد يوحنا فى إنجيله إحدى المناجاة للمسيح الذى يقول فيها - على فرض أنها مناجاة المسيح - " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته ^(٥) " .

(١) يشير المسيح عليه السلام بذلك إلى ما جاء فى سفر التثنية ٦ : ٤ .

(٢) مرقس ١٢ : ٢٩ .

(٣) مرقس ١٢ : ٣٢ ، عن هذه الحادثة كلها راجع مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤ .

(٤) متى ١٩ : ١٦ ، ١٧ ، راجع أيضاً مرقس ١٠ : ١٧ ، ١٨ .

(٥) يوحنا ١٧ : ٣ .

إلى غير ذلك من الفقرات الواضحة المنسوبة إلى المسيح عليه السلام والتي يتحدث فيها عن الله بأنه الواحد الأحد.

ولم يرد في هذا الأناجيل - على فرض صحتها - أن المسيح تحدث عن الله بالمفهوم المسيحي وهو أن الله ذو أقانيم ثلاثة، فلو أن هذه العقيدة من تعاليم المسيح لحثت الناس بها وعلم أصحابه وتلاميذه إياها، ولما تركها للناس من بعده يفهمونها ويستتجونها.

ولو كانت هذه العقيدة ضمن رسالته لكان أولى الناس بتبليغها وتبيينها للناس وشرحها لهم، وإلا لاعتبر أن المسيح قد قصر في تأدية الرسالة، أو لم يؤدها على الوجه الأكمل وهو مستحيل على رسل الله.

والخلاصة:

(١) إن المسيحيين لم يعتمدوا على العقل في الاستدلال على عقيدة التثليث، وقالوا إنها من الأسرار التي لا يكتنه العقل سرها^(١)، ونحن لن نعلق على هذا إلا بالقول بأنهم فعلوا ذلك لأن هذه العقيدة مناقضة للعقل أشد المناقض، ومستحيلة الفهم، إذ لا يمكن الجمع بين التثليث والتوحيد.

(٢) إن أدلتهم النقلية التي استندوا إليها، واقتطعوها من الكتاب المقدس غير قطعية الثبوت وغير قطعية الدلالة، والاستدلال إذا نفذ إليه الاحتمال أسقطه وأبطله.

(٣) إن المسيح عليه السلام - وهو رسول الديانة التي يدعون أنهم ينتسبون إليها - لم يذكر كلمة (التثليث) ولا كلمة (الأقنوم) ولم يتحدث عن الله بالمفهوم المسيحي التثليثي، وإذا كان المسيح لم يتحدث عن عقيدة التثليث، فمن أين جاء بها المسيحيون؟ من أين استقى المسيحيون هذه العقيدة؟؟؟

الواقع أننا سنرجئ الإجابة على هذه الأسئلة قليلا إلى ما بعد نظرة سريعة ننظر فيها كيف تكونت هذه العقيدة عندهم حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن؟ وكيف فرضت وأصبحت هي العقيدة الأساسية في المسيحية؟.

(١) راجع الرد على هذا القول في نهاية هذا الفصل.

كيف تكونت عقيدة التثليث عند المسيحيين

إن عقيدة التثليث المسيحية لم تظهر دفعة واحدة، بل تجمعت وتكونت في فترات طويلة من تاريخ هذه الديانة.

والمستبع لهذه العقيدة لا يجد لها أثراً في بداية تاريخ هذه الديانة، فالمسيح عليه السلام كما قلنا سابقاً - لم يتحدث عن هذه العقيدة بأي وجه كان، ولم يؤثر عن تلاميذ المسيح أن أحداً منهم كان يعتقد بهذه العقيدة، أو يتحدث بها.

تقول دائرة معارف (لاروس) الفرنسية: "إن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد بأنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر من رجل يوحى إليه"^(١).

والأنجيل المسيحية الحالية أيضاً لا تجد فيها أى حديث عن التثليث وتعاليمه، بل تجدها تصور المسيح عبداً لله ورسوله وأن الله واحد لا شريك له^(٢)، فلا تجد فيها أى دليل على أن المسيح إله أو أنه أحد الأقانيم الثلاثة التي تصور الذات الإلهية في المعتقد المسيحي. أو بعبارة أدق لا تجد فيها شيئاً يمكن أن تقوم عليه عقيدة مضمونها أن الله ذو أقانيم ثلاثة هي الآب، والابن، والروح القدس.

وأما ما استشهد به المسيحيون من هذه فهو إما من التشابه الذي يحتل أكثر من معنى، ويكون التثليث أبعد المعاني المحتملة، وإما أنه لا يفيد التثليث بأي وجه من الوجوه، أو أنه من الفقرات الملحقة والمضافة بعد تقرير عقيدة التثليث فيما بعد.

أما إذا ولينا وجوهنا تجاه رسائل بولس فس نجد فيها نوعاً جديداً من التعاليم وغطاً جديداً من العقائد، "فهي تحتوى على عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على

(١) نقلاً عن عبد الله العلمي: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص (١٩).

(٢) ليس معنى ذلك أننا نثق بهذه الأنجيل ونسلم بها. وإنما تحدثنا عنها بهذه الصورة لأن المسيحيين يستدلون ببعض فقراتها على عقيدة التثليث، وحقائق أن المسيحيين تركوا الفقرات الكثيرة الواضحة والدالة على عبودية المسيح لله واستشهدوا بالفقرات التشابهات التي تحمل المعاني الكثيرة. ويعتبر التثليث أبعد المعاني المحتملة.

محاميل شتى من بينها أن يكون المسيح ابن الله بمعنى لاهوتى هو الولادة العقلية، ولهذا اعتمدت المسيحية كثيراً على مقولات (بولس) فى تصوير العقيدة المسيحية على النحو الذى تشكلت به فى المجامع المسيحية^(١).

يقول ول ديورانت: "وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت الشعبى الموسوى بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس... من ذلك قول بولس إن المسيح هو (حكمة الله)^(٢) و (ابن الله الأول)^(٣)، " بكر كل خليقة، فإن فيه خلق الكل، الكل به وله قد خلق، الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل"^(٤)، وليس هو المسيح المنتظر (المسيا) اليهودى الذى سينجى إسرائيل من الأسر، بل هو الكلمة الذى سينجى الناس كلهم بموته"^(٥).

وتقول دائرة معارف (لاروس) الفرنسية: "إن بولس خالف عقيدة التلاميذ الأولين لعيسى، وقال إن المسيح أرقى من إنسان، وهو نموذج إنسان جديد، أى عقل سام متولد من الله"^(٦).

وعلى هذا يمكن القول إن جذور العقائد المسيحية تجد لها أصلاً فى رسائل بولس وهذا يعنى أن بولس وضع بداية عقيدة التثليث.

يقول حبيب سعيد: " ولم يكن الوقت قد حان للتأويل الكامل فى العصر الرسولى، ولم يتطور الفكر اللاهوتى فى تلك الفترة ليصاغ فى عقيدة لفظية واضحة المعالم"^(٧).

فجذور عقيدة التثليث بدأت من بولس، ولكن لم تكن الصورة قد اكتملت ولم يكن المناخ قد ناسب أن تصاغ فى قانون إيمانى، خاصة وأنهم كانوا قريبي عهد

(١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٣٠٤).

(٢) ١. كورنثوس ١ : ٢٤.

(٣) عبرانيين ١ : ٥ ، ٦.

(٤) كولوسى ١ : ١٥ - ١٧.

(٥) قصة الحضارة مجلد ٣ (٣ / ٢٦٤ ، ٢٦٥).

(٦) نقلاً عن سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص (١٩).

(٧) حبيب سعيد: الروح القدس ص (٥٨).

بالمسيح عليه السلام وتلاميذه الأصليين الذين كانوا يعلمون أن عيسى لم يكن أكثر من إنسان اختصه الله بالنبوة والرسالة.

ومع أن بولس وضع بداية - أو بذور - عقيدة التثليث إلا أنه لم يستخدم هذه الكلمة نفسها، ولم يستخدم كلمة (أقنوم) وهذا يعنى أن الذين جاءوا بعده من تلاميذه أضافوا إلى الأسس التي وضعها.

وفي نهاية القرن الثاني - ولأول مرة في تاريخ الديانة المسيحية - أطلقت كلمة (تثليث) وأول من استعملها في الديانة المسيحية ترتليان، والكلمة المقابلة لها في الإغريقية أول من استعملها ثيوفيلوس الذي كان معاصراً لـ (ترتليان)^(١)

وفي خلال الفترة من نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الرابع الميلادى ظهرت بعض التعاليم عن التثليث. وبعضها رفض بعد ذلك، فمثلاً أعلن سايلوس سنة ٢٦٠م أن الآب والابن والروح القدس أسماء لإله واحد، أو لنفس الإله.

ولم تكن الكنيسة حتى أوائل القرن الرابع الميلادى تعرف أية صلاة تعبر عن المفهوم التثليثي^(٢)

ولقد بدأت المناقشات في أوائل القرن الرابع حول صيغة الإيمان وقانونه، واشتدت المناقشات والمنازعات، واختلفت الآراء وتنوعت، ولم يحسم هذا الخلاف إلا على يد الإمبراطور قسطنطين، الذي قرر عقد مجمع مسكونى فى نيقية سنة ٣٢٥م تكون مهمته الفصل فى هذه المنازعات ووضع قانون للإيمان يلتزم به كل المسيحيين - حتى ولو لم يكن هو رأى الأغلبية - وتدخل قسطنطين بسلطته لتقرير ما يراه صالحاً ونافعاً للإمبراطورية لا للمسيحية، وصالح الإمبراطورية - فى نظره - أن يكون قرار المجمع يقبله المسيحى والوثنى، وأقرب المعتقدات إلى الوثنية هو الاعتقاد بالوهية المسيح الإنسان، فمثل هذا الاعتقاد كان منتشرأ بين الوثنيين الذين ألخوا البشر والكائنات.

(١) دائرة معارف الدين والأخلاق (باللغة الإنجليزية) مجلد ١٢ ص (٤٥٨)

(٢) د/ محمد يحيى: رحلتى من الكفر إلى الإيمان (قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة) ص (١٨٩).

ولقد عزل قسطنطين هؤلاء المعتنقين لعقيدة ألوهية المسيح ، وأعطاهم الحق في تقرير مصير الديانة المسيحية ، برغم أن رأى الأغلبية كان في صالح آريوس الذى كان ينادى بأن المسيح مخلوق ، عبد الله ورسوله.

وقررت الفئة التى عزلها قسطنطين قانون الإيمان المسيحى وقررت فيه ألوهية المسيح ، ولكى يضمن قسطنطين قوة هذا الاعتقاد أضاف إلى قانون الإيمان - الذى قرره هذه الفئة - فقرة تعنى " أن المسيح مساو للأب فى الجوهر " ، وبعد ذلك أيد قسطنطين هذه القرارات بقوة سلطانه ، وحرم كل من يخالف هذا القانون وطرده.

ولم يكن مجمع نيقية هذا قد وضع قانون الإيمان كاملاً - أو بمعنى آخر لم يكن قد قرر عقيدة التثليث كاملة - ولذلك عقد مجمع آخر فى القسطنطينية سنة ٣٨١م ليقرر ألوهية الروح القدس ، وليضع اللمسات الأخيرة لعقيدة الله واحد فى ثلاثة أقانيم ، ولتظهر هذه العقيدة لأول مرة فى تاريخ الديانة المسيحية فى نهاية القرن الرابع الميلادى.

تقول دائرة المعارف الأمريكية : " إن عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة الله ، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذه التعاليم ، ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص.

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة ، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة ، لذلك نجد من الصواب أن نتكلم عن التثليث باعتباره حركة متأخرة ظهرت ضد التوحيد بدلاً من اعتبار هذا الأخير حركة دينية جاءت لتقاوم التثليث^(١).

وبعد أن قررت عقيدة التثليث فى القرن الرابع ، لم تنته المناقشات حوله ، فلقد أثبتت بعد ذلك مناقشات أخرى حول كل أقنوم على حدة ، وعقدت المجالس المحلية والمسكونية للنظر فى هذه المناقشات ، وأهمها ما عقد فى أفسس وخلقيدونية للنظر فى طبيعة الأقنوم الثانى (المسيح).

(١) دائرة المعارف الأمريكية سنة ١٩٥٩م (٢٧ / ٢٩٤) نقلاً عن طائفة الموحدين ص (٩).

ثم أثيرت مناقشات أخرى حول انبثاق الأقيوم الثالث (الروح القدس) ، وهل انبثق من الآب والابن . أم من الآب فقط ؟ ولم يحسم هذا إلا بانعقاد مجمعين فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى . أحدهما للكنيسة الغربية سنة ٨٦٩م والذى قرر انبثاق الروح القدس من الآب والابن .

والثانى للكنيسة الشرقية سنة ٨٧٩م والذى قرر انبثاق الروح القدس من الآب فقط .

وهكذا يمكن القول : إن عقيدة التثليث المسيحية والتعاليم حول الأقانيم لم تكتمل إلا فى نهاية القرن التاسع الميلادى .

والخلاصة : إن عقيدة التثليث لم تفرض على المسيحيين مرة واحدة ، بل تكونت وتجمعت عبر قرون تسعة .

فى القرون الأولى لتاريخ المسيحية لا نجد لهذه العقيدة أى أثر ، فلم يبشر المسيح عليه السلام بها ، ولم يعلمها للناس وإنما كان يعبد الله الواحد ، وكذلك لم نجد لتلاميذ المسيح أى أقوال وأى تعاليم تشير إلى هذه العقيدة من قريب أو بعيد .

وبدأت العقيدة تتكون بعيداً عن أقوال وتعاليم المسيح ، بل وبعيداً عن تعاليم تلاميذ المسيح ، إذ أن بولس هو الذى بدأ الحلقة ، وتاريخ بولس هذا لا يبشر بأنه كان أميناً على تعاليم المسيح ، فبدأ ينقضها ويدعو الناس إلى تعاليم أخرى ما أنزل الله بها من سلطان .

ثم تتابع الزمن لتجد تعاليم بولس يد السلطان تتلفنها لتساعد على تقريرها ، وتكميل بعض أجزائها لتكون هى الديانة المسيحية ، وهذا يعنى أن عقيدة التثليث وضعت بأيدى البشر .

فالبشر هم الذين أنشأوا هذه العقيدة وأقاموا التعاليم حولها ، وخلفوا لنا عقيدة معقدة مستحيلة الفهم والإدراك .

إن أصول العقائد والشرائع السماوية - التى تكون من عند الله - تأتى إلى البشر كاملة ، ولا يكون فيها مجال لإضافات بشرية ، أو لتدخل بشرى بالزيادة أو النقصان ، وإلا لأجزنا على الله سبحانه وتعالى عدم العلم والله منزه عن ذلك .

هذا فضلاً عن أن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يبلغون ويوضحون هذه العقائد كاملة للناس ، فلا يتركون بيانها لشطط العقول واختلاف الناس وتناحرهم حول فهمها وتوضيحها.

هذا إلى جانب أن الدين السماوى سهل ميسور الفهم واضح لا تعقيد فيه .
كل هذا يدل أن لعقيدة الثلاث مصدرأ آخر غير وحى السماء وغير تعاليم المسيح التى جاء بها من عند الله سبحانه وتعالى .

التثليث فى الأديان الوضعية

إن التاريخ يحدثنا أن المسيحيين ليسوا هم أول من اعتقدوا بالتثليث ، فلقد كانت هذه العقيدة منتشرة فى أنحاء العالم الوثنى القديم ، قال بها الوثنيون واعتقدوا بها قبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

يقول موريس : " كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثى ^(١) .

ويقول برتشرّد : لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى ^(٢) .

ويقول حبيب سعيد : " هذه العقيدة - التثليث - منتشرة فى أهم الأديان الوثنية " ^(٣) .
فالبراهمة ، والبوذيون ، وقدماء المصريين ، وقدماء الصين ، والفارسيون ، واليونانيون ، وغيرهم كانوا يعتقدون بالتثليث ويؤمنون به ، ويعتبرونه أصلاً من أصول ديانتهم ، ومعترفاً من أهم معتقداتهم ^(٤) .

التثليث عند البراهمة :

" والبراهمة كهنة يدعون بهذا الاسم ، وكانوا يؤلفون طبقة خاصة هى أولى الطبقات الهندية ، فيتوارثون المنصب ومزاياه ، وكانوا رجال علم ونظر ، ولقد أدى التفكير بهم - أو ببعضهم - حوالى القرن التاسع قبل الميلاد إلى آراء مغايرة للعقائد الموروثة تكون مذهباً هو (البرهمية) " ^(٥) .

والبراهمة كانوا يعتقدون بأن الله واحد فى ثلاثة أسماء :
برهما - فشنو - سيفا ^(٦) .

(١) راجع محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص (١٨) .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) أديان العالم ص (٣٠٤) ، راجع أيضاً محمد أفندى حبيب : فتح الملك العلام ص (٢٥٦) .

(٤) ولقد عدد د/ محمد الصادق اثنى عشر شعباً من الوثنيين كانوا يعتقدون بالتثليث ويؤمنون به ، راجع ذلك فى كتابه : تاريخ الفكر والحضارة ص (٧٢ ، ٧٣) .

(٥) د/ إبراهيم مدكور ، يوسف كرم : دروس فى تاريخ الفلسفة . المقدمة ص ر .

(٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، راجع أيضاً د/ أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص (٤٨) .

وكانوا يعتقدون أن كل واحد منهم إله، فهم ثلاثة آلهة يسمون (الثلاثة فى واحد)^(١).

وكانت مهمة هذه الآلهة هى السيطرة على الكون، فلكل واحد منهم مهمة خاصة به، فبراهما هو الإله الخالق، وفشنو هو الحافظ، وسيفا هو المدمر. وإليك بعض التفاصيل عن هذا الثلاث.

أول هذا الثلاث "براهما" : وهو خالق الكون والمصدر الذى انبثقت منه جميع الآلهة الفرادى^(٢)

فهو الإله الخالق مانح الحياة، والقوى الذى صدرت عنه جميع الأشياء، والذى يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء^(٣).

فشنو: وهو الحافظ وحامى العالم "وهو إله الحب الذى كثيراً ما انقلب إنساناً ليتقدم بالعون إلى بنى الإنسان، وأعظم من يتجسد فيه (فشنو) هو (كرشنا) وهو فى صورته الكرنشية هذه ولد فى سجن وأتى بكثير من أعاجيب البطولة والغرام، وشفى الصم، والعمى، وعاون المصابين بداء البرص، وذاد عن الفقراء، وبعث الموتى من قبورهم، وكان له تلميذ محبوب إلى نفسه وهو (أرجونا)، وأمام (أرجونا) تبدلت خلقة (كرشنا) حالاً بعد حال، ويزعم بعض الرواة أنه مات مطعوناً بسهم، ويزعم آخرون أنه قتل مصلوباً على شجرة وهبط إلى جهنم ثم صعد إلى السماء^(٤)، على أن يعود فى اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم^(٥).

فشنو هو الإله الذى تجسد وظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس^(٦).

(١) سليمان مظهر : قصة الديانات ص (٦٨)،

(٢) بليفنش : عصر الأساطير ص (٤٣٨)، راجع المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : مقارنة الأديان ص (٢٧)،

(٤) أثبتت الدراسات التى قام بها بعض الباحثين أن الهنود يعتقدون فى (كرشنا) ما يعتقد المسيحيون فى المسيح، ولقد عقد الأستاذ محمد طاهر التير، موازنة بينهما، وظهر التقارب واضحاً بين أقوال الهنود فى كرشنا، وأقوال المسيحيين فى المسيح. راجع : العقائد الوثنية ص (١٣٠) وما بعدها .

(٥) قصة الحضارة مجلد ١ (٣ / ٢٠٤)

(٦) العقائد الوثنية ص (٢٠ ، ٢١)،

سيفا: وهو تجسيم للمصدر المدمر^(١). وسمى هذا الإله بـ (سيفا) للتخفيف من بشاعة هذا الإله. فالكلمة (سيفا) معناها الحرفى (العطوف) مع أن (سيفا) فى حقيقة الأمر إله القسوة والتدمير قبل كل شئ آخر، وهو تجسيد لتلك القوة الكونية التى تعمل واحدة بعد أخرى على تخريب جميع الصور التى تبدى فيها حقيقة الكون^(٢).

وسيفا لا يظهر عادة إلا فى ميادين القتال والمعارك الضخمة والمنازعات الطاحنة... وفى كل هذه الميادين تحل بركته وهى دائماً تكون بركة قاتلة^(٣)، فهو (المهلك)، وقال العلماء إن هذه هى صفته المظلمة. أما صفته الحسنة فهو (المعيد) يعبرون عنه بصورة حماسة. ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة واخلق الجديد وهو الروح الذى يرف على وجه الماء^(٤).

وعلى ذلك فـ " سيفا " المهلك. والمبيد، والمعيد، أو يمكن القول إنهم يعتقدون فيه أنه المحيى والمميت^(٥).

ويظهر من هذا أن التثليث كان من أشهر عقائد البراهمة، وكانوا يدعون هذا التعليم. كما يقول العلامة دوان. بلغتهم (ترى مورتى) وهى جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين، أما (ترى) فمعناها ثلاثة، و (مورتى) معناها هيئات أو أقانيم، وثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة وهى الرب والمخلص وسيفا. ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد. ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهى الألف والواو والميم ويلفظونها (أوم)^(٦).

وكانوا يعتقدون أيضاً أن هذا الثالوث غير منقسم فى الجوهر والفعل والامتزاج^(٧) وقد جاء فى كتاب (الباجا فاتابورانا) وهو من الكتب الهندية المقدسة أن كاهناً اسمه آتيس توجه إلى الآلهة (برهمة - فشنو - سيفا) قائلاً :

(١) عصر الأساطير ص (٤٣٩).

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ (٣ / ٢٠٥).

(٣) قصة الديانات ص (٧٠).

(٤) العقائد الوثنية ص (٢١).

(٥) محمد فؤاد الهاشمى : سر إسلامى ص (٤٩).

(٦) العقائد الوثنية ص (١٩ . ٢٠).

(٧) المرجع السابق ص (٢٠).

"يا أيها الأرباب الثلاثة: اعلموا أنى أعترف بوجود إله واحد، فأخبروني أيكم الإله الحقيقي لأقرب له نذرى وصلاتى، فظهرت الآلهة الثلاثة وقالوا له: اعلم أيها العبد (أو الكاهن) أنه لا يوجد فارق حقيقى بيننا، وأما ما تراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه والشكل، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام، ولكن فى الحقيقة واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعاً، أو عبد الواحد الأعلى"^(١)

ولقد عبر الهنود عن هذه العقيدة بإنشاء بعض التماثيل التى تمثل الوحدة والتثليث معاً، فرسم على هيئة جسد واحد وثلاثة رؤوس، وقد اكتشف علماء الآثار بعض هذه التماثيل، وموجود بعضها الآن فى بلاد الهند.

يقول د/ محمد الندوى: "وجد الباحثون ختمة فى موهنجودارو"^(٢) تحمل صورة إله ذى قرن وثلاثة وجوه وهو جالس واضعاً رجلاً على الأخرى... وكذلك وجدت لوحات طينية عديدة تشير إلى وجود الإله (سيفا) وله ثلاثة وجوه"^(٣).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: "وللهنود تماثيل للوحدة والتثليث رأيت واحداً منها فى دار العاديات التى بنتها الحكومة الهندية الإنجليزية فى ضواحي مدينة بنارس (المقدسة عند البراهمة) وهو تماثل واحد من ثلاثة وجوه، ولعله هو الذى قال عنه (موريس) فى كتابه (آثار الهند القديمة) لقد وجدنا فى أنقاض هيكل قديم قَوَّضه مرور القرون صنماً له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه الرمز للثالوث"^(٤).

ويتضح من هذا كله أن البراهمة اعتقدوا - وذلك منذ القرن التاسع قبل الميلاد أو بعد ذلك - بالتثليث على أنه مظاهر أو أسماء للإله الواحد أى تثليث فى واحدية، وقد خلفوا آثاراً توضح هذا الاعتقاد وتبينه.

(١) المرجع السابق ص (٢١، ٢٢)، راجع أيضاً محمد فريد وجدى: دائرة معارف القرن العشرين (٢ / ١٥٥).

(٢) إحدى المدن الهندية القديمة التى كشف النقاب عنها حديثاً فى الربع الثانى من القرن العشرين.

(٣) د/ محمد الندوى: الهند القديمة ص (٤٤، ٤٥).

(٤) تفسير النار (٦ / ٧٤).

(٢) التثليث عند البوذيين:

لقد ذكرنا فيما سبق أن البوذية بعد بوذا انحرفت عن تعاليمه . ونسج بعض الأتباع حوله كثيراً من الأساطير واخرافات التي صورته بأنه إله مخلص . وكذلك أيضاً وجد بينهم من يعتقد بالتثليث.

يقول المستر فابر : " وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا ، هكذا نجد عند البوذيين . فإنهم يقولون أن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة ^(١) "

ويقول العلامة دوان : " والبوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسمونه (فو) ، ومتى ودوا ذكر هذا الثالوث يقولون الثالوث النقي (فو) . ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ، ويقولون أيضاً (فو) واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال ، ويوجد في أحد المعابد المختصة بيوتالا في منشوريا . شمال شرق آسيا . تمثال (فو) مثلث الأقانيم ^(٢) "

ويقول المستر فابر : " والصينيون يعبدون (بوذا) ويسمونه (فو) ، ويقولون إنه ذو ثلاثة أقانيم والألف الواو والميم تماماً كما تقول الهنود ^(٣) . "

وهكذا يتبين لنا أن أتباع بوذا حين انحرفوا عن تعاليم بوذا تصوروه في صورة الإله المتجسد . ثم بعد ذلك اعتقدوا بأنه مثلث الأقانيم . وهذه البوذية هي التي انتشرت في الشرق الأقصى في الصين واليابان وبورما وسيلان وغيرها.

(٣) التثليث عند قدماء المصريين:

وكان التثليث أحد معتقدات المصريين القدماء ، فقد ظهر هذا الاعتقاد واضحاً في الآثار المصرية القديمة.

ونشأ التثليث بين المصريين القدماء متأخراً نسبياً ، وذلك نتيجة لاعتقادهم أن الإله حل في الإنسان ، وهذا الاعتقاد هو الذي ساعد على التفكير في أن الإله يكون له زوجة وابن.

(١) العقائد الوثنية ص (٢٢) .

(٢) المرجع السابق ص (٢٣) .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

يقول د/ عبد العزيز صالح: "أنجحه المصريون إلى افتراض روابط الأبوة والبنوة والزيجة بين أربابهم المتقاربين فى الصفات وفى أماكن العبادة، وذلك أمر بدت منطقته بعد أن تخيلوا لأربابهم هيئات إنسانية وافترضوا لها حياة تماثلها حياة البشر لولا أنها سرمدية عالية... وقد سيرت هذه الأخيلة افتراض أسر إلهية ثلاثية تكونت من أب، وأم، وولد، ومن زوج وزوجتين ثم أسر تساعية"^(١). ومن هنا نشأت عقيدة الثلاث بين المصريين القدماء، وشاعت وذاعت حتى أصبح لكل مدينة هامة من مدن مصر القديمة ثالوثها الخاص بها.

فى كتاب (تاريخ الأمة القبطية) جاء ما نصه: " وكان الثلاث (أى تمثيل الإله بشكل ثلاثة أقانيم) محور الديانة المصرية ، فكان عندهم جملة ثوالث ، لكل مدينة هامة ثالوث خاص بها"^(٢).

" فكان هنالك ثالوث اليفانتين ويتكون من خنوم ، وسانت ، ووعنقت ، وثالوث كوم امبو ويتكون من سويك ، وحتحور ، وخونسو.

وثالوث إدفو: ويتكون من حور ، وحتحور ، وحارسومايتس ، وثالوث اسنا: ويتكون من خنوم ، ومنحيت ، وحكا ، وثالوث أرمنت: ويتكون من مونتو ، وثنيت ، وحربو قراط ، وثالوث طيبة: ويتكون من آمون ، وموت ، وخونسو ، وثالوث قفط: ويتكون من مين ، ورشب ، وقدش ، وثالوث دندرة: ويتكون من حتحور ، وسماتاوى ، وابحى ، وثالوث أبيدوس: ويتكون من أوزوريس ، وإيزيس ، وحورس ، وثالوث منف: ويتكون من بتاح ، وسخمنت ، ونفرتم ، وثالوث عين شمس ويتكون من : أتوم ، وشو ، وتفنوت"^(٣).

ولقد كان ثالوث طيبة وثالوث أبيدوس من أشهر هذه الثوالث جميعاً.

أما عن ثالوث طيبة فهو الذى يتكون من الإله آمون أباً والإلهة موت زوجة وكانت تعبد فى طيبة وتمثل على شكل امرأة تلبس التاج المزدوج ، ثم خونسو وهو

(١) د/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق ص ٣٢٢).

(٢) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٢١ ، ٢٢).

(٣) محمد بيومى مهران: دراسات فى الشرق الأدنى القديم (الجزء الخامس. الحضارة المصرية) ص (٢٧٢)،

الابن الإله ، وكان يمثل القمر ويعبد في طيبة على شكل رجل أو طفل على رأسه هلال يحيط بأسفل قرص القمر وقد تدلت على كفيه خصلة شعر ويحمل في يديه رموز الحياة والصحة والسعادة^(١).

وقد خصص معبد الأقصر لهذا الثالوث^(٢).

أما ثالوث أيدوس : الذى يتكون من الإله أوزوريس أباً ، وإيزيس أمّاً ، وحورس ابناً فهو أشهر ثالوث على الإطلاق . فقد اكتسب شهرة واسعة فى عصر الإمبراطورية الرومانية لا فى الأقطار المصرية وحدها بل فى معظم بلاد العالم آنذاك ، بمعنى أن هذا الثالوث كان أكثر الثالوث المصرية انتشاراً وقت ظهور المسيحية ، وقد ساعده على ذلك " أن الإسكندرية أصبحت بعد عصر الإسكندر الأكبر مركزاً هاماً لحياة مصر الدينية ، بل أصبحت فى الحق مركز الحياة الدينية فى العالم الهللىنى كافة ، فأقام بطليموس الأول (٣٠٥ - ٢٨١ ق.م) معبداً عظيماً هو معبد السرابيوم ، وكان يعبد فيه الثالوث المكون من سرايس ، وإيزيس ، وحوس^(٣) ، وذلك بعد أن أصبح سرايس هو الإله الأب بدلاً من أوزوريس ليناسب اليونانيين والمصريين .

ولم يكن المصريون يعبدون الثالوث على أنهم آلهة أو أرباب منفصلة بل كانوا يعتقدون أنهم هيات ثلاث لإله واحد^(٤).

يقول زكى شنودة : " وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا أنهم يعملون معاً"^(٥).

وتقول المؤرخة المسيحية (بتشر) عن الديانة المصرية : " إن كثيرين من الكهنة والخواص كانوا لا يزالون يعتقدون بإله واحد فى ثلاثة أقانيم ، وأنه الفاعل لكل خير وأن بقية الآلهة ليست إلا (رمزاً) عن مظاهره وتجلياته المتعددة"^(٦).

(١) محمد على كمال الدين : الشرق الأوسط فى موكب الحضارة . الجزء الأول ص (١٤٦) .

(٢) أنطون زكري : الأدب والدين عند قدماء المصريين ص (٨١) .

(٣) ولز : موجز تاريخ العالم ص (١٦٩) .

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٥) تاريخ الأقباط (١ / ٣٦) ، راجع أيضاً : جنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٢٢) .

(٦) بتشر : تاريخ الأمة القبطية (١ / ٥) .

ولقد سأل أحد الملوك المصريين القدماء أحد الكهنة قائلاً: هل كان قبله أحد أعظم منه؟ أو هل يكون بعده من هو أعظم؟ فقال له الكاهن: نعم يوجد من هو أعظم هو أولاً الله، ثم الكلمة، ومعهما الروح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة هم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية^(١).

فالتثليث كان شائعاً بين المصريين على أنهم ثلاثة أقانيم لإله واحد.

(٤) التثليث عند البابليين والآراميين:

وفى الديانة البابلية تجدد أيضاً الاعتقاد بالتثليث.

وكان هناك أكثر من ثالث أهمما ما يلي:

الثالث الأول ويتكون من: أنو، أنليل، أيا.

أما الإله (أنو) فهو يأتي على رأس الآلهة البابلية، وقد نعتوه بأبى الآلهة وملك الآلهة، وتمثل السماء هذا الإله، ويقتسم هو والإلهان (أنليل، وأيا) فيما بينهم الكون. فيحكم الإله (أنو) السماء ولـ (أنليل) الهواء والجو، ولـ (أيا) الأرض والماء.

أما (أنليل) فهو يأتي بعد (أنو) فى المرتبة والمنزلة، وهو الإله الخاص بالهواء والجو والظواهر المتعلقة بهما، ويلقب مثل (أنو) بأبى الآلهة، ومعنى اسمه (السيد الهواء) أو (الرب الهواء) ويلقب بسيد البلدان

أما ثالث هذه الآلهة فهو (أيا) ويسمى كذلك (أنكى) وهو الاسم السومرى وهو يعنى سيد الأرض، وهو إله الحكمة والمعرفة، ولذلك يلقب برب الحكمة أو سيد الحكمة، ويده أسرار السحر المقدس والتعزيم، وهو الذى علم البشر. فى نظرهم - الكتابة والصنائع والفنون وأصل العمران، واشتهر بحبه الكثير للبشر^(٢)

(١) العقائد الوثنية ص (٢٦).

(٢) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (١ / ٢٤٧ - ٢٤٩)، وعن هذا الثالث راجع د/ محمد جابر عبد العال: فى العقائد والأديان ص (٨٢، ٨٣)، د/ محمد الصادق: تاريخ الفكر والحضارة ص (٦٣).

وهناك ثلاث اشتهر بين البابليين ويتكون من (سين) إله القمر، وشمش (إله الشمس) وإدد، وهو من الإلهة الخاصة بالجو والمناخ، ولا سيما الأمطار والرعد والفيضان وما شاكل ذلك^(١).

أما التثليث عند الآراميين^(٢) فهو قريب الشبه بتثليث البابليين، فكان عندهم أكثر من ثلاث.

فالثلاث الأول عندهم كان يتكون من (أنو) الإله الأعظم أبو الآلهة ورب الظلمات والمسيطر على العالم الأسفل وعلى الكنوز المخيفة فى السماء والأرض.

وأما الإله الثانى فهو (بل) - بعل - رب العالم الروحانى المسيطر على جميع الأقاليم وعلى جميع الأرواح فى العوالم الثلاثة: الأرض، والسماء، والهاوية.

وأما الإله الثالث فهو (حيا) ويوصف بأنه الهادى إلى الرشاد، العاقل، رب العالم المسيطر على الحياة، وعلى ما فيها من معرفة ونبل ونور وحضارة.

وكانوا يرسمون صورة مجسمة لكل من هؤلاء الآلهة، فكانت صورة (أنو) على شكل إنسان ذى لحية طويلة كثة، وكانت صورة (بل) - بعل - على شكل ملك عظيم وقور يجلس على عرش فخم، وكانت صورة (حيا) ذات أجنحة أربعة مبسطة^(٣).

ويلى هذا الثلاث ثلاث آخر هو نفسه الثلاث الثانى عند البابليين مع اختلاف بعض الشئ فى التفاصيل^(٤).

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الثلاث: راجع المراجع السابقة والصفحات المشار إليها وما بعدها.
(٢) ينسب الآراميون إلى آرام بن سام بن نوح (تكوين ١٠ : ٢٢) كانوا فى أول أمرهم قبيلة من القبائل السامية لها مميزات خاصة تنتقل فى البادية فى الشمال الإفريقى من جزيرة العرب على حدود بلاد العراق، وكانوا يكفون فى البداية بالصيد ورعى الماشية، ويكثرون من الإغارة على بلاد العراق، وانتهى أمرهم إلى الاستقرار بعض الوقت فى بعض جهات سوريا، وفى (ميزوبوتاميا) العليا فى حوض الفرات، حيث أسسوا لهم دولة قوية وعاشوا عيشة حضارة ومدنية. (حامد عبد القادر : الأمم السامية ص ١٠٤).

(٣) المرجع السابق ص (٩٦).

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع المرجع السابق ص (٩٧).

(٥) التثليث عند الصينيين:

وكان لدى الصينيين أيضاً اعتقاد بالتثليث.
والثالث الصينى يتكون من (تى ين) و (تشانج) و (تشانج تى ين).
و (تى ين) هو الإله المجهول غير المنظور.
و (تشانج) هو الروح الذى حلت فى أرواح الآباء والأجداد والملوك فصيرتهم
مقدسين، وبركتهم كانت كل الأشياء التى خلقت لهم، وسرت تلك الروح إلى
جميع المخلوقات من إنس وجن وحيوان وطير.
و (تشانج تى ين) هو إله الشمس وسياراتها، والقمر ونوروه، والأرض
والسما^(١).

(٦) التثليث عند اليونانيين والرومانيين:

جاء فى كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) ما يلى:
"وكان اليونانيون يقولون إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم
الذبايح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات (إشارة إلى الثالث) ويرشون
المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة
أصابع، ويعتقدون بأن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون
مثلثة، ولهم اعتناء تام بهذا العدد (التثليث) فى كافة أحوالهم الدينية"^(٢).
وقد نقل العلامة "دوان" عن أورفيوس الشاعر اليونانى الذى كان قبل المسيح
بعدة قرون ما نصه: كل الأشياء عملها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم^(٣).
وكان لدى الرومانيين أيضاً ثالث مقدس يتكون من:
(جوبيتر)، (جونون)، (مينرفا)، وكانوا يعتقدون أنه - أى الثالث - أقام نهائياً
على تل الكابتول (قلعة روما)^(٤).

(١) محمد فؤاد الهاشمى: سر إسلامى ص (٥٠)، راجع للمؤلف نفسه: الأديان فى كفة الميزان ص (٣٢).

وحوار بين مسيحي ومسلم ص (١١٤، ١١٥).

(٢) العقائد الوثنية ص (٢٩).

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) روما والشرق الرومانى ص (٤٢، ١١٩)، راجع أيضاً: حضارة روما ص (٢٥).

وفى كتاب العقائد الوثنية " وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو أولاً الله ثم الكلمة ثم الروح " (١).

هذه هى أهم الأمم والشعوب التى كانت تدين بالتثليث وتعتقد به (٢).

(٧) التثليث فى الفلسفة الأفلاطونية الجديدة:

والأفلاطونية الجديدة يمكن تعريفها - كما يقول يوسف كرم - بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية، أو دين مفلسف، وهى مذهب قام على أصول أفلاطونية، وتمثل عناصر من جميع المذاهب الفلسفية ودينية يونانية وشرقية بما فى ذلك السحر والتنجيم والعرافة، غير أن رجاله حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليونانية خالصاً (٣).

" وقد ظهرت هذه المدرسة فى الإسكندرية ملتقى طرق الشرق والغرب، ففيها كانت توجد مؤثرات دينية فارسية وبابلية وبقايا الشعائر المصرية القديمة، وطائفة يهودية قوية تمارس عقيدتها الخاصة، وفرق مسيحية، ويضاف إلى هذا كله خلفية عامة من الحضارات الهلينستية " (٤).

يقول برتراند رسل: " ويقال إن مؤسس المدرسة الأفلاطونية الجديدة هو " أمونينوس ساكاس " الذى لا يعرف عنه إلا القليل، ولكن أهم تلاميذه كان أفلوطين (٢٠٤ - ٢٧٠ م) الذى هو أعظم الفلاسفة الأفلاطونيين الجدد، وقد ولد فى مصر " ودرس فى الإسكندرية حيث عاش فيها حتى عام ٢٤٣ م " (٥).

والنظرية الأساسية فى فلسفة أفلوطين هى قوله بالثالث الذى يتألف من : الواحد، والعقل، والنفس.

والعنصر الأول فى هذا الثالث هو الواحد.

(١) العقائد الوثنية ص (٢٩ ، ٣٠).

(٢) لمزيد من التفاصيل عن شعوب أخرى تعتقد بالتثليث المرجع السابق ص (٣٠ ، ٣٥).

(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٢٨٥).

(٤) برتراند رسل : حكمة الغرب (١ / ٢٢٦).

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

يقول ول ديورانت عن هذا العنصر: "من وراء الكائن يوجد الواحد وفي خلال الفوضى الظاهرية البادية في التعدد الدنيوى تسرى الحياة الموحدة، ولا نكاد نعرف عن هذا الواحد إلا أنه موجود، وكل صفة موجبة نصفه بها أو ضمير متخيف نخله محله تحديد له غير لائق به، وكل ما نستطيع أن نسميه به هو أنه واحد، وأول، وخير، وأنه هدف رغبتنا العليا"^(١).

فلا يمكن أن نقول عنه - فى نظر أفلوطين - أكثر من أنه يوجد وأنه واحد وأول، أما تقديم أى وصف له فيعنى أن هناك أشياء أخرى أعظم منه"^(٢).

والعنصر الثانى فى ثالث أفلوطين هو ما يسميه بالعقل أو النوس وهى كلمة - كما يقول برتراند رسل - يكاد يكون من المستحيل إيجاد ترجمة مطابقة لها، والمقصود هنا شئ يشبه الروح لا بمعنى صوفى بل بمعنى عقلى، وخير سبيل إلى إيضاح العلاقة بين النوس والواحد هو استخدام تشبيه، فالواحد أشبه بالشمس التى تبث نورها الخاص، وعندئذ يكون النوس هو ذلك النور الذى يرى به الواحد ذاته، ويمكن بمعنى معين أن نسميه الوعى الذاتى"^(٣).

والنفس هى العنصر الثالث فى ثالث أفلوطين، "وهى وإن تكن أدنى منزلة من العقل إلا أنها خالقة الكائنات الحية جميعاً، فهى التى خلقت الشمس والقمر والنجوم وسائر العالم المرئى جميعاً، وهى وليدة العقل الإلهى"^(٤).

"وهى تتصف بطبيعة مزدوجة فهى فى جانبها الداخلى تتجه إلى أعلى صوب العقل (أو النوس)، أما مظهرها الخارجى فيهبط بها إلى عالم الحس الذى تكون خالقة له"^(٥).

وهكذا يتضح لنا أن ثالث أفلوطين يتكون من: الواحد وهو الموجود الذى لا يوصف بما تتصف به الحوادث، والعقل وهو أول شئ صدر عن هذا الواحد كأنه

(١) قصة الحضارة مجلد ٣ (٣ / ٣٠٣).

(٢) حكمة الغرب (١ / ٢٢٨).

(٣) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٤) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول) ص (٤٢٦).

(٥) حكمة الغرب (١ / ٢٢٩).

يتولد منه (فالوجود الكامل يلد دائماً موضوعاً سرمدياً، يلد موجوداً أدنى منه ولكنه الأعظم بعده، وهو العقل الكلى الذى هو كلمة الواحد وفعله وصورته، ولكن الواحد ليس عقلاً، فكيف يلد العقل؟ ذلك بأن يرى باتجاهه إلى ذاته وهذه الرؤية هي العقل " الكلمة)^(١).

وعن العقل تنبثق النفس وهى الخالقة للكائنات الحية.

الصلة بين التثليث المسيحى والتثليث الوثنى والادعاء المسيحى بأن مصدرهما واحد

لقد تبين لنا مما سبق أن عقيدة التثليث كانت شائعة فى معظم الديانات الوثنية، وعليه فالمسيحيون ليسوا أول القائلين بها.

هذا وقد وضع من العرض السابق أن هناك تقارباً شديداً وتشابهاً كبيراً بين الوثنيين والمسيحيين فى تصوير وفهم عقيدة التثليث والتعاليم حولها .

والسؤال الآن : ما الصلة بين التثليث المسيحى والتثليث الوثنى؟

لابد أن هناك صلة بينهما، فالوثنية كانت منتشرة وقت ظهور المسيحية وكانت عقيدة التثليث إحدى عقائدها.

والمسيحية حين ظهرت لم يكن التثليث واحداً من عقائد هذه الديانة، فلا نجد له دليلاً خالصاً فى كتب المسيحيين المقدسة لديهم، ثم بعد فترة من الزمن أصبح الثالوث هو العقيدة الأساسية والركيزة الأولى فى الديانة المسيحية.

لقد شعر المسيحيون بذلك فأجابوا على هذا السؤال بما يفيد أن هناك صلة بينهما تمثل فى أن المصدر واحد. وهذا المصدر - فى نظرهم - هو الله سبحانه وتعالى.

يقول حبيب سيعد: " هذه العقيدة - الثالوث - منتشرة فى أهم الأديان الوثنية قديماً وحديثاً، ففي ديانة الفينيقيين نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة من مستعمراتهم ثالوث، وكان للمصريين أيضاً ثالوث هو أوزيريس - وإيزيس - وحورس، وللهنود ثالوث برهما وفشنو وسيفا، وعند الصينيين ثالوث

(١) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٢٩١).

يعبرون به بمثلث متساوى الأضلاع والزوايا. وإن قيل: ما علاقة ذلك بالثالوث المسيحيين وهل أخذوه عن الوثنيين؟

أقول^(١) لم يأخذه المسيحيون عن الوثنيين غير أن عقيدة الثالوث فى المسيحية وغيرها مستقاة من مصدر واحد، مثل عقيدة وجود إله أو عبادة إله، فليس من أمة بلا معبود أو عبادة، ولم أذكر^(٢) وجود هذه العقيدة عند غير المسيحيين إلا للدلالة على أن مصدرها واحد هو الله نفسه، وأنها غير موضوعة وضعا من البشر، وإن تكن فى الوثنية مشوهة مبعثرة بعيدة عن الوجدانية السماوية^(٣).

ويقول القس ليب ميخائيل: "وبغير شك أن وجود عقيدة الثالوث فى ديانات الهنود والمصريين والفينيقيين والصينيين يؤكد أن مصدر الاعتقاد واحد، وهو إعلان الله ذاته منذ البدء للإنسان، لكن البشر شوهوا ما وصل إليهم من حق عن الله، واستبدلوه بالوث من ابتكار عقولهم التى انحرفت عن إعلانات الله"^(٤).

ويقول: "إن الناس قد عرفوا الله فى ثالوثه العظيم، ولكنهم فى ظلام عقولهم الغبية الحمقاء أبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بالوث من ابتكار مخيلتهم المريضة"^(٥).

فالمسيحيون أقروا بأن هناك صلة واضحة بين الثالوث الوثنى والثالوث المسيحى، وتفسير هذه الصلة يتمثل - فى نظرهم - فى ادعاء أن مصدرهما واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.

وهكذا يصل المسيحيون فى دفاعهم عن عقيدة التثليث إلى الاستشهاد بالديانات الوثنية، ليتخذوا منها أساساً لما يعتقدونه.

فإذا سألناهم عن المصدر الإلهى لهذه الوثنيات لم نجد جواباً إلا الصمت والحيرة، فكفى بهذا خسراناً وضلالاً.

(١) الكلام لا زال للمؤلف المسيحى (حبيب سعيد).

(٢) الكلام لا زال لـ (حبيب سعيد).

(٣) أديان العالم ص (٣٠٤، ٣٠٥).

(٤) القس ليب ميخائيل: هل المسيح هو الله؟ ص (٥٦، ٥٧).

(٥) المرجع السابق ص (٥٧).

والواقع أن ما يدَّعونهُ محض افتراء على الله سبحانه وتعالى، فالرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن آدم لم يؤمر واحد منهم بأن يبلغ الناس أن الله مثل الأقانيم، ولا يوجد في أقوالهم وتعاليمهم ما يدل على هذا الاعتقاد.

وهذا هو العهد القديم الذى يؤمن به المسيحيون - برغم ما فيه - لا نجد فيه أية إشارة أو أية مقولة لنبى أو رسول يدعو الناس فيها إلى التثليث، بل والأنجيل المسيحية الحالية - على علاقتها - ليس فيها أى قول للمسيح عليه السلام يدعو الناس فيه إلى الاعتقاد بالتثليث.

كيف يدعى المسيحيون أن مصدر هذه العقيدة هو الله مع أننا لا نجد فى أى كتاب من الكتب السابقة أى إشارة لذلك؟ كيف يكون ذلك وكتب المسيحيين - برغم ما فيها من تحريف - لا تصرح بهذه العقيدة؟

ولو كان التثليث من عند الله لكان الواجب على موسى وجميع الأنبياء والرسل أن يبينوه للناس حق التبيين، بل لكان من الواجب على المسيح عليه السلام أن يوضحه للناس.

إن كتب وأقوال الأنبياء والرسل خالية تماماً من التصريح أو الإشارة بأى وجه كان إلى دعوة الناس إلى هذه العقيدة.

فكيف يكون بعد ذلك مصدر هذه العقيدة هو الله؟ وما دليلهم على ذلك؟

والعجيب أن (حبيب سعيد) نفسه هو الذى قال " ولم نر عقيدة الثالث فى الكتاب المقدس كنظام تعليمى كما هو فى قوانين الإيمان وعقائد الدين " (١)

يقولون إن مصدر عقيدة التثليث هو الله، ثم بعد ذلك يقولون إن الكتاب المقدس - الذى هو عندهم من الله - لا يوجد فيه هذه العقيدة، أى تناقض هذا؟ إذا لم تكن فى الكتب المقدسة عندهم، فكيف يكون مصدرها هو الله؟

لا مناص إذن من القول إنه إذا كانت عقيدة التثليث من الله والكتاب المقدس لا يصرح بها ولا يوضحها، فمعنى ذلك أنكم تقولون بتحريفه وكذبه على الله لأنه

حرف ما أنزل الله. وأنتم أيها المسيحيون متهمون بتحريف الأناجيل والكتب المقدسة الأخرى حيث لم يذكر فيها شئ عن هذه العقيدة.

وعلى ذلك فأمام المسيحيين أمران: إما أن تكون عقيدة التثليث من الله، والكتب المقدسة ليست من عند الله، فهي محرفة ومبدلة وغير صحيحة ولا يعتمد عليها في بيان الأصول والفروع.

أو أن الأناجيل صحيحة يعتمد عليها، لأن أناس الله القديسين كتبوها بوحي من الله^(١) كما تقولون. وتكون عقيدة التثليث من العقائد الدخيلة على الديانة.

والتسليم بأحدهما هدم للديانة المسيحية وعقائدها. ومن ناحية أخرى فإن الأمر الذى لا شك فيه هو أن الوثنيين المعتقدين بالتثليث قد انحرفوا عن الطريق الصحيح لفطرة الله ووحى الله حين اعتقدوا بالتثليث والشرك والوثنية.

فالترجيح فطرى في الإنسان، وإذا أردنا الاستدلال على ذلك من المصادر الإلهية الموثقة لم نجد إلا تأكيداً لعقيدة التوحيد الخالص، منذ خلق آدم إلى مبعث محمد عليه الصلاة والسلام.

يقول د / عوض الله حجازى: " لقد ذهب جمهور أهل السنة من المسلمين إلى أن عقيدة التوحيد فطرية واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية"^(٢)

من هذه الأدلة قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ سورة الأعراف: ١٧٢.

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية: " يخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلاهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه"^(٣).

(١) بطرس ١: ٢١.

(٢) د / عوض الله حجازى: مقارنة الأديان ص (٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦١).

وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء : ٢٥.

ومن هنا كان الاعتراف بالوحدانية لله تعالى أمراً مقررأ ومعترفأ به لدى الناس جميعأ منذ خلقهم الله تعالى، وأما الشرك والكفر، والتعدد والبعد عن العقيدة السليمة فأمر عرض للإنسانية بعد ذلك^(١).

فالتوحيد هو العقيدة التى أوحى الله بها إلى أنبيائه ورسله ليلفونها إلى البشر. فدين الأنبياء والرسل جميعأ هو التوحيد الخالص المنزه من الشوائب والنقائص، وهو العقيدة التى أوحى الله بها إلى آدم عليه السلام أبى البشر.

يقول الله لآدم ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ سورة البقرة : ٣٨، ٣٩.

ويقول سبحانه ﴿قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٣٩﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴿٤١﴾ قَالَ كَذَلِكِ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكِ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿٤٢﴾ وَكَذَلِكِ نَحْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ سورة طه ١٢٣ - ١٢٧.

فالجماعة الإنسانية الأولى لم تترك شأنها تستلهم غرائزها وحدها - بغير مرشد ومذكر - بل تعهدتها السماء بنور الوحي من أول يوم فكان آدم أبو البشر أول المؤمنين الموحدين وأول المتضرعين الأوابين^(٢).

"إن الأخبار المقدسة خاصة الواردة فى القرآن الكريم تحدثنا عن أن التدبير كان مصدره الوحي ابتداءً، وأنه الصورة الأولى التى عرفها الإنسان وتعلمها ووقف عليها"^(٣).

(١) د/ عوض الله حجازى : مقارنة الأديان ص (٣٧).

(٢) المرجع السابق ص (٤٣).

(٣) د/ عبد الله الشاذلى : الحكمة العربية ص (٢٦٣).

كل هذا يدل على أن الأديان التي اعتقدت بالتثليث كانت في أول عهدها تؤمن بالتوحيد ثم انحرفت فأدخلت التعدد والوثنية.

"ألا وإننا نعرف بالاستقراء أن كل واحدة من هذه الديانات بدأت بعقيدة التوحيد النقية ثم خالطتها الشوائب والأباطيل على طول العهد^(١)."

لقد بدأ الإنسان إذن موحداً بالله سبحانه وتعالى فطرياً^(٢) وعن طريق الوحي السماوي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى على أبي البشر آدم عليه السلام.

ولكن الإنسان حاول بعد ذلك التدخل في هذا الوحي السماوي فبدأ يشوه العقيدة الصحيحة ويضيف إليها ويخلطها بأهوائه، فأضاف الألوهية إلى كثيرين، وأصبح التعدد في الألوهية أمراً مألوفاً لديه.

والقرآن الكريم يشير إلى أن هذا التدخل بدأ منذ فترة طويلة وذلك قبل زمان سيدنا نوح عليه السلام بقليل^(٣)

فلقد عبد الناس سبعة من الصالحين بعد موتهم^(٤)، فنصبوا لهم التماثيل والأوثان يعبدونها من دون الله، ولذلك أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى العبادة الصحيحة وترك هذه الأوثان التي عبدوها من دون الله.

يقول سبحانه ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿ سورة نوح - ٢٣ - ٢٤.

وكان الناس قبل هذا الزمان - كما يشير القرآن الكريم - أمة واحدة على الإيمان بالله وتوحيده فلما اختلفوا أرسل الله إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ... يقول سبحانه

(١) د / محمد عبد الله دراز : الدين ص (١١٦).

(٢) نقصد بالتوحيد الفطري هو توحيد الربوبية.

(٣) يقول أبو زيد البلخي "وعبادة الأوثان دين كان موجوداً قبل نوح عليه السلام بدلالة قوله تعالى (وقالوا لا تذر آلهم ولا تذر ولدًا ولا سواعا ...) سورة نوح آية ٢٣ ، راجع مفاتيح الغيب (٣٠ / ١٤٣) .

(٤) راجع تفسير ابن كثير (٤ / ٤٢٦) .

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ سورة البقرة : ٢١٣.

يقول جمهور العلماء: " كان الناس على دين واحد هو الإيمان والحق فلما اختلفوا أرسل الله إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين "(١).

ويقول سبحانه ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ سورة يونس : ١٩.

يقول ابن كثير - فى معنى هذه الآية واتصالها بما قبلها - : " ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث فى الناس كائن بعد أن لم يكن وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد هو الإسلام "(٢).

والسؤال الآن : لماذا اتجه الإنسان إلى الشرك والوثنية والتعدد؟

لماذا اتجه الإنسان إلى التثليث؟ وما مصدره؟(٣).

الحق أن الاتجاه إلى الوثنية عامة نشأ نتيجة لانحراف الإنسان عن فطرة الله ووحيه ، واتباعه لشهواته وأهوائه.

ولقد أجاب العلماء عن هذا السؤال بإجابات كثيرة.

وقد أورد الإمام فخر الدين الرازى وجوهاً سبعة للإجابة عن هذا السؤال.

الوجه الأول:

هذه المقالة إنما تولدت من مذهب القائلين بأن الله جسم ، وفى مكان ، وذلك لأنهم قالوا إن الله نور هو أعظم الأنوار ، والملائكة الذين هم حافون حول العرش الذى هو مكانه هم أنوار صغيرة بالنسبة إلى ذلك النور الأعظم ، فالذين اعتقدوا هذا المذهب اتخذوا صنماً هو أعظم الأصنام على صورة إلههم الذى اعتقدوه واتخذوا

(١) راجع مفاتيح الغيب (٦ / ١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤١١).

(٣) إننا نفصل القول هنا فى تاريخ التثليث حتى يتبين مدى افتراء المسيحيين على الله سبحانه وتعالى بنسبة التثليث إليه على أنه مصدره ، فالتثليث على مر العصور شرك وكفر ووثنية وخروج على الدين الصحيح ، وبعد عن الوحي السماوى.

أصناماً متفاوتة بالكبر، والصغر، والشرف، والخسة، على صورة الملائكة المقربين، واشتغلوا بعبادة تلك الأصنام على اعتقاد أنهم يعبدون الإله والملائكة، فدين عبادة الأوثان إنما ظهر من اعتقاد التجسيم.

الوجه الثاني:

وهو أن جماعة الصابئة كانوا يعتقدون أن الإله الأعظم خلق هذه الكواكب الثابتة والسيارة وفوض تدبير هذا العالم السفلى إليها، فالبشر عبيد هذه الكواكب، والكواكب عبيد الإله الأعظم، فالبشر يجب عليهم عبادة الكواكب، ثم إن هذه الكواكب كانت تطلع مرة وتغيب أخرى فاتخذوا أصناماً على صورها واشتغلوا بعبادتها، وغرضهم عبادة الكواكب.

الوجه الثالث:

أن القوم الذين كانوا في قديم الدهر كانوا منجمين على مذهب أصحاب الأحكام في إضافات سعادات هذا العالم ونحوساتها إلى الكواكب فإذا اتفق في الفلك شكل عجيب صالح لطلسم عجيب فكانوا يتخذون ذلك الطلسم، وكان يظهر منه أحوال عجيبة وآثار عظيمة، وكانوا يعظمون ذلك الطلسم ويكرمونه ويشغلون بعبادته، وكانوا يتخذون كل طلسم على شكل موافق لكوكب خاص ولبرج خاص، فليل كان (ود) على صورة رجل. و (سواع) على صورة امرأة. و (يغوث) على صورة أسد. و (يعوق) على صورة فرس. و (نسر) على صورة نسر.

الوجه الرابع:

أنه كان يموت أقوام صالحون، فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم ويشغلون بتعظيمها، وغرضهم تعظيم أولئك الأقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله وهو المراد من قولهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ سورة الزمر : ٣.

الوجه الخامس:

أنه ربما مات ملك عظيم، أو شخص عظيم، فكانوا يتخذون تماثلاً على صورته وينظرون إليه، فالذين جاءوا بعد ذلك ظنوا أن آباءهم كانوا يعبدونها فاشتغلوا بعبادتها لتقليد الآباء، أو لعل هذه الأسماء الخمسة وهي (ود - وسواع - ويغوث -

ويعوق - ونسر) أسماء خمسة من أولاد آدم فلما ماتوا قال إبليس لمن بعدهم: لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم، ففعلوا. فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم.

الوجه السادس:

الذين يقولون إنه تعالى جسم. وأنه يجوز عليه الانتقال والخلول، لا يستبعدون أن يحل تعالى في شخص إنسان، أو في شخص صنم، فإذا أحسوا من ذلك الصنم المتخذ على وجه الطلسم حالة عجيبة، خطر ببالهم أن الإله حل في ذلك الصنم.

الوجه السابع:

لعلهم اتخذوا تلك الأصنام كالمحراب، ومقصودهم بالعبادة هو الله "١".

وهذه الأوجه السبعة صورت كل العلل التي اتجه الإنسان بسببها إلى التعدد والشرك والوثنية على مر العصور. فلا يخلو أى اتجاه للشرك والوثنية - غالباً - من أن يكون له وجه من الوجوه السبعة السابقة.

والذى يهمنا هنا هو أن نبين أى الوجوه السبعة يمكن أن ينطبق عليها بداية الاتجاه إلى الوثنية.

والرأى الراجح - فى نظرى - أن الوجه الخامس هو الذى يمكن أن يمثل بداية اتجاه الإنسان إلى الشرك والوثنية. والذى يدل على أن الناس اتجهوا للوثنية والانحراف عن شرع الله ووحىه نتيجة تعظيمهم أشخاصاً - ملوكاً كانوا أم عباداً صالحين - أو أقواماً صالحين، فلما ماتوا اتخذوا تماثيل على صورهم، وحين تطاول الزمن عليهم اعتقد الناس أن آباءهم كانوا يعبدونها ويتجهون إليها بالعبادة والخضوع.

وهذا الرأى هو الذى تدل عليه الأدلة، والنرى ترجح أن يكون هو السبب فى اتجاه الإنسان إلى الوثنية والشرك.

فالقرآن الكريم يشير إلى أن حجة الوثنيين والمشركين على مر العصور والأزمان ومع معظم الأنبياء والرسل^(١) ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَالِكَ يَفْعَلُونَ﴾ سورة الشعراء : ٧٤.

يقول سبحانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَارٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ سورة النمره : ١٧٠.

فالمشركون وعبداء الأصنام زمن الخليل إبراهيم عليه السلام حينما دان يدعوهم إلى الإيمان يقولون له ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا هَٰذَا عِبَادِي﴾ سورة الأنبياء : ٥٣.

وموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما الله إلى فرعون وملائه وطلبا منهم الإيمان بالله وحده لا شريك له، قالوا لهما ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ سورة يونس : ٧٨.

وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين دعا المشركين إلى الإيمان بالله قالوا له ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ سورة المائدة : ١٠٤.

كذلك يشير القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى أخذ على بنى آدم العهد والميثاق أن يؤمنوا به ولا يشركوا به شيئا، وألا يتعللوا بأن آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم أشركوا من قبل، وأنهم قلدهم في ذلك. يقول سبحانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٣٠﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ سورة الأعراف ١٧٢، وفي هذا تأكيد على أن تقليد الآباء هو سبب أساسى فى نقص

(١) وكذلك يوضح القرآن الكريم أن هذه هى حجتهم فى كل حياتهم عامة، فإذا اختبرهم الله بياس أو ابتلاهم بشدة ليتضرعوا، لم يفعلوا ذلك، فإذا قلب عليهم الحال إلى الرخاء ليشكروا فما فعلوا ذلك ثم قالوا قد مس آباؤنا الضراء والسرء. يقول سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالطَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿١٣٠﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاؤُنَا الطَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣١﴾﴾ سورة الأعراف : ٩٤ - ٩٥.

راجع تفسير ابن كثير (٢ / ٢٣٣).

العهد والميثاق، والانحراف عن توحيد الله وتنزيهه، والإشراك بالله بحجة إشراك الآباء من قبل.

بل إن القرآن الكريم يشير غالباً والله أعلم بالصواب - أن البداية الفعلية للاتجاه إلى الفحش عامة هو الاعتقاد بتقليد الآباء والأجداد.

ففى سورة الأعراف يوجه الله سبحانه وتعالى - بعد قصة آدم وتوبته - نداء إلى بنى آدم يطلب منهم الحذر من الشيطان الذى يغريهم فينزِع عنهم لباس الإيمان والتقوى، ثم يبين المولى بعد ذلك العلة الأساسية التى يتذرع بها بنو آدم لإتيان الفحش فيقول ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف : ٢٨.

فالبشر اتجهوا إلى الوثنية بسبب اتخاذهم تماثيل وصوراً للأبطال أو الصالحين، ثم بعد ذلك اعتقد أبناؤهم أن آباءهم كانوا يعبدونها من دون الله فعبدوا هذه التماثيل والأصنام.

والآثار تدل على أن الآلهة الخمسة التى كان يعبدها قوم نوح كانوا فى الأصل عبادة صالحين فزين لهم الشيطان بعد أن ماتوا أن يصوروهم على هيئة تماثيل وصور حتى يتذكروهم^(١) ثم بعد ذلك عبدت هذه التماثيل وتلك الصور.

ومن وقتها بدأ الناس يتخذون آلهة وثنية، وأصبح التعدد فى الألوهية بالنسبة لهم أمراً مألوفاً.

ولقد كان التثليث تحديداً لهذا التعدد، فالبطل أو الصالح الذى أصبح إلهاً تكون زوجته وابنه هم أحق الناس بأن يشاركوه الألوهية.

يقول د/ أحمد شلبى : " أما التثليث فلعله كان تحديداً لهذا التعدد الذى بولغ فيه أحياناً، ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة التى بدأت منذ فجر التاريخ، وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه إلى أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه

(١) راجع تفسير ابن كثير (٤ / ٢٤٦). تفسير القرطبي (٢٨ / ٣٠٧، ٣٠٨).

مكان الألوهية، وتسجد لهما الجماهير وينجب الزوجان ويعين البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد فتسجد له الجماهير أيضاً، ويتم بذلك الثالث، تلك هى الفكرة الأولى للتثليث، ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة وأصبح الثالث معروفاً لكثير من الأمم^(١).

هذا هو تاريخ التثليث لا نجد فيه أى آثار لوحى من الله سبحانه وتعالى، إنما هو فى الأصل - كما هو الآن كذلك - انحراف عن شرع الله ووحيه.

وعلى هذا فالصلة التى ادعاها المسيحيون بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى - على أنهما من مصدر واحد هو الله - صلة غير صحيحة، فهذا القول فيه انتراء على الله سبحانه وتعالى، وافتراء على رسل الله، وافتراء على الكتب المنزلة من عند الله، بل وافتراء على التاريخ الإنسانى الذى بدأ بالتوحيد المنزل من عند الله ثم انحراف الإنسان عن هذا التوحيد إلى الشرك والوثنية والتعدد.

الصلة الحقيقية بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى:

والصلة الحقيقية بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى هى صلة أخذ وتأثر، ولا يقول عاقل إن الوثنية هى التى أخذت أو هى التى تأثرت بالمسيحية فالثالث الوثنى كان منتشراً فى معظم الأديان الوثنية قبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

فالمسيحية هى التى أخذت وهى التى تأثرت بالتثليث الوثنى، وهذه نتيجة لما سبق، فالتثليث المسيحى لا يدل عليه دليل من نقل أو عقل، ولم يقل به نبي أو رسول من الرسل، ولم يدع إليه المسيح عليه السلام، حتى الكتب - التى يدعون قدسيّتها - ليس فيها أدلة واضحة وقطعية عن التثليث، كل الأدلة التى أوردها المسيحيون منها أدلة ظنية ومحتمة، بل واحتمال الاستدلال بها على التثليث من أبعد الوجوه المحتملة.

وعلى هذا فالمصدر الصحيح للتثليث المسيحى هو التثليث الذى كان منتشراً وقت ظهور المسيحية فى معظم بلدان العالم، حتى الأقوام الذين لم يكن التثليث من بين

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص (١٣٠ ١٣١).

معتقداتهم الأصلية أخذوه من الأديان الشرقية ، أو على الأقل علموا به أو هم كانوا يعتقدون بالتعدد على أى وجه من الوجوه.

ولقد ساعد على انتشار عقيدة التثليث - وغيرها من المعتقدات الوثنية - وقت ظهور المسيحية الروح الدينية التى كانت تتميز بها البلاد آنذاك . وهى روح التسامح والمزج الدينى إزاء الأديان الأخرى . ولم يمنع الرومان ذلك ، بل ساعدوا عليه وذلك بأن تدينوا بالمعتقدات الشرقية واليونانية.

فلقد أخذ اليونان والرومان المعتقدات الشرقية وتدينوا بها ومزجوها بمعتقداتهم فانتشر بينهم الثالث المصرى بعد أن مزجوه بمعتقداتهم ، وكانت الطريقة التى اتبعها الرومان واليونان آنذاك إزاء آلهة الأديان الأخرى " إما أن يحتضنوها ويعبدوها جنباً إلى جنب مع الآلهة التى كانوا يعرفونها من قبل ، وإما أن يسلموا بها باعتبارها موضعاً للعبادة من شعب آخر ، أو أنهم يقرنون القوى الجديدة بالكائنات العلوية الخاصة بهم ، وقد يتخذون من ذلك الاسم الأجبنى لقباً لإلههم المحلى ، أو يكتفون بالقول بأن هذا الشعب أو ذاك يعبد إلهاً من الآلهة التى يعرفونها هم ، وإن كان هذا الشعب المقصود يطلق عليه اسماً مخالفاً^(١) .

وعلى كل الأحوال كانت المعتقدات الوثنية المختلفة للشعوب المختلفة كلها - أو معظمها - معروفة فى معظم بلاد العالم آنذاك ، وكان من أهم هذه العقائد (التثليث) .

وحين دخل الوثنيون المسيحية دخلوها وأذهانهم مليئة بالمعتقدات الوثنية ، فكان كل واحد منهم لا يستطيع فهم المسيحية بغير ما هو ممتزج بفهمه وعقله ، ومغروس فى قلبه ، وعن طريق هؤلاء الوثنيين دخلت المعتقدات الوثنية . وكان أهم هذه المعتقدات - التى دخلت على أيدي الوثنيين - عقيدة التثليث .

فالتثليث فى المسيحية عقيدة وثنية انتقلت إليها عن طريق الوثنيين الداخلين فيها .

وقد أكد العلامة (جارسلاف كرينى) أستاذ الحفريات بجامعة إكسفورد : " وجود التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحى والثالوث الفرعونى الأمر الذى دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحى مأخوذ من الثالوث الفرعونى " (١).

ويقول ول ديورانت : " إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها.. ثم يقول : فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس " (٢).

ويقول المستشرق الفرنسى إميلينو : " إن روح الله القدس فى دستور الإيمان المسيحى إنما يقوم مقام (الآلهة الأم) فى علم اللاهوت المصرى مستدلاً على ذلك بأن كلمة (رواح) العبرية التى هى (روح) فى العبرية كلمة مؤنثة " (٣).

ويرى بعض الباحثين أن التثليث يمكن أن يكون مأخوذاً من الديانة الهندية (٤).
والصحيح - فى نظرى - أن المسيحية استقت أصول التثليث من كل الديانات الوثنية التى كانت تعتقد بالتثليث آنذاك خاصة وأن الوثنيين الذين دخلوا المسيحية وأدخلوا معهم عقائدهم الوثنية فى المسيحية لم يكونوا مصريين فقط أو هنوداً فقط ، بل كانوا من معظم الأمم الوثنية آنذاك.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : " والله إننى لا أرى من عجائب أطوار البشر وقلوبهم للحقائق ولبسهم الحق بالباطل أعجب وأغرب من وجود الديانة النصرانية فى الأرض ، ديانة بنيت على أساس التوحيد الخالص المعقول ، جعلوها ديانة وثنية بتثليث غير معقول أخذه من تثليث اليونان والرومان المقتبس من تثليث المصريين والبراهمة اقتباساً مشوهاً " (٥).

ولقد عملت المسيحية على أن تستوعب مزايا الديانات الوثنية - فى نظر أصحابها - حتى تكون مقبولة لدى كل الوثنيين ، ولذلك حينما وجد المسيحيون أن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة - التى تأثرت بالديانات الشرقية - فلسفت التثليث ، عملوا بكل

(١) راجع : الله واحد أم ثلاث ص (٨١).

(٢) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٧٦).

(٣) راجع : إيريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية (١ / ٣٦).

(٤) د / على عبد الواحد وفى : الأسفار المقدسة ص (١١٣).

(٥) تفسير المنار (٦ / ٧٧).

جهدهم أن يلصقوا بثالوثهم تلك الفلسفة، وهذا هو الذى حدا بكثير من الباحثين أن يعتقدوا أن الثالوث فى المسيحية مقتبس من الفلسفة الأفلاطونية.

يقول الشيخ أبو زهرة - بعد بيان قرارات المجمع المسكونى الثانى - وبذلك تم الثالوث الذى يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية^(١).

ويقول: "إن التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الإسكندرية كان يعلن على ألسنة بطاركتها، وأنهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بأرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح"^(٢).

ويقول: "وهنا يرد على النفس سؤال: أيهما استقى من الآخر؟ وأيها كان ينبوع؟ أخذت الأفلاطونية الحديثة من النصرانية أم أن النصرانية الحاضرة هى التى أخذت عن الفلسفة؟

إن الجواب عن هذا يقتضى تعرف السابق منهما، فالسابق بلا ريب أستاذ اللاحق، والزمن هو الذى يحكم ويفصل، إن مجمع نيقية هو الذى سار فى تقرير التثليث ووضع الأساس لمن بعده. وهذا المجمع كان فى سنة ٣٢٥م، والمسيحيون قبله كانوا على اختلاف كبير... وعلى ذلك يكون تثليث المسيحية كحقيقة مقررة متأخراً عن أفلوطين، لأن أفلوطين توفى سنة ٢٧٠م والتثليث لم يتكامل إلا فى آخر القرن الرابع، والمتقدم أستاذ للمتأخر كما يرجع العقل وكما يوجه الظن الذى لا يعد من الإثم"^(٣).

وهذا رأى يقول به د/ على عبد الواحد وفى فيقول: "ويظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة... فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة، وعقيدة التثليث التى استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى، وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كانت منتشرًا ومعروفًا قبل مجمع نيقية بأمد طويل. وأنه كان المذهب الفلسفى لمدرسة الإسكندرية، وأن بطريرك الإسكندرية الذى نشأ فى البيئة التى ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث فى مجمع نيقية. وفى المجمع القسطنطينى الأول، إذا لاحظنا هذا كله

(١) محاضرات فى النصرانية ص (١٦١).

(٢) المرجع السابق ص (١٥٧).

(٣) المرجع السابق ص (٤٣، ٤٥).

ترجح الاحتمال الذى ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية^(١).

ويقول ول ديورانت: "وأفلوطين هو آخر الفلاسفة الوثنيين العظام وهو مسيحي بلا مسيح، ولقد قبلت المسيحية كل سطر من أسطره تقريباً"^(٢).

فالتثليث المسيحي مشابه للتثليث الأفلاطونى - فى الأفلاطونية الحديثة - الذى كان منتشرًا قبل تقرير عقيدة التثليث، ولذلك فالتثليث المسيحي - فى نظر هؤلاء وغيرهم - مقتبس من الثالوث الأفلاطونى.

والرأى الراجح - فى نظرى - أن المسيحيين اعتقدوا بالتثليث أخذًا من الديانات الوثنية، ثم بعد ذلك أخذوا التبريرات الفلسفية، والتصورات العامة عن الثالوث والعلاقة بينهم من الفلسفة الأفلاطونية، خاصة وأن أفلوطين استقى تعاليمه الدينية من الديانات الشرقية.

فربما أخذت الأفلاطونية الحديثة فكرة الثالوث من الديانات الشرقية، ثم بعد ذلك صورت هذا الثالوث بتصوير فلسفى، وهذا التصوير هو الذى أخذته المسيحية، ولذلك إذا راجعت المجامع المسيحية وجدت المصطلحات المستخدمة فى المناقشات هى مصطلحات فلسفية استخدمتها الأفلاطونية الحديثة مثل (صدر الابن عن الآب) أو (تولد منه) ولذلك فهو (أزلى).. إلى آخره. فالثالوث الأفلاطونى يبين أن الأول هو الله والثانى هو العقل أو الكلمة الذى صدر عن الأول، ومن العقل انبثقت الروح، وهذه الفلسفة هى التى أخذتها المسيحية.

يقول ليون جوتييه: حقاً استند اللاهوت المسيحي مثل المذهب الأفلاطونى الجديد إلى مذهب التثليث، فالأقانيم الثلاثة الإلهية هى نفسها لا تختلف فيهما، الأول هو الله الذى لا يوصف ولا يحيط به إدراك، الله الذى يحوى فى وحدته كل الكمالات إذ كان منبعها هو الخير المطلق، وقد أطلق عليه المسيحيون اسم الآب، والثانى أو الابن هو الكلمة وهو كذلك العقل الإلهى، والثالث هو دائماً الروح روح القدس^(٣).

(١) الأسفار المقدسة ص (١١٣).

(٢) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٣٠٤).

(٣) ليون جوتييه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ص (١٤٣، ١٤٤).

ولذلك نجد بعض الاختلافات الهامة بين الثالوث المسيحى وثالوث الأفلاطونية الجديدة. فالأفلاطونية لا تقول بأن الثالوث متساو فى الصفات الإلهية، فالثانى أدنى من الأول والثالث أدنى من الثانى^(١).

وهذا يدل على أن المسيحية أخذت فلسفة الثالوث فقط من الأفلاطونية الحديثة.

والخلاصة:

أن المسيحية استقت أصول عقيدة التثليث من مواد وثنية من الديانات الشرقية، ثم استقت الطابع الفلسفى من الفلسفة الأفلاطونية. ولكى يضمن المسيحيون عدم مخالفتهم للعهد القديم المصرح بالتوحيد أضافوا إلى عقيدة التثليث فكرة أن الثالوث واحد، وحاولوا بكل جهدهم التوفيق بين الوحدانية والتثليث وحاولوا الاستدلال على ذلك ولكنهم لم يستطيعوا.

قانون الإيمان المسيحى مأخوذ من الوثنية

ولم يقتصر أخذ المسيحيين لعقيدة التثليث وشرحها من الأصول الوثنية بل وجد الباحثون أن قانون الإيمان الهندى الوثنى يشبه تماماً قانون الإيمان المسيحى المشتمل على التثليث.

يقول الأستاذ (مالفير) فى كتابه المطبوع سنة ١٨٩٥م وترجمه إلى العربية (نحلة بك شفوات سنة ١٩١٣م) ما يلى: تؤمن (سافىسترى) أى الشمس إله واحد ضابط الكل، خالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد (أتى) أى النار نور من نور، ومولود غير مخلوق، تجسد من (فايو) أى الروح فى بطن (مايا) العذراء، وتؤمن (بفايو) الروح الحى المنبثق من الأب والابن الذى هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد.

فالثالوث القديم هو سافىسترى (الشمس) أى الأب السماوى، وآتى (النار) أى الابن وهو النار المنبعثة من الشمس، وفايو (نفخة الهواء) أى الروح، هو أساس المذاهب عند الشعوب الإيرانية أى الهند القدماء^(٢).

(١) المرجع السابق ص (١٤٤).

(٢) مالفير: تاريخ الخلفاء ص (١٠٠٩).

ولو قرأنا قانون الإيمان المسيحي لوجدنا التشابه والتطابق الكامل. وبرغم أننا ذكرنا هذا القانون سابقاً، لكننا نذكره هنا مرة ثانية لندكر القارئ به، ولنرى مدى التشابه بينه وبين قانون الإيمان الهندي.

يقول قانون الإيمان المسيحي "نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل خالق السموات والأرض ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس، وصلب على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه، وسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس للملكة انقضاء، وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الناطق بالأنبياء"^(١).

ويلاحظ هنا التشابه التام والتطابق الكامل لكل من القانونين. فلو حذفت بعض العبارات التفصيلية في قانون الإيمان المسيحي لوجدته هو نفسه قانون الإيمان الهندي. وهكذا يتضح بجلء أن عقيدة التثليث في المسيحية مأخوذة من الوثنية، وأن قانون الإيمان المسيحي المشتل على هذه العقيدة مأخوذ من قانون الإيمان الهندي الوثني، فهو يشبهه تماماً في كل فقراته وألفاظه ومعانيه.

رد موجز على عقيدة التثليث:

إن عقيدة التثليث متهافة من كل الجوانب:

١- فهي عقيدة لم ينطق بها نبي من الأنبياء ولا رسول من الرسل، ولم تأت في كتاب من الكتب المقدسة لدى المسيحيين، ولم تأت في كتاب سماوى منزل من عند الله^(٢).

٢- المسيح عليه السلام الذى يدعى المسيحيون النسبة إليه لم يتحدث عن التثليث ولا عن الأقانيم ولا عن الله بالمفهوم الذى يعتقده المسيحيون الآن.

(١) راجع خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية ص (١٠٠ ، ١٠١).

(٢) وذلك بالرجوع إلى القرآن الكريم.

٣. هذه العقيدة وثنية أخذها المسيحيون من الوثنيين ولذلك فهي منافية للعقل ومتناقضة مع بديهات العقول والمنطق.

ويتبين ذلك من الوجوه الآتية :

أولاً : أن التثليث والتوحيد عند المسيحيين حقيقتان بمعنى أنهم يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقي ، وهي قضية فاسدة فلا يمكن أن يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة ، لأنه إذا ثبت أنه يوجد إله واحد حقيقى انتفى وجود ثلاثة أقانيم ، وكذا إذا وجدت ثلاثة انتفى وجود واحد ، لأن الواحد والثلاثة متنافيان فلا يجتمعان فى ذات واحدة فى وقت واحد.

"والقول بأن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى وإن كانا ضدّين حقيقيين فى غير الواجب لكنهما غير ذلك فى الواجب فيه سفسطة محضة ، لأنه إذا ثبت أن الشئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدّان حقيقيّان أو نقيضان فى نفس الأمر ، فلا يمكن اجتماعهما فى أمر واحد شخصى فى زمان واحد من جهة واحدة واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب ، كيف :

١. وأن الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح ، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد.
٢. وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقى ليس مجموع آحاد رأساً.
٣. وأن الواحد الحقيقى جزء الثلاثة فلو اجتمعوا فى محل واحد يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً.

٤. وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ، والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التى تكوّن عين هذا الجزء ، وهلم جرا . وكون الشئ مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً.

٥. وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه ، والثلاثة ثلث الواحد وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها . والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة^(١) وهذا ما لا يقول به عاقل.

ثانياً: أن كل أقنوم فى نظر المسيحيين متميز عن الآخر بامتياز حقيقى - كما سبق بيان ذلك - ومع ذلك فهى فى نظرهم إله واحد، وهذا يستلزم ألا يكون الله حقيقة محضة بل مركباً وهذا باطل لما يأتى:

(١) أن الشئ المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها، وهذا يعنى أن الله وجد بعد أن لم يكن وهو باطل، فبطل ما أدى إليه وهو تركبه من أجزاء.

(٢) أن الشئ المركب يفتقر فى تحققه وتكونه إلى كل جزء من أجزائه، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى البعض الآخر لا يمكن أن تتألف الذات الأحدية، والله لا يفتقر إلى شئ ولا يحتاج إلى أحد فهو الغنى وحده والكل محتاج إليه.

(٣) أن المركب لا بد له من مركب - بكسر الكاف - يتولى تركيب أجزائه وعناصره وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملاً، فالأجزاء والعناصر لا ينضم بعضها إلى البعض الآخر دون علة، والله سبحانه وتعالى لم يكن له أو يركبه أحد ولا علة له، فهو موجود بذاته أزلاً.

(٤) أن المركب محدود بكيفية أجزائه وعناصره ومقدراها، فهو محدود بمحدود الأجزاء التى ركب منها وذلك يؤدى إلى تحيزه والله جل فى علاه غير محدود ولا متناه^(١).. وبهذا يبطل كون الله مركباً.

ثالثاً: المسيحيون يعتقدون بأن الأقانيم متميزة بعضها عن بعض...

"فما معنى هذا التمييز؟ فإن قيل: إن التمييز فى الصفات لا فى الذات قلنا: يلزم من ذلك أن تسلب الصفة الثبوتية التى تثبتها لأحدهم دون الآخر، فإذا قلنا إن الأب حى ناطق لزم أن يكون الابن صامتاً، وإلا لما ثبت التمايز والتغاير"^(٢)

ثم يقال أيضاً: الأمر الذى حصل به هذا التمييز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون، فعلى الشق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيها بينهم،

(١) راجع الله واحد أم ثلوث ص (٦٨)، إظهار الحق ص (٣٣٥)، القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٣٤).

(٢) راجع: بهجة التفريح بحقيقة السيد المسيح وهى مناظرة جرت بين أيوب صبرى - أحد المسيحيين الذين اعتدوا إلى الإسلام - وأحد المسيحيين (وهى مطبوعة على هامش السيف الضعيف ص ٢١١).

بمعنى أنه لا يحصل الكمال التام لكل أقنوم، وهذا خلاف ما تقرر عندهم، إذ أن كل أقنوم من هذه الأقانيم - فى نظرهم - متصف بجميع صفات الكمال.

وعلى الشق الثانى: فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه^(١).

ويمكن أن يقال لهم أيضاً: إنه لو كانت الأقانيم متميزة بامتياز حقيقى، وجب أن يكون المميز - بكسر الياء - غير الوجوب الذاتى، لأنه مشترك بين الأقانيم ضرورة أن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز. فيكون كل أقنوم مركباً من جزئين، وكل مركب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكناً لذاته وهو باطل^(٢).

هذا إلى جانب أن التمييز يعنى عدم المساواة بين كل الأقانيم فى كل الصفات. وأن كل أقنوم متميز بجانب - هو فى الأقنوم الآخر غير موجود. أو هو موجود بدرجة أقل - بمعنى أن الأقنوم الأول مميز بجانب، والأقنومين الآخرين متميزين عنه بشيئين آخرين، وهذا يعنى أن الأقانيم الثلاثة ناقصة ومحتاجة إلى بعضها الآخر حتى يتم لها الكمال، والنقص والاحتياج على الله محال.

رابعاً: هذه الأقانيم الثلاثة المكونة للذات الإلهية، هل محتاج بعضها إلى بعض أم لا؟ فإن كانت محتاجة إلى بعضها لزم عقلاً أن يكون جزء الإله وهو بعض هذه الأقانيم محتاجاً وهذا باطل. لأنه لو احتاج بعضه لتسرب الاحتياج إلى ذاته كلها، وكونه محتاجاً ينافى كونه إلهاً.

وإذا لم تكن هذه الثلاثة محتاجة إلى بعضها لزم أن يكون كل واحد من الثلاثة إلهاً وهو باطل، لأنه منافى للتوحيد الذى يدعون أنهم يقولون به^(٣).

خامساً: يقال للمسيحيين هل هذه الأقانيم ذوات أم صفات؟ أم لا ذوات ولا صفات؟ فإن كانت ذوات فقد أثبت التعدد وهو باطل.

(١) إظهار الحق ص (٣٣٦).

(٢) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٣٥). إظهار الحق ص ٣٣٦.

(٣) د/ مصطفى سعداوى المهر: نظرات فى العقائد المسيحية ص (١٧).

وإن كان مرادكم أنها صفات، فيقال لهم لابد لها من موصوف، وعلى ذلك يكون الموصوف قديماً، وهو ما يعنى أن الآلهة أربعة.

وإن كان مرادكم أن أحدهما ذات والباقيان صفات، فيقال لهم لم اقتصرتم على صفتين فقط؟ فهلا جعلتم صفة القدرة أقنوماً رابعاً؟ وهلا أضفتم صفات الله الأخرى ليصبح الله مكوناً من تسعة وتسعين أقنوماً، وهذا يعنى أن الأقانيم - التى هى صفات - غير وافية لصفات الله، وهو ما يعنى النقص وهو محال على الله تعالى.

أما إذا كان المراد أنها لا ذوات ولا صفات فهو ما يعنى أنها أشياء مجهولة من جميع الوجوه، أو لا مسمى لها وهذا عبث.

سادساً: إن قول المسيحيين بأن عقيدة التثليث سر لا يمكن إدراكه بالعقل قول خاطئ، وذلك لأن من بديهيات العقول استحالة اجتماع النقيضين.

ففرق بين عدم إدراك العقل لشيء لكنه مع ذلك لا يمنع من أن يكون ممكناً، وبين كون هذا الشيء مستحيل الوقوع أو غير ممكن "فقد لا يدرك العقل ماهية بعض الأشياء وكنهها كما هى، لكن مع ذلك يحكم بإمكانها ولا يلزم من وجودها عنده استحالة ما، ولذا تعد هذه الأشياء من الممكنات - أى معقولة، وقد يحكم بداهة أو بدليل قطعى بامتناع بعض الأشياء، ويلزم من وجوده عنده محال ما، ولذا تعد هذه الأشياء من الممتنعات، وبين الصورتين فرق جلى، ومن القسم الثانى اجتماع النقيضين الحقيقيين وارتفاعهما"^(١). وكذا اجتماع التوحيد والتثليث الحقيقيين فى ذات واحدة من جهة واحدة.

وبهذا يتبين فساد القول بالتثليث من كل الوجوه فضلاً عن كونه توليفة وثنية لا أصل لها من الوحى.

الفصل الثالث

عقيدة الصلب والفداء

عقيدة الصلب والفداء (الخلاص) في التصور المسيحي

هى إحدى العقائد الرئيسية فى الديانة المسيحية، وإحدى الركائز الأساسية فى الإيمان المسيحى . وهى أيضاً المحور الذى يدور حوله العقائد المسيحية كلها.

فابن الله - فى نظرهم - تجسد و صلب وقام من أجل خلاص البشر من الخطيئة التى لحقت بهم نتيجة لعصيان آدم عليه السلام.

فخطيئة آدم . وتجسد ابن الله . والصلب ، والقيامة كلها أسس وركائز لهذه العقيدة.

يقول عوض سمعان : " من المعلوم أن الديانة المسيحية بمجملتها تقوم أو تسقط بقيام فكرة الخلاص والخطيئة أو سقوطها"^(١)

وفى قانون الإيمان المسيحى عن هذه العقيدة " نؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد . المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور . إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق . مساو للأب فى الجوهر الذى به كان كل شئ الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس و صلب عنا على عهد ييلاطس البنطى وتألم وقبر . وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب ، وصعد إلى السموات وجلس على يمين أبيه " ^(٢)

المعنى المسيحى لكلمة (خلاص)

أطلقت هذه الكلمة فى الكتاب المقدس بمعنى الإنقاذ والنجاة. ففى (قاموس الكتاب المقدس) : يراد بالخلاص فى العهد القديم :

(١) عوض سمعان : فلسفة الغفران ص (١٩٢) .

(٢) راجع خلاصة الأصول الإيمانية ص (١٠٦) .

النجاة من الشر أو الخطر^(١).

أما في العهد الجديد فقد خلع عليه معنى آخر هو إنقاذ الخطاة بالإيمان يسوع المسيح^(٢).

ولقد وضع المسيحيون لهذه الكلمة الكثير من المعاني..

والمعنى الرئيسى - عندهم - هو الخلاص من خطيئة آدم التى ورثها لأبنائه والجنس البشرى من بعده، والخلاص من الخطايا الأخرى التى يفعلها الإنسان فى حياته. فالخلاص من الخطيئة - عندهم - يشمل الأزمنة الثلاثة: الماضى، والحاضر والمستقبل، بمعنى غفران الخطايا التى فعلها الإنسان فى ماضيه، والتى يفعلها فى حاضره، والتى سيفعلها فى المستقبل^(٣).

وبإيجاز شديد: الخلاص عند المسيحيين هو التحرر من الخطيئة، والتحرر بالتالى من آثارها، وذلك - فى نظرهم - عن طريق الإيمان بالمسيح ابن الله الذى تجسد ليصلب ويموت ويقوم ويخلص البشرية من الخطيئة وآثارها^(٤).

يقول إلياس مقار: "الخلاص هو تحرير الإنسان الكامل من دين الخطيئة"^(٥)، ومرضها وسلطانها^(٦) واستعبادها نفساً وروحاً وجسداً والأخذ بيده حتى يقف أمام الله فى كمال البر والقداسة والمجد والعزة والبهاء إلى أبد الآبدين^(٧).

(١) راجع خروج ١٤: ١٣، مزمور ١٠٦: ٨-١٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص (٣٤٤).

(٣) راجع كلايد تارنر: هذه عقائدنا (١١٣)، القس نخت متى: قضاء الله ومسئولية الإنسان ص (١١٥).

(٤) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها ص (١٣١).

(٥) المقصود بـ "دين الخطيئة" ورائة خطية آدم يقول إلياس مقار - عن هذا - الكتاب المقدس يفيد بأن الجنس البشرى ورث الأبوين الأولين فى سقوطها، وفساد الطبيعة، فإذا أضفنا إلى هذا أننا خطاة ومدنيون ليس على أساس الخطيئة الأصلية - خطيئة آدم - فحسب بل على أساس ما نرتكب من خطايا فعلية مستمرة دائمة أمام الله أضحق مركز كل بشرى مركز المدين أمام الله بدين الخطيئة الأصلية والفعلى "١ هـ - قضايا المسيحية الكبرى ص (٢٨٦)

(٦) والمقصود بكلمة (سلطان الخطيئة) عند المسيحيين - هو أن الخطيئة تسلطت على الإنسان ولذلك فإن طبيعته طبيعة فاسدة مريضة - وذلك لتعلقها بالخطيئة الموروثة من آدم عن طريق التوالد الجسدى ولذلك فلا يستطيع الإنسان - فى نظرهم - أن يتصرف تصرفاً سليماً أو يفعل أفعالا صحيحة إذ هو مكبل ومقيد بالخطيئة وسلطانها عليه وعلى نفسه.

المرجع السابق ص (٢٨٧).

(٧) المرجع السابق ص (٢٨٨).

المعنى المسيحى لكلمة (فداء):

وكلمة (فداء) قريبة فى المعنى لكلمة (خلاص) ولذلك يراد بها فى بعض الأحيان ما يراد بكلمة (خلاص)

فى " قاموس الكتاب المقدس " تشير لفظة " الفداء " فى العهد القديم فى أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد^(١).

أما فى العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة^(٢) ومن نتائجها^(٣).

يقول د/ أندرو وطسون: " يراد بالفداء كل بركات الخلاص المعلن فى الكتاب المقدس للخطاة الهالكين "^(٤).

وقد يراد بها - عند المسيحيين - الفدية التى نال البشر بها الخلاص.

يقول القس صموئيل حبيب: " تستخدم كلمة الفداء أصلاً لشخص يسترد أرضه التى وقعت فى يد غيره فيشتريها لنفسه ثانية^(٥)، فإذا رأى الله الإنسان قد باع نفسه للخطية وصار عبداً لها، قدم نفسه فى المسيح فداء للبشرية ثانية "^(٦).

وعلى هذا فالفداء يعتبر نقطة ارتكاز لعقيدة الخلاص المسيحية من حيث إنه الثمن المشتري به خلاص الإنسان.

ولقد جمع (القس إنسطاسى شفيق) هذين المعنيين فى قوله: " إن عمل الفداء وعمل الخلاص شئ واحد فإن الذى يقال له فى الكتب المقدسة خلاص يقال له أحياناً فداء، وهكذا يقال عن المسيح إنه مخلص شعبه وفاديه.

(١) راجع تثنية ٧ : ٨ ، ١٣ : ٥ .

(٢) راجع تيطس ٢ : ١٤ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص (٦٧٢) .

(٤) شرح أصول الإيمان ص (٢١٠) .

(٥) يقول ابن منظور: (فدى فديته وفداءً أفديته ، والمفاداة: أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً ، والفداء: أن تشتريه ، فديته بمالى ، وفديته بنفسى) ١ . هـ راجع: لسان العرب ص (٣٣٦٦) وفى القاموس المحيط (فداء يفديه وفدى وفاداه : أعطى شيئاً فأفقهه ، وفداء فدية : جعلت فداك : ، وأفداء الأسير : قبل منه فديته) القاموس المحيط (٤ / ٣٧٥) .

(٦) صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى التطبيقي ص (٤٢ ، ٤٣) .

أما عمل الفداء : فقد يراد به على حصر المعنى مشتري الخلاص بإعطاء بدل ، وعلى ذلك لم يكن زمانه طويلاً ، لأنه ابتداءً من تجسد المسيح وانتهى عند وقوعه تحت سلطة الموت إلى يوم قيامته الذى أكمل فيه عمل الفداء فتمت المشتري ، وقد يراد أحياناً بعمل الفداء - على غير وجه الحصر - جميع أعمال الله لهذه الغاية فلا ينحصر ذلك فى المشتري فقط بل يشمل جميع أعمال الله المعدة للمشتري والمتممة لنجاحه ، فيطلق عمل الفداء على كل ما يعمل المسيح من هذا العمل العظيم من حيث إنه وسيط ^(١).

جذور هذه العقيدة فى التصور المسيحى:

تبدأ هذه العقيدة - فى التصور المسيحى - من آدم عليه السلام. إن المسيحيين يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على حالة الطهارة والبر والقداسة والنعمة ^(٢) ووضعه فى جنة غرسها الله بيده " وأثبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل " ^(٣)

وفى وسط هذه الجنة غرس الله شجرتين عجيبتين هما - كما يقول كلايد تارنر - شجرة الحياة التى جعلها الله لخلاص الإنسان من الموت لو لم يخطئ ، وشجرة معرفة الخير والشر التى جعلت لامتحان مقدار ولاء الإنسان لله ^(٤).

ثم بعد ذلك أوصى الله آدم بألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

يقول د/ راغب عبد النور " عاش الإنسان (آدم) الحياة أسعد ما تكون الحياة ، ولكى يحفظ له الرب هذه القامة الشاخنة فى السمو والترف فإنه علمه بوصية ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر حتى لا يقع فى المخالفة وتكون عقوبته الموت (يوم تأكل منها موتاً تموت) " ^(٥) وفى نفس الوقت أعطاه شجرة الحياة التى تثبتة فى مكانه

(١) الفداء فى إنجيل لوقا ص (٢٦).

(٢) دوم كولومبا مرميون : المسيح حياة النفس ص (٦٦).

(٣) تكوين ٢ : ٨.

(٤) كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص (٥٤).

(٥) تكوين ٢ : ١٧.

من الحياة وقداصة الحق^(١) يقول سفر التكوين - عن هذا - "وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت"^(٢).

ولكن آدم خالف وصية الله فأكل هو وحواء من شجرة معرفة الخير والشر - في نظرهم - وحينئذ - كما يقول سفر التكوين "انفتحت أعينهما وعلمتا أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر"^(٣).

"ولقد اعتقد المسيحيون أن آدم نتيجة لهذه المعصية فقد - كما يقول إبراهيم لوقا - حالة الكمال الأدبي الذي خلقه الله عليها وأصبح خاضعاً لنااموس الفساد وسلطان الخطية"^(٤).

يقول حبيب جرجس: "وكانت نتيجة مخالفتها لعهد الله تعالى ما يأتي:

١- سقطا من حال القداسة وحياة النعمة وفقدوا الشركة مع الله.

٢- صاروا أسيرين للخطية والموت.

٣- طردا من الفردوس وخضعا للبلايا كالتعب والجوع والعطش والفقر والأمراض والشيخوخة.

٤- فقدوا ميراث الحياة الأبدية واستحقا غضب الله"^(٥).

ويقول إلياس مقار: وأجرة الخطية هي موت^(٦)، وقد مات آدم وحواء في اللحظة التي سقطا فيها وانفصلا عن الله. لقد ماتا في الحال الموت الروحي والأدبي إذ لم تعد لهما الشركة الجميلة الحلوة المقدسة مع خالقهما المحب وأبيهما القدوس، بل لم

(١) د/ راغب عبد النور: شجرة الحياة ص (٨).

(٢) تكوين ٢: ١٥-١٨.

(٣) تكوين ٣: ٧.

(٤) المسيحية في الإسلام ص (١٥٨).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢١، ٢٢).

(٦) راجع رومية ٦: ٢٣.

يعد لهما ذلك الإحساس الذى ألفاه ودرجا عليه إحساس الحنين إليه والشوق إلى رؤياه، بل لقد شعرا للمرة الأولى بأن غشية من الظلام استولت على عيونهما فلم يعودا يميزان للمرة الأولى بالفرق بين الحق والباطل والنور والظلام، والجمال والقبح والخير والشر، بل شعرا بما يشبه السم الزعاف القاتل يسرى فى بدنيهما فينحدر فى كيانهما كل المعانى والحقائق، ويقتلها فى بطن وعذاب وقسوة، وإلى جانب هذا كله شعرا بالموت المادى يأخذ سبيله إلى جسديهما بالضعف والوهن والتعب والمرض والانحلال^(١).

وهذا المنطق عجيب!! إذ كيف يمكن القول بأن آدم عليه السلام بعد الأكل من شجرة معرفة الخير والشر أصبح لا يفرق بين الخير والشر والحق والباطل؟ هل يمكن أن يستساغ هذا!!

هم يعتقدون أن آدم أكل من شجرة معرفة الخير والشر، ونتيجة لهذا - كما يقول سفر التكوين - أصبحا يعرفان الخير والشر ولذلك خاف الله - تعالى الله عن ذلك - أن يأكلا من شجرة الحياة فطردهما من الجنة.

يقول سفر التكوين^(٢): "وقال الرب هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها، فطرد الإنسان،

(١) إلياس مقار: رجال الكتاب المقدس (١ / ١٢)، قضايا المسيحية الكبرى ص (٣٧٨).

(٢) ولقد أوردنا هذا النص - برغم أنه غير مستساغ - لإلزامهم وذلك لأنه كيف يحسن أن يقال وقال الرب هوذا الإنسان قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر؟ أيتوهم عاقل أن الإلهية تكتسب فضلاً عن أنها تكتسب بالأكل؟ وكيف يحسن أن يقال عقب هذا "والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد"؟ فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته بل بسبب بعض المأكولات، وأن الله خشى من حياته الأبدية بسبب أكل الشجرة فأخرجه من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجباً لعلم الخير وأكل الثانية موجباً للحياة الأبدية كما هو ظاهر اللفظ لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى أكل من الشجرة الثانية ضرورة من غير تأخير إذ قد علم الخير والشر فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عنه أصلاً. وكيف يحسن أن يقال "وأقام شرقى جنة عدن الكرويين .." عقيب قوله "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض" فإن آدم فى الأرض خارج الفردوس فكيف يمكنه الدخول إلى الفردوس بغير إذن الله، حتى يحتاج إلى حفظ طريق الشجرة وهى داخل الفردوس؟ وأيضاً: فلو كان دخول الفردوس بغير إذن الله ممكناً لدخله الآن كل واحد منا، أو بعضنا". راجع على الباجي: على التوراة ص (٣٤، ٣٥).

وأقام شرقى جنة عدن الكارويم^(١)، ولهبب سيف متقلب^(٢) لحراسة طريق شجرة الحياة^(٣).

كيف يمكن بعد ذلك أن نقول إنهما - أى آدم وحواء - أصبحا لا يفرقان بين الخير والشر والحق والباطل والنور والظلام؟

وهنا أمر آخر يجب أن نقف عنده وهو قولهم بأن الخطية سببت الموت لآدم وحواء.

ذلك أننا لو نظرنا فى قصة مخالفة آدم وحواء لأمر الله وأكلهما من الشجرة والملايسات المصاحبة لها - فى سفر التكوين - نجد أنه يمكن استنباط أن الإنسان خاضع للموت قبل أن يأكل من الشجرة، ذلك أن سفر التكوين يوضح لنا أن هناك شجرتين فى الجنة التى سكن فيها آدم قبل نزوله إلى الأرض إحداها تسمى شجرة الحياة وثمرها يمنح الإنسان - فى نظر المسيحيين - الحياة الخالدة^(٤)، فلو تناول الإنسان من هذه الشجرة - فى نظرهم - لأصبح خالداً وعاش إلى الأبد بدليل قوله "ويأخذ من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد"^(٥)، وحيث إن آدم وحواء لم يأكلا من هذه الشجرة التى تمنح الخلود فمعنى ذلك أنهما كانا معرضين للموت قبل المخالفة وبعدها.

هذا فضلاً عن أن الكتاب المقدس - عندهم - يبين أن آدم كان قابلاً للفناء والموت حتى قبل المخالفة وذلك لأنه من التراب. يقول سفر التكوين: "لأنك تراب وإلى التراب تعود"^(٦).

(١) الكارويم: ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون فى حضرته تعالى، أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها ويقال عنهم أنهم ذوو جناحين. راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٧٧٩).

(٢) ولهبب سيف متقلب: هو أداة التأديب والقصاص. راجع الدين المسيحى للمرحلة الثانوية لسنة ١٩٦١ ص (٩٣٢).

(٣) تكوين ٣: ٢٢ - ٢٤.

(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٥٠٧).

(٥) تكوين ٣: ٢٢، راجع القس منسى يوحنا: حياة آدم ص (٥٨).

(٦) تكوين ٣: ١٩، راجع أيضاً سفر الجامعة ٣: ٢٠.

على أن القول بأن أكل آدم من الشجرة سبب له الفساد والبعد عن الله قول تعوزه الحجة خاصة وأن سفر التكوين^(١) قد جاء فيه فقرة تدل على أن آدم وحواء تابا، والله سبحانه وتعالى قبل توبتهما، ذلك أنهما حين أكلا من الشجرة انفتحت أعينهما وعلمتا أنهما عريانان، واختبأ خوفاً وخجلاً من الله، ثم بعد ذلك يبين سفر التكوين أن الله صنع لآدم وامرأته أقمصاً من جلد وألبسهما. ويمكن أن يستفاد من هذا أن الله تاب على آدم وحواء إذ صنع لهما لباساً وألبسهما، والتوبة تغفر الذنب وتكفروه. يقول سفر الأعمال: توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم^(٢).

ويعتقد المسيحيون أن آدم وحواء لم يجلبا الدمار والهلاك والفساد على أنفسهما بعضيانهما فحسب، بل على كل ذريتهما أيضاً لأنهم أصبحوا ورثة لطبيعتهما الساقطة الآثمة^(٣).

يقول حبيب جرجس: "إن خطية آدم عمت جميع نسله وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشرى، وصار محكوماً عليهم بأن يولدوا آثمة وعبيداً للخطية والموت، وذلك لأن آدم لم يلداهم إلا وهو فى حالة الإثم والمعصية والغضب. فبناء عليه كان جميع الجنس المتناسل منه بالطبيعة آثماً ومخطئاً وواقعاً فى المعصية ومعاقباً عليها كما عوقب آدم وزوجته من قبل، ولذلك حسبت المعصية عليهم كما حسبت عليه"^(٤).

ثم يقول "وكان نتيجة الخطية على عموم الجنس البشرى أن تدهوروا فى الفساد وسقطوا فى لجة الشرور حتى فسدت الأرض كلها"^(٥).

ويقول ليب ميخائيل: "فاخذرت البشرية إلى مهاوى الشر والرديلة التى نراها فى الحروب والخيانات والتفرقة العنصرية، والكراهية، إلى نهاية قائمة الخطايا السوداء"^(٦).

(١) راجع الإصحاح الثالث من سفر التكوين.

(٢) أعمال ٣ : ١٩.

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٥٩)، راجع أيضاً عوض سمعان: طريق الخلاص ص (١٢).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٣).

(٥) المرجع السابق ص (٢٤).

(٦) هل المسيح هو الله ص (٨٧).

وأصبح الإنسان بموجب هذه الفكرة - عند المسيحيين - عاجزاً عن كل خير روحي. يقول الأب بولس إلياس اليسوعى: "إن سقطة الإنسان الأول كانت جسيمة أفقدته توازن قواه الروحية فأصيب بجراح بليغة وبنوع خاص فى عاقلته وإرادته، فعاقلته أصبحت محدودة القدرة تعجز عن إدراك الله كما فى أول عهدا وشلت إرادته وأصبحت عاجزة عن صنع الخير وحتى السعى إليه"^(١).

وفى (علم اللاهوت النظامى) "إن البشر عاجزوا منذ السقوط كل العجز باعتبار قدرتهم الذاتية عن الرجوع إلى الله وعن عمل الصالحات الحقيقية أمامه تعالى وذلك للفساد الذاتى"^(٢).

ولذلك لا يستطيع الإنسان - فى نظرهم - أن يخلص نفسه من هذا الفساد.

وهذه الفكرة تتعارض مع ما ورد فى الكتاب المقدس عن تاريخ الجنس البشرى. إن الله سبحانه وتعالى اختار بعض البشر ليكونوا أنبياء ورسلاً، اختارهم واصطفاهم ليبلغوا رسالاته لهداية البشر، اختارهم وأيدهم بالمعجزات والآيات البينات، فاختار نوحاً وإبراهيم ولوطاً وإسماعيل وإسحاق وموسى وغيرهم... فهل هؤلاء الذين اختارهم الله لتبليغ رسالاته للناس عاجزون عن كل خير روحي؟ الجواب عند المسيحيين بمقتضى فكرتهم بفساد الطبيعة الموروثة وعجز الإنسان عن كل خير روحي - نعم.

ولكن جواب الكتاب المقدس عندهم يتعارض مع ما يعتقدون.

ففى رسالة بطرس الثانية "لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم عروسين للقضاء ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر إذ جلب الطوفان على عالم الفجار"^(٣).

وفى سفر التكوين نجد أن الله بارك نوحاً "وبارك الله نوحاً وقال لهم أمثروا وأكثروا واملأوا الأرض"^(٤).

(١) يسوع المسيح ص (٨٣).

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٢).

(٣) ٢. بطرس ٤ : ٥.

(٤) تكوين ٩ : ١.

كل ذلك يدل على أن نوحاً كان باراً مؤمناً يعمل الصلاح ، ولذلك نجاه الله ومن معه من المؤمنين ، وباركهم ودعاهم إلى الإكثار وملء الأرض ..

وعن إبراهيم عليه السلام يقول سفر التكوين " فأمن بالرب فحسب له براً " (١) .
مبارك ابرام من الله العلى مالك السموات والأرض " (٢) .

ويخبر الكتاب المقدس عن أيوب بأنه كان رجلاً صالحاً تقياً مستقيماً . قال الله :
عبدى أيوب إنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل مستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر " (٣) .

ويقول أيوب عن نفسه : " قلت أنا برئى بلا ذنب وأنا لا أئثم لى " (٤) .

وعن زكريا وامرأته يقول لوقا : " وكان كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب بلا لوم " (٥) .

كل هؤلاء الأنبياء السابقين وغيرهم ثبت برهم وصلاحهم من خلال شواهد الكتاب المقدس الذى يصرح بأن خلاص هؤلاء كان باستقامتهم وتقواهم وصلاحهم " وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم " (٦) .

وعلى هذا يمكن القول بأنه قد ثبت البر والصلاح والتقوى لأفراد من البشر . أى من نسل آدم . وهذا يعنى أن الله قد وهب هؤلاء الأفراد ما يستطيعون به أن ينالوا رضاه عن طريق توجيه هذه المواهب إلى الله ، وبها يكون الصلاح والتقوى ، وإذا

(١) تكوين ١٤ : ١٩ .

(٢) أيوب ١ : ٨ ، ٩ ، ٢ : ٣ .

(٣) أيوب ٣٣ : ٨ .

(٤) لوقا ١ : ٦ .

(٥) لوقا ١ : ٦ .

(٦) حزقيال ١٤ : ١٤ .

جاز ذلك على بعض الأفراد فإنه بالتالى يجوز على جميع الأفراد إذا سلكوا الطريق الصحيح إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

وعلى ذلك فلا مجال للقول بأن الجنس البشرى عاجز عن كل خير روحى ، وإلا فكيف نفسر بر وصلاح هؤلاء؟ وكيف نفسر قبول الله^(١) لقربان هابيل دون قابيل^(٢)؟ وكيف نفسر نجاة الله سبحانه وتعالى لنوح ومن معه من المؤمنين من الطوفان وإغراق غيرهم^(٣)؟

دعوى التوفيق بين عدل الله ورحمته

لقد وضع المسيحيون فكرتهم عن توارث الخطيئة على هيئة مأزق لله سبحانه وتعالى ، ذلك أنهم قالوا إن الإنسان قد ورث الخطيئة والطبيعة الفاسدة ولذلك فهو عاجز عن القيام بأى نوع من أنواع الخير، ولكن هل يبقى الإنسان على هذه الحالة من الخسران والبوار؟ أم أنه يستطيع أن يشق طريقة إلى غفران هذه الخطيئة فينال رضى الله ورحمته ، ولكن كيف يمكن أن يشق الطريق إلى الله مرة أخرى بعد السقوط؟

إن الإنسان - فى نظرهم - غير مؤهل لأن يشق طريقه إلى الله لأنه متصف بالعجز لأن طبيعته فاسدة ، فماذا يفعل الله - فى نظرهم - إزاء هذا؟

إنه سبحانه - فى نظرهم - لا يستطيع أن يغفر هذه الخطيئة أو يعفو عنها.

يقول إلباس مقار: " قد يقال : أليس من حق الله وسلطانه وهو صاحب السلطان الأعلى أن يعفو بكلمة عمن يريد أو يشاء؟ وهل يكون الله أقل من الملوك والرؤساء الذين يستطيعون بكلمة أن يعفوا عن المجرمين والمحكوم عليهم بأقسى العقوبات؟ إنه

(١) يقول محمد مرجان : (فرق الله فى المعاملة وفى الجزاء بين ولدى آدم فى الدنيا والآخرة كل حسب عمله . ولو كان الله لم يعف عن آدم . كما يقولون - أو كانت الخطيئة تتوارث كما يدعون لكان جزاء ولدى آدم وحواء واحدا ، ولما كان هناك ميرز للرضى عن هذا ، وللسخط على ذاك ، ولإدخال هذا الجنة وذاك فى السعير ، وإنما هى العدالة الإلهية لا تأخذ البرئ بجريرة الآثم وإنما تعطى لكل ذى حق حقه) . ١ هـ (المسيح إنسان أم إله ص ١٦٧) .

(٢) راجع سفر التكوين ٤ : ٣ - ٨ .

(٣) راجع الإصحاحين السادس والسابع من سفر التكوين .

قياس مع الفارق ، لأن عفو الملوك الأرضيين أو الرؤساء إذا صح أنه نبيل وعظيم إلا إنه على حساب العدالة فى إطلاقها وكمالها ومجدها ، وأنه إذا صح أن البشر لأنهم ناقصون يعفون أو يتساهلون بدافع من نقصهم أو ضعفهم عن العدالة المطلقة ، فإن الله لا يمكن أن يعفو أو يتساهل قيد شعرة عن العدالة المطلقة ، وأن القول إن الله قادر على العفو بمجرد كلمة وإن أحداً لا يمكن أن يجرده أو يطلب إليه أن يتنازل عن السلطان إن هذا القول يفهم القدرة الإلهية فهماً خاطئاً لأن الله مع قدرته اللانهائية تورد أشياء نقول بكل احترام وإجلال لا يقدر عليها^(١).

ثم يقول : " يمكن أن نقول بملء اليقين إن الله لا يمكن أن يغفر الخطية بمجرد كلمة إلهية تصدر منه لأنه لا يقدر أن يكون غير عادل أو غير قدوس أو غير حق... ومن ثم فإن المسيحية ترفض رفضاً باتاً تصور أن الله يعفو لمجرد العفو من غير جزاء كامل تحتمه العدالة الإلهية المطلقة"^(٢).

ففى نظرهم الله لا يستطيع أن يغفر الخطية ، وإذا كان الأمر كذلك ، فماذا يفعل الله سبحانه وتعالى - فى نظرهم - إزاء ذلك ؟

يقول لبيب ميخائيل : " ماذا يفعل الله بذلك الإنسان الشرير الأثيم الذى أصبحت نفسه أماراة بالسوء ؟ كيف يوفق جل شأنه بين عدله الذى يطالبه بتوقيع القصاص على الإنسان وهو قصاص رهيب أبدى عظيم يتناسب مع عدله وقداسته ، وبين رحمته التى تطالبه بأن يصفح عن خطيئة الإنسان ؟ "^(٣).

كيف يوفق الله - فى نظرهم بين عدله الذى يقتضى عقاب الجنس البشرى كله وبين رحمته التى تقتضى العفو عنهم ؟

يقول نقولاً يعقوب : " ولما كان الله عادلاً فهو لا يترك مثقال ذرة ، لذلك وجب علينا أن نسلم أن كل الخاطئين ضد الله لابد أن يقيموا فى النار مخلدين عقاباً لهم ،

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص (٣٩٠).

(٢) المرجع السابق ص (٣٩١).

(٣) هل المسيح هو الله ص (٨٧ ، ٨٨).

فإذا تم هذا فأين رحمة الله؟ وإذا رحم الله هؤلاء الخطاة وغفر لهم ولم يعذبهم فأين عدله؟^(١)

ففى نظر المسيحيين لكى يغفر الله للإنسان خطيئته ويعفو عنه لابد أن يوفق بين عدله ورحمته.

يقول ليب ميخائيل : " فالغفران الإلهى للإنسان الخاطئ يحتم أن يوفق الله بين عدله ورحمته، ذلك لأنه إذا غفر الله خطيئة الإنسان على أساس رحمته وحدها لاستهان الإنسان بعدالة الله ووصاياه، وأصبح فعل الخطية سهلاً لديه. إذ يرى أن الله لم يتكلف شيئاً لمنحه غفراناً لخطاياهم، وإذا نفذ الله فى الإنسان حكمه ضد خطاياهم على أساس عدله وحده لرأى الإنسان (الله) إلهاً جباراً منتقماً ولأصبح بتأثير إحساسه بقسوة الله عنيداً، قاسياً، بليد الشعور، ولاستمر فى عناده ومعاصيه حتى الهلاك"^(٢).

وإذن لابد - فى نظرهم - من أن يكون هناك فادى فهو وحده الذى يستطيع أن يرضى عدل الله ويعلن رحمته"^(٣).

فلا يمكن - فى نظرهم - أن تجتمع صفتا العدل والرحمة فى الله إلا بواسطة الفداء^(٤). وهذا الفادى عندهم لا يمكن أن يكون مجرد إنسان، ولذلك دبر الله - كما يعتقدون - طريقة الفداء بنفسه.

يقول إبراهيم لوقا : " إن المسيحية تعلم أن الله لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه - دبر طريقة فدائه بتجسده ابنه الخبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه واكتملت رحمة الله فتال البشر العفو والغفران"^(٥).

(١) نقولا يعقوب : أبحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين ص (٣٧).

(٢) هل المسيح هو الله؟ ص (٨٤).

(٣) المرجع السابق ص (٨٥).

(٤) أبحاث المجتهدين ص (٣٨).

(٥) المسيحية فى الإسلام ص (١٧١).

وعلى ذلك فالطريق الصحيح - فى نظرهم - للتوفيق بين عدل الله ورحمته هو تجسد ابن الله وصلبه وقيامته.

ولذلك فإن دراستنا لهذه الفكرة تقوم على ما يأتى :

١. دعوى التجسد من أجل الخلاص.
٢. دعوى الصلب من أجل الخلاص.
٣. دعوى قيامة المسيح من أجل الخلاص.

وقبل أن تنتقل إلى هذه الموضوعات يجب أن نشير إلى أن المسيحيين أقاموا فكرتهم على أسس واهية، وعلى منطق فاسد، إذ كيف يوصف الله سبحانه وتعالى بعدم القدرة على العفو وذلك بحجة أنه عادل؟

والحق أنه لا تنافى بين عدل الله وعفوه، وذلك لأن العدل يمكن فهمه لا على أنه وجوب معاقبة المذنب على ذنبه " وإنما هو بمعنى المساواة فإذا ساوى الله تعالى بين جميع عبادة فى معاملته لهم بأن غفر مثلاً لجميع المذنبين وزاد - فى مقابل ذلك - فى أجر المحسنين، فهو لا شك عادل لغة وعرفاً وعقلاً، وكذلك إذا وفى كل مخلوق حقه تماماً بلا نقص فى الأجر ولا زيادة فى العقاب عما يستحقه كل شخص، ولا ينافى العدل بعد ذلك أن يزيد فى الثواب أو أن ينقص فى العقاب بمقتضى فضله ورحمته ^(١).

وتصوير العدل كعقبة فى طريق المغفرة والعفو تصوير خاطئ.

يقول الإمام الغزالى: " فإننا نقول العبادة قاضية والعقول مشيرة إلى أن التجاوز والصفح أحسن من العقوبة والانتقام، وثناء الناس على العافى أكثر من ثنائهم للمنتقم واستحسانهم للعفو أشد، فكيف يستحب العفو والإنعام ويستحسن طول الانتقام؟ ثم هذا فى حق من آذته الجناية وغضت من قدره المعصية، والله تعالى يستوى فى حقه الكفر والإيمان والطاعات والعصيان فهما فى حق إلهيته وجلاله سريان ^(٢).

(١) د/ محمد توفيق صدقى: نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص (١٦٠، ١٦١).

(٢) الإمام الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد ص (١٥٦).

وإذا كان العدل يمنع الرحمة والمغفرة فما قيمة التوبة إذن؟

يقول د/ سعد الدين صالح: " وهم يجردون الله تعالى من صفة الرحمة لحساب صفة العدل، مع أن العدل يستلزم أيضاً غفران الخطايا، لأن الله خلق الإنسان وهو يعلم أنه معرض للخطأ، ومن هنا يكون من العدل أن يقبل توبة التائب"^(١).

ويقول صاحب تفسير المنار: " ما رأينا أحداً من العقلاء ولا من علماء الشرع والقوانين يقول إن عفو الإنسان عن من يذنب إليه أو عفو السيد عن عبده الذى يعصيه يناهى العدل والكمال، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل، ونرى المؤمنين بالله من الأمم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون: إنه أهل للمغفرة. فدعوى المسيحيين أن العفو والمغفرة مما يناهى العدل مردودة غير مسلمة"^(٢).

على أننا لو نظرنا إلى الفداء المسيحى الذى جمع - فى نظرهم بين العدل والرحمة لوجدنا أنه يركز فى النهاية على مبدأ المغفرة بما يحتويه من تعارض مع العدل فى نظرهم، ذلك أن الفداء الخلاصى ليس بديلاً للمغفرة ولكنه مجرد وسيلة. وهو بديل عن التوبة لا عن المغفرة. وكأنهم يقولون يغفر لا بالتوبة ولكن بالفداء فلا بد أنهم ينتهون إلى مبدأ المغفرة وعندئذ يأتى ما يعترضون به من حيث العدل الإلهى.

على أنهم يلزمهم من هذه الفكرة شئ أعظم من عجز الخالق - تعالى وتقدس - من إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة فى صلب المسيح، لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب والطعن بالخراب - على ما زعموا - لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالأحرى، فكيف يعقل أن يكون الخالق غير عادل ولا رحيم؟ أو أن يكون عادلاً رحيماً فيخلق خلقاً يوقعه فى ورطة الوقوع فى انتفاء إحدى هاتين الصفتين فيحاول الجمع بينهما فيفقداهما معاً؟!^(٣)

(١) مشكلات فى العقيدة النصرانية ص (٩٣).

(٢) تفسير المنار (٦ / ٢٣).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

"إن هذه العملية - تجسد ابن الله وصلبه - لم يتحقق بها عدل ولا رحمة، لأنه ليس من العدل فى شئ أن يؤتى ببرئ غير مذنب ويطوق إثم جريمة جناها سواء، كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة، وبخاصة إذا كان المعاقب من شأن الجبلية أن تشملته بالرحمة، ولو مع الذنب، فالابن البار غير الآثم أولى^(١)."

دعوى تجسد ابن الله من أجل الخلاص

يدعى المسيحيون أن الإنسان لا يستطيع أن يتحرر ويتخلص بنفسه من الطبيعة الخاطئة التى ورثها عن آدم - بناء على فكرتهم فى توارث خطيئة آدم - وذلك لأنه خاطئ.

يقول عوض سمعان: " فالإنسان لا انتقل الطبيعة الخاطئة إليه بالوراثة وتسلمها على كيانه تبعاً لذلك لا يستطيع بمجهوده أن يتحرر منها أو يرتقى فوقها"^(٢).

"فالبشر جميعاً بما فيهم الأنبياء محتاجون إلى من يقدِّمهم"^(٣)..

وكذلك لا يستطيع - فى نظرهم - أن يقوم بمهمة الفداء أيضاً ملاك.

ففى تاريخ الأمة القبطية " لم يكن فى استطاعه إنسان أو ملاك أن يقوم بهذه الفدية لأن الإنسان خاطئ ولأن الملاك مخلوق "^(٤).

كذلك لا يستطيع أى مخلوق آخر - فى نظرهم - أن يقوم بالفداء.

يقول حبيب جرجس: " ولم يستطع إنسان ولا ملاك ولا خليفة أخرى أن تصلح الجنس البشرى من فساد له لأن ذلك ضرب من المحال "^(٥).

ويحاول بعض المسيحيين تعليل ذلك ببعض التعليلات.

يقول دوم كولومبا مرميون: "والخطيئة إهانة لله وإهانة يجب التكفير عنها والإنسان بما أنه خليفة بسيطة لا يمكنه أن يدفع للعظمة الإلهية بنفسه ديوناً جرتها

(١) قصص الأنبياء ص (٤٣١).

(٢) طريق الخلاص ص (١٣).

(٣) مطلعات فى الكتاب المقدس ص (٢٥١).

(٤) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢٨ / ٢).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٥).

خطيئة لا حد لأذاها ولا يكون التكفير وافيًا إلا إذا قام به من عادل المهان مكانة لأن خطورة الإهانة تكون على قدر المهان^(١).

وهذا تعليل خاطئ ، فانه سبحانه وتعالى لا يتعامل مع عباده بهذه المعاملة البشرية ، فهو سبحانه يعلم أولاً أن الإنسان معرض لأن يخطئ ، ولذلك شرع سبحانه رحمة بنا العلاج للخطايا والمعاصي وهو التوبة ، فلو كانت الخطيئة إهانة لله ومعاندة له لكان من الأولى أن يهلك من يهينه أو يعانده . أو على الأقل يطرده من رحمته . لا أن يجعل له باب التوبة مفتوحاً أمامه على مصراعيه.

ويثير أنسلموس اللاهوتي اعتراضاً ويجب عليه فيقول : " لو قيل إنه كان من الممكن أن يكون ذلك الخلاص بواسطة شخص غير الله ، من ملاك أو إنسان بأية طريقة وجدت لكان العقل يقبل ذلك بأكثر سرعة وأسهل فهم ، إذ أنه تعالى كان يستطيع أن يخلق إنساناً بدون خطية من غير الجبلية البشرية كما خلق آدم أو على كيفية أخرى ، وبذلك الإنسان يتم عمل الفداء !!!

ويجب على ذلك بقوله : ألا نعلم أن ذاك الذي يفدى الإنسان من الموت الأبدى يكون من حقه السيادة عليه فيصبح الإنسان ملكاً له شرعياً ، فلو كان الإنسان افتدى بمخلوق لما تيسر للإنسان إذ ذاك أن يسترد المقام الجليل الذي أضاعه بسقوطه في الخطيئة ، إذ أنه عوضاً عن أن يكون عبداً للخالق وحده ومساوياً في كل شئ للملائكة المقربين يعدو عبداً للشخص الذي افتداه أى لمن هو ليس إله^(٢).

وعلى ذلك فالذى يستطيع أن يقوم بالفداء - فى نظرهم - هو المسيح ابن الله.

يقول حبيب جرجس : " وهذا الفادى ليس إنساناً ولا ملاكاً ولا خليفة أخرى بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح^(٣)"

ويقول جون ستوت : " والواقع لا يستطيع أحد أن يكون مخلصاً للبشر سوى ابن الله وحده... وما كان لكائن أن يخلص العالم سوى ابن الله^(٤) .

(١) المسيح حياة النفس ص (٦٦) . راجع أيضاً : يسوع المسيح ص (٩٨) .

(٢) لماذا نحمد الكلمة ص (٧) .

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٦) .

(٤) المسيحية الأصلية ص (١٠٣ ، ١٣١) .

وهذا هن الحل الوحيد - فى نظرهم - للعداء.

يقول عوض سمعان: " بما أنه لا يستطيع فداءنا إلا الله ، وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصاً نظيره ، لأن المخلوق يكون محدثاً ، والمحدث لا يكون مثل الأزل
إذن ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير عنا " (١).

ولكى يقوم ابن الله بالخلاص لابد وأن يتجسد ويظهر فى صورة بشرية أى فى ثوب الخطية حتى يستطيع الانتصار عليها بثوبها.

يقول القس صموئيل حبيب ، " لذلك جاء يسوع فى جسد الخطية ليفتدى الخطاة " (٢).

ومن ناحية أخرى فإنه - أى المسيح ابن الله فى نظرهم - لكى يستطيع أن يموت على الصليب ويتحمل الخطايا والآثام كان ولا بد أن يظهر فى صورة الجسد القابل للموت.

يقول اثناسيوس الرسولى: " وإنه مستحيل أن يتحمل (الكلمة) الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى باتحاده بالكلمة الذى هو فوق الكل يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل " (٣).

فلا بد - فى نظرهم - أن يتخذ جسداً من جنس جسد آدم وذريته حتى يستطيع أن يفدى البشرية ويخلصها من الخطية.

وهنا نسأل سؤالاً: إذا كان كل أفراد الجنس البشرى متصفين بالسقوط فى الخطيئة نتيجة لعصيان آدم فكيف يكون المسيح بجسد بشرى وهو غير خاطئ؟ ذلك أن المسيح ولد من مريم وهى واحدة من أفراد الجنس البشرى الساقط - فى نظرهم - الذى ورث الخطية عن آدم، فكيف يكون مبرأ من الخطية وهو قد ولد من جسد خاطئ، بل وظهر فى جسد خاطئ؟ خاصة وأن الأنجيل تقول " كل شجرة جيدة تصنع أثمار جيدة وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً ردية، لا تقدر شجرة جيدة أن

(١) طريق الخلاص ص (١٩).

(٢) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقات ص (٣٩).

(٣) تجسد الكلمة ص (٣٩).

تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة^(١). فالنسل الفاسد - فى نظرهم - لا يستطيع أن يثمر نسلًا جيدًا.

فإذا كان المسيح - فى نظرهم - قد ولد من جسد فاسد أو من نسل فاسد أو من طبيعة فاسدة فإن طبيعته كذلك فاسدة^(٢).

والجواب عند المسيحيين على مثل هذه الاعتراضات أن المسيح اتخذ جسداً مبرأ من الخطية لأنه ابن الله المتجسد.

وهنا نقول إنه على ذلك ليس من نسل آدم، والشرط عندكم أن يكون الفادى من نسل آدم حتى يستطيع أن يقوم بالفداء.

يقول أنسلموس اللاهوتى: "وبما أنه من آدم وحواء قد سرت الخطية إلى العالم فلا يقتضى أن يكفر عن خطايا العالم إلا هما بالذات أو واحد من نسلهما، ولما كانا هما غير قادرين على ذلك وجب أن يعمل واحد من ذريتهما"^(٣).

هذا وقد ذكرت الباحثة المسيحية - فرنسس يونغ - أن القول بأن الخل الوحيد للخلاص هو المسيح قول لم يستند على أدلة واقعية، ولم يكن جزءاً من قوانين الكنيسة.. تقول: "الادعاءات الخاصة أن هناك طريقة واحدة لفهم موضوع الخلاص عن طريق المسيح لم تكن قط جزءاً من قوانين الكنيسة المسيحية لا فى الاعتقاد ولا فى التعريف"^(٤)..

دعوى صلب المسيح من أجل الخلاص:

يدعى المسيحيون أن المسيح ابن الله الذى تجسد وظهر فى صورة بشرية كان ولا بد وأن يموت على الصليب حتى يستطيع أن يفدى البشرية ويخلصها من خطيئة آدم والخطايا الأخرى. يقول يوحنا: "ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة"^(٥).

(١) متى ٧: ١٧، ١٨. لوقا ٦: ٤٣.

(٢) إننا نقدر المسيح عبد الله ورسوله ونؤمن به رسولاً من عند الله. وإنما قلنا ذلك لإلزام القوم.

(٣) لماذا تجسد الكلمة ص (٥٥).

(٤) أسطورة تجسد الإله ص (٤١).

(٥) ١- يوحنا ١: ٧.

يقول إلياس مقار - عن المسيح ابن الله المخلص - " إنه لابد أن يدفع الثمن كاملاً لرفع الخطية ، وإلا لكان الأمر مجرد تمثيلية بعيدة عن الحقيقة والواقع ، ومن ثم لم يكن صلب المسيح مجرد دفاع عن مبدأ يؤثر الناس الموت على تركه واستشهاده من أجل عقيدة يتمسك بها صاحبها وإلا لما افترق موت المسيح عن موت الشهداء وأصحاب المبادئ والمثل ، لكن موت المسيح كان كفارة وفداء عن العقوبة التي وقعت للجنس البشرى كله بسقوط وخطية نأثبه الأول (آدم) فالصليب هو رافع العقوبة والدين وشاف ومطهر من اللوثة والطبيعة الفاسدة"^(١).

فالمسيح المخلص - فى نظرهم - لابد وأن يصلب ثم بعد ذلك يموت.

فالصلب والموت لهما أهمية كبيرة عند المسيحيين للمخلص.

ولنتظر أولاً فى أهمية الصلب المخلص ثم بعد ذلك ننظر فى أهمية الموت للمخلص.

أهمية الصلب للمخلص:

أما أهمية الصلب للمخلص عند المسيحيين فإنهم يقولون إن هناك ارتباطاً بين غفران الذنوب وسفك الدماء ، وذلك أن أساس غفران الخطايا عندهم هو سفك الدماء^(٢).

ففى الرسالة الموجهة إلى العبرانيين يقول الكاتب: " بدون سفك دماء لا تحصل مغفرة"^(٣).

ويقول بولس: " الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته"^(٤).. فهناك صلة عندهم بين سفك الدماء وغفران الخطايا.

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص (٣٩٨).

(٢) راجع القس ليب ميخائيل : يقين الخلاص ص (٢٥).

(٣) عبرانيين ٩ : ٢٢.

(٤) أفسس ١ : ٧.

يقول باركلي: وهناك صلة بين الكفارة والذبيحة ففي ناموس العهد القديم^(١) كان المخطئ يقدم لله ذبيحة بهدف منها إلى جلب رضا الله وإزالة غضبه ورفع العقوبة عنه، لنفترض أن إنساناً أخطأ، فالخطية تفسد العلاقة بينه وبين الله، ولكي تعود العلاقة السليمة يقدم المخطئ ذبيحة^(٢).

والمسيح ابن الله - في نظر المسيحيين - هو الذبيحة^(٣) الحقيقية التي حصل بها الغفران والخلاص والفداء للبشرية، وذلك لأن الذبائح الحيوانية عندهم فشلت في تحقيق ذلك.

يقول حبيب جرجس: " وكلمة الكفارة معناها في الأصل التغطية والستر أى أن خطايانا سترت بواسطة ذبيحة المسيح وكفارته من انتقام العدل الإلهي^(٤)."

ويقول باركلي: "إن الذبائح الحيوانية فشلت في تحقيق هذا" لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها بمحرقة لا ترضى^(٥) "بم أتقدم إلى الرب وأغنى للإله العلى؟ هل أتقدم بمحرقات، بعجول أبناء سنة؟ هل يسر الرب بألوف الكباش، بربوات أنهار زيت؟ هل أعطى بكرى عن معصيتي، ثمرة جسدي عن خطية نفسي؟^(٦) لقد شعر الناس أن الذبائح لا تكفر عن خطاياهم، ولكن بولس هنا^(٧) يقول إن يسوع المسيح بحياته حياة الطاعة الكاملة وبموته موت المحب الكامل، قدم نفسه ذبيحة لله، كفرت

(١) ففي سفر اللاويين (إذا أخطأ رئيس وعمل بسوء واحدة من جميع مناهي الرب إله التي لا ينفي عملها وأثم، ثم أعلم بخطيته التي أخطأ بها يأتي بقربانه تيساً من المعز ذكراً صحيحاً ويضع يده على رأس التيس ويذبحه في الموضع الذي يذبح فيه المحرقة أمام الرب إنه ذبيحة خطية) أ هـ لاويين ٤ : ٢٣ ، راجع بقية الإصحاح الرابع.

يقول إنسپاس شفيق: (والذبائح كانت جزءاً من عبادة الله التي وضعها منذ البدء وعلى ذلك نرى في الكتاب أن هابيل ونوحا والآباء وإبراهيم وإسحاق ويعقوب قدموا الذبائح) الفداء في إنجيل لوقا ص (٢٩).

(٢) تفسير رسالة رومية ص (٧٣)

(٣) جاء في (علم اللاهوت النظامي) والذبيحة تشير إلى موت المسيح على الصليب كأنه مذبح لأجل خطايا العالم. أ هـ ص (٨٢٢).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٧).

(٥) مزمور ٥١ : ١٦ .

(٦) ميخا ٦ : ٦ ، ٧ .

(٧) يشير إلى الإصحاح الثالث من رسالة رومية.

الكفارة الحقيقية عن الخطية، ويقول بولس إن ما حدث على الصليب فتح الباب للعلاقة السليمة مع الله الأمر الذى فشلت فيه كل ذبيحة أخرى^(١).

وهذه الفكرة - وهى أن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق غفران الخطايا والذنوب - مناقضة لما جاء فى أسفار العهد القديم، فسفر التكوين يبين أن هابيل قدم قربانا لله، والله قبله منه بدليل أن أخاه قابيل اغتاظ منه وقتله.

يقول سفر التكوين: "وحدث من بعد أيام أن قابيل قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قابيل وقربانه لم ينظر فاغتاظ قابيل جداً وسقط وجهه"^(٢).

وسفر التكوين يبين أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قبل الذبائح التى تقرب بها نوح إليه.

"وبنى نوح مذبحاً للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حدوثه، ولا أعود أيضاً أميت كل حى كما فعلت"^(٣).

فلو كانت الخطية - أى خطية آدم - لا زالت عالقة بأبنائه - كما يقولون - فإن أبناءه كفروا عن خطاياهم بالذبائح الحيوانية - كما يشير العهد القديم - وهذه الذبائح الحيوانية قبلها الله سبحانه وتعالى ولو لم تكن هذه الذبائح كافية لما قبلها الله، ولما قال "لا أعود أميت كل حى" على أساس أن الموت جزاء الخطية - كما يقولون.

وهناك دليل آخر أوضح وهو أن ذبائح موسى وقومه كانت سبباً فى نجاتهم من عذاب الرب، فلو لم تكن الذبائح الحيوانية كافية فى التكفير عن الخطية، لما نجى الله موسى وقومه من عذاب الرب. ذلك أن العذاب مترتب على الخطية - كما يقولون -

(١) تفسير رسالة رومية ص (٧٣).

(٢) تكوين ٤ : ٣ - ٥.

(٣) تكوين ٨ : ٢٠، ٢١.

فلو لم تكن كافية لعذبوا حتى ولو بجزء من هذا العذاب، وهو ما لم يقع، فدل على أن الذبائح الحيوانية كانت كافية لنجاة الإنسان من العذاب أى كافية للتكفير عن الخطية.

يقول سفر الخروج: فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زوا^(١) وأغمسوها فى الدم الذى فى الطست، ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست، وأنتم لا تخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب، فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد^(٢).

فالنص يبين أن موسى فدى بنى إسرائيل بأن دلهم على الذبائح الحيوانية التى كانت سبباً فى نجاته هو وقومه من عذاب الرب الذى عذب به المصريين.

وعلى ذلك ففكرة المسيحيين بأن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق غفران الخطايا فكرة مناقضة لما جاء فى أسفار العهد القديم الدالة على أن هابيل ونوحاً وموسى وقومه قد قدموا الذبائح الحيوانية، والله قبلها منهم وغفر لهم خطاياهم ونجاهم من العذاب.

وعليه فلو كان أساس مغفرة الذنوب - عند المسيحيين - هو الذبائح وسفك الدماء، فإن العهد القديم أشار إلى أن الذبائح الحيوانية قامت بهذا الدور، وعلى ذلك فلا داعى للدعاء بأهمية صلب وسفك دماء المسيح، ولا داعى لأن ننسب إلى الله الظلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) الزوا اسم نبات ورد ذكره عدة مرات فى الكتاب المقدس. وهو نبات برى عطرى الرائحة له طعم حار فى البداية ثم يحدت برودة فى الفم. وينبت فى الجدران وفى الصخور. وأورافه مشعرة صغيرة ويستخدم فى شكل حزم صغيرة يمكن أن تحمل النوازل فى داخلها للرش. راجع: قاموس الكتاب المقدس ص (٤٣٨).

(٢) خروج ١٢: ٢٥.

فمن الظلم أن ننسب إلى الله أمره بصلب المسيح من أجل غفران الخطايا وهناك طريق آخر - وهو ذبح الحيوان - يمكن للإنسان أن يحصل - كما أشارت أسفار العهد القديم - على الغفران بسببه، فما الداعى إذن لأن يصلب إنسان - أو كما يقول المسيحيون ابن الله - بدون وجه حق وهناك ما يمكن الاستعاضة به عنه وليس فيه اجترأ ولا ظلم لأحد.

وعلى ذلك يمكن القول: إنه إذا كان بأى سفك دم تحصل المغفرة عندكم فأقرب طريق هو ذبح الحيوان لا الإنسان الذى جعله الله خليفة له فى الأرض.

والسؤال الأهم من ذلك: هل صلب المسيح فعلاً؟ وهل الأدلة قائمة على صلبه؟ الواقع أنه ليس للمسيحيين من أدلة على الصلب سوى الأناجيل الأربعة، والمسيحيون أنفسهم يعترفون بذلك.

يقول د/ حنا جرجس الحضرى: إن الأناجيل الأربعة تذكر لنا مؤامرة القبض ومحاكمة يسوع وموته، كما أنها تذكر أيضاً أسماء رؤساء الكهنة اليهود والحاكم الرومانى الذين اشتركوا فى محاكمة يسوع، ولكن الوثائق التاريخية غير الإنجيلية التى تتكلم عن يسوع وموته قليلة جداً الأمر الذى أدهش المؤرخين كثيراً بل يعتبر حجر عثرة بالنسبة لهم^(١).

ويذكر أيضاً أن السجلات والوثائق الرومانية لا تذكر شيئاً عن صلب المسيح ويقول: وهنا يتساءل بعض المؤرخين واللاهوتيين: كيف يمكن أن يصدر بيلاطس البنطى حكمه بإعدام شخص فى أمة خاضعة لسلطة روما دون أن يرسل تقريراً مفصلاً أو حتى موجزاً عن هذه القضية خصوصاً وأن رؤساء الكهنة والكتبة قدموه إلى الحاكم الرومانى كمفسد للأمة^(٢) وكأنسان ثائر ضد روما والسلطة الحاكمة^(٣).

(١) د/ حنا جرجس الحضرى : تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٢٣٨)

(٢) يشير بذلك إلى ما جاء فى إنجيل لوقا (فقام كل جمهورهم وجاءوا إلى بيلاطس وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إنا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلًا إنه هو المسيح ملك.. وكانوا يشددون قائلين أنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبنداً من الجليل إلى هنا (لوقا ٢٣ : ٦٠-١))

(٣) تاريخ الفكر المسيحى ص (٣٣٩).

ويقول العقاد - بعد أن يذكر دخول المسيح إلى أورشليم ودخوله إلى الهيكل -^(١) وهنا ينتهى دور التاريخ ويبدأ دو العقيدة، ليس للتاريخ كلمة راسخة فى خبر من الأخبار التى أعقبت حادثة الهيكل وحركت كهانه للبطش والنكاية^(٢).

فروايات الأناجيل هى أدلة المسيحيين على الصلب.
والأناجيل بوجه عام - كما سبق أن بينا^(٣) - غير مقدسة. وليست حجة فى الاستدلال بها على أى أمر من الأمور التى جاء بها المسيح عليه السلام.

هذا إلى جانب أننا لو نظرنا إلى روايات الأناجيل عن الصلب ومقدماته لوجدناها متناقضة متعارضة^(٤) بحيث لا يمكن أن نعرف الحق فى أيهم.

"إن أدنى نظر يهذى إلى أن عبارات هذه الأناجيل الأربعة متخالفة، وشهادتها لا تصلح أن تكون مستنداً يثبت به أمر له من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح التى يدعيها المسيحيون ويجعلونها أساس إيمانهم^(٥)."

فلم تختلف الأناجيل فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة الصلب وقتله، فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لها الإلهام ويعتقدون خلوها من الخطأ !! كان ينبغى أن تكون كتابتهم فى هذه الحادثة المهمة - التى هى مناط النجاة ودعامة الإيمان فى نظرهم - متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيهما اختلاف أصلاً، إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ بروايات إذا اتفقت فى موضع واحد من قصة - جاءت فى جميعها - فإنها تتخالف فى مواضع كثيرة، وإذا لم يكن الراوى أميناً كل الأمانة كانت الثقة بروايته ضعيفة والتصديق بها غير سائغ^(٦).

(١) وهى الفترة السابقة للقبض على المسيح - فى نظر المسيحيين - مباشرة. راجع: مرقس ١١ : ١ - ١٠. متى ٢١ : ٧. لوقا ١٩ : ٢٩ - ٤٤. يوحنا ١٢ : ١٩. ١٢ : ١٩.

(٢) حياة المسيح ص (١٩٠).

(٣) راجع الفصل الثانى من الباب الأول.

(٤) راجع دراسة فى الكتب المقدسة ص (١١٧).

(٥) قصص الأنبياء ص (٤٣٧).

(٦) المرجع السابق ص (٤٣٣ - ٤٣٤).

"وفى الحق أن من يراجع الأناجيل وخبرها فى القبض على المسيح وحبسه ثم محاكمته وصلبه فى زعم المسيحيين يجد الاختلاف فى أخبارها اختلافاً بيناً، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين يشهدان فى درهم ما ثبت بشهادتهما دعوى ولا انتصر بها حق"^(١).. فكيف إذا كان هذا الاختلاف فى عقيدة هى أساس الديانة ورأس عقائدها، فالاختلاف بين الأناجيل فى روايات الصلب يجعلنا لا نثق بها، ذلك أن الاختلاف بين الأناجيل يوحى بأنه لا بد وأن يكون واحد منها صادقاً والآخر كاذباً، فمن الصادق؟ ومن غير الصادق؟ ولما كان الصادق منهما غير متعين فالشك يرد على الجميع حتى يثبت الصحيح منها ويقوم الدليل على صدقه وهو ما لا يستطيع أحد أن يبينه.. "فالشك معلق بها جميعاً مما يجعلنا نسقطها جميعاً من مجال الاستدلال، لأن العقلاء يقولون: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال"^(٢).

هذا فضلاً عن أن نصوص العهد الجديد التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث منقولة نقلاً أحادياً^(٣) لا يفيد القطع واليقين ولا تصلح أن تكون مستنداً يثبت به أمر له من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح التى يجعلها المسيحيون أساس إيمانهم وسبب نجاتهم"^(٤).

يقول أبو الفضل المسعودى: "يقال للنصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتقبلونه تواتراً أو أحاداً؟ فإن زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ولم يثبت به العلم الضرورى، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض لهم ذلك فلا يحتج به فى القطعيات"^(٥).

(١) محاضرات فى النصرانية ص (١٠٣).

(٢) مشكلات فى العقيدة النصرانية ص (١٥٦).

(٣) راجع الفصل فى الملل والنحل (١ / ٤٦ - ٤٧).

(٤) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٧١).

(٥) المنتخب الجليل ص (١٠١).

وإن عزوا ذلك إلى التواتر قلنا لهم شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة وهو أن ينقل الجرم الغفير عن الجح الغفير عن الذين شاهدوا المشهود به وهو المصلوب وعلموا به ضرورة، فإن اختلف شئ من ذلك فلا تواتر، فإن زعم النصارى أن خبرهم فى قتل المسيح عليه السلام وصلبه بهذه الصفة أكذبهم نصوص الإنجيل الذى بأيديهم^(١) إذ قال نقلته الذين دونوه لكم وعليه معولكم إن المأخوذ للقتل كان فى شردمة سيرة من تلاميذه، فلما قبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته فقالت هذا كان مع يسوع فحلف أنه لا يعرف يسوع ولا يقول بقوله وخادعهم حتى تركوه وذهب، وأن شاباً آخر تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره فى أيديهم وذهب عرياناً، فهؤلاء أصحابه وأتباعه ولم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل، وأما أعداؤهم من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عداد التواتر، بل كانوا آحاداً وأفراداً وهم أعداؤهم يحتمل عليهم تواطؤهم على الكذب على عدوهم، إيهاماً أنهم ظفروا به وأنهم بلغوا أمانهم فلا يقبلون فيما يحتمل فيه تواطؤهم على الكذب، إذ شرط التواتر أن يكون مما لا يحتمل تواطؤهم على الكذب فمن نازع فيما قلناه فالإنجيل شاهد بيننا وبينه^(٢).

فحوادث الصلب لم ينقلها جمع عن جمع فضلاً عن أن يكونوا صادقين فى رواياتهم، لأن الذين شهدوا هذه الأحداث هم الأعداء، فليس من المستبعد أن يكذبوا فى رواياتهم للأحداث، مما يجعلنا لا نسلم بها لفقدان التواتر الداعى إلى الثقة.. وعلى ذلك فادلة المسيحيين على الصلب غير مسلم بها، لأنه لم يتوافر لها دواعى الثقة والاطمئنان إلى صحتها^(٣).

(١) راجع: منى إصحاح ٢٦، ٢٧. مرقس إصحاح ١٥، ١٦

(٢) المنتخب للجيل ص (١٠١).

(٣) راجع فى الرد على القول بصلب المسيح: كشف الظلمة ص (٨١، ٨٥).

أهمية الموت بالنسبة للمخلص - فى نظر المسيحيين:

لكى يكون المسيح مخلصاً - فى نظر المسيحيين - كان لابد أن يموت بعد صلبه وذلك لأنهم يقولون إن الموت هو عقاب الخطية.

يقول بولس: "لأن أجره الخطية هى موت"^(١)

ولأن الله سبحانه وتعالى قال لآدم - كما يدعون - حين أسكنه الجنة وحذره من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر "لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت"^(٢).

وآدم وحواء - فى نظرهم - حين أكلتا من الشجرة المذكورة ماتتا، وانتقل هذا العقاب إلى كل البشر، وذلك لأنهم ورثوا الطبيعة الفاسدة من آدم.

وحتى يستطيع المسيح أن يرفع عن البشر هذا العقاب - فى نظرهم - ويخلصهم من الموت الذى تسببت فيه الخطية كان لازماً أن يموت نيابة عن البشر.

يقول إثناسيوس الرسولى: "ولكن لما كان ضرورياً أيضاً وفاء الدين المستحق على الجميع، لأن الجميع كانوا مستحقين الموت، الأمر الذى من أجله أتى المسيح بيننا لأجل هذه الغاية، ولذلك قدم نفسه ذبيحة عن الجميع إذ سلم هيكله للموت عوضاً عن الجميع.

أولاً: لكى يحرر البشر من معصيتهم القديمة.

ثانياً: لكى يظهر أنه أقوى من الموت بإظهاره أن جسده عديم الفساد كباكورة لقيامه الجميع"^(٣).

ويقول فى موضع آخر: "وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً ماثلاً للطبيعة البشرية، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع وقدمه للآب، كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره فى البشر الذين تاب عنهم، ولكى يعيد البشر إلى عدم

(١) رومية ٦ : ٢٣.

(٢) تكوين ٢ : ١٧.

(٣) نحمد المسيح ص (٦٨، ٦٩).

الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد. ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار"^(١).

فهم يعلمون أن موت المسيح كان بديلاً أى بدلاً من الإنسان^(٢) فى التكفير عن الخطية وعقابها الذى هو الموت - فى نظرهم.

يقول باسيليوس : " فالموت والخطية قد قهرا على الصليب ، والرب الذى بلا خطية والذى لم يكن خاضعاً للموت اتخذ طبيعة آدم البشرية بتجسده من الروح القدس والعذراء مريم اتخذ طبيعة بشرية غير محطمة أو مشوهة بالخطية ، ثم بذوقه الموت عنا بإرادته حررنا من الخطية والموت"^(٣).

" وأحل السلام - كما يقول جون ستوت - محل العداوة . وأحل الحياة مكان الموت الذى كان ثمرة الخطية لأن أجره الخطية هى موت ، وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح"^(٤).

والمسيح بموته على الصليب - فى نظرهم - لم يخلصهم من خطية آدم فقط بل خلصهم من الخطايا والآثام كلها - كما سبق أن بينا فى تعريف الخلاص عندهم - الماضية والحاضرة والمستقبلية. يقول بولس : " وإذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مساحاً لكم بجميع الخطايا"^(٥).

بل وأكثر من ذلك أنهم جعلوا فى موت المسيح على الصليب إماتة للأهواء والشهوات فى الإنسان . ويصبح الإنسان بهذا الموت - فى نظرهم - إنساناً جديداً .

يقول متى المسكين : " يموت الجسد وتموت فيه كل الأهواء مع الشهوات ويموت العالم من داخل النفس ويخلص الإنسان من طوفان هلاك محيط"^(٦).

(١) المرجع السابق ص (٣٧ ، ٣٨) .

(٢) راجع كلايد تارنر : هذه عقائد ص (٨٩) ، تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٤٩) .

(٣) سر الفداء ص (٢١) .

(٤) رومية ٦ : ٢٣ ، المسيحية فى جوهرها ص (١٣٢) .

(٥) كولوسى ٢ : ١٣ .

(٦) متى المسكين : القيامة والصعود ص (١٧٨) .

ولا شك أن هذا القول لا يتفق مع حال المسيحيين قديماً وحديثاً فما زالوا على حالتهم الطبيعية - أى من وجود الخير والشر معاً - ولم تتغير حالتهم بالصورة التى حدثوا بها، وجعلوها علة لموت المسيح.

فهل تحول الناس بعد ادعائهم بموت المسيح على الصليب؟ هل تحولت طبائعهم التى كانوا عليها؟ هل تغيرت الدنيا بعد هذا الادعاء؟!؟

الواقع أن العالم لم يشهد أى تغير، فما زالت الشرور والآثام عامة وشاملة، تقع فى كل يوم، وفى كل مكان، وفى كل زمان.

أما قولهم بأن الموت عقاب الخطية وأن المسيح مات ليرفع عن البشر هذا العقاب ففيه نظر: ذلك أن آدم مات واستوفى بذلك جزاء خطيته، فما فائدة موت المسيح مرة ثانية؟ إذا قالوا إنه من أجل الموت الذى انتقل بالوراثة إلى أبناء آدم، فإن الواقع يكذبهم فما زال الناس يولدون ويموتون وما زال سلطان الموت قائماً.

"إن هذه العملية إنما كانت تتم - على فرض التسليم بوجود الموت نظير الخطية - كما زعموا - لو أن آدم لم يمت جزاء الخطية أما وأن آدم قد مات واستوفى بذلك جزاءه فموت المسيح إذن باطل لأنه خلا من الفائدة المزعومة بالمرة.

وربما قالوا وهو ما زعموه: بأن المراد هنا موت الخطيئة وهو الهلاك الأبدى - أى الخلود فى الجحيم - لا الموت الجسدى، لأن آدم لم يمت فى يوم الخطيئة نفسه بل عاش حتى بلغ تسعمائة وثلاث سنوات^(١)، ولكن هذا الوهم على فرض التنزل لمجادلتة غير مقبول، لأن آدم يعتبر قد مات فى نفس يوم الخطيئة لأن هذه المدة كلها لا تساوى عند الله يوماً واحداً لقول بطرس: "أيها الأحياء إن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد"^(٢).

ثم إننا لو قصرنا اليوم على أيامنا هذه للزم الخلف فى وعد الله وفى قوله حيث لم يمت آدم الموت الأبدى المزعوم كما قال فى سفر التكوين: "لأنك يوم تأكل منها تموت"^(٣).

(١) تكوين ٥ : ٥ .

(٢) ٢. بطرس ٣ : ٨ .

(٣) تكوين ٢ : ١٧ .

كما لم يمت الموت الجسدى لأنه لم يمت فور ارتكابه الخطيئة فى ذات اليوم المقدر كأيماننا والذى ارتكب فيه آدم الخطيئة اللهم إلا أن يكون قد مات حكماً لا حقيقة، وانتهى الأمر بذلك وإذن فلا وجه لموت المسيح مطلقاً^(١).

"على أن موت يسوع المقول به بدلاً عن آدم إنما هو موت صليبي وهذا يعين أن المراد بالموت هو الموت الجسدى وليس غير، ولو سلمنا أن المراد به الهلاك الأبدى أى الخلود فى الجحيم - لكان اللازم إذن أن يموت المسيح هذا الموت عينه - أى موت الهلاك الأبدى - حيث إنه النائب الشرعى عن آدم والبشر كما قيل وهو القائم مقامهم فى ذلك.

وحيث إنه لم يحصل ذلك النوع من الموت ولم يكن هو المراد فما تم الفداء ولا حصل الخلاص ولا وجد نياحة المسيح أثر ولا ظهر لرحمة الله أثر ولا كان لعدل نفوذ، وكان موت المسيح إذن ظلماً لأن الموت الجسدى غير مراد هنا، ولو كان مراداً لأجزأ موت آدم عن نفسه لأنه هو الموعد بذلك وليس يسوع المسيح ويكون بذلك قد تم وعد الله ونفذ عدله بدون مشكلة"^(٢).

ويقال لهم أيضاً: إذا كان المراد بالموت: الموت الروحى والأدبى بمعنى أن آدم روحياً أصبح ميتاً فإنه مردود بما سبق أن أوردنا من أن هناك دلائل - فى سفر التكوين - تشير إلى أن آدم تاب^(٣) من هذه المخالفة والله قبل توبته وذلك لأن الله صنع له ولحواء أقمصه من جلد وألبسهما، فلو لم يتب عليهما لما صنع لهما هذه الأقمصه وتركهما وشأنهما، وما دام آدم قد تاب فلا داعى لأن يتحمل البشر ذنباً غفره الله وتاب على صاحبه.

هذا فضلاً عن أن القول بانتقال الطبيعة الفاسدة الميتة روحياً إلى البشر قول مناقض لما جاء فى أسفار العهد القديم والذى تدل على أن نوحاً وإبراهيم وإسحاق وموسى وأيوب وغيرهم كانوا مؤمنين صاخين بارين لله أتقياء له، فلو كانت الطبيعة

(١) عقيدتنا الصلب والتثليث فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (٢١١).

(٢) المرجع السابق ص (٢١٢).

(٣) نحن المسلمين نؤمن بأن الله تاب على آدم (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة : ٣٧.

الميتة روحياً قد انتقلت إليهم لما كانوا كذلك ولما كانوا على هذه الدرجة من الإيمان بالله وتوحيده وتعظيمه.

من الذى صُلب ومات - فى نظرهم - هل هو المسيح الإنسان أم الإله؟

يرد على المسيحيين أسئلة كثيرة: من الذى صلب على الصليب؟ ومن الذى أسلم روحه ومات على الصليب؟ هل المسيح الإنسان؟ أم أنه المسيح الإله؟ أو بمعنى آخر: هل فارق اللاهوت الناسوت وقت الصلب والموت؟ أم أن اللاهوت لم يفارق الناسوت؟

مقتضى فكرة المسيحيين عن المخلص تحتم أن الذى صُلب هو المسيح ابن الله، فهو - فى نظرهم - تجسد خصباً من أجل الصلب والموت ليخلص البشرية.

لذلك يقول كتاب (السنكسار) : " وتعلمنا الكنيسة المقدسة أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين " (١).

ويقول الأب لويس برسوم : " وإذن ظل اللاهوت متحداً بالناسوت على الدوام دون أن يفارقه قط ، وحتى حينما أسلم يسوع روحه لم يفارق اللاهوت الناسوت بل ظل متحداً مع الجسد الذى دفن فى القبر " (٢).

ويقول الأنبا ساويرس : " لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده ولم يفارق روحه ولا جسده عند موته " (٣).

كل هذا يقتضى أن اللاهوت وقع عليه الآلام وتعرض هو والناسوت إلى المعاناة والمشقة ، ولكن المسيحيين يقولون نعم إن اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة إلا أن الذى تألم ومات هو الناسوت أما اللاهوت فلم يتألم ولم يموت.

(١) كتاب السنكسار (٢ / ٩٩).

(٢) المسيح الإله والإنسان ص (٦٥)

(٣) الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (٦٢ ، ٦٥)

يقول أفلاطون مطران موسكو: "إن الذى تألم هو الناسوت لا اللاهوت المنزه عن كل ألم، ثم دفن مع الجسد لئلا يظن موت المسيح خيالياً"^(١)

ويقول بولس إلياس اليسوعى: "إن المسيح لم يمت بوصفه إلهاً - فالإله لا يموت - ولكنه مات بوصفه إنساناً وليس فى موت الإنسان ما يدعو إلى الاستغراب"^(٢).

فالمسيح - فى نظرهم - مات بوصفه (ابن الإنسان) لأن اللاهوت لا يتأثر بالصلب أو الموت^(٣).

يقول باسيليوس: " المسيح ابن الله مات يقيناً ليس بلا هوته بل بناسوته قد مات ومع ذلك فإن إنسانية المسيح اتحدت بشخصه الإلهى وتشخصت فيه ، ولذلك فرغم أن لاهوت المسيح كان حراً من الآلام وقت الآمه ، وغير مائت فى وقت موته إلا أن هذه الآلام قد اتخذها ابن الله وتبناها لنفسه بطريقة ما تفوق الفهم ، ولهذا السبب يمكننا أن نقول إن ابن الله الأزلئ المتجسد تألم ومات على الصليب بناسوته بينما ظل غير متألم بلا هوته "^(٤).

وبرغم عدم معقولية هذا المنطق وتناقضه إلا أننا سوف نناقشه على علته وذلك فيما يلى :

(١) إن القول بأن الناسوت هو الذى تحمل الآلام والصلب والموت يعنى الخط من شأن الفداء والخلاص ، فهو على هذا خلاص ناسوتى بشرى لا لاهوتى ، أو معناه أن الناسوت أقدر على الخلاص والفداء من اللاهوت.

" ويقال لهم أليس المسيح عندكم عبارة عن لاهوت وناسوت اتحدا فاصرا مسيحاً؟ فإذا قالوا بلى. قلنا فالميت أيهما؟ فإذا قالوا الناسوت. قلنا: فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت وعجز عن ذلك لاهوت حى؟ أفنقولون إن ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته؟"^(٥).

(١) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص (٩٤).

(٢) يسوع المسيح ص (١١٣).

(٣) عوض سمعان: قيامة المسيح ص (٦).

(٤) سر الفداء (٢٢.٢١).

(٥) المنتخب الجليل ص (١١٥).

(٢) إن هذا القول مناقض لفكرتهم وشروطهم فى المخلص، إنه لا بد وأن يكون المسيح ابن الله، فإذا كان الذى صلب وتآلم ومات هو ابن الإنسان، فمعنى ذلك أنه لم يتوافر فيه وقت الفداء هذا الشرط.

هذا إلى جانب أن هذا القول مناقض لما جاء فى العهد الجديد الذى يقول: "دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية"^(١) "قدم ابن الله - لا ابن الإنسان - هو الذى يطهرهم من كل الخطايا.

(٣) إنه - على هذا القول - لا داعى لتجسد ابن الله، لأن أى إنسان كان يكفى أن يقوم بهذا ويتحمل الآلام ويصلب ويموت نيابة عن البشر.

ولقد رد العلامة أبو الفضل المسعودى على هذه الفكرة فقال "قال المسيحيون إنما يكون القتل نقيصة لو أنه مضاف إلى اللاهوت بل القتل مضاف إلى ناسوته دون لاهوته.

الجواب: يتمتع ذلك عند الأرثوذكس القائلين إن المسيح قد صار بالاتحاد طبيعة واحدة، إذ الطبيعة الواحدة لم يبق فيها ناسوت متميز عن اللاهوت، والشئ الواحد لا يقال مات ولم يم، وأهين ولم يهن.

أما الكاثوليك القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته فيقال لهم: فهل فارق اللاهوت الناسوت عند القتل؟ فإن قالوا فارقه أبطلوا دينهم فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد، وإن قالوا لم يفارقه فقد التزموا ما ورد على الأرثوذكس وهو قتل اللاهوت مع الناسوت. وإن فسروا الاتحاد بالتدرع وهو أن الإله جعله مسكناً له وبيتاً ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت أبطلوا ألوهيته فى تلك الحالة، وقلنا لهم: أليس قد أهين؟! وهذا القدر يكفى فى إثبات النقيصة إن لم يأنف اللاهوت لسكنه أن يناله هذه النقائص، فإن كان قادراً على نفى النقائص فقد أساء مجاورته ورضى بنقيصته وذلك عائد بالنقص عليه فى نفسه، وإن لم يكن قادراً فذلك أبعد له عن عز الربوبية"^(٢).

(١) ١. يوحنا ١: ٧.

(٢) المنتخب الجليل ص (٤٠ / ٤١).

دعوى قيامة المسيح وأهميتها لفكرة الخلاص عندهم:

يدعى المسيحيون أن المسيح عليه السلام صُلب ومات ثم بعد ذلك قام من القبر بعد ثلاثة أيام حيث ظهر لتلاميذه^(١).

يقول حبيب جرجس: " بعدما دفن السيد المسيح ومكث في القبر ثلاثة أيام^(٢) عادت نفسه الطاهرة ونهض بقوة لاهوته قائماً من القبر في يوم الأحد باكراً... وظهر بعد قيامته لتلاميذه"^(٣).

وقيامة المسيح عقيدة أساسية في المسيحية وركيزة من ركائز الإيمان المسيحي حتى أنه بدون قيامة - كما يقول باسيليوس - لا تكون المسيحية سوى وهم لا جدوى منه^(٤).

ويقول باركلي: " ويجب ألا ننسى أنه بدون قيامة لما قامت الكنيسة المسيحية على الإطلاق"^(٥).

وهذه العقيدة - في نظر المسيحيين - هي المنطلق الأساسي الذي بنى عليه الإيمان المسيحي كله فالإيمان بالمسيح يعني الإيمان بالقيامة^(٦).

(١) عن القيامة والظهور في الأنجيل راجع: متى اصحاح ٢٨. مرقس اصحاح ١٦، لوقا اصحاح ٢٤، ويوحنا اصحاح ٢٠.

(٢) يعتمد المسيحيون على بيان أن المسيح مكث في قبره ثلاثة أيام على ما ورد في الأنجيل على لسان المسيح وهو بين تلاميذه، وذلك حين طلب الكتبة والفريسيون من المسيح عليه السلام أن يريهم آية " فأجاب وقال لهم جبل شريز وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال " متى ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ، مرقس ٨ : ١١ ، وهذا القول إشارة إلى ما جاء في سفر يونان (١ : ١٧ ، ٢ : ١ - ١٠) عن أن يونان بقي في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. يقول المسيحيون إن هذا إخبار من المسيح بأنه سيمكث في القبر هذه المدة المذكورة . ولكننا إذا رجعنا إلى الأنجيل ورواياتها عن الصلب والقيامة لوجدنا استحالة تحقيق هذه النبوءة لأنه لكي تتحقق يجب أن يبقى المصلوب في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ولكن إذا رجعنا إلى روايات الأنجيل لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة (مرقس ١٥ : ٤٢ - ٤٦) ولقد اكتشف التلاميذ قيامته فجر يوم الأحد (متى ٢٨ : ١ - ٦) وبعملية حسابية بسيطة نجد أن عدد الأيام التي قضاها الميت في بطن الأرض (في القبر) تساوي يوماً واحداً (يوم السبت) وعدد الليالي التي قضاها الميت في القبر تساوي ليلتين على أحسن الفروض . راجع المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص (١٠١) وبذلك نستطيع أن نقول إنه استحالة تحقيق هذه النبوءة فمما بقي الميت في قبره ثلاثة أيام ولا ثلاثة ليال (راجع أيضاً إظهار الحق ص ٢٥٩).

(٣) خلاصة الأصول الإنمائية ص (٤٨ ، ٤٩).

(٤) سر الفداء ص (٣٠).

(٥) تفسير أعمال الرسل ص (٤٧).

(٦) القيامة والصعود ص (٤٢).

لذلك يقول بولس: "إذا لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا^(١) وباطل أيضاً إيمانكم^(٢) وهذه العقيدة لها أهمية خاصة عند المسيحيين بالنسبة لفكرة الخلاص، فهي أساسية وضرورية لها، فلكى يكمل المسيح المخلص - فى نظرهم - عملية الخلاص كان لابد وأن يقوم من موته.

يقول كلايد تارنر: "إن مسيحاً ميتاً لا يمكن أن يكون مخلصاً، فقيامه المسيح أكدت أن الله قد قبل عمله الكفارى على الصليب"^(٣).

ويقول بولس: "الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا"^(٤).

ويقول: "وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد فى خطاياكم"^(٥).

ويقول د/ فهم عزيز: "إن قيامة المسيح كانت ركناً أساسياً فى هذا العمل العظيم"^(٦).

ذلك أن المسيح بقيامته - فى نظرهم - أظهر انتصاره على الموت الذى هو أجرة الخطية..

يقول اسبيرو وجبور: "ففى آدم مات الجميع بآدم حيث انتقل الموت إلى الجميع، أما فى المسيح فقد قام الجميع، بالمسيح انتقل الجميع من الموت إلى الحياة"^(٧).

ويقول أفلاطون مطران موسكو: "وقد أظهر يسوع بقيامته أنه غلب الموت، وكيف كان ممكناً أن يضبط الموت المتسلط على الحياة"^(٨).

(١) الكرازة - كما يقول د/ فهم عزيز - تقديم الإنجيل إلى الناس وإعلان ما فعله الله فى المسيح لكى يصلح العالم نفسه (المدخل إلى العهد الجديد ص ٨٧).

(٢) ١ - كورنثوس ١٥ : ١٤ يقول بولس إلياس يسوعى فى التعليق على هذا النص (يظهر بولس بهذه العبارة أهمية القيامة بالنسبة إلى الدين المسيحى، لو لم يقوم المسيح من بين الأموات لكان إيمان المسيحيين باطلاً) ١ - هـ (يسوع المسيح ص ١٤٨).

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٩٢).

(٤) رومية ٤ : ٢٥.

(٥) ١ - كورنثوس ١٥ : ١٧.

(٦) المدخل إلى العهد الجديد ص (٨٩).

(٧) سر التدبير الإلهى (التجسد ص ١٦٨).

(٨) الخلاصة الشهية ص (١٠٠).

وعلى ذلك فالقيامة - فى نظرهم - هى التى أبرزت انتصار المسيح على الموت، وخلصت البشر من الخطيئة ومن الفساد الروحى الموروث نتيجة لسقوط آدم. وهى التى أقامت البشر - فى نظرهم - من وهدة الإثم والخطيئة التى أسقطهم فيها آدم بمعصيته.

يقول دوم كولومبا مرميون: " فالمسيح بقيامته أباد الخطيئة التى سببت الموت لآدم ونسله، ذلك أن المسيح بقيامته انتصر على الموت الذى سببته الخطيئة. وعليه فإن القيامة أعادت الحياة الجديدة للإنسان التى لا سلطان للموت عليها^(١) ".
وقبل أن تناقش فكرة القيامة^(٢) ينبغى أن نسأل سؤالاً:

يقولون إن المسيح صلب ومات ثم قام، وهنا نقول لهم: من أقامه وأحياه؟

فإن قالوا نفسه. قلنا وهو حى أو ميت؟ فإن قالوا وهو حى لزمهم تحصيل الحاصل، وإن قالوا وهو ميت لزمهم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتاً، بل أقل أحواله أن يكون عالماً بمن يحييه، وقيام العلم بغير الحى محال^(٣). وإن قالوا أحياء غيره وهو الذى أماته. قلنا فذلك الغير الذى تولى موته وإحياءه أحمى أم ميت؟ فإن قالوا ميت كان ذلك محالاً إذ الميت لا يحى ولا يميت. وإن قالوا كان حياً قادراً أمات المسيح ثم أحياه قلنا فقد اعترفت أن المسيح عبد من العبيد تجرى عليه الأحكام من الأموات والأحياء وفى هذا بطلان شريعة إيمانكم^(٤).

وهناك أمر آخر: هم يقولون إن المسيح الابن - الأقنوم الثانى - هو الذى يمثل العلم أو النطق للذات الإلهية، وهنا نتساءل: هل كان الله فى هذه الأيام الذى مات ودفن فيها جاهلاً بدون علم؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هل كان الله فى هذه الأيام أخرساً بدون نطق!! تنزه وتعالى سبحانه عن ذلك..

(١) المسيح حياة النفس ص (١٩٤).

(٢) عن الرد على القول بقيامة المسيح من قبله راجع كشف الظلمة ص (٧٩ - ٩٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (١٩٩).

(٤) المنتخب الجليل ص (١١٥).

هم يقولون أيضاً إنه الله وهنا أيضاً نساءل - كما يقول ابن القيم - "أخبرونا من كان المسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم، فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟ أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه "ملعون من تعلق بالصليب" (١) أم تقولون كان هو المدبر لها في تلك الحال، فكيف وقد مات ودفن؟ (٢)

ونقول لهم أيضاً: من كان يقوم برزق الأنعام والأنعام في تلك الأيام؟ وكيف كان حال الوجود والإله في اللحود؟ ومن المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض والرفع والخفض؟ وهل دفنت الكلمة بدفنه وقتلت بقتله أم خذلتته وهربت مع التلاميذ؟ فإن دفنت فإن القبر الذي وسع الكلمة عظيم، وإن أسلمته وزهبت فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟ وكيف يحسن بهذا الإله إسلامه محله لأعدائه وخذلان سائر أوليائه (٣).

ومن ناحية أخرى فإن فكرة القيامة قائمة على أسس باطلة فهي قائمة على أساس أن المسيح صُلب، ولقد بينا سابقاً أن أدلتهم على الصلب متناقضة متضاربة بحيث لا يمكن إثباته منها وعلى ذلك فهو باطل، وما بنى على الباطل فهو باطل.

هذا إلى جانب أننا لو نظرنا إلى دعوى القيامة ذاتها لوجدنا أنها ليس لها من الأدلة - كالصلب - سوى روايات الأنجيل وهي روايات متعارضة متناقضة أيضاً (٤). فلقد اختلفت (قصة القيامة) في الأنجيل اختلافاً عجيباً بحيث لا يمكن معه إثبات أي حقيقة (٥).

(١) تنبيه ٢١: ٢٣.

(٢) هداية الحيارى ص (٢٧٧).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (٢٩٩).

(٤) راجع تفسير المنار (٦ / ٣٩)، قصص الأنبياء ص (٤٥٠).

(٥) راجع عقيدة الصلب والفداء (ص ١٠٠، ١٠١).

يقول شارل جنيبير: " إن روايات الإنجيل التي وصلت إلينا والتي تتعلق بقيامة المسيح لتبدو للمؤرخ الناقد نوعاً من الإنشاءات التي لا تنسجم عناصرها، قد بنيت على ذكريات مبهمه وتفصيل متعارضة^(١)."

كيف ظهرت عقيدة الخلاص المسيحية؟

المسيح لم ينسب إلى نفسه إنه المخلص أو أنه المسيح المنتظر. ومن يقرأ الأناجيل المسيحية الحالية لا يجد فيها أى نص منسوب إلى المسيح عليه السلام يشير فيه إلى كونه مخلصاً.

وهذه الحقيقة أكدها العلماء والباحثون.

يقول ولز: " يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسر فيها مبادئ الكفارة والفداء. كذلك لا يبرز هو دعواه أنه (المسيح) ولا يضافى على اشتراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز. ربما أحسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمراً فى الدرجة الأولى من الأهمية. ومن أشد ما يحير اللب قوله: " حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح "^(٢).

فمن العسير أن يفهم الإنسان السر فى هذا المنع إذا فرضنا أنه كان يعد هذه الحقيقة من ضروريات الخلاص^(٣).

ويقول شارل جنيبير: " والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر "^(٤).

فإذا كان المسيح - فى نظرهم - هو ابن الله الذى تجسد وظهر فى صورة بشرية من أجل الخلاص والفداء فلم لم يقل عنه شيئاً؟ ولم لم يبينه؟

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٤٩).

(٢) متى ١٦ : ٢٠ .

(٣) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص (٦٩٢ ، ٦٩٣).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٣٩).

لقد كان المسيح عليه السلام معلم الشعب، فإذا كان نزل للفداء فكان عليه أن يشرح ما جاء من أجله خاصة وأن يبينه ويوضحه.

يقول عبد الرحمن الباجة: "لو صحت في عيسى دعواكم الباطلة من كونه إلهاً تجسد في بطن العذراء من أجل خطيئة آدم لكان ذلك أول أوامره ومفتاح تعليمه لأنها أساس العقيدة الدينية - بزعمكم - وهذه الأناجيل على أنها محرفة لم يكن فيها شئ من دعواكم الباطلة"^(١).

ومن ناحية أخرى لم نجد في الأناجيل المسيحية أنه ورد على لسان المسيح عليه السلام أى نص يشير من قريب أو من بعيد إلى ما يدّعون من فكرة الخطيئة الأصلية^(٢) الموروثة من آدم وحواء.

نعم إن هناك بعض النصوص التى تتكلم عن الخطايا التى يرتكبها الإنسان، ولكنها لا تشير ولا تلمح من قريب ولا بعيد إلى خطيئة سابقة موروثة من آدم وحواء^(٣).

"إن المسيح عليه السلام وجميع الأنبياء والرسل قبله لم يذكروا لنا شيئاً مطلقاً عن هذه الخطيئة الموروثة، وإلا فما هو العهد القديم الذى بين أيديهم، وما هى الأناجيل التى يؤمنون بها، ها هى أمامهم، لم لم يذكر فى أحدها أن بنى آدم وصموا بذنب لم يقترفه أحدهم"^(٤).

فالمسيح عليه السلام لم يسم نفسه أنه المخلص أو المسيح المنتظر^(٥)، وكذلك لم يذكر لنا شيئاً هو والأنبياء والرسل قبله عما يسمونه بالخطيئة الموروثة وكذلك أيضاً لم يذكر الحواريون شيئاً عن هذا.

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٦٩).

(٢) يقسم المسيحيون الخطيئة إلى قسمين: أصلية وهى التى يولد الإنسان بها - أى التى ورثها من آدم، وفعلية وهى التى يرتكبها الفرد فى حياته ٠٠ راجع علم اللاهوت النظامى ص (٨١٩).

(٣) راجع د/ محمد فؤاد الهاشمى: حوار بين مسيحي ومسلم ص (١٢٤، ١٢٥).

(٤) المسيح والتثليث ص (١٨٠).

(٥) المسيحية الرابعة ص (٤٠).

يقول د/ رؤوف شلبي : " وإذا درسنا ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال فإننا لا نجد أنهم فكروا فى إنشاء كنيسة ، فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى " (١) .
ومعلوم أن قوام الكنيسة هو التركيز على ألوهية المسيح وصلبه وقيامته وهى أسس عقيدة الخلاص .

ويقول أدولف هرنك - أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين - " لا يوجد فى أى مكان من تعاليم الاثنى عشر أى ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح " (٢) .
ويقول ولز : " وليس هناك من دليل واضح على أن حوارى المسيح اعتنقوا مبادئ الكفارة والفداء " (٣) .

ويعتبر (بولس) هو أول من أدخل هذه العقيدة فى المسيحية . فكانت إحدى عقائده الرئيسية التى بشر بها فى المسيحية .

يقول د/ فهم عزيز : " ويعتبر بولس الشخص الذى عرف تلك الأسرار العميقة للموت الفدائى الذى قام به المسيح ، وأظهر عقيدة الكفارة فى قوتها وجلالها ، ورأى فى طقوس التاموس وشرائعه أعمالاً تشير إلى هذه العملية العظيمة التى يقوم بها المسيح " (٤) .

ويقول المؤرخ الألمانى أرنست دى يونس : " إن روايات الصلب والفداء من مخترعات بولس " (٥) .

ولقد أوردنا فى الفصل الثالث من الباب الأول أقوال كثير من العلماء . والباحثين الدالة على أن بولس هو الذى أدخل هذه العقيدة فى المسيحية وبولس هذا ليس واحداً من تلاميذ المسيح . ولا من تلاميذ تلاميذه ، بل كان من ألد أعداء المسيحية ، ثم بعد ذلك تحول إلى المسيحية ، وأصبح من أكبر دعايتها ومبشرها .

(١) المرجع السابق ص (١١٦) .

(٢) راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص (٢٧٥) .

(٣) معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثالث) ص (٦٩٢) .

(٤) د/ فهم عزيز ملكوت الله ص (٢٢٩) .

(٥) راجع الفارق بين المخلوق والخالق ص (١٥ ، ٢٨٨) .

وقد قلنا سابقاً إن بولس خضع لتأثيرات معينة ، فقد استقى تعاليمه من مصادر أخرى غير تعاليم المسيح وتعاليم تلاميذه ، وهى الأديان الوثنية المنتشرة آنذاك ، وكانت هذه العقيدة إحدى العقائد الرئيسية التى استقاها بولس من هذه الأديان.

دعوى موت الإله وبعثه من أجل الخلاص فى الأديان الوضعية

لقد أشار الباحثون إلى أن فكرة موت الإله وبعثه من أجل الخلاص عرفت بين الوثنيين منذ زمن بعيد.

يقول العلامة دوان : " إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم " (١).

ويقول صموئيل هنرى : " لقد كانت أسطورة موت الله وبعثه إحدى أهم العناصر فى الأسطورة والنسق الطقسى القديمين " (٢).

وترجع أصل هذه الفكرة عند بعض الباحثين إلى أن الوثنيين كانوا يربطون بينها وبين النباتات ، فالنباتات تموت فى الشتاء ثم تولد من جديد فى الربيع ، لذلك تخيل الوثنيون موت النباتات سنوياً وولادتها من جديد فى بدء الربيع ، وكان الوثنيون عند وقت البذور يضحون ببعض الأشخاص البشريين حتى إذا ما حل وقت الحصاد اعتقدوا بأنه بعث لهذا الشخص الذى مات ضحية.

يقول ولز : " إن فكرة البذار كانت مرتبطة ارتباطاً قوياً فى ذهن الوثنيين الأقدمين مع فكرة التضحية الإنسانية ، ففى ذلك العالم القديم - منذ آلاف السنين - كانت كلما دارت الأيام دورتها وحل أوان البذار حلت معه ضحية بشرية ، ولم تكن التضحية بأى شخص وضع أو منبوذ بل كانت فى العادة تضحية بشاب مختار أو فتاة مختارة ، وكان المختار فى الغالب الأعم فتى يعامل معاملة تنطوى على الإجلال العميق ، بل حتى على العبادة إلى لحظة تقديمه قرباناً ، وكان يعد ضرباً من ملك إله يقدم قرباناً ،

(١) العقائد الوثنية ص (٣٦).

(٢) صموئيل هنرى هووك : منعطف المخيلة البشرية ص (١٤٣).

أو كان يعد (ملكاً رباً) كتبت عليه التضحية، ثم أصبحت كل تفاصيل قتله طقوساً يتولاها ويقوم عليها الرجال المسنون العارفون^(١).

"فرجل يضحي به وقت البذر حتى تخصب الأرض بدمائه - وذلك في اعتقادهم - حتى إذا ما حل موسم اخصاد فسروده بأنه بعث للرجل الذى مات ضحية. وكانوا يخلعون عليه قبل موته وبعده جلال الآلهة. ومن هذا الأصل نشأت الأسطورة التى تروى فى ألف صورة مختلفة كيف يموت الله فى سبيل شعبه ثم يعود إلى الحياة بعدئذ ظافراً"^(٢).

ثم حدث بعد ذلك أن "اختلطت الأساطير التى تروى عن الشمس بشعائر الزراعة اختلاطاً فيه تناسق وانسجام بحيث أصبحت الأسطورة التى تروى عن موته الإله وعودة ولادته لا يقتصر مدلولها على موت الشتاء وعودة الحياة إلى الأرض فى الربيع بل تجاوزت ذلك إلى الانقلابين الأخيرين: الصيفى والخريفى، وما يعقب ذلك من قصر النهار وطوله. وذلك لأن حلول الليل - فى نظرهم - لم يكن إلا جزءاً من هذه المأساة. فإله الشمس يموت كل يوم مرة ويولد كل يوم مرة أخرى فكل غروب له بمثابة الاستشهاد على الصليب، وكل شروق هو بعث له ونشور"^(٣).

وهناك رأى آخر يحول نشأة هذه الفكرة عند الوثنيين وهو: أن هذه الفكرة مرتبطة عندهم بضعف الشمس فى الشتاء ثم صحوتها فى الربيع. والآلهة مرتبطة بالشمس ولذلك فهى تموت فى الشتاء وتقوم فى الربيع.

واعتقد أن الأخذ بأحد الرأيين لا يلغى الآخر. ففكرتهما واحدة والاختلاف يدور حول نوعية الآلهة المرتبطة بالفكرة هل هى آلهة الزراعة والإخصاب التى تموت وتبعث؟ أو هى آلهة الشمس والكواكب التى تموت فى الشتاء بأن تضعف أو تقل فى الشتاء ثم بعد ذلك تصحو فى الربيع؟

(١) موجز تاريخ العالم (٥٠، ٥١). راجع أيضاً: معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الأول) ص (١٠٨).

(٢) قصة الحضارة (المجلد الأول) (١١٣ / ١).

(٣) المرجع السابق. نفس الصفحة.

وأعتقد أيضاً أن تطبيق الفكرة على الاعتقاد بموت النبات فى الشتاء وولادته فى الربيع أكثر وضوحاً من تطبيقها على الفكرة الثانية.

يقول شارل جنيبير: "لقد ثارت مناقشات كثيرة حول أصل هذه الآلهة المختلفة - التى تموت وتبعث - وحول مبدأ ورموز الأساطير التى يمثلونها، والجدل ينحصر اليوم بين نظريتين فحسب، وإن كانت الواحدة منهما لا تلغى الأخرى، فإما القول بالآلهة الشمسية وإما التفسير بالمواسم الزراعية، ولكن العلة الأولى فى كلتا الحالتين لا يمكن أن تكون إلا تتابع الفصول المنتظم على مدار الزمن، سواء نظرنا إليه من زاوية المدار الظاهرى للشمس أم من ناحية ظواهر نمو النباتات، وقد نبعت من انتظام الفصول تلك الأسطورة التى تزعم أن الإله يموت فى بدء الشتاء ثم يبعث على أبواب الربيع"^(١).

وما يعنينا هنا أن فكرة موت الإله وبعثه من أجل خلاص البشر ظهرت بين الوثنيين منذ فترة طويلة وظلت تدور فى الأديان الوثنية جميعها - أو معظمها - وترك طابعها فيها حتى تجلّت واضحة فيما بعد فى الديانة المسيحية^(٢).

فقد ظهرت بين الهنود والمصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم كثير.. وإليك تفاصيل هذه الفكرة فى بعض الأديان الوثنية.

(١) فى الأديان الهندية القديمة:

كان الهنود الوثنيون يعتقدون بفكرة الخلاص بجذورها المعروفة بها عند المسيحيين..

فكانوا يعتقدون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء فى تضرعاتهم "إنى مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتني أُمى بالإثم فخلصني ياذا العين الحندوقية، يا ملخص الخاطئين، يا مزيل الآثام والذنوب"^(٣).

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٧٢).

(٢) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم (٣ / ٦٢).

(٣) العقائد الوثنية ص (٣٧ ، ٣٨).

وكانوا يعتقدون أيضاً بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة^(١)

وكانت الآلهة المتجسدة عندهم من أجل الخلاص متعددة نذكر منها ما يلي :

(١) الإله كرشنا :

والإله كرشنا هو أحد الآلهة التي كانت تمثل عندهم بصورة " الإله المخلص الذي قدم نفسه ذبيحة عن البشر".

يقول دوان : " ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله (فشنو) والذي لا ابتداء ولا انتهاء له ، على رأيهم تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه " (٢).

ويقول د/ على زيفو : " الملحوظ هنا هو النظرة للإله : إن كرشنا قد حل في شكل بشري ، وهبط هذا الإله للأرض كي يخلص البشرية ، وحيث إنه جاء ليخلص فهو بمثابة إله يهتم بالعالم ويساعد الإنسان ، ومن صفات الإله كرشنا أنه محبة وبسبب ذلك تجسد " (٣).

ويصفون - أى الهنود - كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً . لأنه قدم شخصه ذبيحة . ويقولون إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه .

وقد ذكر موت (كرشنا) بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمر بها بضربة حربة ، والمقصود بالشجرة . كما يقولون دوان - الصليب ...

هذا وقد صور (كرشنا) في كتب الهنود مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ومعلق بمقيصه صورة قلب الإنسان (٤).

(١) المرجع السابق ص (٢٧).

(٢) المرجع السابق ص (٣٨).

(٣) د/ على زيفو : الفلسفات الهندية ص (١٦٨).

(٤) العقائد الوثنية ص (٣٨).

وقد صور "ول ديورانت" أقوال الباحثين فى موت كرشنا فقال: "ويزعم بعض الرواة أنه مات مطعوناً بسهم، ويزعم آخرون أنه قتل مصلوباً على شجرة وهبط إلى جهنم ثم صعد إلى السماء على أن يعود فى اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم"^(١).

وهكذا تصور الهنود أن الإله كرشنا محبة ولذلك تجسد وظهر بصورة بشرية ليقدم نفسه ذبيحة وفداء عن البشر وخطاياهم.

(ب) الإله بوذا المخلص:

هذا وقد عبد البوذيون (بوذا) على صورة الإله الذى تجسد من أجل خلاص البشرية، بأن يحمل عنها عبء خطاياهم القديمة وبحول بينهم وبين ارتكاب خطايا أخرى جديدة^(٢).

لذلك يقول محمد طاهر التنير: "والقول بالفداء بواسطة إله تجسد وظهر بالناسوت عمومى عند البوذيين"^(٣).

ويقول هوك - أحد المبشرين الفرنسيين - : "إن بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معاً وأنه تجسد بالناسوت فى هذا العالم ليهدى الناس ويفديهم ويبين لهم طريق الأمان، وهذا التجسد اللاهوتى يعتقده كافة البوذيين. كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص الناس"^(٤).

والبوذيون يقولون إن بوذا ترك الفردوس ونزل إلى الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس، كى ينقذهم من الآثام، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، ويحمل أوزارهم، ويفديهم مما يستحقونه من العذاب، بأخذه عنهم ما يستحقون من القصاص"^(٥).

(١) قصة الحضارة المجلد الأول (٣ / ٢٠٤).

(٢) الفلسفة الشرقية ص (١٤٥).

(٣) العقائد الوثنية ص (٦١).

(٤) المرجع السابق ص (٤٢).

(٥) المرجع السابق ص (٥٩).

وهكذا صور البوذيون بوذا فى صورة المنقذ والمخلص الذى نزل إلى الأرض ليخلصهم من الآثام ويفديهم من العذاب بتحملة عنهم

(٢) فى الديانة المصرية القديمة:

لقد اعتقد المصريون القدماء بأن إلههم (أوزوريس) كان يحيا حياة البشر، ثم مات وبعد ذلك قام ويعث.

يقول أندرية إيمار: " كان أوزوريس وهو ابن الإله يموت ويعث حياً"^(١).

ويقول السير آرثر فندلاى " إن أول إله مخلص قرأنا عنه هو أوزوريس الذى ظهر فى مصر فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكان أميراً مصلحاً فظن أنه إله، لأن الآلهة - كما يعتقدون - تلبس لباس ذوى الشرف الرفيع، ولما ظهر شبّه بعد الموت ظنوا أن الآلهة سمحت له بالحياة، وأنها لم تعد غاضبة على الشعب الذى كان يرزح^(٢) فى خطاياهم وآثامه وأنها رفعت عنه غضبها ولعنتها التى كتبت عليه بسبب آثامه وخطاياهم"^(٣).

ويقول بونويك: " بعد المصريون أوزوريس أحد مخلصى الناس وأنه قهر وقتل"^(٤) ثم عاد للحياة ثانية^(٥).

(٢) فى الديانة الفارسية القديمة:

إن فكرة الإله المنقذ والمخلص كانت أيضاً واضحة فى الديانة الفارسية القديمة ذلك أنهم اعتقدوا بإله مخلص يخلص البشرية.

(١) تاريخ الحضارات العام المجلد الأول الخاص بالشرق واليونان القديمة ص (٩٢)، راجع أيضاً: مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة ص (٨٩)

(٢) فى المعجم الوسيط (رزح البعير رزاحاً ورزوحاً: ضعف ولصق بالأرض من الإعياء أو الهزال لا يتحرك، ورزح فلان: ضعف وذهب ما فى يده) المعجم الوسيط (١ / ٣٤١).

(٣) الكون المنشور نقلاً عن (محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٧٦).

(٤) العقائد الوثنية ص (٤٣).

(٥) راجع: محمد أفندى حبيب: مصادر المسيحية وأصول النصرانية ص (١٩)، راجع أيضاً: تاريخ البشرية

يقول بول ماسيون - عن الفارسيين - "إنهم أدخلوا فى شخص هذا الإله الخالد المبرر الأعظم للماضى، وبعبارة أخرى للوجود صفات المخلص التى تتجه لتبرير المثل الأعلى أى المستقبل"^(١).

وكان الإله (مثرا) من أهم الآلهة التى وصفت بهذا...

فكانوا يدعون (مثرا) الوسيط بين الله والناس والمخلص الذى بتأله خلص الناس ففداهم، ويدعونه (الكلمة) و (الفادى)^(٢).

وقد وصف بأنه مات فى سبيل البشرية واحتفل بقيامه من القبر بفرح عظيم وقد أطلق عليه اسم المخلص^(٣).

(٤) فى الديانة اليونانية والديانة الرومانية:

ظهرت فكرة الإله الذى يموت ويقوم من أجل الخلاص فى بلاد اليونان منذ زمن بعيد، حيث كان الكريتيون^(٤) يعتقدون بأن (زيوس) يموت ويشاهده الناس ثم بعد ذلك يقوم من قبره ليكون رمزاً للنبات المجدد للحياة^(٥).

هذا وقد وجدت بين اليونانيين فكرة الخلاص بجذورها الرئيسية.

يقول روز: "وكان للمسيحية عقيدة تؤمن بالخطيئة والخلاص، وهما أمران ألفتهما كثرة من اليونانيين من الآداب الأوروبية وغيرها من الآداب"^(٦).

وتقول د/ فاطمة المصرى: "وهذه النظرية (نظرية الخطيئة الأولى) تمتد إلى الأوروبية التى عرفت عند المدارس اليونانية القديمة، وتقول الأسطورة إن الجنس

(١) بول ماسيون: الفلسفة فى الشرق ص (١٠٣).

(٢) العقائد الوثنية ص (٤٧).

(٣) د/ محمد جابر عبد العال: فى العقائد والإديان ص (٢٥٠).

(٤) نسبة إلى جزيرة كريت وهى جزيرة تقع فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة اليونان وسكانها من الجنس الإفريقى الأبيض أو من جنس البحر الأبيض المتوسط، وقامت فى هذه الجزيرة فى عصور قديمة جدا حضارة عظيمة ولكنها لم يكشف عنها القباب إلا فى أوائل القرن العشرين (راجع التاريخ القديم ص ٧٧ وما بعدها).

(٥) قصة الحضارة المجلد الثانى (١ / ٢٩).

(٦) الديانة اليونانية ص (١٧٦).

الإنساني من جنس التيتان الذين قتلوا ديونيسيوس زاجراس ومزقوه إرباً وظل عبء هذه الجريمة ثقيلاً عليهم^(١) ولكن دونيسيوس بعث مرة أخرى ليعلن بذلك خلاصه وإنقاذه للبشر.

يقول ول ديورانت عن ديونيسيوس: "وانتهى أمره بأن صار ابن الله الذي مات لينجي البشر واختلطت عدة صور وأقاصيص بعضها ببعض لتتكون منها أسطوريته، فكان اليونان يتخيلونه في صورة زجربوس (أى الطفل القرن) الذى ولد لزيبوس من أخته برسفوني. وكان أحب أبناء زيوس إليه ويجلس إلى جواره على عرشه فى السماء، ولما حسدته هيرا على منزلته وأغرّت الجبابرة بقتله بدله زيوس بماعز ثم بثور ليخفيه عن الأنظار، ولكن الجبابرة قبضوا عليه وهو فى هذه الصورة الثانية وقطعوا جسمه إرباً، ولكن " أثينا " أنقذت قلبه وحملته إلى زيوس وأعطاه زيوس إلى سميلي فحملت به، وولدت الإله مرة أخرى وسمى بعد مولده ديونيسيوس^(٢).

وهناك آلهة يونانية أخرى وصفت بـ (المخلص) والمنقذ، فقد وصف (هرقل) بأنه ابن الله المحبوب الذى يرضى بالعذاب حباً فى الخلق. ويحيى الموتى، وينزل إلى الجحيم ثم يصعد إلى السماء^(٣).

وكان (زيوس) و (أثينا) أيضاً يحملان كلاهما لقب المخلص والمنقذ^(٤).

هذا وكانت الأديان السرية قد انتشرت بين اليونانيين والرومانيين، وهى التى كان الاعتقاد فيها يدور حول فكرة الخلاص عن طريق موت الإله وبعثه.

يقول وليم باركلي: " كانت تسود بين اليونانيين عقائد وممارسات تدور حول ما يعرف بديانات الأسرار، وكانت أسس هذه الديانات تدور حول آلام إله وموته وبعثه من الأموات^(٥).

(١) د / فاطمة المصرى : انزار ص (٢٠٨).

(٢) قصة اخضارة المجلد الثانى (١ / ٣٣٨) . راجع تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٧).

(٣) عن أسطورة هرقل راجع قصة اخضارة مجلد ٢ (١ / ٨١ ، ٨٢).

(٤) الديانة اليونانية ص ١١٦ ، ١٣١ .

(٥) تفسير إنجيل يوحنا ص (١٧٩).

ويقول: "وفى وقت حياة يسوع على الأرض كانت هناك ديانات يونانية ورومانية تعرف باسم ديانات الأسرار وهذه الديانات كلها كان لها طابع واحد، فهي فى جملتها رواية عن ألم يجوز فيه أحد الآلهة أو إحدى الآلهات، وبعد حياة شاقة متعبة يموت الإله ويقوم ثانية للمجد والبركة"^(١).

وعن طابع هذه الأديان يقول كاتنو: "لقد حددت هذه الأديان لنفسها إلهاً مخلصاً يموت ويبعث من جديد"^(٢).

الصلة بين الخلاص المسيحى والخلاص الوثنى

دعت المسيحية إلى الخلاص عن طريق منقذ إلهى، وهذه الفكرة كانت شائعة فى الأديان الوثنية. ذلك أن العالم الدينى الوثنى وقت ظهور المسيحية كان يركز على فكرة المخلص، فكانت الأديان الشرقية واليونانية المنتشرة آنذاك تعتقد فى إله مخلص مات وقام.

فما الصلة إذن بين المسيحية والوثنية؟ إن الفكرة واحدة فيهما، والتشابه بينهما واضح فى هذه الفكرة، حتى أن الكتاب المسيحيين أنفسهم لم يجرؤوا على إنكار هذا التشابه.

يقول د/ فهم عزيز: "كانت الديانات السرية تشبه المسيحية فى بعض الخطوط الرئيسية، فمثلاً كانت الديانات السرية تعتقد بأن الإله يموت ويقوم"^(٣).

وبرغم أن الكاتب المسيحى أقر بالتشابه بين الأديان السرية والمسيحية إلا أنه يلاحظ أنه عكس القضية فليست الأديان السرية هى التى تشبه المسيحية، وإنما المسيحية هى التى تشبه الأديان السرية، فهى أسبق من المسيحية.

ويقول زكى شنودة - فى بيان الإقرار بالتشابه بين المسيحية والوثنية فى فكرة الخلاص -: نجد فى قصة الإله أوزوريس وقته ثم انتصاره فى النهاية على الشر

(١) تفسير إنجيل متى (٢ / ٢٠).

(٢) التاريخ الوسيط (٥٨/١).

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص (٨٠).

وجلسه بعد ذلك فى محكمة السماء ليحاسب الناس، ما يجعل قصة حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده قريبة إلى عقول المصريين وقلوبهم^(١).

إنه يريد أن يقول إن قصة موت المسيح وقيامته - فى نظره - قريبة الشبه بموت أوزوريس وقيامته أيضاً، ولذلك كان وجود هذه الفكرة بين المصريين بمثابة التمهيد لقبولهم المسيحية.

والصواب - فى نظرى - أن المصريين وغيرهم من الوثنيين قبلوا المسيحية بعد أن أدخلوا فيها عقائدهم الوثنية والتي كان من أهمها ما يسمى بالخلاص عن طريق موت إله وبعثه.

أما تعليق المسيحيين على هذا التشابه فهو أن الأديان الوثنية التى كانت تؤمن بفكرة الخلاص بنيت على أساطير، أما المسيحية - فى نظرهم - فقد قامت على خلاص حقيقى.

يقول القس جورج خورى: "إلا أن القصة المصرية القديمة قصة الإله الذى مات وقام أسطورة وخرافة، أما سجل حياة يسوع المسيح وموته وقيامته كما ورد فى الأناجيل فهو سجل تاريخى حقيقى وواقعى"^(٢).

ويقول د/ فهم عزيز: "هذه الأديان كان ينقصها عنصر واحد أفقدها كل شئ وهو الحقيقة. إنها ديانات بنيت على الأساطير، والخلاص فيها كان خلاصاً وهمياً أو كما قيل (خرافات مصنعة)"^(٣) وهذا الأمر بالذات هو ما جعل المسيحية شيئاً آخر. إنه خلاص حقيقى، والمخلص أسطورة قديمة، ولكنه جاء إنساناً وحل بيننا وعاش مع الناس رأوه واختبروه فى موته وقيامته وصعوده"^(٤).

كان من الممكن أن نسلم لهم بهذا الفرق - مع تحفظنا الشديد وذلك للتشابه الكبير بين الأساطير الوثنية والمسيحية - لو أن الأدلة قائمة على أن المسيح عليه السلام

(١) تاريخ الأقباط (١ / ٣٧).

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص (٩٠٤).

(٣) يشتر بذلك إلى قول بطرس فى رسالته الثانية ٢. بطرس ١ : ١٦.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص (٨١).

صلب فعلاً وقام.. ذلك أنهم استندوا فى هذه الدعوى إلى أنجيلهم وليس لهم من أدلة عليها سوى روايات هذه الأنجيل، وهى يرغم ما فيها من انقطاع للسند، وعدم صحة نسبتها إلى أصحابها، فهى متناقضة متضاربة بوجه عام، بل وأشد تناقضاً فى رواياتها عن الصلب والقيامة.

والتناقض يوحى بعدم صدق الروايات، ذلك أن التناقض بين الروايات يعنى أن إحداها صادقة والأخرى كاذبة، وحيث إن الصادقة منها غير معروفة وغير متعينة فالشك يرد على الجميع، والشك إذا دخل إلى الاستدلال أفسده وأبطله، وعلى ذلك فليس هناك دليل صحيح على دعوى صلب المسيح وقيامته.

هذا فضلاً عن أنه لا يعقل أن يتشابه دين وثنى فى عقيدة رئيسية وأساسية مع دين يدعى أصحابه أنه من عند الله؟ فهل يعقل أن يأتى دين من عند الله متشابهاً بالأساطير الوثنية بدرجة كبيرة حتى إنه يصعب أن تجد أى فروق بينهما؟

هذا إلى جانب أن هذه العقيدة لم يقل بها المسيح ولا أحد من تلاميذه فلم ينسب المسيح لنفسه أنه المخلص أو المسيح المنتظر، وكذلك لم يقل أحد من تلاميذه عنه أنه المخلص أو الفادى.

كل هذا يعنى أن هذه الفكرة ليست من تعاليم المسيح ولا من تعاليم تلاميذه الحقيقيين، وإنما هى دخيلة عليها.

وعلى هذا يمكن القول إن التشابه بين الخلاص الوثنى والخلاص المسيحي قائم على أساس أن المسيحية استقت من الوثنية هذه الفكرة وأخذتها منها وطبقتها بأساطيرها على المسيح عليه السلام. وهذا الاستنتاج قال به كثير من العلماء والباحثين.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا - عن عقيدة الصلب والفداء - "عقيدة وثنية محضة سرت إلى النصارى من الوثنيين كما بينه علماء أوربا الأحرار ومؤرخوهم وعلماء الآثار والعاديات منهم فى كتبهم"^(١).

يقول لوازى - قس فرنسى سابق - " وهكذا مسيح بولس المحكوم عليه بالموت لمحو خطايا البشر ليس سوى نوع من تلك الأساطير"^(١).

ويقول برتراند رسل : " ففى اللاهوت المسيحى عناصر كثيرة من الديانات التى تتميز بما يكتنفها من أسرار"^(٢) سواء فى ذلك الديانات الأورفية أو الآسيوية ، والأسطورة الأساسية فى هذه العناصر التى دخلت المسيحية من تلك الديانات هى أسطورة الإله الذى يموت لينشر من جديد"^(٣).

ويقول : " إن النظريات الخاصة بالخلاص من الخطيئة كانت فى جملتها دخيلة على المسيحية ولو أن بعضها يمكن تعقبه إلى المذهب الأورفى وغيره من مذاهب الشرق الأدنى الشبيهة به"^(٤).

ويقول شارل جنبيير : " إن الأحداث الخاصة بالصلب تأثرت فى مخيلة المسيحيين بالأساطير المختلفة الشائعة فى الشرق"^(٥).

ويقول : " تسربت آثار الأسطورة الشرقية التى تدور حول فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير بأتباعه نحو حياة الخلود ، تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودى وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليونانى ولا يفهمها أهل اليونان إلى عيسى المسيح السيد المنقذ ابن الله"^(٦).

فالخلاص المسيحى كما أكد هؤلاء الباحثون مقتبس ومأخوذ من الأديان الوثنية الشرقية منها واليونانية والتى كانت تعتقد بفكرة الخلاص ، وتؤمن بإله مخلص مات وقام.

ولذلك يقول د/ محمد فؤاد الهاشمى - أحد المسيحيين الذين اهتموا إلى الإسلام " لقد تأثر المسيحيون بالمصريين والبابليين والسوريين والهنود والآسيويين والرومان

(١) راجع يسوع المسيح ص (١٣٢) ، قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ص (٢٢٢).

(٢) يقصد بذلك الأديان السرية.

(٣) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثانى) ص (٤٦).

(٤) المرجع السابق ص (١٣).

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٢٩) ..

(٦) المرجع السابق ص (٥٢).

والفرس وغيرهم حيث إن هذه الشعوب ظهر فيها قبل ميلاد المسيح آلهة مخلصون جاءوا لخلاص العالم وكلهم ماتوا من أجل خطايا البشر^(١).

وقد أشار د/ على عبد الواحد وافي إلى أن المسيحية استقت هذه الفكرة من الأديان الهندية فقال: " ويظهر أن فكرة الخلاص بتقديم الإله نفسه فداء لتكفير خطيئة أزلية متلبسة بها الإنسانية قد انتقلت إلى المسيحية من الديانات الهندية"^(٢).

والصواب - في نظري - أن الرأي الأول هو الأصح ، وهو أن المسيحية تأثرت في هذه الفكرة بكل الأديان الوثنية المنتشرة آنذاك والتي كانت تؤمن بفكرة المخلص، خاصة وأن الفكرة كانت متشابهة في كل هذه الأديان الوثنية، وأن الوثنيين الذين حملوا هذه الفكرة إلى المسيحية كانوا من شعوب مختلفة.

أما كيف انتقلت هذه الفكرة الوثنية إلى المسيحية؟ فالجواب أنها انتقلت عن طريق بولس وأتباعه من الوثنيين الذين دخلوا المسيحية وقلوبهم وعقولهم مليئة بالأفكار الوثنية.

فبولس هو أول من فسر دعوى صلب المسيح بأنه فداء إلهي لإنقاذ البشر من خطيئتهم الأولى^(٣).

يقول ولز: "إن ذهن بولس كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعاليم ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة"^(٤).

وكان بولس في هذه الفكرة متأثراً بالأديان والأفكار الوثنية المنتشرة آنذاك.

يقول ولز أيضاً: "إن بولس نقل كثيراً من أفكار ديانات ذلك الزمان، وكان يعلم الناس أن موت عيسى كان تضحية - مثل ممات الضحايا القديمة المقربة إلى الآلهة - من

(١) سر إسلامي ص (٨٤)، حوار بين مسيحي ومسلم ص (١٣٤).

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (١١٤).

(٣) راجع مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (٢ / ٣٣١).

(٤) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص (٧٠٦).

أجل خلاص البشرية، وراح يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس كان رباً مات ليعث حياً ولينمح الناس الخلود^(١).

وهذه الفكرة كانت أكثر قبولاً لدى الوثنيين، حيث كانوا يؤمنون بها منذ زمن بعيد ولكن بأساطير لأشخاص وآلهة وثنيين، ولذلك حين دخلوا المسيحية لم يستطيعوا الإيمان بالمسيح إلا كما آمنوا بآلهتهم المخلصين الوثنيين.

يقول ول ديورانت: " ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل إنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بحسبه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين"^(٢).

ويقول كمال الدين: " فالوثنيون الذين كانوا موجودين أيام بولس عندما رأوا أن عيسى كما صوره بولس ما هو إلا صورة طبق الأصل لآلهتهم اتخذوه إلهاً من هذا الصنف من الآلهة الذين يعتقدون أنهم زاروا الأرض وشاركوا الناس في الشئون والمسائل التي تختص بالبشر"^(٣). ثم بعد ذلك قدموا أنفسهم فداء للبشرية.

وهكذا يتبين لنا أن فكرة الخلاص المسيحية فكرة وثنية انتقلت إلى المسيحية عن طريق بولس وهؤلاء الوثنيين الذين لم يفعلوا شيئاً سوى تطبيق أفكارهم وعقائدهم الوثنية على المسيح عليه السلام الذي أصبح بالنسبة لهم إلهاً مخلصاً ومنقذاً مثل الآلهة المخلصين والمنقذين في أساطيرهم الوثنية.

رد موجز على عقيدة الخلاص

وبرغم أن هذه العقيدة وثنية سرت إلى المسيحية عن طريق الوثنيين فإنها أيضاً غير مستساغة عقلياً وباطلة لما يأتي:

أولاً: إن هذه العقيدة مبنية على أسس باطلة والمبنى على الباطل باطل، ذلك أن أساس هذه العقيدة دعوى أن خطيئة آدم ليست خاصة به وحده بل انتقلت بالوراثة إلى كل أبنائه.

(١) موجز تاريخ العالم ص (١٧٨ . ١٧٩).

(٢) قصة الحضارة مجلد ٣ (٢ / ٢٦٤).

(٣) بتابع المسيحية ص (٦٢).

وهذا الأساس مردود بما جاء فى الأسفار التى يؤمنون بقدسيتها.

فى سفر التثنية: " لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل " (١).

وفى سفر حزقيال: " النفس التى تخطئ هى تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون " (٢).
وفى إنجيل متى - قول المسيح - " يجازى كل واحد حسب عمله " (٣).

وهذه الفقرات الدالة على أن كل إنسان مسئول عن عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر وأن كل إنسان يجازى حسب أعماله ، فلا يحمل إنسان وزر أخيه تدحض أقوالهم بأن خطيئة آدم تحملها أبنائهم من بعده.

يقول عبد الرحمن الباجة: " ولا أعلم أمة تتلون فى دينها كما تتلون النصرانية فإن العاقل منهم لو تأمل معنى هذا الكلام من أن كل إنسان مجزى بعمله كما هو العدل والحق لحكم بطلان عقيدتهم فى صلب المسيح فداءً عن الخطايا ، وهل بعد التصريح بقوله كل إنسان مجزى بعمله يقال إنه صار فداءً عن العالم بأسره ، فما معنى هذا الفداء إذا كان الإنسان سيجزى بعمله " (٤).

أخطأ آدم فما بال النوع الإنسانى كله يتحمل وزر هذه الخطيئة مع أن كل الشرائع الإلهية والوضعية لا تأخذ بريئاً بجريرة غيره وقد صرح فى توراتهم بأن الأب لا يحمل إثم الابن ، والابن لا يحمل وزر الأب (٥).

فالقول بأن خطيئة آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه قول مردود بكتابتهم المقدس وهو بهذا يتفق مع الشرائع الإلهية والوضعية فى أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة

(١) تثنية ٢٤ : ١٦ .

(٢) حزقيال ١٨ : ٢٠ .

(٣) متى ١٦ : ٢٧ .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ص (١٢٤ ، ١٢٥) .

(٥) أدلة اليقين ص (٢٣٩) .

إذ أن أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة لا تقصد منها الشرائع الإلهية إلا تأديب الجناة ليكف غيرهم عن ارتكاب الجرائم ، فمن المعقول حينئذ أن تقع العقوبة على نفس المجرم وإلا كان وضعها عبثاً ، فكيف يصح أن يعاقب المسيح ، بل الإله فى نظرهم الذى لم يقع منه جرم على جريمة غيره؟^(١).

ثانياً : إن القول باستقلال الصلب فى تخليص الناس من خطيئة آدم بل من الخطايا والذنوب قول غير مسلم به لأنه معارض بما يأتى :

١- بما ذكر مرقس فى خاتمة إنجيله من أن المسيح حين ودع تلاميذه قال لهم "أكرزوا- أى بشروا- بالإنجيل فى الخليقة فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن فإنه يدان"^(٢).

فالإيمان وحده - كما صرح المسيح - هو المخلص وهو سبب النجاة وعليه فيكون القتل والصلب عبثاً.

٢- بما شهد به المسيح من أن التوبة تستقل بمحو الخطايا والذنوب كقوله ، "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشرى"^(٣). وعلى ذلك يكون الصلب عبثاً لا داعى له^(٤).

٣- ومعارض كذلك بقول الأمانة - التى هى أصل الدين المسيحى - تؤمن بمعمودية واحدة لغفران الذنوب" إذ مفاده أن التعميد وحده كاف فى محو الخطايا وغفران الذنوب فلا حاجة لقتل وصلب المسيح لاستقلال التعميد بالخلاص والمغفرة"^(٥).

ثالثاً : يقال لهم هل كان البارى يقدر على خلاص آدم وذريته دون قتل المسيح أم لا ؟ فإن قالوا لا يقدر كفروا لنسبتهم العجز إلى الله تعالى ، وأن نسبوه إلى القدرة جوروه ونسبوه إلى الحيف والظلم على المسيح^(٦).

(١) المرجع السابق ص (٢٤٠) .

(٢) مرقس ١٦ : ١٥ ، ١٦ .

(٣) مرقس ١ : ١٥ .

(٤) المنتخب الجليل ص (١١٤) .

(٥) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٧٥) .

(٦) المنتخب الجليل ص (١١١) .

رابعاً: يقال لهم أيضاً، ولنفترض أن المسيح صلب من أجل خطيئة آدم فلنسأل : هل هذا من أجل كل الناس حتى الذين صلبوه ونكلوا به أم من أجل فئة خاصة هم الذين آمنوا به؟ إذا قُلتَ بل هو لتخليص الذين آمنوا به (كما صرح بذلك علماءهم) ^(١) فإن المسعى قد خاب تماماً، لأن الخطيئة التى انقلبت الطباع الإلهية من أجلها لا تزال موجودة على أتم معناها وأبشع صورها، وأين خطيئة آدم الضعيفة فى جانب خطيئة قتل الإله - كما يدعون - وغيرها من الجرائم ^(٢).

يقول أبو الفضل المسعودى: " يقال لهم هل المسيح يخلص من آمن به أو من كفر؟ فإن قالوا : من كفر به قلنا لهم يطهرهم من خطاياهم بأعظم من خطاياهم كمن غسل البول بالغائط فإنه لا يزيد المحل إلا نجاسة، فعلى هذا ينبغى أن يكون اليهود الذين قتلوه والأسخريوطى الذى نم عليه، وفرعون ومن على شاكلته قد طهروا من خطاياهم وكذا كل كافر. وإن قالوا يطهر من آمن واتبعه قلنا وما ذنبهم وإيمانهم مطهرهم فلا حاجة إلى قتله، وإن قالوا أراد تطهير الحواريين قلنا وما ذنبهم الذى لا يطهره إلا قتل الله كما يدعون ^(٣)."

خامساً: يقال لهم ما تقولون فيمن مات قبل مجئ المسيح أكفاراً كانوا أم مؤمنين؟ فإن قالوا : مؤمنين فقد سلموا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح وصلبه فى تخليصهم إذ إيمانهم مخلصهم لا غير.

وإن قالوا: كانوا كفاراً كذبهم المسيح إذ قال فى الإنجيل الذى بين أيديهم " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " ^(٤).. لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى... إني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة " ^(٥) وأنتم قُلتَ إن المسيح إنما نزل من السماء لخلاص الناس، فإن قالوا نعم قلنا لهم : فما تقولون فيمن مات قبل

(١) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص (٣٨١ ، ٣٨٢) ، كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص (١١٦ ، ١١٧) .

(٢) أدلة اليقين ص (٢٤٠) .

(٣) المنتخب للجيل ص (١٣٥) .

(٤) متى ١٥ : ٢٤ .

(٥) راجع متى ٩ : ١٢ ، ١٣ ، مرقس ٢ : ١٧ ، لوقا ٥ : ٣١ .

نزوله عليه السلام. وكيف الطريق إلى بلوغ دعوته إليهم؟ فإن قالوا: تعذر تلافى أمره وفات استدراكه بموتهم. قلنا: جورتم المسيح ونسبته إلى الظلم والحيف، حيث لم ينزل لخلاصهم قبل موتهم. فلم آخر ذلك حتى ماتوا على الضلال والكفر؟ وكيف صار الأحياء أحق بالرحمة من الأموات؟

وإن تخامقوا وقالوا: إن المسيح دعا الأحياء وهو حي ثم مات فدعا الأموات في قبورهم فمن أجابه نجا ومن أبى هلك. فنقول: دعاهم في قبورهم وهو حي أم دعاهم وهو ميت. فإن قالوا: دعاهم وهو ميت سقطت مكالتهم وتبين جنونهم. وإن قالوا: دعاهم وهو حي نقضوا قولهم إنه مات فدعا الأموات.

ثم يقال لهم: أدعا المؤمنين والكفار أم اقتصر على دعا المؤمنين فقط؟ فإن قالوا: دعا الجميع. قلنا لهم: فلعل دعا فرعون وعمروذ فأما، ودعا جماعة من الموحيين ولم يجيبوا، فهل تشكون في أحد الفريقين؟

فإن توقفوا في ذلك فقد جوزوا أن يكون فرعون وأشباهه في الجنان، ومن مات على التوحيد في دركات النيران لاحتمال تغير الحال.

وإن قالوا بل كل على ما مات عليه من كفر وإيمان. قلنا فدعاء المسيح إياهم وكونه مات بسببهم وقع عبثاً بلا فائدة^(١).

سادساً: إذا كان الإله صلب باختياره ليخلص الذين آمنوا به فقد مهد لهم بذلك السبيل إلى الإباحية المطلقة فيزنون ويلوطون ويقامرون ويسرقون ويقتلون ولا يبالون!!

ألم يمت المسيح الإله - كما يدعون - فدء لهم؟ !! ألم يصلب ليخلصهم من خطيئاتهم؟!! وإن هذا الصلب قد قبل فعلاً - كما يدعون - فلا خوف على من آمن بصلب المسيح حيثذ من جريرة مطلقة.

ويظهر أن مثل هذا المعتقد يسهل للناس اعتناق الشيوعية والإباحية في كل شئ ولا ريب في أن ديناً يدعو إلى مثل هذه الفوضى لا يكون من عند الله حتماً^(٢).

(١) المنتخب الجليل ص (١١٤ - ١١٥).

(٢) أدلة اليقين ص (١٤٠).

سابعاً: إن المسيح عليه السلام إذا كان قد صلب وقتل - على زعمهم - لأجل فداء البشر وتخليصهم من العذاب فيجب على المسيحيين أن يشكروا اليهود على صلبه وقتله ويجزؤهم خير الجزاء لأنهم هم الذين كانوا سبباً للفداء، ولا ينبغي لهم أيضاً أن يجزؤوا بالشر يهوذا الأسخريوطى ويلعنوه أشد اللعن حيث أسلم ربه والمسيح على زعمهم لليهود وارثى على ذلك بثلاثين درهماً من الفضة لأنه قد أعان على أمر نافع لجميع العالم كما تدعون^(١).

"إذا كان صلب الإله ضرورياً إلى هذا الحد وهو وقع باختياره وإرادته فلماذا يذم الذين صلبوه؟ ولماذا يقع الجفاء بين اليهود وبين النصارى إلى هذا الحد؟ إن الإنصاف يقضى بأن يكون اليهود محل احترام النصارى لأنهم خلصوهم من الخطايا وأحيوهم حياة أبدية!"^(٢).

يقول القرافي: "يقال لهم إماتة المسيح عليه السلام هل هى حكمة أو سفه؟ فإن قالوا حكمة لزمهم الثناء على اليهود بالخير لإعانتهم على الحكمة وفعلهم لها. وإن قالوا سفهاً نسبوا الرب تعالى إلى السفه وهو كفر"^(٣).

ثامناً: يقال لهم: هل غير صلب المسيح وقيامته - على فرض حدوثهما - حياة البشر؟ هل حول الصلب والقيامة طبائعهم التى كانوا عليها إلى طبائع أخرى؟ إن شيئاً من ذلك لم يحدث فالناس هم الناس فى خيرهم وشرهم قبل قيامة المسيح - كما تدعون - وبعدها. فأين تلك الأعمال العظيمة التى يعملها المخلص فى الناس؟

وهذه أوروبا المسيحية وأمريكا المسيحية.. أين عمل المسيح المخلص فيها؟ وأين هدايته لهما؟ لقد تحول الناس هناك إلى عباد مال وتجار حرب فهل لهذا صلب المسيح وقام؟^(٤).

(١) السيف الصقيل ص (١٢٢ ، ١٢٣).

(٢) أدلة اليقين ص (٢٤٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (٢٩٩).

(٤) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٤٠٠).

"فهذا الرب الذى نزل لخلاصكم وحصل له ما وصفتم لم يحصل لكم خلاص به وما تم له مراد. إن كان خلاصكم من محن الدنيا فأنتم باقون على ما أنتم عليه من طبائع البشر وتحمل الضرر، أو من عهدة التكاليف فها أنتم بالصلاة والصيام مخاطبون وعلى فعل الآثام تعاقبون"^(١).

وهكذا يتبين لنا بطلان عقيدة الصلب والفداء من كل الوجوه، هذا فضلاً عن أنها عقيدة وثنية سرت إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه الوثنيين الذين لم يؤمنوا بالمسيح إلا كما آمنوا بآلهتهم الوثنية المخلصة.

الفصل الرابع

الشعائر والأعياد

تمهيد:

للمسيحية شعائر يجب القيام بها ولا يصح التخلي عنها، ويقولون عنها إنها أسرار وفرائض مقدسة لا بد من الالتزام بها، وهى - فى نظرهم - تمنح فاعليها بركات روحية غير منظورة.

وحيث إن الشعائر لا تسمو إلى مكانة العقائد فإننا نكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الشعائر المسيحية الهامة، وخاصة المتفق عليها بين الطوائف والكنائس المسيحية.

فقد اتفقت الكنائس المسيحية على (التعميد) (والعشاء الربانى) كشعيرتين من الشعائر الأساسية للديانة المسيحية، واختلفوا فيما عدا ذلك حتى فى بيان التفاصيل حول هاتين الشعيرتين.

يقول القس إلياس مقار: "تتفق المذاهب المسيحية فى مختلف العصور والأجيال على الإيمان بفريضة المعمودية والعشاء الربانى"^(١).

ولم تؤمن الكنائس الإنجيلية بغير هذين السرين (على أساس أن الفريضتين - كما يقول إلياس مقار - تشيران إلى معنى المسيحية ولها، فالمعمودية ترمز إلى الاغتسال من الخطية والحياة النظيفة المجردة والتي لا يمكن أن تكون لإنسان يعيش فى حياة العالم وأقداره وأحواله . والعشاء الربانى يشير إلى ذلك الثمن العظيم الذى قدمه المسيح لأجلنا"^(٢) على الصليب إذ بذل حياته من أجل خطايانا وللتطهير من الآثام"^(٣).

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص (٤٨٩).

(٢) الكلام لازال للقس إلياس مقار.

(٣) المرجع السابق ص (٤٤٩).

أما الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية فقد جعلت شعائرها - أو أسرارها كما يقولون - سبعة ^(١) وهى: ١ - التعميد. ٢ - العشاء الربانى ٣ - سر المسحة وهو سر يناله المسيحى بعد التعميد. ٤ - سر التوبة. ٥ - سر مسحة المرضى. ٦ - سر الزيجة. ٧ - سر الكهنوت ^(٢).

وأهم هذه الأسرار السبعة عندهم الأول والثانى، لارتباطهما بالعقائد المسيحية. ولذلك سوف نقتصر على هذين السرين فى دراستنا هذه، لبيان كيفية تأثر المسيحية بالوثنية فى مجال الشعائر.

هذا وسوف نتناول فى نهاية هذا الفصل بيان تأثر المسيحيين بالأديان الوضعية فى بعض الأعياد المسيحية فى تحديد تواريخها وكيفية الاحتفال بها. وإليك البيان والتفصيل.

(١) يشير المؤرخون إلى أن الأسرار السبعة لم تكن قد تحددت حتى القرن الثالث عشر، يقول كانتو: "ولكنيسة حاليًا سبعة أسرار مقدسة بيد أن أعدادها لم تكن قد تحددت حتى القرن الثالث عشر، إذ أن أحد رجال اللاهوت البارزين فى القرن الحادى عشر يعدد لنا ما لا يقل عن أحد عشر سرًا مقدسًا، وكان للتعميد والعشاء الأخير أهم هذه الأسرار فى كل العصور" أ. ه. التاريخ الوسيط ص (٦٥).

(٢) عن بيان من الأسرار السبعة بالتفصيل (راجع حبيب جرجس: أسرار الكنيسة السبعة ص ٢٢ وما بعدها).

تعريف (السر) عند المسيحيين:

والشعائر في المسيحية تعرف باسم (الأسرار).

والسر عندهم عمل مقدس ومنحة إلهية به ينال المسيحي نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة^(١).

يقول حبيب جرجس: "السر في اصطلاح الكنيسة عمل مقدس به نال نعمة غير منظورة تحت مادة أو علامات منظورة"^(٢).

ويتبين من هذه التعريف أن السر - عند المسيحيين - يشتمل على وجهين: وجه منظور ووجه غير منظور.

الوجه المنظور: هو العمل الخارجى الذى يجريه خادم الكنيسة وهو عمل منظور.

والوجه الغير منظور: - كما يقولون - هو الفاعلية التى بها يغسل المعمد داخلياً ويظهر نفسه من الخطية^(٣).

وقد اختلف المسيحيون حول مفعول الأسرار، هل لها قوة ذاتية تمنح فاعليها الخلاص والنعمة. أم أنها رموز مقدسة للدلالة على الخلاص والنعمة؟

الأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون أن الأسرار تمنح فاعليها النعمة بذاتيتها وقوتها.

يقول حبيب جرجس: "إن الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها، فيها يتطهر الإنسان ويولد ثانية ويتجدد وتغفر خطاياها، وبها يقبل الروح القدس، وبها يتحد مع المسيح ويثبت فيه ويحيا إلى الأبد"^(٤).

(١) راجع خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٤)، خلاصة الشهية ص (١٢٢)، الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص (١٤٧).

(٢) أسرار الكنيسة السبعة ص (٧).

(٣) الخلاصة الشهية ص (١٢٣).

(٤) أسرار الكنيسة السبعة ص (١٣).

أما الإنجيليون فيعتقدون أنها رموز للدلالة على نعمة الله.

ففى علم اللاهوت النظامى: "فالأسرار تعنى فى نظر الكنيسة الإنجيلية رموزاً مقدسة، وختوم عهد النعمة أقامها الله للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبهم فيه. وأيضاً لوضع فرق ظاهر بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم، ولأجل ربطهم بخدمة الله فى المسيح حسب كلمته.

والأسرار تصوير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة فى ذاتها ولا فى خادمها، ولكن بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس فى الذين يقبلونها بالإيمان^(١).

وقبل أن نتقل إلى التفاصيل حول الأسرار المسيحية أحب أن أشير إلى أن المسيحيين قد تأثروا بالأديان الوثنية فى إطلاق لفظ (السر) على الشعائر. فالطقوس كانت معروفة عند الوثنيين باسم (الأسرار).

يقول د/ فهم عزيز: "السر ترجمة للكلمة اليونانية (Mysterion) وهى تعنى فى استعمالها اليونانى الأصلى الطقوس السرية والتعاليم المختصة بها لتفسيرها وكيفية إقامتها، وقد ارتبطت هذه الكلمة بالديانات السرية حيث كان يقوم الشخص ببعض الطقوس ويستلم بعض التعاليم السرية، وبذلك يصبح الشخص كاملاً أو روحياً.^(٢)"

{المعمودية}

والمعمودية أهم الأسرار والشعائر والمسيحية^(٣) ويعتبرونها كباب لسائر الأسرار التى يتممونها فى الكنيسة^(٤).

يقول حبيب جرجس: "ولسر المعمودية الرتبة الأولى بين الأسرار المسيحية لأنه بمثابة باب يدخل منه المسيحى إلى الكنيسة وملكوت النعمة طبقاً لما جاء فى إنجيل يوحنا "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"^(٥) ولذلك يمنح هذا السر للمؤمن قبل أى سر آخر ومن يتقبله فلا حق له فى الاشتراك فى بقية الأسرار"^(٥).

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١١٣٦.

(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٤٥.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (١٨٠).

(٤) يوحنا ٣: ٥.

(٥) أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٢).

والمعمودية كلمة معربة من الكلمة السريانية (معموديتو) ومعناها (الغسل لأجل التطهير) ومن كلمة المعمودية اشتقت كلمتا (اعتمد) و (عماد) وغيرهما^(١) واللفظة (عماد) اصطلاح قد اصطلح عليه المسيحيون للدلالة على العلامة التي توضح على من أقر بإيمانه المسيحي جهازاً^(٢) والمعمودية - كما عرفها المسيحيون - سر مقدس به يولد المسيحي ولادة ثانية روحية جديدة مقدسة بالماء والروح.^(٣)

وقد أطلق المسيحيون على سر المعمودية أسماء كثيرة

يقول حبيب جرجس : "وبناء على مفاعيله باعتبار طقسه المنظور دعى حميماً، وينوعاً مقدساً، وبالنظر إلى نتائجه غير المنظورة دعاه الآباء، ولادة جديدة، وتقديساً، وختم الإيمان، وختم الدين المسيحي، وحميم الخلاص، والولادة الثانية، وحميم الحياة، وماء الحياة الدائمة، وهكذا... وغيرها من الأسماء الدالة على تأثيراته ومنحه".^(٤)

أصل هذه الفريضة عند المسيحيين:

يذكر المسيحيون أن هذا السر بدأ منذ يوحنا المعمدان الذى يقولون عنه إنه كان يعمد الناس حتى إنه عمد المسيح نفسه.

يقول كلايد تارذر: "بدأت فريضة المعمودية بيوحنا الذى أرسل بدعوة إلهية" وكان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا"^(٥) أرسله الله لا يعظ بالتوبة لمغفرة الخطايا فقط بل ليعمد التائبين أيضاً كرمز ظاهرى لتغيير داخلى" الذى أرسلنى لأعمد بالماء"^(٦) وقد أجاز يسوع هذه الفريضة باعتماده كما ورد فى إنجيل متى^(٧) وعند

(١) عوض سمعان: الكهنوت الطقسى فى ضوء الوحي والتاريخ ص (٣٨).

(٢) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص (٤٢).

(٣) راجع هذا التعريف فيما يلى: أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٢). خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٤).

الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص (١٤٧).

(٤) أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٢). د/ جورج حبيب: المعمودية ص (٩٤، ٩٥). وغيرهما

(٥) يوحنا ١: ٦.

(٦) متى ١: ٣٣.

(٧) متى ٣: ١٣، ١٧.

صعوده أمر تلاميذه قائلاً: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس^{(١)(٢)}

ويقول الأستاذ أنيس صائغ: "ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية".^(٣)

والمسيحيون يعتقدون أن المسيح عليه السلام هو الذى أسس لهم هذا السر فى المسيحية وذلك بأقواله وأفعاله.

يقول حبيب جرجس: "وقد أسس السيد المسيح هذا السر فى قوله "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم"..."^(٤).

وبقول د/ جورج حبيب: "إن المعمودية مؤسسة على حياة المسيح وموته وقيامته، حقيقى أنها تستند على أمر المسيح فى إنجيل متى (٢٨ : ١٩) لكن ما صلة هذا الأمر بحياة المسيح؟ من المستحيل أن تكون المعمودية مجرد أمر. وإلا كيف نفهم الإصحاح السادس من رسالة بولس إلى أهل رومية؟ حيث يؤكد بولس أن المعمودية هى موت ودفن وقيامه مع المسيح إلى حياة جديدة"^(٥).

والقول بأن يوحنا المعمدان كان يعمد بأمر إلهى قول ينظر إليه بمزيد من الحذر خاصة وأنه لم يرد فى العهد القديم^(٦). ولا فى أى مصدر آخر سوى الأنجيل، وهى ليست بالمصدر العلمى الموثوق به الذى يمكن الأخذ بأقواله على أنها صحيحة وحقيقية.

(١) متى ٢٨ : ١٩.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (١٥١ ، ١٥٢).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص (٦٣٧).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية ص ٧٥.

(٥) المعمودية فى الكنيسة الواحدة ص (٢٩).

(٦) يقول القرطبي: (وهذا التعميد لم يجر له فى التوراة ذكر ولم يشره الله قط لموسى ولكن المسيحيين كتبوا فى الأنجيل أن يوحنا عمّد المسيح) راجع الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد ص (٣٠٣)، الأجوبة الفاخرة ص (٣٩٤).

هذا إلى جانب أن المعمودية يوحنا - على فرض أنه كان يعمد - تختلف عن المعمودية المسيحيين فيوحنا المعمدان - كما جاء في أناجيلهم - كان يعمد لأجل التوبة (متى ٣ : ١١) أما المعمودية المسيحيين فلها غاية أخرى كما سنرى فيما بعد.

أما الاستناد إلى ما جاء في إنجيل متى من أن المسيح أمرهم بالتمعيد، فهذا القول أمر به المسيح - فى نظرهم - بعد صلبه وموته وقيامته من القبر. وهى أمور تبين بالأدلة - كما سبق أن بينا فى الفصل السابق - أنها باطلة. وما بنى على الباطل فهو باطل خاصة وأن المسيح عليه السلام لم يعمد أحدًا فى حياته^(١).

غاية المعمودية فى نظر المسيحيين:

اختلف المسيحيون حول غاية المعمودية، وذلك بناء على اختلافهم حول مفعول الأسرار كما سبق أن أشرنا.

ففى علم اللاهوت النظامى^٢ الإنجيليون يعلمون أن غاية المعمودية إدخال المعمود إلى الكنيسة الظاهرة، وهى مع ذلك رمز وإشارة إلى تطعيم المعمود فى المسيح وتجديده ومغفرة خطاياها وتسليمه إلى الله يسوع المسيح ليسلك فى جدة الحياة، وكون هذا السر رمزاً أو إشارة أو ختمًا يتضمن أنه ليس الرموز إليه، أى أنه إشارة حقيقة لا هو الحقيقة عينها، فالمعمودية علامة خارجية حقيقة داخلية، وهى فعل النعمة الإلهية فى قلب المعمود. على أن تلك الحقيقة الداخلية لا تتوقف على المعمودية الخارجية ولا تتم بواسطتها بل تسبقها، وإتمام الحقيقة الداخلية تجزى إتمام الحقيقة الخارجية^(٣).

فالتمعيد - فى نظر الإنجيليين - رمز أو علامة خارجية للمواعيد الإلهية فليس لها أى فعل داخلى تحدثه فى المسيحى.

أما الأرثوذكس والكاثوليك فيرون أن التعميد شركة حقيقية مع المسيح، فالإنسان الذى يغطس تمامًا تحت سطح الماء يشبه إنسانًا مات مع المسيح. وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح فهو يخرج إنسانًا جديدًا حياة جديدة^(٤).

(١) راجع يوحنا ٤ : ٢، قاموس الكتاب المقدس ص (٦٣٧).

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (١٠٧٤). راجع أيضًا تفسير أصول الإيمان (١٣٠/٢).

(٣) تفسير إعمال الرسل ص (١١٤).

فالمعمودية - فى نظرهم - موت، ودفن، وقيامة مع المسيح إلى حياة جديدة^(١).

يقول باسيليوس: "فى سر المعمودية نحن نشترك فى موت المسيح ودفنه ثم نقوم ثانية معه وهكذا نحن نشترك فى موته وقيامته"^(٢).

واستدلوا على ذلك بقول بولس: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة .. فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه"^(٣).

هذا إلى جانب أن التعميد - فى نظرهم - يحو الخطيئة الأصلية، ويحو لدى البالغ الخطايا الشخصية ويفى ما يتوجب عليه من ديون ويحدث فيهم الموت عن الخطيئة^(٤).

وفى هذا يقول قانون الإيمان المسيحى "نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا"^(٥).

يقول بولس إلياس يسوعى: "سر المعمودية سر يحو الخطيئة الأصلية فى الإنسان، ويمنحه الولادة الروحية الثانية الجديدة التى تجدد الإنسان، فتنتقله من الموت إلى الحياة، بحيث يفيض الله عليه نعمته الإلهية فيغيره، ويحييه، ويلقى فيه بذور الفضائل الثلاث الإيمان والرجاء والمحبة، التى تساعد على النمو المتواصل فى الحياة الإلهية كلما أتى بعمل ثوابى، كما أنها تحرره من مخالب إبليس ومن نير الخطيئة، وإن كان راشداً فالمعمودية تمحو له جميع الخطايا التى اقترفها مدة حياته قبل اعتماده، كما أنها تدخله فى حظيرة الكنيسة فيصبح ابناً لله بالتبني"^(٦).

كما أنها - أى المعمودية - فى نظرهم "ضرورية جداً للخلاص وبدونها لا يمكن للإنسان أن يخلص"^(٧).

(١) المعمودية فى الكنيسة الواحدة ص (٢٩).

(٢) سر الفداء ص (٣٥)،

(٣) رومية ٦ : ٣ ، ٤ ، ٨.

(٤) المسيح حياة النفس ص (٢٠٤).

(٥) راجع : خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٦).

(٦) يسوع المسيح ص (٢٠٤ ، ٢٠٥) بتصرف .

(٧) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٦)، راجع أيضاً أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٦) وما بعدها.

واستدلوا على ذلك بما جاء فى الأناجيل حكاية عن المسيح "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن"^(١).

"إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"^(٢).

فالمعمودية - فى نظر الأرثوذكس والكاثوليك - ليست إشارة أو رمزاً ولكنها عمل - كما يقول حبيب جرجس - يترك أثراً فى النفس هو التطهير ومغفرة الخطايا والولادة الثانية"^(٣).

ويقول إنسطاسى شفيق: "فتائج النعمة إذن فى سر المعمودية هى الولادة الثانية والتبرير والتبنى والملكوت. وهذه النتائج مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً لا ينفك، لأن النعمة الإلهية إذ تعيد ولادة الإنسان بالمعمودية تنقيه من كل خطيئة مبررة ومقدسة إياه، وإذ تنقيه من خطايا تخلصه من عواقبها الأبدية، وإذ تبرره أمام الله وتقدهس تجعله ابناً لله وعضواً فى جسد يسوع المسيح وارثاً للحياة الأبدية"^(٤).

ويستفاد من هذه الأقوال المسيحية أن التعميد وحده كاف فى محو الخطايا وغفران الذنوب. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نقول المسيحيين لا حاجة إذن لصلب المسيح وموته وذلك لاستقلال التعميد بالخلاص ومغفرة الذنوب ومحو الخطايا.

هذا وقد اختلف المسيحيون حول نوع المعمودية : هل تتم بالتغطيس أو بالرش والسكب؟

اعتادت الكنيسة الإنجيلية رش الماء - وهو رأى الأغلبية^(٥) - وبعضهم يفضل التغطيس بل يحسبه ضرورياً للمعمودية^(٦)، وبعضهم يرى أن الرش أو السكب مستحسن^(٧).

(١) مرقس ١٦ : ١٦ .

(٢) يوحنا ٣ : ٥ .

(٣) أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٧)

(٤) الفداء فى إنجيل لوقا ص (٢٧١ ، ٢٧٢) .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص (٦٣٧) .

(٦) علم اللاهوت النقاى ص (١٠٧٦) .

(٧) المرجع السابق ص (١٠٧٧) .

أما الأرثوذكس فيرون أن المعمودية لا تتم إلا بالتغطيس فى الماء بواسطة رجال الكنيسة ويلزم أن يكون التغطيس ثلاث مرات^(١).

والكاثوليك يرون أنها تكون بالتغطيس أو بالغسل أو بالرش^(٢).

تأثر المسيحية بالأديان الوضعية فى التعميد:

وكما تأثر المسيحيون بالوثنيين فى مجال العقائد فإنهم أيضاً تأثروا بالشعائر الوثنية وأسرارها وطقوسها.

يقول كمال الدين: "قد شوهد أن كل ما فى الطقوس والنظامات الرسمية للديانة الوثنية قد أدخل على دين عيسى النقى الطاهر"^(٣).

ويقول شارل جنيير: "إلا أنه لا مجال للشك فى أن الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت على المسيحية شيئاً فثبتاً حتى أصبحنا نجدها كاملة فى احتفالاتها"^(٤).

ويقول: "طقوس أخذت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من اليهودية أو عن الأسرار الوثنية ولكنها ألبست ثياب المسيحية، وحملت - أو حمل الأهم منها على الأقل - بتلك القوى السحرية الخفية التى كان يراها رجال هذا العصر فى العبادات السرية سواء منها اليونانية أو الشرقية"^(٥).

ويقول صموئيل هنرى هوك: "فى الطقوس المسيحية وقناعاته المرادفة نحن أمام ثقافة حية مسلحة خير تسليح بأدب واسع، وجذورها تضرب عميقاً فى الأزمنة القديمة. وفضلاً عن ذلك - بقدر ما - كانت المسيحية نتاجاً لمزيج مشوش من الحركات الدينية التى اتسم بها العالم الإغريقى الرومانى"^(٦).

(١) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٤).

(٢) يسوع المسيح ص (٣٠٦).

(٣) ينبع المسيحية ص (٣٩).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١٢٦).

(٥) المرجع السابق ص (١٢٨).

(٦) منعطف المخيلة البشرية ص (١٤٩).

لقد انتقلت الطقوس الوثنية إلى المسيحية، الأمر الذى ساعدها على الانتشار بين الوثنيين، لاسيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية - كما يقول فشر - لم يكن انتقالاً إلى جو غريب تمام الغرابة، لقد كانت عملية التحول تتم بلطف، إذ شابها طقوس الديانة المسيحية وأسراها ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار^(١).

والتعميد كان من أهم الشعائر المنتشرة بين الوثنيين وقت وقبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

يقول لندى: "إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العمادة قديم العهد جداً، فقد كان شائعاً فى آسيا وأمريكا وكان سكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والإناث فى الهيكل المدعو (هيكل الصليب) يصب الماء من أبريق وكان يدعون ماء العمادة ماء الولادة الثانية"^(٢).

وقد أشار كثير من العلماء الأوربيين إلى أن التعميد كان منتشرًا منذ عهد قديم فى بلاد كثيرة، فكانوا عندما يعمدون الأطفال فى الهند ومنغوليا والتبت يوقدون الشموع ويحرقون البخور على المذابح، وتقرأ الكهنة صلوات مخصوصة، ثم يغطسون الطفل فى الماء ثلاث مرات، ثم بعد ذلك يدعونه بالاسم الذى يريدونه"^(٣).

والتعميد كان طقساً معروفاً بين الوثنيين قبل المسيحية^(٤). حيث كانت الأديان السرية (الشرقية واليونانية) المنتشرة قبل ظهور المسيحية تعتقد بفكرة الخلاص فى إله يموت ويقوم من أجل الخلاص، وكان من ينضم إلى هذه الأديان يقوم بالطقوس المعبرة عن هذه الفكرة والتى أهمها التعميد.

يقول المؤرخ المسيحى جون لوريمر: "تميز هذه العبادات الشرقية بالاعتقاد فى إله فاد مات وقام مرة أخرى، وقد صارت دورة الفصول الطبيعية والمحاصيل عندما

(١) تاريخ أوربا العصور الوسطى ص (٧).

(٢) العقائد الوثنية ص (١٢٨).

(٣) المرجع السابق ص (١٢٥).

(٤) راجع التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام ص (٧٨).

تزرع وتنمو وتموت وتنمو مرة أخرى رمزاً لموت وولادة الروح البشرية، وعندما كان يريد أحدهم الانضمام إلى إحدى الديانات كانت تقام له طقوس خاصة لإدخاله عضواً في الطائفة، وفي هذه الطقوس يشارك العضو في موت وقيامة الإله^(١). وذلك عن طريق تعميده.

يقول كانتو: "كان للأديان السرية التي تؤمن بفكرة الإله المخلص الذى يموت ويبعث من جديد بعض الطقوس السرية التي تتيح للمؤمن بها أن ينال الخلود من خلال ربط نفسه بمعناه الإله وانتصاراته"^(٢).

١ - التعميد عند المصريين:

وقد وجد التعميد بين المصريين منذ عهد قديم وظل منتشرًا بينهم حتى وقت ظهور المسيحية.

"وكان المصريون يعمدون أولادهم المراهقين ويسلمونهم الأسرار الدينية الابتدائية ويرسمون على جبين المعمد علامة الصليب المقدس"^(٣).

يقول زكى شنودة: "وكان المصريون يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس وهو طقس يشبه العماد عند المسيحيين"^(٤).

ويقول د/ رؤوف حبيب: "والعماد بالماء المقدس معروف في الديانتين المصرية والمسيحية"^(٥).

وكان المصريون يعتقدون أن من يعمد تحصل له الولاة الثانية ويحصل على النعيم الأبدى - وذلك كما يعتقد المسيحيون في التعميد.

يقول جون لوريمر: "ففى عبادة إيزيس كان العضو يولد من جديد عندما يستحم فى المياه المقدسة"^(٦).

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١٩/١).

(٢) التاريخ الوسيط (٥٨ / ١).

(٣) العقائد الوثنية ص (١٢٦ ، ١٢٧).

(٤) تاريخ الأقباط (١ / ٣٧).

(٥) د/ رؤوف حبيب : تاريخ الرهبنة والديرية ص (٣١).

(٦) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١٩ / ١).

ويقول ول ديورانت - عن طقوس ديانة إيزيس - : "التطهير بالانغماس فى الماء المقدس وبعدها تظهر له الرؤى الصوفية - كما يعتقدون - لتهبه النعيم الأبدى"^(١).

٢ - التعميد عند الفارسيين:

وقد وجد التعميد أيضاً بين الفارسيين القدماء ، حيث كانوا يأخذون أولادهم إلى الهياكل بعد الولادة بوضع أيام ، ويسلمونهم للكهان عند صنم الشمس ، فيغمسه فى إناء مملوء ماء ، ثم يسمونه بما يدون من الأسماء"^(٢).

وكان التعميد واحداً من طقوس ديانة (مثرا) الفارسية.

"واعتقدت المثرائية بالاندماج الروحى بالرب عن طريق العبادة ومارست التعميد"^(٣).

وقد أورد (دونالد ددلى) أسرار ديانة مثرا وكان منها (سر التعميد)^(٤).

وكان التعميد فى هذه الديانة يتم عن طريق الاستحمام فى دماء ثور ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن مثرا قدم ثوراً ذبيحة وذلك لتخصيب الأرض.

"وكان المريد المتعب الميثرائى يستحم بالفعل فى دم عجل التضحية وبذلك يولد من جديد"^(٥).

ويقول جون لوريمر : "أما فى عبادة مثرا فكان يستحم فى دماء ثور فيعطى حياة جديدة"^(٦).

وكان التعميد - فى ديانة مثرا - بمثابة إزالة الخطايا ، والطهارة من الآثام ، والولادة الروحية الثانية والحياة الجديدة.

(١) قصة الحضارة مجلد ٣ (١٥٠ / ٣).

(٢) العقائد الوثنية ص (١٢٦).

(٣) العصور الوسطى الأوروبية ص (٣٤) ، راجع أيضاً د/ على الغمراوى : دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط هامش ٤٧ ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٤١٧) .

(٤) حضارة روما ص (٣٧٧).

(٥) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص (٧٠٩).

(٦) تاريخ الكنيسة (٢٠ / ١) .

يقول د/ فهميم عزيز: "إن من ينضم إلى ديانة مثرا عليه أن يقوم ببعض الطقوس، فهناك المعمودية بالتغطيس لإزالة ثقل الخطيئة والتطهير من الشر، وبعد المعمودية يولد الإنسان ولادة ثانية" ^(١).

٢ - التعميد عند الهنود:

لقد أشار كثير من الباحثين إلى أنه كان لدى البرهمنيين القدماء عادة تشبه ما يقوم به المصريون والفرس من طقوس وهى العمادة بعينها، وحين إجرائها يصلون ويتوسلون للشمس، ومن بعد قسم الأيمان المغلظة من المعمد (هذا إذا كان كبيراً) على أداء الطاعة التامة للكهنة وحفظ الأسرار والنظافة على جسده يرشونه بالماء ثلاث مرات، ويخاطبونه بما يوافق المقام، ويعدون الرش بالماء (الخلق الجديد)، ويلبسونه ثوباً خصوصياً وإكليلاً، ويرسمون على جبينه صليلاً ويضعون على صدره صليلاً، وأما إذا كان المعمد طفلاً فيأخذه الكاهن البرهمي ويدعونه - كورو - (أى راعى) ويلطخه بالوحل، ثم يغمره بالماء ثلاث مرات، وعند تغطيسه يقول (يا أيها الرب العظيم إن هذا الطفل خاطيء، تلتطخ بالخطيئة من وحل هذه القناة، فكما أن الماء ينظفه من الوحل طهره وخلصه من الخطيئة. وكانوا يعتقدون أن العمادة بالماء تزيل الخطايا مهما تكن ^(٢).

٤ - التعميد عند اليونانيين:

وكان التعميد واحداً من طقوس الأديان اليونانية أيضاً.

ففى الديانة الأليوسيسية كان من يريد الدخول فى هذا الدين يقوم بالاستحمام ^(٣) فى الخليج ليتطهر من الدنس الجسمى والروحي ^(٤).

وفى الديانة الأورفية كان التعميد واحداً من أهم طقوسها حتى لقد اعتقد بعض الباحثين أن المسيحية استمدت هذا السر منها.

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص (٧١).

(٢) العقائد الوثنية ص (١٢٥، ١٢٦).

(٣) راجع قصة الحضارة مجلد ٢ (١ / ٣٤٢).

(٤) المرجع السابق مجلد ٣ (٣ / ١٥٠).

يقول برتراند رسل: "وأهمية التعميد قد تكون مستمدة من المذهب الأورفي أو من الأديان الوثنية الشرقية"^(١).

يقول د/ محسن العابد: "هذه الفكرة تعنى السر المقدس بموجيها يعمد المسيحي ويصبح مشاركاً في حياة المسيح الإله مشاركة متجددة دائمة. لا شك أن هذه الفكرة تعود في أصلها إلى الديانة السرية المعروفة عند الإغريق بطقوس الديونيسية وطقوس الأورفية"^(٢).

والصواب - في نظري - أن المسيحية استمدت هذا السر منها ومن غيرها من الأديان الشرقية واليونانية المنتشرة وقت ظهور المسيحية والتي كان التعميد أهم طقوسها وشعائرها.

٥ - التعميد عند الرومانيين:

كان الرومانيون الوثنيون أيضاً يقومون بطقوس التعميد وما شابهها "فكانوا يعمدون أولادهم بالماء ويعتقدون أن العمادة واسطة لإزالة الخطايا. وكانوا يعمدون أولادهم على اسمها وبركتها. أما الأطفال الذكور فكانوا يعمدون في اليوم التاسع من ولادتهم، والإناث في الثامن من ولادتهن. ويدعون ماء العمادة (الماء المقدس)، ومن بعد العمادة يعطى الكاهن أبوى الطفل ورقة شهادة على أن ولدهما عُمِد وخلق ثانية. ثم لهم الحق بعد ذلك أن يعدونه من العائلة ويتخذون هذا اليوم عيداً عظيماً"^(٣).



وهكذا نرى أن التعميد كان من أهم الطقوس في الأديان الشرقية واليونانية المنتشرة وقت ظهور المسيحية، والذي كان يمثل بالنسبة لهم الحياة الجديدة والولادة الثانية والطهارة من الذنوب والخطايا، وكان يمثل أيضاً المشاركة من المعمد في موت الإله وقيامته الذي يعتقد فيه بأنه الفادي والمخلص.

وكان التعميد عند هؤلاء إما غمساً بالماء أو رشاً^(٤).

(١) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثاني) ص (١٣).

(٢) مدخل في تاريخ الأديان ص (٣٦).

(٣) العقائد الوثنية ص (١٢٧).

(٤) المرجع السابق ص (١٢٦).

كل هذا يدل على أن المسيحية تأثرت بهذه الأديان فى التعميد وكيفيته، وما يدل عليه. فالتشابه واضح بينهما فى كل شئ بالنسبة لهذا السر، فصورته وكيفيته وغايته واحدة فى الأديان الوثنية والمسيحية.

يقول شارل جنيبير : "هل نحن بحاجة إلى إيضاح أوجه الشبه الساطعة بين هذه الطقوس والشعائر المختلفة حتى وإن كانت النظرة إليها عاجلة - سطحية - وبين طقوس وشعائر التعميد والقربان عند المسيحيين؟ إن كبار رجال الكنيسة من بولس إلى أوغسطين - أى من القرن الأول إلى القرن الخامس الميلادى - لم يتجاهلوا هذا التشابه، وهناك من الشواهد عدد وفير يدل على شدة اهتمامهم به، إلا أنهم فسروه حسب أهوائهم فقالوا إن الشيطان أراد أن يتشبه بالمسيح وإن شعائهم وطقوس الكنيسة كانت مثلاً أراد المشركون أن يحتذوه فى أسرارهم، وتلك نظرية لا يمكن الدفاع عنها فى عصرنا"^(١).

لم يستطع المسيحيون أن يدافعوا عن هذا التشابه إلا قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح.

يقول أرنست كيللت - فى كتابه مختصر تاريخ الأديان - "إن التشابه بين الطقوس السرية المسيحية مذهل وهو محير فعلاً لدرجة أن السبب الوحيد الذى أعطاه آباء الكنيسة تبريراً لذلك كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح"^(٢).

وهو ادعاء لا يمكن الدفاع عنه، فقد أظهرت نتائج الأبحاث العلمية أن هذه الطقوس كانت شائعة ومنتشرة فى الأديان الوثنية الشرقية واليونانية قبل ظهور المسيحية بمئات السنين .

يقول شارل جنيبير - فى التعليق على هذا الادعاء - "إن الأساطير الجوهريّة والمراسم الدينيّة الأساسيّة والرموز والشعائر الفعالة كانت سابقة فى تلك الديانات على مولد المسيح، وكانت توجد العديد من التطبيقات فى العبادات المنتشرة بالعالم اليونانى إبان العهد الذى عاش فيه بولس"^(٣).

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٧٨).

(٢) راجع حقيقة التبشير ص (٨٠).

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١١٠).

وهذا يدل على أن المسيحية أخذت التعميد والتعاليم حوله من الوثنية.

يقول أرنست كيللت - بعد أن بين وجوه الشبه بين المسيحية والوثنية في التعميد -
 "لقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة في جميع العصور على الأخذ لنفسها
 ما يناسبها من الأديان الأخرى"^(١).

ويقول شارك جنيبير : "إن مفهوم التعميد المسيحي نابع من وجهة النظر
 الوثنية"^(٢).

(١) راجع حقيقة التبشير ص (٨٠).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١١٠).

{ العشاء الرباني }

والعشاء الرباني من أهم الأسرار المسيحية ولذلك دعى - عندهم - "سر الأسرار"، وأسمى أسرار الكنيسة^(١).

ولقد أطلق المسيحيون على هذا السر أسماء كثيرة فهو (سر الشكر)، و(العشاء الرباني) و(العشاء السرى) و(العشاء الإلهي) و(مائدة الرب) و(مائدة المسيح) و(المائدة السرية) و(خبز الرب) و(كأس الحياة الخلاصية) و(الأفخارستيا) و(الاجتماع) و(التقدمة) إلى غير ذلك من الأسماء^(٢).

وأنسب العبارات للإشارة إلى هذا السر فى كلام الإنجيليين (عشاء الرب) أو (العشاء الرباني) و (مائدة الرب) و (كسر الخبز)^(٣). بينما أنسب العبارات بالنسبة للكاثوليك (الأفخارستيا)^(٤). وعند الأرثوذكس (القربان) أو (التناول) أو (الشكر) و (الأفخارستيا)^(٥).

وهذا السر يعرف عند المسيحيين بتعريفات مختلفة، والاختلاف راجع إلى اختلافهم حول غاية العشاء الرباني.

الإنجيليون يعرفونه بأن سر يدل على موت المسيح بإعطاء خبز وخمر وقبولها حسبما رسم المسيح، والقابلون باستحقاق يتناولون جسده ودمه مع جميع فوائده لا تناولاً جسيماً أو جسدياً بل تناولاً روحياً بالإيمان^(٦).

أما الكاثوليك فيعرفونه بأنه - كما يقول بولس إلياس اليسوعى - سر حضور ربهم يسوع حضوراً حقيقياً بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر^(٧)، والخبز فى نظرهم يتحول إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه^(٨).

(١) حبيب جرجس : الصخرة الأرثوذكسية ص (١٢١).

(٢) راجع : أسرار الكنيسة السبعة ص (٦٢ ، ٦٣)، علم اللاهوت النظامي (١٠٩٠ ، ١٠٩١).

(٣) علم اللاهوت النظامي ص (١٠٩١).

(٤) تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ص (٣٢٥).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٩) ، أسرار الكنيسة السبعة ص (٦٢).

(٦) تفسير أصول الإيمان (١٣٧/ ٢)، راجع أيضاً : الدين المسيحي للمرحلة الثانية سنة ١٩٦١ ص (١٥٢) .

(٧) ١٥٣.

(٨) يسوع المسيح ص (٣٠٦).

(٩) المرجع السابق ص (٣٠٦ ، ٣٠٧).

أما الأرثوذكس فيعرفونه بتعريف يشبه تعريف الكاثوليك وذلك لأنهم متفقون في الغاية من العشاء الرباني.

يقول حبيب جرجس - في تعريف هذا السر - : " سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح ويشرب دمه تحت أعراض الخبز والخمر"^(١).

فإنجيليون يرون أن حضور المسيح وقت تناول العشاء الرباني حضوراً روحياً .. أما الكاثوليك والأرثوذكس فيرون أن المسيح يحضر هذا السر - وقت الاحتفال به - حضوراً حقيقياً، وأن الخبز يتحول إلى جسد المسيح والخمر يتحول إلى دمه تحولاً حقيقياً.

"وذلك أمر غريب في العقل ، لا يستطيع أن يستسيغه أحد ببسر وسهولة، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط، إذ كيف يتحول الخبز لحمًا؟ وكيف يصير لحم شخص معين معروف؟ وكيف تتحول الخمر دمًا؟ وتصير دم شخص معين معروف! ذلك غريب بل مستحيل التصور والقبول في العقل"^(٢).

العناصر التي تستعمل في العشاء الرباني :

الخبز والخمر هما عنصران العشاء الرباني وقد اختارهما المسيح - في نظرهم - لأنهما مادتان بسيطتان تشيران إلى جسده ودمه"^(٣).

وقد استدل المسيحيون على ذلك بما جاء في إنجيل متى " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم"^(٤).

وقد اختلفت الكنائس حول استعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز، ونشأت بينها منازعة شديدة على هذا الموضوع في القرن الحادي عشر.

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص (٦٢). راجع أيضًا خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٩).

(٢) محاضرات في النصرانية ص (٢٠٤).

(٣) راجع علم اللاهوت النظامي ص (١٠٩٢). جسد الرب ودمه ص (١١).

(٤) متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٧.

فالكنييسة الشرقية (الأرثوذكسية) رفضت استعمال الفطير لأنه حسب عندها من العوائد اليهودية التي ليسوا هم ملتزمين بها بعد.

أما الكنييسة الغربية (الكاثوليك) فقد حكمت بمناسبة استعمال الفطير بأنه النوع الوحيد الجائز استعماله باعتبار قانون الكنييسة، غير أن استعمال خبز الخمير يجوز بمعنى أن ذلك لا يفسد السر.

ولم يزل كل منهما باعتقاده القديم إلى هذا اليوم^(١).

والخمر المستعمل في هذا السر هو عصير العنب المختمر في الحالة التي يستعمل فيها والتي يعرف فيها أنه خمر^(٢).

فاعلية تناول العشاء الرباني في نظر المسيحيين:

اشتهر في تاريخ الكنييسة في هذه المسألة أربعة أقوال وهي بإيجاز شديد كما يلي:

أولاً: تعليم زوينكلي (عاش في سويسرة بين عامي ١٤٨٤ - ١٥٣١ م) وهو : أن العشاء الرباني مجرد علامة محسوسة تشير إلى موت المسيح بدون أن يكون فيه أدنى فاعلية في حد ذاته، ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسدياً ولا روحياً، ولذلك لا يحسب عشاء الرب من وسائل النعمة بل إنما هو تذكار لموت المسيح وشهادة الإيمان المشترك^(٣).

"فالعشاء الرباني في تعليم زوينكلي ليس إلا مجرد ذكرى، وأنه خال من حضور المسيح، سواء كان حضور المسيح حضوراً روحياً أو جسدياً، ولذلك فإنه ليس له أدنى فاعلية ذاتية"^(٤).

ثانياً: تعليم مارتن لوثر: مصلح ديني مسيحي ألماني عاش ما بين عامي ١٤٨٢ - ١٥٤٦ م^(٥).

(١) علم اللاهوت النظامي ص (١٠٩٢).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضاً: الخلاصة الشهية ص (١٣١).

(٣) علم اللاهوت النظامي ص (١١٠١).

(٤) تاريخ الفكر المسيحي الأول ص (٣٢١).

(٥) عن مارتن لوثر حياته وتعاليمه راجع د/ حنا جرجس الخضرى: المصلح مارتن لوثر.

وهو : أن العشاء الربانى له فاعلية حقيقية ذاتية وتأثير فعلى فى كل من يقبله ، غير أن فاعليته وإن كانت ذاتية فيه تتوقف على إيمان المشترك بمعنى أن عدم الإيمان مانع لفاعلية السر^(١).

والقول بأن للعشاء الربانى ذاتية فاعلية إنما هو ناتج عن القول بحلول المسيح جسدياً بكيفية خارقة للعادة فى الخبز والخمر^(٢) ، بمعنى أن المسيح يحل فى الخمر وفى الخبز بطريقة فعلية وحقيقية وحرفية على أن هذا الحل لا يعتبر حلولاً بدلياً بل يعتبر حلولاً ازدواجياً لأن حلول المسيح فى هاتين المادتين الخبز والخمر لا يلاشى بأى حال من الأحوال الخبز والخمر ، وهذه النظرية تسمى عندهم بنظرية الحضور المزدوج^(٣).

يقول د/ حنا جرجس الخضرى : "ولكى يشرح لوثر هذه العقيدة - عقيدة الحضور المزدوج - رجع لوثر إلى مشكلة التجسد لكى يتخذ منها مثلاً ، فعندما تجسد ابن الله فى يسوع ، وعندما حل اللاهوت فى الناسوت فإن ابن الله لم يتجرد من لاهوته لكى يصير إنساناً وهذا لا يعنى بأن الناسوت تغير إلى اللاهوت ، فلقد احتفظت كل طبيعة من الطبيعتين بخواصها دون أدنى تغيير أو تبديل للدرجة أنه كان من الممكن القول بأن هذا هو الله أو هذا الإله هو إنسان. هذا هو الأفخارستيا بحسب مفهوم لوثر^(٤)."

ولقد ناقشنا هذه الفكرة فى الفصل الأول من هذا الباب ، وبيننا فسادها ، ويقاس عليها فكرة الحضور المزدوج فى العشاء الربانى ، إذ لا يمكن أن يشار إلى الخبز والخمر على أنهما حادثان قديمان - على اعتبار أن المسيح عندكم قديم !!
هذا فضلاً عن عدم معقولية هذا الحضور فى هذا السر.

ولذلك يقال لهم : هل المسيح الإله هو الذى حل فى الخبز والخمر أم المسيح الإنسان؟ إذا كان المسيح الإله فيلزمكم على هذا القول أن يشار إلى الخبز والخمر

(١) علم اللاهوت النظامى ص (١١٠١).

(٢) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٣١).

(٣) مارتين لوثر ص (١٦٧ - ١٧١).

(٤) المرجع السابق ص (١٧٠).

على أنهما قديمان حادثان؟ وهو محال، ويلزمكم أيضاً على هذا القول إثبات القدم للخبز والخمر فيكونوا قد قالوا لا بثلاثة أقانيم بل خمسة أقانيم.

ويقال لهم أيضاً: لقد أكلتم الإله القديم الذى حل فى الخبز وشربتم دمه الذى حل فى الخمر وهو ما يقال به عاقل.

أما إذا قالوا إن المسيح الإنسان هو الذى حل فى الخبز والخمر فهو باطل أيضاً، إذ لا يمكن أن يحل جسد المسيح ودمه فى الخبز والخمر فى أماكن متعددة فى وقت واحد.

فمن المحال أن يكون للمسيح ملايين ملايين الأجساد فى أماكن متعددة وفى وقت واحد بل فى أوقات مختلفة، فالمسيح له جسد إنسانى واحد.

وفاعلية تناول العشاء الربانى فى هذا التعليم: أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية بمعنى أنه يمنح فاعلية الخلاص، ولكن بشرط أن يكون الفاعل له مسيحياً.

ثالثاً: تعليم الكنيسة الكاثوليكية - وتشاركها فى نفس التعاليم مع اختلاف بسيط الكنيسة الأرثوذكسية^(١).

وهو: أن فى العشاء الربانى نعمة ذاتية لا إشارة إليها، وأنه واسطة فعالة فى إيصال النعمة إلى قلوب المشتركين (فعلاً مفعولاً)، وأن نوال الفائدة لا يتوقف على إيمان المشترك، بل إنما يقتضى عدم مقاومته لذلك السر، ومرادهم بتضمين الأسرار النعمة هو أن لها فى نفسها قوة ذاتية على تطهير الذين تعمل لهم، وأن قوتها فى الدين تشبه قوة المواد الطبيعية فى الطبيعة أو قوة النار على الإحراق^(٢).

وهذا القول ناتج عن القول بأن الخبز والخمر يستحيلان بطريقة حقيقية إلى جسد المسيح ودمه^(٣).

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "فالكنيسة الكاثوليكية تعتبر أن العشاء الربانى يمنح صاحبه التطهير وذلك بقوته الذاتية ذلك أنهم يعتقدون أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقى، وإلى دمه الحقيقى بعد أن ينطق الكاهن

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص (٧٤).

(٢) راجع علم اللاهوت النظامى ص (١١٠٣).

(٣) تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الأول ص (٣٣١).

بالعبارات الخاصة بالاستحالة، فإن الخبز والخمر اللذين كانا خبزاً وخمراً قبل الصلاة تحولاً بطريقة معجزية وسرية إلى جسد المسيح (دمه ولحمه) وهذه العملية تسمى بعملية الاستحالة^(١).

والكاثوليك والأرثوذكس يعتقدون أيضاً أن العشاء الرباني بجانب أنه سر فهو أيضاً ذبيحة تقدم لله^(٢) بمعنى أنه تكرار ذبيحة المسيح بتقديم جسده ودمه كفارة عن الخطيئة^(٣).

يقول حبيب جرجس: "المسيحيون يقدمون لله ذبيحة حقيقية على مذبحهم ولهم وحدهم السلطان أن يأكلوا منها"^(٤).

وهذا التعليم عجيب وغير مقبول، إذ كيف يتحول الخبز والخمر تحولاً حقيقياً إلى جسد المسيح ودمه؟ وكيف يمكن اعتبار العشاء الرباني ذبيحة حقيقية؟

ولقد ثار أحد المسيحيين على هذا التعليم فقال: "وإننى أتساءل كيف يتصور إنسان عاقل أن خدام الله يذبحون سيدهم؟ إن الوثنية بكل شرورها وانحرافها وما وصلت إليه من حالة مزرية ومؤسفة لم تعلم مثل هذه التعاليم"^(٥).

ولقد رد الشيخ رحمت الله الهندي على هذا التعليم برودود نذكر منها ما يلي:

[١] إن القول بتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه قول باطل، ذلك أنه إذا تحول الخبز والخمر مسيحاً كاملاً، حياً بلاهوته وناسوته الذى أخذه من مريم عليها السلام، فلا بد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الإنسانى، ويوجد فيه الجلد والعظام والدم وغيرها من الأعضاء، لكنها لا توجد فيه، بل جميع عوارض الخبز باقية بعد نطق الكاهن كما كانت من قبل نطقه بكلمات التقديس بدليل أنه إذا نظره أحد أو

(١) المرجع السابق ص (٣٢٦).

(٢) أسرار الكنيسة السبعة ص (٨٣)، راجع أيضاً يسوع المسيح ص (٣٠٧).

(٣) علم اللاهوت النظامي ص (١١٠٣).

(٤) أسرار الكنيسة السبعة ص (٨٣).

(٥) جسد الرب ودمه ص (٤٦).

لمسه أو ذاقه لا يحس شيئاً غير الخبز، وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذى يطرأ على الخبز لا الفساد الذى يطرأ على الجسم الإنسانى، فلو ثبت التحول يكون تحول المسيح خبزاً لا تحول الخبز مسيحاً، فلو قالوا إن المسيح تحول خبز لكان أقل بعداً من هذا وإن كان هو أيضاً باطلاً ومصادماً للبداية.

[٢] إن حضور المسيح بلاهوته فى أمكنة متعددة فى آن واحد ممكن فى زعمهم، لكن باعتبار ناسوته غير ممكن، لأنه بهذا الاعتبار كان مثلنا، حتى أنه كان يجوع ويأكل ويشرب وينام، ويخاف من اليهود وهلم جراً، فكيف يمكن تعدده بهذا الاعتبار بالجسم الواحد فى أمكنة غير محصورة فى آن واحد حقيقة؟ والعجب أنه ما وجد قبل عروجه إلى السماء بهذا الاعتبار فى مكانين فضلاً عن الأمكنة غير المتناهية، وكذا بعد عروجه إلى السماء، فكيف يوجد بعد قرون من اختراع هذا الاعتقاد الفاسد بالاعتبار المذكور فى أمكنة غير محصورة فى آن واحد؟

[٣] إذا فرضنا أن مليونات من الكهنة فى العالم قدسوا فى آن واحد، وتحولت مقدمة كل إلى المسيح الذى تولد من العذراء، فلا يخلو إما أن يكون كل من هؤلاء المسحاء الحادثين عين الآخر أو غيره، والثانى باطل على زعمهم، والأول باطل فى نفس الأمر، لأن مادة كل غير مادة الآخر.

[٤] إذا تحول الخبز مسيحاً كاملاً تحت يد الكاهن، فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغيرة، فلا يخلو إما أن يتقطع المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات والأجزاء، أو تتحول كل كسرة وجزء مسيحاً كاملاً، فعلى الأول لا يكون المتناول متولداً لمسيح كامل، وعلى الثانى من أين جاء هؤلاء المسحاء، لأنه ما حصل بالتقدمة إلا المسيح الواحد؟

[٥] لو صح ما ادعوه لزم أن يكون المسيحيون أحبب من اليهود؛ لأن اليهود ما ألبسوا إلا مرة واحدة، وتركوه وما أكلوا لحمه، وهؤلاء يؤلمونه ويذبحونه كل يوم فى أمكنة غير محصورة، فإن كان القاتل مرة واحدة كافراً وملعوناً، فما بال الذين يذبحونه مرات غير محصورة ويأكلون لحمه ويشربون دمه؟ انعوذ بالله من الذين يأكلون إلههم

ويشربون دمه حقيقة، فإذا لم ينج من أيدى هؤلاء إلههم الضعيف المسكين فمن ينجو؟

[٦] وقع فى الإصحاح الثانى والعشرين من لوقا قول المسيح فى العشاء الربانى هكذا "اصنعوا هذا لذكرى" ^(١) فلو كان العشاء هو نفس الذبيحة لما صح أن يكون تذكرة، لأن الشيء لا يكون تذكرة لنفسه ^(٢).

رابعاً: تعليم كلفن (وهو مصلح مسيحى ظهر فى فرنسا عاش ما بين عامى ١٥٠٩ - ١٥٦٤ م، وملخص هذا التعليم أن العشاء الربانى له قوة روحية فى بنيان المشتركين فى تناوله واتحادهم بالمسيح، وهذا القول ناتج عن القول بأن المسيح يحضر فعلاً فى العشاء الربانى ولكن بطريقة روحية ^(٣).

" ولقد حاول كلفن فى هذا التعليم أن يقوم بدور الموفق العقائدى بين لوثر وزوينكلى، فهو يعتقد أن المسيح يحضر فعلاً فى العشاء الربانى ولكن حضوره حضور روحى، ولقد شدد كثيراً على حضور المسيح الروحى فى العشاء الربانى، ثم شدد أيضاً على عملية الروح القدس، فالروح القدس هو الذى يعمل فى الإنسان المشترك لكى يقنعه بأن المسيح موجود فعلاً ولكن بطريقة روحية، والخبز الذى يكسر والخمر الذى يشرب عند الاشتراك فى المائدة هى علامة ملموسة ومحسوسة يشيران إلى وجود يسوع بالروح، وهما يمثلان أيضاً جسد المسيح المكسور ودمه الذى سال، فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه لا يعنيان الأكل والشرب بطريقة ملموسة ومادية وجسدية، بل المسيح يصبح الطعام الروحى ^(٤).



ويتبين من هذه التعاليم أن بعض المسيحيين يعتقدون بأن العشاء الربانى ليس إلا مجرد ذكرى، ولذلك فليس له أدنى فاعلية وهم أتباع زوينكلى.

(١) لوقا ٢٢ : ١٩

(٢) راجع إظهار الحق ص (٣٢٦ - ٣٢٧).

(٣) تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ص (٣٣١).

(٤) المرجع السابق ص (٣٢٩).

أما أتباع لوثر فيعتقدون أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية فى منح النعمة والتطهير والخلاص ، ولكن بشرط أن يكون المتناول لهذا السر مؤمناً بالمسيحية.

أما الكاثوليك والأرثوذكس فيعتقدون بأن العشاء الربانى له قوة وفاعلية ذاتية على منح الإنسان المشترك فى هذا السر النعمة والخلاص من الخطيئة والتطهر من الذنوب والآثام.

أما كلفن وأتباعه فيرون أن قوته وفاعليته روحية.

تأثر المسيحيين بالأديان الوضعية فى العشاء الربانى:

كان الوثنيون يمارسون طقوساً كثيرة من بينها فكرة (الوليمة المقدسة) يدعون فيها الأكل من لحوم آلهتهم والشرب من دمائهم، لكى تكون فيهم (أى فى أجسادهم صفات وقوة آلهتهم)^(١).

"وكان الاشتراك الجماعى فى تناول الطعام والشراب المقدسين من المظاهر الكثيرة الحدوث فى أديان البحر الأبيض المتوسط ، وكثيراً ما كان أهل هذه الأديان يعتقدون أن هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الإله ، ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية إلى المشتركين فى تناوله"^(٢). فكانت فكرة التناول منتشرة بين الهنود والفارسيين واليونانيين والرومانيين وغيرهم.

١ - التناول فى الديانة الهندية:

يقول د/ محمد وصفى: "إن الأفخارستيا فكرة مأخوذة من مشركى الهند ، فإن قدماءهم يتوقف ظاهر عبادتهم على قربان النار يشعلها رب البيت صباحاً ويبعث مع حرارتها صلاة حارة يستنزل بها رحمة القوة المستترة راء الطبيعة ، ورب البيت مثل الأب أو (الكاهن) تشارك امرأته فى تقديم القربان شراب مخمر ومن أقراس دقيق معجون بالسمن كقربان المسيحيين"^(٣).

(١) القس صموئيل مشرقى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد.

(٢) قصة الحضارة مجلد ٣ (١٥١/٣).

(٣) المسيح والتثليث ص (١٥٣).

فلقد انتشر بين الهنود ما يشبه فكرة التناول أو القربان المسيحي، ولم تكن هذه الفكرة قاصرة على الهنود فقط بل وجدناها منتشرة بينهم وبين غيرهم كما سنبين فيما يلي:

٢ - في الديانة الفارسية:

لقد انتشرت بين الفارسيين القدماء - في فترة من الفترات - عادة شرب بعض المشروبات قرباناً إلى الآلهة، وكانوا يعتقدون أنها تبعث فيهم التقى والاستقامة.

يقول ول ديورانت: "وكان من مشروبات الفارسيين مشروب مسكر يسمى (الهوما) يقدمونه قرباناً محبباً لآلهتهم، وكانوا يعتقدون أنه لا يبعث في مدمه الهياج والغضب بل يبعث فيهم التقى والاستقامة"^(١).

ويقول: "وظلت هذه العادة - عادة تقديم عصير الهوما المسكر قرباناً إلى الآلهة - باقية بعد انتشار الدين الزرادشتي بزمن طويل وإن كان زرادشت نفسه جهر بسخطه على هذه العادة، وكان الكهنة يحتسون بعض هذا العصير المقدس ويوزعون ما بقى منه على المؤمنين المجتمعين للصلاة"^(٢).

وكانت هذه العادة إحدى شعائر عبادة (هاوما) الإله الثور، فكانوا يعتقدون أن دمه يهب الحياة والخلود لمن شربه"^(٣).

وكان لأتباع الديانة المثرائية ضمن شعائرها وأسرارها ما يسمى بـ (شعيرة التناول) والتي يقابلها في المسيحية (طقس الأفخارستيا)^(٤) فكانوا يحتفلون حول (مائدة مقدسة) يأكلون منها مع الإله مثراً ليشتركوا في موت الإله وقيامته^(٥)

(١) قصة الحضارة مجلد ١ (٤١٢/٢).

(٢) المرجع السابق ص (٤٣٣).

(٣) فلاسفة الشرق ص (١٥٠).

(٤) مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط هاشم ص (٤٧)، راجع أيضاً العصور الوسطى الأوربية ص

(٣٤)، حضارة روما ص (٣٧٧)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية واقتصادى ص (٤١٧).

(٥) المدخل إلى العهد الجديد ص (٧١).

يقول د/ محمد يحيى: "وكان أهم احتفالاتهم - أتباع مثرا - المقدسة العماد والتثبيت والعشاء الإلهي الذي كان متناولوه يشتركون في طبيعة مثرا الإلهية بتناول الخبز والنبذ"^(١).

ويقول شارل جنيبير: ونقل إلينا جوستين - أحد المدافعين عن المسيحية في القرن الثاني الميلادي (١٠٠م - ١٦٥م) - أن أسرار مثرا احتوت على نوع من الشعائر، يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك"^(٢).

ويقول العقاد: "والعشاء الرباني كان معروفاً في عبادة مثرا على الطريقة التي عرف بها في المسيحية، بل كان الخبز الذي يتناولوه عباد (مثرا) في ذلك العشاء يصنع على شكل الصليب"^(٣).

وهكذا يتبين لنا أن (التناول) كان واحداً من أهم شعائر الديانة المثرائية، حيث كانوا يجتمعون حول مائدة مقدسة، ويقدمون فيها الخبز والخمر، وكانوا يعتقدون أنهم يشتركون مع الإله في الأكل من هذه المائدة.

٢- في الديانة اليونانية:

كان اليونانيون المتعبدون بالأديان السرية يقيمون بعض الطقوس الدينية والتي كان من أهمها (التناول) أو (العشاء الرباني).

ففي الأسرار الأليوسيسة كانوا يتناولون - كما يقول ول ديورانت - عشاءً ربانياً مقدساً إحياءً للذكرى "ديميتير"، ويشربون مزيجاً مقدساً من دقيق الحنطة والماء ويأكلون كعكاً مقدساً"^(٤).

وفي أسرار (ديونيسس) كانوا يقيمون بعض الاحتفالات التي تمثل موت الإله (ديونيسس) وبعثه.

(١) قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ص (١٤٤).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٧٧).

(٣) العقاد: الله ص ١٤٨.

(٤) قصة الحضارة مجلد ٢ (١/٣٤٢).

"وكان أهم هذه الاحتفالات أن يمسك النساء بماعز أو ثور أو رجل في بعض الأحيان (يرين أن الإله قد تقمصه) ويمزقنه إرباً وهو على قيد الحياة إحياءً لذكرى تمزيق ديونيسس، ثم يشربن دمه، ويأكلن لحمه يتخذنه عشاء ربانياً مقدساً، معتقدات أن الإله سيدخل بهذه الطريقة إلى أجسامهن ويستحوذ على أرواحهن. وكن في هذه الحماسة القدسية يؤمن بأنهن سيصبحن هن والإله شيئاً واحداً"^(١).

وهكذا يتبين لنا أن العشاء الرباني كان من أهم طقوس الأديان الوثنية المنتشرة وقت ظهور المسيحية. وقد انتقل هذا السر إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه من الوثنيين.

يقول شارل جنبيير: "ولم يكن قد قد ر لأى طقس من طقوس (الأسرار) الوثنية أن يذخر بمعانى وفيرة وبآمال جذابة مثل ما ذخرت به الطقوس الخاصة بالقربان لدى بولس، غير أنها كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ولم تكن تابعة من روح الدين اليهودي، لقد أدخلت في كنيسة الخواريين "قطعة من الوثنية"^(٢).

ويقول - عن تصوير المسيحيين لهذا الطقس وفاعليته -: "إن هذا التصوير للقربان إنما يعنى إدخال (قطعة من الوثنية) فى الدين المسيحى، وعلينا أن نفهم من ذلك بطبيعة الحال أنها قطعة من وثنية الأسرار"^(٣).

ولذلك يمكن القول إن العشاء الرباني أصله شعيرة وثنية، استقته المسيحية من الأديان الوثنية الشرقية واليونانية والتي كانت منتشرة وقت ظهور المسيحية، وهى التى كان يطلق عليها اسم الأديان السرية، وذلك بواسطة بولس وأتباعه.

ولقد أشار بعض الباحثين إلى أن الاسم نفسه مأخوذ من الوثنية.

يقول أرنولد توينبى: "والعشاء الربانى المسيحى قد استعير اسمه (sacramentum) من أحد الطقوس الرومانية الوثنية حين ينذر المجند الجديد نفسه للجيش الرومانى"^(٤).

(١) المرجع السابق ص (٣٣٩).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١١٠).

(٣) المرجع السابق ص (١٦١).

(٤) مختصر دراسة للتاريخ (٢٠٠/٣).

{ الأعياد المسيحية وتأثرها بالأعياد الوثنية }

ولم تكتف المسيحية باقتباس العقائد والشعائر من الوثنية وإنما اقتبست الأيام والتواريخ. وإليك بعض الأمثلة على ذلك.

يوم الرب:

إن يوم الرب عند المسيحيين ركن أساسى فى عبادة الله ^(١)، وعلى المسيحي أن يعرف هذا اليوم ويقدسه ^(٢).

قدس المسيحيون فى بداية أمرهم (السبت) كيوم للرب، وذلك لأن الله - كما يعتقدون - بارك هذا اليوم وقدسه، لأنه قد استراح فيه بعدما أكمل خلق السموات والأرض.

يقول سفر التكوين: "فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ^(٣)، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً" ^(٤).

ولذلك فإن الله - كما يعتقدون - جعل تقديس هذا اليوم الوصية الرابعة من وصاياه لموسى عليه السلام، يقول سفر الخروج: "أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذى داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه" ^(٥).

(١) مجموعة من علماء الكنيسة : يوم الرب ص (١٢).

(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص (٥١٥).

(٣) كيف يحسن أن يقال - فى حق الله - (فاستراح فى اليوم السابع)؟ فإن الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب، فأما من أفعاله بالأمر التكويني يقول للشئ (كن) فيكون، فذلك فى حق الله ممنوع. راجع : على التوراة ص (٢٧ - ٢٨٩) ولقد رد القرآن الكريم على هذا الادعاء فقال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ الْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ سورة ق: ٣٨.

(٤) تكوين: ١: ٣.

(٥) خروج ٢٠: ٨ - ١١.

وحينما بعث المسيح إلى بنى إسرائيل أكد لهم أنه ما جاء ناقضاً للناموس، بل مكملًا، ولذلك نجده - كما تحكى الأناجيل - يحفظ وصية السبت.

ففى كتاب (يوم الرب) "لم يتعد المسيح وصية السبت بل حفظها مدة حياته"^(١).

يقول لوقا - عن المسيح - "ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت"^(٢).

ويقول القس إلياس مقار: "رسم المسيح بحياته وأعماله الطريقة المثلى لتقديس يوم الرب، وهناك أمور على الأقل ثلاثة واضحة قام بها السيد المسيح يوم السبت وهى: العبادة، وأعمال الضرورة، وأعمال الرحمة"^(٣).

ولكن المسيحيين^(٤) تركوا قول المسيح بعدم نقضه للناموس، وخالفوا أفعاله بأن تركوا تقديس يوم السبت وأبدلوه بيوم الأحد^(٥).

وتقديس الأحد بدلاً من السبت مأخوذ من الوثنية، حيث كان الوثنيون يعظمون يوم الأحد بأن خصصوه لعبادة الشمس أعظم آلهتهم، ولا زال إلى الآن يسمى بالإنجليزية يوم الشمس (Sunday) وهى مركبة من كلمتين (sun) ومعناها فى اللغة الإنجليزية (شمس)، (Day) ومعناها يوم (أى يوم الشمس) وقد جعلوها كلمة واحدة وأطلقوا عليها يوم الأحد.

فكان أتباع مشرا يفردون لعبادته (يوم الشمس) أو يوم الأحد^(٦).

"واعتبرت المثرائية يوم الأحد يومًا مقدسًا"^(٧).

وهو اليوم المقدس لإله الشمس (أبولو) الإله الخامى للإمبراطورية الرومانية^(٨).

(١) يوم الرب ص (٣٤).

(٢) لوقا ٤ : ١٦ .

(٣) قضايا المسيحية الكبرى ص (٥١٨).

(٤) عدا طائفة تسمى بالأدقثت وهى طائفة قامت فى أمريكا منذ ما يزيد عن مائة عام

(٥) راجع فى ذلك مواقف فى تاريخ الكنيسة ص (٢٦)، المسيحية الأصلية ص (٨٢).

(٦) العقاد: الله ص (٩٩).

(٧) العصور الوسطى الأوربية ص (٣٤)، راجع أيضًا: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والخضارى ص

(٤١٧).

(٨) قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ص (١٤٧).

ولقد أكد الباحثون أن المسيحية استقت تقديس يوم الأحد بدلاً من السبت من الأديان الوثنية.

يقول ولز: "ثم إن مراعاة طقس السبت اليهودى وهو الذى استبدلوا به الأحد الميثرائى"^(١).

ويقول: "ويبدو أن المسيحيين اقتبسوا من المثرائية يوم الأحد"^(٢).

ويقول د/ محمد صدقى: "فالمسيحيون تركوا أوامر الله واتبعوا الوثنيين وعظموا يومهم"^(٣).

ويقول: "ولذلك ترى أن المسيحية أدخلت فيها أشياء كثيرة من أفكار اليونانيين والرومانيين حتى إن تعظيم (يوم الأحد) بدل السبت هو مأخوذ منهم"^(٤).

فلقد ترك المسيحيون تقديس يوم السبت، واستبدلوه بيوم الأحد أخذًا من الوثنية التى كانت تعظمه وتقده على أساس أنه يوم الشمس.

ولقد مر هذا التغير بمراحل....

فلقد أراد بولس أن يعزل المسيحية عن الموسوية حتى فى تقديس يوم السبت.

يقول يوسف الحداد: "إن بولس هو الذى قاد حركة تحرير المسيحية من الموسوية"^(٥).

ولذلك بدأ فى تميم التمسك بيوم السبت فقال لهم "لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت"^(٦).

وحينما جاء قسطنطين ألغى تقديس يوم السبت نهائياً حيث أمر بحفظ يوم الأحد.

(١) معالم تاريخ الإنسانية . المجلد الثالث ص (٦٩٣) ..

(٢) المرجع السابق ص (٧٠٨).

(٣) دين الله فى كتب أنبيائه ص (٩٢).

(٤) المرجع السابق ص (٩٠)، راجع أيضاً عقيدة الصلب والفداء ص (١٣٨).

(٥) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ١٦) .

(٦) كولوسى ٢ : ١٦ .

ففى كتاب (يوم الرب) والمسألة المثبتة فى التاريخ أن قسطنطين الكبير إمبراطور الرومان كان أول من أمر بحفظ الأحد^(١).

وفى (دائرة المعارف البريطانية) عن يوم الأحد، إن الاعتراف الأول الرسمى بحفظ يوم الأحد كفرض قانونى كان من وضع قسطنطين الكبير سنة ٣٢١ م. وهو يقضى بأن تتوقف المحاكم عن العمل، وأن يعطل سكان المدن أيضاً وأن تغفل المخازن التجارية والمصانع بأجمعها^(٢).

ويقول د/ سيد أحمد الناصرى: "فى عام ٣٢١ م أعلن قسطنطين أن يوم الأحد هو يوم الرب يجب أن يكون عطلة للمحاكم والعاملين فى مصانع الدولة وأجهزتها"^(٣).

ومن الملاحظ أن الإمبراطور جرى على طريقته - التى أشرنا إليها فى الباب الأول - فى الجمع بين الوثنية والمسيحية، وذلك حين اختار هذا اليوم، فقد عمد بهذا الاختيار أن يرضى الوثنيين حيث كانوا يقدسون هذا اليوم، ومن ناحية أخرى يرضى المسيحيين بأن يجعل لهم يوماً مقدساً تعطل فيه المصالح والأجهزة الحكومية حتى يستطيعوا أن يقيموا العبادة فى هذا اليوم.

يقول هليز: "قبل زمن قسطنطين لم يكن هناك يوم عطلة إسبوعية، فكر قسطنطين بوجوب تخصيص يوم يتفرغ فيه المسيحيون لعبادة الله وليكن يوماً مقدساً، ولذلك جعل يوم الأحد يوم راحة وعبادة للمسيحيين"^(٤).

ولذلك لم يقرر رسمياً تخصيص يوم الأحد للعبادة فى المسيحية إلا فى مجمع لادوكية سنة ٣٦٤ م.

ففى كتاب (يوم الرب) "كان اليوم السابع يوم احتفال مقدس عند المسيح والرسل المسيحيين الأولين حتى انعقاد مجمع لادوكية سنة ٣٦٤ م، حيث قرر هذا المجمع إلغاء حفظ يوم السبت والقيام بواجب حفظ يوم الأحد - يوم الرب"^(٥).

(١) يوم الرب ص (٥٦).

(٢) نقلاً عن المرجع السابق ص (٥٧).

(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى واخصارى ص (٣٦٥ ، ٣٦٦).

(٤) تاريخ العالم ص (٢٢٣).

(٥) يوم الرب ص (٥٧).

وهكذا يتبين لنا أن المسيحية استقت تقديس يوم الأحد من الوثنيين الذين كانوا يقدسون هذا اليوم، وذلك بواسطة قسطنطين الذى كان يعمل على إرضاء الوثنيين والمسيحيين عن طريق المزج بين المسيحية والوثنية كما سبق أن أشرنا.

عيد الميلاد:

اختلفت الكنائس فى تحديد يوم الاحتفال بعيد الميلاد.

فالكَنِيسة الشرقية (الأرثوذكس) تحتفل به فى السادس من يناير، أما الكَنِيسة الغربية فتحفل به فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر^(١).

والاحتفال بهذه الأيام كأعياد ميلاد للإله الذى نزل من أجل خلاص البشر كان معروفاً بين الوثنيين قبل ظهور المسيحية.

فيوم السادس من يناير كان يوم عيد ميلاد الإله اليونانى ديونيسس، والإله أوزوريس المصرى.

ويوم الخامس والعشرين من ديسمبر كان يوم ميلاد الشمس عند الوثنيين، فإله الشمس عند الوثنيين كان يحتفل بعيد ميلاده فى هذا اليوم، فكان يوم عيد ميلاد الإله الفارسى (مِثرا) وغيره.

يقول العقاد: "فالיום الخامس والعشرون من شهر ديسمبر الذى يحتفل فيه بمولد المسيح كان هو يوم الاحتفال بمولد الشمس فى العبادة المثرية - نسبة إلى مِثرا - إذ كان الأقدمون يخطئون فى الحساب الفلكلى إلى عهد جوليان فيعتبرون هذا اليوم مبدأ الانقلاب الشمسى بدلاً من اليوم الحادى والعشرين فى الحساب الحديث، وقد اعترضت الكَنِيسة الشرقية على اختيار اليوم الخامس والعشرين لهذا السبب وفضلت أن تختار لعيد الميلاد اليوم السادس من شهر يناير الذى (تعمد) فيه المسيح. على أن هذا اليوم أيضاً كان عيد الإله ديونيسس عند اليونان، وبعض سكان آسيا الصغرى، وكان قبل ذلك عيد أوزوريس عند المصريين"^(٢).

(١) راجع قصة الحضارة مجلد ٣ (٢١٢/٣ ، ٢١٣).

(٢) العقاد: الله ص (١٤٧)، راجع أيضاً: د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الدينى ص (١٨٧ ، ١٨٨).

عيد القيامة :

لقد حدد المسيحيون بدء الربيع للاحتفال بعيد قيامة المسيح . وهو وقت قيامة الشمس والأشجار والحيوانات من موت الشتاء. أى يوم عيد قيامة آلهة الوثنيين الذين يتغلبون فيه على سلطان الظلمة وموت الطبيعة^(١).

ولقد فسر المؤرخ الغربى " جورج جوردون كولتون " ظاهرة تحويل المعابد الوثنية القديمة إلى كنائس مسيحية ، وكذلك تحويل أعياد الآلهة الوثنية إلى أعياد مسيحية فيقول : "إن المسيحية حاولت التوفيق بينها وبين الأفكار الفجة السابقة ، فسمحت بتدشين المعابد القديمة بما يتفق وطقوس الكنيسة الجديدة ، مع الإبقاء على حفلات الوثنيين وأعياد آلهتهم كما هى على أن تحول إلى احتفالات وأعياد مسيحية"^(٢).

وهكذا يتبين لها أن المسيحية تأثرت بالأديان الوضعية فى عقائدها وشعائرها وأعيادها.

(١) راجع : د/ محمد توفيق صدقي : نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص (١٣٦) راجع أيضاً هذا الموضوع بتوسع فى : يدبج المسيحية (الفصل الثالث) الذى يحمل عنوان الطقوس الوثنية والكنيسة المسيحية.

(٢) كولتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ص (٢٤ ، ٢٩ ، ٦٧) وما يليها . راجع أيضاً : دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص (٦٥ ، ٦٦).

الخاتمة

ولقد كان هذا الاضطهاد - وبالأخص الاضطهاد اليهودي - فى العصر الأول لرسالة المسيح يستهدف القضاء على رسالته، وقتلها فى مهدها، وكان لهم ما أرادوا، فلقد قضوا على رسالة المسيح وخرجت علينا ديانة جديدة من جراء هذا الاضطهاد وبمساعدة العوامل الأخرى.

[٣] أوحى الله سبحانه وتعالى إلى المسيح الإنجيل، وهو يشتمل على الهدى والنور والموعظة، بمعنى : أنه يشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل وال ضد، وعلى النبوة والمعاد، هذا إلى جانب أنه يشتمل على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة، وهو مصدق لما بين يديه من التوراة، ويشتمل على البشارة بمجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن هذا الإنجيل ضاع وأبدي واندر ولم يبق له أى أثر، واليهود لهم دخل كبير فى ضياع هذا الإنجيل، وذلك لأنهم هم الذين آذوا واضطهدوا أتباع المسيح فى البداية، ولا شك أن اضطهادهم أمكن، لأنهم أكثر الناس معرفة بأسرارهم وخباياهم فهم يهود مثلهم.

هذا إلى جانب، أن ضياع الإنجيل كان يهمهم فى الدرجة الأولى وذلك لما يشتمل عليه من عقائد وتعاليم تخالف أهواءهم، وتفضح تحريفهم لعقائدهم وترواتهم، فلقد حرف اليهود التوراة، وحرفوا بعض عقائدها، فحرفوا عقيدتهم فى الإله واليوم الآخر وحرفوا البشارات التى جاءت فى التوراة عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم، ولما جاء المسيح كان يصحح لهم هذه التحريفات، ويبينها لهم، وكان الإنجيل الذى جاء به المسيح يشتمل على العقائد الصحيحة فى الإله واليوم الآخر والبشارة بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك عمل اليهود بكل الوسائل والحيل لإبادة هذا الإنجيل من الوجود بطريقة أو بأخرى وذلك حتى لا ينكشف أمرهم، وينفضح تحريفهم.

[٤] وكان لضياع الإنجيل الصحيح أثر فى تسرب الأديان الوضعية والعقائد الوثنية إلى ديانة المسيح، حيث نفذت الأهواء والأساطير إليها، وأخذت تنال من صميمها، ولم تجد من يردّها بنص قاطع يسلم له الجميع ويقف عنده كل مفكر أو مجتهد أو

مجدد، ويردع كل مبتدع أو مضل أو فاسق، ويكون ميزاناً للحق والباطل، ومقياساً نقاس به الآراء، ومرجعاً يرجع إليه المختلفون، ولذلك كثر دخول الأدعياء والدخلاء، فكان في مقدور أى شخص أن يدعى أنه من أتباع المسيح ويدخل في الديانة ما يحلو له من عقائد وأساطير ويدعى أنه يقول ما يقول بالهام أو أن المسيح ظهر له شيئاً من هذا القبيل ما دام لا يوجد نص سماوى يفرق بين الصحيح والفاسد من العقائد.

[٥] عدم الثقة بالأنجيل المسيحية الحالية، لأنها ليست بالإنجيل المنزل على المسيح. ولأنها من وضع بشرى، وواضعوها ليسوا بأنبياء. فهم ليسوا معصومين من الخطأ.

هذا إلى جانب أن هذه الأنجيل ليس لها من السند المتصل الصحيح بينها وبين من نسبت إليه، وأيضاً ليست متسقة اتساقاً ذاتياً فهي متناقضة متضاربة مليئة بالاختلافات والأغلاط مما لا يصح معه نسبتها إلى الله تعالى.

[٧] كان لادعاء بولس الانتساب إلى المسيح أكبر الأثر في دخول الأديان الوضعية إلى ديانة المسيح عليه السلام، وبولس هذا لم يكن تلميذاً من تلاميذ المسيح. فلم يلتق به مدة حياته - وأيضاً - لم يلتق بأى تلميذ من تلاميذ المسيح في فترته التبشيرية الأولى، فهو ليس تلميذاً للمسيح ولا تلميذاً لتلاميذه. وإنما كان من ألد أعداء أتباع المسيح، وأكبر مضطهديهم، ولكن فجأة وبدون مقدمات أصبح أكبر دعاة هذه الديانة حيث ادعى أن المسيح ظهر له وهو في طريقه إلى دمشق وعاتبه على اضطهاده لتلاميذه. ثم أرسله رسولاً للتبشير بديانته. ولقد تبين لنا من خلال صفحات هذا الكتاب أن هذا الادعاء ليس له أدلة فهو ادعاء غير مسلم به.

هذا فضلاً عن عدم استساغته عقلياً، فكيف يتنقل شخص من الكفر المطلق بالديانة إلى الرسالة في الدين انذى كفر به وناوأه وعاداه. فإن ذلك ليس له نظير، وليس له مشابه ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل الله قط. وقد كنا بحيث نقبل القول بأن انقلاباً مفاجئاً حدث لبولس نقله من منتهى طرف العداوة للمسيح وأتباعه إلى منتهى طرف المحبة والإخلاص - لا أن يكون رسولاً فهذا غير مستساغ ويدعو

للعجب والدهشة - لو أن بولس هذا بعد انتقاله هذا كان ملتزمًا باتباع ما أثر عن المسيح دون تعديل أو ابتداء، أما وأن انقلابه ذاك صاحبه الخروج على تعاليم المسيح التي أثرت عنه في حياته على الأرض، وابتداء تعاليم جديدة فإن الأمر يصبح واضحًا لا سر فيه وهو أن العدو ما يزال عدوًا والانقلاب ما يزال استمرارًا.

وكان بولس هذا من أكبر العوامل التي ساعدت على تحريف رسالة المسيح عليه السلام حيث نادى بتعاليم وأفكار ليست من تعاليم المسيح، وإنما اقتبسها وطورها وبشر بها باسم المسيح عليه السلام، فهو يعتبر أول المحرفين لرسالته، فقد أدخل فيها ما ليس منها، وبشر بعقائد وتعاليم لم يقلها المسيح وسلك طرقًا لم يشر إليها، وألغى شرائع وأضاف أخرى لم يوص بها المسيح عليه السلام.

ولكى يضمن بولس لأفكاره القبول والذيع والانتشار عمل على عدم استشارة تلاميذ المسيح في المبادئ والتعاليم التي كونها حول المسيح عليه السلام، هذا إلى جانب أن بشر بمبادئ وأفكاره بين اليونانيين والوثنيين - بعيداً عن أعين التلاميذ الذين عرفوا المسيح وتعلموا منه مبادئه - الذين لم يعرفوا المسيح ولم يشاهدوه ولم يسمعوا عنه وعن عقائده شيئاً إلا بالقدر الذي قال لهم به بولس.

لقد ظهر واضحاً من خلال مباحث هذا الكتاب أن بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية الحالية، فلقد محا رسالة المسيح عليه السلام، وأسس ديانة جديدة لا تمت إلى رسالة المسيح بصلة، وهذه الديانة هي التي انتشرت وأصبحت هي الباقية إلى الآن.

ولهذا نجد بولس في المسيحية الحالية أعظم شخصية فيها، فينسب إليه من كتب المسيحية الآن ثلث العهد الجديد، وصارت أفكاره اللاهوتية هي أفكار المسيحية الحالية.

ولقد أكد هذا كثير من الباحثين، واعترف به أيضاً رجال الكنيسة المسيحية.

[٧] لقد استطاع قسطنطين أن يأسر الكنيسة ويطوق أعناق المسيحيين بأنعمه، فلقد خفض لهم الجناح وأعطاهم الأمان ورد لهم كرامتهم وحررتهم وأفاض عليهم بالخير والبهات حتى استطاع أن يطوعهم ملك يديه، وبدأ يتدخل في شئون الكنيسة

شيئاً فشيئاً ويظهر حرصه عليهم حتى وصل إلى مرتبة مرموقة في الكنيسة، وأصبح هو الرئيس المتصرف الذى يفصل بنفسه فى مسائل المسيحية الشائكة بل ويدعو إلى المجامع ويرأس جلساتها ويدير حواراتها ويتدخل فى قراراتها ويصدق عليها، وأيضاً يتدخل فى تعيين الأساقفة وإعفائهم.

[٨] كان قسطنطين وميوله نحو المسيحية من العوامل الرئيسية لتقرير العقائد الوثنية بدلاً من عقائد المسيح عليه السلام، فهو الذى عمل على تقرير ألوهية المسيح وجعلها هى العقيدة السائدة، وذلك حين دعا إلى عقد مجمع نيقية وهو المجمع المسكونى الأول واتخذ فيه صفة عالم اللاهوت، واختار الفئة التى تؤمن بألوهية المسيح ووضع لهم مجلساً خاصاً بهم وأغراهم بالسلطة حتى يصدقوا جميعاً على القول بألوهية المسيح ويجعلوه هو القانون الدينى العام، وهذا وقد أمر قسطنطين بوجوب تنفيذ قرارات مجمع نيقية والتى تقرر بصفة نهائية القول بألوهية المسيح وتهدد بالعقاب والنفى كل من يخالف رأى المجمع، ولذلك نفى كثيراً من الأساقفة الذين امتنعوا عن الموافقة على هذا الاعتقاد.

[٩] لقد سلك قسطنطين مسلك رجل السياسة الذى يريد الحفاظ على وحدة الإمبراطورية، ولذلك كان يحرص على إرضاء الوثنيين والمسيحيين على السواء، وذلك عن طريق مزج المسيحية بالأفكار والتعاليم الوثنية، وهذا كان له أثره المباشر فى نحو عقائد المسيح عليه السلام والقضاء عليها.

[١٠] إن المجامع المسيحية لم يؤسسها المسيح عليه السلام، ولم يدع إليها، ولم يأمر بها، ولم يشر إليها، لا بالتلميح ولا بالتصريح، خاصة وأن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يأتون الناس بعقائد وشرائع واضحة يبلغونها للناس ويوضحونها لهم، فلا يتركون أصول العقائد والشرائع لشطط العقول ولاختلاف الناس حولها كل واحد منهم يدلى بدلوه فيها ويشرح رأيه حولها.

إن أصول العقائد والشرائع فى الدين السماوى من عند الله عز وجل لا من تأليف وتقرير مجمع أو غيره، وهذا يعنى أن المسيحية حين تناست أصول العقائد والشرائع التى جاء بها المسيح رأت أن توجد بدعة المجمع لتقرر لها البديل فى العقائد

والشرائع، وهى عقائد وشرائع وثنية ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك كان أول مجمع ابتدع فى المسيحية - مجمع أورشليم كان لبولس يد فى اجتماعه وفى القرارات التى توصل إليها - كانت قراراته مخالفة للشرعة التى جاء بها المسيح عليه السلام، إذ نقض شريعة موسى عليه السلام التى صرح المسيح بأنه ما جاء ناقضاً لها، هذا إلى جانب أن المجمع المسكونى الأول (مجمع نيقية) أيضاً جاءت قراراته وقوانينه مخالفة للعقائد التى جاء بها المسيح عليه السلام، ثم جاءت المجمع المسكونية الأخرى لتكمل ما بدأه هذا المجمع.

[١١] إن المجمع المسيحية هى التى ساعدت على تأصيل الوثنية فى المسيحية وجعلها هى أساس الديانة ومضمونها، ويتبين ذلك من القرارات والقوانين التى توصلت إليها، فهى التى قررت تجسد المسيح، والتثليث، والصلب والفداء وغير ذلك من الأفكار والعقائد الوثنية.

[١٢] ولقد لعب اليهود دوراً كبيراً فى تحريف رسالة المسيح عليه السلام، واليهود فى زمنه عليه السلام كانوا ينقسمون إلى قسمين: يهود فلسطين، ويهود الشتات، وهؤلاء جميعاً لهم يد كبيرة فى تحريف رسالة المسيح عليه السلام، فاليهود فى فلسطين اضطهدوا المسيح عليه السلام وقت تبليغه الدعوة فلم يتركوه لحظة إلا وقد عاكسوه وأقاموا معه المشاغبات فلما يسوا من منعه عن التبشير برسالاته اجتمعوا على الافتراء عليه والوشاية به عند والى الرومانى فى فلسطين واختلقوا أكاذيب وافتراءات على المسيح عليه السلام حتى يستطيعوا أن يغروا الرومان بالقبض عليه والحكم عليه بالموت، ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم ورفعهم إليه.

ولم يقتصر أمر اليهود هؤلاء على إيذاء المسيح عليه السلام فحسب، بل امتدت أيديهم بالتعذيب والسجن والإيذاء لأتباعه من بعده لمنعمهم من التبشير برسالاته ولقد عملوا بكل جهدهم على إماتة هؤلاء الأتباع حتى يخنقوا الدعوة التى جاء بها المسيح عليه السلام، هذا إلى جانب دورهم الكبير فى ضياع إنجيل المسيح عليه السلام، كما سبق أن بينا.

أما يهود الشتات فقد أكملوا الدور الذى بدأه يهود فلسطين، حيث سدوا الثغرة التى نجمت عن ضياع الإنجيل وموت الأتباع، بأن ساعدوا على وضع أفكار وعقائد جديدة بدلاً من العقائد التى جاء بها المسيح عليه السلام. وأيضاً وضع أناجيل ورسائل تحمل هذه العقائد وتلك الأفكار الجديدة.

ولقد كان يهود الشتات بمرونتهم وعدم تعصبهم ليهوديتهم وتأثرهم بمن حولهم من الوثنيين مؤهلين لأن يقوموا بهذا الدور، فهم لم يؤمنوا برسالة المسيح كما جاء بها، بل آمنوا بها بعد أن عدلوا من عقائدها وأدخلوا فيها ما ليس منها، ولذلك أدخلوا العقائد والأفكار الوثنية التى جاء المسيح لمحاربتهم والقضاء عليها، وقد ساعدتهم على ذلك أنهم كانوا بعيدين عن موطن تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين يعرفون الحق من الباطل والصحيح من المحرف والسماوى من الوثنى.

ولقد عمل هؤلاء اليهود على كسب الأتباع الوثنيين الذين لم يعرفوا المسيح إلا بالقدر الذى حدثهم به هؤلاء اليهود الذين ألغوا شريعته واستبدلوها بعقائد وشرائع وثنية حتى يضمّنوا لأفكارهم البقاء حيث الكثرة والانتشار. ولذلك أراحوا كل العقبات التى ظنوا أنها تقف حائلاً دون قبول الوثنيين للمسيحية، فألغوا اختان والتحرّيات فى الطعام عدا ما ذبح للأوثان والدم. وأصبحوا يبشرون بأن الناموس اليهودى لم يعد صالحاً للاستعمال.

[١٣] وكان لاستخدام يهود الشتات اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية وهى اللغة التى كان يتحدث بها المسيح وأتباعه أثر كبير أيضاً فى تسرب الوثنيات إلى المسيحية، وذلك عن طريق التواء الألفاظ وتغيير المعانى، أو عن طريق إدخال المصطلحات والأفكار اللاهوتية اليونانية والتى كان تستخدم فى التعبير عن العقائد الوثنية.

ولقد استخدم يهود الشتات اللغة اليونانية فى التعبير عن المسيحية، وذلك لكى يخفّوا تغييرهم لمضمون رسالة المسيح عليه السلام ويحتالوا على تحريفها، ذلك أن الكلمة فى لغة ما غير الكلمة فى لغة أخرى، وأن المعانى التى تحويها الكلمة فى لغة ما تقل أو تزيد إذا ترجمت إلى لغة أخرى.

[١٤] ولقد فتح يهود الشتات المجال - أيضاً - لتسرب الوثنية عن طريق آخر، وذلك بأن بشروا بالمسيحية بين الوثنيين مخالفين بذلك تعاليم المسيح. فلقد أشار المسيح إلى أنه ما جاء إلا إلى بنى إسرائيل.

وحين خرجت ديانة المسيح عليه السلام التي شوهت على أيدي يهود الشتات وأصبحت تسمى بالمسيحية حين خرجت من دائرة نفوذها وتبشيرها في بلاد أورشليم إلى بلاد العالم الوثنى لم تكن لتستطع أن تتجنب المؤثرات الخارجية، ولم تكن لتستطع أن تقف أمام وثنيات العالم الوثنى، فلم يكن لها من القوة الذاتية ما يحفظها من التأثير بغيرها، إذ أنها خرجت من دائرة نفوذها بدون كتاب صحيح يقف عنده كل مبتدع أو مغال أو مضل، ذلك أن الإنجيل الذى أنزل على المسيح لم يتعلمه هؤلاء الذين حملوا الديانة إلى العالم الوثنى وذلك بحكم شتاتهم بعيداً عن المواطن الذى بشر فيه المسيح.

ويهود الشتات هؤلاء لم يكونوا - كما سبق أن بينا - هم الذين يهمهم أن يحفظوا الديانة بعيداً عن المؤثرات الوثنية فهم الذين ساعدوا على دخول الوثنية إليها وذلك بحكم تكوينهم ومعيشتهم، بهذه الروح حمل يهود الشتات المسيحية إلى الوثنيين بدون وضع الحد المانع لهم الذى يقفون عنده، ولذلك فتحوا المجال أمامهم لأن يدخلوا المسيحية ويؤثروا فيها بدون وضع شرط أو قيد طالما أنهم ينسبونها إلى المسيح عليه السلام، وعن طريق هؤلاء الوثنيين زحفت الوثنيات إلى المسيحية، ذلك أنهم لم يستطيعوا فهمها - وهم معزولون عن إنجيل عيسى وتلاميذه - بغير ما هو ممتزج بأفهامهم وما هو مغروس فى قلوبهم، فحاول كل واحد منهم - بمساعدة مدرسة بولس - أن يفهم دينه الجديد فى ضوء فكره ومعتقده القديم، ونتيجة لهذا كله تكون للمسيحية العديد من الأفكار والتعاليم الوثنية من أديان الشرق والغرب.

[١٥] وكان التجسد والقول بالوهية المسيح من أوائل العقائد الوثنية التى تسربت إلى المسيحية، ذلك أن المسيح لم يقل بعقيدة التجسد ولم يشر إليها ولم يعلم تلاميذه إياها، فلم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله، وكذلك لم يقل تلاميذه الأصليون عنه إنه إله أو ابن إله، وإنما الذى أشاع عن المسيح أن له قدرات إلهية فوق قدرات البشر وأنه إله هو بولس، الذى علم وبشر بتعاليم لم يأخذها عن المسيح ولا عن تلاميذه،

وإنما استقناها من مصادر وثنية خاصة وأن هذه العقيدة كانت منتشرة في الأديان الوضعية المنتشرة وقت ظهور المسيحية، فكانت شائعة بين الهنود والمصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم.

على أن ما ساقه المسيحيون من أدلة على هذه العقيدة غير مسلم بها، هذا فضلاً عن أن هذه العقيدة لا تتسق مع صحيح العقول، ففيها من التناقض الغريب والعجيب ما لا يمكن التسليم به.

ولقد أقر جماعة من المسيحيين الإنجليز بأن عقيدة التجسد أسطورة وثنية، فأخرجوا لنا كتاباً يسمى (أسطورة تجسد الإله)، وطالبوا فيه بأنه لا بد وأن يتطور إيمان المسيحيين ويتركوا القول بالتجسد الذي هو أسطورة وثنية.

[١٦] وعقيدة التثليث من العقائد الوثنية التي دخلت المسيحية أيضاً، ذلك أن المسيح عليه السلام لم يتحدث عن التثليث ولا عن الأقانيم. فلم يعلم بها ولم يشر إليها بأى نوع من أنواع الإشارة. ولم يؤثر عن أحد من تلاميذ المسيح أنه تحدث عن أى نوع من هذه العقيدة، هذا فضلاً عن أننا لو نظرنا إلى كتبهم المقدسة لا نجد فيها أى دليل على هذه العقيدة، فلو قرأت كتبهم المقدس سفرًا سفرًا وإصحاحًا وإصحاحًا وكلمة كلمة لا تجد فيها كلمة تثليث ولا كلمة أقنوم وهى الكلمات الرئيسية فى هذه العقيدة. هذا ولم يقل بهذه العقيدة نبي من الأنبياء ولا رسول من الرسل، ولذلك فهى عقيدة وثنية دخلت المسيحية عن طريق الوثنيين الذين دخلوا المسيحية خاصة وأن هذه العقيدة كانت منتشرة فى معظم الأديان الوثنية المنتشرة وقت ظهور المسيحية.

والغريب أن بعض المسيحيين أقروا بالتشابه بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى، وينو أن هذا التشابه دليل على أن مصدرهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى، وهو قول فيه افتراء على الله عز وجل ورسله الأصفياء إذ لم يقل به نبي ولا رسول، وإنما هو نوع من التحديد لتعدد الآلهة، الذى اغترف به الإنسان عن شرع الله ووحيه وكفى بالمسيحيين خسراناً أن يستدلوا على عقائدهم بالعقائد الوثنية.

[١٧] وعقيدة الصلب والفداء من العقائد الوثنية التي دخلت المسيحية، ذلك أن المسيح لم يقل عن نفسه أنه المخلص أو المسيح المنتظر، وكذلك لم ينسب أحد من تلاميذه إليه هذه العقيدة.

هذا فضلاً عن أن هذه العقيدة قائمة على أسس باطلة. فالقول بأن معصية آدم انتقلت إلى أبنائه بالوراثة قول باطل، لأن آدم تاب من ذنبه والتوبة تغفر الذنوب وتكفرها، ولأن الإنسان لا يتحمل وزر أخيه الإنسان وإنما كل إنسان مسئول عن عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

والقول: بأن المسيح إله تجسد باطل، لأن المسيح عليه السلام ما دعا أنه إله بل كان يدعو نفسه دائماً بابن الإنسان، ولأنه جرى عليه ما يجري على البشر من الأكل والشرب والنوم والجوع والغضب، وكلها نقائص يتنزه عنها الإله، والقول بأن المسيح صلب وقام قول باطل، لأن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيدي الأعداء فلم يقتل ولم يصلب وإنما رفع إلى السماء.

هذا فضلاً عن أن هذه العقيدة ليس لها أدلة صحيحة عليها، إذ أن أدلتهم على القول بالصلب هي من روايات الأناجيل وهي غير موثوق بها لما تتصف به من التناقض والاختلاف، لأن الاختلاف معناه أن إحدى الروايات صادقة والأخرى كاذبة، ولما كان الصادق منها غير متعين فالشك يرد على الجميع، والشك إذا دخل إلى الدليل أفسده وأبطله، ولذلك فإن عقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية سرت إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه، فهو أول من نادى أن المسيح ابن الله نزل ليخلص البشرية من الخطيئة والآثام خاصة وأن هذه العقيدة كانت منتشرة وسائدة في العالم الوثني وقت ظهور المسيحية.

[١٨] ولقد عجز المسيحيون عن فهم عقائدهم، ولذلك أعلنوا أنه على المسيحي أن يقبل هذه العقائد بالإيمان فقط دون التفكير فيها، فعلى المسيحي أن يلغى عقله وفكره ولا يبحث في أي عقيدة من العقائد، وإنما عليه أن يسلم بها تسليمًا مطلقاً دون بحث أو نظر.

ولذلك نجدهم فى مجال التعليم يحاولون تنشئة الطلاب على الإيمان بالعقائد دون فهمها أو شرحها، وإخفئة أن هذا الأسلوب كان سبباً فى ترك البعض للدين المسيحى أو فى ترك التدين كاملاً والانحراف إلى الإلحاد.

[١٩] ولم تكن المسيحية بأن استقت أصول عقائدها من الوثنية. بل وجدناها أيضاً قد أخذت عن الوثنية شعائرها وأعيادها، فالتعميد والعشاء الربانى وغيرها شعائر وثنية انتقلت إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه.

وتحديد يوم الأحد بكونه عيداً للرب مأخوذ من الوثنية التى جعلت هذا اليوم عيداً للشمس ولا زال هذا اليوم يدعى فى بعض اللغات بيوم الشمس، بل إن تحديد عيد الميلاد وعيد القيامة بتواريخ معينة مأخوذ أيضاً من الوثنية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

أولاً: المراجع الإسلامية

القرآن الكريم.

السنة النبوية الشريفة.

إبراهيم البيجورى:

(١) شرح البيجورى على الجوهرة. البيثة العامة لشئون المطابع الأميرية. سنة ١٩٧١م القاهرة.

إبراهيم خليل أحمد: (أحد المسيحيين الذين اهتموا إلى الإسلام).

(٢) محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن. مكتبة الوعى العربى. الطبعة الرابعة . القاهرة.

أحمد أمين:

(٣) فجر الإسلام. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية عشرة. سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

أحمد بن حنبل:

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية. مجموعة (عقائد السلف) جمع د/ على سامى النشار، د/ عمار الطالبي. منشأة المعارف. سنة ١٩٧٠م. الإسكندرية.

أحمد شلبى :

(٥) المسيحية. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة السادسة . سنة ١٩٧٨ م.

أحمد عبد الوهاب:

(٦) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الأولى . سنة ١٩٨١م.

(٧) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٠م . القاهرة.

(٨) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية . خلاصة أبحاث علماء المسيحية فى الغرب. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨م.

(٩) الوحي والملائكة فى اليهودية والمسيحية والإسلام . دار النهضة العربية .
الطبعة الأولى . سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م . القاهرة .

أحمد عزت باشا :

(١٠) الدين والعلم . ترجم أكثره من التركية إلى العربية حمزة طاهر . راجعه عبد
الوهاب عزام . لجنة التأليف والترجمة والنشر . سنة ١٩٥٠ م القاهرة .

ابن تيمية :

(١١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . أربعة أجزاء فى مجلدين . مطبعة
المدنى .

ابن حزم :

(١٢) الأصول والفروع . صححه وضبطه جماعة من العلماء بإشراف
الناشر . جزآن فى مجلد واحد . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٤ م .
بيروت .

(١٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، بهامشه كتاب الملل والنحل
للشهرستانى . مكتبة صبيح القاهرة .

ابن القيم :

(١٤) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى . تحقيق د/ أحمد السقا . الناشر
المكتبة القيعة . الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٩ هـ . القاهرة .

ابن كثير :

(١٥) تفسير القرآن العظيم . مطبعة عيسى الحلبى . القاهرة .

أبو البركات نعمان خير الدين الألوسى :

(١٦) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح . جزآن فى مجلد واحد . المطبعة
الإسلامية . الطبعة الأولى . لاهور . الهند .

أبو السعود :

(١٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . إدارة طباعة الجمعية العلمية
الأزهرية المصرية . سنة ١٩٧٩ م . القاهرة .

أبو عبيدة الخزرجي :

(١٨) بين الإسلام والمسيحية. تحقيق وتقديم وتعليق د/ محمد شامة. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٩ م. القاهرة.

أبو الفضل المسعودي :

(١٩) المنتخب الجليل فى تخجيل من حرف الإنجيل. طبعة مطبعة التمدن. سنة ١٣٢٢ هـ. القاهرة.

أيوب صبرى عبد الله : (أحد المسيحيين الذين اهتموا إلى الإسلام).

(٢٠) بهجة التفريح بحقيقة السيد المسيح. عنوان المناظرة التى جرت بينه وبين أحد النصارى - بعد دخوله الإسلام - طبعت على هامش السيف الصقيل.

(٢١) الجوهر الفريد فى رد الثلاث وتأييد التوحيد . وهو كتاب يرد فيه المؤلف على كتاب "القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسد المسيح" المطبعة العامرة. الطبعة الأولى. سنة ١٣١٩ هـ. القاهرة.

الإمام البخارى :

(٢٢) كتاب أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل. ضمن مجموعة (عقائد السلف) منشأة المعارف. سنة ١٩٧٠ م.

د/ بركات عبد الفتاح دويدار :

(٢٣) الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها. دار التراث العربى للطبع والنشر. الطبعة الثانية. سنة ١٩٨٠ م. القاهرة.

(٢٤) الوحدانية (مع دراسة فى الأديان والفرق) الناشر مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٧ م. القاهرة.

الشيخ بكر بن السيد عمر التميمي :

(٢٥) السيف الصقيل فى الرد على رسالة البرهان الجليل. طبع بمطبعة المحروسة. سنة ١٣١٣ هـ. القاهرة.

د/ توفيق الطويل :

(٢٦) قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام. دار الفكر العربى. الطبعة الأولى. سنة ١٩٤٧ م. القاهرة.

الجاحظ :

(٢٧) المختار فى الرد على النصارى (مع دراسة تحليلية تقويمية) تحقيق ودراسة د/ محمد عبد الله الشرقاوى. الناشر دار الصحوة. الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م. القاهرة.

جلال الدين شمس :

(٢٨) البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح . مطبعة ابن زيدون . سنة ١٩٢٩ م. القاهرة ..

الجوينى :

(٢٩) شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل . تقديم وتحقيق د/ أحمد السقا. الناشر مكتبة الكليات الأزهرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨ م . القاهرة.

حسين قلى الداغستانى :

(٣٠) كشف الظلمة عن معتقدات البابية وبيان معتقدات المسيحية . المطبعة العامرة الشرقية. الطبعة الأولى. سنة ١٣٢٤ هـ.

د/ رؤوف شلبى :

(٣١) أضواء على المسيحية (دراسات فى أصول المسيحية) منشورات المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . سنة ١٩٧٥ م.

(٣٢) المسيحية الرابعة . الناشر مكتبة الأزهر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٩ م . القاهرة.

(٣٣) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. مكتبة الأزهر. الطبعة الأولى.

سنة ١٩٧٤ م. القاهرة.

د/ رحمت الله الهندى :

(٣٤) إظهار الحق . تقديم وتحقيق د/ أحمد السقا . دار التراث العربى. الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨ م. القاهرة.

الزحشرى :

(٣٥) تفسير الكشف. مطبعة مصطفى الحلبي. سنة ١٩٧٢ م . القاهرة.

د/ سعد الدين صالح:

(٣٦) مشكلات العقيدة النصرانية. مطبعة دار البيان. الطبعة الثانية. سنة ١٩٨٣ م . القاهرة.

الشيخ سليمان بن عمر (الشهير بالجمل):

(٣٧) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. طبعة عيسى الحلبي . سنة ١٣٧٩ هـ . القاهرة .

سيد قطب:

(٣٨) فى ظلال القرآن . دار الشروق . الطبعة العاشرة ١٩٨١ م . القاهرة.

الشهرستاني:

(٣٩) الملل والنحل . تحقيق محمد سيد كيلانى. مكتبة مصطفى البابى الحلبي . سنة ١٩٧٦ م . القاهرة.

عباس العقاد:

(٤٠) حياة المسيح فى التاريخ وكشوف العصر الحديث . دار الهلال. القاهرة.

القاضى عبد الجبار:

(٤١) تثبيت دلائل النبوة . جزءان فى مجلد واحد. حققه وقدم له د/ عبد الكريم عثمان . دار العربية للطباعة والنشر. بيروت.

(٤٢) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل. الجزء الخامس (الفرق غير الإسلامية) تحقيق: محمود محمد الخضيرى. مراجعة د/ إبراهيم مذكور. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. سنة ١٩٨٥ م . القاهرة.

عبد الرحمن الباجة:

(٤٣) الفارق بين المخلوق والخالق. تصحيح ومراجعة عبد المنعم فراج درويش . مطبعة البيان التجارية . سنة ١٩٨٧ م . دبي.

عبد الرحمن الجزيرى:

(٤٤) أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق. مطبعة الإرشاد. الطبعة الأولى . سنة ١٩٣٤ م.

عبد الرشيد الأنصارى (روبرت ولزلى سابقاً):

- (٤٥) قصة إسلامى . الناشر جامعة الأزهر. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية . سنة ١٩٧٠م القاهرة.
- عبد الكريم الخطيب:
- (٤٦) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل . دار المعرفة للطباعة والنشر. الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٦م . القاهرة.
- عبد الله الترجمان:
- (٤٧) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب . تحقيق د/ محمود على حماية . دار الثقافة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى . القاهرة.
- عبد الله العلمى:
- (٤٨) سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس . طبع بإشراف عبد الحليم العلمى. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٠م. دمشق.
- عبد الوهاب النجار:
- (٤٩) قصص الأنبياء . الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع .سنة ١٩٦٦ م . القاهرة.
- عز الدين الدميرى:
- (٥٠) إرشاد الحيارى فى ردع من مارى ، مخطوط بدار الكتب تحت رقم علم الكلام ٢٣٢.
- عز الدين محمدى:
- (٥١) الفاصل بين الحق والباطل. طبع بمصر . سنة ١٣١٧ هـ القاهرة.
- عضد الدين الإيجى:
- (٥٢) المواقف - عالم الكتب - بيروت.
- علاء الدين الباجى:
- (٥٣) على التوراة . تحقيق د ، أحمد السقا . دار الأنصار . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م القاهرة .
- د/ على عبد الواحد وافى:
- (٥٤) فقه اللغة . دار نهضة مصر للطباعة والنشر. الطبعة السابعة . القاهرة

الشيخ على البحرانى:

(٥٥) لسان الصدق فى الرد على النصارى جواباً لكتاب ميزان الحق مخطوط بدار الكتب تحت رقم (ب ٢١٤٢٦).

الإمام الغزالى:

(٥٦) الاقتصاد فى الاعتقاد . تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا. مكتبة الجندى. سنة ١٩٧٢ م . القاهرة.

(٥٧) الرد الجميل . تحقيق عبد العزيز عبد الحق. مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٣ م. القاهرة.

الفخر الرازى :

(٥٨) مفاتيح الغيب . دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت.

القرافى:

(٥٩) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة . تحقيق د/ بكر زكى عوض. كلية أصول الدين القاهرة. سلسلة مقارنة الأديان. الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦م القاهرة.

القرطبى:

(٦٠) الجامع لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربى. سنة ١٩٨٥ م بيروت

القلقشندى:

(٦١) صبح الأعشى (الجزء الثالث عشر) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

كمال الدين (زعيم المبشرين السنين بالجلترا):

(٦٢) ينباع المسيحية . تعريب إسماعيل حلمى البارودى. ١٩٢٩ م. القاهرة

د/ محمد إبراهيم الشافعى:

(٦٣) المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم . مطبعة السنة المحمدية . الطبعة الأولى.

سنة ١٩٨٢ م . القاهرة.

محمد أبو زهرة:

(٦٤) محاضرات فى النصرانية. دار الفكر العربى. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٧٧م

القاهرة .

د/ محمد أبو الغيط الفرت:

(٦٥) بولس والمسيحية . دار الطباعة المحمدية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٩ م القاهرة .

د/ محمد توفيق صدقي:

(٦٦) دين الله فى كتب أنبيائه . مطبعة مجلة المنار . الطبعة الأولى . سنة ١٩٢١ م . القاهرة .

(٦٧) نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية . مطبعة المنار . الطبعة الأولى . سنة ١٣٣١ هـ القاهرة .

محمد حبيب:

(٦٨) فتح الملك العلام فى بشائر دين الإسلام . طبع المطبعة المحمدية المصرية . سنة ١٣٢٢ هـ القاهرة .

(٦٩) مصادر المسيحية وأصول النصرانية . رسالة لاهوتية تاريخية . بدون ذكر اسم الناشر .

محمد رشيد رضا:

(٧٠) تفسير المنار . الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ١٩٧٢ م . القاهرة .

(٧١) شبهات النصرى وحجج الإسلام . الناشر دار المنار . الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ .

(٧٢) عقيدة الصلب والفداء . مطبعة المنار . سنة ١٣٣١ هـ القاهرة .

محمد طلعت:

(٧٣) القول المبين فى الرد على المبشرين الإنجلييين . مطبعة التقدم . سنة ١٩٠٥ م . القاهرة .

د/ محمد عبد الله دراز:

(٧٤) دستور الأخلاق فى القرآن . تعريب وتحقيق د/ عبد الصبور شاهين . دار البحوث العلمية . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٠ م . الكويت .

(٧٥) الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) مطبعة السعادة . سنة ١٩٦٩ م . القاهرة .

محمد عزت الطهطاوى :

(٧٦) النصرانية والإسلام . دار الأنصار . القاهرة .

د/ محمد فؤاد الهاشمى : (أحد المسيحيين الذين اهتموا إلى الإسلام) :

(٧٧) الأديان فى كفة الميزان . دار الحرية . القاهرة ١٩٨٦ م القاهرة .

(٧٨) حوار بين مسيحي ومسلم . الناشر دار الرسالة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٤ م القاهرة .

(٧٩) سر إسلامى (لماذا اخترت الإسلام دينًا) دار الحرية ١٩٨٠ القاهرة .

محمد مجدى مرجان : (أحد المسيحيين الذين اهتموا إلى الإسلام) :

(٨٠) الله واحد أم ثلوث . دار النهضة العربية . القاهرة .

(٨١) المسيح إنسان أم إله . دار النهضة العربية . القاهرة .

د/ محمد وصفى :

(٨٢) المسيح والتثليث . المطبعة الرحمانية . الطبعة الأولى ١٩٣٧ م القاهرة

د/ محمد يحيى :

(٨٣) رحلتى من الكفر إلى الإيمان (قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم الجميلة)

الناشر : المختار الإسلامى . سنة ١٩٨٥ م . القاهرة .

د/ محمود بن الشريف :

(٨٤) الأديان فى القرآن . دار المعارف . الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م القاهرة .

(٨٥) الدعاء فى القرآن . سلسلة اقرأ رقم ٢٨٠ دار المعارف ١٩٦٦ م القاهرة

د/ محمود محمد مزروعة :

(٨٦) دراسات فى النصرانية . مع مقدمة فى دراسة الأديان . لم يذكر اسم الناشر .

سنة ١٩٧٩ م .

(٨٧) مقال عن (صفة الوجود فى عقيدة النصرانية) حولية كلية أصول الدين بالمنوفية

العدد السادس . الجزء الأول . سنة ١٩٨٦ م . القاهرة .

المسعودى :

(٨٨) مروج الذهب . المجلد الأول . دار الفكر . بيروت . الطبعة الخامسة . سنة ١٣٩ هـ .

مصطفى سعداوى المهر:

(٨٩) نظرات فى العقائد المسيحية . مطبعة نهضة مصر . سنة ١٩٤٨ م . القاهرة .

مصطفى عبد الرازق:

(٩٠) الدين والوحى والإسلام . سلسلة مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية . دار إحياء

الكتب العربية . عيسى الحلبي . سنة ١٣٦٤ هـ .

ناصر الدين دينيه (أحد المسيحيين الذين اهتموا إلى الإسلام):

(٩١) أشعة خاصة بنور الإسلام . ترجمة: راشد رستم . المطبعة السلفية سنة ١٩٣٩

م القاهرة .

نصر بن يحيى (أحد المسيحيين الذين اهتموا إلى الإسلام):

(٩٢) النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية . تحقيق وتقديم وتعليق: د/ محمد

عبد الله الشرقاوى . دار الصحوة للنشر والتوزيع . سنة ١٩٨٦ م . القاهرة .

د/ هاشم جودة:

(٩٣) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل . مطبعة الأمانة . سنة ١٩٨٠ م القاهرة .

ثانياً: المراجع المسيحية

- (٩٤) الكتاب المقدس . طبعة الإنجيليين . دار الكتاب المقدس . سنة ١٩٨٠م القاهرة .
 (٩٥) الكتاب المقدس . طبعة الكاثوليك . منشورات دار المشرق . سنة ١٩٨٣م .
 بيروت .

د/ إبراهيم سعيد ومجموعة من الأساقفة :

- (٩٦) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية . سنة ١٩٦١م . وزارة التربية والتعليم
 بالقاهرة .

إبراهيم لوقا :

- (٩٧) المسيحية في الإسلام . دار النشر القبطية . دار الكتاب القبطي . الطبعة الثانية .
 القاهرة .

إنثاسيوس الرسولي :

- (٩٨) تجسد الكلمة . نقله إلى العربية مرقس داود . دار التأليف والنشر للكنيسة
 الأسقفية . الطبعة الخامسة . سنة ١٩٧٧م . القاهرة .

د/ إدوار . ج . يونج :

- (٩٩) الكتاب المقدس في الميزان . ترجمة إلياس مقار . دار الثقافة المسيحية . الطبعة
 الثانية . سنة ١٩٧٧م . القاهرة .

أفلاطون . مطران موسكو :

- (١٠٠) الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية . عربيه بتصريف :
 اخورى يوحنا حزبون . منشورات النور . بيروت .

د/ الدر :

- (١٠١) المجهولون في الكتاب . ترجمة حبيب سعيد . دار التأليف والنشر للكنيسة
 الأسقفية . القاهرة .

الفرد مارتن :

- (١٠٢) دراسة أسفار الكتاب المقدس (الكتاب الأول) تاريخ العهد القديم ترجمة
 لييب ميخائيل . المطبعة التجارية الحديثة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨م القاهرة .

القس / إلياس مقار:

(١٠٣) رجال الكتاب المقدس (المجلد الأول) دار الثقافة المسيحية . طبعة أولى . سنة ١٩٧٩م . القاهرة.

(١٠٤) إيماني أو (قضايا المسيحية الكبرى) دار الثقافة المسيحية . طبعة أولى . القاهرة.
(١٠٥) _____ الإنجيل كتاب الحياة. ترجمة تفسيرية للعهد الجديد. دار الثقافة المسيحية. سنة ١٩٨٢م . القاهرة.

د/ أندرو وطسون:

(١٠٦) شرح أصول الإيمان. راجعه وأتمه: إبراهيم سعيد. مطبعة النيل المسيحية . سنة ١٩٣٠م . القاهرة.

القس إنسطاسى شفيق:

(١٠٧) الفداء في إنجيل لوقا. كنيسة مار جرجس . مكتبة المحبة. القاهرة.
(١٠٨) اللاهوت في إنجيل يوحنا. مكتبة مار جرجس. سنة ١٩٧٦م الإسكندرية.
أنسلموس اللاهوتي:

(١٠٩) لماذا تجسد الكلمة . تنقيح القس إبراهيم سعيد ، القس جبرى تاوضروس . مطبعة النيل المسيحية. ط الثالثة. سنة ١٩٢٨ . القاهرة.
باسيليوس:

(١١٠) سر الفداء حسب الإنجيل والآباء. تعريب بيت التكريس لخدمة الكرازة. مؤسسة القديس أنطونيوس. سنة ١٩٨٢م . القاهرة.
القس بختيت متى:

(١١١) قضاء الله ومسئولية الإنسان. دار الثقافة المسيحية . طبعة أولى. سنة ١٩٧٨م . القاهرة.

أ. هـ. برودبنت:

(١١٢) قضاء الله ومسئولية الإنسان. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٧٨م . القاهرة.

بطرس الجميل ومجموعة من الأساقفة:

(١١٣) كتاب السنكسار. الطبعة الثانية. مكتبة المحبة ١٩٧٨ م. القاهرة.

بطرس ديناسيوس:

(١١٤) القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسيد المسيح. مطبعة انوطن. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨١ م. القاهرة.

بنيامين بنكرتن:

(١١٥) تفسير إنجيل متى. مطبعة الأخوة بجزيرة بدران. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٨١ م. القاهرة.

بوزورث:

(١١٦) دراسات فى حياة يسوع. جزءان فى مجلد واحد. ترجمة مرقس فهمى فرج. صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية.

بولس إلياس اليسوعى:

(١١٧) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه. المطبعة الكاثوليكية. ط ثانية. سنة ١٩٦٦ م. بيروت.

القمص يشوى عبد المسيح:

(١١٨) القول الصريح فى لاهوت المسيح. مكتبة المحبة ١٩٨٣ م القاهرة.

(١١٩) المسيحية ديانة التوحيد. مكتبة المحبة. القاهرة.

جاد المنفلوطى:

(١٢٠) نظرات فى الإنجيل. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. طبعة أولى. سنة ١٩٨٤ م. القاهرة.

د/جورج حبيب بياوى:

(١٢١) المعمودية فى الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية. دراسة للمعقيدة والطقس فى القرون الخمسة الأولى. الكتاب الأول. الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكسية. سنة ١٩٨١ م. القاهرة.

جورجيا هاركنس:

(١٢٢) بماذا يؤمن المسيحيون. ترجمة إسحاق مسعد. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. سنة ١٩٦٩ م. القاهرة.

جون ستوت:

(١٢٣) المسيحية فى جوهرها. تعريب نجيب غالى. الناشر: كنيسة الملاك سنة ١٩٧٩ م. القاهرة.

جون هيك. ومجموعة من الأساتذة المسيحيين:

(١٢٤) أسطورة تجسد الإله. ترجمة نبيل صبحى. دار القلم ١٩٨٥ م الكويت
حارث قرينة:

(١٢٥) القديس بولس. دار الثقافة المسيحية. ط أولى ١٩٧٩ م القاهرة.

حبيب جرجس:

(١٢٦) أسرار الكنيسة السبعة. مكتبة المحبة. ط سادسة ١٩٧٩ م القاهرة.

(١٢٧) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. طبعة
وزارة المعارف. سنة ١٩٢٦ م. القاهرة.

(١٢٨) الصخرة الأرثوذكسية. مجموعة محاضرات عقائدية فى تفنيد التعاليم الغريبة.
نشرها القمص بولس باسيلي. الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م. القاهرة.

حبيب سعيد :

(١٢٩) أديان العالم. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ١٩٧٧ م القاهرة،

(١٣٠) الروح القدس فى العصر الحديث. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .
القاهرة.

(١٣١) سيرة رسول الجهاد . صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية القاهرة.

(١٣٢) المدخل إلى الكتاب المقدس. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة.

د/ حنا جرجس الحضري:

(١٣٣) تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.

(١٣٤) المصلح مارتن لوتر. حياته وتعاليمه. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى سنة
١٩٨٣ م، القاهرة.

دافيد براون:

(١٣٥) هل صلب المسيح؟ نقله إلى العربية جاد المنفلوطى. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . سنة ١٩٧٧م. القاهرة.

دوم كولومبا مرميون:

(١٣٦) المسيح حياة النفس. ترجمة المطران نصر الله الصغير. المطبعة الكاثوليكية . سنة ١٩٦٦م. بيروت.

د/ راغب عبد النور:

(١٣٧) شجرة الحياة. مكتبة المحبة . سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

رؤوف حبيب:

(١٣٨) تاريخ الرهبة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم. مكتبة المحبة . القاهرة.

الأبنا ساويرس:

(١٣٩) الدر الثمين فى إيضاح الدين. إصدار أبناء البابا كيرلس السادس. سنة ١٩٧٨ م، القاهرة.

سبينوزا:

(١٤٠) رسالة فى اللاهوت والسياسة. ترجمة د/ حسن حنفى. مراجعة: د/فؤاد زكريا. دار الطليعة. طبعة ثانية . سنة ١٩٧١م بيروت.

ج. ر. و. ستوت:

(١٤١) المسيحية الأصلية. تعريب ريد زخارى . صادر عن منشورات النفير. بيروت.

سعيد مرقص إبراهيم:

(١٤٢) بحث فى جسد الرب ودمه. الكتاب الثانى ، لم يذكر اسم الناشر. سنة ١٩٨٤ م. القاهرة.

شارل جنيبير:

(١٤٣) المسيحية نشأتها وتطورها. ترجمة د/عبد الحليم محمود. المكتبة العصرية . صيدا. بيروت.

شنودة السريانى:

(١٤٣) شهداء المسيحية. كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية. سنة ١٩٧١م القاهرة.

القس صموئيل حبيب:

(١٤٥) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقات. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٨١م. القاهرة.

القس صموئيل مشرقى:

(١٤٦) المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد. صدر عن الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسينى. طبعة أولى. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

د/عزت زكى:

(١٤٧) الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. سنة ١٩٧٤م. القاهرة.

(١٤٨) المسيح وفلسفة أثينا. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. سنة ١٩٨٦م. القاهرة.

(١٤٩) —: علم اللاهوت النظامى. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٧١م. القاهرة.

عوض سمعان:

(١٥٠) طريق الخلاص. دار الثقافة المسيحية. ط ثانية ١٩٨٧م. القاهرة.

(١٥١) قيامة المسيح والأدلة على صدقها. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. ط ثانية. سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

(١٥٢) الكهنوت الطقسى فى ضوء الوحي والتاريخ. المطبعة الفنية الحديثة. القاهرة.

(١٥٣) الله ثالث وحادانيته ووحداية ثالثوته. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. القاهرة.

(١٥٤) الله ذاته ونوع وحادانيته. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة.

الأبنا غريغوريس:

(١٥٥) تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة. من منشورات أسقفية الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى. مكتبة المحبة. سنة ١٩٧٤م. القاهرة.

فالتون أورسلر:

(١٥٦) الإنسان الخالد (حياة المسيح) ترجمة رمسيس جبراوى. دار الكرنك للنشر والطبع. سنة ١٩٦٦ م. القاهرة.

د/ فرنسيس فريه:

(١٥٧) التجسد. ترجمة الأب لويس أبادير. منشورات المعهد المعادى.

فهم عزيز:

(١٥٨) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.

(١٥٩) المدخل إلى العهد الجديد. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.

(١٦٠) ملكوت الله. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى سنة ١٩٧٠ م. القاهرة

فولتون شين:

(١٦١) حياة المسيح دراسة وتأمل. تعريب نجيب غالى. مكتبة المحبة سنة ١٩٨٣ م. القاهرة.

(١٦٢) قانون إيمان الكنائس المعمدانية الكتابية الأولى. نقله إلى العربية لبيب ميخائيل. القاهرة.

د/ كرنجى سمسن:

(١٦٣) حقيقة المسيح. سلسلة محاضرات تفكيرية. تعريب عبد الفتاح القاهرانى. مطبعة النيل المسيحية. طبعة ثانية. سنة ١٩٢٦ م. القاهرة.

ج. كلايد تارنر:

(١٦٤) هذه عقائدنا. المنشورات المعمدانية. طبعة ثانية ١٩٧٢ م.

كنيسة مار جرجس:

(١٦٥) القديس كيرلس الكبير عمود الدين. مكتبة كنيسة الشهيد مار جرجس بالإسكندرية.

القس: لبيب ميخائيل:

(١٦٦) هل المسيح هو الله. مكتبة النيل المسيحية. طبعة ثانية. سنة ١٩٧٢ م. القاهرة.

(١٦٧) يقين الخلاص. لجنة مطبوعات الكنيسة المعمدانية. طبعة أولى سنة ١٩٦٢ م. القاهرة.

لغيف من المفكرين فى بلاد الهند :

(١٦٨) أنوار كاشفة. تعريب قطر اثناسيوس. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

لويس برسوم :

(١٦٩) المسيح الإله والإنسان ابن الله وابن البشر. المعهد الإكليريكي القبطى

الفرنسيسكانى. سنة ١٩٨٥ م. القاهرة.

السيدة ماييل وريترن :

(١٧٠) صراع عبر الزمان. نقله إلى العربية القس إيليا خورى. دار التأليف والنشر

للكنيسة الأسقفية.

الأب متى المسكين :

(١٧١) التبرير بين الماضى والحاضر وبين الإيمان والعمل. بيت التكريس بحلولان رقم

١٩ سنة ١٩٧٣ م القاهرة.

(١٧٢) الرهنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار. طبعة أولى. سنة ١٩٧٢ م. القاهرة.

(١٧٣) القيامة والصعود . مطبعة دير القديس أنبا مقار. طبعة أولى. سنة ١٩٨٢ م

القاهرة.

(١٧٤) لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار. مطبعة دير القديس أنبا

مقار وادى النطرون. طبعة أولى سنة ١٩٨١ م. القاهرة .

(١٧٥) ——— : مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التى

وضعتها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة. جمع وترجمة الأرشمندريت :

حنانيا إلياس كساب. منشورات النور. بيروت.

مفيد كامل :

(١٧٦) الثالث الذى به تؤمن. راجعه وقدم له القمص عبد المسيح ثاوفيلس. الكلية

الإكليريكية بالبلينا بسوهاج. القاهرة.

القس : منسى يوحنا :

(١٧٧) حياة آدم. مكتبة المحبة. طبعة ثانية . سنة ١٩٦٧ م. القاهرة.

موريس بوكاى :

(١٧٨) دراسة فى الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف طبعة رابعة. سنة ١٩٧٧م. القاهرة.

موريس تاووضروس:

(١٧٩) دراسات فى إنجيل يوحنا (الجزء الأول) منشورات الكلية الإكليريكية اللاهوتية. سلسلة المباحث المتصلة بالكتاب المقدس. لجنة الثقافة القبطية، سنة ١٩٦٨م القاهرة.

نخبة من خدام الإنجيل:

(١٨٠) ما معنى المسيح ابن الله ؟ طبعة ثانية ١٩٨٢م. القاهرة.

(١٨١) —: نشأة الطوائف المسيحية . نقله إلى العربية المطران إسحاق سعد. صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. سنة ١٩٧٧م القاهرة.

نظمى لوقا:

(١٨٢) محمد الرسالة والرسول. دار الكتب الحديثة. طبعة ثانية. طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم. سنة ١٩٥٩م. القاهرة.

نقولا يعقوب:

(١٨٣) أبحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين . مطبعة المعارف طبعة رابعة. سنة ١٩٧٧م. القاهرة.

ج. ١. وليسمن:

(١٨٤) تفسير أصول الإيمان . ترجمة الشيخ فايز فضيل. جزءان . دار الثقافة المسيحية . سنة ١٩٧٧م القاهرة.

وليم باركللى:

(١٨٥) تفسير العهد الجديد (سفر أعمال الرسل) ترجمة جوزيف صابر. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

(١٨٦) تفسير العهد الجديد (إنجيل لوقا) ترجمة القس مكرم نجيب. دار الثقافة المسيحية. سنة ١٩٨٢م. القاهرة.

(١٨٧) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ترجمة القس منسى عبد النور دار الثقافة المسيحية. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

يسى منصور:

(١٨٨) الصليب في جميع الأديان . نشر دار الثقافة بالإسكندرية. طبعة رابعة سنة ١٩٧٦ م.

يوسف الحداد:

(١٨٩) فلسفة المسيحية في رسائل بولس (جزءان) سلسلة دراسات إنجيلية. لم يذكر اسم الناشر . سنة ١٩٦٨ م.

(١٩٠) ———: يوم الرب يوم السبت أم يوم الأحد. مطبعة الشرق الأوسط. طبعة أولى. سنة ١٩٥٩ م. بيروت.

ثالثاً : مراجع الأديان الأخرى

د/ إحسان يار شاطر:

(١٩١) الأساطير الإيرانية القديمة. ترجمة د/ محمد صادق نشأت. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٥م. القاهرة.

د/ أحمد الخشاب:

(١٩٢) الاجتماع الدينى مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية. مكتبة القاهرة الحديثة. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٧٠م. القاهرة.

د/ أحمد شلبى:

(١٩٣) اليهودية. الناشر: مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الخامسة . سنة ١٩٨٧م. القاهرة.

(١٩٤) أديان الهند الكبرى. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

أدولف إرمان:

(١٩٥) ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة. ترجمة ومراجعة د/ عبد المنعم أبو بكر، د/ محمد أنور شكرى . مكتبة مصطفى الحلبى. القاهرة.

أ.ح. أربرى: (بالاشتراك مع مجموعة من المستشرقين)

(١٩٦) تراث فارس . ترجمة مجموعة من أساتذة كلية الآداب جامعة القاهرة بإشراف د/ يحيى خشاب. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبى ١٩٥٩ .

أنطون زكرى:

(١٩٧) الأدب والدين عند قدماء المصريين. بدون ذكر اسم الناشر د/ بركات عبد الفتاح دويدار.

(١٩٨) دراسة فى الأديان. طبعة سنة ١٩٨١م القاهرة.

البيرونى:

(١٩٩) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة . طبعة دائرة المعارف العثمانية . مجيد آباد . سنة ١٩٥٨م . عالم الكتب. بيروت.

توماس بلفينش:

(٢٠٠) عصر الأساطير. ترجمة: رشدى السيسى. راجعه: د/محمد صقر خفاجة.
سلسلة الألف كتاب. النهضة العربية ١٩٦٦م. القاهرة.

جوزيف كاير:

(٢٠١) حكمة الأديان الحية. ترجمة: حسين الكيلانى. مراجعة: محمود الملاح. دار
مكتبة الحياة. سنة ١٩٦٤م. بيروت.

جيمس فريزر:

(٢٠٢) الغصن الذهبى (دراسة فى السحر والدين) الجزء الأول. ترجم بإشراف د/
أحمد أبو زيد. الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧١م القاهرة.

جيمس هنرى برستيد:

(٢٠٣) تطور الفكر والدين فى مصر القديمة. ترجمة: زكى سوس. دار الكرنك
للنشر والطبع والتوزيع. سنة ١٩٦١م. القاهرة.

(٢٠٤) فجر الضمير. ترجمة د/ سليم حسن. سلسلة الألف كتاب. مكتبة مصر.
طبعة ثانية. سنة ١٩٨٠م. القاهرة.

حامد عبد القادر

(٢٠٥) بوذا الأكبر (حياته وفلسفته) سلسلة قادة الفكر والشرق رقم (٨) نهضة مصر.
سنة ١٩٥٧م. القاهرة.

(٢٠٦) زرادشت (حياته وفلسفته) سلسلة قادة الفكر (الكتاب الأول) نهضة مصر.
سنة ١٩٥٦م. القاهرة.

(٢٠٧) قصة الأدب الفارسى. الجزء الأول. نهضة مصر ١٩٥١م القاهرة.

د/ رفقى زاهر:

(٢٠٨) قصة الأديان (دراسة تاريخية ومقارنة) مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى.
سنة ١٩٨٠م. القاهرة.

د / رؤوف شلبى:

(٢٠٩) التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام. عرض وترجمة وتعليق. دار الثقافة .
الدوحة.

هـ. ج. روز:

(٢١٠) الديانة اليونانية . ترجمة / رمزي عبده جرجس. مراجعة د/محمد سليم سالم. سلسلة الألف كتاب. دار نهضة مصر . سنة ١٩٦٥ م.

زكى شنودة:

(٢١١) المجتمع اليهودى. مكتبة الخانجي. القاهرة.

سليمان مظهر:

(٢١٢) قصة الديانات. دار الوطن العربى للطباعة والنشر. لبنان

صموئيل هنرى هووك:

(٢١٣) منعطف المخيلة البشرية. بحث فى الأساطير. ترجمة: صبحى حديدى. دار الحوار للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٩٨٣ م. سوريا.

عباس العقاد:

(٢١٤) الله (كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية) دار المعارف. الطبعة السابعة القاهرة.

عبد الرحمن حمدى:

(٢١٥) الهند عقائدها وأساطيرها. سلسلة اقرأ. العدد (٤٣٢) دار المعارف سنة ١٩٧٨ م. القاهرة

د/ على سامى النشار:

(٢١٦) نشأة الدين (النظريات التطورية والمؤلفة) سنة ١٣٦٧ هـ. مكتبة الخانجي. القاهرة.

د/ عبد الله يوسف الشاذلى:

(٢١٧) محاضرات فى الملل والنحل. كلية أصول الدين بطنطا.

د/ على عبد الواحد وافي:

(٢١٨) الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى. دار نهضة مصر. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٩ م. القاهرة.

(٢١٩) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام. دار نهضة مصر. سنة ١٩٧١ م. القاهرة.

- (٢٢٠) الطوطمية(أشهر الديانات البدائية) سلسلة أقرأ ١٩٤ - دار المعارف سنة ١٩٥٩ م. القاهرة.
- (٢٢١) غرائب النظم والتقاليد والعادات. دار نهضة مصر ١٩٨٤م القاهرة.
- (٢٢٢) اليهودية واليهود. دار نهضة مصر. الطبعة الثانية . القاهرة.
- د/ عوض الله حجازى :
- (٢٢٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. دار الطباعة المحمدية. الطبعة الثانية . سنة ١٩٨١م. القاهرة.
- د/ فاطمة المصرى :
- (٢٢٤) الزار(دراسة نفسية تحليلية أنثروبولوجية) الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.
- فرانسوا دوماس :
- (٢٢٥) آلهة مصر. ترجمة : زكى سوس. سلسلة الألف كتاب الثانى. الهيئة العامة للكتاب. سنة ١٩٨٦م. القاهرة.
- فوستيل دى كولانج :
- (٢٢٦) المدينة العتيقة(دراسة لعبادة الإغريق والرومان وشرعهم وأنظمتهم) ترجمة: عباس بيومى ، مراجعة: د/ عبد الحميد الدواخلى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- فيليب فاندنبرج :
- (٢٢٧) لعنة الفراغة. ترجمة : خالد أسعد عيسى ، أحمد غسان . دار قتيبة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٢م. دمشق.
- د/ محمد إبراهيم الفيومى :
- (٢٢٨) فى الفكر الدينى الجاهلى. دار المعارف. ط ثلاثة ١٩٨٣م القاهرة.
- الإمام محمد أبو زهرة.:
- (٢٢٩) مقارنة الأديان(الأديان القديمة) دار الفكر العربى. القاهرة.
- د/ محمد إسماعيل الندوى :
- (٢٣٠) الهند القديمة حضارتها ودياناتها. دار الشعب ١٩٧٠م. القاهرة.

- د/ محمد صقر خفاجة ، د/ عبد اللطيف أحمد على :
 (٢٣١) أساطير اليونان. دار النهضة العربية ١٩٥٩ م. القاهرة.
 محمد طاهر التير:
 (٢٣٢) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية. طبع ببيروت سنة ١٣٣٠ هـ.
 د/ محسن العابد:
 (٢٣٣) مدخل فى تاريخ الأديان. دار الكتاب. سوسة. تونس.
 د/ منى ناظم:
 (٢٣٤) المسيح اليهودى (ومفهوم السيادة الإسرائيلية) اتحاد الصحافة والنشر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٦ م.
 هما يول كبير:
 (٢٣٥) التراث الهندى. مجلس الهند للروابط الثقافية.

رابعاً: المراجع الفلسفية

د/ إبراهيم مدكور، يوسف كرم:

(٢٣٦) دروس فى تاريخ الفلسفة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٧٢ هـ. القاهرة.

إتين جلسون:

(٢٣٧) روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط. عرض وتعليق د/ إمام عبد الفتاح إمام. دار الثقافة للطباعة والنشر. الطبعة الثانية ١٩٧٤م القاهرة،

إميل بربيه:

(٢٣٨) الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري . ترجمة ومراجعة د/ محمد يوسف موسى، د/ عبد الحليم النجار. مطبعة مصطفى الحلبي. سنة ١٩٥٤ م. القاهرة.

برتراند رسل

(٢٣٩) تاريخ الفلسفة الغربية . الكتاب الأول. الفلسفة القديمة . ترجمة الدكتور/ زكى نجيب محمود. لجنة التأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

(٢٤٠) تاريخ الفلسفة الغربية. الكتاب الثانى. الفلسفة الكاثوليكية. ترجمة د/ زكى نجيب محمود. لجنة التأليف والنشر.

(٢٤١) حكمة الغرب (الجزء الأول) ترجمة د/ فؤاد زكريا . سلسلة عالم المعرفة . العدد ٦٢ . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

بول ماسون:

(٢٤٢) الفلسفة فى الشرق. ترجمة د/ محمد يوسف موسى. ملتزم الطبع والنشر. دار المعارف. سنة ١٩٧٤م. القاهرة.

ج . بيورى:

(٢٤٣) حرية الفكر . تعريب : محمد عبد العزيز إسحاق. لجنة التأليف والنشر.

أ . و . توملين:

(٢٤٤) فلاسفة الشرق. ترجمة : عبد الحميد سليم . مراجعة: على أدهم. دار المعارف. سنة ١٩٨٠م. القاهرة.

جامعة أكسفورد:

(٢٤٥) كتاب ما خلفته اليونان. ترجمة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. راجعها: أحمد فريد، محمد على مصطفى. وزارة المعارف العمومية. سنة ١٩٢٩. القاهرة.

جورج سارتون:

(٢٤٦) العلم القديم والمدنية الحديثة. ترجمة وتقديم: د/ عبد الحميد صبرة مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

(٢٤٧) تاريخ العلم. ستة أجزاء. ترجمة لفيف من العلماء. دار المعارف. الطبعة الثالثة. القاهرة.

أ. س. رابويرت:

(٢٤٨) مبادئ الفلسفة. ترجمة: أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثامنة. سنة ١٩٧١م. القاهرة.

د/ عبد الرحمن بدوي:

(٢٤٩) خريف الفكر اليوناني. وكالة المطبوعات. الكويت. الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م.

د/ عبد الله يوسف الشاذلي:

(٢٥٠) الحكمة العربية في أصولها الفطرية. مؤسسة سعيد للطباعة. الطبعة الأولى. سنة ١٤٠٢ هـ. طنطا.

د/ عثمان أمين:

(٢٥١) الفلسفة الرواقية. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٧١م. القاهرة.

د/ علي زيفو:

(٢٥٢) الفلسفات الهندية (قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية). دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٩٨٠م. بيروت.

لويس غرديه، ج. قنواطي:

(٢٥٣) فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. نقله إلى العربية: صبحي الصالحى، فريد جبر. دار العلم. الطبعة الأولى ١٩٦٧م. بيروت.

ليون جوتييه :

(٢٥٤) المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية. ترجمه وعلق عليه د/ محمد يوسف موسى. دار الكتب الأهلية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٤٥ م. القاهرة.

د/ محمد الصادقي :

(٢٥٥) تاريخ الفكر والحضارة . دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر. سنة ١٩٧٤ م. بيروت.

د/ محمد غلاب :

(٢٥٦) الفلسفة الشرقية . مكتبة الأنجلو . الطبعة الثانية ١٩٥٠ م. القاهرة .

يوسف كرم

(٢٥٧) تاريخ الفلسفة اليونانية . السلسلة الفلسفية . لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة السادسة ١٩٧٦ م. القاهرة.

خامساً: المراجع التاريخية

د/ إبراهيم أحمد العدوى :

(٢٥٨) المجتمع الأوربي فى العصور الوسطى . مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى . سنة ١٩٨٠ م . القاهرة.

د/ إبراهيم نصحى :

(٢٥٩) تاريخ الرومان . الجزء الثانى . منشورات الجامعة الليبية . كلية الآداب . سنة ١٩٧٣ م.

(٢٦٠) تاريخ مصر فى عصر البطالمة . الجزء الأول والثانى . الطبعة الخامسة . مكتبة الأنجلو المصرية . سنة ١٩٨٠ م.

ج . إدجار ، محمد شفيق غربال :

(٢٦١) التاريخ القديم . مطبعة المعارف ومكتبتها ١٩٣١ م . القاهرة.

إدريس بل :

(٢٦٢) الهيلينية فى مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى . ترجمة : زكى على . مكتبة الدراسات التاريخية . دار المعارف ١٩٥٩ م . القاهرة.

إدوار جيبون :

(٢٦٣) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها . الجزء الأول . ترجمة محمد على أبو درة . مراجعة : أحمد نجيب هاشم . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.

أرنولد توينبى :

(٢٦٤) تاريخ البشرية . جزءان . ترجمة د/ نقولا زيادة . الناشر : الأهلية للنشر والتوزيع . ثلاثة . بيروت . سنة ١٩٨٥ م . القاهرة.

(٢٦٥) تاريخ الحضارة الهلينية . ترجمة رمزى عبده جرجس . مراجعة : د/ محمد صقر خفاجة . سلسلة الألف كتاب . الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣ م . القاهرة.

(٢٦٦) مختصر دراسة للتاريخ . أربعة أجزاء . ترجمة : فؤاد محمد شبل ، مراجعة : محمد شفيق غربال . د/ أحمد عزت عبد الكريم . لجنة التأليف والترجمة والنشر . طبعة ثانية . سنة ١٩٦٥ م . القاهرة.

د/ إسحاق عبيد:

(٢٦٧) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية. تقديم د/ج. قنواى. دار المعارف .
سنة ١٩٧٢م. القاهرة .

(٢٦٨) روما وبيزنطة. سلسلة الكتب التاريخية. دار المعارف . طبعة أولى سنة ١٩٧٠
م. القاهرة.

د/ أسدرستم:

(٢٦٩) الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب. الجزء
الأول . دار المكشوف. سنة ١٩٥٥م. بيروت.

(٢٧٠) عصر أوغسطس قيصر وخلفائه (المقدمات) منشورات الجامعة اللبنانية . سنة
١٩٦١م. بيروت.

أفغراف سميرنوف:

(٢٧١) تاريخ الكنيسة المسيحية. ترجمة الكسندروس مطران حمص. طبع فى
حمص بمطابع الفجر. سنة ١٩٦٤م.

د/ السيد الباز العرنى:

(٢٧٢) مصر البيزنطية . دار النهضة العربية . سنة ١٩٦١م. القاهرة.

أندرو ملر:

(٢٧٣) مختصر تاريخ الكنيسة من البداية إلى القرن العشرين (جزءان فى مجلدين)
مكتبة كنيسة الأخوة سنة ١٩٧١م. القاهرة.

أندريه إيمار ، جانين أويوابه:

(٢٧٤) الشرق واليونان القديمة. المجلد الأول من (تاريخ الحضارات العام) ترجمة
فريد واغر، فؤاد أبو ريحان. ط أولى . منشورات عويدات. سنة ١٩٦٤م.
بيروت.

(٢٧٥) روما وإمبراطوريتها. المجلد الثانى من (تاريخ الحضارات العام) منشورات
عويدات سنة ١٩٦٤م. بيروت.

إيريس حبيب المصرى:

(٢٧٦) قصة الكنيسة القبطية . الكتاب الأول. مكتبة كنيسة الشهيد مار جرجس
بالإسكندرية.

ر. هـ. بارو:

(٢٧٧) الرومان. ترجمة عبد الرازق يسرى. مراجعة د/ سهير القلماوى. دار نهضة مصر. سلسلة الألف كتاب. سنة ١٩٦٨م القاهرة.

أ. ل. بتشر:

(٢٧٨) تاريخ الأمة القبطية وكنيستها. الجزء الأول والثانى. تعريب إسكندر تاوضروس. مطبعة مصر سنة ١٩٠٠م. القاهرة.

بيريل سمالى:

(٢٧٩) المؤرخون فى العصور الوسطى. ترجمة د/ قاسم عبده قاسم. طبعة ثانية. دار المعارف. سنة ١٩٧٤م. القاهرة.

و. و. تارن:

(٢٨٠) الإسكندر الأكبر قصته وتاريخه. ترجمة: زكى على مراجعة: د/ محمد سليم سالم. سلسلة الألف كتاب. الناشر مركز كتب الشرق الأوسط. سنة ١٩٦٣م. القاهرة.

(٢٨١) ———: تاريخ الخلفاء. ترجم من اللغة الفرنسية بقلم نخلة بك صالح شفوات. طبعة أولى. مطبعة هندية.

م. ب. تشارلز وورث:

(٢٨٢) الإمبراطورية الرومانية. ترجمة: رمزي عبد ه جرجس. راجعه: د/ محمد صقر خفاجة. دار الفكر العربى. سلسلة الألف كتاب. سنة ١٩٦١م. القاهرة.

جلانفيل دوانى:

(٢٨٣) إنطاكية فى عهد ثيودسيوس الكبير. ترجمة د/ البرت بطرس. مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر. بيروت. نيويورك. مكتبة لبنان سنة ١٩٦٨م.

(٢٨٤) إنطاكية القديمة. ترجمة د/ إبراهيم نصحي. دار نهضة مصر. سنة ١٩٦٧م. القاهرة.

جوزيف نسيم يوسف:

(٢٨٥) دراسات فى تاريخ العصور الوسطى. مؤسسة شباب الإسكندرية. سنة ١٩٨٣م. القاهرة.

جون لوريمر:

(٢٨٦) تاريخ الكنيسة (صدر منه جزآن) الجزء الأول ط سنة ١٩٨١م، الجزء الثانى سنة ١٩٨٥م. دار الثقافة المسيحية.

جيمس هنرى برستيد:

(٢٨٧) انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) ترجمة د/ أحمد فخرى . الأنجلو المصرية . سنة ١٩٦٩م . القاهرة.

(٢٨٨) العصور القديمة . ترجمة داود قربان. مؤسسة عز الدين . سنة ١٩٨٣م. بيروت.

حامد عبد القادر :

(٢٨٩) الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها. مراجعة وتعليق : عونى عبد الرؤوف. نهضة مصر . القاهرة.

حبيب سعيد :

(٢٩٠) فجر المسيحية (الجزء الأول من سلسلة تاريخ المسيحية التى تصدرها دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية).

حسن بيرنيا:

(٢٩١) تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى . ترجمة : د/ محمد نور الدين عبد المنعم ، د/ السباعى محمد السباعى ، مراجعة : د/ يحيى الخشاب . الأنجلو المصرية. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

ج. و. دف:

(٢٩٢) تاريخ الأدب الرومانى (الجزء الأول) ترجمة د/ محمد سليم سالم ، راجعه د/ محمد صقر خفاجة . مركز كتب الشرق الأوسط . سنة ١٩٦٣م.

دونالد دولي:

(٢٩٣) حضارة روما. ترجمة جيميل يواقيم الذهبى ، فاروق فريد . مراجعة محمد صقر خفاجة. دار نهضة مصر . القاهرة.

و. ج. دى بورج:

(٢٩٤) تراث العالم القديم (الجزء الأول) ترجمة زكى سوس. راجعه: يحيى الخشاب ، د/ صقر خفاجة . دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع . سنة ١٩٦٥م. القاهرة.

ديتلف نيلسن ، فرنزر هومل وغيرهما :

(٢٩٥) التاريخ العربى القديم . ترجمه واستكمله د/ فؤاد حسنين على . مراجعة : د/

زكى محمد حسن . النهضة المصرية . القاهرة .

د/ رأفت عبد الحميد :

(٢٩٦) (قسطنطين) الجزء الثانى من سلسلة الدولة والكنيسة . دار المعارف طبعة ثانية

- سنة ١٩٨٣ م . القاهرة .

(٢٩٧) ثيودسيوس وامبروز . الجزء الرابع من سلسلة الدولة والكنيسة طبعة أولى .

دار المعارف . سنة ١٩٨٣ م . القاهرة .

د/ رالف لنتون :

(٢٩٨) شجرة الحضارة (قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر

الحديث) . الجزء الثانى والثالث . ترجمة د/ أحمد فخرى . الأنجلو المصرية .

رستوفتزف :

(٢٩٩) تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، ترجمة : زكى على

، محمد سليم سالم . النهضة المصرية .

رولاند بيتون :

(٣٠٠) مواقف من تاريخ الكنيسة . ترجمة : عبد النور ميخائيل . طبعة ثانية دار

الثقافة المسيحية . سنة ١٩٧٨ م . القاهرة .

د/ زاهر رياض :

(٣٠١) كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا . ط أولى . سنة ١٩٦٢ م .

د/ زكى شنودة :

(٣٠٢) تاريخ الأقباط . الجزء الأول ، والثالث ، والسادس . جمعية التوفيق القبطى .

لجنة التاريخ والنشر . طبعة أولى . سنة ١٩٦٢ م . القاهرة .

هـ . سانت . ل . موس :

(٣٠٣) ميلاد العصور الوسطى . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد . مراجعة د/ السيد

الباز . سلسلة الألف كتاب . عالم الكتب . سنة ١٩٦٧ م . القاهرة .

سعيد بن البطريق :

(٣٠٤) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق. مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٥٠ م. بيروت.

د/ سعيد عبد الفتاح عاشور :

(٣٠٥) أوربا العصور الوسطى (جزءان) الأنجلو المصرية. طبعة ثانية. سنة ١٩٦٤ م. القاهرة .

د/ سليم عادل عبد الحق :

(٣٠٦) روما والشرق الرومانى (العهد الجمهورى حتى نهاية قيصر) المطبعة الهاشمية، من مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق. سنة ١٩٥٩ م.

د/ سيد أحمد على الناصرى :

(٣٠٧) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى. دار النهضة المصرية . سنة ١٩٧٥ م. القاهرة.

(٣٠٨) تاريخ حضارة الرومان (من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية) بدون ذكر اسم الناشر. طبعة ثانية ١٩٨٢ م.

د/ شحاته محمد إسماعيل، د/ عاصم احمد حسين :

(٣٠٩) المدخل إلى تاريخ الإغريق . بدون ذكر اسم الناشر . القاهرة ١٩٨٣ م

ل . ج . شينى :

(٣١٠) تاريخ العالم الغربى . ترجمة مجد الدين حفى ناصف. مراجعة : على أدهم . سلسلة الألف كتاب. دار النهضة العربية . القاهرة .

عبد الرحمن الرافعى :

(٣١١) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة من فجر التاريخ إلى الفتح العربى . ط أولى. مكتبة النهضة المصرية. سنة ١٩٦٣ م . القاهرة.

عبد الحميد زايد :

(٣١٢) الشرق الخالد. دار النهضة المصرية . القاهرة.

د/ عبد العزيز صالح :

(٣١٣) الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) مكتبة الأنجلو المصرية. طبعة رابعة .
سنة ١٩٨٤م.

د/ عبد القادر أحمد اليوسف :

(٣١٤) الإمبراطورية البيزنطية . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . سنة ١٩٦٦م.

(٣١٥) العصور الوسطى الأوربية . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . سنة ١٩٦٧م.

د/ عبد اللطيف أحمد على :

(٣١٦) التاريخ الرومانى (عصر الثورة) دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة
١٩٦٧م. القاهرة.

(٣١٧) روما عصر الجمهورية . دار النهضة العربية ١٩٦١م. القاهرة.

(٣١٨) مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. دار النهضة العربية
للطباعة والنشر. سنة ١٩٧٢م. القاهرة.

د/ على الغمراوى :

(٣١٩) مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط. طبعة ثانية . مكتبة سعيد رأفت .
سنة ١٩٧٧م. القاهرة.

هـ . ا. ل . فشر :

(٣٢٠) تاريخ أوربا فى العصور القديمة. ترجمة : د/ إبراهيم نصحى ، د/ محمد
عواد حسين. دار المعارف. سنة ١٩٥٠م. القاهرة.

(٣٢١) تاريخ أوربا العصور الوسطى (القسم الأول) ترجمة : محمد مصطفى زيادة ،
السيد البار . طبعة سادسة . دار المعارف ١٩٧٦م. القاهرة.

فؤاد محمد شبل :

(٣٢٢) دور مصر فى تكوين الحضارة . المكتبة الثقافية . الهيئة العامة للكتاب. سنة
١٩٧١م. القاهرة.

د/ فيليب حتى :

(٣٢٣) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . الجزء الأول. ترجمة : جورج حداد ، عبد
الكريم رافق. مراجعة د/ جبرائيل جبور . دار الثقافة . بيروت.

كاثرين هنرى:

(٣٢٤) التاريخ فى الكتاب المقدس. تلخيص حبيب سعيد. صدر عن دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية . القاهرة.

كرستوفر دوس:

(٣٢٥) تكوين أوربا . ترجمة ومراجعة د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، محمد مصطفى زيادة. سلسلة الألف كتاب. مؤسسة سجل العرب ١٩٦٧م. القاهرة.

الأنبا الكسندروس:

(٣٢٦) تاريخ الكنيسة القبطية (الجزء الأول) مطبعة النجمة.

ج . ج . كولتون:

(٣٢٧) عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة . ترجمة : جوزيف نسيم يوسف . طبعة ثانية . دار المعارف . سنة ١٩٦٧م . القاهرة.

هـ . د . كيتو:

(٣٢٨) الإغريق. ترجمة عبد الرازق يسرى . راجعه د/ محمد صقر خفاجة ، سلسلة الألف كتاب. دار الفكر العربى . سنة ١٩٦٢م . القاهرة.

لجنة التاريخ القبطى:

(٣٢٩) تاريخ الأمة القبطية . مطبعة التوفيق. طبعة ثانية ١٩٢٢م القاهرة .

د/ محمد بيومى مهران:

(٣٣٠) دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم (الجزء الخامس) الخاص بالحضارة المصرية . دار المعرفة الجامعية . سنة ١٩٨٤م . القاهرة.

محمد شفيق غربال:

(٣٣١) تكوين مصر. سلسلة أحاديث باللغة الإنجليزية . نقلها إلى العربية محمد رفعت. النهضة المصرية . سنة ١٩٥٧م . القاهرة.

محمد عبد الرحيم مصطفى ، عبد العزيز مبارك:

(٣٣٢) تاريخ مصر القومية. وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢م القاهرة .

محمد عبد الرحيم مصطفى:

(٣٣٣) النظم اليونانية والرومانية والإسلامية . الناشر مكتبة سعد . طبعة أولى . سنة ١٩٣٧م . القاهرة.

محمد على كمال الدين :

(٣٣٤) الحضارة المصرية القديمة (الجزء الأول من كتاب الشرق الأوسط فى موكب الحضارة). النهضة المصرية . سنة ١٩٥٩ م. القاهرة .

(٣٣٥) الحضارات الشرقية القديمة . الجزء الثانى من كتاب الشرق الأوسط فى موكب الحضارة. دار النهضة العربية . القاهرة.

د/ محمود محمد الحويرى :

(٣٣٦) رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية. دار المعارف سنة ١٩٨١ م القاهرة.

د/ مراد كامل ، د/ محمد حمدى البكرى :

(٣٣٧) تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الفتح الإسلامى . مطبعة المقتطف والمقطم . سنة ١٩٤٩ م. القاهرة.

د/ مصطفى العبادى :

(٣٣٨) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى . الأنجلو المصرية. سنة ١٩٨٥ م. القاهرة .

د/ مصطفى كمال عبد العليم :

(٣٣٩) اليهود فى مصر فى عصرى البطالة والرومان . مكتبة القاهرة الحديثة . طبعة أولى . سنة ١٩٦٨ م. القاهرة.

القس : منسى يوحنا :

(٣٤٠) تاريخ الكنيسة القبطية . مكتبة المحبة . القاهرة.

نجيب إبراهيم طراد :

(٣٤١) تاريخ الرومانيين من بناء رومية إلى تلاشى الحكومة الجمهورية. طبع فى بيروت بالمطبعة اللبنانية. سنة ١٨٨٦ م.

د/ نجيب إبراهيم ميخائيل :

(٣٤٢) مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة. الجزء الأول من سلسلة (مصر والشرق الأدنى القديم) دار المعارف. ط رابعة . القاهرة.

(٣٤٣) الشرق الأدنى القديم. الجزء الثالث من سلسلة (مصر والشرق الأدنى القديم) دار المعارف . ط ثانية سنة ١٩٦٤ م.

نخبة من العلماء :

[٣٤٤] تاريخ العالم. إعداد السير جون هامرتن. أشرف على ترجمته قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

نخبة من علماء التاريخ :

[٣٤٥] تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني) المجلد الأول. مكتبة النهضة المصرية.

نورمان :

[٣٤٦] الإمبراطورية البيزنطية. ترجمة د/ حسين مؤنس، محمود يوسف زايد. الدار القومية للطباعة والنشر.

نورمان كانتو :

[٣٤٧] التاريخ الوسيط (القسم الأول) ترجمة د/ قاسم عبده قاسم. دار المعارف. سنة ١٩٨١ م. القاهرة.

ج. م هسى :

[٣٤٨] العالم البيزنطى. ترجمة د/ رأفت عبد الحميد. مكتبة سعيد رأفت سنة ١٩٧٦ م. القاهرة.

هليلر :

[٣٤٩] تاريخ العالم. ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة. دار الدير للطباعة والنشر. سنة ١٩٥٦ م. دمشق.

ول ديورانت :

[٣٥٠] نشأة الحضارة. الجزء الأول من المجلد الأول من كاتب (قصة الحضارة) ترجمة د/ زكى نجيب محمود. لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة رابعة. سنة ١٩٧٣ م القاهرة.

[٣٥١] الشرق الأدنى. الجزء الثانى من المجلد الأول من (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران. لجنة التأليف والنشر. سنة ١٩٧١ م.

[٣٥٢] الهند وجيرانها. الجزء الثالث من المجلد الأول من (قصة الحضارة) ترجمة: زكى نجيب محمود. لجنة التأليف والنشر. طبعة ثالثة. سنة ١٩٦٨ م القاهرة.

[٣٥٣] حياة اليونان (الجزء الأول من المجلد الثانى) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة سنة ١٩٩٦ م. القاهرة.

[٣٥٤] حياة اليونان. الجزء الثالث من المجلد الثانى. ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة. سنة ١٩٧٣ م. القاهرة.

[٣٥٥] قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية. (الجزء الأول من المجلد الثالث) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة. سنة ١٩٧٢ م.

[٣٥٦] قيصر والمسيح (الجزء الثانى من المجلد الثالث) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة سنة ١٩٧٣ م.

[٣٥٧] قيصر والمسيح (الجزء الثالث من المجلد الثالث) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة. سنة ١٩٧٣ م.

[٣٥٨] عصر الإيمان (الجزء الأول من المجلد الرابع) ترجمة محمد بدران سنة ١٩٧٣ م.

هـ. ج. ولز:

[٣٥٩] معالم تاريخ الإنسانية. المجلد الأول. نشأة الكون والإنسان والحضارات. ترجمة عبد العزيز جاويد. لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ثالثة. سنة ١٩٦٧ م. القاهرة.

[٣٦٠] تاريخ الإغريق والرومان (المجلد الثانى من معالم تاريخ الإنسانية) طبعة ثالثة. سنة ١٩٦٩ م.

- [٣٦١] المسيحية والإسلام والعصور الوسطى (المجلد الثالث من المرجع السابق) طبعة ثالثة. سنة ١٩٧٢م.
- [٣٦٢] موجز تاريخ العالم. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. مراجعة محمد مأمون نجا. النهضة المصرية. سنة ١٩٨٥م. القاهرة.
- أ. ولفنسون:
- [٣٦٣] تاريخ اللغات السامية. دار القلم. طبعة أولى. سنة ١٩٨٠م. بيروت.
- يعقوب نخلة:
- [٣٦٤] تاريخ الأمة القبطية. مطبعة التوفيق. طبعة أولى، سنة ١٩٥٨م. القاهرة.
- يوسابيوس القيصري:
- [٣٦٥] تاريخ الكنيسة. ترجمة مرقس داود. مكتبة المحبة. طبعة ثانية. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.
- [٣٦٦] حياة قسطنطين. ترجمة مرقس داود. مكتبة المحبة. القاهرة.

سادساً: رسائل علمية

إبراهيم حرية :

[٣٦٧] الخلول والاتحاد في الفكر الإسلامى . رسالة ماجستير . كلية أصول الدين . القاهرة .

د / إبراهيم سلامة :

[٣٦٨] القرآن وعقائد أهل الكتاب . رسالة دكتوراة . كلية أصول الدين . القاهرة .

د / أحمد عجيبة :

[٣٩٦] الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه . رسالة ماجستير . كلية أصول الدين بطنطا .

د / السعيد طه :

[٣٧٠] التشريع في اليهودية والنصرانية والإسلام . دراسة مقارنة . رسالة دكتوراة . كلية أصول الدين . القاهرة .

د / فتحى الزغبى :

[٣٧١] غلاوة الشيعة وتأثيرهم بالأديان المغايرة للإسلام . رسالة ماجستير كلية أصول الدين والدعوة بطنطا .

د / محمد أبو الغيط الفرت :

[٣٧٢] عقيدتنا التثليث والصلب في المسيحية وموقف الإسلام منها . رسالة دكتوراة . كلية أصول الدين . القاهرة .

د / محمد رجب الشتيوى :

[٣٧٣] المجامع المسيحية وأثرها في تقرير العقائد الكنسية. رسالة دكتوراة. كلية أصول الدين القاهرة.

د/ محمد عبد اللافى شرعان :

[٣٧٤] موقف القرآن الكريم والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بألوهيته. رسالة دكتوراة. كلية أصول الدين القاهرة.

سابعاً: معاجم ودوائر معارف

السيد الشريف (المعروف بالجرجاني) :

[٣٧٥] التعريفات. مطبعة مصطفى الحلبي. سنة ١٣٥٧ هـ. القاهرة.

ابن منظور:

[٣٧٦] لسان العرب. طبعة دار المعارف.

د / جورج بوست :

[٣٧٧] فهرس الكتاب المقدس. صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

الطبعة الرابعة. سنة ١٩٦٩ م.

جيمس هستنجر:

[٣٧٨] دائرة معارف الدين والأخلاق (باللغة الإنجليزية) طبعة لندن.

الفيروز آبادي:

[٣٧٩] القاموس المحيط. مطبعة مصطفى الحلبي. الطبعة الثانية. سنة ١٩٥٢ م.

القاهرة.

محمد علي الفاروقي التهانوي :

[٣٨٠] كشف اصطلاحات الفنون. تحقيق د/ لطفى عبد البديع. راجعه أمين

الحولى. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. سنة ١٩٦٩ م. القاهرة.

محمد فريد وجدى:

[٣٨١] دائرة معارف القرن العشرين (الجزء اثناني) الطبعة الثالثة. دار المعرفة

للطباعة والنشر. سنة ١٩٧١ م. بيروت.

مجمع اللغة العربية:

[٣٨٢] المعجم الفلسفى. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

[٣٨٣] المعجم الوسيط. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٢م. القاهرة.

د / مراد وهبة :

[٣٨٤] المعجم الفلسفى. دار الثقافة الجديدة. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

نخبة من اللاهوتيين :

[٣٨٥] قاموس الكتاب المقدس ، منشورات مكتبة المشعل. بإشراف رابطة الكنائس

الإنجيلية في الشرق الأوسط. الطبعة السادسة ١٩٨١م. بيروت.

نخبة من المتخصصين :

[٣٨٦] معجم العلوم الاجتماعية. إصدار هيئة اليونسكو. الناشر: الهيئة المصرية

العامة للكتاب. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

الفهرس

٥	المقدمة
	المدخل
	(التصوير القرآنى للمسيح عليه السلام ورسالته).....
١٣	ما قبل ولادة المسيح
١٣	امراة عمران
١٦	تبشير مريم بعيسى عليه السلام
١٨	نبوة المسيح ورسالته
١٩	أول شئ في دعوة الرسل توحيد الله
٢٠	عيسى بن مريم ما دعا إلا إلى التوحيد
٢٣	معجزات المسيح عليه السلام
٢٦	الإنجيل كما يصوره القرآن
٣٠	معنى المسيح كلمة الله
٣١	معنى روح منه
٣٢	الحواريون أنصار الله
٣٣	نهاية المسيح
٣٧	إبطال القرآن الكريم للعقائد المسيحية
	الباب الأول
	(العوامل التى أدت إلى تأثير المسيحية بغيرها)
٤٥	تمهيد

الفصل الأول: الاضطهاد

- ٤٩ معنى الاضطهاد
- ٤٩ الاضطهاد المبكر
- ٥٢ اضطهاد أتباع المسيح
- ٥٢ العصر الأول: الاضطهاد اليهودى ضد النصارى
- ٥٤ استفانوس
- ٥٨ العصر الثانى: عصر الاضطهاد الرومانى
- ٥٨ روح التسامح الرومانى تجاه الديانات عدا النصرانية
- ٥٩ أسباب اضطهاد الرومان للنصارى
- ٥٩ أولاً: تشتت النصارى وانفصالهم عن اليهود
- ٦١ السبب الثانى: سبب سياسى
- ٦٣ السبب الثالث: سبب اجتماعى
- ٦٤ حقائق عن الاضطهاد الرومانى
- ٦٥ المراحل العشر للاضطهاد الرومانى
- ٦٦ ١- نيرون
- ٦٧ حريق روما وبداية اضطهاد المسيحيين
- ٦٨ ٢- اضطهاد دومتيان
- ٦٩ ٣- تراجان
- ٧١ ٤- ماركوس أوريليوس
- ٧٣ ٥- سبتيموس سيفروس
- ٧٤ ٦- اضطهاد مكسيميانوس
- ٧٤ ٧- اضطهاد ديسيوس
- ٧٧ ٨- اضطهاد فاليريان

- ٧٨ ٩ - اضطهاد دقلديانوس
 ٨١ بدء اضطهاد دقلديانوس
 ٨٢ قرارات الاضطهاد فى عصر دقلديانوس
 ٨٤ ١٠ - اضطهاد جاليريوس وماكسيمينوس
 ٨٦ الاضطهاد عامل من عوامل التأثير
 ٨٦ أولاً: قتل عدد كبير من أئمة النصارى
 ٩٠ ثانياً: ضياع الإنجيل الصحيح
 ٩٠ ثالثاً: تشتت الأتباع خارج بلاد اليهود

الفصل الثانى

(ضياع الإنجيل الصحيح)

- ٩٧ ماهية الإنجيل الصحيح
 ٩٩ اليهود وضياع الإنجيل الصحيح
 ١٠٣ أثر ضياع الإنجيل الصحيح على ديانة المسيح عليه السلام
 ١٠٤ أولاً: سهولة تحريفها وتأثرها بالمعتقدات الوثنية
 ١٠٤ ثانياً: وجود الإنجيل الكثيرة
 ١٠٦ اختيار أناجيل ورسائل العهد الجديد وكيف تم الاختيار؟
 ١٠٩ التعرف بالإنجيل الأربعة
 ١١٠ ١ - إنجيل متى
 ١١٠ اللغة التى كتب بها
 ١١٢ تاريخ كتابته
 ١١٣ هل نسبة هذا الإنجيل إلى متى الخوارى صحيحة؟
 ١١٥ ٢ - إنجيل مرقس
 ١١٧ اللغة التى كتب بها

- ١١٧ تاريخ كتابته
 ١١٩ هل نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس صحيحة؟
 ١٢٠ ٣- إنجيل لوقا
 ١٢٠ لمن كتب لوقا إنجيله؟
 ١٢١ تاريخ كتابة هذا الإنجيل
 ١٢٢ ٤ - إنجيل يوحنا
 ١٢٢ لماذا كتب هذا الإنجيل؟
 ١٢٤ تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل
 ١٢٦ هل نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا صحيحة؟
 ١٢٩ هل تصلح هذا الإنجيل أن تقوم مقام الإنجيل الصحيح؟
 ١٤٥ تعقيب

الفصل الثالث

(بولس ونشاطه فى المسيحية)

- ١٤٩ مصادر سيرة بولس الذاتية والفكرية
 ١٤٩ المصدر الأول: رسائل بولس
 ١٤٩ المصدر الثانى: أعمال الرسل
 ١٥٠ البيئة التى نشأ فيها بولس
 ١٥٤ الاسم والعائلة
 ١٥٦ ثقافة بولس
 ١٥٩ اضطهاد بولس لأتباع المسيح
 ١٦١ تحوله المفاجئ إلى المسيحية
 ١٦٧ هل تلقى بولس تعليمًا نصرانيًا يؤهله للتبشير بها؟
 ١٦٩ ادعاء بولس للرسالة

- ١٧٢ نشاط بولس التبشيري ورحلات التبشير
- ١٧٧ رحلات بولس التبشيرية
- ١٧٧ الرحلة الأولى ومجمع أورشليم
- ١٨٠ الرحلة التبشيرية الثانية
- ١٨٢ الرحلة التبشيرية الثالثة
- ١٨٣ رسائل بولس
- ١٨٦ العقائد والأفكار التي بشر بها بولس
- ١٨٧ أولاً: الخلاص العقيدة الرئيسية في تفكير بولس
- ١٨٩ صفات المخلص في نظر بولس
- ١٩٠ ١ - ابن الله
- ١٩٢ ٢ - الصلب من أجل الفداء
- ١٩٤ ٣ - القيامة بعد الصلب
- ١٩٥ ٤ - خاص بالشعائر
- ١٩٦ ثانياً: التقليل من شأن الناموس
- ١٩٩ هل هذه التعاليم نادى بها المسيح؟
- ٢٠٠ موقف التلاميذ منها
- ٢٠٢ المصدر الصحيح لتعاليم بولس
- ٢٠٦ أثر تعاليم بولس على ديانة المسيح عليه السلام
- الفصل الرابع
- (قسطنطين وأثره على المسيحية)
- ٢١٥ لمحة عامة عن قسطنطين
- ٢١٩ تعاطف قسطنطين مع المسيحية وإصدار وثيقة التسامح معهم
- ٢٢٧ دوافع اتجاه قسطنطين إلى المسيحية

- ٢٢٧ الرأى الأول: ادعاء رؤيا تحول قسطنطين مسيحياً
- ٢٣٣ أوجه التشابه بين رواية بولس ورواية قسطنطين
- ٢٣٥ الرأى الثانى: الدافع لاتجاه قسطنطين نحو المسيحية كان سياسياً
- ٢٣٩ تدخل قسطنطين فى شئون المسيحية واتخاذ صفة رئيس الكهنة
- ٢٤٠ أولاً: الدوناتيون
- ٢٤٤ ثانياً: الأريوسية
- ٢٥٢ سياسة قسطنطين فى التوفيق بين المسيحية والوثنية
- ٢٥٤ أثر قسطنطين فى المسيحية

الفصل الخامس

(المجامع المسيحية وأثرها فى تقرير العقائد الكنسية)

- ٢٦١ المقصود بالمجامع
- ٢٦٣ أنواع المجامع
- ٢٦٣ أولاً: مجامع مسكونية
- ٢٦٥ ثانياً: مجامع مكانية
- ٢٦٦ أهم المجامع المسكونية
- ٢٦٦ ١ - مجمع نيقية
- ٢٦٦ السبب فى انعقاد هذا المجمع
- ٢٦٨ أريوس وعقيدته
- ٢٧٠ انتشار مذهب أريوس
- ٢٧٢ اجتماع الأساقفة فى نيقية لبحث مشكلة النزاع
- ٢٧٤ نتائج هذا المجمع
- ٢٧٥ تعقيب على هذا المجمع
- ٢٧٨ ٢ - مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م

٢٧٨	سبب انعقاد هذا المجمع
٢٨٠	اجتماع الأساقفة ومناقشتهم لماكدونيوس
٢٨١	أهم قرارات هذا المجمع
٢٨٣	٣ - مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م
٢٨٣	تمهيد
٢٨٤	سبب انعقاد هذا المجمع
٢٨٨	اجتماع الأساقفة فى أفسس والحكم على نسطور
٢٨٨	زيادة حدة الاختلاف بين المسيحيين نتيجة لهذا المجمع
٢٩١	المجمع الرابع :
٢٩١	١ - مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م
٢٩١	سبب انعقاد هذا المجمع
٢٩٢	القرارات التى انتهى إليها
٢٩٣	٢ - مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م
٢٩٤	سبب انعقاد هذا المجمع
٢٩٧	مجامع أخرى
٢٩٩	أثر المجامع فى المسيحية

الفصل السادس

(منافذ الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية)

٣١١	تمهيد
٣١٣	أولاً : يهود الشتات
٣١٥	أهم صفاتهم
٣٢٣	كيف عبرت ديانة المسيح إلى مجتمعات يهود الشتات
٣٢٦	خطر يهود الشتات على ديانة المسيح

- ٣٢٨ ثانياً: السرية
 ٣٢٩ ثالثاً: استخدام اللغة اليونانية
 ٣٣٤ رابعاً: التبشير بالمسيحية فى العالم الوثنى
 ٣٣٥ أهم خصائص الأديان الوثنية آنذاك
 ٣٣٦ كيف اعتنق الوثنيون المسيحية

الباب الثانى

[مظاهر تأثير المسيحية بالأديان الوضعية]

الفصل الأول

(التجسد)

- ٣٤٧ التجسد فى المسيحية
 ٣٤٧ معنى التجسد
 ٣٤٨ التصور المسيحى حول التجسد
 ٣٤٨ أولاً : المسيح إنسان
 ٣٥٢ ثانياً: دعوى ألوهية المسيح
 ٣٥٤ متى بدأ القول بألوهية المسيح؟
 ٣٥٨ أدلة المسيحيين على دعوى ألوهية المسيح
 ٣٥٩ ١ - الميلاد العذراوى (ولادته بدون أب)
 ٣٦١ ٢ - معجزات المسيح
 ٣٧٠ ٣ - دعوى نسبة بعض الألقاب الإلهية إلى المسيح
 ٣٧٠ (١) ابن الله
 ٣٧٢ (٢) الرب
 ٣٧٥ (٣) الإله
 ٣٧٩ كيفية التجسد الإلهى فى نظر المسيحيين

- ٣٨٥ تجسد الإلهة فى صورة بشرية فى الأديان الوضعية
- ٣٩٠ ١- التجسد عند الهنود
- ٣٩٠ أ- تجسد الإله كرشنا
- ٣٩١ ب- التجسد عند البوذيين
- ٣٩٢ ٢- التجسد عن المصريين القدماء
- ٣٩٤ ٣- التجسد عند اليونانيين
- ٣٩٥ ٤- التجسد عند المقدونيين والبطالمة والسلوقيين
- ٣٩٧ ٥- التجسد عند الرومانيين
- ٤٠٢ الصلة بين التجسد المسيحى والتجسد الوثنى
- ٤٠٧ الرد على عقيدة التجسد
- ٤٠٧ أولاً: إبطال دعوى ألوهية المسيح
- ٤٠٧ أ- من حيث النقل
- ٤١٣ ب- من حيث العقل
- ٤١٤ ثانياً: إبطال ما ذهب إليه المسيحيون فى اتحاد اللاهوت بالناسوت

الفصل الثانى

(التثليث عند المسيحيين)

- ٤٢٥ التثليث عند المسيحيين
- ٤٢٥ مدلول كلمة (تثليث) فى المعاجم العربية
- ٤٢٦ مدلول الكلمة عند المسيحيين
- ٤٢٧ معنى كلمة أقنوم
- ٤٣٠ التصوير المسيحى للأقانيم الثلاثة
- ٤٣١ دعوى الله الآب
- ٤٣٧ قولهم الله الابن

- ٤٤١ قولهم الله الروح القدس
- ٤٤٦ التعاليم المسيحية حول هذه الأقانيم
- ٤٤٦ أولاً: دعوى حتمية الثالث
- ثانياً: من تعاليم المسيحية حول الأقانيم قولهم إن التليث
- ٤٥٢ أكمل الأعداد
- ٤٥٤ ثالثاً: اعتقاد المسيحيين بأن الثالث واحد
- ٤٦١ رابعاً: اختلاف المسيحيين حول الثالث
- ٤٦٤ مدى فهم المسيحيين لعقيدة التليث
- ٤٦٩ أدلة المسيحيين على عقيدة التليث
- ٤٧٠ أدلة المسيحيين على التليث من العهد القديم
- ٤٧٨ تعقيب
- ٤٧٩ أدلة المسيحيين على التليث من العهد الجديد
- ٤٨٧ كيف تكونت عقيدة التليث عند المسيحيين
- ٤٩٣ التليث في الأديان الوضعية
- ٤٩٣ ١. التليث عند البراهمة
- ٤٩٧ ٢. التليث عند البوذيين
- ٤٩٧ ٣. التليث عند قدماء المصريين
- ٥٠٠ ٤. التليث عند البابليين والآراميين
- ٥٠٢ ٥. التليث عند الصينيين
- ٥٠٢ ٦. التليث عند اليونانيين والرومانيين
- ٥٠٣ ٧. التليث في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة
- الصلة بين التليث المسيحي والتليث الوثني والادعاء بأن
- ٥٠٥ مصدرهما واحد

- ٥١٦ الصلة الحقيقية بين التثليث المسيحى والتثليث الوثنى
٥٢١ قانون الإيمان المسيحى مأخوذ من الوثنية
٥٢٢ رد موجز على عقيدة التثليث

الفصل الثالث

(عقيدة الصلب والفداء)

- ٥٢٩ عقيدة الصلب والفداء (الخلاص) فى التصور المسيحى
٥٢٩ المعنى المسيحى لكلمة خلاص
٥٣١ المعنى المسيحى لكلمة فداء
٥٣٢ جذور هذه العقيدة فى التصور المسيحى
٥٣٩ دعوى التوفيق بين عدل الله ورحمته
٥٤٤ دعوى تجميد ابن الله من أجل الخلاص
٥٤٧ دعوى صلب المسيح من أجل الخلاص
٥٤٨ أهمية الصلب للمخلص
٥٥٦ أهمية الموت بالنسبة للمخلص فى نظر المسيحيين
من الذى صلب ومات فى نظرهم هل هو المسيح الإنسان أم
الإله؟
٥٦٠
٥٦٣ دعوى قيامة المسيح وأهميتها لفكرة الخلاص عندهم
٥٦٧ كيف ظهرت عقيدة الخلاص المسيحية؟
٥٧٠ دعوى موت الإله وبعثه من أجل الخلاص فى الأديان الوضعية
٥٧٢ فى الأديان الهندية القديمة
٥٧٣ أ - الإله كرشنا
٥٧٤ ب - الإله بوذا المخلص
٥٦٩ ٢ - فى الديانة المصرية القديمة

- ٥٦٩ ٣ - فى الديانة الفارسية القديمة
 ٥٧٦ ٤ - فى الديانة اليونانية والديانة الرومانية
 ٥٧٨ الصلة بين الخلاص المسيحى والخلاص الوثنى
 ٥٨٣ رد موجز على عقيدة الخلاص

الفصل الرابع

(الشعائر)

- ٥٩٣ تمهيد
 ٥٩٥ تعريف (السر) عند المسيحيين
 ٥٩٦ المعمودية
 ٥٩٧ أصل هذه الفريضة عند المسيحيين
 ٥٩٩ غاية المعمودية فى نظر المسيحيين
 ٦٠٢ تأثير المسيحية بالأديان الوضعية فى التعميد
 ٦٠٤ ١ - التعميد عند المصريين
 ٦٠٥ ٢ - التعميد عند الفارسيين
 ٦٠٦ ٣ - التعميد عند الهنود
 ٦٠٦ ٤ - التعميد عند اليونانيين
 ٦٠٧ ٥ - التعميد عند الرومانيين
 ٦١٠ العشاء الربانى
 ٦١١ العناصر التى تستعمل فى العشاء الربانى
 ٦١٢ فاعلية تناول العشاء الربانى فى نظر المسيحيين
 ٦١٨ تأثير المسيحية بالأديان الوضعية فى العشاء الربانى
 ٦١٨ ١ - التناول فى الديانة الهندية
 ٦١٩ ٢ - التناول فى الديانة الفارسية

٦٢٠	٣ - التناول في الديانة اليونانية
٦٢٢	الأعياد المسيحية وتأثيرها بالأعياد الوثنية
٦٢٢	يوم الرب
٦٢٦	عيد الميلاد
٦٢٧	عيد القيامة
٦٢٩	الخاتمة
٦٣١	أهم النتائج
٦٤٣	المراجع
٦٤٥	أولاً: المراجع الإسلامية
٦٥٥	ثانياً: المراجع المسيحية
٦٦٥	ثالثاً: مراجع الأديان الأخرى
٦٧٠	رابعاً: المراجع الفلسفية
٦٧٣	خامساً: المراجع التاريخية
٦٨٥	سادساً: رسائل علمية
٦٨٧	سابعاً: معاجم ودوائر معارف
٦٨٩	الفهرس